ريموندا حوا طويل

المقاطعة

حصار شعب، صمود زعيم، اختبار أمة

فصول من حياة الرئيس

عرفات في ظل الحصار



بطاقة فهرسة

مطبوعات ريموندا حوا طويل
فلسطين – القدس – القاهرة
جمهورية مصر العربية

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : المقاطعة
حصار شعب، صمود زعيم، اختبار أمة

المـــــؤلف : ريموندا حوا طويل

رقـم الإيداع : ٢٠١٢/٢١١٦٤

الترقيم الدولي:

المشرف العام على مطبوعات ريموندا حوا طويل بمصر
الكاتب المصري : إبراهيم جاد الله

شكر خاص إلى ...
دكتور: أحمد رفيق عوض
الأستاذ اللغوي : داوود إبراهيم
مديرة مكتب رام الله : نظر عوض سمعان الدلو

الطبعة الأولى ٢٠١٢



مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

مطبوعات ريموندا حوا طويل
القاهرة – القدس ٢٠١٢

الإهداء

إلى رفاق أبو عمار في الحصار
رجال وضعوا أرواحهم على أكفهم لحمايته
رئيسا ورمزا.
إليهم جميعا.. من ذهب شهيدا إلى جنة الخلد..
ومن ينتظر.

رَكَزوا رُفاتَكَ في الرِمالِ لواءَ … يستَنهِضُ الوادي صَبَاحَ مَسَاءَ

يا وَيْحَهم! نصبوا مَنارًا من دم … تُوحِي إلى جيلِ الغدِ البَغْضاءَ

ما ضرَّ لو جَعلوا العَلاقَة في غدٍ … بين الشعوب مَوَدَّةً وإخاءَ؟

جُرْحٌ يَصيحُ على المدَى وضَحِيَّةٌ … تتلمَّسُ الحريَّةَ الحمراءَ

يأَيُّها السيفُ المجرَّدُ بالفَلا … يكسو السيوفَ على الزمان مَضاءَ

تلك الصحارى غِمْدُ كلِّ مُهَنَّدٍ … أبْلَى فأحسنَ في العدوِّ بَلاءَ

وقبورُ مَوْتَى من شبابِ أُمَيَّةٍ … وكهولِهم لم يبرَحُوا أحياءَ

لو لاذَ بالجوزاءِ منهم معقِل … دخلوا على أبراجِها الجوزاءَ

فتحوا الشَّمالَ: سُهولَهُ وجبالَهُ … وتوغَّلوا فاستعمروا الخضراءَ

وبَنَوْا حضارتَهم فطَاوَلَ ركنُها … دَارَ السلامِ وجِلَّقَ الشَّمَّاءَ

خُيِّرْتَ فاخْتَرْتَ المبيتَ على الطَّوَى … لم تَبْنِ جاهًا أو تَلُمَّ ثَراءَ

إنَّ البطولةَ أن تموتَ من الظَّما … ليس البطولةُ أن تَعُبَّ الماءَ

إفريقِيا مَهْدُ الأُسودِ ولَحْدُها … ضجَّتْ عليكَ أَراجِلاً ونساءَ

والمسلمون على اختلافِ ديارِهم … لا يملِكون معَ المُصَابِ عَزاءَ

والجاهليةُ من وَراءِ قُبورِهم … يبكون زَيْدَ الخيلِ والفَلْحاءَ

في ذِمَّةِ اللهِ الكريمِ وحفظِه … جَسَدٌ ببرْقةَ وُسِّدَ الصحراءَ

لم تُبْقِ منه رَحَى الوقائعِ أعظُمًا … تَبْلَى ولم تُبْقِ الرِّماحُ دِماءَ

كُرُفاتِ نَسْرٍ أو بَقِيَّةِ ضَيْغَمٍ … باتا وراءَ السَّافياتِ هَباءَ

بطلُ البَداوةِ لم يكن يَغْزو على … تَنْكٍ ولم يَكُ يركبُ الأَجواءَ

لكنْ أخو خَيْلٍ حَمَى صَهَواتِها … وأَدَارَ من أعرافِها الهيجاءَ

لَبَّى قضاءَ الأَرضِ أَمْسِ بمُهْجَةٍ … لم تخْشَ إلاَّ للسماءِ قَضاءَ

وافاهُ مَرْفوعَ الجبينِ كأنه … سُقْراطُ جَرَّ إلى القُضاةِ رِداءَ

شَيْخٌ تَمالَكَ سِنَّهُ لم ينفجرْ … كالطفلِ من خوفِ العِقابِ بُكاءَ

وأَخو أُمورٍ عاشَ في سَرَّائِها ... فتغيَّرَتْ فتوقَّع الضَّراءَ
الأُسْدُ تزأرُ في الحديدِ ولن ترى ... في السِّجنِ ضِرْغامًا بكى اسْتِخْذاءَ
وأتى الأَسيرُ يَجُرُّ ثِقْلَ حَديدِهِ ... أَسَدٌ يُجَرِّرُ حَيَّةً رَقْطاءَ
عَضَّتْ بساقَيْهِ القُيودُ فلم يَنُؤْ ... ومَشَتْ بهيْكلهِ السّنون فناءَ
تِسْعُونَ لو رَكِبَتْ مَناكِبَ شاهقٍ ... لترجَّلَتْ هَضَباتُه إعياءَ
خَفِيَتْ عن القاضي وفات نَصِيبُها ... من رِفْقِ جُنْدٍ قادةً نُبَلاءَ
والسِّنُّ تَعْصِفُ كُلَّ قَلْبِ مُهَذَّبٍ ... رَفَ الجُدودَ وأدرَكَ الآباءَ
دفعوا إلى الجلاَّدِ أَغلَبَ ماجدًا ... يأسُو الجِراحَ ويُطلِقُ الأَسَراءَ
ويُشاطرُ الأَقرانَ ذُخْرَ سِلاحِهِ ... ويَصُفُّ حَوْلَ خِوانِه الأَعداءَ
وتخيَّروا الحبلَ المَهينَ مَنيّةً ... للَّيْثِ يلفِظ حَوْلَهُ الحَوْباءَ
حَرموا المماتَ على الصَّوارِمِ والقَنا ... مَنْ كان يُعْطِي الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ
إنِي رأيتُ يَدَ الحضارةِ أُولِعَتْ ... بالحقِّ هدْما تارةً وبِناءَ
شرَعَتْ حُقوقَ الناسِ في أوطانِهِم ... إلاّ أُباةَ الضَّيْمِ والضُّعَفاءَ
يا أَيُّهَا الشعبُ القريبُ أسامعٌ ... فأَصوغَ في عُمَرَ الشَّهيدِ رِثاءَ؟
أَم أَلْجَمَتْ فاكَ الخُطوبُ وحَرَّمت ... أُذنَيْكَ حينَ تُخاطِبُ الإصْغاءَ؟
ذهب الزعيمُ وأَنتَ باقٍ خالدٌ ... فانقُدْ رِجالَك واخْتَرِ الزُّعَماءَ
وأَرِحْ شيوخَكَ من تكاليفِ الوَغَى ... واحْمِلْ على فِتْيانِكَ الأَعْباءَ

إشارات تُقدِّم لما سيُقال
أيام الاجتياح والبطولة

ريموندا حوا طويل

كانت حاستي الصحفيّة والإعلامية ترقب كل شيء، وترصد كل شيء، وتسجل كل شيء.. وعندما أتأمل شريط يوم مضى من أيام الحصار، أتوقف عند العديد من الأحداث والبطولات والأشخاص. أسرع إلى أوراقي، أسجل فيها خواطري وانفعالاتي بلغة عفوية متدفقة، أحيانا بالعربية وأحيانا بالفرنسية، وأحيانا بالإنجليزية..

أكتب ما عشته، دون أن أقرر متى وكيف سأنشره.. المهم أني حريصة إلى حد بعيد على أن أسجل انفعالاتي وخواطري وأفكاري تجاه كل ما يحدث حوالي.

ولكن الأحداث تسبقني، إن هذه الأيام المجيدة، بكل ما فيها من ضراوة وقوة ونار ودم، تستحق ولا شك أن يسجل نبض إيقاعها ساعة بساعة بل دقيقة بدقيقة، وكلما مرت بي حادثة تصورت كيف يمكن صياغتها،وفكرت في عنوانها، والصورة الملائمة لها.، وربما فكرت في الصفحة والعنوان.

إنها عيوب المهنة ولا شك، ولكن النبض الإنساني يظل شاغلي عن كل ما عداه

إنني في أحيان كثيرة، أنفعل وأبكي وأتمزق ألما نيابة عن الآخرين، بمعنى أنني أسكب دموعي لوعة وحسرة وألما مشاركة في كل مصاب جلل.

وفي هذا الحصار الذي كان يضرب حول الرئيس، كانت تتوالى قصص البطولة وحكايات الأبطال والشهداء.

ومن بين ما أصابني بالشجن والفخر والاعتزاز قصة (الحاجة زينب) التي عرضت في مقالة لصحفي شاب نشرتها له جريدة فلسطين عن بطولتها.ومثلها العشرات بل والمئات

من البطولات الشبابية والنسائية التى صارت مصدر فخر لكل فلسطينى وعربى ولكل إنسان مقاوم دفاعا عن أرض وبيت وعرض وتاريخ

وحين توقفت طويلا عند هذه البطولات أدركت كم أن شعبنا قويّ وعظيم وفاعل مهارة شباب، وثقتهم بأنفسهم، وقدرتهم على التصدي، وإيمانهم بعدالة قضية بلادهم شجاعة أمهات جعلتني أؤمن أن الأمهات الفلسطينيات لن يعجزن عن إنجاب الأبطال دائما، وأيقظت فيّ أحلاما فنية، وهي أن أرى مؤسسات الإعلام والفن الفلسطينية أو العربية تخلد مثل هذه الأعمال البطولية.

شاب صغير. قناص بارع. كل طلقة يطلقها بإصابة محتمة.. ثبات وجرأة وإيمان.

ولبندقيته تاريخ ، ولوالده الذي أنجبه تاريخ.

فالحقائق تؤكد أن الابن ورث البندقية عن والده الثائر عندما شارك في حرب عام ١٩٤٨م.

وقد علمت أنهم بعد ذلك اعتقلوه.. فلما أصدر الحاكم العسكري عليه الحكم، رفع يده بالسلام والتحية، وقال له: أحييك.. أنت بطل.

ذلك ما حدث في فلسطين قرب قرية عين عريك ليس مشهدا في فيلم سينمائي، وإنما حقيقة ملموسة روتها الصحف وسجلتها عدسات مصوري المحكمة.

وقد أيقظت بداخلى كل وقائع أيام الاجتياح والحصار عبارات غاية فى الدلالة والصدق . وعبارات خالدة قالها واحد من أبناء فلسطين الشرفاء الجسورين ، وهو دكتور أحمد الطيبى ، وكأنه كان ينطق باسمنا جميعا عند قصف إسرائيل للأمن الوقائي في بيتونيا.

«إذا سقط ياسر عرفات الذي يدافع عن كرامة الأمة سيسقط كل رؤساء العرب إذا سقطت الكوفية الفلسطينية يستطيع أي بستار إسرائيلي أن يدعس على رقاب أي زعيم عربي. نهاية المطاف:

سجن عرفات يعني سجن كل رؤساء العرب. هذه الكوفية يجب أن تبقى مرتفعة. وإذا سقطت الكوفية سقطت الكرامة العربية»

تردد هذا الكلام حين كانت مروحيات الاحتلال تحوم فوق المقاطعة وحين كانت دبابات الاحتلال تقوم بعملية التقدم باتجاه المبنى وتطلق ما يربو على خمسين قذيفة مباشرة باتجاه المباني الثلاث الرئيسية في المقر

نحن القريبين منه لم نصدق أنه يحاصر في رام الله لأنه المقاوم الذي لايهزم ، ولم يصدق

العالم الذي عرف عن عرفات صلابته وقوته الروحية أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة أنه سيقهر من قبل شارون لمدة ثلاث سنوات منذ أن وضعه في الحصار فى العام ٢٠٠١

عرفات الذى رفع الشعلة شعلة الثورة الفلسطينية ومحركها ومؤسسها، منذ ١٩٥٦ . أراد شارون أن يطفئ نار وشعلة الكفاح المسلح ،متسائلا كيف ولماذا دخل إلى الأراضي الفلسطينية؟ ، ولماذا قبل بأوسلو؟

والأسئلة تدور بالشارع ، حبا بعرفات وخوفا عليه وعندما عاد أبو عمار من كامب ديفيد،استقبله شعبه استقبال المنتصرين الأبطال ، لأنه رفض كل أشكال الابتزاز والضغط والإرهاب ، وكل الممارسات الترهيبية له وعليه، ولأنه تمسك بحق العودة للاجئين الفلسطينيين ، ورفض التفريط في السيادة على القدس وعلى المسجد الأقصى والمقدسات

عرفات كان يصرخ صرخة الضمير الحي إلى كل العالم، ويقول بصوته الجهورى الذي كان يشبه صوت ديجول فى ندائه لفرنسا الحرة من منفاه في انجلترا.وحين كان يوجه خطاباته للشعب الفرنسي .

عرفات المناضل الثائر مثل ديجول ، حيث قال للعالم: يريدونني قتيلا ، وأنا أقول لهم شهيدا شهيدا شهيدا.

يا ليته بقي بالمنفي لإدارة المقاومة ، ولكن الضغوط الدولية لم تسمح له بينما كان الحزن يطوقنا ، كنا نسمع نداء أبوعمار يقول بصوته القوي الواثق من نفسه ، ويعلو صوته فوق أصوات الجرافات والمجنزرات والأباتشي والصواريخ والإف ١٦ التى تملأ سماء رام الله، كان يعلن لشعبه أنه سيموت شهيدا فيما نحن نسمع أزيز الدبابات والمجنزرات والصواريخ . كانت دموعنا تنهار بكاء

هذا الرجل الذي قهر الموت، والتي كتبت عنه عناوين الصحف العالمية بذلك الوقت حين وجدوا طيارته بالصحراء و قد كتبت له الحياة ، وكتبت الصحف الفرنسية يومها _ العنوان العربي عرفات عنده البركة .. والبركة كلمة تعرفها فرنسا، تعنى أن عرفات عنده بركة الأنبياء وتتوالى وقائع أيام الجمر والرماد وقصة أشهر حصار فى التاريخ يتعرض له زعيم وطنى ومقاوم ومحارب من أجل حرية وحق شعبه المشروع والتاريخى ، وهى وقائع أقدمها للتاريخ وللإنسانية لتبقى شاهدة وشاخصة أمام عين التاريخ.

ريموندا حوا طويل

مالطا . أغسطس ٢٠١٢

غضب الطبيعة القاسية
الزوابع والهواء والبرد
القارس في رام الله

ها هي الزوابع تهجم بشراسة على رام الله الكئيبة ، فتحمل الضباب القاسي جدا في هذه الجبال ، ولا نرى من بيتنا شيئا في الأفق ، ولا نسمع غير هدير الزوابع والدبابات، ولا يصل سمعنا غير صرير الرعد وهو يرتعد ويضيء جبال رام الله. نحن نرتعد هل هو رعد الطبيعة أم رعد الأباتشي، وهل هو ضوء الرعد حين تستضاء السماء به. أم رعد الأباتشي والإف ١٦ .

يا إلهي . البيت يرتعد، وأنا أرتعش من الخوف ومن البرد مثل العصفور. الليل يخيم على رام الله والكوارث وغضب الأرض وغضب الإلة وغضب الطبيعة وغضبنا نحن . هذا الغضب الدفين في داخلنا.أصوات صواريخ الأباتشي من طائرات الهيلوكبتر ، ومقر المقاطعة يرتعد.، وبيتنا يرتعد، ولكن علينا أن نخرج من الباب الخارجي والصواريخ تتساقط فوق رؤوسنا،والسماء تمطر رعدا وزخات البرد والثلج الذي يشتد مع عاصفة الهواء.

أيتها الطبيعة كفى مطرا. كفى بردا، وكفى ثلجا.

خوفا من أن ننزلق في البرد والثلج ونحن نركض من الطابق الأرضي لأن القناصين على الأسطح.،والبالونات تنير السماء. فتحنا النوافذ كي لا تنكسر الشبابيك ، يتناثر الزجاج ونحن نصرخ: ابعدوا عن الشبابيك. نسمع التلفزة تقول : إن الضحايا من الرصاص قرب الشبابيك.

في هذه الليلة نأخذ مكاننا في الممر الداخلي بعيدا عن الفراندة ، ومن خلف الزجاج. لا نعرف ماذا يحدث في الخارج. لا كهرباء ولا ماء فنضيء شمعة ولا نعرف من وليد العمري

ماذا يحصل في رام الله، ولا نستطيع أن نشاهد الخبر العاجل من الجزيرة. تقصف رام الله.

يا إلهي في هذا الممر والخوف يسيطر علينا. نهى تسرع بإضاءة شمعة لكي نشاهد التلفون، ولكي نتصل بالخارج. اتصل بابني غابي الذي يطلعنا على آخر الأخبار كما ترد الجزيرة ومن السي.إن.إن .

جابي (جيران) موجود في واشنطن وهو يسمع صوتي الخافت فقد كنت أخشى أن يسمعني أحد من الجنود وكأنهم على الأبواب قادمون ليقتلونا.

جابي يفتش عن كل المحطات في التلفزيون ولا شيء بعد إلا حشودات على رام الله، وبعد فترة يقول لنا: القصف ابتدأ على المقاطعة.

صوت غابي متخوف وهو يطمئننا ألا نخاف ، وهو قلق جدا على أبو عمار. فيتصل بالمقاطعة ويتصل بأخته سها فيعرف إنها على اتصال مع زوجها ،وجابي وهالة يحادثانى وكنا نقول لهم : طمنوا الأهل وطمنوا أولاد أم صلاح في أمريكا وفي عمان.

نحن بخير. في الملجأ في الطابق الأرضي لقد أتينا بالمقاعد والبطانيات في هذا الممر. لقد جف الدم في عروقنا جلسنا جميعا على البطانيات والشراشف التى في بيت نهى، وقد بدأنا نعتاد الظلام ، ولكن الشمعة الوحيدة بدأت تخبو. الضوء الأحمر من البالونات المضيئة في السماء كان يعكس ضوءه داخل البيت من النوافذ الزجاجية ،كانوا يبحثون عن المقاتلين، كنا كلما نرى هذه البالونات والضوء في السماء نعرف أن معركة ما ابتدأت، والقصف ابتدأ من جديد في وادي بطن الهوى. كنا نعرف أنه في البيت المجاور لبيتنا تحت الأرض يوجد مقاتلون ،ولم نفتح أفواهنا ، كان حديثنا عبر النظرات خوفا من أن يكون أحد على الباب. الهواء يزمجر في بطن الهوى. آه كم كبحت بطن الهوى في ليالي رام الله القارصة. أنا ابنة البحر. بحر عكا. أكره هذه الأصوات القادمة من الجبال إلى الساحل وإلى الوديان. أكره أصوات الهواء وأصوات هدير البحر. إنها تخيفني. إنها تذكرنا بالفناء والعدم. لقد كنت في ليالي رام الله أشعر بالبرد حتى العظام، ونسمع أصوات الكلاب وهي تنبح، ونسمع أصوات الجيش تمر بالدوريات أثناء أيام الاحتلال التي عشناها. الاعتقالات، الشباب، الفتيان وقوات الاحتلال كانت ترهبنا وكنا لاننام الليل . فالاعتقالات كانت تحدث في ظلام الليل الدامس لم نعرف طعما لنوم في تلك الليالي حين كنا نسمع سيارات الجيش القادمة لاعتقال أحد الشبان أو إحدى الشابات لاعتقالهن، كانت ليالي الاحتلال في رام الله وفي نابلس رهيبة ومرعبة أن باستطاعتنا أن نتلقى المكالمات، ولكن لا نستطيع أن نتصل بأحد. جابي وهالة

على اتصال دائم معنا من أمريكا. قناتا الجزيرة والسي.إن.إن بدأتا بإعطاء تفاصيل أكثر عن قصف المدينة. الصواريخ تقصف بكل الاتجاهات من جديد. كان الليل مسكونا بالرعب، ويتجدد صوت الطيارات وصواريخ إف ١٦ ومن جديد نسمع صوت الصواريخ تسقط على المدينة، صوت الصواريخ مرعب يهز كياننا ووجودنا، وبدأنا نضع أمامنا عشرات من الاحتمالات. التشريد أو الموت. مع الآخرين نعيش بالطمأنينة.و الموت مع الناس رحمة كما يقال. لقد ذهب الأولاد وأصبحت وحيدة. وأردت أن أكون هنا لأعيش في وطني المحرر من جديد. الوطن الذي أتى إليه الثوار من بقاع الأرض الواسعة، وأتى ياسر عرفات مع الثوار لكي يبني وطنا. لقد هدأت المعارك للحظات. أشعر بوحدة غريبة وأسى روحى. كنت دائما أريد أن أكون في الخارج، خارج البلاد. أن أبقى مع أولادي لا أن أبقى هكذا. كما أصبح والدي ووالدتي وحيدين في وطنهم في إسرائيل وكنا غرباء عنهم. تفصل بيننا الحدود والأسلاك. ولكنى أردت العودة لوطني الذي أصبح اليوم سجني والذي ورد في كتابي «بيتي سجني». أنا وحيدة مع الأيام والذكريات. إنها ذكريات حلوة ومريرة معا. عشت سنين وسنين في هذا البيت السجين،والوطن السجين.

أجلس الآن وحيدة بصحبة الأيام لأدونها، وأسجل وقائعها. أقف لأن في هذه المرحلة من العمر ومن الحياة لأسطر أحداثها. وعلى هذا المنعطف الفاصل بين الحياة والموت أكتب هذه الحياة .. نعم أكتبها . لأنها حياة .

الصباح مبكرا.

لم أنم هذه الليلة. حلمت بجثث وصواريخ وصراخ، أهم بفتح المذياع فلا أستطيع أن أقوم من الفراش. أفتحه مستخدمة بطارية فقد انقطع التيار الكهربائي، أثبت مؤشر المذياع على محطة لندن.فأسمع : القوات الإسرائيلية توغلت أكثر فأكثر في رام الله. قوات إضافية تقصف المقاطعة حيث مقر الرئيس عرفات. الرئيس لم يصب بأذى ولكن المرافقين أصيبوا والعربات المجاورة في المبنى دمرت كليا قوات الاحتلال احتلت رام الله وفرضت حظر التجوال على المدينة. أحاول الذهاب إلى المطبخ لأعد القهوة فلا أستطيع الحركة الألم يحتوينى ويملأ جسدى كاملا. آه على الأدرينالين. كم فقدت من الأدرينالين في هذه الليلة المرعبة؟. هل أنام قليلا لأستعيد بعضا من لياقتى وتعويضا عن أرق ليلة الأمس وسهرها؟. ولكن السرير يهتز وأصوات سقوط وتحطم الزجاج جراء قصف الصواريخ في غرفة نومي فلم أفتحه كما فعلت في الفراندة. وصوت انفجارات أخرى في المدينة. انفجارات قريبة وصوت المذياع الموصول بالبطارية يأتينى من لندن يقول : وصلتنا قبل قليل الأخبار

التالية. قواتنا تتوغل في كل مدن الضفة الغربية، في نابلس وجنين وبيت لحم ورام الله والبيرة وتقصفها جوا وبرا. ونهضت إلى الفراندة . حينها كانت رام الله ساكنة سكون الموت، وكان الضباب يخيم على المدينة. لا أعرف أي ساعة نحن الآن ؟. الأذان لم يؤذن هنا في شارع عين مصباح بعد. صوت الأذان هو صوت الوجدان والضمير والزمن ، فعندما أسمعه أتابع حياتي مع الحياة وأعرف الساعة عند صلاة الفجر والمساء والظهيرة. شمسنا هو هذا الصوت الإلهي المتسرب بأرواحنا، الذي يبشر بالله على أرض الديانات. حتى عند الغروب وعند الفجر وعندما يكون وجود ضباب وشتاء وثلج يكون المؤذن حين يكمل صلاته بالله أكبر ويسبح رب الكون. ويذكرنا دائما بالأبدية. وينبئنا أننا جميعا ذاهبون يوما إلى حياة أخرى. وجدار الصوت يأتينا من الأذان والكلمات التي تأتينا دائما تذكرنا بالخالق الأعلى. حتى عندما نهرب من الحياة إلى العدم. فيأتينا هذا الصوت الطارق فجرنا فيكسر جدار الصمت ليقول لنا: هيا إلى الصلاة. ويذكرنا بالله وبالحياة والموت. أحاول إعداد قهوة الصباح التي أضبطها يوميا على صوت الآذان. وأنا أتطلع من النافذة على منظر الأفق الجميل في رام الله الذي يحتوى ساحل يافا الأجمل. رغم الضباب تظل رام الله كطابع لندن. هذا الضباب الذي أكرهه . إنني أتضرع إلى السماء في هذا السكون المخيف والضباب القاتل. يخيفني شيء مجهول السكون والخطر واللا معقول وحزنت كثيرا.

يقف عمري الذى انقضى بهذا البيت هنا قضيت حياتي بين جدران وقمع و منع تجول وبين التهديد و الاعتقال والخوف من الموت على أطفالي عندما يذهبون إلى المدرسة ، وبين حبي للثورة وللنضال ،وكم قضينا في هذا البيت نقاشات مع الشباب الملتزمين بالمقاومة ورؤساء البلديات وشخصيات وطنية كنا نناقش أدب المقاومة وسياسة الاحتلال وآفاق الدولة الفلسطينية والحلم لبناء الدولة. كانت حياتنا تحتشد بحب الحياة، وهنا في هذا البيت استطعت كسر جدار الكراهية بين اليهود والعرب. يهودا تقدميين أمثال أفنيري، و لطيف دوري، وعاموس كنعان، وعاموس ألون، وآفي نتان، ومفكرين إسرائيليين وفلسطينيين كانوا في هذا البيت ، تدور الحوارات السياسية والفكرية والثقافية بين محمد وتد وعزيز شحادة وتوفيق زياد طيبا خميس محمد ميعاري وأميل حبيبي وعلي رافع و حنا نقارة و كريم خلف و إلياس فريج، إبراهيم الطويل وبشير البرغوثي وألبرت اغازريان و فؤاد شحادة وغيرهم من نابلس كحكمت المصري و موسى الجيوسي وآخرين ومن الشخصيات الإسرائيلية أعضاء الكنيست آريه إلياف، سكرتير حزب العمل الذي استقال من الحزب معارضا سياسته ، ووزير الصحة من حزب

مابام فيكتور شمتوف وكنت قد تحديته في هذا البيت ،وقلت له هل لك الجرأة أن تتكلم مع منظمة التحرير وتعترف بها؟ فقال: نعم. فأمسكت الهاتف واتصلت بروما وسلمته التلفون، وقلت له : هذا هو ممثل منظمة التحرير الفلسطينية نمر حماد ، وقلت لنمر: تفضل أخ نمر معي على الهاتف الوزير الإسرائيلي وعضو الكنيست فيكتور شمتوف. هل تخاف أن تتكلم معه؟ فرد علي: أعطينيه. فتحدثا حديثا مطولا معا واتفقا على أن يلتقيا ، وقال له نمر حماد : عليكم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية. فقال له : هذا هو هدفنا وهذه هي سياستنا وأنا مستعد أن أعلن عن هذا في الكنيست وأعلن أنه كان حوارا بيني وبينها. فقال له نمر حماد : نحن منظمة التحرير الفلسطينية على استعداد لفتح الحوار معكم وهذا الحديث كان أثناء وجودي في الإقامة الجبرية عام ١٩٧٦ . كانت الجرأة من نمر حماد أن يأخذ المبادرة رغم التهديد من أبو نضال ومن المنظمات المتطرفة والسيف المسلط على رقبة منظمة التحرير. وأذكر في هذا اللقاء ناحوم غولدمن رئيس المنظمة العالمية اليهودية التقدمي الذي اعترف بمنظمة التحرير في كل أقواله. لقد دعوته إلى بيتي والتقى مع شخصيات فلسطينية وأبدى استعداده الذهاب للقاء ياسر عرفات.

إنها سلسلة من اللقاءات وكان من بين الشباب المناضلين الذين يأتون لهذا البيت مروان البرغوثي وسمير صبيحات وأحمد الديك و حسين الشيخ و خالد اليازجي وسري نسيبة و مفيد عبد ربه وآخرين.

من هذا البيت كان مروان البرغوثي وشباب بيرزيت قد اقترحوا في اتصال قمت به مع مع أبو صلاح ممثل منظمة التحرير بقبرص أن يسموا دورة المجلس الوطني الفلسطيني المنعقدة في عمان في العام ١٩٨٣ باسم المناضل شرف الطيبي زميلهم ف بير زيت على يد الجيش الإسرائيلي، وكان رد فعل الأخ أبو عمار الاستجابة لاقتراح الأخ مروان البرغوثي وشباب بيرزيت. كما في هذا البيت كان النائب عبدالوهاب دراوشة قد أتى ليقول لي: أريد الاتصال مع منظمة التحرير وأريد أن أذهب لكي أحضر المجلس الوطني في عمان. فأدرت الهاتف واتصلت ب أبو صلاح في مكتب ياسر عرفات بقبرص وقلت له : انتظر ستأتيك الهدية ، ولم أقل له من معي في البيت. تكلم معه دقيقة واحدة وقاله له: سأكون عندكم كان عبدالوهاب دراوشة في البيت عندي هو وبعض من مرافقيه وصحفي إسرائيلي مهم لا اذكر اسمه كانوا يحضروا لكي يذهب دراوشة إلى عمان ليحضر المجلس الوطني لكي يضغطوا على حزب العمل للاعتراف بمنظمة التحرير.لأن عبدالوهاب دراوشة كان نائبا في الكنيست عن حزب العمل. وفعلا وصل بتلك الليلة عبدالوهاب دراوشية إلى قبرص وذهب بالسر إلى

بيت أبو صلاح ممثل أبو عمار في ذاك الوقت ، وكان دراوشة مراقبا مراقبة شديدة ، وأذاعت إسرائيل الخبر ، ووقع الخبر في إسرائيل كقنبلة كزيارة السادات إلى إسرائيل.

دراوشة موجود في مقر منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص ، وسيكون في حضور المجلس الوطني الفلسطيني.، تأكدت وكنت على اتصال وأنا أرتجف من هذه المغامرة لأنني مسؤولة عن هذا الوضع الخطير ، وعندما تأكدت أن دراوشة في خير وتكلم مع ياسر عرفات

ولكن إسرائيل كانت تذيع الخبر بشكل مستمر ، وتقول أن حياة دراوشة في خطر، وكان مقر منظمة التحرير في قبرص محاطا بالحراسات ، ولم يذهب دراوشة إلى عمان بسبب عدم موافقة الأردن لأن الموقف كان محرجا مع حزب العمل.

كانت الصحافة الإسرائيلية تسأل هل شمعون بيرس على علم بهذا الوضع؟ وهل حزب العمل سيعترف بمنظمة التحرير؟

كانت قضية دراوشة قد هزت المنطقة ، وعندما رجع إلى إسرائيل استقبل استقبال الأبطال في المطار وفي بلدته الناصرة ومن الجمهور الإسرائيلي الذي اعتبره أنه قام بعمل خارق وجرئ.

بينما عبدالوهاب دراوشة وصل إلى قبرص امتلأ بيتي بالصحفيين الذي سألوني هذه الليلة ، ونفيت نفيا قاطعا أن يكون لي أي علاقة مع دراوشة أو قمت بأي اتصال مع منظمة التحرير.

أنا الآن أسترجع ذكرياتي وكل الذي عملت من أجله لإرسال الشخصيات الإسرائيلية للقاء ياسر عرفات.ومنهم د. أحمد الطيبي الذي اصطحبته شخصيا عند ياسر عرفات والذي دخل تونس حاملا جواز سفر إسرائيلي، وكان صهري إبراهيم الصوص ممثل منظمة التحرير في باريس قد أخذ إذنا من وزير الداخلية الفرنسية بيير جوكس لكي لا يختم جواز سفر الطيبي الإسرائيلي بالمطار ، وكان إبراهيم الصوص قد أوصل الطيبي إلى المطار وتأكد من سلامته وكنت حينها بباريس ورافقت الطيبي لكي أعرفه على ياسر عرفات .

يا إلهي ألم تتوقف زخات المطر والرعد والهواء القاسي الآتي من بطن الهوى. عواصف ورعد ، والطبيعة أصبحت ثائرة ومجنونة. ما هذه الأصوات ؟ صوت الطيارات أم صوت الدبابات أم أصوات المدافع و الإف ١٦ . شلالات من المشاة ومن القصف ..لا أعلم هل

هو الرعد أم الأباتشي في السماء. أجلس على الأرض مع الجارة أم صلاح بين الغرفتين في حماية من الحائط بعيدة عن مستوى الفراندة وغرف النوم. لا أعرف من أين يأتي الرصاص الغزير جارتنا المقابلة من بيتنا أصيبت بصدرها عندما كانت تعلق الغسيل على الحبل من قناص كان على سطح البيت المجاور وقتلت ، كانت ابنة ثمانية وعشرين عاما من عائلة الصرصور. حزننا حزنا شديدا عليها، لم يستطع زوجها إنقاذها ، وكانت أما لطفلين. عندما توقف القصف قليلا ذهبت أم صلاح إلى بيتها في الطابق العلوي وأنا قررت النوم ولو قليلا. ولكن زخات الرصاص وقصف الأباتشي حال بينى وبين النوم وكان كم صعبا علي أن أنام ولو دقائق جراء هذه الأصوات.

حدث شيء مروع في عمارة الشرطة التى بمقابل عمارتنا. فقد دوى انفجار تلاه آخر ، الصواريخ قصفت عمارة الشرطة في عين مصباح. فاهتزت الأرض الرصاص يحرق النوافذ من كل صوب. والشرطة تفرقت بالأحراش بعد أن خلعوا ملابسهم العسكرية واستبدلوها بملابسهم المدنية ، وتفرقوا بين البيوت وفي الوديان.

دخلت رصاصة إلى الفراندة من الزجاج المفتوح فاخترقت الحائط لتصل إلى الداخل. صعقت من الخوف، أخذت فراشي وهربت إلى خارج البيت في المدخل عند بيت الدرج، وركعت عند أول الدرج وبكيت وحيدة . حينها سمعت أم صلاح تفتح الباب من الدرج الداخلي بيننا، هي الأخرى لا تستطيع النوم من الخوف والقصف ، ونزلت من الدرج الداخلي عندي إلى بيتي ، وبقينا مختبئتين في زاوية أول الدرج ولكن قصف الدبابات كان أقوى وكأنها تقصف من داخل البيت، ورحنا نرتعد من جديد ونحاول دخول البيت ثانية لقد تجمد جسدي وصوت القصف كان يدوي في سماء المدينة أكثر وأكثر والصواريخ تهزها ، وينفجر صاروخ على أحد الأبنية ونسمع انفجارا آخر في المدينة ولكن لا نعرف أين هو..

اليوم ٥/ ٦/ ٢٠٠٢م ليلة احتلال القدس و٦/ ٦/ ٢٠٠٢م احتلال الضفة الغربية. أسمع القذائف تقصف أمام بيتنا والعربات المجنزرة تدهس الشوارع، والأرض ترتعد.

يا إلهي إنها نفس تجربة سنة ١٩٦٧ عندما احتلت القوات الإسرائيلية القدس والضفة الغربية. وأرى أمامي استعادة لتذكرى العام ٦٧ عندما كانت تمر الدبابات المجنزرة في مدينة نابلس وتقصف هنا وهناك في معركة مع الجيش الأردني في معركة وادي التفاح .عندما استبسل ضباط من الجيش الأردني وهم ينسحبون في دباباتهم من

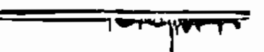
جنين حسب أوامر صدرت لهم، ودارت معركة بينهم وبين الجيش الإسرائيلي. كانت الدبابات والطيارات تقصف الجيش الأردني المنسحب من جنين. وكانت دبابات الجيش الإسرائيلي تمر بكل شوارع نابلس وقد احتلتها في ٦/٦.

وكنا مختبئين في الكراج الأرضي والقصف يشتد لساعات فشعرت كأن هذه الساعات ستكون آخر الحياة. تلقيت مكالمة من ابنة الجيران نظر الدلو. تقول لي بصوت خافت: لا تقتربي من الشبابيك والأبواب إنهم أمام بيتنا. المجنزرات والدبابات وصلت أمام بيتنا بما يقدر بثلاثين دبابة متوجهة نحو مكتب الرئيس. تقول نظر أن الدبابات تحاصرنا، وكانت الأرض والعمارات ترتعد. وتامر ابن جيراننا في الطابق الأرضي لا يرى ماذا يحدث على الشارع الرئيسي. إنهم يقصفون مقر الرئيس . هكذا يقول لنا تامر ويا تامر إنهم نحو بيتنا فلا تفتح الأبواب . هكذا تقول نظر. وأم صلاح تنزل من الطابق العلوي. فقد حطم الرصاص الزجاج، وكانت ترتعد فدخلنا إلى الممر. إنه مكان آمن ولكن لا يوجد أمان يوثق فيه كانت الهجمة قوية ومروعة، قذائف تقصف بشكل سريع وقوي. ٣٠٠ قذيفة في الدقيقة الأولى إنهم يقصفون مبنى الرئيس. أرتعد وأعيد فتح التلفزيون على الجزيرة وأختبئ في الممر بين الغرف.

الجزيرة تبث الحدث. القذائف تقصف مقر الرئيس وتدمر مكتبه وغرفة نومه في الطابق الثالث. والجسر الذي كان يصل ما بين المكتب وقاعة المؤتمرات أصيبت وشرعت الجرافات الإسرائيلية بهدم أجزاء من المقر.

نظر تتصل وتصيح : يا آنتي ريموندا انتبهي انتبهي إن الدبابات أمام المبنى إنهم يحفرون حفرا في الأرض أمام البيت ووضعوا الأسلاك الكهربائية ويضعون سورا من الرمل ما بين شارعنا والشارع المؤدي إلى مقر الرئيس.

نظر تكاد تبكي وترتعش من الخوف وهي تتكلم وتصف الحال ، وكانت تذكرني بسن أولادي سها وهالة وديانا سمر ونظر من الجيران على قلبي تعمل سمر معي في جريدة فلسطين وتعمل نظر في القدس في مكتب «المصدر» لترجمة الصحف العبرية تأتي إلى رام الله عبر الطرق الالتفافية بين الجبال والوديان ، والطريق تستغرق معها مابين ساعتين ذهابا وساعتين إيابا لتعود إلى بيتها في رام الله بعد انتهاء يوم من عذاب السفر في الجبال والوديان مابين طقس بارد وطقس حار.



ذكريات على أصداء هدير الدبابات

٢٠٠٢/٣/٢٨

بدأت الانتفاضة الثانية في أعقاب الزيارة المسمومة التي قام بها شارون للحرم الشريف يوم ٢٧ أيلول ٢٠٠٠، ولم تكن منذ البدء موحدة الهدف فالجمهور غاضب لأن مرحلة المفاوضات الممتدة طوال سبعة أعوام لم تحقق له أية مكاسب سياسية/ وطنية أو اقتصادية وحياتية ملموسة، ولأن الاحتلال، ظل جاثما على صدر الجمهور الذي كان يعبر في الانتفاضة عن غضبه، ورفضه للمماطلة وعدم الجدية لدى المفاوض الإسرائيلي.

أما القوى السياسية فكانت منقسمة بين قوى دينية وأخرى قومية وقد تعددت الفصائل والاتجاهات والأفكار والأيديولوجيات ولكنها توحدت جميعا خلف هدف واحد ورؤية واحدة وموقف نضالي واحد هو التصدي لهذا الغزو البربري ومقاومته بكل السبل ومن هنا وجدت الانتفاضة طريقا إلى طرح خطها السياسي والأيديولوجي القائم أساسا على مقاومة العدوان وتحرير كامل التراب الفلسطيني.

* * *

بدأت الانتفاضة إذاً مشتتة الأهداف، موزعة القيادات، ومارست أساليبها واستخدمت وسائلها بالتشتت نفسه. هذا، فضلا عن إشكالية أخرى لا تقل أهمية، هي الالتباس بين مفهوم حركة تحرير وطني وبين سلطة مقيدة بمعاهدات ذات طابع دولي.

ونشأ عن ذلك أيضا التباس بين قيادة الانتفاضة، والتزامات السلطة المنصوص عليها في اتفاق أوسلو، وتركز هذا الالتباس في شخص الرئيس عرفات بالذات، وفي صورته: هل هو قائد حركة التحرر الوطني الفلسطيني، أم هو رئيس السلطة الملتزمة بتنفيذ الاتفاقات الموقعة مع الطرف الإسرائيلي، برعاية دولية؟ وطبعا، لا فائدة في التساؤل عن عدم تنفيذ إسرائيل – في المقابل – الالتزامات التي وقعتها في أوسلو؛ فهي تلتزم بصورة استثنائية وبحسب مصالحها بالاتفاقات الموقعة، سواء أكانت قرارات دولية أم اتفاقات ثنائية، وهي المحمية بامتياز، والتي لم يجرؤ المجتمع الدولي يوما على محاسبتها أو معاقبتها.

فقد الشعب الفلسطيني الكثير من الشهداء والجرحى في الأسابيع الأولى من انتفاضته المسالمة، قبل أن يلجأ إلى استخدام السلاح والابتعاد عن الطابع الشعبي والسلمي للانتفاضة. والسؤال المهم الذي لا بد من مناقشته: هل كان من مصلحة الانتفاضة أن يطغى الطابع العسكري على نشاطها، وخصوصا أن القيادة السياسية/ العسكرية الإسرائيلية كانت معنية بإبراز الصراع على أنه حرب بين قوتين عسكريتين وليس احتلالا ومقاومة للاحتلال. ولقد نجحت، إلى حد بعيد، في ذلك.

ولم تقرأ القيادة جيدا إنذارين رئيسيين واجهاها في العام الأول للانتفاضة: الإنذار الأول وصول شارون إلى الحكم وإعلانه أنه سيكمل ما بدأته الصهيونية المتأسرلة سنة ١٩٤٨، ثم مبادرته إلى تأليف حكومة وحدة وطنية هي تقليديا، في حياة إسرائيل السياسية حكومة حرب والإنذار الثاني إعلان بوش، بعد الحدث المدوي في ١١ أيلول ٢٠٠١، حرباً عالمية على «الإرهاب»، ونجاح شارون في دمج المعركتين ضد الشعب الفلسطيني في هذه الحرب. لم يكن هذان الحدثان / الإنذاران من النوع الذي لا يستدعي أية مراجعة لتوحيد الهدف والقيادة، وتحديد الوسائل والمراحل. وهل يمكن غفران أن هذا التوحيد لم يتم حتى الآن، على الرغم من كل ما حققه شارون على الأرض وفي الواقع، في ظل الإستراتيجية التي (لا تقود) أنشطة الانتفاضة؟

لقد بلغ القهر والإذلال والظلم والاضطهاد التي ألحقتها الآلة العسكرية الإسرائيلية بالإنسان الفلسطيني حدا لا يستطيع أحد معه أن يلوم فلسطينيا فاقدَ البيت والأهل والأمل إذ يلجأ إلى تفجير نفسه في عدو لا يملك أمام جبروته إلا التضحية بحياته، لرد ظلمه وقهره. ولكن ظاهرة العمليات الاستشهادية ضد المدنيين تحتاج إلى حساب

إيجابياتها وسلبياتها، فضلا عن قيمتها الأخلاقية، عندما تصبح جزءا رئيسيا من إستراتيجية وأسلوب كفاح قوى سياسية منظمة.

فعلى الصعيد القيمي، تدعي حركات التحرير الوطني (وهي محقة فيما تدعيه) أن المستعمر/ المحتل لا يملك فيما يمارس من استغلال واضطهاد للشعوب الواقعة تحت الاحتلال أية قيم أخلاقية؛ فالاحتلال بحد ذاته فعل غير أخلاقي، تعريفا. ولأن حركات التحرير الوطني ترفض في كفاحها ضد المستعمر والمحتل أن تستخدم أساليبه بالذات، لقيت دعم شعوب العالم، بل تمكنت من شق صفوف العدو ذاته، فقام في الولايات المتحدة (فيتنام)، وفي فرنسا (الجزائر)، وغيرهما من يقاتل حكامه المستعمرين بالشجاعة نفسها التي قاتل بها الفيتناميون والجزائريون. ولم يكن في إمكان الشعوب المقهورة أن تحقق استقلالها من دون أن تجد أنصارا لها ولقضاياها العادلة لدى الشعوب الأخرى. وتجربة استقلال الشعب الفلسطيني في الانتفاضة الأولى (١٩٨٧ – ١٩٩٣) حققت الكثير من الانجازات ولقيت دعما عالميا واسعا كرس الفلسطينيين شعبا يستحق الاستقلال، وأرسى فكرة الدولة الفلسطينية المستقلة إلى جانب إسرائيل على أرض فلسطين.

ليست هذه دعوة إلى عدم استخدام السلاح بالمطلق فالمقاومة بكل أشكالها هي الخيار الوحيد للشعوب المستعمرة. وليس هناك وصفة جاهزة للمقاومة تصلح لكل زمان ومكان فكل شعب يبتدع أشكال مقاومته بحسب ما تملي خصائصه وأوضاعه، مستفيدا من تجارب الشعوب الأخرى. وهنا نصل إلى مناقشة إيجابيات وسلبيات العمليات الاستشهادية ضد المدنيين في إسرائيل، كما نراها. ويبقى للقيادة الموحدة للانتفاضة، وحدها، أن تصوغ برنامجها الوطني الذي يحدد الأهداف والوسائل والمراحل.

* * *

أنا الآن أمام شاشة التلفزة في بيتي المحاصر في مدينة رام الله المحاصرة، الدبابات الإسرائيلية أمام البيت، تقصف قصفا قويّا في كل الاتجاهات. وكلما انطلقت دفعة من قنابل الدبابات ارتعد البيت واهتز بقوة، وكنت بدوري أرتعد.

يا الهي، ما هذا الذي يحدث، كانت أعماقي ترتجف وتهاجمني الهواجس والأفكار السوداء يا إلهي.. ما الذي أتى بي إلى هذه البقعة المحكومة بالرصاص والموت والدمار

والقتل..

لقد عدت إلى أرض الوطن بعد نفي قسري استمر خمسةَ عشر عاما، عدت إلى وطني بعد اتفاقيات أوسلو لأكون قرب الرئيس عرفات ولأشارك في بناء هذا الوطن ولو بإضافة لبنة صغيرة إلى صرح هذه الدولة الفتيّة. وعندما عدت كانت تراودني أفكار سوداء إذ ربما يتحول وطني الذي عدت إلى ربوعه إلى سجني على نحو ما حدث لي يوما وسجلته في كتابي المعروف «بيتي سجني».

***

هأنذا اليوم أعود إلى الوطن، ليس الوطن المحرر، ولكن الوطن السجين.

وتقفز بي الذكريات وعلى ضوء تداعي المعاني والأحداث أعود إلى تلك اللحظات الرهيبة التي عشتها في طفولتي في الدير في مدينة الناصرة، وذلك عشية أحداث نكبة عام ١٩٤٨م.

كنت في الدير، محاطة بالراهبات في مدرسة مار يوسف، وكانت أيادي الراهبات الأمينة ترعاني وأنا بعيدة عن أهلي في مدينة عكا.. لقد هاجر والدي إلى لبنان، وبقيت أمي في عكا.

كانت أمي شخصية قوية مميزة تركت أعظم الأثر في نفسي، تعلمت منها الجرأة، والشجاعة والثبات، وعشق العمل الإنساني الرفيع ومد يد العون والمساعدة لكل منكوب مهما كان الثمن.

كان حضن أمي الدافئ هو المدرسة الأولى التي تعلمت فيها دروس الوطنية والانتماء، لقد رفضت أمي الهروب والرحيل عن عكا وأخذت تعمل بكل ما لديها من طاقة لمواساة ورعاية أهالي عكا الهاربين من الموت.

وكان تطوع أمي في مستشفى عكا يتيح لها أن تمد يد العون والمساعدة للجرحى والمصابين، كما كانت تعمل بكل طاقتها وجهدها على تأمين هروب الثوار المطاردين لينطلقوا في طريقهم إلى لبنان ولا أزال أذكر تلك الصورة الرمزية التي صورتها لي أمي في أثناء تلك الأحداث إذ قالت لي: إن العصابات اليهودية كانت تتصيد أهالي عكا كما يتصيد الصياد عصافير الربيع البريئة.

وتواصلت أحداث عكا الدموية، وسقط الكثيرون بين جرحى وقتلى، وكانت أمي ومجموعة من المتطوعات يحملن الجرحى، وينقلن المصابين إلى المستشفى، بعد أن نجحت أمي في الحصول على إذن بفتح «مستشفى عكا» من أول حاكم صهيوني للمدينة.

وكانت الوالدة ورفيقاتها يستخدمن الشراشف، ويقمن بقصها وتقطيعها لاستعمالها في تضميد جراح المصابين، التي كانت تنزف بصورة تدمي القلب.

وعندما كانت والدتي تسترجع ذكريات تلك الأحداث، كانت عيناها تفيضان بالدموع، وهي تستذكر أنه مات بين يديها شبان ونساء لفظوا أنفاسهم الأخيرة على ذراعيها.

وقتها لم يكن هناك مجال للدموع.. فالانفجاريات تتواصل في كل مكان، انفجارات في عكا، وانفجارات في حيفا، وانفجارات ودمار في الناصرة حيث كانت مدرستي، ولكن عندما تسترجع أمي ذكريات وصور تلك الأحداث، تغرق في طوفان من الدموع والألم.

كنت في قرارة نفسي أشعر بالفخر لهذا الدور الذي كانت تلعبه أمي كنت أشعر أن الله أرسل هذا الملاك.. ملاك السلام القوي، الذي بشّر العذراء بميلاد السيد المسيح، والذي يعود اليوم ليسحق كل القوى الشريرة التي تريد أن تفتك بالمدينة.

وتتوالى صور الأحداث والذكريات أمام مخيلتي كأنها «فلاش باك» لفترة حية من التاريخ، حافلة بالأحداث والخطوب.. كانت الدبابات تجوب مدينة الناصرة.. وخرجت الراهبات حاملات الأعلام البيضاء، وأعلام الفاتيكان والأعلام الفرنسية، وأخذن في الاصطفاف بصورة متراصة أمام الدير.. بينما كنا في الملجأ في القبو.. نراقب بعيون مرعوبة هذا المنظر الذي لن أنساه أبدا.

وأتذكر بوضوح، أن أهالي الناصرة مسلمين ومسيحيين، هرعوا إلى ملاجئ الدير للاختباء.. وكانت لحظات رهيبة، حيث امتزجت صلوات المسلمين والمسيحيين، متوجهة إلى الرب، متضرعين بمريم العذراء لحماية المدينة وإبعاد الأذى والشر عن أهلها.

ولا شك أن السيدة العذراء، قد استجابت لهذه الصلوات الحارة الصادقة، فقد سحب الجيش الإسرائيلي آلياته ومدافعه من أمام دير راهبات مار يوسف.

ترى..

هل شفعت الصلاة في الناصرة، بلدة السيدة العذراء في تحقيق السلام والأمن لسكان هذه المدينة، فانسحق الشر، وتراجع شياطينُ العدوان عن المدينة المقدسة؟

هكذا آمن أهل المدينة. آمنوا بأن السيدة العذراء عليها السلام، هي التي كان خلاص الناصرة على يديها. ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم:٢٨].

فسلمت المدينة.

ولم يلحق بها الأذى.

* * *

وفجأة تعيدني صلية من الرصاص إلى واقعي الأليم أجلس حزينة، حائرة متسائلة أمن أجل هذا تركت باريس المدينة التي أحبها وأعشقها؟ لماذا غادرت مدينة النور والعطر والثقافة لأعيش هذا الكابوس هنا زخات من الرصاص، ودوي قنابل، وقصف مدافع، وصواريخ.. وبيت ترتعد فرائصه وتصطك جنباته..

أنظر إلى صورة زوجي داود طويل على الحائط أتأمله طويلا وأجري وراء خيالي وذكرياتي كان قد حذرني مما سيحصل نتيجة مشروع أوسلو، وكان يقول؛ ستعيشون نتيجة أوسلو في سجن كبير وكنت أحاوره بعصبية قائلة:

- إن جيلكم لم يحقق شيئا لفلسطين، وأن أقل ما يمكن أن يقال.. أن هذا الجيل بقيادة عرفات عاد إلى فلسطين ليأخذ قطاع غزة، والضفة الغربية وإن لدى الرئيس عرفات ضمانات دولية ستجعلنا نعود إلى يافا وحيفا وعكا بناءً على قرارات التقسيم وفي ظل الشرعية الدولية.

والآن، وأنا أستعيد الصورة كاملة، لا يسعني إلا أن أترحم على رفيق عمري، وأؤكد كم كان حدسه صادقا، وكم كانت قراءته حكيمة للتاريخ والمستقبل. هآنذا أستذكر كلماته.. وأقدم دموعي ممزوجة بالاعتذار والحب أسفحها أمام صورته، وهو يرقد في مقبرة «مون بارناس» في باريس وإلى جانبه وعلى بعد خطوات فقط منه ترقد صديقتي الروحية، وملهمتي، الكاتبة الوجودية سيمون دي بفوار، ورفيقها جان بول سارتر، ومارغريت دوما.

وأعود إلى ذكرياتي مع زوجي..

آه.. أين أنت يا زوجي؟ يا رفيق عمري؟ لطالما عارضتك، وآمنت أن أفكارك رجعية وأنها تفتقر إلى الروح الثورية فأنت من جيل آخر، ولكنك كنت تقول بمرارة وعقلانية:

– لقد قام جيلنا بثورة عام ١٩٣٦، وجيلنا هو الذي قام بإضراب سنة ٣٦، أشهر إضراب في تاريخ العالم كله، وكنا نناضل في يافا ضد الانجليز الذين حاولوا احتلال يافا.. ورغم ما أبديناه من شجاعة وبطولة، إلا أن قوة الإمبراطورية الشريرة هي التي خذلتنا، وهكذا تم احتلال فلسطين. آه.. يا رفيقي الغالي.. إنني لم أفهمك.. لقد كنت تقول:

– على مستوى الحرية والتحرير لا بد من تحكيم العقل فلا يجوز أن نقفز أمام التيار.

أتذكر أفكار زوجي الراحل، وأقارن بينها وبين أفكار ملهمتي سيمون دي بفوار، التي كانت ترفض التعقل، كانت ثائرة دائما ضد الظلم، وكانت دائما مع تحرير المرأة، وتحرير الإنسان، وتحرير الأوطان، لقد كانت قائدة شجاعة لثورة اجتماعية وفكرية وإنسانية خطيرة.

وها هي الآن للأسف الشديد ترقد في مقبرة «مون بارناس» جنبا إلى جنب مع عزيزي الراحل رفيق العمر.

وتعاودني الذكريات.. عندما كتبت لها رسالة مفتوحة في جريدة الفجر والتي منعت من الرقابة وأرسلت لها رسالة وقلت لها لماذا تأخذين طرفا واحدا. أنت التي وقفت ضد الظلم وضد النازية. لماذا لا تقفين مع الشعب الفلسطيني المعذب كما وقفتِ مع عذبات ومعاناة الشعب اليهودي ضد النازية سيمون دي بفوار قالت لي:

– أنا لا أستطيع أن أترك القضية اليهودية بعد العذاب الذي نزل بالشعب اليهودي على أيدي النازيين.

قلت لها: نحن نتفهمك تماما يا سيدة دي بفوار، ولكننا نحن – الشعب الفلسطيني – الذي ندفع الثمن غاليا. لقد شرد النازيون اليهود وقتلوا منهم الألوف، ولكن شعبنا اليوم يُذبح ويشرد ويقتل ويعذب على أيدي اليهود.

وكانت الفيلسوفة الثائرة الأدبية تستمع إلي وهي منفعلة من صدق وحرارة وحماس

منطقي.

- أين أنتم؟ أنت وسارتر؟ أين أنتم مما يحدث لشعب فلسطين، أين مبادئكم في الحرية..؟

كان لقائي مع جن بول سارتر.. لحظة تاريخية في حياتي، لحظة مفعمة بالحب والحماس والثورة وكان تأثر سيمون دي بفوار بمنطقي قد ترك فيّ إحساسا عميقا بالرضا والطمأنينة.

أين أنت يا عزيزتي الغالية.. يا أروع امرأة كتبت وفكرت وعبرت عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية.. أين أنت الآن؟

أنا الآن أمام صورتك القابعة في قبر بارد، في مقبرة جميلة بين الأشجار؟ ترى هل تسمعينني..؟ لماذا تركتيني وحيدة.. اشتاق لشجارنا حول مفهوم الحرية.. حرية المرأة، وحرية الوطن؟

أشتاق للنقاشات في هذا البيت.. نقاشات مع كل أحرار العالم، ومن بينهم إسرائيليون عديدون جاؤوا إلى هذا البيت.

* * *

أتأمل الصمت حولي وأشعر بالسعادة وأنا أستعيد لحظات حميمة مع سيمون دي بفوار، وأشرد بأفكاري، وأعود لأتأمل فضاء هذا البيت الذي شهد أعز ذكرياتي.. والذي تهدده دبابات شارون بالقصف والدمار، وترقد أمامه ترابط كالشيطان..

ويأخذني الحنين إلى الأولاد..

أين هم الآن..؟

أين ضحكاتهم وصخبهم وحيويتهم وضجيجهم الذي كان يملأ فضاء هذا البيت.

لقد قادتهم طموحاتهم.. إلى مرافئ بعيدة في أوروبا وأمريكا يدرسون ويعملون، وأنا وحيدة في هذا البيت على موعد مع الأحزان والألم وبنادق شارون ورصاصه وجنده.

شارون الذي لم يؤمن يوما بالسلام، ولم يعرف للحظة صفاء النفس، وصدق الإحساس.. وروعة المشاعر عندما يسمو الإنسان إلى آفاق من الفكر والصوفية

والإحساس بالآخر..

لقد شهدت أروقة هذا البيت مناقشات مع عدد كبير من الصحفيين الإسرائيليين، كانوا يأتون أفواجا وبصورة متواصلة.

وكان النقاش يدور حول حقوق اليهود المزعومة في فلسطين، وحقوق الفلسطينيين المغتصبة، في فلسطين وخارج فلسطين.

ولعل أكثر الذكريات إلحاحا على ذاكرتي.. عندما كنت في هذا البيت مقيدة بإقامة جبرية، حيث يرابط الجنود حول بيتي وأمام أبواب المنزل، وهم مدججون بالأسلحة، يبعثون الرعب والخوف في قلب الأولاد والجيران، وتتعالى الأصوات من داخل البيت ومن خارجه.

من المؤكد أني تجاوزت كثيرا من الخطوط الحمراء عندما تصديت لمحاورة اليسار الإسرائيلي، لقد كان مجرد الاتصال بأي إسرائيلي مثارا لاتهامات خطيرة أقلها الخيانة، ولكني فتحت أبواب ونوافذ وشرفات هذا البيت لكل الإسرائيليين الشرفاء من حملة القلم ورواد الفكر والثقافة من أمثال أوري أفنيري، وعاموس كنعان، لطيف دوري وآمنون كابليوك، وغيرهم، بالإضافة إلى كبار السياسيين والصحفيين العالميين.

وشهدت أرجاء هذا البيت حوارات ولقاءات بين كثير من الشخصيات الفلسطينية، وخاصة من أنصار ومحبي ياسر عرفات، والآن ينتصب أمامي السؤال التالي:

- هل أسأتُ إلى الحركة الوطنية عندما دعوت هؤلاء الإسرائيليين إلى بيتي؟

آه إن هذا الجرح موجود، فكثيرون لم يفهموا ما هو مقصدي من تلك اللقاءات.

إن مقصدي الأول والأخير هو أن أستقطب الأنصار للقضية الفلسطينية، وأن أجمع القلوب والحناجر والأقلام حول قيادة ياسر عرفات.. كان هدفي هو دعم الحضور الإنساني والأخلاقي والوطني، لمنظمة التحرير الفلسطينية، بقيادة الرئيس الرمز ياسر عرفات - أبو عمار. وهو ما تحقق بصورة فاعلة باعتراف الأعداء قبل الأصدقاء.

ترى.. أين أنت الآن يا أبا عمار؟ وما هي الهواجس والأفكار التي تدور في ذهنك؟ وما هي حساباتك في التصدي لهؤلاء البرابرة الذين يريدون الانقضاض والإجهاز على حلم الدولة الفلسطينية؟

تذكرت الرئيس، واستعرضت مخيلتي له عشرات الصور، ولكن صورة القائد العسكري الرصين الهادئ هي التي انتصبت أمام عيني.

كنا في المظاهرات.. نخرج نحمل صورك ونهتف باسمك، وكنا نحمل العلم الفلسطيني، نرفعه عليا، ونتعرض للسجن والمطاردة والاعتقال من أجل رفع العلم الفلسطيني، وها هي آلاف الأعلام تخفق فوق الرؤوس والروابي والجبال.. لقد ارتفع العلم الفلسطيني في كل مكان. في كل قرية ومدينة ومخيم، وها هي صورك في كل فصل ومدرسة ومعهد وجامعة ومعمل ومصنع، صورتك التي كان الاعتقال مصير كل من يتجرأ ويحملها.

وهو الآن لحزني الشديد - علم فلسطين علم محاصر.. لأن الوطن بأسره محاصر.

وفي يوم ٢٨ آذار ٢٠٠٢، أصدر قادة ٢٢ دولة عربية، اجتمعوا في «قمة» في بيروت، «مبادرة السلام العربية» التي تعرض على إسرائيل السلام العربي الكامل في مقابل الانسحاب الإسرائيلي الكامل، ولهذه المبادرة ميزة خاصة هي أنها شملت دولا غير دول الطوق، أبرزها المملكة العربية السعودية والعراق، أعربت للمرة الأولى عن استعدادها لعقد سلام كامل مع إسرائيل.

في اليوم التالي بدأ الجيش الإسرائيلي اجتياح الضفة الغربية ليعيد احتلال مدنها «المستقلة» والخاضعة للسيادة الفلسطينية الكاملة، بموجب اتفاق أوسلو.

عبر هذا بوضوح عن ميزان القوى السائد. وأبسط طريقة لقياس هذا الميزان هو السؤال: ماذا يفعل قادة ٢٢ دولة عربية إذا قال شارون: لا؟ الجواب: لا شيء. الاستنتاج: يمضي شارون في تنفيذ مخططه من دون أن يخشى «اللاشيء» العربية!

تأخر العرب عن اللحظة المناسبة؟ هل كان الأمر ليتغير لو أطلقت المبادرة مبكرا، في إبان عقد كامب ديفيد ٢ مثلا؟ تصعب الإجابة، وإن يكن في الإمكان، لو حدث ذلك، تصور مسار مختلف للتطورات.

كان شارون، إذاً، قد حزم أمره. وبدأ اجتياح المدن، وأهدافه المعلنة: اجتثاث المقاومة؛ وإعلان عرفات «عدوا» واستبدال سلطته بسلطة موالية لإسرائيل وإجراء إصلاحات أمنية واقتصادية وسياسية. وأصبحت هذه الأهداف، لاحقا جزءا من رزمة الترتيبات الأميركية - الإسرائيلية للمنطقة، تستكمل بتغيير الأوضاع في العراق وإيران

وسورية، وهو هدف إسرائيلي بقدر ما هو أميريكي. كما بدا من التصريحات الأميركية في اليوم الأول للاجتياح، أن الإدارة الأمريكية على علم بتفصيلاته ومتبنية لأهدافه.

كان الافتراض الشائع أن وجود أربعين ألف رجل أمن فلسطيني مسلحين (ولو بأسلحة خفيفة) إضافة إلى سلاح التنظيمات الفلسطينية سيجعل التكلفة البشرية لإعادة احتلال مدن الضفة باهظة إلى درجة لا تستطيع إسرائيل احتمالها. وقد تهاوى هذا الافتراض عندما احتل الجيش الإسرائيلي المدن بسهولة نسبية، باستثناء مخيم جنين حيث كانت مقاومة الغزاة ضارية، وحيث قتل مُعظم الجنود الإسرائيليين الذين سقطوا في عملية «السور الواقي» كلها.

وكان الافتراض الآخر أن المقاومة لن تمكن القوات الإسرائيلية المحتلة من الاستقرار في المدن، وستشن عليها حرب استنزاف تُكرهها على المغادرة. لكن القيادة الإسرائيلية تجاوزت هذا الاحتمال، عندما أعلنت أن قواتها ستخرج من المدن وتطوقها وتعزلها ثم تعود إليها لتعقب «الإرهابيين» كلما احتاج الأمر ذلك، وهذا ما يحدث فعلا، وهو تطوير لمفهوم الاحتلال يحقق لإسرائيل مكسبين: الأول أنه موه الاحتلال وقنعه أمام أنظار العالم. وبلغ التضليل حدا جعل الرئيس الأميركي وكبار المسؤولين في إدارته يرحبون باستجابة شارون لطلب الرئيس، ويعتبرون أن الانسحاب تحقق فعلا. والمكسب الثاني هو أن إسرائيل، كمحتل، لا تلتزم بأية واجبات، ولا تطبق أية معاهدات دولية تنظم أوضاع المدنيين من سكان الإقليم الواقع تحت الاحتلال، على أساس أن في المدن سلطة فلسطينية ولو كانت محاصرة في مبنى في «مقاطعة» مدمرة.

وهكذا يمضي الجيش الإسرائيلي في تنفيذ أعمال القتل والاعتقال والتدمير اليومية في مختلف أنحاء الضفة والقطاع، وفي عزل المدن والقرى بعضها عن بعض بجدران الاسمنت والخنادق والأسلاك والحواجز، بما يشكل نظام فصل عنصري، وفي محاصرة عرفات وشل السلطة، وفي عزل القدس الشرقية عن بقية أراضي الضفة، والمضي في تنفيذ مشروع تهويدها وطرد مواطنيها العرب، بدعم أميريكي، وإذعان دولي، وغياب عربي هو العجز الذي يضمر استسلاما صامتا.

حاول الإعلام الفلسطيني خلال فترة الاجتياح أن ينشط خارجيا لكسب الرأي العام العالمي، لكن حجم الأجهزة الإعلامية الإسرائيلية الموجه إلى العالم كان موحداً ومتماسكاً وقويا حتى في تزوير الحقائق.

أما الخطاب الفلسطيني فعانى من بروز عدم وحدة القيادة ووحدة الهدف. ومن عدم تجانس الخطاب الموجه إلى جهات مختلفة الأمر الذي انعكس سلبا على صدقيته، مثلا، نداء القيادة الفلسطينية إلى الشعب الإسرائيلي: «نمد أيدينا للسلام ...»، بينما تحدث عرفات بطريقة مختلفة عندما خاطب جمهوراً عربياً: «نستشهد أو ننتصر»، «إلى القدس رايحين شهداء بالملايين». والتأثير السلبي للعمليات الاستشهادية ضد المدنيين في إسرائيل، وتصريحات من نوع: «...الإسرائيلي ينجب أولادا ليصلوا إلى سن ١٨ سنة ليحملوا السلاح ويقتلوا أولادي... لا وجود في المجتمع الإسرائيلي لمدني. كلهم عسكريون...» أو «هذه العمليات الاستشهادية ... هي السلاح الذي أودعه الله في هذه الأمة والذي لا يمكن لأحد أن ينتزعه منا ...»، « ليس في مجتمع إسرائيل مدنيون، كلهم غزاة، كلهم محتلون، كلهم مغتصبون للأرض، كلهم شركاء في الجريمة وفي المجزرة وبالتالي ينبغي أن يتابع هذا الطريق دون تردد. ومن السهل ملاحظة كيف اضطر مسؤولون كبار في العالم يؤيدون مبدئياً القضية الفلسطينية، إلى المساواة بين نتائج العمليات الاستشهادية في إسرائيل (المحدودة) وبين نتائج الاجتياح وآثاره المدمرة في الضفة بشراً وعمراناً. ثم المبالغة وعدم الدقة في ذكر الوقائع. وفي هذا يقول صحافي أجنبي: عرفات والفلسطينيون، إجمالا، يبالغون وهم لا يحتاجون إلى ذلك، فالوقائع كافية ويضرب أمثلة في ذلك: الكلام على ارتكاب مجزرة ومئات القتلى في جنين ثم يتبين أن عدد القتلى في حدود الستين، وخصوصاً أن الصحافيين لم يتمكنوا من التحقق من ذلك كما لم يكن في إمكانهم التحقق من حديث عرفات عن استخدام إسرائيل اليورانيوم المشبع. ويضيف مبعوث صحيفة «لوموند» (١٩/ ٦/ ٢٠٠٢)، أنطوان جاكوب، في مقال عن الرقابة التي تفرضها إسرائيل على الإعلام الأجنبي، أن القوات الإسرائيلية منعت الفلسطينيين من رحلات للصحافيين الأجانب إلى المناطق تحت الاحتلال، كما أن الفلسطينيين لا يتوفر لهم عدد كاف من الذين يتقنون الإنكليزية ويجيدون مخاطبة الجمهور الغربي وإيصال رسالتهم إليه.

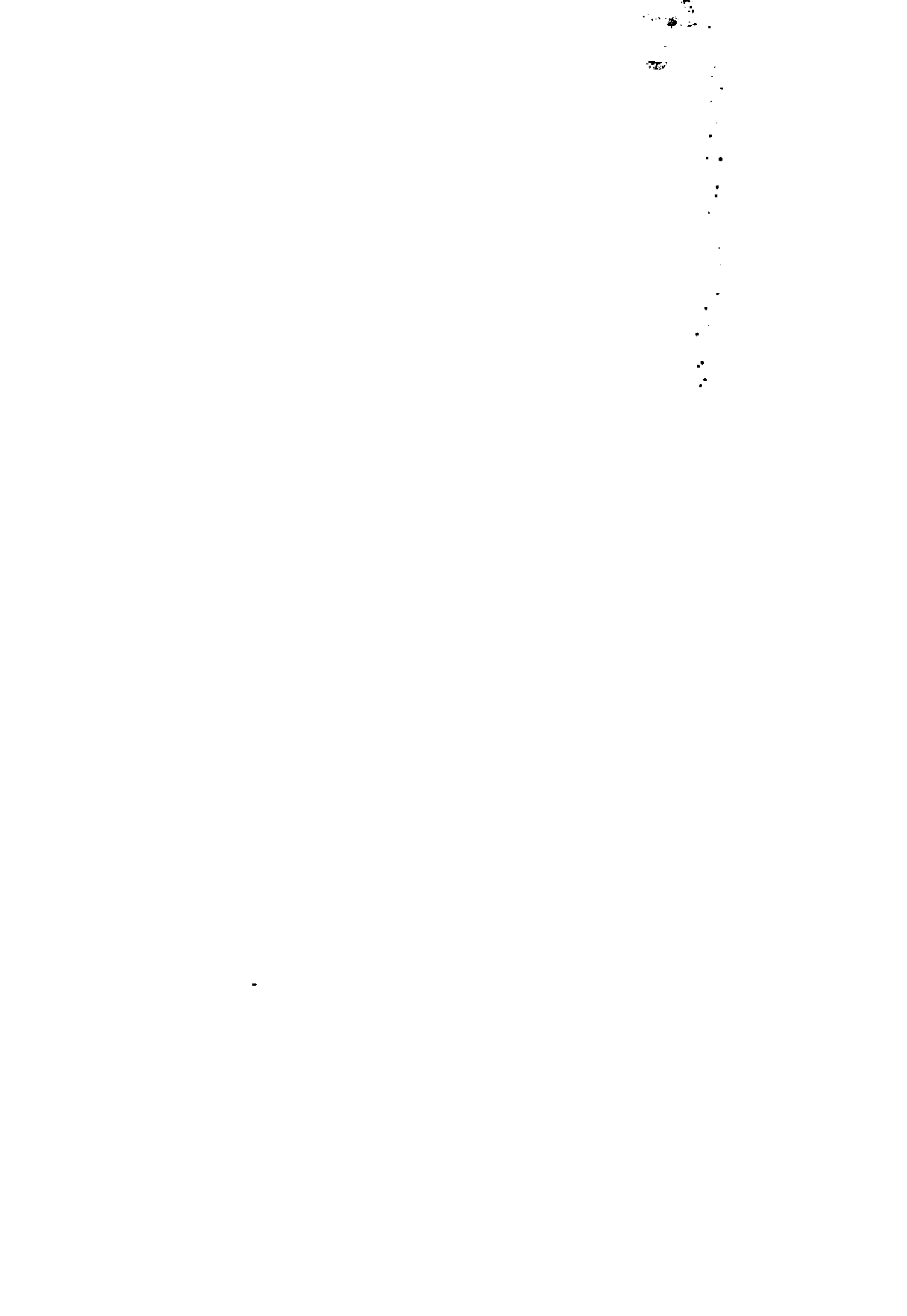
لكن الوقائع كانت تعبر بحد ذاتها عن الفظائع التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين. فقد ثبت استخدام هؤلاء دروعاً بشرية لحماية الجنود الإسرائيليين، الأمر الذي اضطر قيادة الجيش الإسرائيلي، تحت وطأة استنكار الهيئات الإنسانية الدولية، إلى إصدار تعميم إلى الضباط والجنود يحظر هذا الاستخدام. مع ذلك أصدر مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (بتسليم) بياناً

أكد فيه استمرار استخدام المدنيين الفلسطينيين دروعاً بشرية. وحذر رئيس المحكمة الإسرائيلية العليا أهارون براك، في مؤتمر عقد في ٦ أيار ٢٠٠٢ في إيلات، من أن المحكمة الدولية في لاهاي قد تستدعي إسرائيليين للمثول أمامها، كما حذر المدعي العام في الجيش الإسرائيلي، الدكتور مناحم فرنكشتاين، من أن ضباطاً إسرائيليين قد يعتقلون في أثناء وجودهم في الخارج. فالسهولة التي يطلق بها الجنود النار على المدنيين تمر في الجيش بلا عقاب: الجنود الذين قتلوا فلسطينية وولديها بعد أن ظنوا– خطأ – أن المصفحة التي كانوا فيها أصيبت بعبوة، لم يُدعوا إلى التحقيق، ولم تطبق بحقهم أية عقوبات، الضابط الذي زرع متفجرة في طريق يسلكها تلامذة بصورة عادية يومياً، لم يحقق معه، طلاب ثانويات دينية كتبوا إلى الجنود: «اقتل على الأقل عشرة فلسطينيين في الشهر». وكتب آخر: «انس القوانين واسحق العدو». وكتب ثالث: «العربي الجيد هو العربي الميت». وقال المدعي العالم العسكري أنه أعد ثلاثين ملفاً ضد جنود متهمين بالسلب والتخريب خلال عملية «السور الواقي» في الضفة الغربية. واستخدم الجيش الإسرائيلي قذيفة وزنها طن لتدمير مبنى في غزة، الأمر الذي أدى إلى مقتل ١٤ شخصاً بينهم ٩ أطفال يوم (٢٥/ ٧/ ٢٠٠٢). وقد اعتبرت الصحف الإسرائيلية العملية «جريمة حرب»، وتحدثت عن إمكان استدعاء شارون ووزير الدفاع بن إليعيزر ورئيس الأركان يعلون وقائد ال «إف ١٦» التي أطلقت القذيفة، أمام محكمة الجنايات الدولية في لاهاي، التي بدأت رسمياً عملها في تموز ٢٠٠٢.

وهذا غيض من فيض ارتكابات الجيش الإسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين في الضفة والقطاع، وبعضها يمكن متابعته أمام المحاكم الدولية. وهي تشكل مادة معركة إعلامية عربية خارجية ناجحة لو توفرت لها الإمكانات المادية، والكفاءات ذات الخبرة، وحسن التنظيم، وتوخي الصدق والدقة في عرض الوقائع.

ولا بد من تسجيل نجاح المجتمع المدني الفلسطيني في استقدام شبان وشابات من المجتمعات المدنية الغربية (وحتى من إسرائيل) شكلوا لجاناً أدت دوراً مهماً في حماية الشعب الفلسطيني (وكذلك حماية عرفات)، ونقلت في الوقت نفسه إلى بلادها صورة صادقة عن مشاهداتها وعن معاملة الجيش الإسرائيلي لأفرادها بالذات.





رام الله ....
قبيل العاصفة
٢٠٠٢/٣/٢٩

مرة أخرى أجد نفسي محاصرة.. أنا والأفكار والهموم مكبلة اليدين، بعيدة عن مجال عملي الذي أعشقه. فكأني سجينة.

حاجز قلنديا مغلق، والصحفيون الفلسطينيون والأجانب منعوا من الوصول إلى رام الله.

في هذا اليوم بالذات كنا نرتب للقاء مع الصحفي الإسرائيلي اليساري المعروف آمنون كابليوك، ولطيف دوري.

وما هي إلا لحظات حتى اتصل الزميل زياد درويش من القدس، وأخبرني بأنه سمع من صوت إسرائيل أن الإسرائيليين، وكل الشخصيات الأجنبية عليها أن تغادر المنطقة، وأنه محرم عليها دخول الأراضي الفلسطينية.

كما أن أفراد السلك الدبلوماسي، الذين يتابعون اتفاقيات أوسلو طلب منهم مغادرة رام الله.

وإذن فان الآلة العسكرية الإسرائيلية تخنق صوت الإعلام، وتحكم الحصار على المدينة، وتمنع وصول الصحفيين بصورة مطلقة.. بل وتدعوهم إلى المغادرة.

* * *

واستغربت هذا الإجراء القمعي الذي يكمم أفواه الصحفيين، ويضرب حصارا من التعتيم على كل ما يجري في رام الله والمقاطعة ومكاتب الرئيس عرفات.

وشعرت بالألم والسخرية والحزن، وتذكرت كيف كنت أعمل في المكتب الصحفي في شارع صلاح الدين بالقدس. كانت الفنادق تزدحم بكم هائل من الصحفيين، وخاصة الصحفيين الفرنسيين، والأمريكيين، وكانت مكاتبنا في القدس كخلية النحل، حيث يتوارد عليها صحفيون من كل الجنسيات، ومن مختلف أطياف النشاط الإعلامي.

ما الذي يحدث اليوم..؟

كيف يُمنع الصحفيون الأجانب من تغطية الأحداث؟

ومرة أخرى تقفز إلى مخيلتي صورة النشاطات الإعلامية التي كنا نعتبرها رسالة نضالية والتزاما وطنيا قوميا قبل كل شيء.

في فندق الأميركن كولوني - وهو الفندق الشهير الذي يتجمع فيه الصحفيون الأجانب _ كنت أقوم بمساعدة نخبة من الشباب الفلسطيني المثقف بكافة الأعمال الإعلامية، وأبذل كل جهد مستطاع لأؤمن لمندوبي الصحافة العالمية كل ما يطلبونه من مواد صحفية.

كان هاجسنا الأول والأخير هو محاولة استقطاب الصحفيين الأجانب للكتابة عن الأحداث التي تواكب الوطن المحتل، كانت المعضلة التي تواجهنا هي كيف ندفع هؤلاء الصحفيين إلى كتابة خبر عن قرية فلسطينية نائية جرى فيها اغتيال مناضل، أو اعتقال بريء أو هدم بيت كانوا يقولون دائما:

- إن رئاسة التحرير في صحفهم، ترفض أن يكتبوا أخباراً هامشية ثانوية غير هامة، ولا شك أن مظاهرة احتجاج على نسف بيت فلسطيني، أو قتل شاب، تدخل ضمن هذا الإطار المهمش الذي لا يستحق الالتفات الإعلامي.

لقد كنا محبطين لعدم اكتراث العالم بنا بالصورة التي نطمح إليها، خاصة وأن الإعلام العالمي كان يقف على قدم وساق عندما تحدث أي عملية استشهادية أو تفجيرية في القدس أو حيفا أو تانيا.

ومع ذلك، كنا نحاول أن نوصل صوت الشعب الفلسطيني المقموع بكل السبل، ودون يأس من خلال تغطية إعلامية متواصلة.

وهنا لا يسعني إلا أن أستذكر أنه في عام ١٩٨٢ في ذروة معركة بيروت الخالدة كنا على اتصال يومي مع ممثلي الصحافة الإعلامية ، وكنا ننشط في إصدار نشرة إخبارية هامة في ساعات الصباح، ونشرة أخرى في ساعات المساء.

كنا نستقبل في المكتب رسائل وأخبار من مندوبي المكتب الفلسطيني المنتشرين في كل أنحاء فلسطين، ومن ثم نقوم بترجمة هذه الأخبار إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية.. ومن ثم نقوم بتأمينها لكافة المشتركين من صحفيين ومراسلين بوضعها في صناديقهم، ليقوموا بدورهم بضخها إلى صحفهم ومجلاتهم وإذاعاتهم، وبذلك تصبح الفعاليات النضالية الفلسطينية الخبر الأول في كل وسائل الإعلام العربية والعالمية على حد سواء.

وكنا نفرح ونشعر بزهوة الانتصار عندما يتم تغطية خبر فلسطيني من خلال مكتبنا.، ونشعر بأننا نؤدي رسالة هامة عندما يذكر الخبر مقرونا باسم مكتبنا على اعتبار أننا وكالة أنباء فلسطينية (بي.بي.إس).

ورغم ذلك كله، فإن نفرا غير قليل من الصحفيين الأجانب، كانوا يرفضون ذكر المصدر الذي استقوا منه الخبر في محاولة فظة وقحة لتجاهل مكتبنا.

والواقع أن لدي دائما إحساسا عاليا، وتفهما لدور الصحافة العالمية، وأهميتها، فعن طريق الصحافة يعرف العالم ما الذي يجري على أرض الوطن، وهذه المعرفة تشكل حماية قوية لنا، وفي نفس الوقت تمضي بنا قدما إلى أهدافنا الوطنية والقومية.

أضف إلى ذلك، فإن معرفة العالم لحقيقة ما يدور على الأرض الفلسطينية، يفضح أساليب إسرائيل ويضعها في قفص الاتهام أمام الرأي العام العالمي، بل وحتى الإسرائيلي.

إن اللعبة الإعلامية متداخلة ومتشابكة إلى حد بعيد باللعبة السياسية، والصحفيون يشكلون اللاعبين الأساسيين في هذه المعادلة. ومن هنا نستطيع فهم اهتمام الرئيس عرفات بالإعلام، وتكريس هامش كبير له على المستوى النضالي، لاستقطاب الأنصار وشرح وجهة النظر العربية، ولم يكن الرئيس ضنينا على الإعلام فقد كرس موارد مالية مناسبة لكل مواقع الإعلام فلسطينيا وعربيا وعالميا.

***

وازدادت هواجسي، وارتفع وجيب قلبي، وأصبحت أكثر توترا وأنا أتساءل.. لماذا يطرد الرعايا الأجانب ولماذا يمنع دخول الصحفيين. أن الوضع حساس للغاية.. ما الذي سيجرى لنا؟ ماذا يخططون لنا في الخفاء؟ كانت كل المؤشرات تؤكد أن أحداثا جسيمة ستقع.. بعض أصدقائي الفلسطينيين قالوا لي:

- اذهبي إلى القدس، واختبئي.. الوضع خطير، والجو مشحون، وقد تكونين مستهدفة.. فالعسكر يعرفون صلتك بالرئيس.

ازدادت مخاوفي، وتساءلت بيني وبين نفسي، هل لو كان الصحفيون موجودين في صبرا وشاتيلا كانت ستحدث المجزرة التي ارتكبتها شراذم المليشيات اليمينية بمساعدة القوات الإسرائيلية تحت سمع وبصر أرئيل شارون.

***

مرة أخرى...

ها هو بيتي يصبح سجني.. وطني جرح مفتوح، وأبناء وطني تطاردهم جحافل الموت والرصاص والنار، والرئيس محاصر، إنه حزين لكل هذا الذي يحدث.. وتأخذه موجات من الألم وتنتابه أحاسيس القهر، والغضب، وتعصف به الأنواء وتغمره حالة من الشجن الصوفي، كلما سقط مواطن أو مناضل..

إنه حزين.

حزين لما يلحق بمدينة رام الله.

حزين على كل ما يحدث لأي مدينة من مدننا.

وعندما أفكر في الرئيس، وفي كل الرفاق الذين حوله.. يشتد كربي أشعر بأن أطياف الشجن والأسى أقوى مني.. لقد أصبحت أقل قدرة على مواجهة الأحزان والصعاب.. لعل حجم الكوارث التي تلاحقت علي.. نالت من عزمي.. وقوتي.. وعنفواني الثوري. ولكن..

إنه الرئيس.. ودائما كان الرئيس.. إنه أبو عمار وكان دائما أبو عمار.

أين عنفوان الثورة الذي كان ينفجر في كياني. عندما كنت أتظاهر.. وأنفعل.. أصرخ.. أنادي.. أين ذلك المد الثوري الذي كنت أطلقه مع توفيق زياد الذي كان يقف في هذا

البيت وسط حشد من الأصدقاء وهو ينشد:

أناديكم.

أشد على أياديكم.

وأبوس الأرض.

تحت نعالكم.

وأقول.

أفديكم..

وأستذكر فقرات وقصائد من شعره لعل أبرز ما فيها ما كان يدور حول العبور، وحول التصميم على النصر.

آه يا توفيق زياد

ليتك معنا.. ليتفجر شعرك ثورة وغضبا ونارا ودما على هذا العدوان.

آه يا توفيق زياد.. أين أنت يا بن الناصرة، الناصرة التي كانت مهد ذكرياتي وطفولتي، وموطن سنوات الدراسة في عهد الطفولة والصبا.

أتألم وأنا استذكر الناصرة وشاعرها..

أصرخ من الألم..

والقصف يتواصل في كل مكان، كل أحياء المدينة نتعرض للقصف.. والمقاطعة التي لا تبعد إلا بضع مئات أمتار هوائية عن بيتي هدف مفضل لطائرات الأباتشي والصواريخ وتتعالى الأصوات من كل مكان أنهم يدمرون المقاطعة، يدكونها عن بكرة أبيها أهرع إلى التلفاز أشاهد وأتأمل وأمزق وتختلط دموعي بثورتي بألمي.

ها هو شارون الذي يصفه بوش بأنه رجل سلام يحاول مجددا النيل من عرفات، رغم كل الأحداث والمحن، ورغم كل الاتفاقيات والمتغيرات فإن شارون لا زال يلهث وراء حلمه الدموي لتصفية عرفات.

❊ ❊ ❊

إن السياسة الأمريكية المنحازة تحاول تصفية عرفات على طريقتها، ليس بأسلوب شارون الدموي الصريح، ولكن بطريقة غاية في اللؤم والمكر والخديعة فهي تعلن أنها

لن تتعامل مع عرفات، وتؤكد أن عرفات قد أصبح جزءا من المشكلة وليس جزءا من الحل، وأن أحدا لن يتعامل معه.

عجيب أمر هذه السياسة الأمريكية كيف تريد أن تنكر تاريخ زعيم انتخبه شعبه، وقاد نضال وثورة هذا الشعب على امتداد أربعة عقود؟ كيف تسمح السياسة الأميركية لنفسها بكل ما فيها من صلف وغرور أن تنكر تاريخ عرفات، الذي نال جائزة نوبل للسلام، والذي رشحته المجلات والصحف العالمية كأفضل وأهم رجل في عام ٢٠٠٢؟

* * *

قبيل هذه الخطوة العبثية الساذجة لنبذ عرفات، جاء كولن باول إلى المقاطعة لمقابلة الرئيس عرفات وقال له بأنه يحمل رسالة من بوش، وأن الرئيس الأمريكي وتابعه شارون وهما يدعوانه إلى الاستسلام، وطلبا منه أن يضع حدا للمقاومة، وأن عليه أن يفعل كما فعل بن غوريون يوما بالباخرة الألتالينا عندما وضع حدا لجماعة الأرغون وفجر السفينة التي كانت محملة بالأسلحة لصالح المنظمات الصهيونية المتطرفة بزعامة مناحيم بيغن، وهكذا قتل عدداً كبيراً من رجال الأرغون، وكانت هذه الحادثة بداية لإعلان دولة إسرائيل.

* * *

ولكن عرفات يرفض هذا المنطق، فلا هو بن غوريون، ولا رجال المقاومة الفلسطينيون هم عصابات أرغون المسلحة.. لا أحد يستطيع أن يحل المقاومة، ولا عرفات نفسه. فطالما وجد الاحتلال فإن مقاومته أمر مشروع، ولا يمكن لأي عاقل أن يقفز عن هذا المنطق، أو أن يكسر هذه القاعدة.

إن إنهاء المقاومة لا يتم إلا في حالة واحدة فقط وهي إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة المعترف بها.

نفس هذا السيناريو حدث في بيروت عام ١٩٨٢م، عندما كان فيليب حبيب يأتي إلى بيروت ويسعى لمقابلة عرفات.. فإذا تمت المقابلة، فإن حبيب كان يسارع إلى الطلب من عرفات، بأن يترك بيروت ويغادر، وعندما كان ياسر عرفات يرفض مثل هذه الاقتراحات، كان القصف على بيروت يزداد اشتعالا، فإذا أخذت موجة العنف مداها، عاد فيليب حبيب ليفاوض مجددا، عارضا على عرفات مشاريعه الانهزامية بالفرار وترك

بيروت، ومن ثم فإن وتيرة العنف تتزايد، ويشتد القصف، وتأخذ الطائرات في تعقب عرفات من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت ومن شقة إلى شقة.

وفي نهاية كل غارة، وبعيد كل قصف دموي، يفاجأ حبيب وشارون بأن عرفات لا يزال حيا يرزق، ويجن جنون شارون، ويضاعف من غاراته، ولكن لا طائرات الأباتشي، ولا غارات الطائرات الأميركية «إف ١٦»، ولا صواريخ الدبابات والمدفعية قادر على إنهاء أسطورة عرفات، لقد كان مثل طائر الفينيق الذي يخرج حّيا من وسط لهيب النيران والحرائق ، تجسدت أسطورة عرفات بُعيد حرب بيروت عام ١٩٨٢م ولم يتحقق لشارون حلمه الدموي في تصفية عرفات، وتم ترتيب خروج عرفات من بيروت في رعاية سفن فرنسية، وبضمانات دولية وعربية.

والآن..

ها هو شارون، وكولن باول، وتشيني، وزيني يطالبون عرفات بالرحيل بناء على طلب شارون . وكلما جاء مبعوث أمريكي إلى رام الله.. فإنه يطلب من ياسر عرفات أن يغادر رام الله مجددًا.

ولكن عرفات.. يقول لهم بملء فمه:-

- لا، لن أخرج من بلدي.

وفي معرض رده على كولن باول قال له:

- أنت تحمل شروط شارون، ولكنك أخطأت العنوان، لست ممن يرفعون الراية البيضاء، ولن أرضخ لمطالب شارون.. لقد قلت وأقول:

- إني أفضل أن أموت شهيدا، على أن أقبل هذا الإذلال.

* * *

* هاجمت ١٥٠ دبابة ومجنزرة وآلية وآلاف الجنود مدينتي رام الله والبيرة. وتركز الهجوم على مقر الرئاسة الفلسطينية. وأطلقت الدبابات الإسرائيلية القذائف الثقيلة على المقر، ودمرت بواباته الخارجية. وأصابت القذائف الحارقة مقر حراسات الرئيس، واشتعلت عدة حرائق في المبنى. ودارت اشتباكات عنيفة حول المقر الرئاسي عندما حاولت القوات الإسرائيلية اقتحامه، وسقط عدد من الشهداء والجرحى من الحرس

الرئاسي ومن المدنيين داخل المقر العام، واعتلى الجنود الإسرائيليون عددًا من المباني التي تحيط بالمقر وتمركز فيها القناصة، واعتقلت القوات الإسرائيلية في رام الله عضو المجلس التشريعي محمود دعاس، والمواطن محمد يوسف نوفل. ومنعت قوات الاحتلال إخلاء الجرحى ونقلهم إلى المستشفيات، وقصفت المنازل الواقعة قرب منتزه رام الله واحتلت عمارة الإغاثة الزراعية التي تشرف على مخيمي قدوره والأمعري، وأجزاء واسعة من مدينتي رام الله والبيرة، ومدرسة تابعة للأونروا في حي الإرسال قرب قصر الحمراء. وأحصي سقوط خمسة شهداء في رام الله وشهيد في جنين وأصيب عشرة أشخاص بجروح. وقطعت الكهرباء عن مدينتي رام الله والبيرة، واقتحمت قوات الاحتلال مقر الدفاع المدني في مدينة البيرة ومنازل في مخيم قدوره.

وأصيب مصور صحفي فلسطيني كان يعمل لحساب قناة التلفزة المصرية برصاص قوات الاحتلال وهي تتقدم إلى وسط رام الله.

وقالت وكالة الصحافة الفرنسية أن الصحافيين يعملون في أوضاع صعبة، ويضطرون إلى ارتداء سترات واقية من الرصاص ويعتمرون خوذا بيضاً، ويظهرون بصورة بارزة علامة «تي. في»، ويتحرك بعضهم بسيارة مدرعة.

وفي القدس، اقتحم الجنود الإسرائيليون الحرم الشريف، من باب المغاربة، وأطلقوا القنابل الدخانية والمسيلة للدموع على المصلين في المسجد الأقصى الذين هتفوا ضد الاجتياح الإسرائيلي، واعتدوا عليهم بالضرب بالهراوات وأعقاب البنادق، فسقط منهم خمسة جرحى، واعتقل آخرون، واعتدى الجنود على نشطاء سلام أوروبيين في القدس. وفي بلدة الرام، شمالي القدس داهمت قوات الاحتلال منزل الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس والديار الفلسطينية. واقتحمت قوات الاحتلال بلدة بيت فجار جنوبي بيت لحم. وقصفت قوات الاحتلال المناطق المحيطة بالمنطقة الصناعية في بيت حانون، شمال قطاع غزة. أما المقاومة الفلسطينية الباسلة فقد تمثلت في إعلان سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مسؤوليتها عن اقتحام مستعمرة نتساريم جنوبي مدينة قطاع غزة الذي نفذه محمد أحمد خزيق (٢٢ عاماً) من حي الصبرة من مدينة غزة. فقد هاجم بسكين حشدا من المستوطنين، فقتل اثنين منهم وجرح أربعة آخرين قبل أن يستشهد. وقد اعترفت إسرائيل بذلك. كما أن آيات محمد الأخرس، فتاة فلسطينية عمرها ١٨ عاما، من «كتائب شهداء الأقصى»، فجرت نفسها

داخل مركز تجاري في القدس الغربية، فاستشهدت، وأدى الانفجار إلى مقتل إسرائيليين اثنين وجرح ٢٠ آخرين. وفي رسالة مسجلة على شريط فيديو وجهت آيات الأخرس انتقادات حادة إلى الزعماء العرب «لاكتفائهم بالمشاهدة» بينما النساء الفلسطينيات يقاتلن لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي.

وقد صرح ناطق رسمي باسم القيادة الفلسطينية أن العدوان الإسرائيلي يهدف إلى «هدم عملية السلام». وأكد تمسك القيادة الفلسطينية بالاتفاقات الموقعة، وآخرها خطة تينت وتقرير ميتشل، للوصول إلى وقف إطلاق النار والعودة إلى مسار العملية السلمية.

كما وجهت القيادة الفلسطينية نداء إلى الشعب الإسرائيلي تدعوه فيه إلى رفض العدوان الذي تشنه حكومة شارون على الفلسطينيين وقبول السلام طبقاً للقرارات الدولية (نص البيان في فصل الوثائق).

وأكد الرئيس ياسر عرفات، في حديث متلفز من مقره المحاصر في رام الله، تمسكه بالسلام واستعداده للاستشهاد في سبيل القضية الفلسطينية. واتهم الولايات المتحدة بالموافقة على العدوان الإسرائيلي.

عقدت القوى الفلسطينية والإسلامية وهو (ائتلاف يضم ١٣ تنظيما فلسطينياً) اجتماعا طارئا في غزة دعا إلى التصدي للعدوان الإسرائيلي.

وأعلن المتحدث باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الخارج، ماهر الطاهر من دمشق، أن «الجبهة الشعبية ستجعل كل إسرائيلي هدفا للشعب الفلسطيني، وسنصعد العمليات ضد إسرائيل وضد قوات الاحتلال، وسنقاوم حتى آخر رجل ولن نستسلم وسنهزم أريئيل شارون.»

ووجه الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين «حماس» نداءً إلى الشعوب العربية والإسلامية. أعلن فيه أن الشعب الفلسطيني يتعرض ل «أبشع حملة إبادة في تاريخ فلسطين المعاصر»، ودعاهم إلى الخروج «في كل عواصمنا ومدننا العربية والإسلامية لتعبروا عن تضامنكم مع شعبنا ورفضكم للعدوان الغاشم».

وقررت سكرتارية لجنة المتابعة العليا للجماهير الفلسطينية داخل «الخط الأخضر» إعلان الإضراب العام والشامل في ٣٠/ ٣ في الذكرى ال ٢٦ ليوم الأرض، واحتجاجا على العدوان الذي تشنه إسرائيل على الشعب الفلسطيني وقيادته.

ودعا المجلس المحلي واللجنة الشعبية في قرية كفر كنا إلى الاشتراك في مسيرة جماهيرية في الذكرى ال ٢٦ ليوم الأرض واحتجاجا على العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني.

وعمت أجواء الغضب والاستنكار البلدات العربية داخل «الخط الأخضر» وسارت مسيرات احتجاج على العدوان الإسرائيلي في الناصرة وسخنين وعرابة، ودعت الأحزاب الوطنية إلى تنظيم تظاهرات في البلدات العربية كافة.

ومن جهة أخرى فقد أقرت الحكومة الإسرائيلية خطة إعادة احتلال المدن الفلسطينية «لإلحاق الهزيمة بالبنية الإرهابية الفلسطينية».

وتحدث رئيس الحكومة الإسرائيلية أريئيل شارون، ووزير الدفاع بنيامين بن – إليعيزر في مؤتمر صحافي، عن قرار اجتياح الضفة الغربية ودعوة ٢٠.٠٠٠ من قوات الاحتياط للقضاء على «الإرهاب». ووصف شارون عرفات ب «العدو». و«أمل» الناطق باسم الحكومة الإسرائيلية، آفي بازنر، بأن تجد إسرائيل مفاوضين في «جيل من القادة الفلسطينيين أكثر اعتدالاً من ياسر عرفات». وأخذ بازنر على عرفات أنه كان دائماً «محارباً»، فهو «لم يتخل يوماً عن لباسه العسكري، وعن مسدس موضوع أمامه على الطاولة. وهذا يرمز إلى أنه محارب. لم يتوقف ياسر عرفات يوماً عن كونه محارباً، ولم يصبح حقاً رئيس دولة قط، ولا ننوي المساس بعرفات شخصياً، إننا ننوي، فقط عزله ولن نطرده».

وفي بيان صادر عن الرئاسة المصرية، أعربت مصر عن قلقها واستنكارها للعدوان وطالبت إسرائيل بوقفه فوراً، وحذرتها من المساس بالسلطة الفلسطينية ورئيسها، ومن التعرض للأماكن المقدسة.

وأعلن رئيس مجلس الشعب المصري، أحمد فتحي سرور، تأجيل الاجتماع، الذي كان مقرراً عقده في ١٢ نسيان في شرم الشيخ، بين رئيس الكنيست الإسرائيلي أبراهام بورغ ورئيس المجلس التشريعي الفلسطيني أحمد قريع، إلى أجل غير مسمى.

وصدرت إدانات للعدوان عن الأمين العام لجامعة الدول العربية، عمرو موسى، وفي مختلف العواصم العربية منها الملك عبد الله الثاني ملك الأردن، والملك المغربي محمد السادس بصفته رئيس لجنة القدس، والأمير عبد الله ولي العهد السعودي،

والرئيس اللبناني إميل لحود بصفته رئيساً للقمة العربية، ووجه الرئيس المصري حسني مبارك رسالة إلى الرئيس بوش دعاه فيها إلى التدخل لوقف العدوان.

كما دعا الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان إلى اجتماع عاجل لمجلس الأمن للبحث في تطورات الوضع في الشرق الأوسط، والى تنفيذ القرارات الدولية رقم ١٣٩٧ و ٢٤٢ و ٣٣٨.

وقال وزير الخارجية الأميركي كولن باول، في مؤتمر صحافي: إن الإرهاب، الذي يستهدف المدنيين الأبرياء، سدد ضربة خطيرة إلى مجهود تحقيق وقف إطلاق النار لإيجاد حل سياسي لازمة الشرق الأوسط. ومرة أخرى تسبب إرهابيون في نكسة لرؤيا الشعب الفلسطيني يحظى بدولة تعيش بسلام جنباً إلى جنب مع إسرائيل». وطالب عرفات «بأن يتصرف ضد أولئك المسؤولين عن هذه الأعمال». وأكد التزام إسرائيل بعدم إلحاق الأذى بعرفات بل «عزله» فقط، واعتبر ما تقوم به إسرائيل دفاعا عن النفس.

كما ندد الاتحاد الأوروبي بالهجوم الإسرائيلي، وأجرى الرئيس الدوري للاتحاد رئيس الحكومة الإسبانية، خوسيه ماريا أزنار اتصالا هاتفيا بالرئيس ياسر عرفات. وقال الرئيس جاك شيراك: إنه قلق جدا إزاء الوضع في الشرق الأوسط، حيث تدور مأساة حقيقية ودعا شارون وعرفات إلى أن يتخذوا على الفور جميع الإجراءات التي تؤدي إلى وقف العنف. إذ لا شيء يبرر إرهابا أعمى يطال المدنيين، وعملية نتانيا، ولا يمكن إلا إدانتها بشدة. «لكن الجميع يعلم في ضوء أحداث الأشهر الأخيرة، أن لا حل عسكريا لصراع الشرق الأوسط»، وانتقد وزير الخارجية الفرنسي، أوبير فدرين سياسة إسرائيل العسكرية والتدابير التي تتخذها ضد الرئيس الفلسطيني.





الرئيس ورفاقه قرأ الجميع الفاتحة واستعدوا للقاء ربهم

٢٠٠٢/٣/٣٠

ومنذ فجر يوم السبت ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٢ واصلت قوات الاحتلال عملياتها العسكرية واجتياحها لمعظم المدن والمخيمات الفلسطينية، وقامت بحملة مداهمة واسعة، وباعتقال عدد كثير من المواطنين، وفي مدينة رام الله، شرعت قوات الاحتلال في عمليات تجريف وهدم مباني المؤسسات الرسمية الفلسطينية في محيط مقر الرئاسة. فهدمت سبعة مبان في «المقاطعة » بعد الاستيلاء على أجهزة الكمبيوتر وآلات التسجيل والطباعة والملفات وغير ذلك من الموجودات ، واصلت قصفها المدفعي والصاروخي لمقار الرئاسة ومكتب الرئيس عرفات الأمر الذي أدى إلى استشهاد الملازم أحمد كلاب والملازم ناصر أبو شرار، كما أصيب عدد آخر بجروح، وحشدت القوات الإسرائيلية المزيد من الدبابات والمجنزرات داخل مقر الرئاسة، وهددت باقتحام مكتب الرئيس عرفات، وأعدمت قوات الاحتلال خمسة من ضباط الأمن الوطني بعد اعتقالهم، وذلك بإيقافهم إلى جدار بنك الأردن وإطلاق النار عليهم. وطوقت قوات الاحتلال مقر الأمن الوقائي في بيتونيا، وحلقت المروحيات فوق المقر. واعتقلت ١٤٥ فلسطينيا في رام الله بينهم قيس عبد الكريم «أبو ليلى» مساعد الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، واقتادته إلى جهة مجهولة. واقتحمت عمارة النتشة في وسط المدينة، وفيها مكاتب لمؤسسات سياسية وإعلامية، وأصيب في أثناء الهجوم عدد من المواطنين بجروح، وتم اعتقال أكثر من ثلاثين مواطناً بينهم صخر حبش عضو

اللجنة المركزية لحركة «فتح» وعدد من الكوادر الإعلامية، واحتلت القوات الإسرائيلية مبنى الإذاعة والتلفزيون ومبنى تلفزيون الشرق المحلي في رام الله. كما قطعت الماء والكهرباء والهاتف عن مقر الرئاسة، وطردت الكثير من الصحافيين العرب والأجانب، وأقدمت على سرقة الكثير من السيارات.

وفي البيرة بدأت قوات الاحتلال بتجميع الرجال من سن ١٥-٤٠ عاماً قرب المسجد العمري المتاخم لمبنى البلدية، وتمركزت ثلاث دبابات في ساحة مستشفى الرعاية الطبية العربية.

واقتحمت قوات الاحتلال مدينة الخليل تحت غطاء كثيف من نيران الدبابات والرشاشات الثقيلة، وتوغلت في منطقة باب الزاوية وحارة الشيخ وتمركزت أمام مدخل مستشفى عالية.

وفي محافظة بيت لحم، بدأت الآليات العسكرية الإسرائيلية اقتحام بلدة بيت جالا. وحولت الكثير من المنازل السكنية إلى ثكنات عسكرية، كما توغلت في اتجاه مدينة بيت لحم ومخيمات الدهيشة وعايدة والعزة بقصد إعادة احتلالها.

وحشدت قوات الاحتلال الدبابات والآليات العسكرية في اتجاه المنطقة الجنوبية والشرقية من محافظة قلقيلية في خطوة لاقتحام المدينة، كما شوهدت حشود عسكرية في مناطق رفح والقرارة وخان يونس.

وقد سارت تظاهرات حاشدة في نابلس ومدن قطاع غزة والبلدات العربية في إسرائيل، تنديدا بالعدوان.

وفي معرض المقاومة الباسلة للرد على الهجمات الإسرائيلية نفذ شاب فلسطيني عملية استشهادية في إحدى مقاهي تل أبيب، الأمر الذي أدى إلى إصابة ٢٧ إسرائيليا على الأقل ومقتل المهاجم، وقال التلفزيون الإسرائيلي: إن الهجوم استهدف مقهى «ماي كوفي شوب» الواقع في شارع اللنبي، الشارع الرئيس في وسط المدينة المكتظ بالمطاعم والمقاهي. وأعلنت كتائب شهداء الأقصى مسؤوليتها عن العملية، وصرحت أن المهاجم يدعى مهند صلاحات، ويبلغ من العمر ٢٢ عاما، وهو من بلدة طلوزة قرب نابلس.

وفي المنطقة المحتلة في جنوب لبنان هاجمت المقاومة الإسلامية سبعة مواقع إسرائيلية

في مزارع شبعا المحتلة. وردت إسرائيل بغارات جوية وبقصف بالدبابات لعدة مناطق في المزارع، إضافة إلى المدخل الشمالي لبلدة كفر شوبا ومحيط البلدات المجاورة.

***

وقد حذر وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر في مقابلة مع التلفزيون الإسرائيلي – القناة الثانية – الحكومتين السورية واللبنانية من أن إسرائيل ستضطر إلى التحرك لحماية حدودها الشمالية، وإذا استمر «حزب الله» في تصعيد الوضع لكنه أضاف أن «لا مصلحة لإسرائيل في فتح جبهة جديدة»، و«مصلحتنا احتواء الوضع لا توسيعه أو تصعيده»، وفي تصريح آخر قال بن إليعيزر أن إسرائيل لن تلحق الأذى بعرفات، وأنها هناك لمحاربة الإرهاب وبنيته التحتية، وأنه يعارض اعتقال عرفات أو إبعاده. وأضاف أن لا مصلحة لإسرائيل بإعادة احتلال المناطق الفلسطينية والسيطرة على ٣.٥ ملايين فلسطيني، لكنها ستحارب الإرهاب أينما وجد وفي كل مكان، وأضاف: أنه يؤيد المبادرة السعودية لكن ليس بكل تفصيلاتها.

نظمت «كتلة السلام» الإسرائيلية تظاهرة أمام وزارة الدفاع في تل أبيب احتجاجا على الهجوم العسكري على الشعب الفلسطيني، واستمرت التظاهرات في العواصم والمدن العربية استنكارا للعدوان الإسرائيلي، وتنديدا بالدعم الأميركي له، واستمرت الاتصالات بين القادة العرب لتبادل الرأي فيما يجب عمله إزاء الوضع في المناطق المحتلة.

أصدر مجلس الأمن القرار رقم ١٤٠٢ الذي يدعو إلى وقف إطلاق النار بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والى الانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من المناطق التي احتلتها بما فيها مدينة رام الله.

وعقد المجلس اجتماعا استثنائيا تحدث فيه الأمين العام كوفي عنان فدعا الدول الأعضاء إلى عدم السماح «للإرهاب والتطرف بأن يعرقلا السعي لحل سياسي»، وأدان «العمليات الانتحارية» التي ينفذها فلسطينيون من جهة و «الاستخدام المفرط للقوة» الذي لن يوصل إسرائيل «لا إلى الأمن ولا إلى السلام»، من جهة أخرى. وحذر مندوب فلسطين، ناصر القدوة، من المساس بعرفات، واتهم إسرائيل بالعمل لتدمير السلطة الفلسطينية وإعادة احتلال الأراضي الخاضعة للسيادة الفلسطينية، وقال مندوب إسرائيل إيهود لانكري: إن إسرائيل «لا تنوي احتلال الأراضي الخاضعة للسلطة

الفلسطينية»، وأن هذه السلطة «لم تدع يوما إلى الاعتدال وإنما دعت إلى الإرهاب». وقال الرجل الثاني في الوفد الأميركي جيمس كننغهام أن الإرهاب أدى إلى تراجع الأمل بقيام دولة فلسطينية». وفي الوقت نفسه دعا الإسرائيليين إلى التبصر في نتائج أعمالهم فقال: «إن الرئيس عرفات هو زعيم الشعب الفلسطيني وقيادته ضرورية من أجل الجهود لإحلال الهدوء». ودعا مندوب فرنسا، جان – دافيد لوفيت، عرفات إلى اتخاذ كل التدابير اللازمة «لوقف العمليات الإرهابية»، والإسرائيليين إلى «وقف الأعمال العسكرية فورا» وانسحاب القوات الإسرائيلية. ووصف ردة فعل رئيس الحكومة الإسرائيلية، شارون، بأنها «هروب كارثي إلى الأمام». ودعا مندوب الصين وانغ ينغ فان، إسرائيل إلى وضع حد ل «عدوانها البربري» ووصفه بأنه «ليس أقل من إعلان حرب على فلسطين».

طالب الرئيس جورج بوش الرئيس ياسر عرفات ببذل المزيد من الجهد لوقف «العمليات الانتحارية» مؤكدا حق إسرائيل «في الدفاع عن نفسها».

دانت وزيرة الخارجية اليابانية يوريكو كواغوشي العمليات ضد المدنيين، وحثت إسرائيل على ضبط النفس والانسحاب الفوري من مناطق الحكم الذاتي. ودان نائب رئيس الحكومة الماليزية عبدالله أحمد بدوي الاعتداء الإسرائيلي على مقر عرفات، وقال: إن رئيس الحكومة الإسرائيلية آريئيل شارون لا يريد السلام.

واتخذت مقاطعة بروكسل، التي تضم مقر الاتحاد الأوروبي، وعاصمة الحكومة الاتحادية البلجيكية قرارا بتجميد كل الاتفاقات التجارية والفنية مع إسرائيل. وصوت برلمان المقاطعة على القرار بأغلبية كبيرة. وأوصى رئيس حكومة المقاطعة بوقف الاتصالات أو العلاقات بإسرائيل بسبب «الانتهاكات الخطيرة» التي تمارسها في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وانضمت بروكسل، بعد هذا القرار، إلى مقاطعة الفلامان التي جمدت العلاقات بإسرائيل في سابقة هي الأولى في دولة الاتحاد الأوروبي.

* * *

واجه الرئيس عرفات وثلاثمائة من جنوده ورفاقه ثلاثة أيام عصيبة هي أيام الحصار الأولى، وكان طائر الموت يحوم في سماء المقاطعة، وكانت الشهادتان والآيات القرآنية

والابتهالات والأدعية تتردد على الشفاه، وتلهج بها القلوب والألسنة في كل لحظة.. ومع كل صاروخ، وقذيفة مدفع وصلية رشاش.

في ساعات الفجر الأولى في اليوم الأول للاجتياح ما كادت خيوط الفجر الأولى تنبثق حتى اندفعت مئات الدبابات، وراحت تتقدم من محوري المدرسة الهاشمية، وجنوب مدينة البيرة، وبيتونيا مرورا بحي عين مصباح غرب رام الله، وقد سبق تقدم هذه الدبابات واندفاعها، دخول وحدات خاصة إسرائيلية لاكتشاف الطريق أمام عملية التوغل. وقد جوبهت هذه القوات بقوات من الاستخبارات العسكرية الفلسطينية، واشتبكت معها في حي عين مصباح. ومن ثم استدعت القيادة على عجل القوات التي كانت ترابط في ميدان المنارة وسط مدينة رام الله.. كما استدعت كافة القوات القريبة من مقر الرئاسة للمرابطة في الخطوط الدفاعية الأولى لمقر الرئاسة. وبمرور الوقت بدأت القوات الإسرائيلية بالاقتراب، متجنبة المحاور الرئيسة التي توصل إلى المدينتين التوأم البيرة ورام الله. وما إن اقتربت الساعة من الخامسة والنصف صباحا، حتى بدأت فوهات المدافع بقصف بوابات الرئاسة والأسوار المحيطة بالمقر، وكان حرس الرئيس الخاص، وقوات أمن الرئاسة ال «١٧» خلف الأسوار تتمترس في خط الدفاع لصد التقدم الإسرائيلي نحو المقر، إلا أن القوة غير المتكافئة، دفعت بالجميع للتراجع أمام فوهات المدافع الإسرائيلية.

وما هي إلا ساعات قليلة؛ حتى تمكنت دبابات الاحتلال، من هدم الأسوار القريبة للمقر، ومن ثم اخترقت مبنى الاستخبارات الذي يقع في مقدمة المدخل الغربي للرئاسة وفي الوقت ذاته، بدأت هذه الدبابات بهدم البوابة الشرقية، وتمكنت من دخول مبنى المخابرات العامة الذي يقع في مقدمة البوابة الشرقية وقصفته بصورة عنيفة، وكأنها تصب جام غضبها وحقدها انتقاما من هذا المبنى ومن الذين يتواجدون فيه، وعندما اقتربت قوات الاحتلال الغازية من مبنى المخابرات العامة، نزل الرئيس عرفات من مكتبه في الطابق الثالث إلى الطابق الثاني، واختار إحدى الغرف مقرا له ولتكون أيضا غرفة عمليات لإدارة معركة الوجود الفلسطيني.

وفي هذه الأثناء كانت البوابة الداخلية للمقر تشهد معركة شرسة بين حرس الرئيس وقوات أمن الرئاسة المعروفة باسم قوات «ال ١٧»، وبين قوات الاحتلال المدعومة بالدبابات والمجنزرات إلا أن المتاريس المصفحة التي وضعها حرس الرئيس في مقدمة

البوابة لم تصمد، فقد استشهد في الدقائق الأولى من الاشتباك مع قوات الاحتلال، الضابط شاهر أبو شرار، وأصيب أكثر من ثمانية عشر جنديا وضابطا من حرس الرئيس الخاص.

وأمام شراسة وعنف وحجم الهجوم الإسرائيلي بدأ حرس الرئيس وأفراد قوات أمن الرئاسة بالانتشار، وأخذ مواقع جديدة لهم داخل مقر الرئاسة الذي كان مصمما على شكل مستطيل تتواجد فيه مقرات الأمن الوطنيّ والمخابرات العامة، وقوات أمن الرئاسة.. القوة «١٧»، ومقر المحافظة، بالإضافة إلى مقر الرئيس عرفات، وجمع هذه المقرات متصلة بعضها ببعض.

وبفعل القصف المتواصل الكثيف استطاعت قوات الاحتلال أحداث ثغرات عديدة في مبنى المخابرات، ومن ثم تمكنت من النفاذ إلى داخل مبنى المخابرات. وبذلك أصبحت الجهة الشرقية لمبنى الرئيس عرفات محتلة تماما، ولم يعد بين قوات الاحتلال وغرفة الرئيس سوى حائط واحد، ومن هنا بدأت التهديدات تزداد وأخذ الوضع يصبح أكثر خطورة، في حين واصلت قوات الاحتلال التقدم من جهة مقر المحافظة التي يتواجد بداخلها أفراد قوات ال ١٧، والذين شكلوا رأس حربة في معركة الدفاع عن حياة الرئيس عرفات. وتصاعدت أحداث المعركة واشتدت حتى أصبحت المواجهات وجها لوجه، ومن غرفة إلى أخرى، وكان جنود الاحتلال قد بدؤوا ينتشرون في غرف قوات الأمن الوطني، وأخذوا يقتربون بسرعة إلى مقر المحافظة عبر البوابة الرئيسة ومن خلال الفتحات الداخلية للغرف.

في هذه اللحظة الحاسمة، قرأ جميع من في المقر الفاتحة، وتلوا جميعهم الشهادة، واستعدوا للقاء وجه ربهم شهداء أبرار في سبيل الواجب والوطن..

استعد الجميع للموت والشهادة، واندفع المقاتلون ببسالة وروح استشهادية عالية للقتال حتى الرمق الأخير، وبدأ الرصاص ينهمر كالمطر تجاه قوات الاحتلال من كافة المحاور لصدهم وإيقاف تقدمهم، وبالفعل وبعد أكثر من ساعة ونصف من المواجهة داخل غرف المحافظة استطاع حرس الرئيس صد جنود الاحتلال وأجبروهم على التراجع.

وقد وصف الزميل الصحفي رشيد هلال مراسل صحيفة «الوطن» الكويتية وأحد الذين كانوا في الحصار ما حدث في ذلك اليوم فقال: أن المقاتلين الفلسطينيين كانوا في

حالة خوف شديد على الرئيس، وذلك بسبب وجود باب خلفي يربط بين مقر الرئيس ومقر المحافظ وكانوا يخشون أن يحتل الجنود الإسرائيليون هذه المنطقة ويسيطرون على المدخل وبالتالي تضييق المساحة التي يتحرك فيها الرئيس ويتضاعف الخطر على حياته.

ومن شهادات الأصدقاء الذين كانوا مع الرئيس والذين أعرفهم واحدا واحدا وكنت على اتصال معهم: الأخ ماهر، وأشرف، والكابتن يوسف، وأبو فراس، وحسان وفايز ومدير مكتبه د. رمزي خوري.. علمت أدق التفاصيل عن هذه المواجهة البطولية التي خاضها الرئيس عرفات، الذي كان يقود قوات حرسه وبقية الجنود، وكان يوزع عليهم السلاح ويمدهم بالعزم والصبر والثبات.. تارة بالكلمات القليلة، وتارة بالنظرات وتعبيرات الوجه والملامح التي تدل على الثقة والعزم والإيمان، والتي تستهين بالموت في سبيل المبدأ، وقد أكد ذلك كثير من المحاصرين فيما بعد.

وقد ذكروا جميعا أن الرئيس عرفات لم يَكُن يغمض له جفن طوال الليلة الأولى، وأنه وزع البنادق الرشاشة على المقاتلين، وقال لهم بثقة وإيمان وشجاعة القائد ورباطة جأش المؤمن «إنهم لن يأخذوا منا أسيرا واحدا».

إنه يدعوهم للنضال حتى الشهادة، وكان الجميع يبدون الإخلاص والتجاوب والانضباط في بسالة الفلسطيني المناضل الذي يستهين بالموت حين تحين ساعة الشهادة.

وعلق أحد المحاصرين على ثبات الرئيس عرفات وشجاعته فقال: أي قوة عجيبة في ذلك الشيخ الذي يدق أبواب الخامسة والسبعين يدعونا إلى النضال والاستبسال، والموت يكمن وراء حائط، بيننا وبينه بضعة أمتار أو بضعة أشبار أي سر في ذلك الشيخ، وأي ثبات وأي عزيمة.. لقد هان علينا جميعا أن نضع أرواحنا بين يديه، وأن نفتديه بمهجنا وأرواحنا وصدورنا..

إن مشهد الرئيس في تلك اللحظات الحاسمة، وطائر الموت يحوم فوق رؤوسنا لا يمكن أن ينمحي من ذاكرتي مهما تعاقبت سنوات الدهر، ومهما مرت الأيام والشهور على مدى الأزل.

واصل الرئيس عرفات جولته في الطابق الثاني، وأخذ يتفحص عيون المحاصرين المتواجدين معه في الطابق الثاني وكأنه يرى فيها عالما آخر، غير الذي يعيش فيه من

قصف مدفعي وموت محقق، كان عرفات ثابت القلب، رابط الجأش، يَبثُّ الطمأنينة والعزم والثبات في نفوس أبنائه وجنوده ومعاونيه، ويحثهم بثبات عبر نظراته الثاقبة، داعيا الجميع إلى الصبر والصمود.

كانت هذه هي مواجهات اليوم الأول من أيام الحصار.. يوم الخميس ٢٩ آذار من عام ٢٠٠٢م وفي اليوم الثاني للحصار..

واصل الرئيس عرفات سيره في الممر الضيق من الطابق الثاني وهو ممسك بجهاز الاتصال اللاسلكي. وقد لجأ إلى هذه الوسيلة بعد أن انقطعت الاتصالات الأرضية والخلوية مع الخارج، وقد شكل ذلك أزمة حقيقية للرئيس عرفات، فهو غير قادر على أن يجري اتصالاته مع القادة والزعماء العرب والغربيين لحثهم على الضغط على شارون لوقف العدوان على مقره وعلى الشعب الفلسطيني.

ولذلك لجأ الرئيس إلى الاتصال بالمسؤولين الفلسطينيين ممن بقوا خارج الحصار إلى جهاز اللاسلكي وحثهم على الاتصال بالزعماء والمسؤولين في الوطن العربي والعالمي ليعملوا ما في وسعهم لوقف العدوان، وكان ممن اتصل بهم الرئيس، الطيب عبد الرحيم، وصائب عريقات، وياسر عبد ربه، وأمين الهندي وغيرهم وطلب منهم عبر جهاز اللاسلكي أن يقوموا بنقل رسائل عاجلة إلى زعماء العالم العربي والغربي ليتدخلوا لوقف هذه الهجمة البربرية الشرسة ضد الشعب الفلسطيني وضد رئيسه المنتخب.

وطلب الرئيس من المسؤولين الفلسطينيين وضع الإدارة الأميركية والزعماء الأوروبيين في صورة الموقف، ويبدو أن كل هذه المحاولات قد ذهبت أدراج الرياح، ولكن الرئيس لا ييأس. ولا يستسلم فهو يواصل التنقل بين المحاصرين.. مطالبا الجميع بأخذ أقصى درجات الحيطة والحذر ويطلب من الجميع أن لا يداخلهم الخوف.. ولا الهلع.. ويؤكد لهم أن الثبات والصبر من سمات الإنسان الفلسطيني.. ورغم تشجيع الرئيس للجميع. إلا أن الشفاه كانت تتحرك ناطقة بالشهادة.. في لحظة استسلام قدرية استعدادا للموت القادم حيث تتواصل الانفجارات ويتصاعد دويها بصورة متلاحقة، كأنها تفتح أبواب الجحيم للنار والرصاص والقذائف.

* * *

وخلال هذه اللحظات الحاسمة في انتظار الموت ارتفع صوت الرائد وليد عبدو من

أفراد حرس الرئاسة الذي كان يتحدث مع خاله عبر مكالمة خاصة. هتف وليد الذي كان يستعد لمقابلة الموت قائلا لخاله بصوت ملؤه الخشوع والشجن:

- أرجوك يا خالي .. سامحني.. سامحني يا خالي.

وقد ارتفع صوت وليد، وسمعه الكثيرون من المحاصرين حتى أن صوت وليد وصل مسامع الرئيس عرفات.. وأحدثت عبارات وليد وهو يطلب من خاله أن يسامحه حالة من الترقب المرير المحفوف بالخطر في انتظار الموت، وفي مكان آخر من الطابق الثاني كان الضابط وليد حمد يخط بيد ثابتة وحروف بارزة على جدار الممر عبارة «أهلا بروائح الجنة». وهي نفس العبارة التي أطلقها أبو عمار في ذروة حصار بيروت، وكان العدو الإسرائيلي يوشك أن يطبق على المقاتلين في لحظة يأس قاتلة.

وفي اليوم الثاني للحصار استطاعت قوات العدو الإسرائيلية اختراق شبكة الاتصالات اللاسلكية الخاصة بحرس الرئيس وبدأت تتعالى عبر الأجهزة اللاسلكية عبارات يطلقها ضباط الاحتلال الإسرائيلي، ويوجهونها إلى حرس الرئيس، يطلبون منهم الاستسلام وملوحين بوعودهم السرابية بأنهم سيعاملون كل من يسلم نفسه معاملة قوامها الاحترام.

ولكن حرس الرئيس كانوا يقابلون هذه العبارات بسخرية، وكانوا يترفعون عن الرد عليها غير أن بعضهم كانوا يردون قائلين:

- اذهبوا إلى الجحيم.. أنتم الذين يجب أن تسلموا أنفسكم وترحلوا من هنا.

وكانت إجابة الرائد سهيل عيسى من قوات أمن الرئاسة «ال ١٧»:

- أنتم الذين دخلتم رام الله وعليكم أن تفكروا كيف ستخرجون منها أحياء.

واصل الرئيس جولته بتفقد الجنود ويتفحص غرف المقر، ويطلب من الحرس أن يتناوبوا في أخذ قسط من الراحة أو النوم، ولكن لا أحد ينام ودوي المدافع يتواصل دون انقطاع.

وأخيرا انطوى ليل اليوم الثاني من الحصار، وأشرقت شمس اليوم الثالث، وتسللت خيوط الشمس الذهبية مخترقة الشقوق والفتحات التي أحدثتها القذائف .

وها هو فجر يوم جديد يطل.



ربيع الحصار الدامي

لحظات رهيبة بين الحياة والموت

الأحد ٢٠٠٢/٣/٣١

يوم الأحد الموافق ٣١/ ٣/ ٢٠٠٢ واصلت القوات الإسرائيلية هجومها لاستكمال احتلال مدينتي رام الله والبيرة والمناطق المحيطة بهما. كما واصلت مداهمة المنازل والمؤسسات، فقطعت الكهرباء والاتصالات الهاتفية والتموين عن المدينتين.

في رام الله حاولت هذه القوات اقتحام مقر الرئيس عرفات والقيادة فتصدت لها قوات الحرس الخاص، وأدى ذلك إلى جرح عدد من الحرس والمدافعين عن المقر.

ومنعت القوات الإسرائيلية وصول سيارات الإسعاف لنقل الجرحى واحتلت مقر محافظ رام لله البيرة الكائن في منطقة «المقاطعة» كما احتلت إحدى الغرف التابعة لمقر عرفات، واحتلت مبنيين آخرين من مقر جهاز الأمن الوقائي في ضاحية بيتونيا في المدينة، وعززت حصارها للمقر بقوات إضافية، وقصفت القوات الإسرائيلية المناطق السكنية والمنشآت المدنية في منطقتي المنتزه ورام الله التحتا، وأحرقت غرفة تجارة رام الله وجرت اشتباكات عنيفة في عدد من مناطق المدينة، وخصوصاً في منطقة البنك العربي ومخيم قدورة وأم الشرايط ورام الله التحتا، ونسفت قوات الاحتلال مقر قيادة الشرطة الفلسطينية المسؤول عن شؤون مدينة القدس في رام الله، وكانت القوات استولت على المبنى صباحاً وعبثت بمحتوياته واقتحمت مستشفى الرعاية الطبية العربية واحتجزت جميع الأطباء والممرضين داخله، وهذا هو المستشفى الرابع الذي تقتحمه قوات الاحتلال بعد مستشفى رام الله الحكومي ومستشفى الشيخ زايد ومستشفى جمعية أصدقاء المريض

لتأهيل المعاقين (أبو ريا)، وأقدمت قوات الاحتلال على قتل ٣٠ مواطناً في بناية قريبة من مستشفى الناظر للتوليد في رام الله ومنعت وصول سيارات الإسعاف.

وداهمت قوات الاحتلال مقر «وكالة أنباء الشرق الأوسط» المصرية في رام الله واعتقلت موفد الوكالة، وطلب الجنود من الصحافيين الموجودين في المدينة مغادرتها.

وروى مراسلون أجانب أن الجنود يداهمون المباني، ويحطمون أبواب الشقق من دون أن يطلبوا من سكانها أن يفتحوا لهم وثم يتلفون الأثاث فيها ويجمعون سكان المبنى في شقة واحدة، وقالوا: إنهم رأوا الجنود يقودون شباباً مكبلين ومعصوبي الأعين، وحلقت المروحيات الحربية في أجواء رام الله.

ومنعت قوات الاحتلال وفداً كنسياً رفيع المستوى برئاسة البطريرك ميشيل صباح، بطريرك القدس للآتين والأراضي المقدسة من الدخول إلى مدينة رام الله ولقاء الرئيس عرفات، كما منعت وفداً من شخصيات عربية ويهودية من إسرائيل وأنصار سلام أوروبيين من دخول إلى رام الله ولقاء عرفات تعبيراً عن التضامن مع الشعب الفلسطيني، واشتبك بعض أعضاء الوفد (عضوا الكنيست طلب الصانع وأحمد الطيبي) بالأيدي مع الجنود على حاجز قلنديا، واعتقلت قوات الاحتلال عدداً من أعضاء وفد الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني بعد تمكنه من لقاء عرفات في مقره المحاصر في رام الله.

* * *

ولم تكتف آلة الدمار الجهنمية الإسرائيلية بما أحدثته من دمار وموت في رام الله فأخذت القوات الإسرائيلية تستعد لدخول مدينتي طولكرم وقلقيلية الواقعتين تحت حصار شديد، واقتحمت قوات الاحتلال قرية صيدا شمالي محافظة طولكرم في الضفة الغربية. وخلال عملية الاقتحام، اغتالت المواطنين أحمد فتحي عجاج وعزمي عجاج. ووصلت قوات الاحتلال توغلها في مدينتي بيت لحم وبيت جالا والمخيمات المحيطة بهما وعملت على عزلهما.

كما تتوغل القوات الإسرائيلية إلى داخل المنطقة «H1» من مدينة الخليل محاولة احتلال بعض مؤسسات السلطة الوطنية الرسمية والعبث بمحتوياتها والاستيلاء على الوثائق، وأفادت مديرية الأمن العام في الضفة الغربية أن عدة دبابات إسرائيلية توغلت في مناطق أبو سنينة وطلعة الكرنتينا المطلة على الجزء المحتل من المدينة.

كما عززت قوات الاحتلال حشودها في قرية تل جنوبي غربي نابلس. ونشرت الكثير

من جنودها في محيط تل – بورين بينما ترابط دبابات ومجنزرات على جبل الطور بالقرب من منطقة عراق بورين. واحتجزت عشرات المواطنين وأوقفتهم في العراء عدة ساعات.

وقد حشدت إسرائيل مزيداً من الدبابات والمجنزرات في قطاع غزة بالإضافة إلى تضييق الحصار، إذ أغلقت جميع المنافذ والشوارع الرئيسة الواصلة بين محافظات شمال القطاع وجنوبه، وفرضت قوات الاحتلال حصارا مشدداً على المنطقة الصناعية في بيت حانون في شمال قطاع غزة، وتعتبر المنطقة الصناعية في بيت حانون من أقدم المناطق الصناعية في القطاع، وتضم الكثير من مصانع الخياطة وورش التجارة والحدادة ويعمل فيها أكثر من ٣.٠٠٠ عامل. وأوردت التقارير أن القوات الإسرائيلية أجبرت العمال على خلع ملابسهم، واعتدت عليهم بالضرب وأجبرتهم على مغادرة المنطقة، وشنت الطائرات الحربية غارات وهمية على مختلف أنحاء القطاع.

وشهدت المناطق المحاذية الـ «الخط الفاصل بين قطاع غزة والخط الأخضر» تعزيزات عسكرية، تركزت في منطقتي الفراحين وصوفا في محافظة خانيونس، وقد أعلنت مصادر وزارة الدفاع الإسرائيلية أن الجيش صادر كميات من الأسلحة في أثناء اجتياحه مدينة رام الله.

وفي المنطقة المحتلة في جنوب لبنان أطلق مسلحون من بلدة راميه (قضاء بنت جبيل) النار من رشاشين خفيفين على موقع عسكري إسرائيلي في القطاع الغربي من الحدود اللبنانية – الإسرائيلية، وردت إسرائيل بإطلاق النار من رشاشات ثقيلة وبإطلاق القنابل المضيئة فوق المنطقة، بينما حلقت مروحية إسرائيلية من طراز «أباتشي» بحثا عن مطلقي النار.

***

وقد التقى الرئيس ياسر عرفات وفد الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني الذي تمكن أعضاؤه من اختراق الحصار العسكري حول المقر، ثم تعرض بعضهم للاعتقال بعد ذلك. وقد أدلى عرفات بعدة أحاديث صحافية طالب فيها بقوات دولية لوقف العدوان، ورداً على سؤال عن احتمال المساس به فقال: «هل تعتقدون أن الصواريخ يمكن أن تميز بيني وبين إخوتي الموجودين معي، ليس المهم ما أواجهه أنا، بل المهم ما يواجهه أبناء شعبي ليلا ونهاراً، وتحدث عن معاناة الفلسطينيين اليومية: عن النساء اللواتي يلدن على الحواجز، عن المواطنين الذين يعتقلون وتكتب الأرقام على

أذرعهم، كما فعل النازيون، وفيما يتعلق بالاقتراحات المتداولة بشأن إبعاده أو اعتقاله قال: «لقد أعلنوا ذلك كثيراً ولكنني أقول لهم إنني أحد شهداء شعبي الفلسطيني»، وأضاف: «نحن الشعب الوحيد الذي يرزح تحت الاحتلال وتستخدم ضده كل هذه الأسلحة بما فيها الأسلحة المحرمة دولياً، والأسلحة الأمريكية إف ١٥ واف ١٦ والدبابات والمجنزرات والصواريخ». وردد عرفات مقولته الشهيرة: «إن شاء الله زهرة من زهرات فلسطين سترفع علم فلسطين فوق أسوار القدس ومآذن القدس وكنائس القدس».

وقد أعلن المدير العام للجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة (القانونى) خضر شقيرات أن الجمعية تعمل لجلب عدد من الأطباء الدوليين من الخارج للتحقيق في الجرائم البشعة التي نفذتها قوات الاحتلال في رام الله. وأدان شقيرات عمليات المداهمة المتكررة التي قامت بها قوات الاحتلال للمستشفيات ومداهمة «مركز تنمية الديمقراطية» التابع للجمعية، ومكاتب مؤسسة «الضمير» واقتحام مقر مؤسسة «الحق» في رام الله، داعياً إلى تدخل دولي عاجل لوقف الجرائم الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، واعتبر أن بث المواد غير الخلقية والتحريضة من قبل الاحتلال في محطات التلفزة المحلية بعد السيطرة عليها عمل إجرامي وانتهاك خلقي سافر يجب عدم السكوت عنه.

وقد وجه رئيس الحكومة الإسرائيلية أريئيل شارون كلمة متلفزة جاء فيها: «إن دولة إسرائيل في حرب، وهذه الحرب فرضت علينا»، وأضاف: «هذا الإرهاب يديره ويوجهه ويبادر إليه رجل واحد هو رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات، إن رئيس السلطة الفلسطينية هو عدو إسرائيل وعدو العالم الحر بأكمله، إن عرفات عقبة أمام السلام في الشرق الأوسط ويشكل خطرًا على استقرار المنطقة كلها».

وأعرب أريئيل شارون، في حديث إلى شبكة التلفزة الأميركية CBS عن استعداده لحضور اجتماع مع زعماء ينظمه الرئيس جورج بوش لمناقشة «مبادرة السلام العربية ». ووصف المبادرة بأنها «مهمة» لكن الآن يجب أن نرى التفصيلات».

وقد صرح وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس في مقابلة له مع التلفزيون الإسرائيلي بقوله: «لا نريد أن نعرّض علاقاتنا بمصر والأردن للخطر ولا نريد خنق المبادرة السعودية»، وقال: «إن هذا القدر من «العزل» لعرفات «يسيء إلى إسرائيل» ويجب عدم التركيز على «محاربة الإرهاب». وأضاف: أخطأنا إعلامياً، «عندما ننشر دبابة، يجب أن نعلم أين الكاميرات» وفي مؤتمر صحافي، قال بيرس: «إننا نخوض

معركة وجودنا وبقاء شعبنا».

وطالب رئيس الكنيست الإسرائيلي، أبراهام بورغ الحكومة بأن تقول للمواطنين «لماذا نقاتل» و «إلى أين ستقودنا هذه العملية».

وأعلن رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي الجنرال شاؤول موفاز في مقابلة متلفزة أن إسرائيل في حال حرب ضد الإرهاب، وأن قرار عزل الرئيس عرفات هو قرار سياسي. وأضاف أنه من الصعب جدا التوصل إلى اتفاق مع عرفات لأنه اختار تحقيق أهدافه السياسية بواسطة الإرهاب والعنف لا بواسطة المفاوضات.

كما أعلن رئيس دائرة التخطيط في الجيش الإسرائيلي الجنرال غيورا إيلاند في مؤتمر صحافي إن عملية «السور الواقي» لا تهدف إلى إعادة احتلال المناطق الفلسطينية، وإنما إلى الحد من قدرة «الإرهابيين» على الوصول إلى إسرائيل، وأضاف أن الجيش سيبقى في رام الله لأسابيع على الأكثر، وليس أشهرًا.

وقد اقتحم مستوطنون من «جماعة أمناء الهيكل» المتطرفة البلدة القديمة في القدس، ونظموا مسيرات استفزازية جابت شوارع البلدة وعلى مقربة من بوابات الحرم الشريف، ثم توجهوا إلى حائط البراق، واعتدوا على المواطنين المقدسيين وأملاكهم وأغلقت قوات الاحتلال الطريق الوحيدة الواصلة بين جنوب الضفة وشمالها بوضع سواتر ترابية ضخمة.

وقد طالبت منظمة «أطباء لحقوق الإنسان » (فرع إسرائيل) في بيان أصدرته بوقف اعتداءات الجيش الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، ووصفت منع سيارات الإسعاف من إخلاء الجرحى والمصابيين في رام الله بأنه « تجاوز لكل الخطوط الحمر».

وقد وقَع نحو ألف شخصية إسرائيلية من رجال الأدب والفن والثقافة المناصرين للسلام عريضة تطالب الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، بالمبادرة إلى عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لوقف الحرب التي أعلنتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني وقادته، ومن أجل إرسال قوة تدخل دولية لحماية هذا الشعب.

وقد هدد العاهل المغربي محمد السادس رئيس الحكومة الإسرائيلية أريئيل شارون باتخاذ إجراءات ضد إسرائيل إذا لم تنسحب من رام الله.

وأدان اتحاد المحامين العرب العدوان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، وطالب المجتمع الدولي بالتدخل لحماية الفلسطينيين.

وأعلن الرئيس جاك شيراك على القناة الخامسة للتلفزة الفرنسية: أن إسرائيل لن تحصل على الأمن بواسطة القوة، وأنّ الفلسطينيين لن يحصلوا على الاعتراف بحقوقهم بواسطة الإرهاب.

وحث وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر الحكومة الإسرائيلية على «ضمان السلامة الشخصية للرئيس عرفات» واعتبر أن استمرار المواجهة يعرض الاستقرار في الشرق الأوسط بكامله للخطر

كما وجه وزير الخارجية اليوناني جورج بابندريو، نداءً إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير خارجيته لضمان أمن الرئيس عرفات وسلامته.

وقد تظاهر مئات الأشخاص في باريس مساء ٣١/ ٣ بناء على دعوة من رابطة «فرنسا – فلسطين – تضامن»، للمطالبة بـ «إرسال قوة حماية دولية للشعب الفلسطيني على الفور»، وفي مدينة تاسبري في وسط فنلندا، سارت تظاهرة حاشدة نظمتها «لجان السلام الفنلندي» لدعم الشعب الفلسطيني، واحتجاجاً على العدوان الإسرائيلي المستمر وحصاره لرام الله ولمقر الرئيس عرفات. وكان في طليعة المتظاهرين البروفسور الإسرائيلي المعروف أوري ديفز.

ومن دفتر يوميات رشيد هلال عن تلك الفترة كتبت ما يلي:

الشعور بالخطر يتعاظم في النفوس.. وكل دقيقة تحمل المزيد من انفعالات الانفجار والقلق، ومحاولات اقتحام مبنى الرئاسة تتواصل على مدار الساعة..

نفدت المياه.

ونفذت كميات التموين في المقر وأصبح الذهاب إلى دورة المياه مغامرة محفوفة بالهلاك فأي حركة غير محسوبة قد تكلف الإنسان حياته.

وطوال اليوم الثالث من الحصار، كانت قوات الاحتلال تعزز من تواجدها في محيط مقر الرئاسة، وتواصل محاولات اقتحامها لمقر الرئاسة عبر فتح المزيد من الثغرات الداخلية في المباني الملاصقة لمقر الرئيس عرفات، فيما قامت قوات الاحتلال بعمليات تمشيط واسعة داخل المباني التي استطاعت الوصول إليها خوفا من وجود جيوب للمقاومة.

ومع ساعات المساء هدأت حدة القصف، ثم توقفت كليا، وانطلقت مكبرات الصوت تطلب من المحافظ مصطفى عيسى «أبو فراس» محافظ رام الله والبيرة، والذي

كان محاصرا مع الرئيس عرفات، الخروج إليهم للتفاهم كما قالوا.

خرج أبو فراس إليهم، وكان بانتظاره في مرآب الرئيس عرفات قائد اللواء العسكري الإسرائيلي الذي أنيط به احتلال مقر الرئاسة، وكان بصحبته ضابط استخبارات كبير، والعقيد أبو عمري، مسؤول الارتباط العسكري الإسرائيلي، حيث طلبوا من المحافظ إبلاغ الرئيس عرفات رسالة مفادها، أن لديهم قرارا باقتحام مقر الرئيس عرفات لأخذ المطلوبين المتواجدين بداخله، ورد عليهم المحافظ، إنه وبحكم الاتفاقات الموقعة بين الجانبين لا يمكنكم الدخول إلى مقر الرئاسة.

ولكن قائد الحملة العسكرية قاطعه بقوله:

- ليس هناك أي اتفاقيات.

فقال أبو فراس:

على كلٍّ أنا سأنقل الرسالة إلى الرئيس عرفات.

وذهب دون أن يرجع إليهم.

وقد عقب المحافظ أبو فراس على تلك الحادثة بقوله:

- أن لديهم إصرارا غريبا على إذلال الفلسطينيين.

ومن المعروف أن الإسرائيليين كانوا قد قطعوا الاتصال مع مسؤول الارتباط العسكري الفلسطيني العميد ربحي عرفات والذي كان متواجدا هو الآخر داخل الحصار مع الرئيس عرفات، وكانت مهمة العميد عرفات الاتصال والتنسيق مع الجانب الإسرائيلي في حال نشوب خلافات أو مواجهات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، إلا أن الحكومة الإسرائيلية قررت إلغاء مهمة الارتباط العسكري بين الجانبين محاولة إعادة ما يسمى بالإدارة المدنية التي كانت موجودة طوال فترة الاحتلال ومنذ العام ١٩٦٩.

كانت النصف الساعة التي استغرقتها مهمة المحافظ «أبو فراس» كأنها دهر بالنسبة للمحاصرين، لأنها لاحت لهم كبارقة أمل في إنهاء هذه المأساة، ولأنها ستحدد ملامح المعركة القادمة، ولما عاد المحافظ.. وتبين للجميع حقيقة الموقف ارتفعت حالة الاستنفار في صفوف جميع المحاصرين.

ومن المؤكد أن عدم عودة المحافظ للرد على رسالة الإسرائيليين أدت إلى

استفزازهم، وأثارت غيظهم فاقترب جنود الاحتلال من بوابات مقر الرئيس الداخلية بحماية من الدبابات وبدؤوا بطرق الأبواب المؤدية إلى مقر الرئيس عرفات، عندها أيقن الجميع أن الاقتحام وشيك.

وكان الرئيس عرفات يواصل محاولاته في إرسال رسائل إلى الزعماء العرب والأوروبيين عبر اتصاله بصائب عريقات الذي رد على مهاتفة الرئيس قائلا:

لقد أسمعت لو ناديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنادي

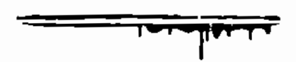
وعندما علم الرئيس أن الإسرائيليين يقتربون أكثر، وفي نفس الوقت يزعمون للأطراف الدولية والعربية بأنهم أوقفوا زحفهم نحو المقر هتف الرئيس: هذه مؤامرة لأن الإسرائيليين يكذبون، وأن وزير حربهم يضلل الأطراف العربية والدولية. وهو يزعم أن قوات جيشه قد توقفت عن عمليات قصف المقر.

ومع صوت الرئيس الغاضب سادت أجواء المقر سحابة يأس قاتمة، وارتفع وجيب القلوب، وازدادت خفقانا وأخذت الشفاه تتمتم بآيات من الذكر الحكيم والشهادة لا تفارق شفاه الجميع فكانت لحظة الموت تقترب رويدا رويدا يشعر الجميع بها وكأنها القدر العنيد.

يقول أحد المحاصرين معلقا على أحداث اليوم الثالث من الحصار: لقد كانت الأيام الثلاثة الأولى للحصار قاسية مؤلمة بكل تفاصيلها، ولكني حسمت أمري وتوكلت على الله العلي القدير، وأدركت بأن الشهادة هي مطلب كل مؤمن فحسب، وقد أدخل هذا الشعور الطمأنينة إلى نفسي ولم أعد أعبأ بقذائف المدافع وأزيز الرصاص.

ويقول رشيد هلال: كان الموت يقترب منا رويدا رويدا.. وكنا نشعر بأننا في جبهة جهنمية، حيث تنقض عليها قوات العدو من كل جانب، وقد تألمت كثيرا عندما تذكرت والدتي التي شعرت بألمها وحزنها عندما يزفون لها نبأ استشهادي، لكني كنت متأكدا أن صلواتها ودعاءها الدائمين ستحميني من بربرية وجحيم هذه المعركة.

هذا ما كان يجري هناك في كواليس المقر وما كان يحدث متزامنا مع هذه الأيام الثلاثة سأعرض له في الصفحات التالية.



في مطلع الربيع.. في موسم الزهر والحياة نصبوا منارات الموت والدمار

الاثنين ١/٤/٢٠٠٢

وفي يوم الاثنين الموافق ١/ ٤/ ٢٠٠٢ قصفت قوات الاحتلال عدة مبان سكنية ومجمعات تجارية وسط مدينة رام الله، وتركز القصف بالقرب من منطقتي دوار الساعة و رام الله التحتا، وحلقت طائرات مروحية فوق المدينة، ونسفت الطبقة الثانية في بناية الرموني السكنية، ودمرت مسرح القصبة، وشبكات الربط والمحطات والكوابل الرئيسية التابعة لشركة كهرباء محافظة القدس في منطقة رام الله. وقصفت عمارة الميدان القريبة من دوار الساعة وفيها وزارة المالية، وكذلك مقر الإغاثة الطبية. وطاردت قوات الاحتلال الصحافيين ومنعتهم من القيام بعملهم في المدينة. واختطف جنود إسرائيليون سيارة إسعاف.

وتقدمت المجنزرات والحافلات الإسرائيلية من قريتي مخماس وجبع – شمالي شرقي القدس – في اتجاه القرى والبلدات الواقعة جنوبي القدس عبر الطريق الالتفافية الموصلة إلى معسكر بيت إيل شمالي رام الله، وأغلقت قوات الاحتلال – خلال ذلك – الحاجز العسكري المقام قرب قرية جبع على الطريق الالتفافية بين حزما والرام وعناتا بالكامل.

واقتحمت قوات الاحتلال بلدة يعبد في محافظة جنين، وتمركزت نحو ٢٥ دبابة ومجنزرة عند مدخل المحافظة الشمالي بالقرب من قرية جلمة. ومساءً توغلت قوة عسكرية تساندها ثلاث دبابات في المنطقة الشرقية طوباس في جنين.

واصلت القوات الإسرائيلية عملياتها لاحتلال محافظة قلقيلية، واستكملت أكثر من ٧٠ دبابة ومجنزرة تمركزها في أحياء متعددة من المدينة، وقطعت عنها الكهرباء.

واحتل الجنود الإسرائيليون الكثير من سطوح المنازل وحولوها إلى ثكنات ونقاط مراقبة عسكرية. وحاصرت القوات الإسرائيلية «مستشفى الوكالة» وحيي كفر سابا وصوفين، وقامت بعمليات تفتيش. واقتحمت دبابات ووحدات خاصة بلدة عزون وفرضت حظر التجول عليها، وقامت بمداهمة منازل وبحملة اعتقالات.

كما دفعت قوات الاحتلال بتعزيزات جديدة إلى محيط طولكرم من الجهة الجنوبية وأحكمت حصار المدينة من الأربع جهات، وأطلقت قذائف على «مدرسة السلام الأساسية» في الحي الجنوبي من طولكرم، وتمركزت الدبابات الإسرائيلية على تلة فرعون قبالة المدينة وفي ضاحية ارتاح.

واقتحمت قوة إسرائيلية بلدة أكتابا شمالي شرقي طولكرم، كما انتشرت دبابات في ضاحية شويكة شمال طولكرم، واستولت على «مدرسة شويكة الثانوية للبنات»، وحولتها إلى مقر تجمع للدبابات، وتوغلت عدة دبابات في منطقة الضاحية الداخلية، وتمركزت دبابات أخرى على مدخل الحي الغربي لطولكرم وكذلك على مدخل حارة العلمي في المدينة، وحلق الطيران الحربي بصورة مستمرة ومنخفضة، ومساءً أعادت القوات الإسرائيلية احتلال مدينة طولكرم، وجالت الدبابات في شوارع المدينة الداخلية حيث دارت اشتباكات عنيفة بين أبناء المدينة وقوت الاحتلال استولت هذه القوات على مدرسة العدوية للبنات المحاذية لمقر «المقاطعة» وعلى إسكان فلسطين الواقع في جبل ذنابة شرقي المدينة.

واجتاحت قوات الاحتلال بلدة الدوحة في محافظة بيت لحم، واحتلت الشوارع الرئيسية بكاملها، وحشدت تعزيزات شرقي بيت لحم ومحيط مستعمرة أبو غنيم، وأصيب سبعة من أعضاء الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني ومصور صحافي في بيت لحم.

واقتحمت قوات الاحتلال قرية برقة الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس.

وفي قطاع غزة أطلق جنود إسرائيليون النار على مجموعة من المواطنين عند مفترق المطاحن على طريق صلاح الدين – خان يونس فأصيب ثلاثة مواطنين بجروح وقصفت قوات إسرائيلية مناطق محاذية لمعبر بيت حانون بالقذائف والرشاشات الثقيلة.

وأعلن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن الجنود دخلوا مستشفيات مدينة رام الله بعد تلقيهم معلومات استخباراتية بشأن اختباء عدد كثير من المطلوبين هناك، وقام الجنود بالتدقيق في هويات الناس في المستشفيات، ونفى الناطق وقوع «مجزرة» أو «جرائم قتل جماعية» في

المستشفيات الفلسطينية، وفي حادث منفصل دخل جنود الجيش مبنى في المجمع بين ساحة المنارة و «المقاطعة» وعثروا على فلسطيني مسلح كان يرتدي حزاماً ناسفاً، وأطلق المسلح النار على الجنود الذين طاردوه وقتلوه، ويؤوي المبنى عدداً من المطلوبين، ولا يزال القتال دائراً معهم بسبب رفضهم إلقاء السلاح والاستسلام.

وأعلن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، العميد رون كيتري أن الجيش فقد اثنين من عناصره في رام الله وأصيب ١٨ آخرون بجروح، وأن ثمانية جنود جرحوا في قلقيلية، وأضاف أنه تم استدعاء ٢٠.٠٠٠ من جنود الاحتياط، الذين كانت استجابتهم « مثيرة للإعجاب».

واعترفت إسرائيل، في نبأ بثته أذاعتها، بقتل خمسة من عناصر قوات الأمن الفلسطينية قالت: إنهم كانوا بين عشرين من رجال الأمن المختبئين في مبنى وسط مدينة رام الله، وقال شهود عيان فلسطينيون ذكروا لمراسل صحيفة «الحياة » أن ٢٠-٣٠ من عناصر الأمن الوطني كانوا داخل المبنى، وأنهم شاهدوا جثث سبعة منهم قرب المبنى، وعبروا عن خشيتهم على مصير الباقين.

وقال مراسل صحيفة «لوموند» الفرنسية أن إسرائيل فرضت حصاراً إعلامياً كاملاً على «المناطق العسكرية» أي رام الله وقلقيلية، حيث منع الصحافيون من الدخول إليهما، وأعلن الجيش الإسرائيلي أن أي صحافي يدخل إلى هذه المنطقة سيعتقل وتسحب منه بطاقته، وكان الصحافي أنتوني شهيد، مراسل صحيفة «بوسطن جلوب»، قد جرح برصاصة أصابته في كتفه بعد ظهر الأحد (٣١/ ٣) وسط رام الله. منظمة «مراسلون بلا حدود» وصفت القرار الإسرائيلي بـ «إخفاء منطقة عمليات عسكرية بكاملها عن أعين العالم بالخطر جدا»، وناشدت في بيان أصدرته «الاتحاد الأوروبي والحكومة الأمريكية والعالم الديمقراطي بكامله التدخل فورا لدى السلطات الإسرائيلية لتمكين أجهزة من متابعة ما يجري من أحداث».

وأوقف الجيش الإسرائيلي الناشط الفرنسي ضد العولمة جوزيه بوفيه وعشرة أشخاص آخرين في رام الله. ونقلهم إلى مركز للشرطة بانتظار ترحيلهم بتهمة اختراق منطقة عسكرية مغلقة، وذكر بوفيه أنه ورفاقه أحصوا ٣٠٠ فلسطيني راكعين وعيونهم معصوبة بانتظار التحقيق معهم في المركز، وكان ٣٤ من أعضاء الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني منعوا من الوصول إلى مقر عرفات لتشكيل دروع حماية، وبينهم إنكليز وفرنسيون وألمان وإيطاليون وإسبان وأميركي.

وأوضح الناشط في رابطة «فرنسا – فلسطين – تضامن»، فرانسوا وايزر، عبر الهاتف، أن أحدَ عشر ناشطا اعتقلوا في ثكنة بيت أيل قرب رام الله، ثم في عوفرا الواقعة أيضا في الضفة الغربية.

وذكر مراسل صحيفة «لوموند» الفرنسية أن سبعة من أعضاء الحملة المدنية العالمية (وهم أميركيان وبريطانيان وفرنسي وياباني وإسترالي) ومصور صحافي فلسطيني يعمل لحساب وكالة «اسوشديتد برس» الأميركية أصيبوا عندما أطلقت دبابة إسرائيلية النار على تظاهرة.

ومنع الجيش الإسرائيلي المفوض الأوروبي ميغال موراتينوس، والمبعوث الخاص للأمم المتحدة تيرى رود لارسن من مقابلة عرفات في مقره، كما منع وفداً دينياً مسيحياً ينقل إليه «رسالة سلام وتضامن».

وحذر وكيل وزارة الصحة الفلسطيني الدكتور منذر الشريف، من مخاطر حدوث أوبئة وكوارث لأن سلطات الاحتلال الإسرائيلي لا تسمح بتسليم جثث الشهداء إلى أهلها، وأضاف الدكتور الشريف أن قوات الاحتلال تمنع سيارات الإسعاف من إخلاء الجرحى ونقل الشهداء إلى المستشفيات، كما تعطل تقديم الخدمات الصحية والعامة وسيارات جمع القمامة ما يهدد حياة المواطنين الذين أصبحوا يعانون أيضا نقصا في المياه، ويحدث هذا كله على الرغم من الاتصالات الفلسطينية المتكررة بالجهات الدولية مثل الصليب الأحمر ومنظمات حقوق الإنسان.

أما العمليات الفلسطينية فتتمثل في انفجار سيارة ملغومة في القدس الغربية في شارع الأنبياء على بعد مائتي متر من المدينة القديمة وأصيب ثلاثة أشخاص، أحدهم شرطي إصابته خطرة.

وذكرت مصادر طبية إسرائيلية ومستوطنون يهود أن خمسة إسرائيليين أصيبوا بجروح برصاص فلسطينيين قرب مستعمرة بيت أيل شمالي رام الله.

وذكر ناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن مسلحين أطلقوا النار على مواقع الجيش الإسرائيلي في الأراضي الإسرائيلية، بعد أن تمكنوا من الوصول إلى المحيط السياج في القطاع الغربي من الحدود الدولية بين إسرائيل ولبنان، ورد الجيش على مصدر النار. ولم يبلغ عن إصابات في صفوفه، ولفت الناطق باسم الجيش إلى هذا الحادث الخطر، وأشار إلى أنه يثبت مرة أخرى أن الحكومة اللبنانية عاجزة عن اتخاذ إجراءات ضد الذين يقومون بعمليات من أراضيها.

وانتقد وزير التخطيط والتعاون الدولي الفلسطيني نبيل شعث موقف الرئيس جورج بوش، وطالب بقوة حماية وفصل الدولية. وصرح وزير الإعلام الفلسطيني ياسر عبد ربه لـ« رويترز » أن إسرائيل تحاول إخفاء جرائم الحرب التي ترتكبها ضد المدنيين الفلسطينيين لمنع التضامن العالمي معهم.

وقد أصدرت اللجنة العليا للقوى الوطنية والإسلامية في غزة بيانا أكدت فيه أن الشعب الفلسطيني لن يستسلم وسيقاوم الاحتلال الإسرائيلي، ودعت الشعوب العربية إلى مطالبة قادتها بفتح الحدود مع إسرائيل ومقاطعة البضائع الأميركية.

وبعثت منظمة «أطباء لحقوق الإنسان » (فرع إسرائيل) برسالة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن – إليعيزر دعت فيها الجيش الإسرائيلي إلى احترام أحكام القانون الإنساني الدولي والسماح لعمال الطوارئ الصحيين ولسيارات الإسعاف بالوصول إلى القتلى والجرحى.

واعتبر وزير الداخلية الإسرائيلية أيلي يشاي في حديث إلى الإذاعة العبرية. أنه يجب تجريد العرب الإسرائيليين الذين شاركوا في اعتداءات من الجنسية، وأكد أنه يريد تجميد طلبات جمع الشمل بين الفلسطينيين وعرب في إسرائيل إلى أن يتم وضع سياسة رسمية بشأن هذه المسألة

ودعا وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس في مقابلة متلفزة إلى تخفيف الحصار المضروب على الرئيس عرفات، أما وزير الدفاع، بنيامين بن – إليعيزر، فقال للإذاعة العامة أنه يتوقع من الجيش «اتخاذ كل التدابير حتى يكون عزل عرفات تاماً».

وأعلن الرئيس إميل لحود في بيان بصفته رئيساً للقمة العربية أن موقف رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون «يؤكد مجدداً السياسة الإسرائيلية الرافضة لمبادرة السلام التي أطلقتها القمة العربية في بيروت»، واستنكر الصمت الدولي الذي يشجع إسرائيل على الاستمرار في هذه السياسة على الاستمرار في هذه السياسة، وحذر الأمين العام لجامعة الدول العربية، عمرو موسى من احتمال تنفيذ إسرائيل عملية «ترانسفير» للفلسطينيين، وأكد أن مصر والأردن اتخذا احتياطات كبيرة لمنعها. ودعا مجلس الوزراء السعودي، برئاسة الملك فهد، المجتمع الدولي إلى الضغط على إسرائيل، ووضع حد لسياستها العدوانية. ودعا مجلس وزراء دولة الإمارات العربية المتحدة مجلس الأمن إلى توفير الحماية للشعب الفلسطيني، واتصل وزير الخارجية المصرية، أحمد ماهر، هاتفياً بالرئيس الفلسطيني مؤكدا له دعم مصر، وأصدرت القيادة القومية لحزب البعث في العراق

بيانا حضت فيه العرب على استخدم النفط «سلاحاً في المعركة» ضد إسرائيل والولايات المتحدة لتحرير الأراضي العربية المحتلة، وقاد الزعيم الليبي معمر القذافي تظاهرة في طرابلس، وألقى كلمة دعا فيها العراق إلى استخدام سلاح النفط، واعتكف الرئيس اليمني علي عبد الله صالح احتجاجاً على «عجز» العرب وتهاون بعضهم»، وفي دمشق وعدة مدن في لبنان قامت تظاهرات احتجاجية، ووصلت إحدى التظاهرات في بيروت إلى السفارة الأميركية في ضاحية «عوكر»، وفي مصر والأردن استخدمت قوى الأمن قنابل الغاز المسيل للدموع ومدافع المياه لتفريق التظاهرات في القاهرة والإسكندرية وعمان.

وأعلن الأمين العام لـ «حزب الله» في لبنان السيد حسن نصر الله، أن «الرد على المجازر الإسرائيلية لا يكون بالمزيد من المبادرات وهناك مسؤوليات دينية وشرعية وقومية ووطنية ملقاة على عاتقنا وسنقوم بتأدية هذه المسؤوليات». لكن هذا لا يعني «أننا نتحرك بتهور ومن دون ضوابط»، وطالب بدعم الفلسطينيين بالمال والسلاح والرجال.

وعقد مجلس الأمن اجتماعاً استمع خلاله إلى تلخيص قدمه الأمين العام كوفي عنان، بشأن التطورات في الأراضي المحتلة والشرق الأوسط، وطالب الأمين العام بتطبيق القرار رقم ١٤٠٢ وقال رئيس المجلس: إن الأعضاء أخذوا علماً بالتقرير الذي قدمته الأمانة العامة عن الوضع في المنطقة وطالبوا الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بوقف إطلاق النار فوراً، والالتزام التام بقراري المجلس رقم ١٣٩٧ ورقم ١٤٠٢.

وقال وزير الدفاع الأميركي، دونالد رامسفيلد في مؤتمر صحافي، أن الوضع المتفجر بين الإسرائيليين لم يكن له تأثير حتى الآن في الحرب ضد الإرهاب التي ترعاها الولايات المتحدة، وأن لا خطط لواشنطن لإيفاد قوات أميركية كجزء من قوة حفظ سلام في الشرق الأوسط، وانتقد بشدة الدور الذي تمارسه حكومات العراق وسورية وإيران في مجال الإرهاب.

وسئل الناطق باسم البيت الأبيض آري فلايشر ما إذا كانت حكومة الرئيس بوش قد لاحظت غضب الشارع العربي جراء الطريقة التي يعامل بها عرفات فأجاب إن من الأسباب التي حدت الرئيس بوش على أن يحث على قيام الدولة الفلسطينية ويهيب بالطرفين أن يتعاونا ويوفد الجنرال زيني إلى المنطقة اهتمامه الشديد بمحنة الشعب الفلسطيني، ولا أظن أنه انجاز قليل «أن يتوجه رئيس الولايات المتحدة بنفسه إلى الأمم المتحدة لينادي بقيام دولة فلسطينية». وقال: «ولهذا السب يريد الرئيس أن يتيقن من أن زعماء المنطقة يمارسون الحنكة السياسية المطلوبة حتى يتسنى لفكرة الدولة الفلسطينية أن تصبح حقيقة واقعية ترتكز إلى

السلام ومعطيات التعايش بين إسرائيل و جيرانها ضمن حدود آمنة».

وصرح الناطق باسم الخارجية الأميركية فيليب ريكر في تصريح صحافي: «إننا نرحب بتعهد رئيس الوزراء شارون بألا يلحق أذى برئيس السلطة عرفات أن رئيس السلطة عرفات هو زعيم الشعب الفلسطيني ونحن نستمر في التعامل معه على ذلك الأساس. أن تصرفاته الآن وتصرفات نوابه والمسؤولين الأمنيين هي حاسمة لإنهاء الأزمة الحالية. وأننا نقدر تصريح إسرائيل بأنها لا تنوي الاستيلاء على أراض فلسطينية بصورة دائمة، إلا أن أخطار المجابهة غير المقصودة والتصعيد بالغة جداً، ونحن نؤيد تأييدا قوياً قرار مجلس الأمين رقم ١٤٠٢، الذي يؤكد قبل كل شيء قرار مجلس الأمن رقم ١٣٩٧. وقد أكد مجلس الأمن في ذلك القرار رؤية لمنطقة حيث تعيش دولتان إسرائيل وفلسطين جنباً إلى جنب ضمن حدود آمنة ومعترف بها مما يعكس نفس الرؤية التي أعلنها الرئيس بوش في الأمم المتحدة، وأعلنها وزير الخارجية باول في لويفيل ومرات عديدة منذ ذلك الحين.

وأكد وزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي المجتمعون في كوالالمبور (يمثلون ٥٢ دولة) أن إسرائيل تجر المنطقة إلى حرب مفتوحة، وطالبوا مجلس الأمن بفرض عقوبات قد تصل إلى استخدام القوة لوقف أعمالها «الإرهابية» و«عدوانها» على الشعب الفلسطيني.

* * *

في ساعات المساء الأولى من ليلة يوم الاثنين، ولما يَمضِ على الاجتياح الكبير سوى ساعات قليلة، كنت أجلس وسط كومة من الصحف والأوراق، وأفكاري في حالة مخاض غريب، لقد اعتدت على أن أكتب كل ما يحدث حولي في ساعات الشدة وأثناء الظروف العصيبة إنها عادة تلازمني دائما، بسبب حرصي الشديد على عدم إفلات أي تفاصيل مما يدور حولي، وربما لرغبتي الخفية في أن أشغل نفسي عما يدور حولي.. فالاستغراق في الكتابة يأخذني بعيدا عن الخطر.

كنت أسجل خواطري وأصوات الرصاص والانفجاريات تملأ جو رام الله، وأزيز طائرات الإف ١٦ يملأ الجو.. بقصف جهنمي يفتك بالإنسان والحجر، وينذر في النفوس الهلع والخوف وتختلط أصوات الدبابات وهي تقترب من منزلنا بأصوات المدافع وزخات الرشاشات، ويسيطر على جو المدينة سحب الموت والدمار والدم، إنني أعرف هذه الأجواء، وقد عايشتها منذ نكسة عام ١٩٦٧، وحرب عام ١٩٥٦، وفي

حرب بيروت، وهنا، اكتويت بنارها على امتداد سنوات الاحتلال..

كنت وحيدة في البيت أغالب مشاعر الإحباط والخوف وأترقب، ولم يكن بصحبتي إلا داود إبراهيم وجودت مناع وهما من العاملين في صحيفة «فلسطين» التي كنت أصدرها في رام الله، وعرفنا جميعا أن مقر الرئيس في المقاطعة يتعرض للقصف، وعندما تأكدت من ذلك لم أستطع أن أنتظر ولو دقيقة واحدة، حاول من في البيت أن يقنعوني بالانتظار ريثما تنتهي الغارات ويتوقف القصف، ولكني لم أستطع صبرا، استدعيت تامر ميكيل الذي أخذنا في سيارتي واتجهنا فورا إلى مقر الرئيس، وكان آلاف البشر قد تدفقوا إلى مقر المقاطعة، وسيارات الإسعاف تطلق صفيرها كأنها تعلن اللعنة على هؤلاء الذين جاؤوا ليعتدوا على رئيسهم دون وازع من ضمير أو خلق، وكانت سيارات الإطفاء مستنفرة أيضا، وآلاف السيارات التي تتابعت كالغيث المنهمر تحمل آلاف البشر، في عيونهم قلق، وفي أصواتهم ثورة وغضب، وفي تحركاتهم خوف ممزوج باللهفة والألم والهلع. كان دوي القنابل والصواريخ وأصوات أزيز الرصاص وحجم الهجوم وقوته قد بعث في نفوس الجماهير إحساسا عنيفا بالخوف على مصير الرئيس، وحاولت أن أشق جموع المواطنين، وأن اخترق زحام السيارات لأصل إلى مقر الرئيس، ولكني لم أكن أتقدم إلا بصعوبة بالغة، وأحيانا أجد أن تدافع الناس والجماهير قد أبعدني خطوات بدلا من أن يقربني من المقر، وكانت أصوات الشرطة الفلسطينية تتعالى طالبة من الجماهير عدم الاقتراب من المكان، حتى لا تعاود الطائرات الإسرائيلية شن غاراتها، كما كانت الشرطة تخشى من وجود صواريخ لم تنفجر. وعلى اثر هذه الأصوات تراجع بعض الناس قليلا، ولكني اندفعت بقوة إلى المقر كنت في لهفة وخوف وقلق، وأخشى أن يكون قد لحق بالرئيس أي مكروه.

وحاول من معي من الشباب والأصدقاء أن يمنعوني، وأخذوا يحاولون إقناعي بالتريث، ولكني اندفعت فلم أكن أصغى إلى مثل هذه الأقاويل، وقلت لهم في عصبية: ارجعوا أنتم.

ووسط سيل من التساؤلات عن مصير الرئيس كانت الشرطة تطمئن الناس بأن الرئيس بخير، وكانت تدعوهم إلى مغادرة المكان، وقد لجأت إلى الحيلة، فأعلنت أن هناك صاروخا لم ينفجر، وطلبت من الجماهير مغادرة المكان، ولكن دون جدوى. كانت أعداد الناس تتضاعف مع كل ساعة..، وكأن هناك إصرارا على رؤية الرئيس رؤى العين.

طلبت من تامر أن يوقف السيارة، وأخذت أحاول شق طريقي وسط الجموع

لأطمئن على الرئيس، وفي أثناء حديثي مع بعض الصحفيين الواقفين على التلة المطلة على مقر الرئيس، التقيت بناصر عبد الجواد وهو ابن عبد الجواد صالح عضو المجلس التشريعي والمناضل والسياسي المعارض المعروف، وناصر شاب مثقف وسيم، بدا وكأنه صحفي أميركي بشكله ومنظره الخارجي ولغته الإنجليزية وثقافته، إنه يجمع بين الشرق والغرب وهو يعمل كمراسل لإحدى المحطات الأجنبية وتعرف عليه الأستاذ داود إبراهيم الذي كان يرافقنا، وكان معلمه أثناء دراسته الثانوية.

انتظرنا مع الصحافيين، وتحدثنا بأمور كثيرة، وتبادلنا أشجان وهموم الوطن، وتحدثنا في الوضع السياسي الحالي، وقطعنا بعض الوقت، وبعد ساعتين تقريبا لم يبق إلا القليل من الناس. ذهب الجميع إلى بيوتهم، بعد أن منعوا من الاقتراب من مبنى المقاطعة، وكان مكان إقامة الرئيس بسبب الخطر الذي ينتج عن التجمع، واستجاب معظم الناس لنداء الشرطة التي كررت مقولتها أن مجزرة حقيقية ستحدث إذا قصفوا المكان مرة أخرى.

وكنا لا نزال واقفين على تلة مجاورة نراقب طائرات الأباتشي والإف ١٦، وبعدما ذهب الجميع بسياراتهم توجهت بسيارتي إلى المقر ومعي الأخوان، وسيارة ناصر عبد الجواد الذي يعمل مراسلا لتلفزيون آي.بي.سي، الأميركي وكانت سيارته تسير خلف سيارتنا، وقد أطفئت الأضواء في كل المنطقة المحيطة بمقر الرئيس لأن كل العمارات والمداخل والشوارع كانت عرضة للقصف وفي أي لحظة.

وكانت أصوات الأباتشي تخيم على جو المكان الذي غرق في ظلمة تامة، وقد دخلت سيارتنا بدون إضاءة، ولكن عندما عرف حرس الرئيس سيارتي وعرفوني سمحوا لي بالدخول، وقلت لهم: إن السيارة التي في الخلف معنا، ومن ثم دخلت أنا والصحفي جودت مناع، بينما أنتظر بقية الشباب عند الحراسات في الطابق الأرضي المظلم. وعبرت مدخلا مظلما في الطابق الأرضي، لأجد نفسي أمام الرئيس. فلما رأيته سليما معافى غمرتني مشاعر الارتياح والطمأنينة، ورحت أحمد الله.. بكلمات قليلة لا تكاد تخرج من بين شفاهي لأني كنت حريصة أن أكون متماسكة قوية في حضور أعز الناس وأغلى الرجال ياسر عرفات.

من مفكرتي أول صاروخ على المقاطعة

كان الرئيس يعمل ومن حوله المستشارون المقربون، والرفاق المخلصون أمثال ملوح وصالح رأفت، والحاج إسماعيل، وأحمد عبدالرحمن، وأبو فراس ونبيل أبو ردينة ود. رمزي

خوري وأكرم هنية، ومجدي روما وعماد النحاس والمصور حسين حسين. ود. يوسف..

كان ينكب على عمله في استغراق كأنه وحيد كما يقول محمود درويش، وكان بجانبه حسن عصفور ومحمد دحلان وجبريل الرجوب، وكانوا يخلقون جوا مرحا ومداعبا، وكان يكتب، ولا يزال يكتب ويبتسم على المداعبات التي يطلقها حسن عصفور، ويضحك الجميع في بساطة وعفوية، لأنهم جميعا عايشوا ظروف الحرب والحصار والمواجهة، وكان الرئيس يشاركهم مرحهم ثم يعود لمتابعة البرقيات التي كانت تأتيه من كل البلاد ومن الخارج، والغريب حقا أن الرئيس عرفات كان قادرا على متابعة أكثر من عمل في أن واحد.. وكان استغراقه في العمل وقيادته لهذه المعركة أشبه ما يكون بقائد أسطوري نقرأ عنه في الكتب ونسمع عنه في الحكايات فقط، كانت فيه لمحات من هؤلاء القادة العظام الأسطوريين الذين يتصدون لأصعب وأقسى الأزمات العسكرية، ومع ذلك يظل وجدانهم حيّاً يقظا شجاعا صامدا قادرا على الرؤية ملما بكل جزيئات الصورة.. كان الخطر.. أو الموت نفسه يعجز عن إرباكهم، أو التشويش على استقرارهم النفسي والعقلي المتماسك القويّ.

بُعيد وصولي بدقائق وصلته برقية تفيد أن البحرية الإسرائيلية قصفت بالصواريخ مقر البحرية في غزة، كما قصفت مقره وقد استشهد ثلاثة من ضباطه وتغير وجه القائد، وعبرت ملامحه أطياف حزن وغضب وألم، وخيم على المكان صمت رهيب.. وترحم الجميع على الشهداء.

وتغلب القائد الكبير على همومه وواصل عمله.. إنه يعلم أي عدو يواجه كانوا كل يوم يغيرون على مكتبه وعلى بيته في غزة وفي نابلس.

في تلك الليلة لم ينم أبو عمار.

وكنت قد استأذنت الرئيس في أن يدخل بصحبتي الشاب الصحفي ناصر عبد الجواد، ومن المعروف أن هناك مواقف معارضة لوالد ناصر، كما أنه كان على خلاف دائم مع الرئيس ومع ذلك فقد استقبله الرئيس – رغم ذلك بحب ومودة ورحب به، خاصة وأن الشاب على عكس والده تماما كان يبدي حماسة شديدة للرئيس، وعبر عن حبه وتقديره له عندما وصفه بأنه من فئة الزعماء المناضلين الخالدين الذين عمّروا طويلا مثل المهاتما غاندي ونلسون منديلا، وقد ابتسم أبو عمار وأضاف وكاسترو أيضا، ثم أن الشاب بلباقته حاول أن يعتذر أو يبرر مواقف والده مؤملا أن يخفف من حدة الخلاف بين والده والرئيس. فقد كان عبد الجواد صالح قبل أن يستقيل وزيرا

للزراعة، وعضوا في المجلس التشريعي ولكن الرئيس قال له بمودة وسماحة:

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

وتطرقت في حديثي مع الرئيس حول أهمية الإعلام في هذه المرحلة التاريخية، وأبديت رأيا مفاده : أنه من الضروري نشر إعلانات في الصحف العالمية أو الإسرائيلية حول ما يجري من اعتداءات وجرائم ضد الشعب الفلسطيني.

وقد قاطعني حسن عصفور بقوله:

- إن ذلك مكلف جدا.

وانبرى زميلنا جودت مناع فقال:

إن ميزانية صحيفة نيويورك تايمز تصل إلى حوالي ٣٠٠ مليون دولار، وهو ما يزيد على موازنة دولة في الشرق الأوسط، وذلك يعني أن الإعلام له أهميته التي تلقى بظلالها على الرأي العام رغم أن تكاليف النشر بالفعل باهظة جدا.

ولكن حسن عصفور ظل عند رأيه. وقال إن دفع مبلغ سبعة آلاف دولار في نشرة إعلامية مبلغ باهظ الثمن، وقد يثير ضجة في أوساط الرأي العام الفلسطيني باعتباره صرفًا في غير محله.

وعلى أية حال اكتفى الرئيس كعادته في كثير من الأحيان بالاستماع إلى وجهتيّ النظر دون أن يعلق بشيء.

* * *

ارتكبت إسرائيل اليوم الثلاثاء ٢/ ٤/ ٢٠٠٢ ومنذ ساعات قليلة جريمة حرب جديدة، كان ذلك يوم الاثنين الماضي عندما أطلقت الدبابات الإسرائيلية المتمركزة في مستوطنة «بسغوت» الواقعة على الجبل الطويل في مدينة البيرة قذائفها المدفعية، واستهدف القصف سيارتين فلسطينيتين في محاولة لاغتيال المناضل حسين أبو كويك أحد قادة حركة حماس في رام الله.

وعلى إثر هذا القصف استشهدت بشرى زوجة حسين أبو كويك، «٣٢ عاما» وأولاده محمد عشر سنوات، وعزيزة ست عشرة سنة، وبراء أربع سنوات، كما استشهد عرفات المصري وعمره ست عشر سنة، وشيماء عماد وعمرها أربع سنوات وكان هؤلاء

موجودين في سيارة مجاورة أصيبت بإحدى القذائف، وقد تمزقت أشلاء الضحايا بصورة مرعبة واختلطت بعضها ببعض بصورة مؤلمة تثير الغضب والثورة والألم.

وعندما انطلق موكب توديع الشهداء وزفهم إلى السماء زحفت مع الجماهير الغفيرة إلى مقبرة مدينة البيرة، كانت الجماهير تهتف بملء حناجرها، وتصرخ من كل قلبها مرددة شعارات ضد الظلم والاحتلال والقتل، وأي جريمة أبشع وأفظع وأشد هولا من قتل ثلاثة أطفال وأمهم.. في ساعة واحدة.

كان المشهد يجري أمام عينيّ وأنا في حالة من الذهول والألم. إن مقتل أي فلسطيني يسبب لي الألم والحزن، ويبعث الدموع في عينيّ، ولكن مصرع هذه الأسرة على هذا النحو جعلني أشعر وكأن هذه الدنيا أكذوبة، وأن لا شيء فيها حقيقي سوى الألم والدموع.. كانت أصوات الجماهير تتعالى حولي.. ولكنني لا أكاد أسمع شيئا، تأخذني الأفكار بعيدا، أتأمل في سخرية الأقدار وأتساءل ما جدوى هذه الحياة إذ كانت تتسرب من بين أيدينا في لحظة في طرفة عين؟ ما جدوى هذه الحياة وأي حضارة وأي عبثية وأي قوانين مجنونة تحكمنا؟ كنت أسير وسط الجماهير وأنا غائبة الفكر، تائهة الوجدان أعاني من هول صدمة قاسية، وأحاول أن أتأمل ما حولي في انكسار وألم.. كانت الأمهات، يحملن صور أبنائهن وقلوبهن يعتصرها الحزن والألم. كل من فقدت عزيزا أو شهيدا أو مناضلا جاءت بصورته وانضمت إلى الموكب الجنائزي الذي تودع فيه فلسطين أسرة أبو كويك المنكوبة.

وكل صورة تحمل قصة وذكرى وبطولة وحكايات، عشرات الصور ومئات المواقف والبطولات تتحرك أمام ناظري وأنا وسط هذا الحشد من أبناء رام الله والمحافظة، أقف في وجوم وحزن على أطلال مقبرة مدينة البيرة الحزينة.

ويخيم السكوت، وتبتلع الأمهات آهاتها، وتكف الأصوات عن الحركة والانطلاقة صمت رهيب يقطعه صوت المناضل حسين أبو كويك وهو يقف خطيبا ليلقي كلمة رثاء على جثامين أولاده الثلاثة وأمهم البريئة المناضلة رفيقة الدرب والتي كانت قد سجنت وأبعدت.. كلمات الأب المفجوع أبكت الجماهير، وأطلقت طوفانا من مشاعر الحزن والألم، وانهمرت الدموع من عيون رجال أشداء كالصخر صلابة.. ولكنهم أمام المصاب الجلل.. تحولوا إلى ذوي عيون ذاهلة ودامعة. حزينة.. مكسورة تتفجر في صدورها براكين من الغضب والثورة والانتقام.

كانت كلمات المناضل حسين أبو كويك، كلها عزيمة وتفاؤل بالله وبالوطن،

وتأملت في معاني الكلمات - واستوقفتني الحروف والمعاني، أثارت كوامن شجني وآلامي.. آه.. ما أقسى هذه التجربة، وما أشد مرارتها، ورحت استعيد في ذاكرتي عشرات المواقف.. بل مئات المواقف التي كتب عليّ أن أشهدها على امتداد تاريخ الثورة الفلسطينية في بيروت ودمشق وفي تونس وغزة ورام الله وغيرها.

قدر الفلسطيني أن يعيش مع الموت يوما بعد يوم، وموسم بعد موسم، وجيلا بعد جيل تأملت الوجوه التي حولي، إنها جميعا وجوه مألوفة لدي.. لطالما التقيت بها، وعرفتها وعرفتني.

على تراب رام الله وفي هذه المقبرة في مدينة البيرة التقى المناضلون هذه الوجوه أعرفها تمام المعرفة والتي كنت أراها عند كل حدث ومصاب، إنها نفس الوجوه.. وجوه قادة منظمة التحرير الفلسطينية، هذه الوجوه تمثل قيادات منظمة التحرير الذين جاءوا من المنافي..

لقد رأيتهم مرارا في «مقبرة الشهداء» في بيروت، بعيد مذبحة تل الزعتر، وبعيد مذبحة صبرا وشاتيلا وكنت ألتقي بهم بعيد كل قصف إسرائيلي على بيروت، وفي جنوب لبنان.

وفي تونس الخضراء، رأيت هذا اللفيف من قادة منظمة التحرير بعد الغارة الإسرائيلية على حمام الشط، حيث قتل أكثر من سبعين شهيدا من أبناء فلسطين، وفي عمان كذلك كنت في مقبرة الشهداء أرى وجوه المناضلين في جنازة المرحوم د. عصام السرطاوي الذي قتل بيد الغدر على يد أبو نضال، وفي الشام أيضا التقيت نفس هذه الوجوه في جنازة الشهيد أبو جهاد، وهاأنذا اليوم أشارك في جنازة على أرض الوطن في مقبرة البيرة لوداع هذه الكوكبة من الأبرار الذين سقطوا في انتفاضة الأقصى الانتفاضة الثانية.

لعله قدر الفلسطيني في كل زمان ومكان أن يقضي حياته في المشاركة في جنازة، والانتظار جنازة أخرى قدر الفلسطيني أن يكون عنوانه الثابت «مقبرة الشهداء في مختلف عواصم الوطني العربي».

على تلة صغيرة أقيمت مقبرة مدينة البيرة، وعلى بعد أمتار منها تطل مستوطنة إسرائيلية زرعتها أيادي الاحتلال لتكون شوكة في حلق المدينتين التوأم رام الله والبيرة، وعلى تراب هذه المدينة تأملت من حولي، ولمحت بينهم صخر حبش، وملوح، وأبو ليلى وصالح رأفت وغيرهم من القياديين، وعندما انتهت مراسم الجنازة عدت إلى بيتي وأنا مرهقة في عينيّ بقايا دموع وفي قلبي حسرة ولوعة، ورحت أستعيد أفكاري وتأملاتي لأفرغها في دفاتري، استعدت

مقولة الرئيس عرفات في معرض حديثه عن الأماكن التي يدفن فيها أصدقاءه الثوار عندما قال «إني أريد أرضا لدفن موتانا»، واستعدت مقولة الشاعر محمود درويش: «إنني أفتش عن مكان لقبر أدفن فيه».

وتأخذني أفكاري إلى مشاهد الجنازة الأخيرة ها هي مدينة رام الله تشهد فصلا جديدا من عذابات الفلسطيني في رحلته المجهولة إلى عالم الحرية والاستقلال.

رام الله. هذه المدينة الجميلة الوادعة، المطلة على القدس، تفرش ظلالها وخضرتها بأشجار الصنوبر لتستقبل الشهداء والمناضلين، وترتفع في مخيلتي ووجداني أصوات الهتافات التي كانت تنطلق من حناجر الجماهير، وأستعيدها بكل تفاصيلها؛ لأن فيها صوت الحق والقوة والثأر.. كانت أصوات الهتافات تصل إلى مستوطنة الجبل الطويل تطلب الثأر لدم الشهداء، وكان المقاتلون والشباب من المناضلين الملثمين يحملون النعوش الملفوفة بالأعلام الفلسطينية تحت أعين المستوطنين الذين كانوا يتابعون المشهد باستخدام مناظيرهم المكبرة، وكانوا يرهفون السمع إلى صرخات الثائرين..

تختلط الأمور والأشياء في ذاكرتي، وتتداخل المشاهد وتمتزج الألوان، وأتعجب من منطق الأحداث والتاريخ المجرم هو نفس المجرم شارون الذي ارتكب مجزرة صبرا وشاتيلا في بيروت يرتكب اليوم نفس المجزرة في مخيم المعري، ويبطش بأسرة المناضل أبو كويك.

وها هي أخبار مجازره تتوالى.

مجازر في خانيونس.

ومجازر في بلاطة.

ومجازر في جنين وجباليا ورام الله وبيت لحم والخليل.

وفي ربوع مدينة البيرة، وتحت أشجار الصنوبر حيث ترفرف أسراب السنونو والعصافير مع عبير الفل وعبق الياسمين، ونسمات الربيع الدافئة، وفي جو مفعم بالتفاؤل والأمل وروح تتفجر بالعزيمة والثورة تنتفض الجموع وصوت القائد ينطلق.. لا بد أن ننتصر ولا بد أن يرفع شبل من أبناء فلسطين، أو زهرة من زهراتها علم فلسطين ليرفرف على أسوار القدس، على قبة الصخرة، وفوق مباني القيامة.

كلوديا ونتايا وجوليا

ثلاثة نماذج إنسانية عاشت الحصار

الثلاثاء ٢٠٠٢/٤/٢



وفي يوم الثلاثاء ٢/ ٤/ ٢٠٠٢ تواصلت الحملة العسكرية الإسرائيلية، فتعرضت مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور لقصف عشوائي من الدبابات والقذائف الصاروخية ورمايات الرشاشات، وتعرضت كنيسة المهد وكنائس وأديرة لقصف من قذائف الدبابات واشتعلت فيها حرائق، وأصيب بعض الرهبان، وشمل القصف مسجد عمر بن الخطاب قبالة كنيسة المهد ومسجدين آخرين، واشتعلت فيها النيران، ولم يتم إحصاء القتلى و الجرحى في بيت لحم لتعذر وصول الأطقم الطبية التي منعتها قوات الاحتلال من التنقل، وأكملت القوات الإسرائيلية اليوم احتلال مدينتي بيت لحم وقلقيلية (إضافة إلى رام الله التي كانت أكملت احتلالها سابقاً).

واقتحمت قوات الاحتلال مدينة طولكرم بنحو مئة دبابة والية مصفحة وطائرات الأباتشي، وتوغلت الدبابات في المنطقة الجنوبية من طولكرم.

وتواصل قوات الاحتلال حشودها حول مدينة نابلس استعداداً لشن هجوم على المدينة، وتستمر في التوغل في مخيمات الدهيشة وعايدة والعزة واقتحام المنازل واعتقال مواطنين، وتعزز وجودها في رام الله والبيرة، وتواصل عمليات المداهمة والاعتقال، وتشدد حصارها على مقر الرئيس الفلسطيني، وتقطع المياه والاتصالات، وتمنع إدخال المواد الغذائية والطبية، واعتقلت في رام الله رئيس جمعية الهلال الأحمر الدكتور يونس الخطيب وثمانية أطباء آخرين في أثناء توجههم إلى مقر الأمن الوقائي في

بيتونيا لمحاولة نقل الجرحى والمصابين إلى المستشفيات، كما قصف قوات الاحتلال منازل في بلدة الخضر وتوغلت في حرش سعادة قرب جنين.

***

وواصلت القوات الفلسطينية الباسلة التصدي للعدو فقد أصدرت «سرايا القدس»: الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامية بياناً أعلنت فيه مسؤوليتها عن إطلاق ثلاث قذائف «آر. بي. جي» ضد آليات ودبابات الاحتلال الإسرائيلي في بيت لحم، الأمر الذي أسفر عن أعطاب دبابتين وناقلة جند وإيقاع عدة إصابات بحسب البيان.

والمنطقة المحتلة في جنوب لبنان تم هذا المساء، إطلاق صاروخ كاتيوشا واحد على الأقل من الأرض اللبنانية في اتجاه إسرائيل، وسقط الصاروخ في منطقة إصبع الجليل ولم يوقع أضراراً، وتشهد منطقة جنوب لبنان تصعيداً منذ الاجتياح الإسرائيلي لمدن الضفة. ودارت مواجهات عنيفة بين مقاتلي «حزب الله» والمواقع الإسرائيلية داخل مزارع شبعا المحتلة.

ونظم رؤساء الكنائس وعلى رأسهم المطران ميشيل صباح في القدس مسيرة احتجاج إلى منزل رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون.

وقال رئيس الحكومة الإسرائيلية، أريئيل شارون في أثناء زيارته لمركز عسكري إسرائيلي في قلقيلية إنه: «مستعد للسماح لعرفات بالخروج فقط إذا تحدثنا عن تذكرة في اتجاه واحد»، وشدد على أنه بلغ ممثل الاتحاد الأوروبي شرطين لخروج عرفات: «موافقة الحكومة على ذلك، وأن يترك لوحده من دون مرافقيه، لأن بينهم عدداً كبيراً من الإرهابيين»، وقال أن ثمة بحثاً في قرار تشريع خاص ضد «الانتحاريين» الذين أرسلوهم ورجال الدين ساعدوهم، وتحدث شارون عن التوتر على الحدود اللبنانية – الإسرائيلية فقال: إنه ينظر بخطورة «إلى سقوط صاروخ كاتيوشا على إصبع الجليل الليلة الماضية»، وأنَّ حزب الله وسورية «لا يملكان حصانة» و «لدينا برامج ممتازة للرد في لبنان». وأضاف: «أنا متأكد أن لدينا الرد المناسب... لا يمكن لقوة (معادية) متمركزة على الحدود الشمالية أن تتدخل فيما يحدث هنا».

وأضاف: إنه لا يتوقع تصعيداً إقليميا في الصراع؛ لأنه حذر سورية وإيران، ولأن مصر والأردن يدركان بوضوح أهمية المحافظة على الاستقرار في المنطقة.

وقال شارون للصحافيين عقب اجتماعه بالضابط في المركز: إنه لا يشغل نفسه في التفكير في جداول زمنية، وأن الجيش الإسرائيلي سيواصل تدمير «البنى التحتية للإرهاب»، وحتى بعد الاتفاق على وقف النار فإن الجيش الإسرائيلي سيستمر في العمل إذا استمرت العمليات الفلسطينية، و «لا نعد أبدا بالوقوف مكتوفي الأيدي».

وقد التقى وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، المبعوث الخاص للأمم المتحدة في الشرق الأوسط، تيري رود لارسن، وحذر من خطورة الوضع على الحدود الشمالية ودعاه إلى الضغط على «حزب الله» لعدم فتح جبهة جديدة قد تؤدي إلى حرب إقليمية، ودعا لارسن كل الأطراف إلى احترام «الخط الأزرق» وطالب الحكومة الإسرائيلية بتسهيل وصول وكالات الإغاثة إلى المحتاجين في المناطق الفلسطينية المحتلة.

ودعا الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن المشترك للاتحاد الأوروبي، خافيير سولانا، الرئيس ياسر عرفات ورئيس الحكومة الإسرائيلية، أريئيل شاورن، إلى إعطاء «الأجيال الجديدة » الفرص لتتولى قيادة الصراع، وطالب بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي. وقال: «لا يسعنا الخلط بين محاربة الإرهاب وتدمير السلطة الفلسطينية. أن حل الصراع لن يكون عسكرياً».

لمحت الناطقة باسم المفوضية الأوروبية أيما أدوين إلى عجز الاتحاد الأوروبي وعدم استعداده لتقديم أي مبادرة لمعاقبة إسرائيل، واعترفت بأن الاتحاد لا ينوي تغيير سياسته، ولن يعلق اتفاق الشراكة مع إسرائيل، وألح وزير الخارجية الاسباني جوزيب بيكيه، في مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره الروسي إيغور إيفانوف في ضرورة التطبيق الفوري لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٢ وعارض الوزيران تدمير مؤسسات السلطة الفلسطينية.

وشجب الرئيس جاك شيراك رئيس الحكومة الفرنسية ليونيل جوسبان الاعتداء على معابد يهودية في مدينتي ليون ومرسيليان، واعتبرا هذه الاعتداءات أعمالا معادية للسامية وغير مقبولة في جمهورية فرنسا العلمانية والديمقراطية.

وطالب وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر الأطراف جميعها بالتطبيق الفوري لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٢، ودعا إسرائيل والفلسطينيين إلى التعاون مع مبعوثي الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة والسماح لهؤلاء المبعوثين

بلقاء الرئيس ياسر عرفات.

وأعلنت وزارة الخارجية السويسرية أنها استدعت السفير الإسرائيلي، ونقلت إليه طلب سويسرا أن تسحب إسرائيل فوراً جيشها من المناطق الفلسطينية التي أعادت إسرائيل احتلالها، وناشدت سويسرا إسرائيل أيضاً منح رئيس السلطة الفلسطينية حرية الحركة للقيام بمهماته .

ودعا وزير الخارجية الفرنسي، أوبير فدرين، إلى إرسال مراقبين دوليين إلى الأراضي الفلسطينية. كما دعا وزير الخارجية البريطاني جاك سترو إسرائيل إلى سحب قواتها والسعي لحل الصراع عن طريق المفاوضات، وأعرب عن قلق بلاده إزاء استمرار «العمليات الانتحارية».

وقد وجه البطريرك إليكسي الثاني راعي الكنيسة الأرثوذكسية الروسية رسالة إلى الرئيس الإسرائيلي موشيه كتساب، ورئيس الحكومة أريئيل شارون، طالب فيها بانسحاب إسرائيل فوراً من أملاك كنيسته في بيت لحم، ومن جانبه شدد وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف على ضرورة التنفيذ السريع للقرارات الدولية وسحب القوات الإسرائيلية.

وهاجمت عناصر تابعة لـ «رابطة الدفاع الصهيونية» (المحظورة في فرنسا) بواسطة الهراوات والقنابل المسيلة للدموع على مرأى من الشرطة الفرنسية مجموعة من مؤيدي السلام، الذين جاؤوا لاستقبال رئيس «الكونفدرالية الفلاحية» جوزيه بوفيه بعد طرده من إسرائيل. وفي وقت لاحق عقد بوفيه مؤتمرا صحافيا دعا فيه فرنسا إلى تحمل مسؤولياتها وإرسال قوات لحماية الشعب الفلسطيني.

من مفكرتي

عدت إلى أوراقي. جلست أتأمل ما حولي، وأهيم في أفكاري، غادرني كل أبنائي وزوجي.. وبقيت لي رام الله.. رام الله، هي مدينة الشجن، مدينة القلب والروح والفؤاد، مدينة هادئة وديعة، كأنها لؤلؤة فلسطين بمصايفها وخضرتها وجمالها وهدوئها.. ووداعة أهلها، وصفاء معدنهم، ورقيهم الحضاري المميز على مستوى العادات والتقاليد وأناقة المظهر وأصالة الثقافة.

رام الله، بجبالها الخضراء وغابات الزيتون حولها، وبتلالها المعطرة بأريج الزعتر

والميرمية والنعناع وأشجارها التي تطرح ألوان الفواكه المختلفة، كل ذلك يشكل لوحة رائعة لمدينة من أجمل مدن فلسطين، وخاصة في شهور الصيف المعطرة بأريج الهواء الجاف الذي يعطى للحياة في هذه المدينة نكهة رائعة؛ غاية في الروعة والجمال والأناقة.

* * *

وكانت رام الله بفضل سحرها الخاص مصيف فلسطين الأول أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين وعبارة رام الله، تعني تلال الله ؛ لأن المدينة تقع على تلال متعددة متجاورة، تتكامل بصورة فاتنة ساحرة، ومن هنا كان سكان فلسطين يأتون للاصطياف في ربوعها في صيف كل عام.

وكان أهل القدس ويافا وحيفا وعكا وسائر المدن الفلسطينية يعشقون رام الله.. ويأتون للإقامة فيها.

وأذكر أن أهل الجليل كانوا يجمعون بين الاصطياف في ربوع الله وفي جبل لبنان. وفي مواسم الربيع تبدو رام الله وكأنها عروس حسناء في أجمل مناظرها حيث تتزين تلالها بالزهور البرية الخلابة، وتكتسب التلال ألوان الزهور البرية خاصة الزنبق الأزرق والشقيق الأحمر والفل الأبيض كما تزدهر بنباتات الزعتر البري بالإضافة إلى عشرات بل مئات الأنواع من النباتات التي تتكامل في لوحة خلابة أبدعتها يد الخالق.

يافا في القلب

وفصل الربيع في هذه الجبال الخلابة يذكرني بجبال الكرمل في حيفا، لقد شاءت الأقدار أن أبتعد جغرافيا عن وطني في حيفا وعكا، وطفولتي التي سرقت مني.. ولكني أجد العزاء في رام الله، أشعر كأن الله عوضني، أو ساعدني لأرتوي من منابع الفتنة والجمال من تلال رام الله وجمال طبيعتها. إلى أن أعود يوما أنا أو أحفادي إلى موطني في عكا لأرتوي مجددا من نبع الجمال الصافي في بلد التاريخ والبطولات ومهد الجمال الخالد الذي ابتدعته يد الإله الخالق المبدع وحيث تتعانق زرق السماء مع زرق البحر، وتتناغم الأمواج البيضاء مع نسمات التاريخ وأريج البطولة.

إن الطبيعة في فلسطين عبقرية الجمال، وهذا الجمال العبقري يدعوك دائما لعدم نسيانه، لقد شاءت الأقدار أن أترك بيتا ووطنا، سُلبا مني، ولكن وجداني لا يزال مشبعا بذكريات مدينة حيفا وعكا.

إن مدينتي الجميلة الرائعة حيفا اليوم، محتلة، إنها تربض وراء الجبال تئن تحت وطأة أناس غرباء يرطنون بلغة غريبة، ولا تربطهم أواصر الدم والقربى بتراب أرضها الذهبي.

هؤلاء الذين جاؤوا من كل أنحاء المعمورة ليطردونا، ويستوطنوا أرضنا، إنهم غرباء عن الأرض، غرباء عن الوطن، غرباء عن الهوية.. غرباء بألوانهم وألسنتهم وذوقهم وثيابهم وعاداتهم، شقر، وحمر وكالحو البشرة أتوا.. ليسكنوا، ويعيشوا فيها جذبتهم بخضرتها وشمسها ودفئها.. خلبت ألبابهم بجوها الجميل وزرقة بحرها وعليل هوائها.. فقالوا هنا ولدنا وهنا نموت.

في مدينتي الرائعة عرفت أول حب في حياتي حبي لوالديّ حبي لأمي وأبي، وحبي لوطني. توحدت كل هذه المشاعر في نفسي.. أحببت مدينتي وأحببت أمي وأحببت أبي، هذا الثالوث المقدس هو أروع حبٍّ في حياتي، بل هو أروع حب في حياة كل إنسان.

وعندما ألقيت رحالي في رام الله كشفت لأولادي عن سر ذلك الحب الخالد للوطن السليب، وسكبت في أرواحهم ووجدانهم مشاعر الانتماء والوجد والشوق.. إلى كل مفردات الوطن إلى برتقال حيفا، ولوز يافا، ونرجس الساحل وعظمة عكا وتاريخها وأسوارها وسكبت في أسماعهم ليل نهار قصة الفردوس المفقود، وكان زوجي داود طويل يحكي لهم حكايات عن مدينة يافا حيث ولد وترعرع، وكان يروي لهم بأسلوبه الجميل وكلماته المؤثرة فصولا من تاريخ يافا عروس فلسطين التي صمدت أمام الغزاة، كما حكى لهم عن تلك الفترة الدموية من تاريخ المدينة عندما غزاها نابليون، واضطر أن يقتل الآلاف من سكانها لأنهم تصدوا لجيشه وصمدوا في وجه الجيوش الغازية، فسالت الدمء شواطئ المدينة البيضاء الرائعة، واختلطت رمالها الصفراء بدماء الشهداء والأبطال.

ويتوقف الوالد قليلا، ويصمت، وهو يغالب موجات من الدموع تكاد تنفجر من صدره، ولكنه يتجلد ويلملم أطياف الذكريات.. ويقول:

- في عام ١٩٤٨م عام النكبة كانت يافا تقاوم بصلابة وقوة، وكانت كالصخرة الصماء التي تحطمت عليها محاولات الغزو الصهيوني .

كان زوجي لا يمل من الحديث عن مدينته يافا، وفي كل مرة يروي ذكرياته عن المدينة التي ولد وتربى فيها بطريقة مختلفة فقد كان في كل مرة يضيف جديدا.. كان

كالفنان المبدع الذي كلما أعاد اللحن أضاف إليه من ذاته، في كل مرة كان يضيف إلى ذكرياته حادثة أو وصفا أو إضافة، ولا يمل من ترديد آيات الجمال التي كانت تزدان بها بساتين يافا وسواحلها وبيوتها وبياراتها. كان يتغنى بهذا العشق ليزرع في وجدان أولادنا حب الوطن السليب، وليجسد لهم مدى الألم الذي أحدثه هؤلاء الغزاة عندما اغتصبوا وطنا وتاريخا وأرضا ليست لهم.

لمسات إنسانية أقوى من جحافل الموت

عصر اليوم الرابع من أيام الحصار الساعة الرابعة من بعد ظهر الثلاثاء ٢/ ٤/ ٢٠٠٢ كانت أنباء الحصار البربريّ الذي تضربه الدبابات الإسرائيلية حول مقر الرئيس، ومحاولات تصفيته الخطيرة قد وصلت إلى أسماع الدنيا كلها، وأثارت عاصفة إعلامية خطيرة، وبحكم حجم ووزن الرئيس عرفات كظاهرة نضالية عالمية، تجمع عدد كبير من الأجانب من المثقفين والسياسيين والمناضلين والعاملين في مجالات حقوق الإنسان والإعلاميين ومن أصدقاء الرئيس وأنصار الشعب الفلسطيني، تجمعوا أمام البوابة الشرقية الخارجيّة للرئاسة بعد أن تسللوا عبر قوافل الدبابات ونقاط المراقبة التي تمركز فيها الجنود الإسرائيليون، وكانت هذه المجاميع ترفع اللافتات المطالبة بوقف الهجوم على عرفات، وإدانة منطق القوة الإسرائيلي، وكانوا يرددون الهتافات بصوت مرتفع ليصل صداه إلى الرئيس عرفات وليتأكد أنه ليس وحده، وأن العالم المجنون لا يزال فيه هامش للحق والخير والعدالة والسلام.

ورغم الرصاص والنار ورغم الاستفزاز الناريّ الذي كان ينطلق فوق رؤوس هذه المظاهرة، إلا أنها واصلت تقدمها.. وظلت تزحف بقوة وإصرار إلى أن وصلت قريبا من البوابة الداخلية التي كانت محصنة بالمتاريس، واستعد حرس الرئيس لاستقبالهم، وإتاحة الفرصة لهم لمقابلة الرئيس، خاصة وأنهم قاموا بمبادرة من أنفسهم، وفتحوا أكثر من ثغرة في التحصينات ليتمكنوا من العبور، ووسط ذهول وعجز جنود الاحتلال المرابطين في الدبابات وفوق أسطح العمارات المجاورة، تقدمت مظاهرة هؤلاء الأجانب، وسط تصفيق حار وابتهاج جميع من كانوا في المقر.

لقد كان لحضور هؤلاء الأجانب وشجاعتهم وإيجابيتهم صدى طيب في نفوس كل الذين في المقر، خاصة وأن مجيئهم كان في ظروف بالغة الصعوبة حيث الدمار والنار والقتل على مدار الساعة.

وتقدمت هذه المجموعة النبيلة، وصعدوا جميعا إلى غرفة الرئيس عرفات الذي استقبلهم كعادته بحفاوة بالغة وارتياح كبير. وأكد لهم أن خطوتهم هذه تعبير حي عن الضمير الإنساني الحضاريّ الذي يرفض العنف والهمجية والقتل، ويستنكر أن يحتل شعب شعباً آخر بقوة السلاح والنار، كان صوت الرئيس مفعما بالحرارة والانفعال، خاصة وأن هؤلاء الناس من دول أوروبية وأسيوية مختلفة وهم في عداد الأجانب.. جاؤوا مخلصين.. ليقولوا «لا» حتى لو عرضوا أنفسهم للموت، تركوا جامعاتهم وأعمالهم وأسرهم، وعبروا آلاف الأميال ليقفوا على أطلال مكتبه المحاصر، ليقولوا: «لا» وليؤكدوا للعالم كله.. أن النصر دائما لقوة الحق وليس لحق القوة.

وقد انضم أفراد هذا الوفد الأجنبي، إلى لجنة الحماية الشعبية الدولية التي تتشكل من عدة جنسيات أجنبية، ومن بعض العرب الجزائريين والمغاربة ممن يحملون الجنسية الفرنسية، وكانوا يشاركون الرئيس همومه خلف أسوار الحصار، ويشكلون درعا بشريّا أمام بربرية جنود شارون التي لا تعرف إلا لغة الحديد والنار، ولا تقيم وزنا إلا لأهدافها العسكرية الهمجية.

تقول كلوديا ليوستيك الفرنسية الجنسية، والتي تعمل مدرسة للغة الفرنسية في نابلس: عندما سمعت عما يجري في رام الله والبيرة من حصار خانق، وعندما تأكدت مِن أن الرئيس عرفات في خطر حقيقي، وأن هناك إمكانية ارتكاب مجزرة بشعة إذا أصرت قوات الاحتلال على اقتحام مقر الرئيس عرفات، عندها قررت التوجه والوصول إلى المقاطعة بأي ثمن.

وتواصل السيدة الفرنسية كلامها قائلة: إن أبسط المبادئ الإنسانية والحضاريّة أن يكون للإنسان موقف، وإن الوقوف ضد الظلم والقهر هو الذي يجعل للإنسان قيمة في حياته، أما الوقوف موقف المتفرج سن قضايا الحق والعدالة، فهو نوع من العبثية لا تليق بالإنسان المتحضر، وعرفات رمز للنضال العالمي ومن هنا، وجب حمايته والدفاع عنه ولو بأرواحنا وأجسادنا العزل الفارغة من أي سلاح سوى كلمة الحق.

وأكدت كلوديا؛ أن العالم المتحضر يجب أن يقول لشارون: «لا».. الذي يضع خططه العسكرية وطموحاته الشخصية فوق كل اعتبار أخلاقي أو إنساني..

وتقول كلوديا: إن الانتصار للشعب الفلسطيني، ودعم صموده هو موقف صلب لمقاومة العولمة، التي تريد الولايات المتحدة الأميركية من خلالها أن تفرض سيطرتها

على العالم.

وعقبت «نتايا غولان» وهي يهودية تحمل الجنسية الكندية، ومتزوجة من فلسطيني على ما قالته زميلتها كلوديا قائلة:

- أريد أن يعيش أولادي بسلام، ولكن في ظل اختلال المفاهيم، والكيل بمكيالين، من قبل الولايات المتحدة الأميركية، فإني أشك في ذلك أشك في أن يعيش أولادي إذا ظل الفلسطينيون بدون وطن حر ينعم بالاستقلال.

إن شارون، وبوش، ينظران للدم اليهودي على أنه دم ثمين، أما الدم الفلسطيني فما زال رخيصا وفق اعتقادهما.

وقد رفض أعضاء الوفد الأجنبي الأربعون أن يعاملوا كضيوف مميزين خلف الحصار، بل تطوعوا للقيام بكافة الأعمال الروتينية التي يقوم بها أفراد حرس الرئيس من أعمال النظافة والطهي وإعداد الطعام وغيرها، وقد قامت رئيسة الوفد كلوديا بمحاولة طبخ ما تبقى من وجبات الأرز، وقد أحضر الوفد معه بعض علب الحلوى، وقاموا بتوزيعها على المقاتلين، وفي ساعات الليل فقد توزع أعضاء الوفد على جميع غرف الرئاسة، ليكونوا دروعا بشرية أمام هجمات قوات الاحتلال المحتملة.

أما الفتاة الألمانية «جوليا» وهي من أنشط أعضاء الوفد، فقد عبرت عن كراهيتها الشديدة لكل أنواع العنف، وكانت تشاهد وهي تمزق قميصها لتضميد جراح أحد المصابين.

كان أعضاء الوفد الأربعون يشكلون حالة إنسانية ونضالية فريدة وظاهرة حضارية ثقافية تؤكد أن الإنسان قضية وموقف، وكانوا كخلية النحل، يتحركون في كل مكان، ويقومون بشتى الفعاليات يرفعون من روح المقاتلين، ويتبادلون الآراء مع المحاصرين، ويظهرون تواصلهم الإنساني وإيمانهم بعدالة القضية الفلسطينية، وحتمية انتصار الحق، ويؤكدون حبهم للرئيس وإعجابهم بشجاعته وصموده.

وكان البروفيسور جرار ابن الستين يواصل العمل ليلا ونهارا في كتابة التقارير وإرسالها للصحف ووكالات الأنباء العالمية معبرا عن المواقف البربرية التي يمارسها جنود الغزو الإسرائيلي، ورغم الإعياء الذي لم يكن يتحمله جسده النحيل إلا أنه كان منكبا على عمله بكل إخلاص وبروح ملؤها الحماس، كان إيمانه بالقضية التي يدافع

عنها يبعث في جسده طاقات خلاقة من العمل والإبداع.

أما المناضل المغربي محمد بن بركة، والذي كان يحمل الجنسية المغربية فلم يكن قد مضى على انضمامه للوفد سوى يومين حتى علم من القنصلية الفرنسية أن والده قد مات، وكان مشهدا مؤثرا عندما اصطف حرس الرئيس، وقاموا بتقديم واجب العزاء له، ورغم هذا المصاب الجلل، فقد تغلب الرجل على أحزانه، ولم يطلب من 'القنصلية الفرنسية أن تساعده في الخروج من مقر الرئيس المحاصر، بل فضل البقاء مع الرئيس عرفات، رغم فاجعته الأليمة بوفاة والده.

ورغم جو الشجن المشحون بالألم والترقب والتوجس، ورغم المرارة والأسى التي تخيم على جو المكان فلم تخلُ ساعات الحصار الأليمة المثقلة بالأسى والحزن من لحظات فرح وسعادة، تلمع بوهج الفرحة من خلال ليل مثقل بالأسى.

فقد احتفل «نيكلسون بول»، ٥٥ عاما من إقليم الباسك في إسبانيا بعيد ميلاده في إحدى غرف الرئاسة، وكان في غاية الانفعال والنشوة.. في هذا الجو الفريد - الذي لم يكن يتصور يوما أن يعيش فيه، وقد فاجأ ضيوف حفله الفريد هذا عندما حمل صينية صغيرة تحتوي على بعض قطع الحلوى، وشرائح البندورة وراح يقدمها للمحتفلين معه، ومن ثم أطفأ شمعة عيد ميلاده وسط تمنيات الجميع له بعيد ميلاد سعيد، وكان مشهدا مؤثرا فعلا عندما تقدم العميد توفيق الطيراوي مدير المخابرات العامة بإهداء بول ميدالية بيت لحم ٢٠٠٠ والعلم الفلسطيني، ثم وقف الجميع أمام عدسة مصور الرئيس لالتقاط الصور التذكارية لهذا الحفل الغريب، في ظل الحصار وعلى بعد أمتار قليلة من فوهات مدافع الدبابات الإسرائيلية.

في ساعات الفجر الأولى عدت من مقر الرئيس، وأنا في حالة إعياء شديدة، اخترقت سيارتي المسافة ما بين المقاطعة وبيتي بصعوبة شديدة، وعبر طرق التفافية حتى نتحاشى الدبابات الإسرائيلية وحيدة في بيتي أفكر في كل ما رأيته وسمعته في المقاطعة.. لا أستطيع أن أبعد عن ذهني صورة عرفات، وهو يكتب ويعمل ويصدر أوامره في تواصل واستغراق، ما هذه الطاقة الجبارة التي تسكن في هذا الرجل؟ وابتسمت أكثر من مرة وأنا أستعيد دعابات وتعليقات حسن عصفور الذي كان يداعب زملاءه بتعليقاته المرحة ومنهم أحمد عبدالرحمن، ونبيل عمرو، وتأخذني أفكاري إلى أولادي ماذا تراهم يفعلون؟ ما هي أخبارهم؟ وما هي مشاعرهم وأحاسيسهم نحو الرئيس المحاصر؟ إنهم

يعرفونه قبضا من المشاعر والأحاسيس.. كم أحبوه، وكم أحبهم، واستذكر حفيدتي ليلى ابنة إبراهيم الصوص ذات حوار قالت لي:

- هل تذهبين يا تيتا عند أبو عمار.

طبعا.. يا حبيبتي.. أشاهده بصورة يوميّة تقريبا.

- إذن، قولي له كم نحن نحبه. أريد أن أراه، اذهبي عنده وقولي له ليلى تحبك، وتصلي من أجلك..

ليلى في التاسعة من عمرها.. مليئة بالحيوية والنشاط، محبة لأخبار فلسطين، ومتعلقة بكل ما يخص الرئيس، وما ينشر عنه، وكانت في كثير من الأحيان تدخل في اشتباكات مع الأولاد الأجانب حول الرئيس أو حول منظمة التحرير.

أما شقيقها نديم الأصغر سنا منها، فقد كان دائما يفتخر بأنه ينتمي إلى فلسطين، والده إبراهيم الصوص سفيرنا في باريس لمدة غير قصيرة كلمات ابنتي ديانا لا تزال ترن في أسماعي:

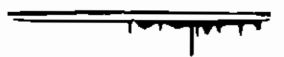
- «إن أولادي لا يفكرون إلا بفلسطين.. إنهم يحبون أبو عمار.

وتقول ديانا:

- منذ سنتين أحضرنا أولادنا لنستقر في عمان، أحضرناهم من سويسرا وباريس ليكتشفوا بأنفسهم الحقيقة، لقد صاروا أكثر قومية ووطنية منا.

وتعود ديانا لتؤكد أن الأطفال من كل أنحاء العالم يتصلون بليلى ليسألوها عن أبو عمار المحاصر، أطفال من واشنطن ومن روما ومن عمان وبوسطن، كلهم يسألون عن الرئيس.

أشعر بالراحة وأنا أستعيد كل هذا الشريط، أحاول أن أخفف عن نفسي، وأتسلى باستعادة العبارات والجمل، أكررها كأني استقطر كل ما فيها من معاني ودلالات تبعث في نفسي مشاعر القوة وأحاسيس الرضا والطمأنينة.



عرفات المناضل..
بطاقة في نادي الكبار
غاندي وكاسترو ومانديلا

الأربعاء ٢٠٠٢/٤/٣

وفي يوم الأربعاء ٣/ ٤/ ٢٠٠٢ استمرت قوات الاحتلال في حملتها العسكرية، وتوسعت لتشمل المحافظات والمدن والقرى والمخيمات والبلدات كافة.

وتعرضت مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ومخيمات الدهيشة وعايدة والعزة لقصف عنيف من قذائف الدبابات.

وواصلت القوات الإسرائيلية حصارها لمدن طولكرم و قلقيلية والخليل وكل قطاع غزة بعد أن قصفت مراكز المؤسسات الفلسطينية.

وواصلت قوات الاحتلال الإسرائيلية حصارها لمدن طولكرم وقلقيلية والخليل وكل قطاع غزة بعد أن قصفت مراكز المؤسسات الفلسطينية.

واجتاحت قوات الاحتلال، تساندها طائرات مروحية من طراز «أباتشي»، مدينة جنين بالكامل، وعززت تمركزها في المدينة والمناطق المجاورة وجرفت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وتحديداً في منطقة مثلث الشهداء جنوبي جنين، وقصفت المقار الأمنية البديلة في منطقة المراح شرقي جنين، وذكر شهود عيان أن أكثر من مائتي دبابة ومدرعة اقتحمت المدينة وأحياءها الرئيسية من خمسة محاور، واشتبكت مع رجال المقاومة، واستشهد خمسة فلسطينيين بينهم طفلان وطبيبة.

وقصفت الطائرات مخيم جنين وحاولت اقتحامه، وأوردت تقارير صحافية أن

دبابتين أعطبتا في أحد شوارع المخيم وأصيب ثلاثة جنود. واحترقت عدة منازل في المخيم، بينما استمرت غارات المروحيات الإسرائيلية على المدينة والمخيم.

وفي طولكرم واصلت قوات الاحتلال حملتها في تفتيش المنازل ونهبها واعتقال الرجال، وفي نهب المتاجر والمؤسسات المدنية، وهدمت الآليات سور مدرسة «جمال عبد الناصر الثانوية للبنات»، وحولتها إلى ثكنة عسكرية ومقر احتجاز للمعتقلين. واقتحمت القوات للمرة الثانية المسجد الجديد في طولكرم، وأجرت عمليات تفتيش، ودمرت وخربت و اعتقلت مواطنين داخله، كما اقتحمت المسجد القديم ومسجد السمور واعتقلت إمامه.

واقتحمت قوة مدرعة من الدبابات و المجنزرات مدينة نابلس من أربعة محاور من الناحية الغربية من طريق بيت إيبا ودير شرف، ومن الناحية الجنوبية على طريق تل – ذبانة، وعن طريق روجيب – شارع القدس، وبغطاء جوي كثيف من طائرات الأباتشي. وتعرضت منطقة الصيرفي وطريق الباذان قرب نابلس لقصف مدفعي عنيف من المدفعية المتمركزة على قمة جبل عيبال.

وفي مدينة بيت لحم، استمرت عمليات مداهمة المنازل وحملة الاعتقالات في المدينة وفي مخيمات الدهيشة وعايدة والعزة، ومنع إيصال المواد التموينية إلى الكنائس، وعززت قوات الاحتلال آلياتها العسكرية في محيط منطقة ساحة المهد والكنيسة وفي مناطق جبل الموالح، وجبل خلفيات وواد شاهين. وما زال الجنود يحاصرون كنيسة المهد.

واستولت قوات الاحتلال، في محافظة بيت لحم على سيارات تابعة لحرس عرفات في قصر الرئاسة المحتل في بيت لحم، واعتقلت عشرة صحافيين فلسطينيين خلال مداهمة مركز إعلامي.

وفي رام الله استمر الحصار على مقر الرئيس عرفات، ووضعت أسلاك شائكة، واعتلى القناصة المباني. وداهمت قوات الاحتلال مقر وزارة التربية والتعليم في المدينة وحولته إلى مقر عسكري، واستمر الحصار المشدد على «مستشفى رام الله الحكومي»، وتمركزت دبابة إسرائيلية على المدخل الرئيسي للمستشفى، وطلب من الأطباء والعاملين فيه الخروج، واعتقلت قوات الاحتلال خمسة عشر مواطناً من مخيم الجلزون للاجئين الفلسطينيين شمالي مدينة رام الله المحاصرة، وجددت قصفها لمقر الأمن

الوقائي في منطقة بيتونيا.

وواصلت قوات الاحتلال حصارها وتوغلها في مدينة الخليل، واحتلت الكثير من قرى المحافظة، كما قامت بعمليات اعتقال جماعي .

وفرضت قوات الاحتلال حصاراً مشدداً على المطاحن الفلسطينية شمالي خان يونس، وفرضت نظام منع التجول على منطقة عزبة الجعفراوي جنوبي مدينة دير البلح، وأطلقت النار بصورة عشوائية على المنازل، ومنعت المواطنين من الخروج من منازلهم.

واجتاحت القوات الإسرائيلية مدينة سلفيت إلى الشمال من الضفة الغربية، وبحسب شهود عيان توغلت قرابة ثلاثين مجنزرة من ثلاثة محاور رئيسية في اتجاه مداخل المدينة الجنوبية والشمالية. كما فرضت قوات الاحتلال منع التجول، وقطعت الماء والكهرباء عن المدينة.

وأصيب نحو ٢٣ من أعضاء الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني بحالات اختناق بالغاز عند حاجز الرام. وأصيب النائب العربي في الكنيست أحمد الطيبي بجروح، جراء اعتداء جنود إسرائيليين عليه بالضرب عند حاجز قلندية، ومنع من العبور نحو رام الله، وتصدت قوات الاحتلال لآلاف المتظاهرين الفلسطينيين والأجانب في القدس. ومنعت ٢٠٠ من رجال الدين المسيحيين من دخول بيت لحم وإدخال أدوية.

وقد صدر بيان عن الجيش الإسرائيلي جاء فيه:

في سياق عملية «السور الواقي» التي ينفذها الجيش الإسرائيلي في رام الله بحثاً عن مطلوبين فلسطينيين مشتبه فيهم، اكتشفت القوات الإسرائيلية أن عدداً من هؤلاء يختبئ في مقر الأمن الوقائي الفلسطيني في بيتونيا.

«وحاصر الجيش الإسرائيلي مقر الأمن الوقائي في ٣٠ آذار ٢٠٠٢، وفي ٢ نيسان ، وبعد مفاوضات مع الأمن الوقائي في المبنى استسلم ١٨٤ فلسطينياً من المشتبه فيهم إلى الجيش. و ١٥٠ من المستسلمين ينتمون إلى الأمن الوقائي، وينتمي الباقون إلى منظمات إرهابية فلسطينية أخرى بما ذلك «حماس» والجهاد الإسلامي والتنظيم.

«وفي مقر الأمن الوقائي في بيتونيا تم القبض على مشتبه فيهم شاركوا في عدة عمليات إرهابية مؤخراً، قتل فيها عشرات من المدنيين الإسرائيليين وجرح المئات، وكانت هذه

العناصر الإرهابية تخطط لتنفيذ عمليات أخرى، وتم إيواء الفلسطينيين المشتبه فيهم في مبنى الأمن الوقائي، وألقي القبض عليهم بعد مفاوضات مطولة، تخللها تبادل لإطلاق النار. وفيما يلي أسماء الموقوفين وفقاً لانتمائهم التنظيمي..»

١. التنظيم: شريف محمد يوسف ناجي؛ أحمد محمد عاصي؛ وليم سامح فارس الخطيب؛ هيثم متفق خليل حمدان؛ ظافر عبد الرحمن ريماوي؛ محمد محمود سعيد أبو طه، إسماعيل عماد إسماعيل شكشك.

٢. حماس: بلال يعقوب أحمد دار عثمان برغوثي؛ إبراهيم محمود أحمد عبد الكريم علي أبو طه؛ سليم محمود سليم حجا.

٣. الجهاد الإسلامي: محمد أحمد يوسف بعاد.

وصودر من مركز الأمن الوقائي في بيتونيا كمية من الأسلحة معظمها بنادق ومسدسات.

صدر بيان عن الجيش الإسرائيلي جاء فيه: «كشف (الجيش) في سلفيت مصنعاً لإنتاج المتفجرات، واكتشفت داخل المصنع عشرات المتفجرات المعدة للتفجير إلى جانب براميل من البارود وبنادق كلاشينكوف. ويقوم الجيش في سلفيت بإحباط استعدادات منظمات الإرهاب الفلسطينية لضرب المدنيين الإسرائيليين وقوات الأمن، وقد اعتقل حتى الآن عشرات المطلوبين من الفلسطينيين في هذه العملية التي ينفذها الجيش، وتتولى قوات الأمن استجوابهم».

أما المنطقة المحتلة في جنوب لبنان فقد أعلن ناطق عسكري إسرائيلي أن «حزب الله» هاجم مجدداً مواقع الجيش الإسرائيلي في منطقة مزارع شبعا وجبل حرمون مستخدماً صواريخ مضادة للدبابات وقذائف المورتر، ورد الجيش الإسرائيلي بقصف مدفعي وجوي ضد مصادر النيران، وأصيب جندي إسرائيلي بجروح متوسطة في الهجوم، ونقل إلى المستشفى للمعالجة، وفي خلال الساعات الأخيرة من الليل، أطلق عدد من قذائف المورتر على السفوح الغربية لمزارع شبعا، وأصابت إحدى القذائف المنطقة المفتوحة في إصبع الجليل، دون إصابات أو أضرار.

وأصدرت القيادة الفلسطينية بياناً دعت فيه الشعب الفلسطيني إلى تنظيم صفوفه في مقاومة طويلة الأمد، والى وحدة الصف «لمجابهة» هذه الحرب الظالمة والمجرمة التي

تستهدف تدمير السلطة الوطنية ومؤسسات المجتمع الفلسطيني المدنية والأمنية، وإعادة الاحتلال». وطالبت القيادة الإدارة الأميركية بـ «التوقف عن تقديم الغطاء لهذا العدوان»، وأكدت أن رئيس الحكومة الإسرائيلية، شارون، لا يريد ضرب الإرهاب ، وإنما «يريد ضرب السلطة الوطنية الفلسطينية ومؤسسات المجتمع الفلسطيني حتى يؤجل فرص تحقيق السلام».

أصدرت حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» من غزة بياناً أعلنت فيه تأييدها للرئيس ياسر عرفات في صموده في وجه العدوان الإسرائيلي.

كما وجه الكتّاب والأدباء والفنانون والمثقفون في الأراضي المحتلة نداءً إلى المثقفين في دول العالم يناشدونهم التحرك لمساعدة الشعب الفلسطيني. ومن موقعي النداء: محمود درويش؛ يحيى يخلف ؛ علي الخليلي؛ أحمد دحبور؛ فيصل حوراني؛ غسان زقطان؛ ليانا بدر؛ سليمان منصور؛ شريف كناعنه؛ زكريا محمد وعشرات غيرهم.

ونبه وكيل مساعد وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، د. عبد الله عبد المنعم، إلى خطورة الممارسات الإسرائيلية على المسيرة التعليمية في الأراضي الفلسطينية. وقال أن الاعتداءات الإسرائيلية أدت إلى تعطل المسيرة التعليمية، وأعلن أن الوزارة أعدت خطة طوارئ لمواجهة الأوضاع الخطرة، التي سببتها الاعتداءات الإسرائيلية، تتضمن برنامجاً تعويضياً للطلبة.

واستنكر وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وخطيب المسجد الأقصى، الشيخ يوسف جمعة سلامة، الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، وناشد في مؤتمر صحفي منظمة المؤتمر الإسلامي ولجنة القدس والهيئات العربية و الإسلامية ومنظمات حقوق الإنسان عقد مؤتمرات طارئة للبحث في الجرائم التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني.

واعتبرت الوزيرة الإسرائيلية السابقة شولميت ألوني، في حديث إلى وكالة الأنباء الفلسطينية «وفا» رئيس الحكومة الإسرائيلية، أريئيل شارون، كارثة على إسرائيل وفلسطين، واستهجنت الغطاء السياسي والخلقي الذي يمنحه حزب العمل ووزير الخارجية شمعون بيرس للجرائم التي يقوم بها شارون.

وفي حديث إلى صحيفة «يديعوت أحرونوت» صرح رئيس جهاز الاستخبارات العامة السابق يعقوب بيري قائلاً: «ما الذي يمكننا تحقيقه من إرسال الدبابات والجنود للسيطرة على مقر عرفات في رام الله؟... كواحد يعرف عرفات عن قرب .. يمكنني التحديد أن عرفات المعزول يصبح عرفات القوي والخطر. حتى إذا حبسنا عرفات في غرفة نومه فإننا لن نخفض بذلك مستوى الإرهاب» وقال: إن عرفات «لا يسيطر على حماس والجهاد والتنظيمات المعارضة، إنه يعرف ويصمت، وصمته يفسر بأنه يوافق على العمليات الإرهابية»، وأضاف: «نحن أيضا لم نلتزم بالاتفاقيات والتفاهمات التي توصلنا إليها مع السلطة الفلسطينية». وامتداد الانتفاضة نحو «مقاييسها الحالية خرج عن سيطرة عرفات ..» ودعا إلى «الخروج من دائرة الدماء إلى دائرة التسويات».

وأعلن الأمين العام لجامعة الدول العربية، عمرو موسى عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب في ٦/ ٤/ ٢٠٠٢ للبحث في التطورات في الأراضي المحتلة نافياً أن يكون التمسك بالمبادرة العربية للسلام يعني وقف المقاومة.

وصرح وزير الإعلام المصري، صفوت الشريف، أن مجلس الوزراء، في اجتماعه برئاسة الدكتور عاطف عبيد، قرر وقف كل الاتصالات بين الحكومة المصرية والحكومة الإسرائيلية، عدا القنوات الدبلوماسية التي تخدم القضية الفلسطينية، وفي إطار الجهود التي تبذل لإنقاذ الموقف.

وقال وزير الإعلام المصري، صفوت الشريف أن الرئيس حسني مبارك عقد سلسلة اجتماعات مع مجموعات سياسية وصحافية تم خلالها عرض الوضع الناشئ عن اجتياح القوات الإسرائيلية للمدن الفلسطينية من مختلف جوانبه. وقال الشريف: إن الرئيس مبارك أكد في ضوء التقارير والمناقشات مع المجموعة السياسية: «إن مصر تضع المصالح العليا لشعبها فوق كل اعتبار، وأن الموقف المصري تفرضه مصلحة الشعب بعيداً عن الانفعال، وأن مصر دولة مؤسسات يحكم القرار فيها مؤسسات ديمقراطية تضع أبعاد الموقف وحقائقه موضع الاعتبار»، كما أكد «أن مصر تتخذ قراراتها، ولا تخضع لأي ضغط، وبعيداً عن المزايدات والمناورات» وأن الرئيس «يقدر تماما كل صور التعبير الشعبي والتعاطف مع الموقف الفلسطيني، كما يثق في وطنية أبناء الشعب وشبابه، وأنهم على وعي ويقدرون مصالح مصر ومصالح الشعب ويضعونها فوق كل اعتبار». و«حذر الرئيس من أبواق الإثارة والمزايدة...».

وأكد الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، أن المملكة العربية السعودية «لم تدخر أي جهد ولم تبخل بأي دعم للقضية الفلسطينية ومنذ ستين عاما وهي تسعى لإفهام أميريكا بعدالة القضية الفلسطينية ودفعها لاتخاذ موقف عادل متوازن»جاء ذلك خلال حوار في مقر إقامة الأمير في بيروت مع مجموعة من الصحافيين الذين يمثلون صحيفتي «واشنطن بوست» و«فايننشال تايمز» ومجلة «تايم» ووكالة أنباء «رويترز» ومحطة التلفزة سي.إن.إن. وقال الأمير عبدالله أن القهر والمرارة وأعمال القوة من جانب شارون هي التي تحمل فتاة على أن تلف جسدها بطوق من المتفجرات، وأن المملكة تبذل قصارى جهدها «لإخراج عرفات من محنته» فهو «رمز الشعب الفلسطيني وضميره وقائده». وأن المقاومة ستستمر أُبعد عرفات أم لم يبعد، ودعا الأمير عبد الله الشعب الإسرائيلي إلى أن يقرأ المبادرة العربية «بعقل وحكمة». وقال أن الشعب الإسرائيلي لم يرفضها و«الذين رفضوها هم شارون واليمين المتطرف وبعض الصحافيين». وأضاف أن «العرب رفعوا الآن غصن الزيتون»، و«الكرة الآن أصبحت في الملعب الإسرائيلي». وتابع أنه طلب من الأميريكيين «وقف عدوان إسرائيل، ووعدونا خيراً».

وقرر رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان كفالة خمسة آلاف يتيم فلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة على نفقته الخاصة، وأمر الشيخ زايد جمعية الهلال الأحمر بإرسال المساعدات العاجلة إلى الشعب الفلسطيني.

عقد مجلس النواب اللبناني جلسة خاصة لمناقشة الوضع في المناطق الفلسطينية. ودعا إلى قطع العلاقات مع إسرائيل والالتزام بتطبيق أحكام المقاطعة العربية ضدها. وأكد دعم حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم.

ودعت الأونروا إلى تكثيف الهبات والمساعدات إلى الشعب الفلسطيني، وحذرت من كارثة إنسانية، وعبر المفوض العام بيتر هانسن، عن قلقه الشديد إزاء تدهور الأوضاع الأمنية والإنسانية، وإزاء سلامة موظفي الأونروا المعتقلين والمحاصرين، وطالب المفوض العام السلطات الإسرائيلية بالإفراج الفوري عن العاملين لدى الوكالة والسماح بحرية الحركة للموظفين المحاصرين، وتعهد باستمرار خدمات الأونروا الطارئة على الرغم من العقبات الجدية المفروضة والأخطار التي يتعرض لها العاملون فيها.

وطالبت منظمة العفو الدولية في بيان لها الجيش الإسرائيلي والسلطات الإسرائيلية

بالإقلاع عن ارتكاب انتهاكات للحقوق الإنسانية للفلسطينيين، وطالبت «المجموعات المسلحة الفلسطينية. بأن تكف عن استهداف المدنيين الإسرائيليين وكررت دعوتها إلى إرسال مراقبين دوليين لحقوق الإنسان بغية حماية المدنيين الفلسطينيين والإسرائيليين.

ونددت تظاهرات في دمشق بالعدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين، والقوات السورية منعت المتظاهرين من الوصول إلى السفارة الأميركية. وفي الأردن تواصلت، لليوم السادس على التوالي التظاهرات الاحتجاجات الشعبية في مختلف المدن الرئيسية والمخيمات الفلسطينية في أطول سلسلة احتجاجات تشهدها المملكة منذ الخمسينات، وفي القاهرة نجح نحو عشرين متظاهراً في الوصول إلى بوابة السفارة الأميركية الكائنة في حي غاردن سيتي في وسط القاهرة، وسارت تظاهرات كذلك في صنعاء والدوحة والدار البيضاء وتونس.

وقد وجه أمين مجلس كنائس الشرق الأوسط القس الدكتور رياض جرجورة نداء إلى الرئيس جورج بوش، باسم الطوائف المسيحية الوطنية في الشرق الأوسط، ناشده فيه «التدخل بطريقة حاسمة وفاعلة لإيقاف النزاع المأساوي الذي يحتدم في فلسطين». ووجه جرجور نداءات خاصة إلى رؤساء الكنائس والمجالس المسكونية في العالم حثهم فيها على التدخل لدى حكومات بلادهم للضغط على إسرائيل وعلى أميريكا لوضع حد لمأساة الشعب الفلسطيني.

وعقد مجلس الأمن جلسة بطلب من المجموعة العربية ودول عدم الانحياز للبحث في مشروع قرار يدعو إلى التطبيق الفوري للقرارين رقم ١٣٩٧ ورقم ١٤٠٢. وقال مندوب فلسطين، ناصر القدوة، أن شارون مصمم على أخذ الجميع إلى حافة الحرب في الشرق الأوسط. وقال المندوب الأميركي الدائم لدى الأمم المتحدة، السفير جون نيغروبونتي، أنه لا يوجد حل عسكري للمأزق، وأن على الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني المبادرة إلى تطبيق القرارين رقم ١٣٩٧ ورقم ١٤٠٢ فورا. وعبر عن قلقة إزاء «أحداث العنف» على حدود إسرائيل الشمالية و«انتهاك الخط الأزرق». واقترح مندوب فرنسا، جان- دافيد لوفيت، إرسال قوة دولية لتنفيذ القرار رقم ١٤٠٢. ودعا مندوب بريطانيا جيريمي غرينستوك ، إسرائيل إلى سحب قواتها من مدن الضفة والسلطة الفلسطينية وإلى وقف «العمليات الانتحارية». ودعا مندوب إسبانيا إنوسنشيو أرياس نيابة عن الاتحاد الأوروبي إلى تدخل طرف ثالث، وقال إن الاتحاد الأوروبي مستعد

للقيام بذلك.

ودعا رئيس الحكومة البريطانية، طوني بلير، في مقابلة مع شبكة التلفزة الأميركية إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من رام الله والمناطق الفلسطينية، وطالب الفلسطينيين بوقف «الإرهاب والعنف». وشدد على ضرورة الدفع في اتجاه عملية سياسية لحل الأزمة، تقوم على أساس اعتراف العالم العربي بحق إسرائيل في الوجود، وفي العيش بأمان ضمن حدودها، والاعتراف بأنَّ مثل هذه المفاوضات سيثمر دولة فلسطينية قابلة للحياة .

وقال الوزير البريطاني لشؤون أوروبا، بيتر هين، أن الرئيس عرفات هو الزعيم المنتخب للشعب الفلسطيني، ومن المهم أن تعترف إسرائيل بذلك. وقال: إنه لا يمكن تجاهل الأزمة في الشرق الأوسط لأن تداعياتها الخطرة توثر في العالم بأسره.

وأعلن الوزير الخارجية الفرنسي أوبير فدرين أن الاتحاد الأوروبي مقتنع بأن سياسة القمع على نطاق واسع التي ينتهجها رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون، لن تؤدي إلى حل حقيقي للمشكلة. وكرر الدعوة إلى إرسال قوة فصل أو قوة مراقبة.

ودعت وزارة الخارجية السويسرية إلى إعادة النظر في العلاقات الاقتصادية والعسكرية مع إسرائيل في ضوء عملياتها العسكرية في الأراضي المحتلة. وقالت الناطقة باسم وزارة الخارجية السويسرية موريبل بيرسيت كوهين: «حتى وقت قريب كان لنا اتصال مع بلد مشارك في عملية السلام وقد وقع اتفاقات مع السلطة الفلسطينية. »أما الآن فإن رئيس الحكومة أريئيل شارون أعلن أن دولته غدت في حالة حرب مع الفلسطينيين.

واختتم وزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي اجتماعاً، استمر ثلاثة أيام في العاصمة الماليزية كوالالمبور، بإصدار بيان أعلنوا فيه رفض «أي محاولة للربط بين الإرهاب والكفاح الذي يخوضه الشعب الفلسطيني»، وكذلك رفض «أي محاولة لربط الدول الإسلامية، أو المقاومة الفلسطينية أو اللبنانية بالإرهاب مما يشكل عقبة على طريق مكافحة الإرهاب على الصعيد العالمي.»

* * *

منذ أن ضرب الجيش الإسرائيلي حصاره على الرئيس ياسر عرفات في ٢٦آذار عام ٢٠٠٢ وابنتي سها وحفيدتي زهوة تعيشان بعيدا عن الرئيس، لقد استقر رأي الرئيس على

أن يبعد أسرته عن جو الحصار والنار، ورغم إلحاح «سها» ورغبتها في أن تكون مع الرئيس إلا أن رعاية زهوة ولأسباب عديدة تتعلق بعقلية وأسلوب حياة الرئيس جعلته يصر على أن تكون بعيدة عن الحصار لتتفرغ لرعاية زهوة.

وقد اتصلت بي سها هاتفيا من تونس، وكان صوتها مشحونا بالألم والحزن والثورة، كانت في غمرة انفعالها تكاد توجه الاتهام لكل الأنظمة العربية والرؤساء العرب والأحزاب والمؤسسات فلسطينية وعربية ودولية، فهذا الذي يجري للرئيس أمر لا يمكن السكوت عليه.

أطلقت سها صرخة مدويّةً مخاطبة كل الضمائر: «أطلقوا سراح الرئيس ياسر عرفات». إن التواطؤ بالصمت هو جريمة في حق الإنسان قبل أن يكون في حق ياسر عرفات. ومن مجموعة الأفكار التي التقطها من سها رأيت أن اكتب مقالا لنشره في صحيفة القدس تحت عنوان «أطلقوا سراح سجين الحرية ياسر عرفات».

ومما جاء في هذا المقال:

لم يعرف التاريخ المعاصر مأساة مثل هذه المأساة التي يعاني منها الرئيس ياسر عرفات حيث يسجن رئيس دولة من قبل دولة أخرى بالقهر وقوة النيران، ها هو الرئيس ياسر عرفات في سنوات كهولته يقبع وراء الأسوار محاصراً سجيناً بكل ما تحمله الكلمة من معان وظلال، ليس محاصرا بل سجينا وراء القضبان.

الرئيس في سجن حقيقي، وسجانه على بعد خطوات منه، فهو قابع في غرفتين صغيرتين ذات فضاء محدود وتهوية سيئة وإضاءة تعيسة، وهو ممنوع من الحركة ومقابلة الناس، ممنوع من الالتقاء بأسرته وابنته، ممنوع من أن يلتقي بجماهير شعبه الذين يستمدون منه العزم والصلابة، كما يستمد منهم القوة والصمود والتحدي.

الرئيس ياسر عرفات سجين ، وهذه الحقيقة يجب أن تزلزل كيان كل عربيّ، وكل فلسطيني، وكل إنسان حر، لأن إسرائيل عندما تعتقل عرفات فإنها تعتقل الشعب الفلسطيني بأسره، فالقائد دائما رمز وعنوان لشعبه، وإسرائيل باعتقالها عرفات تعتقل المروءة العربية، والشهامة العربية، والرجولة والنخوة والإنسانية، لأن الرئيس الفلسطيني رئيس شرعي منتخب، واعتقاله يُعَدُّ انتهاكا فاضحا لاتفاقيات أوسلو، واتفاقيات جنيف وكافة اتفاقيات حقوق الإنسان والمواثيق والمعاهدات الدولية.

والحقيقة أنه تجتاحني مشاعر الألم والغضب والحزن، وأنا أدعو إلى إطلاق سراح «سجين الحرية» ياسر عرفات لأن هذا الذي نطالب بإطلاق سراحه هو الرئيس الرمز كما أطلق عليه جورج حبش ذات يوم، وهو رئيس دولة فلسطين ورئيس منظمة التحرير ونائب رئيس المؤتمر الإسلامي العالمي لإنقاذ القدس ويجب أن يعامل على هذا الأساس.

الرئيس الفلسطيني سجين يتحدى القهر والعزلة والموت، يمارس حياته، يوزع الفرح والأمل على أبناء شعبه، ويستقبل وفود العالم ورموز السياسة والفكر والإعلام والقيادة من شتى أنحاء العالم، ولكنه رغم كل ذلك سجين يتعذب بحبه للناس وبرغبته في العمل من أجلهم، والالتقاء بهم والتواصل معهم في قراهم ومدنهم ومخيماتهم ، أنه يتعذب بهم كما يتعذبون به.

لعل أكبر مأساة يعيشها الرئيس السجين أنه محروم من التواصل مع الجماهير، فما أعرفه عنه أنه كلما ضاقت به الدنيا، وكلما حاصرته المشاغل والمشاكل والخطوب كان ينطلق إلى الجماهير يلتقي بالناس، يذوب وسطهم ويذوبون فيه، يحمل إليه أطفال فلسطين الإزهار والشموع والفرح، ومشاعر الحب الدافئة فيهديهم الحب والأمل.

عزاؤه دائما هؤلاء الناس البسطاء الطيبون الذين يعرفون تاريخه ويحفظون مواقفه ويعرفون أنه خرج من صفوفهم، وعاش فيهم ومارس حياته ببساطة شديدة مثلهم سواء أكان جنديا مناضلا، في جبال قباطية، وبيت فوريك ونابلس والخليل أم كان قائدا تاريخيا ورئيس دولة وعلم من أعلام النضال التحرري المعاصر.

في مطلع أيلول من عام ٢٠٠٢ وكان ذلك في أول يوم دراسي من العام الجديد التقيته في المقاطعة، وكان مهموما صامتا، في عينيه أطياف أسى وشجن، ولما سألته عما به قال منفعلا:

ـ كيف أترك الأولاد وحدهم في مثل هذا اليوم؟

كان حزينا لأنه لم يستطع أن يخرج من المقاطعة لتفقد الطلاب في مدارسهم كما اعتاد في مطلع كل عام دراسي.

الرئيس الذي كان يجوب العالم داعيا ومناضلا وناطقا باسم الشعب الفلسطيني، والذي كان ينام في جوف الطائرات، وفي المقاعد الخلفية من السيارات يسجن في

غرفتين وتحيط به الدبابات وترقبه الطائرات، وتسجل عليه تكنولوجيا الجحيم كل حركة وكل شاردة أو واردة، تحصي عليه أنفاسه وتتهدده وتتوعده بالقتل والاغتيال تارة، وبالقهر والإبعاد تارة أخرى.

كان أبو عمار ولا يزال شعلة من النشاط والعمل والحيوية، وكان يواصل عمله على مدار الساعة، فإذا ضاق رفاقه بنشاطه وحيويته وأظهروا التذمر قال لهم في مُزاحٍ أقرب ما يكون إلى الجد:

- إذا كنتم قد تعبتم، اذهبوا أنتم وأرسلوا لي أولادكم.

هذه الطاقة الخلاّقة الحيوية كيف يمكن أن تسجن؟ كيف يمكن أن تعتقل؟ كيف يمكن أن تكون حبيسة غرفة وقضبان وأبواب؟

من المقولات الإنسانية الحكيمة «**الساكت عن الحق شيطان أخرس**»، هكذا قال الرسول الكريم محمد ﷺ، ومن عبارات الشاعر الرقيق كامل الشناوي أن التواطؤ بالصمت أسوأ من التواطؤ بالكلمات، وإن من استغضب ولم يغضب عاش ذليلا.

وقد سكتنا على عذاب الرئيس عرفات طويلا، سكتنا على حصاره وسجنه، سكتنا وسكت العالم العربي بل العالم بأسره عن رئيس دولة، انتخب بطريقة شرعية ديمقراطية ونال جائزة نوبل للسلام العالمي.

واختارته أعرق وأهم مجلة أمريكية وهي مجلة تايم رجل العالم في عام ٢٠٠٢م متخطيا بوش وشارون وبلير وشيراك وكل الشخصيات العالمية الأخرى. وذلك معناه بكل بساطة أن عرفات أصبح بالنسبة للعالم كله رمزا حيّاً خالدا لكل الحركات التحررية في العالم بشهادة عشرات من الكتاب والمفكرين وبشهادة كوفي عنان ونيلسون مانديلا وغيرهم من الزعماء والقادة.

إن أسوأ ما يمكن أن تنكب به أمة أن تعتاد الذلة والمهانة، وترى في الظلم والغطرسة والقهر ظاهرة طبيعية روتينية، لا تحرك ضميرا ولا تستثير وجدانا ولا تستدعي ثورة، وان أسوأ ما تنكب به حضارة أن ترى نعوش الشهداء مشهدا يوميا روتينيا لا يحرك ساكنا، ولا تطرف له عين، ولا يهتز له وجدان.

إن ما حدث ويحدث للرئيس ياسر عرفات صورة صارخة للظلم وبطش القوة، وطغيانها وتحد صارخ لكافة الأعراف والقوانين الدولية، ذلك أن القانون الدولي يحرم

اعتقال أي رئيس دولة أو سجنه أو عزله بالقوة الجبرية، ودون أي مبرر.

ولا بد لجماهير ومؤسسات وكوادر وأحزاب وفصائل الشعب الفلسطيني أن تهب لتقاوم هذا العدوان بكل الصور، وبأي شكل من الإشكال، ورغم أن العدو يمتلك كل مفردات وأساليب البطش إلا أننا كنا وما زلنا قادرين على التحرك والعمل، وزلزلة كيان الطغاة وقض مضاجعهم.

سكت العرب على حصار الرئيس الرمز ياسر عرفات، سكتوا إعلاما وكتابا وشعرا ونثرا وصحافة وإعلاما، وانصرفوا، وصرفوا جماهيرهم إلى قضايا ثانوية ومشاغل هامشية، حياتية ورياضية أو فنية.

ولو قدر لنا أن نكون على مستوى الحدث وجسامته وخطورته لواصلنا النهار بالليل من اجل حرية رئيسنا، ولفعلنا كل ما نستطيع، وما لا نستطيع لإعلان الجهاد في سبيل فك قيود الرئيس الرمز ياسر عرفات، ولأقمنا الدنيا وأقعدناها على نحو ما فعل جندي أمريكي إنسان عندما أثار العالم بكاميرا ديجتال وأحدث ثورة من أجل الحق والعدالة والإنسانية.

لقد سكت زعماؤنا وسكتت الجامعة العربية، وسكتت مؤتمرات القمة العربية، وسكتت الشعوب العربية، وراح الجميع في سبات عميق، فهم صم بكم عمي لا يفقهون.

سكتنا وتجرعنا المهانة والذلة والهوان، هان علينا رئيسنا فهنّا على العالم بأسره، سكتنا عن الحصار الذي تضربه قوات الاحتلال حول مقر الرئيس منذ أكثر من عامين وقد تجرأت عليه أيادي البطش والعدوان فدمرت طائراته الثلاث، وخربت مدرجات الهبوط والإقلاع، وهدمت مكاتبه وحاصرته في غرفة صغيرة سيئّة التهوية، ومنعت عنه الشمس والماء والهواء والكهرباء والهاتف، ولاحقته بالحديد والنار والتهديد والوعيد ليس ليوم، وليس ليومين، وليس لشهر أو شهرين وإنما لمدة عامين أو أكثر.

جاء في المادة (٢٥) وما بعدها من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهي أهم وثيقة عالمية صدرت لتحافظ على كرامة الإنسان وتصون إنسانيته، كما أنها مصدر هام تستقي منه معظم دساتير العالم مبادئ حقوق الإنسان، جاء في هذه الوثيقة ما يلي:

لكل شخص الحق في مستوى معيشة يكفي لضمان الصحة والرفاهية له ولأسرته،

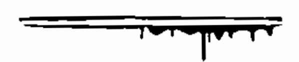
وخاصة على صعيد المأكل والملبس والمسكن والعناية الطبيّة، وعلى صعيد الخدمات الاجتماعية الضرورية، وله الحق في ما يأمن به الغوائل، كما نصت على أنه «لكل شخص حق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية وفي الاستمتاع بالفنون، وحق المشاركة في إدارة الشؤون العامة لبلده، أما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختيارا حرا».

وجاء في المادة (٢٢):

لكل شخص بوصفه عضوا في المجتمع حق الضمان الاجتماعي، ومن حقه أن توفر له من خلال الجمهور القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق مع هيكل كل دولة ومواردها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي لا غنى عنها لكرامة ولتنامي شخصيته في حرية.

وهذا الذي عرضناه أصدرته الجمعية العامة يوم ١٠ كانون الأول من عام ١٩٨٤م ينطبق على كل إنسان والرئيس عرفات ليس مجرد إنسان إنه قيمة نضالية وتاريخية وقومية عالمية، ورئيس دولة وزعيم أمة.

ولا يحق لساسة إسرائيل ولا للمتطرفين فيها، الاختفاء وراء تهمة الإرهاب، فهم يعرفون أن عرفات قائد تاريخي، ومناضل حر، وبطل قوميّ، وكما يضفون هالات القداسة على رموزهم العسكرية، ويتخطون كل حقائق التاريخ يحق لنا أن نقول أن عرفات يمثل مكانة عظيمة في نادي القادة المناضلين، الذين اتهموا بالإرهاب ووضعهم التاريخ في موضعهم الحقيقي مناضلون من أجل الحرية، ومنهم المهاتما غاندي وفيدل كاسترو ونيلسون مانديلا.



عندما يتعرض الشعب الفلسطيني للإبادة الجماعية أمام سمع العالم وبصره

الخميس ٤/٤/٢٠٠٢

وفي يوم الخميس الموافق ٤/ ٤/ ٢٠٠٢ الحملة العسكرية الإسرائيلية ما زالت مستمرة حيث تقوم قوات الاحتلال بمداهمات واسعة لتفتيش المنازل والمؤسسات العامة والخاصة وتدمر ما فيها ما أجهزة. وتواصل اعتداءاتها على الأماكن الدينية المسيحية والإسلامية وقصفها العشوائي على الأماكن كافة. وسقط اليوم أكثر من ٢٥ شهيداً وعدد آخر من الجرحى لم يتم حصرهم بسبب الأوامر العسكرية الإسرائيلية بمنع سيارات الإسعاف من الوصول للقيام بعملها الإنساني.

واصلت قوات الاحتلال قصفها مدينة جنين بالمدفعية وطائرات الأباتشي مستهدفة المنازل ومؤسسات السلطة الفلسطينية ومراكزها. وسقطت بعض القذائف على المستشفى ما أدى إلى قطع التيار الكهربائي والمياه عنها. واحتلت قمة جبل أبو ظهير جنوبي مدينة جنين. وشددت قصفها العنيف على مخيم جنين في محاولة لاقتحامه. وتحاصر أعداد كثيرة من الدبابات المخيم، وتطلق القذائف بصورة عشوائية على منازل المواطنين لخلق ثغرات تسهل عمليات الاقتحام. وقصفت طائرات مروحية إسرائيلية من نوع أباتشي المخيم وسيطرت على بعض المنازل ووضعت أصحابها في غرفة واحدة. واستشهد ثلاثة مواطنين في مخيم جنين برصاص قوات الاحتلال، وقتل ضابط إسرائيلي وجرح ثلاثة آخرون بنيران المقاومة في المخيم.

توغلت الدبابات الإسرائيلية في مدينة نابلس، فحاصرت مقر «المقاطعة» وقصفته

بالقذائف. واقتحمت منطقة السرايا في «لمقاطعة» وتمركزت الدبابات الإسرائيلية فيها. واستولت على مقر وزارة الداخلية. وتوغلت في شارع القدس للسيطرة منه على مخيم بلاطة حيث تواجه مقاومة شديدة. ودخلت المدرعات الإسرائيلية منطقة «جنيد» وسيطرت عليها وعلى مقر الشرطة والسجن بعد أن قصفتها بالمدفعية والرشاشات. واحتلت عدداً من المنازل، منها منزل المحافظ محمود العالول. الذي كان قد ،ستشهد ابنه ولم يترك الناس وجامعة النجاح في نابلس. واستطاع المقاومون إعطاب دبابة في بلاطة وإصابة عدد من الجنود الإسرائيليين.

واستمرت القوات الإسرائيلية في التقدم للسيطرة على مدينة نابلس بكاملها وعلى مخيمات عسكر وبلاطة وعين بيت الماء حيث تواجه مقاومة عنيفة. وشنت حملة اعتقالات واسعة في منطقة خلة العمود في رفيديا ومنطقة «جامعة النجاح الوطنية».

وفي بيت لحم واصلت قوات الاحتلال تفتيش المنازل والعبث بالمحتويات واعتقال الرجال والصبية. وازدادت عملية المداهمة شراسة ووحشية في مخيمات الدهيشة وعايدة والعزة، وفي مدينتي بيت جالا وبيت ساحور. وتعرضت كنيسة المهد وكنيسة سانتا ماريا والأديرة لرمايات من الرشاشات الثقيلة. ويحاصر الجيش الإسرائيلي كنيسة المهد ويمنع وصول الإمدادات الإنسانية والمواد الغذائية والطبية إلى المدنيين الذين احتموا فيها، وحاولت قوات الاحتلال اقتحام الكنيسة من الباب الرئيسي ومن البوابة الجانبية والباب الغربي، وتدور اشتباكات عنيفة بالرشاشات والقنابل اليدوية دفاعاً عن الكنيسة. واستشهد قارع أجراس الكنيسة بنيران الجنود الاحتلال.

وواصلت قوات الاحتلال قصفها المدفعي لمدينة طولكرم ومخيماتها، وتواجه مقاومة عنيفة، وشنت طائرات حربية إسرائيلية من طراز أباتشي غارة جوية على قرية كفر اللبد في محافظة طولكرم.

وتوغلت قوات احتلال مدعمة بالدبابات والمروحيات والوحدات الخاصة والمشاة في منطقة وادي الهرية في مدينة الخليل.

واحتجزت سلطات مطار اللد الإسرائيلية ٢٣ ناشطاً أوروبياً من الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني وأعادتهم إلى بلادهم.

ومنعت القوات الإسرائيلية ثلاث شاحنات محملة بالمواد الغذائية من دخول الضفة الغربية. وهذه الشاحنات أرسلها أبناء الأقلية العربية في إسرائيل.

وأعلن الناطق العسكري الإسرائيلي أن الجيش يواصل عملية « السور الواقي» في مدن جنين، طولكرم، وقلقيلية، ونابلس، ورام الله، وبيت لحم، وفي عدد من القرى التي تخضع للسيطرة الفلسطينية.

«وهذا المساء، دخل الجنود النظاميون وجنود الاحتياط مدينة نابلس، وفي أثناء العمليات تم تفجير عبوات ناسفة كانت معدة للاستخدام ضد الجيش الإسرائيلي، كما تم تبادل إطلاق النار بين الجنود والعناصر الوطنية في المدينة. وأصيب جندي إسرائيلي بجروح متوسطة وتم نقلة إلى المستشفى.

«وفي طولكرم، أصيب جندي إسرائيلي بجروح طفيفة وتم نقله إلى المستشفى».

«واعتباراً من مساء أمس أدت عمليات الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية إلى اعتقال ١.١٠٠ فلسطيني بينهم عدد من المطلوبين، واستولى الجيش أيضاً على ٥٠ قذيفة آر. بي. جي، ومنصتي إطلاق، و١١ بندقية آلية، و٧ عبوات متفجرة، وعشرات الصناديق من الذخيرة، وعدة كيلو غرامات من المتفجرات، وأكثر من ألف بندقية، و١٧٣ مسدساً».

واعترف الناطق بمقتل جندي إسرائيلي وإصابة آخر بجروح خطرة وآخرين بجروح طفيفة خلال المعارك في مخيم جنين.

وقال ناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن سفير الفاتيكان لدى إسرائيل الكاردينال بياترو ساماري اعتذر للجيش الإسرائيلي عن التقرير غير الصحيح بشأن مقتل كاهن في كنيسة القديسة مريم في بيت لحم.

وأضاف الناطق أن نحو عشرة مطلوبين هم أعضاء في «التنظيم» يحتلون حالياً كنيسة القديسة مريم، ويحتجزون مجموعة من الراهبات والرهبان، ويحاولون الفرار عبر استغلال الموجودين في الكنيسة كرهائن واستخدامهم كدروع بشرية.

وقال: إن الجيش الإسرائيلي لا يقوم بعمليات داخل كنيسة المهد في بيت لحم وأن أي جندي إسرائيلي لم يدخل الكنيسة.

وقد وجه الرئيس ياسر عرفات نداء إلى الشعب الفلسطيني الصامد في مواجهة العدوان في مخيم ومدينة جنين، وفي نابلس ومخيماتها وجميع قرى وبلدات الشمال الفلسطيني، مؤكداً أهمية وحدة الصف لتنظيم الصمود والمقاومة على المدى الطويل.

وصرح رئيس بلدية بيت لحم، حنا ناصر إلى صحيفة «النهار» اللبنانية: أن قوات الاحتلال الإسرائيلية التي تسيطر على بيت لحم تقوم بعملية تفتيش من منزل إلى منزل، تماماً كما فعلت في رام الله بحثا عن مسلحين. وأكد ناصر المحاصر في منزله أن الجيش الإسرائيلي نسف إحدى البوابات الخلفية لكنسية المهد، وأن أعداداً كثيرة من الجنود ترابط في باحتها الداخلية. واتهم إسرائيل بتصعيد الأزمة بعدما رفضت دخول وفد من رجال الكنيسة الكبار في محاولة للقيام بوساطة.

التقى رئيس الحكومة الإسرائيلية، أريئيل شارون، المبعوث الأميركي الجنرال أنطوني زيني، وأذن له بناء على طلبه في لقاء الرئيس ياسر عرفات. وأعلن شارون أن عملية «السور الواقي» ستستمر حتى تحقق أهدافها. ورفض وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس طلباً أوروبياً للقاء الرئيس ياسر عرفات .

اقترح رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلية شاؤول موفاز في تصريح صحافي طرد الرئيس ياسر عرفات. وأعلن أن الجيش يحتاج إلى أربعة أسابيع لتنفيذ عملياته في الضفة الغربية، وأربعة أسابيع إضافية لتدمير «البنية التحتية الإرهابية» للفلسطينيين.

منعت الحكومة الإسرائيلية وفد الاتحاد الأوروبي المؤلف من الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن المشترك للاتحاد خافيير سولانا، ووزير الخارجية الأسباني، جوزيب بيكيه من زيارة الرئيس ياسر عرفات في مقره المحاصر، وكان سولانا وبيكيه التقيا وزير الخارجية شمعون بيرس، ووزير الدفاع، بنيامين بن- إليعيزر. ورفض مسؤولون فلسطينيون لقاء الوفد الأوروبي إذا لم تسمح له إسرائيل بلقاء عرفات. وعبر كل من سولانا وبيكيه عن الاستياء من التصرف الإسرائيلي، وقال بيرس: «الحكومة قررت عدم السماح بلقاء عرفات وبعض القادة لأننا نريد إبقاءه في عزلة.»

التقى وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن – إليعيزر، الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن المشترك للاتحاد خافيير سولانا، ووزير الخارجية الاسباني جوزيب بيكيه، ووافق على إجلاء الرعايا الأجانب من بيت لحم. وخلال اللقاء قال وزير الدفاع أن إسرائيل تتعرض لهجوم من «ائتلاف منظمات إرهابية» على الساحتين الفلسطينية واللبنانية، وحذر الرئيس السوري من «اللعب بالنار» وأعلن أن إسرائيل قررت عزل عرفات لأنه استمر في دعم العمليات الإرهابية.

وجه الرئيس حسني مبارك كلمة إلى الشعب المصري تحدث فيها عن الاجتياح

الإسرائيلي للضفة الغربية وحمل إسرائيل مسؤولية «الأحداث الدموية» مستغلة الحملة الدولية ضد الإرهاب ، ومنتهكة جميع المواثيق الدولية في مجال حقوق الإنسان، ومتحدية كل قرارات الشرعية الدولية الأمر الذي «يجعلنا في العالم العربي نتشكك في مصداقية التزام إسرائيل بالأسس التي قامت عليها عملية السلام، والمتمثلة في قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام». وقال : إن الرئيس عرفات لم يفوت فرصة تاريخية في كامب ديفيد فما عرضته الحكومة الإسرائيلية السابقة لم يكن مقبولاً. وأضاف أن اقتراحات الرئيس الأميركي السابق كلينتون وتفاهمات طابا تشكل أساساً لاستئناف مفاوضات جادة نحو إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة. وطالب إسرائيل بسحب قواتها فوراً من أراضي السلطة الفلسطينية، ودعا المجتمع الدولي إلى اتخاذ مواقف حاسمة لحمل إسرائيل على التزام الشرعية الدولية والاستجابة لمبادرات السلام، وقال: إن الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية خاصة، وأنه وجه إلى الرئيس الأميركي رسالتين متتاليتين منذ بدء الهجوم في ٢٩/ ٣، لضمان انسحاب إسرائيل والعودة إلى المفاوضات موضحا في الرسالتين «المخاطر البالغة التي سيتعرض لها السلام العالمي، والتي ستتعرض لها مصالح الدول المختلفة في منطقة الشرق الأوسط وخارجها، إذا ما استمرت إسرائيل في سياستها العدوانية، وفي محاولاتها فرض التسوية باستخدام القوة العسكرية».

وأضاف الرئيس المصري إن سياسة إسرائيل الحالية لن تجلب لها الأمن، ولن ترهب الحكومات والشعوب العربية، و«لن تسهم إلا في تعميق مشاعر الكراهية في نفوس قرابة ٣٠٠ مليون عربي تجاه دولة إسرائيل وتجاه كل من يؤيد سياستها الحالية».

وقال: «بدأنا حملة قومية تهدف إلى توفير أقصى قدر ممكن من المساعدات الإنسانية ومواد الإغاثة والأدوية، والأطباء والممرضين سيتم دفعها فوراً للأراضي الفلسطينية المحتلة».

وفي إشارة إلى مبادرات السلام العربية، قمة القاهرة سنة ١٩٩٦، وقمة بيروت الأخيرة قال مبارك: «إن على إسرائيل أن تعي جيداً أن اليد العربية التي تمتد إليها اليوم بالسلام تنطلق من ندية كاملة وليس من ضعف أو خوف».

أصدر مجلس الأمن القرار رقم ١٤٠٣ طالب فيه بتطبيق القرار رقم ١٤٠٢ القاضي بسحب القوات الإسرائيلية من المناطق التي احتلتها منذ بدء العملية العسكرية ضد

مناطق الحكم الذاتي.

وقد انتقد الأمين العام، كوفي عنان، في كلمته أمام المجلس إسرائيل ودعاها إلى احترام الشرعية الدولية، وشدد على أن المشكلة في المنطقة سياسة لا أمنية. وحمل إسرائيل مسؤولية «المعاملة المهينة للمدنيين» محذرا إياها من أن إبعاد الرئيس ياسر عرفات سيكون «عملا طائشا». كما انتقد السلطة الفلسطينية في تعاملها مع مسألة «الإرهاب». وحذر من أن أي تصعيد على «الخط الأزرق» بين إسرائيل ولبنان قد يؤدي إلى «عواقب خطيرة تتجاوز إسرائيل ولبنان». واعتبر الهجمات التي تشن عبر الخط الأزرق «انتهاكا لقرارات مجلس الأمن ويجب أن يوضح ذلك لحزب الله وغيره...». وقال إن «حكومة لبنان تدرك أنها مسؤولة عن أي أعمال عدوانية تشن من أراضيها». وقال : إن السلام والأمن لإسرائيل لن يتحققا إلا «بتسوية عادلة ودائمة وشاملة»، ومن جهة أخرى فإن «إثارة الاضطراب والفوضى» لن يدفعا «حكومة إسرائيل وشعبها إلى الركوع». وعلى القيادة والجماهير الفلسطينية أن تسلم بحقيقة أن «ليس هناك ما يبرر الإرهاب». وأشار إلى تقارير تفيد بفرض قيود على إمكان وصول العاملين في مجال الشؤون الإنسانية والطبية إلى الفلسطينيين الذين هم في أمسّ الحاجة إلى المساعدة».

ألقى الرئيس جورج بوش خطابا ضمنة عناصر السلام في الشرق الأوسط. فأهاب «بالسلطة الفلسطينية وجميع الحكومات في المنطقة بأن تفعل كل ما في وسعها لوقف النشاطات الإرهابية، وتعطيل التمويل الإرهابي، ووقف التحريض على العنف». ودعا الدول العربية إلى القبول بإسرائيل «كدولة وكجارة». وبالنسبة إلى إسرائيل، قال بوش: «ينبغي على إسرائيل أن تعترف بأن (الدولة الفلسطينية) يجب أن تكون قابلة للحياة ينبغي أن يتوقف نشاط المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ..» وطلب الرئيس بوش من إسرائيل «أن توقف توغلها في الأراضي الواقعة تحت السيطرة الفلسطينية والبدء بالانسحاب من تلك المدن التي احتلتها مؤخرا»، وأعلن أنه قرر «إيفاد وزير الخارجية باول إلى المنطقة في الأسبوع المقبل» للعمل «على تنفيذ قرار مجلس الأمن الدول ١٤٠٢ وعلى وقف إطلاق نار فوري وحقيقي».

وكرر الرئيس جورج بوش في حديث مع شبكة التلفزة البريطانية دعوته الدول العربية إلى وقف تمويل العمليات الانتحارية وتجميدها. وردا على سؤال عما إذا كان فقد ثقته بالرئيس عرفات قال بوش «إنه (عرفات) لم يعرف بالتأكيد كيف يكسبها».

وأضاف «يجب أولا أن يثبت أن لديه سلطة. لقد خذل شعبه. وهناك آخرون في المنطقة يمكنهم إثبات سلطتهم». لكنه أكد انه يعود إلى الفلسطينيين وليس إليه أن يقرروا من يقودهم.

أدلى وزير الخارجية الأميركي، كولن باول بحديث إلى شبكة التلفزة الأميركية CBS عن السلام في الشرق الأوسط جاء فيه: «لا بد من الشروع في عملية سياسية أن عاجلا أم آجلا. وفي هذا الإطار فإننا نناشد الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات والزعماء الفلسطينيين الآخرين أن يفعلوا كل ما في وسعهم لوضع حد للهجمات الانتحارية التي كانت أصلا السبب في ما نشهد الآن من عنف.

«وفي الوقت ذاته نحن نقول لرئيس الوزراء الإسرائيلي شارون إننا في حين ندرك حقه الأساسي في الدفاع عن النفس فلا بد أن تكون هناك حدود – أن يكون هناك بعد زمني للعملية العسكرية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة. لن يستطيع أي من الطرفين أن يهزم بصورة حاسمة. ولذلك فإن التفاوض والعملية السلمية هما الخلاص الوحيد من هذا العنف. إنني أحث الطرفين على تفهم ذلك».

وشرح ما قامت به الحكومة الأمريكية خلال الأشهر الأربعة الماضية، بدءا ببحث السناتور جورج ميتشل على متابعة مهمته، ثم إرسال جورج تينيت لوضع خطته القائمة على سلسلة من الخطوات الملموسة والمحددة.

وأضاف: «لقد ذهبت إلى شارون الذي قال إنه مستعد للسير في العملية ولكن بشرط أن تسبق ذلك سبعة أيام من الهدوء. ثم ذهبت إلى الرئيس عرفات وقلت له وجها لوجه: سيدي الرئيس إفعل كل ما في استطاعتك لكي نحظى بسبعة أيام من الهدوء قبل أن نواصل المسيرة. ونظر الي عرفات عبر المائدة وقال: «إنك جنرال وأنا جنرال، وأنا أحييك وأطيعك. ولكننا مع ذلك لم نحظ بسبعة أيام من الهدوء».

وقال إن عرفات «لم يبذل كل ما في استطاعته. ومع ذلك فنحن بقينا شركاء في الجهود المبذولة. لقد توجه رئيس الولايات المتحدة بنفسه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ونادى بقيام دولة فلسطينية تسمى فلسطين. كان أول رئيس أميركي يفعل ذلك. ثم أرسلنا الجنرال زيني إلى المنطقة ليتفق مع الطرفين على التدابير الأمنية، ولكن جهوده قوبلت بهجمات انتحارية. ورغم ذلك لم نيأس وبقي الجنرال زيني في المنطقة يحاول كرة بعد أخرى.

«إن من الصعب للغاية أن نطلب من الشعب الإسرائيلي أن يتفاوض بصورة جدية بينما يرى الأبرياء من مواطنيه يقتلون، وأسوأ ما في الأمر أن تطلعات الشعب الفلسطيني هي التي تقتل في الوقت ذاته.

«هناك شبان فلسطينيون يضحون بأرواحهم في سبيل قضية يؤمنون بها. ولكن الحقيقة الواقعة هي إنهم يضحون بأنفسهم بدون هدف. إنهم لا يعتبرون شهداء بل قتلة. وهذا شيء يجب أن يتوقف.

«إن الولايات المتحدة ملتزمة بأمن إسرائيل، ولكنها ملتزمة أيضا بتلبية احتياجات الشعب الفلسطيني إلى العيش بأمان وسلام في دولته المستقلة جنبا إلى جنب مع إسرائيل. ولذلك فالمشكلة ليست أننا نحابي إسرائيل. فنحن نريد للطرفين أن يتعايشا بسلام ونعمل بكل جهد لتحقيق هذا الهدف».

وختم بأول بقوله:

«إن على الزعيم الفلسطيني أن يفعل شيئا لمنع التحريض على العنف لأن مستوى التحريض في المنطقة غير مقبول. إنه زعيم الشعب الفلسطيني سواء شئنا أم أبينا. وبالتالي يصبح لزاما عليه أن يمارس هذه الزعامة بالمجاهرة ضد التحريض على العنف». وأن شارون وعده بان «رئيس السلطة الفلسطينية لن يصاب بأذى وأن احتياجاته الفورية من الغذاء وخدمات المرافق العامة سوف تلبى».

وقد وجه البابا يوحنا بولس الثاني رسالة إلى وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال أنجيلو سودانو طلب منه فيها إيصال رغبته إلى الرعاة في الكنائس في الصلاة يوم الأحد ٣ نيسان من أجل السلام في الأراضي المقدسة.

قال رئيس الحكومة الإسبانية، خوسيه ماريا أزنار أن الاتحاد الأوروبي يبذل جهده لإيجاد مخرج للوضع في الشرق الأوسط، وكرر ضرورة تطبيق قرارات مجلس الأمن. وأعلن انه تحادث بالأمس مطولا مع رئيس الحكومة الإسرائيلية ، وعرض عليه أن يذهب إلى رام الله شرط السماح له بلقاء رئيس السلطة الفلسطينية. وأشار رئيس الحكومة الإسبانية إلى أن شارون يعتبر أن الأولوية هي المحافظة على سياسة فرض عزلة تامة على ياسر عرفات، ووصف إزنار هذا القرار بأنه «خطأ».

قال وزير الخارجية البريطاني جاك سترو أن السلام يتحقق بالمفاوضات لا بالعمل

العسكري. وانتقد تعامل رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون مع الرئيس عرفات. قائلا: انه لا يمكن تجاهل عرفات أو التعامل معه كأن لا منصب له. فليس في إمكان أحد اختيار زعماء الحكومات أو الإدارات في البلاد الأجنبية، علينا التعامل مع الزعماء الموجودين هناك.

قال رئيس الحكومة التركية وزعيم حزب اليسار الديمقراطي بولنت أجاويد، في اجتماع حزبي «إن ياسر عرفات هو الآن أسير الجنود الإسرائيليين، وسوف يتعرض إما للنفي وإما للقتل. الأمر لا يتعلق فقط بياسر عرفات، بل يتم القضاء على الدولة الفلسطينية خطوة خطوة. أن الشعب الفلسطيني يتعرض لإبادة جماعية أمام أعين العالم بأسره».

أعرب الرئيس فلاديمير بوتين عن تعاطفه مع «ضحايا العمليات الفلسطينية من مواطني إسرائيل». وحث الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي على الامتناع عن إلحاق الأذى بالقيم الحضارية والروحية. ودعا وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف، إسرائيل إلى سحب قواتها من المدن الفلسطينية ورفع الحصار عن مقر عرفات، وطالب القيادة الفلسطينية بإصدار «أوامر واضحة» بوقف «أعمال العنف». ووصف عرفات بأنه «عنصر مهم» في الجهود المبذولة للبحث عن حل سياسي».

وفي محاولة لتقييم العمليات الاستشهادية وحدث أن الرأي الغالب.. أن لهذه العمليات جانبان.. جانبًا إيجابيًا.. وآخر سلبيًا على النحو التالي:

١. أربكت حياة الإسرائيلي اليومية، وحرمته الأمن الشخصي.

٢. أثرت سلبا في الاقتصاد الإسرائيلي: تراجع السياحة، والركود التجاري، وتراجع الاستثمار الأجنبي، وزيادة نسب البطالة، وإرباك سوق العمل.

٣. أثرت سلبا في الهجرة إلى إسرائيل، وإيجابا من وجهة نظر عربية في الهجرة من إسرائيل ومن المستعمرات في الأراضي المحتلة.

أما أهم السلبيات فهي:

١. ساهمت العمليات ضد المدنيين في توحيد الإسرائيليين حول شارون ومخططاته، وفي إقناع الإسرائيليين بأنهم يخوضون ضد الفلسطينيين حرب وجود. وبذلك، أفشلت أحد أهم أهداف حركات التحرير الوطني: كسب الأنصار والمؤيدين

في صفوف العدو، وتأليب أوسع قطاع ممكن من القوى الشعبية والسياسية والنخب الثقافية ضد حكامهم المستعمرين، ورفض «ثقافة» الاحتلال وممارساته والثورة ضدها كما ساهمت في إضعاف معسكر السلام في إسرائيل.

٢. لم تجد أي نصير في الرأي العام العالمي الذي تحتاج إليه أية حركة تحرير وطني كي تعزل المحتل وتصمه بالاستغلال والاضطهاد. بل نجح الإعلام الإسرائيلي، والإعلام الصهيوني، والإعلام المؤيد لهما في العالم في جعل صورة نتائج هذه العمليات تطغى لدى الرأي العام العالمي ووسمها بالإرهاب، وإن لم ينجح في تشكيل صورة النضال الوطني الفلسطيني ككل على أنه جزء من «الإرهاب» الذي يسعى العالم لمكافحته. وفي المقابل لم تسجل ردات فعل عالمية (ولا حتى أميركية) ضد العمليات التي تعرض لها جنود الاحتلال والمستوطنون المسلحون في الضفة والقطاع.

٣. صرفت الأنظار عن أشكال المقاومة الشعبية للمحتل وحلت محلها أحيانا. وتمكنت الدعاية الصهيونية من إبراز الصراع على أنه حرب شبه نظامية بين قوتين مسلحتين، أو أن دولة يعتدي عليها «إرهابيون» مسلحون، وهي مضطرة إلى تعقبهم أينما كانوا والقضاء عليهم.

هكذا، وعلى الرغم من سقوط ٦١٩ قتيلا إسرائيليا في عامي الانتفاضة، فإن ذلك لم يحمل الإسرائيليين إلى طاولة المفاوضات، وإنما على العكس طالبوا بالمزيد من القوة والبطش، وازدادوا التفافا حول شارون على أساس أن الوضع الصعب يحتاج إلى رجل قوي مثله كما يقول عزمي بشارة.

ولعله من المشروع أن نسأل بعد عامين من الأحداث العاصفة والمتسارعة منذ بدء الانتفاضة في أيلول ٢٠٠٠: هل ثمة مراكز بحث وخبراء في فلسطين يقرؤون جيدا المجتمع الإسرائيلي بكل أطيافه البالغة التعقيد؟ وهل أثرت هذه القراءة (إذا وجدت) في إستراتيجيات وأساليب حركة المقاومة، ولدى صاحب القرار الفلسطيني؟



حكايات الحصار الدامية بطولا وقهر ودموع خواطر وذكريات

الخميس ٢٠٠٢/٤/٤

تقع (عمارة الأصبح) الثانية في الجهة الغربيّةَ المقابلة لمنزلي، والتي تطل على المقاطعة من الجهة الغربية، وهي عمارة عالية جدا، استُهدِفت من قبل الجيش فقد أخرجوا أصحابها منها، وأنزلوهم إلى الطابق الأرضي، وطلبوا منهم ألا يتحركوا أو يرسلوا أي إشارة، فكان الموقع إستراتيجيا بالنسبة إليهم. إذ كان يشرف على المقاطعة بشكل ممتاز. ويطل على كل رام الله، وكانوا يستعملون الكشّافات التي تضيء كل المنطقة، والوادي الذي يسمى بطن الهوى والأراضي الفسيحة الممتدة إلى ساحل تل أبيب كانت ترسل البالونات المضيئة التي تضيء كل المنطقة والأحراش خوفا من الشباب المطلوبين. وكان القناصة يتناثرون على مسافة الكيلو متر ونصف التي تحيط بالمقاطعة وتشملنا من كل الاتجاهات. وكنا نسمع عن طريق الراديو بالبطارية عن فاجعة في كل دقيقة وعن مذابح ومجازر وشهداء وبطولات ومواجهات كما حدث في مخيم جنين وكنيسة بيت لحم وجوامع نابلس والمعارك في شوارعها والاحتجاجات في العالم المتواصلة والغضب تأييدا لقضيتنا في كل أنحاء العالم العربي والغربي. وكل ذلك ونحن نعاني من الأباتشي والـ إف ١٦ والآليات التي كانت تحرث الأرض حرثا وكأننا في نار جهنم.

ويمكن استكمال هذه الصورة بأن نتأمل ما كتبته صحيفتان إسرائيليتان في تشخيص ووصف الحالة التي أعقبت اجتياح الجيش مباشرة لمدينتي رام الله والبيرة. فقد جاء في صحيفة «معاريف» بتاريخ ٨/ ٤/ ٢٠٠٢ أن منظمة أطباء من أجل حقوق الإنسان،

قدمت التماسا إلى المحكمة العليا بإلزام الجيش بتمكين الصليب الأحمر من توفير الخدمات الطبية للسكان، وتوجهت منظمة الصحة الدولية بطلب الإعلان عن المناطق الفلسطينية المحتلة كمنطقة كارثة الأمر الذي يؤدي إلى وصول طواقم طبية من كل أنحاء العالم بهدف توفير مساعدة للفلسطينيين.

وقالت مركزة المشاريع في المنظمة «هداس زيف» في مؤتمر صحفي : «إن الوضع في المناطق على وشك لكارثة. الجثث ملقاة في البيوت منذ عدة أيام في حالة تعفن، لأنه لا يمكن الخروج ودفنها وهذا خطر صحي لا يخلون القمامة من الشوارع، والناس محبوسون في البيوت، وثمة نقص خطير في الغذاء والمياه.

وقال د. «إيلان غال» رئيس المنظمة: «إننا لم نكن ذات مرة بمثل هذا الانحطاط من ناحية حقوق الإنسان الأساسية».

وتحدث صلاح الحج يحيى منسق العمل الميداني للمنظمة والموجود على اتصال دائم مع الطواقم الطبية في المنطقة عن دخول الجيش إلى مستشفى الولادة في البيرة. فقال إن الجنود جمعوا كل العمال والنساء المرضى مع أطفالهن الذين ولدوا للتو، واقتحموا كل الغرف في المستشفى. وتم تقييد يدي مدير المستشفى وبعض الموظفين. والتقط الجنود الصور مع الموظفين المقيدين وبعد ذلك تم اعتقال عدد منهم، ونقلوا على متن مجنزرات إلى مناطق مجهولة.

كما نشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» في نفس التاريخ مقالا قالت فيه:

«لقد فشلت محاولة هدم البيوت من قبل الجيش الإسرائيلي التي تستخدم كمأوى للمطلوبين حيث أن الجرافة الكبيرة والعريضة لم تستطع العبور بين الأزقة الضيقة». وفي نابلس تتقدم قوات كبيرة من لوائي جولاني والمظليين ببطء شديد في حي القصبة، وقد احتل الجيش تقريبا ثلث الحي. ويسود الاعتقاد أنه وقع بين الفلسطينيين المتحصنين عشرات القتلى. وتمركز الجنود واقناصة في مواقع عديدة على أسطح المنازل العالية، وطوقوا حيّ القصبة من كل المحاور. وتقدمت جحافل الغزو بعمق عشرات الأمتار في القصبة. وقتل ١١ فلسطينيا في ساعات بعد الظهر في اشتباكات مع الجيش منهم اثنان من كبار تنظيم فتح هما أحمد طابوق ومعيد جميل. وكان طابوق قد نفذ عشية إقامة السلطة الفلسطينية عمليات ميدانية، وأطلق النار على متعاونين. فيما كان معيد جميل من قادة كتائب الأقصى.

تصاعدت في هذه الفترة في ربيع عام ٢٠٠٢ صيحات إسرائيلية تطالب بإبعاد الرئيس ياسر عرفات، والتخلص منه زاعمة أن الرئيس عرفات جزء من المشكلة وليس جزءا من الحل. وقد كتبت في هذه الفترة مقالا في صحيفة «فلسطين» بعنوان «باق على قلوبهم». وقلت فيه: «نحن لا نقول أن القائد منزه عن الأخطاء ولا نقول أنه وصل إلى منصب الرئاسة من خلال انتخابات شكلية، ولكننا نقول أنه وصل إلى الزعامة بطريقة شرعية، وانتخابات خضعت لرقابة دولية بإشراف الرئيس كارتر. وإذن فالرئيس عرفات رئيس دولة وصل إلى آفاق الزعماء بأسلوب دستوري، وإن محاولة انتزاعه من منصبه إنما هو إرهاب دولة كما يقول كمال خرازي وزير خارجية إيران».

ومن الأحداث الجديرة بالتأمل في تلك الفترة تلك الكلمة التي ألقيت نيابة عن الرئيس عرفات في احتفال نظمته الأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني فقد جاء فيها «إن حتمية قيام دولتنا المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف سيتم في أقرب وقت، وهو الضمان العمق والأرسخ للأمن والاستقرار في الشرق الأوسط، وهناك ضرورة لوضع حد للاحتلال الإسرائيلي والاستيطان لبلادنا، وتثبيت حق العودة للاجئين»، ومما جاء في كلمة الرئيس (أحييكم ثانية وأقدر جهودكم المخلصة في حماية حقوق شعبنا غير القابلة للتصرف، وأقدر جهودكم المميزة لتحقيق السلام الدائم والشامل في المنطقة، وفي أرض السلام أرض فلسطين المباركة، لأنها الركن الأساسي للاستقرار في عموم الشرق الأوسط وفي العالم أجمع).

ويمكنني أن أقول إن الرئيس عرفات محكوم بثوابت فلسطينية لا يمكنه أن يتنازل عنها. وهذه الثوابت هي حق العودة، واستعادة القدس الشريف، وقيام الدولة الفلسطينية. وقد سمعته مرارا يقول إنني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الحي الأرمني في القدس، بل أن لي في القدس أملاكا لا تزال موجودة حتى اليوم، وكما أنني لا أفرط في أملاكي الشخصية، فإنني أحرِّمُ على أي فلسطيني أن يتنازل عن شيء لا يملكه هو. أن ألاعيب الساسة ومحاولاتهم وفلسفاتهم، لا يمكن أن تغير هذه الحقيقة البسيطة، وهي أن حق العودة حق شخصيّ ويجوز لي أن أستطرد فأقول إنه كان بوسع الرئيس أن يقول في اتفاقات كامب ديفيد الثانية نعم لبراك ونعم لكلينتون، ولكنه رفض ذلك حتى لا يفرط في الثوابت الفلسطينية، ولما قال له كلينتون «هنا» لا يقول أحد «لا» لنا قال له عرفات: أنا أقول لا وأدعوكم إلى جنازتي.

ومن بطولات الشعب الفلسطيني في زمن الحصار.. قصة ذلك القناص الشاب،

الذي ورث بندقية إنجليزية قديمة عن والده، وفي موقع مختار قرب حاجز عسكري يقع في شمال رام الله كَمن الشاب، وأخذ موقعه، وبدأ يطلق النار على الموقع.. كان الشاب.. يستعمل بندقية قديمة ليست آلية، وليست رشاشا، وإنما هي بندقية قديمة.. يعود تاريخ صنعها إلى الأربعينيات أيام حرب فلسطين عام ١٩٤٨، واستطاع الشاب ببراعة وثقة أن يقتل تسعة إسرائيليين وبقي فقط من جنود الحاجز جنديان، وتؤكد المصادر الصحفية الإسرائيلية أن هذه العملية التي جرت في حاجز «عوفرا» قد تم تنفيذها بهذا الأسلوب الشجاع الذكي. من قبل شخص واحد، وبعد أن أنهى الشاب مهمته انسحب في هدوء وهو يحمل بندقيته التاريخية على كتفيه، ومن ثم اختفى في جبال وصخور المنطقة، ولم تستطع كل الآلة الإسرائيلية الجهنمية العثور على أي أثر له.

توقفت طويلا عند هذه البطولة، وأدركت كم أن شعبنا قوي وعظيم وفاعل مهارة هذا الشاب، وثقته بنفسه، وقدرته على التصدي، وإيمانه بعدالة قضية بلاده جعلتني أؤمن أن الأمهات الفلسطينيات لن يعجزن عن إنجاب الأبطال وبطولة هذا الشاب أيقظت فيّ أحلاما فنية، وهي أن أرى مؤسسات الإعلام والفن الفلسطينية أو العربية تخلد مثل هذه الأعمال البطولية.

شاب صغير قناص بارع، كل طلقة يطلقها بإصابة محتمة.. ثبات وجرأة وإيمان.

ولبندقيته تاريخ.

ولوالده الذي أنجبه تاريخ.. فالحقائق تؤكد أن الابن ورث البندقية عن والده الثائر عندما شارك في حرب عام ١٩٤٨م.

وقد علمت أنهم بعد ذلك اعتقلوه فلما أصدر الحاكم العسكري عليه الحكم..

رفع يده بالسلام والتحية..

وقاله له، أحييك.. أنت بطل.. ذلك ما حدث في فلسطين قرب قرية عين عريك.. ليس مشهدا في فيلم سينمائي، وإنما حقيقة ملموسة روتها الصحف وسجلتها عدسات مصوري المحكمة.

والآن اسمحوا لي أن أستعيد بعض ما كتبه الصديق الشاعر المتوكل طه ونشر في جريدة فلسطين تحت عنوان أيام الاجتياح والبطولة: «أما أبو عمار وهو يحاصرهم بحصاره فقد ظل الرجل محتفظًا بصبا الغابات ، وصيرورة الموج الحلو . من الجبال إلى الموانئ. يبدو

عاديًا . لأنه البعد الرائق الذي يمد الينابيع في ظهيرة الظمأ ، تراه راسخًا لأنه سيف المتراس ، يفهق بين الجمرة والجرح ، ويظل قنطرة للصغار والدوالي ، غصن يديه سُلم النجمة العاشقة، وصوته ممحاة العتمة الثقيلة ، وبصيرته تتجاوز الغابة السائرة إلى القلعة .

خجله لوزة الجبل . فيه نسغ الرحمة والأعياد ، تسمع خرير وجيبه كلما سقط شهاب أو عثرت فرس عند سواتر النار . فيه تواضع السلالة المستحيلة ، وعفو اليمامة المستوحشة .

دمعته زهرة ليمون ، وابتسامته ثوب النهر ، وهو عاهل العاصفة ، وغارس أغصان القسم. يتفتح في ليل الزنجبيل ، ويعلو على رغوة الكلام. لا تهزه الحوادث، ويمسك بإصبعه غُرة الأرض ، ولن يتركها ، ثالث اثنين . الفاروق وصلاح الدين . محمول على باشق الحق .

من يوميات عائلة محتلة في ظل الحصار الكبير:

حكايات الحصار مريرة معجونة بالشجن والدموع، وفي كثير من الأحيان بالدماء والمرارة..

على مرمى حجر من بيتنا يقيم الدكتور مفيد الشامي المحاضر في جامعة النجاح، والابن الأصغر للشيخ محمد الشامي المناضل الذي قاتل تحت قيادة الشهيد عبد القادر الحسيني.

ذات ليلة من ليالي الحصار الطويلة اجتمعنا حول شاشة التلفاز وأخذنا نستعيد الأحداث بما فيها من نار ودم وعنفوان، وأخذ كل من الجيران يروي فصولا مما سمع وما شاهد وما عايش .

وسأترك الكلام لجاري مفيد الشامي الذي احتل جنود الاحتلال بيته في الأيام الأولى للاجتياح ، وكما حدثني بذلك ، ونشرت ما قاله لي في جريدة فلسطين :

«قضينا يوم الخميس ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٢ بالإعداد تحسبا لاجتياح إسرائيلي محتمل على مدينتنا رام الله، تمثل بإحضار صغارنا من مدارسهم قبل انتهاء اليوم الدراسي، ومحاولة شراء الاحتياجات الأساسية من تموين ودواء لوالدتي التي خرجت لتوها من جلطة دماغية ثانية خلال الأشهر الثلاثة الماضية، وبالتالي أصبح بقاؤها معتمدا على هذه الأدوية في غياب أي خدمات طبية. في مساء اليوم ذاته التف جميع أفراد العائلة أمام التلفاز، متنقلين من محطة تلفزيونية لأخرى ترقبا لأحداث لا تبشر بخير أو انفراج أزمة كما عودنا الجنرال الشجاع المغامر (شارون). وأثناء تتبعنا لعناوين الأخبار وتفاصيلها أيقينا أن الهجمة الشرسة المستهدفة لإعادة احتلال الأراضي الفلسطينية قد حلت، وأن هجوما كاسحا سيشن على

مدينتنا الباسلة رام الله، فهي مستهدفة بحكم كونها مركز السلطة الفلسطينية ومقر إقامة رمزها. وفي هذه الأثناء لاحظت حيرة صغاري دون القدرة على إعطائهم أي تفسير منطقي أو غير منطقي لما يحدث، أو قد يحدث في الساعات القليلة المقبلة. أكثرهم أسئلة صغيرتي التي لم تتجاوز السنوات الثلاث في عمرها، لشعورها بالجو المشحون بالتوتر والترقب في البيت، وإعادة ترتيب إقامتنا تجنبا للقصف الإسرائيلي القادم لا محالة.

انتهى يوم الترقب والانتظار وبدأ يوم الجمعة، ولم تمض ساعات قليلة، وإذا بصوت النيران الصادر من مدفعيات الدبابات الإسرائيلية ورشاشاتها الثقيلة يَهُزُّ صمت المدينة المترقب، وأخذنا نسمع ونشعر بالرصاص يصطدم بجدران المنزل، وبالتالي انتقلنا من حالة الترقب إلى حالة الخوف والالتجاء إلى وسط المنزل، تجنبا للقصف الذي شعرنا بعشوائية توجهه الصادر من قوات جيش الاحتلال وهم في طريقهم لمحاصرة مقر الرئيس في المقاطعة. وبالتالي أصبحنا ضمن دائرة الاستهداف الأولى في رام الله، لا سيما وأن موقعنا لا يبعد أكثر من مئة متر هوائي عن مقر الرئيس. وفي هذا الوقت، فارقنا النوم صغيرا وكبيرا في المنزل، وانصبت اهتماماتنا حول كيفية البقاء ومقاومة الموت. ولم نشعر بالوقت إلا حين بدأ مؤذن المسجد القريب منا برفع أذان الفجر، وكان ذلك آخر آذان يرفع على مسامعنا في المدينة حتى هذه اللحظة.

بدأنا نهار الجمعة، الذي بدأ حزينا، حيث الجو البارد، والغيوم المتلبدة في سماء رام الله معلنة قرب تساقط الأمطار، متعاطفة مع المحاصرين، ففي اعتقادنا بأن هذه الأحوال الجويّة سوف تؤخر دخول الطيران الإسرائيلي ضمن الحرب المعلنة علينا وتجنبنا قصفا جويّا. ولم يكون لنا من نصير سوى صمودنا، والأحوال الجوية غير الملائمة لخطط الاحتلال. بدأت الدقائق تمر بثقل الساعات تهزنا في كل دقيقة القذائف الثقيلة الموجهة لمقر الرئيس مصحوبة بزخات متواصلة من قذائف الرشاشات الثقيلة. وهنا أصبحت حركتنا أبطأ من الوقت الذي يمر بنا، وأصبح الوصول إلى أي نقطة في المنزل وخاصة المطبخ يتطلب جهداً ومغامرةً مبتعدين عن نوافذ المنزل غير القادرة على صد الرصاص.

مع اقتراب الظهيرة بدأت أربع دبابات مدرعة بغزو شارعنا الموازي لشارع الإرسال والذي لا يتعدى طوله الكيلو متر الواحد، مدمرة كل ما يوجد على أكتاف الشارع من أسوار وسيارات وأشجار، ومطلقة نيران رشاشاتها الثقيلة معلنةً عن وصولها وقيامها بالتعرف على مواقع المقاومة الفلسطينية الباسلة في الأحياء المطلة على شارعنا. وفي طريق عودتها قامت بإنزال جنودها واحتلال بناية سكنية تقطنها خمس وعشرون عائلة، واستخدمتهم كدروع

بشرية لحمايتهم من تصدي أفراد المقاومة الفلسطينية، واعتلاء سطح البناية من قبل القناصة الإسرائيليين الذين أصبحوا يطلقون النار على كل ما يتحرك ولا يتحرك بقصد أحكام السيطرة على الحي لحماية قواتها المحاصرة لمقر الرئيس كما لاحظنا فيما بعد.

استمر إطلاق النار المكثف طوال مساء الجمعة وصبيحة السبت، وبدأنا محاولة التعرف على نوع السلاح المستخدم، ونوع القذائف المطلقة وجهة إطلاقها وأهدافها من خلال التنصت واستخدام حاسة السمع، إلا أنه سرعان ما تبين زيف هذه الحاسة، بسبب صدى صوت هذه القذائف المرتد من كل جانب، وأصبح من الصعب تلقي الأخبار أو معرفة ما يدور حولنا. فالإذاعات الفلسطينية لم تتمكن من تغطية هذه الأحداث، والإذاعات العربية تعلن عن احتلال رام الله، واستعداد الجيش الإسرائيلي لاحتلال مدن فلسطينية أخرى، أخبار مضى عليها أكثر من ثلاثين ساعة، ولم تعد الإذاعات العالمية تبث نشراتها الموجهة للشرق الأوسط بسبب الوقت المتأخر واقتراب بزوغ فجر السبت الذي يحمل معه المجهول.

في حوالي الساعة الحادية عشرة من صباح السبت فاجأتنا مجموعة من قوات الاحتلال قوامها خمسة وعشرون جنديا، مدججين بأسلحتهم النارية وتوابعها من عتاد، يصرخون ومنهم من يدق باب المنزل بفوهات أسلحتهم، ومنهم من أخذ موقعه مستحكما أمام المنزل طالبين فتح الباب بأقصى سرعة ممكنة. قمت وعلى الفور بالرد عليهم وفتح الباب، وإذا بعدد من فوهات البنادق تتوجه نحو رأسي، وأخذ الجنود يوجهون سؤالا فيما إذا كنت أتحدث الانجليزية أم لا؟ أجبتهم بالإيجاب باللغة الإنجليزية، وعلى الفور طلبوا دخول المنزل دون تحديد الغاية من ذلك.

وفي داخل المنزل بدؤوا في توجيه الأسئلة محاولين شرح أهدافهم وغايتهم. وقامت مجموعة منهم باحتجاز جميع أفراد العائلة في غرفة، واصطحبوني لتفتيش جميع أجزاء المنزل والبناية بما في ذلك سرير والدتي البالغة الخامسة والثمانين من العمر والتي لا تقوى على الحركة والتحدث بسبب جلطتين في الدماغ، وتعجبوا لاحتواء المنزل على مكتبة تحوي المراجع العلميّة لخلفيتي الأكاديمية فهم يتصورون أننا مجموعات تروج للعنف وأننا أمة بلا ثقافة ولا حضارة مما استدعاني لشرح حقيقة الأمر لضابط المجموعة الذي يتحدث اللغة الانجليزية بإتقان، وإن لم يتماش ذلك مع الموقف الرهيب في كوننا أصبحنا رهائن في منزلنا، وقلت له بأنكم تحملون صورة نمطية سلبية عن الفلسطينيين، وأن أبناء شعبنا الفلسطيني يتمتعون بأعلى نسبة تعليم جامعي في المنطقة تقترب من التسعين بالمائة، فأجاب

بفتور وعدم رضا «هذه نسبة عالية». وفورا انتقل إلى سؤاله فيما إذا كان يحتوي المنزل على أية أسلحة نارية. فأجبت بأنني أكاديمي وأن طبيعة عملي ومساهماتي العامة تنحصر في أنني «تكنوقراط» فقال: «إن الكل يدعي ذلك ولا ينفي ذلك وجود أسلحة».

وعند الانتهاء من التفتيش، والتأكد من زيف ادعاءاتهم، طلبوا منا عدم الحركة والبقاء في مكان واحد، ورفض أي مطلب بأن يتناول الصغار طعامهم. وأخبروني بأنهم سيمكثون داخل المنزل لفترة إضافية. وهنا تبين لي بأن هدفهم بجانب تفتيش المنزل هو الهروب من الشارع والالتجاء للمنزل واستخدامنا درعا بشريا ضد أي طارئ، واستخدام المنزل كما كان مبينا على الصورة الجوية التي بحوزتهم نقطة مراقبة. حيث بدأ الخوف والإعياء عليهم، وتكدس معظمهم في صالون المنزل وبدؤوا يتناولون طعامهم بعد أن رفضوا طلبي بالسماح لصغاري بتناوله. وهنا فوجئت من صغيرتي التي لم تتجاوز الثلاث سنوات تتقدم نحو الجنود وتخاطبهم «أنتم يهود وماذا تفعلون في بيتنا عليكم الرحيل». وبقي الأمر على ذلك أكثر من ساعتين حتى مغادرتهم وخروجهم لسطح البناية، واستمرار مداهمة البيوت بيتاً بعد آخر.

وبعد الظهر بدأ القصف الموجه نحو مقر الرئيس يشتد، وأصبحنا نتوقع بالدقيقة والساعة متى يتم استخدام الرشاشات الثقيلة، ومتى يتم استخدام مدافع الدبابات، واستمرينا نرصد القصف حتى الساعة الثالثة من صباح يوم الأحد، حين استرعى انتباهنا صوت جرافة مجنزرة، ودبابة تحرسها خارج المنزل أتت لإخراج سيارتي من الكراج إلى الشارع، وبدأت بدكها إلى أن سوتها بالأرض، ومن ثم عادت أدراجها إلى شارع الإرسال لتكرار المهمة بسيارات الأهالي المختبئين في منازلهم، وذهبت في تفكيري فيما إذا قام قائد الكتيبة الاحتلالي بالإبراق إلى الجنرال الشجاع بنجاح تنفيذ هذه العمليات التخريبية لممتلكات المواطنين الفلسطينيين، وأخذ أطفالهم رهائن، وأن مهمتهم الاحتلالية بدأت تؤتي أكلها دون مقاومة من الأطفال والأهالي العزل.

قبل ظهر يوم الأحد جاءت مجموعة أخرى من جيش الاحتلال مكونة من ثلاثة عشر جنديا وداهمت المنزل، وطلبت منا الدخول إلى غرفة واحدة تحت تهديد السلاح، وعدم التحرك وقطع توصيلات الهواتف، وعدم الإجابة على أية اتصالات هاتفية. وفي هذه المرة أصروا على فصلنا عن والدتي المريضة غير القادرة على الحركة والكلام دون مساعدة. وتم استخدامنا درعا بشريا مرة أخرى حتى حلول الظلام، وفي هذه الأثناء خرجت مجموعة من الجنود المتمركزين في المنزل وبدأت بإطلاق النار على سيارة صحافة حاولت تصوير الدمار

الذي حل بنا. وعند المساء حضرت ثلاث دبابات مصفحة لنقل الجنود من المنزل مع بقية القناصة فوق المبنى المجاور ليحل محلهم شرذمة من العساكر الذين واصلوا عملياتهم «البطولية» في الأحياء المجاورة والتوجه لتعزيز الحصار على مقر الأمن الوقائي في أطراف المدينة، وربما ذهبوا لقصف واقتحام المباني التجارية وسط المدينة وكانت الدوريات العسكرية الجهنمية هذه يتم استبدالها في شارعنا على مدار الساعة. وعدنا مرة أخرى للتنقل زحفا داخل المنزل، فمرة نزحف للجانب الغربي من المنزل تجنبا للقذائف الموجهة نحو عمارتي دراغمة والإسراء، ومرة نزحف نحو الجانب الشرقي تجنبا للقذائف الموجهة نحو عمارة البيتوني وقد تواصل هذا العذاب طيلة يوم الاثنين.

مع انتهاء الساعات الأخيرة من يوم الاثنين بدأت الدبابات بتكثيف قصف مقر الرئيس والمباني التجارية ومقر الأمن الوقائي الذي لم أعهد أن سمعت أو قرأت طيلة حياتي أن تعرضت رام الله منذ نشأتها عبر التاريخ إلى قصف قارب القصف الذي تعرضت له المدينة فقد استمر القصف اثنتي عشرة ساعة متواصلة، وأصبح واضحا سماع الطيران الإسرائيلي يحلق في سماء رام الله، ويشارك في قصف الأهداف. ولا أعتقد بان أحدا من سكان محافظتي رام الله والبيرة والمناطق المجاورة لم يسمع أو يتأثر بهذا القصف العنيف والدمار الذي خلفه في المدينة لتكون مثالا لاحتلال بقية المدن الفلسطينية، ونشر جو من الإرهاب في نفوس المواطنين في جميع أرجاء الوطن.

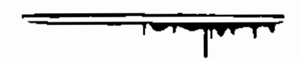
في اليوم التالي الثلاثاء، الموافق ٢ نيسان/ ابريل من عام ٢٠٠٢ فقد بدأنا نشعر بالمرحلة الثانية من المعاناة جراء إعادة احتلال مدينتي رام الله والبيرة، حين أعلن عن رفع منع التجول الكاذب لمدة أربع ساعات لتمكين المواطنين من شراء حاجياتهم الضرورية حيث واجهتنا قوات الاحتلال بإطلاق النار على كل ما يتحرك. وأصبحنا ندرك حجم هذه المعاناة عند إحصاء عدد الشهداء والجرحى، وعدم التمكن من دفنهم في المقابر، وعدم تمكن الخدمات الطبية من إسعاف أي جريح، أو تقديم أية مساعدات طبيّة للمواطنين. كما أن التموين بدأ ينفد من المنازل، ولم يعد بمقدورنا الحصول على الماء بعد نفاد المياه من خزانات البيوت، وأصبحت الكهرباء في معظم أحياء المدينة من السلع النادرة كالطعام.

لاحقا واعتبارا من يوم الأربعاء، بدأنا نشعر بشح المواد التموينية في المنزل، ونفاد المواد الأساسية خاصة حليب الأطفال والخبز والخضار والأدوية والماء. فقمت بالاتصال مع مستشفى رام الله الحكومي لتزويدنا بالمضادات الحيوية بعد استشارة الطبيب لمعالجة أطفالي بعد انتشار الأنفلونزا بين أفراد العائلة إلا أنهم لم يتمكنوا من

الوصول إلى منطقتنا بسبب إطلاق النار على سيارة الإسعاف. وفيما يتعلق بالماء، ورغم تقنيننا لاستخدامه، نفدت المياه من الخزانات، كما هو الحال مع جميع الجيران. بسبب إقدام دبابات وجرافات الاحتلال على كسر أنابيب المياه المزودة للحيّ. وأصبحنا برفقة بعض الجيران نقوم بعمليات مراقبة للدوريات والقناصة للتمكن من الوصول إلى بئر المياه المجاور والحصول على القليل منه لاستخدامات الشرب والطهي فقط.

مع قدوم يوم الخميس، وما تبع من أيام بدأنا مرحلة صراع البقاء ورفض الموت، والاستفادة القصوى من الموارد الشحيحة المتوفرة لدينا حيث أصبحت الأيام كسابقاتها في ظل إعطاء جنود الاحتلال أنفسهم حقا إلهيا بحجب الشمس عنا، ومنع تحركاتنا والتصرف بمقدراتنا وأرواحنا فلم يعد للوقت أي قيمة سوى أن الأيام بدأت أكثر قسوةً في عودة جنود الاحتلال بشكل شبه يومي لمنازلنا في الحي وإعادة تفتيشها واعتقال معظم الشباب والرجال، إلى أن توج إجرامهم برشق المنازل برصاص الرشاشات، وأخذنا نفترش الأرض وأمام أعيننا شاهدنا عملية قتل بدم بارد لجارتنا أمام أطفالها، وأثبتت لنا القوات الغازية بأن أقصى أنواع الإرهاب هو احتلال منزلك، وتحويل عائلتك إلى رهائن في حين يتصرف الغرباء وكأنهم أصحاب المنزل.

إلا أن ما رفع معنوياتنا، وزادنا إصرارا على الصمود، وتحدي الموت الشاروني تجسيد الوحدة الوطنية، والتفاف الشعب خلف قيادته، وتدني معنويات جيش الاحتلال، ومشاهدتنا للعلم الفلسطيني الذي كان رفعه يشكل جريمة في نظر الاحتلال قبل سنوات قليلة، أصبح يرفع في جميع أنحاء العالم تضامنا مع الفلسطينيين، واحتجاجا على الجرائم الإسرائيلية، وتعرف صغارنا على حقيقة القضية الفلسطينية، ووضعهم في مواجهة حقيقية مع جيش الإرهاب الإسرائيلي الذي روعهم وارهبهم وأيقنت بأن جيلا فدائيا بدأ يتكون متحديا الكيان الصهيوني، وان صغيرتي التي أكملت السنة الثالثة في شهر حزيران الجاري المتصادف للذكرى الخامسة والثلاثين لاحتلال بقية فلسطين أعلنت عن نفسها فدائية عندما كانت أكثرنا جرأة في مواجهة من أعاد احتلال منزلنا ومدينتنا «انتم يهود وماذا تفعلون في بيتنا.. عليكم الرحيل».



جورج بوش : للفلسطينيين النصح والإرشاد وللمعتدين الطغاة المال والسلاح

الجمعة ٢٠٠٢/٤/٥

يوم الجمعة ٥/ ٤/ ٢٠٠٢ قصفت طائرات مروحية قتالية من طراز أباتشي بصورة عشوائية منازل المواطنين في البلدة القديمة في نابلس. وسكب جنود الوقود السائل على عدد من السيارات المتوقفة على جانبي الطريق في البلدة القديمة وأحرقوها. واحتلوا منزل رئيس البلدية غسان الشكعة واعتقلوا أبناءه. وتعرض مخيم عسكر للاجئين في نابلس، لقصف مدفعي عنيف. وشنت قوات الاحتلال عمليات متكررة لاقتحام مخيم بلاطة وقصفت عشوائياً مخيمات بلاطة وعسكر وعين بيت الماء. وفي سلفيت (محافظة نابلس) استولت القوات الإسرائيلية على عدد من منازل المواطنين وحولتها إلى ثكنات عسكرية.

وتعرضت الضاحيتان الغربية والشرقية لمدينة جنين للقصف فأصيبت الطبقة العلوية لمستشفى الرازي وخزانات المياه. واقتحمت قوات الاحتلال منزل رئيس البلدية وليد أبو مويس واحتلته. وشنت هجمات متكررة على مخيم جنين محاولة اقتحامه، وأصيب بعض سكانه بينهم تسعة شهداء على الأقل. ومساء هذا اليوم، قطعت المياه عن جنين ومخيمها وقرى غربي المدينة. واقتحمت القوات بلدة طوباس جنوبي شرقي جنين. وأطلقت قذائف مدفعية على مسجد آل أسعد في حي المراح في المدينة وهاجمته بالطائرات المروحية فاشتغلت فيه النيران. كما اقتحمت قرية فقوعة شرقي جنين وجمعت الرجال والنساء في إحدى ساحات القرية، وطلبت من الرجال خلع ملابسهم.

وقد انتقد الأمين العام كوفي عنان في كلمته أمام المجلس، إسرائيل ودعاها إلى احترام الشرعية الدولية، وشدد على أن المشكلة في المنطقة سياسية لا أمنية. وحمل إسرائيل مسؤولية «المعاملة المهينة للمدنيين» محذرا إياها من أن إبعاد الرئيس ياسر عرفات سيكون «عملا طائشا». كما انتقد السلطة الفلسطينية في تعاملها مع مسألة «الإرهاب». وحذر من أن أي تصعيد على «الخط الأزرق» بين إسرائيل ولبنان قد يؤدي إلى «عواقب خطيرة... تتجاوز إسرائيل ولبنان». واعتبر الهجمات التي تشن عبر الخط الأزرق «انتهاكا لقرارات مجلس الأمن ... ويجب أن يوضح ذلك لحزب الله وغيره...». وقال أن «حكومة لبنان تدرك أنها مسؤولة عن أي أعمال عدوانية تشن من أراضيها». وقال : إن السلام والأمن لإسرائيل لن يتحققا إلا «بتسوية عادلة ودائمة وشاملة»، ومن جهة أخرى فان «إثارة الاضطراب والفوضى» لن يدفعا «حكومة إسرائيل وشعبها إلى الركوع». وعلى القيادة والجماهير الفلسطينية أن تسلم بحقيقة أن «ليس هناك ما يبرر الإرهاب»، وأشار إلى تقارير تفيد بفرض قيود على إمكان وصول العاملين في مجال الشؤون الإنسانية والطبية إلى الفلسطينيين الذين هم في أمسّ الحاجة إلى المساعدة».

دان وزراء الصحة العرب السياسة الإسرائيلية في ممارسة العقاب الجماعي بما فيها الاعتقالات ضد المواطنين الفلسطينيين واستخدام الدمغ الرقمي على جباه أو أيدي المعتقلين، وطالبوا بإطلاقهم. كما دانوا الاعتداءات الإسرائيلية على المنشآت المدنية والصحية والأطقم الطبية وسيارات الإسعاف وقتل الأطباء والمسعفين في أثناء تأدية واجباتهم الصحية والإنسانية.

وانطلقت مسيرات في دبي ومسقط والمغرب دعما للشعب الفلسطيني. واستمرت التظاهرات في مصر والأردن، وتحذير واشنطن من خطورة الاستمرار في دعم إسرائيل. وشارك مئات الآلاف من السوريين في تظاهرة في دمشق لدعم الفلسطينيين. وحظرت الجزائر المسيرات الشعبية المؤيدة للفلسطينيين.

وحث المفوض العام لوكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الاونروا) بيتر هانسن، الحكومة الإسرائيلية على سحب قواتها من مخيمات اللاجئين والمناطق السكنية الأخرى في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقال هانسن أن التقارير الميدانية تتحدث عن «مستويات غير مسبوقة من الدمار» في مخيم جنين، مضيفا: إننا نواجه كارثة إنسانية خطرة في المخيمات».

وعبّرت المديرة التنفيذية لمنظمة اليونسيف، كارول بيلامي، عن قلق المنظمة للاستخدام الواسع للعنف من قبل إسرائيل والفلسطينيين، والأثر البعيد المدى الذي يخلفه على الأطفال. ودعت إلى وقف العنف فورا، وطالبت الجانبين بالالتزام بالقانون الإنساني الدولي، وعدم استهداف الأطفال وحمايتهم في الأوضاع كافة.

وقد عبر المبعوث الخاص للأمم المتحدة تيري رود لارسن ومدير البنك الدولي نيغل روبرتس عن قلقهما إزاء تصاعد الصراع في الشرق الأوسط. وحثا الحكومة الإسرائيلية على احترام المبادئ الإنسانية، وإعطاء حرية الحركة لعمال الإغاثة، وشددا على أهمية الإبقاء على شرعية السلطة الفلسطينية. وطالبا بوقف تدمير البنية التحتية الفلسطينية التي ساهمت الدول المانحة في إنشائها.

وألقى الرئيس جورج بوش خطابا ضمنه عناصر السلام في الشرق الأوسط. فأهاب «بالسلطة الفلسطينية وجميع الحكومات في المنطقة بأن تفعل كل ما في وسعها لوقف النشاطات الإرهابية، وتعطيل التمويل الإرهابي، ووقف التحريض على العنف». ودعا الدول العربية إلى القبول بإسرائيل «كدولة وكجارة». وبالنسبة إلى إسرائيل قال بوش: «ينبغي على إسرائيل أن تعترف بأن (الدولة الفلسطينية) يجب أن تكون قابلة للحياة، وينبغي أن يتوقف نشاط المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ..» وطلب الرئيس بوش من إسرائيل «أن توقف توغلها في الأراضي الواقعة تحت السيطرة الفلسطينية والبدء بالانسحاب من تلك المدن التي احتلتها مؤخرا». وأعلن أنه قرر «إيفاد وزير الخارجية باول إلى المنطقة في الأسبوع المقبل» للعمل «على تنفيذ قرار مجلس الأمن الدول ١٤٠٢ وعلى وقف إطلاق نار فوري وحقيقي».

وكرر الرئيس جورج بوش في حديث مع شبكة التلفزة البريطانية دعوته الدول العربية إلى وقف تمويل العمليات الانتحارية وتجميدها. ورداً على سؤال عما إذا كان فقد ثقته بالرئيس عرفات قال بوش «إنه (عرفات) لم يعرف بالتأكيد كيف يكسبها». وأضاف «يجب أولا أن يثبت أن لديه سلطة. لقد خذل شعبه. وهناك آخرون في المنطقة يمكنهم إثبات سلطتهم». لكنه أكد أنه يعود إلى الفلسطينيين وليس إليه أن يقرروا من يقودهم.

وأدلى وزير الخارجية الأميركي، كولن باول، بحديث إلى شبكة التلفزة الأميركية CBS عن السلام في الشرق الأوسط جاء فيه: «لا بد من الشروع في عملية سياسية أن

عاجلا أم آجلا، وفي هذا الإطار فإننا نناشد الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات والزعماء الفلسطينيين الآخرين أن يفعلوا كل ما في وسعهم لوضع حد للهجمات الانتحارية التي كانت أصلا السبب في ما نشهد الآن من عنف.

«وفي الوقت ذاته نحن نقول لرئيس الوزراء الإسرائيلي شارون إننا في حين ندرك حقه الأساسي في الدفاع عن النفس فلا بد أن تكون هناك حدود – وأن يكون هناك بعد زمني للعملية العسكرية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة. لن يستطيع أي من الطرفين أن يهزم بصورة حاسمة. ولذلك فإن التفاوض والعملية السلمية هما الخلاص الوحيد من هذا العنف. إنني أحث الطرفين على تفهم ذلك».

وشرح ما قامت به الحكومة الأمريكية خلال الأشهر الأربعة الماضية بدءا ببحث السناتور جورج ميتشل على متابعة مهمته، ثم إرسال جورج تينيت لوضع خطته القائمة على سلسلة من الخطوات الملموسة والمحددة.

وأضاف: «لقد ذهبت إلى شارون الذي قال إنه مستعد للسير في العملية ولكن بشرط أن تسبق ذلك سبعة أيام من الهدوء. ثم ذهبت إلى الرئيس عرفات وقلت له وجها لوجه: سيدي الرئيس افعل كل ما في استطاعتك لكي نحظى بسبعة أيام من الهدوء قبل أن نواصل المسيرة، ونظر إلى عرفات عبر المائدة وقال: «إنك جنرال وأنا جنرال، وأنا أحييك وأطيعك. ولكننا مع ذلك لم نحظ بسبعة أيام من الهدوء».

وقال : إن عرفات «لم يبذل كل ما في استطاعته. ومع ذلك فنحن بقينا شركاء في الجهود المبذولة. لقد توجه رئيس الولايات المتحدة بنفسه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ونادى بقيام دولة فلسطينية تسمى فلسطين. كان أول رئيس أميركي يفعل ذلك. ثم أرسلنا الجنرال زيني إلى المنطقة ليتفق مع الطرفين على التدابير الأمنية، ولكن جهوده قوبلت بهجمات انتحارية. ورغم ذلك لم نيأس وبقي الجنرال زيني في المنطقة يحاول كرة بعد أخرى.

«إن من الصعب للغاية أن نطلب من الشعب الإسرائيلي أن يتفاوض بصورة جدية بينما يرى الأبرياء من مواطنيه يقتلون، وأسوأ ما في الأمر أن تطلعات الشعب الفلسطيني هي التي تقتل في الوقت ذاته.

«هناك شبان فلسطينيون يضحون بأرواحهم في سبيل قضية يؤمنون بها. ولكن

الحقيقة الواقعة هي أنهم يضحون بأنفسهم بدون هدف. أنهم لا يعتبرون شهداء بل قتلة. وهذا شيء يجب أن يتوقف.

«إن الولايات المتحدة ملتزمة بأمن إسرائيل ولكنها ملتزمة أيضا بتلبية احتياجات الشعب الفلسطيني إلى العيش بأمان وسلام في دولته المستقلة جنبا إلى جنب مع إسرائيل. ولذلك فالمشكلة ليست أننا نحابي إسرائيل. فنحن نريد للطرفين أن يتعايشا بسلام ونعمل بكل جهد لتحقيق هذا الهدف».

وتعرضت منازل في بلدة الخضر ومخيم الدهيشة لنيران الأسلحة الثقيلة، وحاصرت القوات مسجد الخضر في بيت لحم واعتقلت أكثر من مئة مواطن،كما اعتقلت ١٤ من أفراد الأمن الوطني في المدينة.

وحاصرت قوات الاحتلال مدعمة بالدبابات قرى وبلدات تقع بين القدس ورام الله هي: الرام وبير نبالا والجيب وبيت سوريك والنبي صموئيل وبيت دقو وبيت عنان. واقتحمت القوات بيت ياسر عبد ربه في رام الله.

وأصدرت «كتائب الشهيد عز الدين القسام» (حماس) بيانا أعلنت فيه استشهاد ستة من أعضائها مساء يوم ٥/ ٤، وأكدت أن «جريمة اغتيال شهداء القسام ومجازر العدو بحق شعبنا لن تمر دون عقاب».

وقالت النائبة الأوروبية لويزا مورغانتيني، التي زارت رام الله وأمضت أسبوعا في المستشفى وفي مركز إسعاف: أن رجلا رمى نفسه من نافذة منزله في أثناء قصف القوات الإسرائيلية للمنزل فكسر عموده الفقري. وقالت: إنها رأت الجنود يحطمون واجهات السيارات ويسرقون أجهزة الراديو والتسجيل منها.

وقال ناطق باسم الجيش الإسرائيلي: «إن مجموعة من الإرهابيين المسلحين استولت بالقوة على كنيسة المهد في بيت لحم واحتجزت رهائن بينهم عدد من رجال الدين داخل مبنى الكنيسة». وأضاف أن القوات التي تحاصر الكنيسة تعرضت لإطلاق نار في ٤/ ٤ وان احد أبواب الكنيسة المؤدي إلى سكن الرهبان الأرثوذكس تضرر قليلا، وإن جنديا أطلق النار وقتل رجلا مشبوها كان يركض في اتجاه الكنيسة، ووفقا لمصدر موثوق به يوجد داخل مبنى الكنيسة بعض المسؤولين مثل محافظ بيت لحم محمد المدني، ورئيس جهاز الاستخبارات عبد الله داود، وقائد جهاز الأمن الوقائي مجدي

المطري. وفي الكنيسة أيضا «بعض المشتبه فيهم من المسلحين الفلسطينيين المطلوبين جدا». و«استمرت المفاوضات بين الجيش والمسلحين داخل الكنيسة طوال الليل، ودعا الجيش خلالها تكراراً إلى استسلام المشبوهين، وعرض تسهيل إجلاء الجرحى من الكنيسة. لكن 'المقاتلين الفلسطينيين رفضوا العرض ومنعوا المدنيين من مغادرة الكنيسة، وفي ضوء هذه الأعمال العسكرية اضطر الجيش إلى اعتبار كل من هم داخل الكنيسة مجرد رهائن».

وأعلن الجيش الإسرائيلي الاستيلاء على أسلحة، والقبض على تسعة مسلحين ومطلوبين في مقر محافظة نابلس وفي بناية مجاورة تم هدمها ليلا.

كما أعلن رفع حظر التجول لبضع ساعات عن رام الله والبيرة وبيتونيا وطولكرم وبيت لحم لتمكين السكان من التزود بالمؤن. وسمح الجيش لمركبات محملة بالمؤن بدخول رام الله. وسمح أيضا لطبيب وممثل عن الصليب الأحمر بدخول مقر الرئيس عرفات في مبنى «المقاطعة».

ويستمر الجيش في تأمين المساعدة للمدنيين الفلسطينيين الذين لا علاقة لهم بالإرهاب. وليل ٤/ ٤ استسلم ٤٠ فلسطينيا يشتبه في ضلوعهم في «أعمال إرهابية» إلى القوات الإسرائيلية في ساحة المنارة في رام الله.

وأعلن الجيش اكتشاف معمل لصناعة المتفجرات في طولكرم، واعتقال ١٥ من المطلوبين في المدينة وضواحيها.

وقال الناطق أن جنديين إسرائيليين قُتلا وجرح ثلاثة آخرون أحدهم بحالة الخطر في تبادل للنار في محيط مخيم جنين.

وأعلن الناطق أن الجيش الإسرائيلي أطلق قذائف الدبابات في اتجاه مجموعة من «الإرهابيين» تحمل متفجرات على الطريق المؤدية إلى مخيم عسكر قرب نابلس، فقتل أربعة منهم وجرح عشرة. وقتل الجنود أيضا «إرهابيا» قرب مخيم جنين يحمل حزام متفجرات. وقد أصيب ثلاثة جنود إسرائيليين بجروح في نابلس. وأوقف الجيش خمسة نشطاء من «حماس» في طوباس بينهم مسؤول الحركة في البلدة قيس عدوان.

وقال الناطق: إن مجموعة من الصحافيين حاولت الدخول إلى مبنى «المقاطعة» في رام الله، مخالفة قرار الحاكم العسكري المحلي الذي أعلنه منطقة عسكرية مغلقة.

وأطلق الجيش الإسرائيلي قنابل صوتية في اتجاه المجموعة.

واجتمع الرئيس عرفات، في مقره في رام الله، بالمبعوث الأميركي الجنرال المتقاعد أنطوني زيني لمدة ٩٠ دقيقة.

وأعلنت القيادة الفلسطينية ترحيبها بدعوة الرئيس جورج بوش إلى وقف التوغل العسكري الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية ووقف الاستيطان والانسحاب الفوري من الأراضي الفلسطينية. وأعلنت أيضا التزامها بالتنفيذ الفوري لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٢، وبتنفيذ خطة تينيت وتقرير ميتشل، وكذلك باتفاق أوسلو.

وشارك عشرات الآلاف من فلسطينيي ١٩٤٨ في تظاهرات غاضبة عمت نحو ٥٠ بلدة عربية داخل «الخط الأخضر» احتجاجا على مواصلة العدوان الإسرائيلي على الضفة الغربية وقطاع غزة، وشهدت مدينة أم الفحم في المثلث أكبر تظاهرة شارك فيها أكثر من عشرة آلاف شخص، وانتهت بقمع الشرطة الإسرائيلية المتظاهرين بالهراوات والغاز المسيل للدموع.

وفي غزة، شارك آلاف الفلسطينيين في مسيرات وتظاهرات تضامنا مع الرئيس عرفات، وتعبيرا عن رفض العدوان والاحتلال الإسرائيليين. كذلك نظمت حركة «حماس» مسيرة شارك فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص في مخيم جباليا للاجئين شمال قطاع غزة تقدمها مؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين. كما شارك أكثر من ألف فلسطيني في مسيرة مماثلة نظمتها حركة «حماس»في رفح.

أصدر ديوان رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون بيانا رفض فيه دعوة الرئيس جورج بوش إلى سحب القوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية.

ونشرت اللجنة الإسرائيلية «ضد حرب سلامة المستوطنات» إعلانا كبيراً مدفوع الثمن في صحيفة «هآرتس» يحمل تواقيع ٤٨٠ مفكراً وأستاذا جامعياً إسرائيليا جاء فيه أن الحرب ليست سوى حرب سلامة المستوطنات ولا دافع لها إلا السيطرة على الفلسطينيين وطردهم.

وصرح الناطق باسم مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (بتسيلم)، ليئور يافنيه، انه: «منذ تأسيس منظمتنا (١٩٨٧) لا أذكر أنه أقيم جدار حديدي أمام الإعلام كما يحدث الآن... فالجيش يمنع وسائل الإعلام من

الوصول إلى مكان الحدث. كما يمنع المنظمات الإنسانية الدولية مثل الصليب الأحمر...».

ورحب وزير الخارجية الأميريكي، كولن باول في تصريح في واشنطن بحضور نظيره الأردني مروان المعشر، بمبادرة السلام التي قدمها ولي العهد السعودي الأمير عبدالله وتبنتها القمة العربية في بيروت. وأكد باول: «إن البعد السياسي هو بعد أساسي»، و «أن خطة تينيت وتوصيات لجنة ميتشل تخدم غرضا واحدا ألا وهو الوصول إلى المفاوضات».

كما أن أعضاء في الكونغرس الأمريكي من الحزبين الجمهوري والديمقراطي يشيدون بقرار الرئيس جورج بوش تكثيف الجهود الأميركية لتحقيق وقف للنار في الشرق الأوسط، وبايفاد وزير الخارجية كولن باول إلى المنطقة.

وقال رئيس المفوضية الأوروبية رومانو برودي في تصريح لصحيفة «الحياة»، «إن الوقت حان كي تتدخل الولايات المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الأمن ١٤٠٢ بكامله». وشدد على أهمية تعاون الاتحاد الأوروبي مع واشنطن لدفع الأطراف المعنية إلى تنفيذ القرار الدولي، وأكد ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية «فورا من المدن الفلسطينية»، وتحدث عن وجوب بذل الرئيس عرفات «كل ما في وسعه للحيلولة دون حدوث اعتداءات إرهابية». وقال : إن عرفات «ما زال في نظر الأوروبيين القائد الشرعي للشعب والسلطة الفلسطينية».

قال وزير الخارجية الإسباني الذي يرأس بلده الاتحاد حاليا جوزيب بيكيه في مؤتمر صحفي في مدن مدريد أن بيان الرئيس جورج بوش بأن الوضع في الشرق الأوسط «ايجابي جدا» ويعكس التدخل الأميركي المباشر في إيجاد حل للازمة. وعبر بيكيه عن قلق الاتحاد الأوروبي الشديد إزاء «الكارثة الإنسانية» التي تصيب الأراضي الفلسطينية. وأشار إلى أنه لا يمكن إرسال قوات إلى المنطقة من دون إجماع مجلس الأمن.

قال وزير الخارجية الفرنسي أوبير فدرين في حديث إذاعي أن الولايات المتحدة تستطيع الاستمرار في الامتناع من التدخل في الشرق الأوسط، ورأى في خطاب الرئيس بوش الأخير «نقطة تحول». وأعلن فدرين أن فرض عقوبات اقتصادية على إسرائيل سيكون بلا جدوى، وإن العمليات الانتحارية ليست فعل مقاومة. ودعا الرئيس عرفات

إلى الإفادة من التلاقي الأميركي – الأوروبي والالتزام بوقف العنف.

وأصدرت وزارة الخارجية التشيكية بيانا دانت فيه موجة الاعتداءات الإرهابية التي أودت بحياة العشرات من المدنيين الأبرياء، ودعت إلى إنهاء العنف وتحقيق وقف فوري لإطلاق النار شرط انسحاب الجيش الإسرائيلي من المناطق الفلسطينية تمهيداً لإحياء عملية السلام.

وعبرت وزارة الخارجية المجرية عن قلقها المتنامي إزاء تصاعد الأزمة في الشرق الأوسط ووصولها إلى حد الحرب، وأعلنت أن الأزمة الحالية لا يمكن حلها بالوسائل العسكرية. ودانت الوزارية أشكال العنف كافة.

ودعا مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، آية الله خامنئي، إلى استخدام النفط كسلاح و «قطع تصديره لمدة شهر على الأقل من جانب الدول العربية والإسلامية، للضغط باتجاه وقف العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، وإعلان التضامن مع هذا الشعب».

ورحب الناطق باسم وزارة الخارجية اليابانية بإعلان الرئيس جورج بوش إرسال وزير الخارجية الأميركي كولن باول إلى الشرق الأوسط للعمل على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٢، ودعا إسرائيل والفلسطينيين إلى عدم تضييع هذه الفرصة، وإلى كسر دائرة العنف ومعاودة المفاوضات.

ووجه ٤٠ من الناشطين الدوليين من أجل السلام الموجودين في مبنى «المقاطعة» في رام الله نداء طالبوا فيه ملايين الأشخاص في العالم بأسره بمحاصرة الممثليات الإسرائيلية حتى انتهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، ودعوا إلى توفير حماية دولية عاجلة للشعب الفلسطيني.

وطالب أسقف أوسلو غونار ستالسيت العضو في لجنة نوبل منذ سنة ١٩٩٤، باعتبار (وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس« مسؤولا عن الأزمة الحالية قائلا «بصفة كونه وزيرا للخارجية يدعم شمعون بيرس كليا النزاع الذي أطلقه شارون. ولا يسعني أن اخفي شعوري العميق بخيبة الأمل والإحباط» إذ أنه «ينتهك الجائزة شكلا ومضمونا. إن تصرفات إسرائيل تتعارض مع القوانين الدولية».

وقال العضو في لجنة نوبل للسلام رئيس الحكومة النرويجية السابق أودفار نوردلي في

حديث لصحيفة «دغسافيسن» النرويجية أن بيرس لم يحترم المبادئ التي أعلنها سنة ١٩٩٤.

وقالت هاتا كفاتمو أحد أعضاء لجنة نوبل للسلام «إنه أمر بشع... إنه أسوأ ما رأيته في حياتي. ما يحدث اليوم في فلسطين مشين ولا يصدق. بيرس مسؤول عنه بصفة كونه عضوا في الحكومة. لقد وافق على ما يقوم به أرئيل شارون حاليا... ولو لم يكن متفقا مع شارون لكان ترك الحكومة»، متمنية لو كان هناك إمكان من سحب الجائزة من وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس.

قصص صغيرة.. عن بطولات كبيرة:

منذ اليوم الأول للحصار سعت قوات الاحتلال إلى تدمير شبكة المياه في المقاطعة، ومن ثمّ قامت بالاستيلاء على مستودعات التموين، والتي جهزت بالمواد الغذائية قبل يوم واحد من أيام الحصار. وقد أدى هذا الوضع الغريب إلى مواجهة المحاصرين لأوضاع بالغة الصعوبة بسبب النقص الشديد في الماء والغذاء.

وقد رفضت قوات الاحتلال السماح لسيارات الصليب الأحمر بإدخال المواد التموينية أو أية عبوات للمياه.

وقد عاش المحاصرون على رشفات قليلة من المياه، وعلى كسرات الخبز الجافة مع قطعة صغيرة من الجبنة الصفراء.

وقد شعر الرئيس عرفات بمدى ما يعانيه المحاصرون من جوع وعطش، وأدرك أن هذا الألم يمكن تخفيفه بالصبر والثبات، والاستنجاد بقوة الإرادة والتحدي. فبدأ يكثف من لقاءاته مع أفراد الحرس والمحاصرين لحثهم على الصبر ورفع معنوياتهم، وتفويت الفرصة على قوات الاحتلال التي تعمل على إذلالهم.

ومع مضي الوقت، بدأ العطش ينال من جميع المحاصرين، وبات الوصول إلى رشفة الماء منالا صعبا، وإذا توفرت شربة ماء لأحدهم فإنه يمتنع عن تناولها، وذلك لإتاحة الفرصة لمن هو في حاجة أشد إليها حتى يطفئ ظمأه.

وقد أدرك خطورة هذا الموقف مصطفى عيسى (أبو فراس) فأخذ يكثف اتصالاته عبر الأجهزة المتوفرة من اللاسلكي، ومن خلال الهواتف الإسرائيلية المتاحة.. مستنجدا بمكاتب الصليب الأحمر لإدخال التموين للمحاصرين وإصلاح شبكة المياه

المدمرة، ولكن كل هذه الاتصالات لم تثمر، ولم تجد أذنا صاغية عند قوات الغزو.

وأكد الدكتور عمر أبو دقة طبيب الرئيس عرفات الخاص، والذي كان متواجدا معه في الحصار أن عدم وصول المياه للمقر سيؤدي إلى تفشي الوباء والأمراض خاصة وأن بعض المحاصرين قد أصيبوا بحالات إسهال شديد كما تفشت بينهم حالات القمل، وأصبح مرض الكوليرا يهدد المحاصرين بصورة جدّية.

ومما زاد الأمر صعوبةً وحرجاً عدم وجود الأدوية، وكثرة المصابين والمرضى الذين كانوا في أشد الحاجة إلى العلاج، وكان المرضى من المحاصرين يخشون من محاولات التسلل والإفلات من الحصار، والذهاب إلى المستشفيات خوفا من أن تخطفهم قوات الاحتلال، وتقوم باعتقالهم كما فعلت مع المناضل أسامة الياسيني، الذي فقد احد عينيه ومع ذلك، ورغم آلامه الشديدة فقد تم اعتقاله، ومن ثمّ أخذوه إلى السجن بدلا من المستشفى.

وعندما تفاقمت أزمة المياه وأصبح الوضع صعبا للغاية كان لا بد من البحث عن حل، ولا بد من التضحية والاقتحام، ومن هنا قرر عدد من المغاوير خوض مغامرة خطيرة محفوفة بالموت في كل ثانية.. فقد تسللوا من الطابق الثالث من جناح قاعة المؤتمرات إلى الطابق الأول، وفتحوا إحدى النوافذ المطلة على أحد المستودعات التي تسيطر عليها قوات الاحتلال، وقاموا بإحضار عبوات المياه من المستودع وهم يتوقعون في كل لحظة أن تفتح النار عليهم من أي اتجاه.

ولم تستغرق العملية إلا دقائق لأنهم كانوا على علم بوجود هذه العبوات، وتأكدوا من ذلك من مدير مكتب الرئيس عماد النحاس.

وعندما عاد الشباب ومعهم عبوات المياه شعروا بلذة النصر، وبقدرتهم على تحدي صلف وحماقة وغطرسة جنود الغزو، وتضاعف إحساسهم بالراحة والرضا وهم يشاهدون المحاصرين وهم يأخذون نصيبهم من رشفات المياه. وأصر الجميع على أن تكون رشفات المياه الأولى من نصيب المغاوير الذين أحضروها.

كانت مغامرة استحضار الماء وانتزاع عبوات المياه من براثن الذئب مغامرة محفوفة بالموت ولكنها كانت تستحق المجازفة فقد بلغ العطش أشده بين المحاصرين.

* * *

ومن الأحداث الخطيرة التي واجهها الأبطال المحاصرون بثبات وقوة حادثة قصف قاعة مجلس الوزراء بصاروخ لاو محمول على كتف جندي إسرائيلي. وقد أدى انفجار الصاروخ إلى إحداث تصدعات كبيرة في أنحاء القاعة كما أدى إلى إصابة أربعة من أفراد قوات أمن الرئاسة بجروح بليغة.

ولم يكن القصف بهذا الصاروخ عشوائيا. بل كان ردا مقصودا على قوات أمن الرئاسة الـ «١٧» التي ترابط في تلك المنطقة من مقر الرئيس، وقد أراد العدو الانتقام من قوات حرس الرئيس التي خاضت معركة عنيفة معهم بقيادة العقيد محمود ضمرة «أبو عوض».

وكانت هذه القوات قد صممت على استعادة مقر المحافظة، والذي احتل بعد أربع محاولات اقتحام من قبل قوات الاحتلال.

اعتبر العقيد «أبو عوض» احتلال مقر المحافظة خطوة عسكرية خطيرة يجب الرد عليها، وفي اليوم التاسع من أيام الحصار داهمت مجموعة من المغاوير الباب الفاصل بين مقر المحافظة ومقر الرئيس عرفات، وذلك وسط إطلاق كثيف للنيران. كما قامت قوات حرس الرئيس بإلقاء عبوات ناسفة شديدة الانفجار.

وفي أقل من دقيقة استطاعت مجموعة من المغاوير التسلل عبر البوابة التي احترقت كليا، وواصل أفراد القوة المقتحمة إطلاق النار على جنود الاحتلال الذين تقهقروا، وبدأوا بالنزول إلى درج المحافظة. وفي هذه اللحظة ألقى المغاوير عددا من القنابل الناسفة على جنود الاحتلال مما أدى إلى إصابة وقتل عدد منهم، ومن ثمّ قام المهاجمون بتمشيط المنطقة واستولوا على جميع مقر المحافظة.

***

لم يكتفِ الشبل «يوسف» من قوات أمن الرئاسة بتواجده داخل مقر المحافظة، وطرده للمحتلين منها، وإنما أراد أن يحقق ما هو أبعد من ذلك، فقد تسلل عبر الثغرة التي فتحتها قوات الاحتلال في الحائط الفاصل بين المحافظة ومقر قوات الأمن الوطني، وخلال تسلله اصطدم بجنود الاحتلال الذين أطلقوا عليه وابلا من القذائف المحمولة فما كان منه إلا أن بادر بفتح النار عليهم بكثافة وهو مختفٍ وراء الأبواب، مما أدى إلى جرح عدد منهم بجروح مختلفة. وعاد الشبل الشجاع «يوسف» سالما فرحا

مزهوا لقيامه بهذه المغامرة المثيرة.

* * *

ولما تم لمغاوير القوة «١٧» تحرير مقر المحافظة أخذوا بجمع مواد التموين التي كانت موجودة في المكان، وهي عبارة عن ثلاثة من أكياس الأرز، وبعض عبوات المياه، وبعض الأغطية والمرطبات.

وكان قائد هذه العملية العقيد «أبو عوض» ، وهو ذو عقلية عسكرية وكفاءة قتالية كان يجمع بين الشجاعة والخبرة وبعد النظر، والاهم من ذلك الإيمان بأن شرف الاستشهاد في ساحة المعركة أهم من الحسابات والموازين أو أي اعتبارات أخرى. ورغم ضيق المكان، ورغم الحصار، ورغم التفاوت في حسابات القوة، ورغم هامش المغامرة المحدود، ورغم بربرية العدو وتفوقه من ناحية العدة والعتاد والموقع.

رغم كل ذلك كان العقيد «أبو عوض» قادرا على التحدي، وهو يدرك أن كل المعارك التي خاضها مع الرئيس عرفات كانت مثل هذه المعركة.. كان مقاتلو الثورة الفلسطينية يقاتلون على حد السيف دائما وفي ظروف عسكرية تعجيزّية مستحيلة.. ومن هنا.. خاض «أبو عوض» هذه المواجهات الضارية في دهاليز المقاطعة، وكان صَلبا في تحديه لقوات الاحتلال، تحدى الحصار، واخترق التحصينات التي أقامتها قوات الاحتلال، وأطلق قذائف «البي سفن»، وشكل رأس حربة في معركة الوجود الفلسطيني في مقر الرئاسة، وكان قائدا من طراز رفيع أحبه المقاتلون وجعلوه قدوة لهم، وحاولوا أن يتعلموا منه عدم رهبة الموت والإقدام عليه بشجاعة وابتسامة.. كانوا بكل بساطة يرون فيه نموذجا مثاليا للقائد العسكري الميداني البطل فتشربوا مسلكياته، وتعلموا منه شرف الجنديّة والتزام الجندي المحارب بمبدئه، وهدفه.

كان «أبو عوض» ينام وسط مقاتليه، يأكل معهم ويشرب معهم، ويتعامل معهم بروح النديّة والأخوية ويقوم بواجب الحراسة كأي جندي عادي لا يتذمر، ولا يتكبر، ولا يعرف سوى الإقدام وسيلة للتميّز والإبداع.

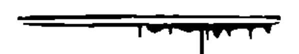
ومن المعروف أنه تم اختيار العقيد «أبو عوض»، ليكون داخل مقر الرئاسة، وليس خارجه لأنه مقاتل عنيد مع أنه كان يفضل أن يبقى خارج المقاطعة - رغم أنه على رأس المطلوبين لقوات الغزو - وذلك لأن وجوده خارج المقاطعة كان يتيح له فرصة القتال

والانقضاض، والقيام بعمليات عسكريّة متواصلة ضد الاحتلال.

وفي تصريح له لمجلة «الوطن» الكويتية قال «أبو عوض»: «لقد تم إسناد المهام الخطرة لقوات أمن الرئاسة الـ «١٧»، ومنها حماية مقر الرئيس، وذلك لأنها القوة التنفيذية الضاربة ورجالها مدربون ومتمرسون في القتال.

وواصل أبو عوض قوله: نحن جاهزون دائما للقتال فإما أن نكون شهداء أو أحرار.

وقد برر «أبو عوض» سرعة وصول دبابات الاحتلال إلى مقر الرئاسة، بقوله: «كانت الحملة العسكرية الإسرائيلية الموجهة إلى مقر الرئيس ومدينتي رام الله والبيرة معدة إعدادا جيدا ولم يسبق لها مثيل حيث اقتحمت رام الله والبيرة أكثر من خمسمائة «٥٠٠» دبابة ولم تكن لدى القوات الفلسطينية أسلحة ثقيلة تواجه هذا الكم الهائل من الدبابات».



يتربعون على قمة العالم ويقولون ما لا يفعلون!

السبت ٢٠٠٢/٤/٦

وفي يوم السبت ٦/ ٤/ ٢٠٠٢ في محافظة رام الله والبيرة تعرض مقر الرئاسة الفلسطينية لإطلاق نار بالرشاشات الثقيلة من الدبابات المتمركزة في باحة «المقاطعة». وتركز القصف على قاعة الاجتماعات الرسمية للقيادة ومجلس الوزراء الفلسطيني وأجزاء أخرى من المبنى الرئاسي. وأصيب عدد من مرافقي الرئيس عرفات بجروح. وما زال التيار الكهربائي مقطوعا عن مكتب الرئيس، ولم يسمح بنقل المواد الغذائية والأدوية إلى مكتبه المحاصر. واعترف الجيش الإسرائيلي في بيانه الرسمي عن العمليات بجرح جنديين في أثناء تبادل إطلاق النار في رام الله.

وفي محافظة جنين ما زال القصف الصاروخي من طائرات الأباتشي مستمرا على البلدة القديمة ومخيمها. وسيطرت القوات الإسرائيلية على بئر المياه الذي يغذي مدينة جنين ومخيمها، واقتحمت هذه القوات مستشفى الرازي، ومنعت بواسطة الدبابات دفن الشهداء في ساحته، وأصبحت المستشفيات الثلاثة الموجودة في المدينة: الرازي وجنين والشفاء من دون وقود لتشغيل مولدات الكهرباء، ومن دون ماء.

وتعرض وسط المخيم لقصف مكثف من الطائرات المروحية وقذائف الدبابات. وهدمت الآليات الإسرائيلية منازل مواطنين في الحي الشرقي للمخيم المتاخمة لمستشفى جنين، وبدأت قوات الاحتلال اجتياح بلدة قباطية جنوبي شرقي جنين. وواصلت قصف طوباس.

وفي محافظة نابلس قامت طائرات الأباتشي ومنصات إطلاق الصواريخ بقصف مُركز وعنيف على البلدة القديمة وخصوصا على المحورين الغربي والشمالي الشرقي، لتغطية القوات الخاصة التي تحاول اقتحامها. ودارت اشتباكات عنيفة وقطعت الاتصالات الهاتفية عن المستشفى، ومنعت سيارات الإسعاف من إخلاء الجرحى والشهداء. وشوهدت تعزيزات في اتجاه البلدة القديمة. وتدور اشتباكات عنيفة في حارتي الشيخ سالم والياسمينة ومنطقة الدوار. وتعرض مخيما عسكر وبلاطة لقصف عنيف، وتحاصرهما الدبابات.

وفي محافظة طولكرم اقتحمت قوات الاحتلال منزل محافظ المدينة. وداهمت المنازل في الحيين الجنوبي والشمالي وحارة الفقهاء وسط المدينة. وفي محافظة قلقيلية داهمت قوات الاحتلال المنازل واعتقلت العشرات من أبناء المحافظة.

وفي محافظة الخليل وقراها اقتحمت القوات الإسرائيلية بلدة يطا، وجرت اشتباكات عنيفة وفرضت حظر التجول وشقت طريقا ترابية في مثلث الفوار للدخول إلى البلدة من الجنوب. ثم اقتحمت مخيم الفوار واحتلته بعد قصف عنيف أصاب منازل كثيرة. وحشدت قوات الاحتلال الدبابات على مشارف بلدتي السموع والظاهرية ومناطق جنوبي مدينة الخليل تمهيداً لاقتحام مخيمات المنطقة.

وفي محافظة بيت لحم تعرضت المدينة للقصف وخصوصا كنيسة المهد، وهو ما أدى إلى إصابة الكثيرين من المواطنين بينهم مصور التلفزيون الفرنسي جيروم مركانتيتي ومصور الـ ICI.

وفي قطاع غزة الذي يواجه حصارا مشددا أطلقت قوات الاحتلال المتمركزة في مستعمرة رفح يام وأبراج تل زعرب نيران رشاشاتها ومدافعها الثقيلة على مساكن المواطنين في محافظة رفح.

وناشدت القيادة الفلسطينية جميع القوى الدولية والعربية التدخل الفوري لإنقاذ حياة أبناء مخيم جنين حيث يتعرض المخيم لهجوم يقوده رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي شاؤول موفاز. وقالت القيادة في بيانها: «أننا نحمل المسؤولية لكل القوى الدولية التي تتأخر حتى الآن في وقف هذه الجريمة وندعوها إلى التدخل العاجل لمنعها».

وأكد الأمين العام لمجلس الوزراء الفلسطيني أحمد عبدالرحمن أن الفلسطينيين يرفضون لقاء وزير الخارجية الأمريكي كولن باول إذا رفض الاجتماع بعرفات.

وأعلن المستشار الإعلامي لرئيس الحكومة الإسرائيلية أريئيل شارون أن الأخير تحادث هاتفيا مع الرئيس جورج بوش، وبلغه أن إسرائيل ستبذل كل جهد لتسريع عملية «السور الواقي». وقال رئيس الحكومة الإسرائيلية أن إسرائيل تدرك الرغبة الأمريكية في رؤية نهاية سريعة للعملية. وشرح أن إسرائيل تعمل في أوضاع صعبة جدا في المدن والقرى لوجود كميات من الأسلحة والمتفجرات والمقاتلين المسلحين. أن إسرائيل تبذل كل جهد لتقليص الخسائر المدنية، وأن هذا الحرص يجعل العملية تطول.

وتظاهر ١٥.٠٠٠ شخص مساء اليوم في تل أبيب ضد عمليات الجيش الإسرائيلي في الأراضي المحتلة وهتفوا: «نعم للسلام، لا للاحتلال». وكان على رأس المتظاهرين رئيس الكنيست الإسرائيلي أبراهام بورغ.

ورفض مجلس جامعة الدول العربية، في ختام اجتماع طارئ في القاهرة كل المحاولات التي تستهدف المساس بوضع الرئيس ياسر عرفات، وقرر الدعوة إلى اجتماع عاجل لمجلس الأمن لعرض الأوضاع في الأراضي المحتلة، واستصدار قرار بتطبيق الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، ودعا بيان المجلس إلى تنفيذ ما صدر عن قمة بيروت لجهة التوقف عن إقامة أي علاقات مع إسرائيل.

وكرر الرئيس جورج بوش في خطابه الإذاعي الأسبوعي أن السلام لا يمكن أن يتحقق بواسطة الإرهاب، وإنما من خلال عملية سياسية.

وقال بوش في مؤتمر صحافي مشترك مع رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير «إننا نتشاطر رؤية قيام دولتين: إسرائيل وفلسطين تعيشان جنبا إلى جنب بسلام وأمان». ودعا السلطة الفلسطينية إلى «إن تأمر بوقف فوري لإطلاق النار وأن تقمع الشبكات الإرهابية. كما أننا متفقان على أن إسرائيل يجب أن توقف توغلاتها في المناطق الخاضعة للسلطة الفلسطينية وتبدأ الانسحاب دون أي تأخير من المدن التي احتلتها أخيرا». وردا على سؤال قال بوش: «إن كلامي لإسرائيل يظل اليوم مثلما كان قبل يومين: انسحبوا دون تأخير».

وقال رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير أن الأساس الوحيد الذي يمكن أن يبنى عليه سلام عادل ودائم «هو وجود دولة إسرائيل آمنة داخل حدودها، ويعترف بها العالم العربي كله وكذلك قيام دولة فلسطينية قادرة على البقاء يستطيع فيها المواطنون العيش جنبا إلى جنب مع بعضهم بعضا».

وصرح وزير الخارجية البلجيكي لوي ميشال أن «اللجنة الرباعية» التي تتألف من الولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا، يمكن أن تساهم في العودة إلى الحوار السياسي في الشرق الأوسط. وانتقدت وزيرة التعاون والتنمية الألمانية هايدي ماري فيكزورك – زوال السياسة العسكرية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية معتبرة أن الوضع هناك «ظالم بشكل مخيف».

وفي فيينا دعا الرئيس النمسوي توماس كليستل، في بيان صدر في ختام اجتماع مع السفراء العرب في ٤/ ٤، إلى إنهاء «سجن» الرئيس الفلسطيني، وإنهاء الأعمال العسكرية، وسحب القوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية.

وحمل بطريرك موسكو وعموم روسيا، إليكسي الثاني، بعنف في تصريح له على الحكومة الإسرائيلية، منتقدا «الإهانات التي تتعرض لها المقدسات المسيحية». وطالب برفع الحصار فورا عن كنيسة المهد في بيت لحم، وبانسحاب إسرائيل فورا من الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبرفع الحصار عن عرفات في مقابل وقف عمليات التفجير التي ينفذها الفلسطينيون في المدن الإسرائيلية، وقال ناطق باسم الكنيسة الروسية أن الكنيسة ستطالب الحكومة الإسرائيلية بتعويضات عن الأضرار التي تعرضت لها أملاكها في بيت لحم، وقدرتها بنصف مليون دولار.

أنواع أخرى من الإسرائيليين:

تبدو الفكرة مجنونة وغير منطقية وكأنها حلم غريب، لكنها تأتي من مهنيّ عمل في مهنته على مدار سنوات عديدة وحائز على منح دراسية في مجال اختصاصه تشهد بتفوقه.

إنه المهندس المعماري الإسرائيلي يسرائيل غودوفيتش الذي يسكن مدينة تل أبيب. اقترح غودوفيتش أن يقام قوس انتصار السلام على أنقاض المقاطعة ليكون رمزا يسجله التاريخ لما عاناه الشعب الفلسطيني، وما قام به الاحتلال الإسرائيلي من تدمير وقتل.

يقول غودوفيتش أنه قوس انتصار السلام، وليس قوسا للنصر، «لأنني أعتقد أن في

الحروب لا يوجد منتصر وآخر خاسر، فالأطراف المشاركة بالحرب دائما خاسرة».
ويضيف هذا المهندس: لقد حضر محرر أسبوعية «زمان تل أبيب» التابعة لصحيفة «معاريف» وطلب مني أن اعد مخططا جديدا للمقاطعة في رام الله، وكيف يمكن ترميم أبنيتها، والحقيقة أنني لم أكن أعي ما حدث هناك بالضبط من تدمير، فاستهوتني الفكرة وقلت لنفسي أن التخطيط لمنشأة كبيرة قد يتطلب عاما كاملا وطاقما يعمل فيه، وها هو محرر الصحيفة يطلب مني أن أزوده باقتراح خلال يوم واحد، وفورا رأيت أن أمامي تحد هندسي. وأحضروا لي صورة جويّة للمقاطعة قبل التدمير وبعده. وقد سبق أن توجهوا إلي من الصحيفة بتقديم اقتراح لأبنية التوأم في نيويورك – غراوند زيرو. صحيح أنه شتان ما بين الاثنين إلا أن هناك قاسماً مشتركاً بينهما إلا وهو الدمار.

ويقول المهندس الإسرائيلي:

«إن الحديث يدور حول أبنية مدمرة، وبناء المقاطعة القديم ليس بناءً ذا أهمية تاريخية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب الأخذ بعين الاعتبار الخدمات المقدمة للمواطنين ابتداء من ديوان الرئيس ومكتب المحافظ والداخلية وما إلى ذلك، فالحديث يدور حول عشرة آلاف متر من البناء، وبما أن الأبنية التي تقدم هذه الخدمات قد دمرت بدأت بالتفكير بتخطيط يرمز لفكرة معينة على أن يكون حديثا، ويعطي الإجابة لموضوع تقديم الخدمات. مضت ساعات ولم تتبلور الفكرة ولم تتخمر، أفقت في الثالثة صباحا من اليوم التالي حيث راودتني فكرة بناء قوس على الأنقاض لأنني لا أريد أن أمحو الدمار بل أن أحافظ عليه ليبقى رمزا لمعاناة الشعب الفلسطيني يسجله التاريخ، وأقيم عليه بنيانا يتسم بالرمزية والخدماتية والحداثة. وسيتكون البناء من ثمانية طوابق تشير إلى أيام حصار الرئيس الأصعب، والتي كان فيها مهددا بالموت في أي لحظة بمساحة مجموعها عشرة آلاف متر، ولا شك أن للقوس معاني كثيرة، أن ما أعنيه هنا هو انتصار الحكمة ورجاحة العقل على الشر، ولا يدور الحديث هنا عن نصر عسكري على غرار قوس النصر في باريس Arc de triumph ، أو قوس الدفاع Arc de diffence.

ويشرح المهندس الإسرائيلي فكرته قائلا:

«عندما تقوم بإنشاء بناء أو أبنية على أنقاض ما دمره الغير تكون قد اتخذت قرارا حكيما، يقول أن ما كان قد ولى، وها نحن في حقبة جديدة، وتعمل جاهدا لخلق رمز ما، معبرا بذلك عن تطلعك للمستقبل المزهر، مشيرا إلى أننا لن ننسى فترة سوء التفاهم.

وأذكرك أن في الحضارات الإنسانية بالإضافة إلى سوء التفاهم هناك أيضا تفاهم. لقد قاموا في هيروشيما ببناء النصب التذكاري لضحايا القنبلة الذرية على أنقاض الدمار الذي خلفته هذه القنبلة، فلماذا لا يكون هنا في المقاطعة أيضا نصب تذكاري يرمز لأمور عديدة؟ وعندما يقوم الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات بمصافحة أي زعيم إسرائيلي يرتقي سدة الحكم هنا داخل قوس انتصار السلام وليس في كامب ديفيد.

ويقول غودوفيتش: «إن ما أقوم به حاليا أنني أخطط لرمز ما، وهذا التخطيط هو تخطيط أولي، وحبذا لو قام رمز وقائد الشعب الفلسطيني السيد الرئيس عرفات بالمصادقة على بناء رمز الغد لتاريخ شعبه، وإنا على أهبة الاستعداد للمساهمة والمساعدة بالتخطيط، وسيكون لي شرف أن أكون احد المخططين لإقامة القوس وترميم المقاطعة».

وقد نقلت فكرة المهندس الإسرائيلي إلى الرئيس عن طريق زياد درويش ولطيف دوري فرحب بها، وعندما علم المهندس الإسرائيلي بذلك قال:

- لقد أبلغتني أن الرئيس سر بالفكرة وهكذا انتصرت الحكمة وهذه بداية رائعة. أعرف جيدا أن في فلسطين مهندسين معماريين مهرة، فإن لم يتمكن السياسيون من الحوار، فنحن المعماريين سنأخذ دورنا ونتحدث، ليسمحوا لي بدخول رام الله وليسمحوا للمهندسين المعماريين الفلسطينيين بالخروج منها، وإلا سنقيم مكتبا هندسيا على حاجز قلنديا العسكري.

وقبل عشرين عاما كان داعية السلام الإسرائيلي أوري أفنيري أول إسرائيلي يأخذ زمام المبادرة التاريخية والشجاعة في مواجهة الحقيقة عندما اخترق حصار دبابات شارون، ودخل بيروت للقاء الرئيس ياسر عرفات .

وبعد عشرين عاما من ذلك اليوم، ها هو أفنيري يخترق حصار دبابات شارون لرام الله. ويدخل مرة أخرى للقاء عرفات، وبين المبادرتين الجريئتين كل شيء متشابه، بيروت ورام الله. مدينتان عربيتان حوصر فيهما عرفات، يقول أفنيري:

«إن الادعاء بأن عرفات غير ذي صلة هو ادعاء مضحك، أن عرفات المسجون في رام الله ذو صلة أكثر من أي مرة خلال أربعين عاما خلت، إن كل فئة من فئات الشعب الفلسطيني وحتى معارضي عرفات التفت حوله بوحدة وطنية لا مثيل لها، لأنهم

يفهمون الآن كم هي ضرورية هذه الوحدة أمام حرب البقاء».

ويقول أوري أفنيري:

«إن سياسة الاغتيالات، وقصف المدن، وتدمير البيوت، والطوق، وعزل المدن، وإهانة الشعب الفلسطيني لن تجعله يستسلم، ويشهد التاريخ أنه في المائة عام الأخيرة لا يوجد مثال واحد لشعب استسلم لمثل هذه الأعمال الاضطهادية».

ويضيف أفنيري:

«إنني على قناعة بأن الشعب الفلسطيني ليس فقط لن يستسلم، ولكنه كذلك سيخرج قويّا من هذا الامتحان».

«لقد جرب هذه الأساليب كل من الجيش الفرنسي في الجزائر، والجيش البريطاني في عشرين دولة من كينيا وحتى ماليزيا، كذلك الجنرالات الأمريكيين في فيتنام، والجنرالات السوفييت في أفغانستان، والقائمة طويلة. فلم ينجح أحد في قهر هذه الشعوب، وعلى الشعب الفلسطيني أن يستعد لتحمل المزيد من الضحايا، وأن يلتف حول قيادته إنها أهم صفات يجب أن يتحلى بها شعب يحارب من أجل كيانه القوميّ».

وعندما سألت أفنيري عن رأيه في وضع الرئيس المحاصر، وعن مقارنته بين حصار بيروت وحصار رام الله، قال :

«إن الوضع بين الحصارين متشابه جدا، فعندما التقيته في رام الله، ذكرني ذلك بحصار بيروت، ولكن وضع عرفات الجسدي والنفسي في حصار رام الله أحسن بكثير من أيام بيروت، فقد زال عنه التعب، والتوتر، وعند الأزمات الحادة تراه يعمل بكل هدوء. ومن يظن أن بإمكانه إخضاع عرفات فإنه لا يعرف الرجل جيدا. ففي حصار بيروت لم يهرب عرفات، ولم يترك المدينة عندما جاء شارون، وفي حصار طرابلس ذهب بنفسه إلى قلب المدينة والتحق بجنوده المحاصرين، وهذا ما سيفعله عرفات في رام الله، لأنه يتحلى بشجاعة شخصيّة لا مثيل لها».

والمصيبة بأن الإسرائيليين لا يعرفون عرفات جيدا، فيقومون بتلفيق ما أمكن، ويخترعون حكايات كثيرة لا صلة لها بالرجل. وأحيانا أشاهد وأسمع نقاشات أو حوارات في التلفزيون الإسرائيلي هزيلة ومضحكة، فجنرالات الحكومة ووزرائها لا يهتمون، ولا يستوعبون حقيقة ياسر عرفات، ولا حقيقة وجوهر الشعب الفلسطيني.

وهذا ما يسبب لهم الاستمرار في الأخطاء خطأ بعد خطأ.

ومن الأصوات الإعلامية النقية التي غضبت للحق والعدالة، وأعلنت إدانتها للحصار. الصحفي الإسرائيلي المعروف بيرتس كيدرون، الذي ربطتني به صلة وثيقة، عندما قام بترجمة كتابي «بيتي سجني» إلى اللغة العبرية، ولا زلت أذكر كيف تعرفت على هذا الكاتب الحر.. فقد قامت طائرة إسرائيلية في نهاية الستينيات برش مبيدات على حقول القمح المزروعة في قرية عقربا - لواء نابلس وكان موشيه ديان يومها وزيرا للدفاع، وقال واصفا هذا العمل بأنه عمل «رهيب»، وقد قام العديد من رجال الفكر والأدب والسياسة والأحزاب في إسرائيل بتنظيم مظاهرة حاشدة ضد هذا العمل، وعلى أثره تم اعتقال العديد من المتظاهرين، وتم إيداعهم في سجن نابلس، وبعد التحقيق معهم أفرج عنهم.

وكنت ضمن الذين انتظروا على بوابة السجن، ودعوتهم إلى بيتي في نابلس، ومن يومها أصبح بيرتس كيدرون، من بين الأقلام الحرة في إسرائيل التي أكن لها الاحترام لمواقفها النبيلة الحرة.

وبيرتس كيدرون من أوائل من رفضوا الخدمة في جيش الاحتلال، وفي معرض حديثه عن هذا الموقف يقول:

لقد خدمت في الجيش الإسرائيلي قرب قناة السويس، ولم أكن أقوم بمهمة شرطيّ، كما يفعل الجنود اليوم في نابلس وجنين ورام الله، فقد خدمت في سيناء وفي إحدى المرات، كنت في جولة مع باقي الجنود، فوصلنا إلى موقع حيث قامت جرافة باقتلاع أشجار اللوزيات اليانعة، وفي نفس اليوم سمعت في الإذاعة أن الحكم العسكريّ قام باقتلاع أشتال أشجار زرعها بدو سيناء في أراضي الدولة حيث قاموا باحتلالها عنوة.

منذ ذلك الحين عرفت أن الاحتلال كاذب، ومن خلال الشجرة اليانعة وصلت إلى الإنسان هذه الحادثة أثرت في نفسي تأثيرا خطيرا وحطمتني، وعندها اتخذت قرارا.. أني لن أخدم في المناطق المحتلة مهما كان الثمن.

وحول أساليب القمع والحصار التي يقوم بها جيش الاحتلال يقول كيدرون:

لقد كنت من المبادرين لإقامة حركة رافضي الخدمة العسكرية في الأراضي المحتلة، قبل عشرين عاما، وكانت حركة وليدة محدودة أما اليوم فهناك أكثر من ألف رافض

للخدمة العسكرية، وهي نسبة لا بأس بها، خاصة وأنها تشمل عددا من كبار الضباط.. وهذا يعني أن الأمر جديّ، ولا شك من ناحية التأثير على قطاعات الجمهور المختلفة.

وأقول صادقا: أن لدى الجيش الإسرائيلي مشكلة حقيقية في مواجهة رافضي الخدمة العسكرية، فقيادة الجيش لا تعرف كيف تتصرف مع رافضي الخدمة، فعندما يقومون بسجن ضابط ينضوي تحت لوائه خمسون جنديا مثلا، فعندها يقول الجندي لنفسه: أن قائدي قد سجن لرفضه الاحتلال فلماذا لا أذهب في أعقابه وانضم إليه؟. أما إذا لم يرسلوه إلى السجن فإن لدى الجيش مشكلة مع القيادة السياسية التي ستنتقد قيادة الجيش لعدم معاقبتها رافضي الخدمة.

***

وعن مصادر تمويل هذه الحركة يقول كيدرون:

نحن نعتمد على التبرعات التي نجنيها من البلاد، ومن خارج البلاد، ونجمع عشرة شواقل من هنا، وعشرين شاقلا من هناك ونقوم بكل ما لدينا من طاقة بحملات إقناع وتثقيف، وهذا الأمر لا يتم بسرعة فهو يستهلك وقتا، ونحن نوزع أرقام هواتفنا لنتابع من يتردد باتخاذ القرار، ومن رغب بتقديم أي مساعدة، ولكن بالعمل الدؤوب والمواظبة سنصل إلى نتائج.

ونحن نعمل من منازلنا – فلا مقر لنا – لأن المقر يحتاج إلى مصاريف، ونحن نقوم بتقديم المعونة لأرباب الأسر ممن يسجنون، وتجد حركتنا صدى طيبا في داخل البلاد وخارجها، وكثيرا ما نتلقى رسائل على غرار «شكرا» لكم لأنكم أعدتم كبريائي لأكون «يهوديا».

والحقيقة أن بيرتس كيدرون، نموذج ممتاز للشخصية الإسرائيلية المثقفة الإنسانية التي لم تستطع الدعاية الصهيونية أن تشوهها. فهو قادر دائما على التمييز بين المواقف الأخلاقية النبيلة التي تنظر إلى الإنسان وآدميته، وبين الأطماع العنصرية الغبية التي تدمر نفسها عندما تسعى إلى احتلال الآخر وحصاره.

ومن مواقف كيدرون الرائعة أنه عندما كان يترجم سيرة إسحاق رابين الذاتية إلى اللغة الإنجليزية.. اتصل به المؤلف «دوف جولدشتاين» وقال له:

– لا تترجم بعض الفصول لأن الرقابة لا توافق على ذلك، ومنها أن رابين عام

١٩٤٨، تلقى أمرا من بن غوريون يقضي بطرد سكان اللد والرملة من الفلسطينيين. وكان كيدرون.. في حالة تخبط وحيرة، وقد جاء يستشيرني، ضمن من استشارهم.. فأشرت عليه بأن الأمانة العلميّة تقتضي نشر الكتاب كما هو.. وكما وضعه المؤلف.

ورغم أن رابين يومها كان رئيسا لحكومة إسرائيل، وكان ذلك عام ١٩٧٨، إلا أن كيدرون نشر الحكاية كلها في صحيفة نيويورك تايمز.. متحديا الرقابة.



الأجندة الأوروبية الأمريكية أكثر من رائعة ولكنها شيكات بلا رصيد

الأحد ٧/٤/٢٠٠٢

يوم الأحد الموافق ٧/ ٤/ ٢٠٠٢ واصلت قوات الاحتلال قصف البلدة القديمة في نابلس بطائرات الأباتشي ومدافع الدبابات، وحاولت التوغل إلى داخلها ودمرت أقساما كبيرة من مساجد: الخضر والتينة والقريون والكبير والنصر. وتم جرف السوق القديمة المطلة على البلدة القديمة، وتدمير مبان وعيادات طبية ومؤسسات ثقافية واجتماعية.

وشهدت جميع المحاور حول نابلس ومخيمي بلاطة وعسكر اشتباكات عنيفة جدا. وفي قرية تل دمرت القوات الإسرائيلية مركز الشرطة الفلسطينية. وتعرضت جنين ومخيمها إلى قصف بالدبابات والطائرات، وشنت القوات المهاجمة حملة اعتقالات في مدينة جنين وبلداتها. وواصلت الجرافات تدمير المنازل. فتم إحراق وتدمير أربعين منزلا في الضاحية الغربية لمخيم جنين.

ودار قتال عنيف على أبواب المخيم، واستخدم الجيش الإسرائيلي النساء والأطفال كدروع بشرية أمام الدبابات في محاولات لاقتحام المخيم. وشن الطيران الحربي غارات جوية على المنازل داخل المخيم. وأدى القصف إلى تدمير منازل وقتل مدنيين.

وتوغلت قوات الاحتلال في بلدة قباطية تحت قصف مدفعي شديد. وواصلت قوات الاحتلال حصارها لكنيسة المهد وكنيسة سيدتنا مريم والكنيسة اللوثرية وكنيسة السريان وجميع الأديرة والأماكن الدينية الإسلامية التي تعرضت لقصف من مدافع

الدبابات.

وشهدت مدينتا رام الله والبيرة اشتباكات على المحاور كافة. والحصار الخانق ما زال مفروضا على مقر عرفات. واعتدى الجنود الإسرائيليون على ستة صحافيين ومنعوهم من العمل قرب المقر الرئاسي. كما منعوا وفد الصداقة النرويجي من الدخول إلى رام الله.

واقتحمت قوات الاحتلال بلدتي دير غسانة وبيت ريما، واجتاحت قراوة بني زيد غربي رام الله. وشهدت طولكرم ومخيمها قصفا مركزا من مدافع الدبابات. وواصلت القوات الإسرائيلية قصفها المدفعي على منازل المواطنين في رفح والخليل، وتتواصل الحشود الإسرائيلية على المحافظات الجنوبية في قطاع غزة.

صرح ناطق عسكري إسرائيلي بما يلي: «يواصل الجيش الإسرائيلي عملياته في مدن جنين، طولكرم، قلقيلية، نابلس، رام الله وبيت لحم، وفي عدد من القرى.

«ويقوم الجيش بعمليات في قريتي بيت ريما ودير غسانة غربي رام الله، بهدف البحث عن مقاتلين مطلوبين، وكشف البنية التحتية الإرهابية. كما يقوم الجيش بعمليات في قرية يطا قرب الخليل، للبحث عن مطلوبين وعن أسلحة.

«ومساء أمس، في إطار عمليات الجيش في مخيم جنين للاجئين، قتل الجنود ثلاثة فلسطينيين، لم يمتثلوا لتحذيراتهم، وفجر أحدهم حزاما من المتفجرات كان يرتديه، واعتقل الجنود فلسطينيين اثنين، ولم يبلغ عن وقوع إصابات في صفوف الجيش».

وقال الناطق أن الجيش الإسرائيلي اكتشف سيارة مفخخة معدة للتفجير في قلقيلية، وأحبط عملية تفجير في مستوطنة موراغ جنوب قطاع غزة. واكتشف مختبرات لصنع متفجرات، وصواريخ «القسام» وأحزمة ناسفة في مخيم جنين. ونفى أن يكون الجيش يعرقل عمل سيارات الإسعاف في مناطق القتال.

ودعت القيادة الفلسطينية في بيان لها جميع أبناء الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية ومناضليه إلى مواصلة الصمود والتصدي لجيش الغزاة. وقالت : إنها رحبت بإعلانات الرئيس جورج بوش لكن تكراره الإعلانات من دون تطبيق فعلي وفوري على الأرض، يشجع شارون على ارتكاب المزيد من جرائم الحرب، ودعت القيادة مجلس الأمن إلى اتخاذ قرار بإرسال قوات دولية لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني، والهيئات

الدولية الحقوقية في العالم إلى العمل لتقديم مجرمي الحرب الإسرائيليين إلى المحاكم المختصة.

وأعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون في اجتماع الحكومة، «إن الحملة الجارية حاليا هي حملة صعبة، لكنها حققت عدة انجازات». وقال شارون: «إن إسرائيل ملتزمة سياسة تفادي الهجمات على المدنيين وهو ما يجعل العملية طويلة وأكثر صعوبة» و «أن الجميع موحدون في هذه الحملة الحاسمة لوجود إسرائيل وأمنها».

وبلغ وزير الدفاع بنيامين بن اليعيزر الحكومة «إنَّ الجيش يحتاج إلى وقت لانجاز العملية سعيا لاستئصال اكبر قدر ممكن من البنى التحتية للإرهاب». وفي نهاية الاجتماع صدر بيان هنأت فيه الحكومة الجيش والجنود وقوات الاحتياط على شجاعتهم ومثابرتهم وانجازاتهم في عملية «السور الواقي»، وأعلنت أن إسرائيل تمارس حق الدفاع عن النفس.

صرح وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، في مقابلة مع صحيفة «فيلت أم زيتونغ» الألمانية: إنه لا يفهم مطلقا «موقف الأوروبيين وسبب دعمهم للفلسطينيين». وأضاف: «هل يحارب الأوروبيون من أجل دولة فلسطينية؟ لقد عرضنا عليهم ذلك أيضا. إذا لماذا الإرهاب؟ أن على الأوروبيين أصدقائنا ومنتقدينا، أن يجيبوا بصدق على هذا السؤال».

قدر رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي شاؤول موفاز في تقرير قدمه خلال الاجتماع الأسبوعي للحكومة الإسرائيلية عدد الفلسطينيين الذين قتلوا برصاص الجيش الإسرائيلي، في عملية «السور الواقي» منذ ٢٩ آذار في الضفة الغربية بـ ٢٠٠ شخص وعدد الجرحى بـ ١.٥٠٠ شخص. وصرح أن ١٣ جنديا إسرائيليا قتلوا و ١٤٣ أصيبوا بجروح في العملية، وتحدث عن توقيف أكثر من ١.٤١٣ فلسطينيا بينهم ٣٦١ تلاحقهم إسرائيل بتهمة القيام بـ «أعمال إرهابية». أما وكالة الصحافة الفرنسية فقدرت عدد القتلى منذ بدء الانتفاضة بـ ١.٨١٠ أشخاص، بينهم ١.٣٥١ فلسطينيا و ٤٢٦ إسرائيليا.

أصدر قائد الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية أمرا عسكريا يحمل الرقم ١٥٠٠ يقضي بالسماح لأي ضابط برتبة قائد في الجيش أو الشرطة الإسرائيلية بتوقيف أي فلسطيني لمدة ١٨ يوما من دون الالتقاء بمحاميه أو بذويه.

وأكد وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في برنامج تلفزيوني أمريكي، أن الحل الوحيد في الشرق الأوسط هو «الحل السياسي الذي يتيح للشعبين العيش في سلام في دولتين منفصلتين، إحداهما دولة يهودية تدعى إسرائيل، والأخرى فلسطينية تدعى فلسطين». وعن مطالبة الولايات المتحدة لإسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها أخيرا قال باول: «عندما يقدم الرئيس طلبا من هذا القبيل إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي فإن الطلب، ونحن متيقنون من ذلك، سيؤخذ على محمل الجد لأنهم سيتفهمون جدية هذا الطلب».

وقال باول في حديث آخر أن الرئيس بوش مرتاح لسماع رئيس الحكومة الإسرائيلية يقول أنه سيضع حدا سريعا للعمليات العسكرية. وأضاف باول أنه سيحاول التحدث إلى الرئيس عرفات خلال جولته في الشرق الأوسط إذا سمحت الأوضاع بذلك.

وقالت مستشارة الرئيس الأمريكي في شؤون الأمن كونداليزا رايس في مقابلة متلفزة أن الرئيس بوش يرى أن الوضع الراهن في الشرق الأوسط بات «على شفير الهاوية» وأنه حان الوقت كي تباشر إسرائيل انسحابها من الأراضي المحتلة وتغير دينامية الوضع. وأضافت رايس: «على إسرائيل أن تبدأ هذه العملية لأن أسس السلام عينها وفي الأمد البعيد باتت في خطر». وكشفت أن الرئيس بوش تحدث إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون في ٦ نيسان وأوضح له بجلاء أنه يتعين على إسرائيل أن تبدأ انسحابها العسكري «دون إبطاء». وقالت: «ليس هناك مجال لإساءة فهم الرسالة التي تضمنتها المكالمة».

قال وزير الخارجية الأسباني جوزيب بيكيه الذي يرأس بلده الاتحاد الأوروبي حاليا، أن الاتحاد سيناقش فرض عقوبات على إسرائيل إذا استمرت في رفض نداءات وقف عملياتها ضد الفلسطينيين، «هذا مشروع محتمل لكن علينا مناقشته مع الأعضاء الـ ١٥ للوصول إلى موقف مشترك». وأضاف بيكيه : أن احتمال فرض عقوبات عل السلطة الفلسطينية وارد أيضا «إذا قامت بأقل من ١٠٠٪ لمحاربة الإرهاب».

وقال وزير الخارجية البلجيكي لوي ميشال في حديث متلفز أن الاتحاد الأوروبي قد يعيد النظر في العلاقات التجارية مع إسرائيل بعدما منعت الممثل الأعلى الإسباني جوزيب بيكيه من لقاء الرئيس ياسر عرفات. ووصف ميشال القرار الإسرائيلي بأنه «إهانة».

وفي بروكسل نقلت صحيفة محلية عن وزير الخارجية البلجيكي قوله أن بلده قرر وقف مبيعات السلاح إلى إسرائيل، وأنه سيتم اعتماد هذا القرار رسميا خلال الاجتماع المقبل للحكومة الاتحادية. وتعد بلجيكا مزودا تقليديا لإسرائيل بمختلف أنواع السلاح بما فيها الأسلحة المتطورة وأجهزة الاستطلاع الليلي.

وانتقدت الوزير الألمانية للتنمية والتعاون الدولي، هايدي ماري فيكزورك – زول، «الإجراءات الوحشية» ضد الشعب الفلسطيني. وقالت في مقابلة أجرتها معها مجلة «دير شبيغل» (نشرت في ٨/ ٤) أن ما يجري في المدن الفلسطينية «عمل بربري لا يتصف بالإنسانية»، مضيفة أن هذه الأعمال ستؤدي إلى حرب شاملة في المنطقة، وبالتالي إلى ازدياد الحقد على اليهود في كل أنحاء العالم.

في نيقوسيا، أعلنت النائبة القبرصية إليني تيوخاروس أن إسرائيل منعت عددا من أعضاء البرلمان القبرصي يحملون عرائض تدين أعمال العنف في الضفة الغربية من دخول أراضيها وردتهم على أعقابهم. وأضافت: «أبقونا في المطار تحت حراسة الشرطة كأننا مجموعة من المجرمين ثم ختموا جوازاتنا بختم ممنوع من الدخول. كان سلوكهم عدوانيا وغير مقبول. إنها إهانة خطيرة للبرلمان القبرصي».

وكانت تيوخاروس ضمن وفد رسمي يمثل ستة أحزاب في مجلس النواب القبرصي توجه إلى إسرائيل مساء ٦/ ٤ لتسليم مسؤولين إسرائيليين وفلسطينيين نص قرار برلماني يستنكر الهجوم الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية.

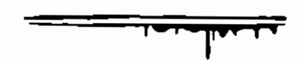
أعلنت أستراليا استعدادها لإرسال جنود في إطار مهمة حفظ سلام محتملة بين إسرائيل والفلسطينيين، وقال وزير الخارجية ألكسندر داونر: «إذا أرادت الأطراف في الشرق الأوسط أن تضطلع أستراليا بدور ناشط أكثر فسنكون سعيدين بدرس كل الاقتراحات خصوصا أن لدينا خبرة في ترسيخ السلام في مناطق مختلفة من منطقة آسيا – المحيط الهادئ».

أصدرت منظمة العفو الدولية ومنظمة مراقبة حقوق الإنسان ولجنة الحقوقيين الدوليين بيانا مشتركا طالبت فيه أطراف الصراع جميعا بالتوقف عن استهداف المدنيين والأشخاص الآخرين المحميين بالقانون الإنساني الدولي، وبالتوقف عن إيذائهم. وناشد البيان الصادر في القدس المجتمع الدولي نشر مراقبين دوليين لحماية الحقوق الإنسانية للفلسطينيين والإسرائيليين.

جرت تظاهرات في عدة مناطق في إسبانيا تؤيد الفلسطينيين، وتحتج على إعادة احتلال المدن الفلسطينية، وتطالب بانسحاب الجيش الإسرائيلي. وجرت أضخم التظاهرات في برشلونة حيث بلغ عدد المتظاهرين سبعة آلاف بحسب الشرطة. وعشرة آلاف بحسب عدد من الأحزاب السياسية والنقابات اليسارية والمنظمات غير الحكومية والحركات المناهضة للعولمة. وتظاهر نحو خمسة آلاف أندونيسي في جاكرتا، وأحرقوا أعلاما إسرائيلية خلال تظاهرة تضامن مع الفلسطينيين.

بلغت وزيرة خارجية جنوب أفريقيا زوما جاكوب سفير فلسطين في بريتورا أن حكومتها قررت التهديد بالمطالبة بفرض عقوبات ضد إسرائيل من قبل المجتمع الدولي، والتفكير جديا في سحب سفيرها من تل أبيب احتجاجا على الممارسات التي تقوم بها ضد الفلسطينيين.

أصدر اتحاد الكتاب العالمي الذي يرأسه البروفيسور خوسيه سارا ماغو الحائز جائزة نوبل بيانا دان فيه بشدة جرائم شارون ضد الفلسطينيين، معتبرا أن ما يحدث لهم على يد شارون «نازية جديدة». وطالب الاتحاد بتوفير حماية دولية للشعب الفلسطيني.



مخيم جنين.. شجاعة المبدأ.. وقدر المواجهة

الاثنين ٢٠٠٢/٤/٨

يوم الاثنين ٨/ ٤/ ٢٠٠٢ أعادت القوات الإسرائيلية احتلال بلدة عبوين شمالي رام الله فجر اليوم بعد التوغل من محاور طرق سنجل وأم صفاة المجاورة، وقامت بقصف عدد من المنازل. كما قصفت أبواب المدرسة الثانوية بقذيفتي دبابة، وحولتها إلى ثكنة تمركزت سبع دبابات إسرائيلية في محيطها، وجابت الدبابات الشوارع وفرضت حظر التجول. وحلقت طائرات مروحية من طراز أباتشي في سماء بلدة قراوة بني زيد بهدف التغطية على الجنود الميدانيين. ونشر الجيش قوات كبيرة من المشاة في محيط قريتي كفر عين وقراوة بني زيد القريبتين من البلدة. واقتحم فيما بعد قرية عارورة بعد أن احتل قريتي دير السودان وعجول شمالي غربي رام الله، وواصل الجنود شن حملات مداهمة واعتقال.

وواصلت المروحيات الإسرائيلية ومدافع الدبابات قصف مخيم جنين. وسقط على المخيم ٤٣ صاروخا من طائرات الأباتشي بين الفجر والساعة العاشرة صباحا. وواصلت الجرافات محاولاتها لشق طريق من الجبهة الغربية للوصول إلى مركز المخيم، وسقط عدد كبير من الشهداء والجرحى الذين مازالوا على الطرق والأزقة وتحت ركام المنازل. واحتجز جنود الاحتلال مئات النساء والأطفال بالقرب من «جامعة القدس المفتوحة» القريبة من أحد مداخل المخيم بعد جرف منازلهم الواقعة في حارة الدمج. وقال شهود عيان أن الجنود اعتقلوا عشرات الشبان، وفرضوا عليهم خلع

ملابسهم تماما، وطبعوا على ظهورهم علامات، قبل سوقهم إلى التحقيق.

واقتحمت قوات الاحتلال عصر اليوم بلدة جلقموس شرقي جنين. وفرضت حصاراً على قرية دير ضعيف شرقي جنين وشوهدت الآليات العسكرية تتمركز حول القرية.

***

وحاولت قوات الاحتلال اقتحام كنيسة المهد في بيت لحم إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل، وأدى الهجوم إلى احتراق بعض غرف الكنيسة وخصوصا تلك التي يجلس فيها البطاركة والرهبان. كما اندفع حريق في مبنى مجاور للكنيسة.

ووسعت قوات الاحتلال من عدوانها ضد المدن والقرى الفلسطينية في منطقة بيت لحم، فاقتحمت بلدة الشوامرة المحاذية لمدينة بيت ساحور. وقامت بعملية إنزال واسعة في بلدة زعترة، وشوهدت حشود كبيرة في محيط قرية العبيدية وقرية دار صلاح.

وفي قلقيلية، وبعد رفع نظام منع التجول، أُصيب سكان المدينة بالصدمة لدى رؤيتهم حجم الدمار.

وداهمت قوات الاحتلال بلدة يطا في محافظة الخليل تساندها الدبابات والآليات العسكرية والمروحيات الحربية. ودمرت مقار الأمن الوقائي في البلدة وأمن الرئاسة والبلدية والكثير من المؤسسات المدنية والمحال التجارية واعتقلت النائب زهران أبو قبيطة عضو المجلس التشريعي.

أعلن ناطق باسم الجيش الإسرائيلي بيانا رسميا عن عمليات الجيش هذا اليوم جاء فيه: «أنجز الجيش هذا المساء مهمته في مدينتي قلقيلية وطولكرم، واتخذ الجنود مواقع جديدة حول المدينتين وأحكموا حصارهما.

ويمارس الجيش عملياته في قرية دورا جنوبي الخليل بهدف اعتقال المطلوبين والبحث عن السلاح، وذلك في إطار تدمير البنى التحتية الفلسطينية.

«في حي القصبة في نابلس سلم مئات الفلسطينيين أنفسهم منهم عدد من المطلوبين. وأُصيب عدد من المقاتلين المسلحين بجروح، وعثر على ١٦ مختبرا لصنع المتفجرات. »وفي مخيم جنين قتل جنديان إسرائيليان وأصيب ثالث بجروح متوسطة».

وعن الوضع في كنيسة المهد قال الناطق العسكري الإسرائيلي:

أطلق مقاتلون فلسطينيون النار أمس وألقوا قنابل يدوية من مبنى كنيسة المهد في بيت لحم على موقعين للجيش الإسرائيلي في ساحة المهد، وهو ما أدى إلى نشوب حرائق في بعض أبنية الكنيسة. وساعد الجيش رجال الإطفاء الفلسطينيين في إخماد النيران. ونتيجة إطلاق النار من قبل الفلسطينيين أصيب اثنان من حرس الحدود بجروح حالة أحدهما خطرة والآخر متوسطة. وردت القوات الإسرائيلية على إطلاق النار وقتلت أحد المقاتلين. واستخدم الجيش قنابل دخانية لتسهيل إخلاء الجرحى، ولم يستخدم قنابل الغاز المسيل للدموع، لتسهيل إخلاء الإصابات الذي تم تحت نيران كثيفة».

أعلن الناطق باسم منسق أنشطة الحكومة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة استمرار تدفق البضائع والمنتوجات عبر الممرات من قطاع غزة وإليه. وشدد الناطق على أهمية التعاون الاقتصادي مع الفلسطينيين «غير المعنيين بأنشطة عسكرية».

اعتبرت القيادة الفلسطينية، في بيان لها أن قرار رئيس الحكومة الإسرائيلية، شارون، بإقامة مناطق عازلة في الأراضي الفلسطينية هو إمعان في إصراره على فرض سياسة الفصل العنصري ونظام الابرتهايد على الشعب الفلسطيني.

طالب مجلس الكنائس المسيحية في القدس السلطات الإسرائيلية بالاستجابة لنداء كنائس العالم ورفع حصارها عن كنيسة المهد، وعن جميع المحاصرين فيها.

أصدرت القانون: الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة بيانا أعلنت فيه أن ١٥.٠٠٠ مواطن فلسطيني في مخيم جنين يواجهون «عملية قتل جماعية على يد قوات جيش الاحتلال الحربي الإسرائيلي، الذي يقوم على مدار الأيام الستة الماضية، منذ فجر الثالث من نيسان الجاري بمحاصرة المخيم، وقصفه المتواصل بكل أنواع أسلحة الدمار والقتل. وأكد البيان: «إن ما يجري الآن بحق سكان المخيم، هو حرب إبادة جماعية، لا تقل فظاعة عما اقترفه الجيش الإسرائيلي ذاته من إبادة في مخيمي صبرا وشاتيلا في لبنان عام ١٩٨٢».

الدكتور مصطفى البرغوثي، رئيس اتحاد لجان الإغاثة الطبية الفلسطينية ومدير معهد الإعلام والسياسات الصحية والتنموية عقد مؤتمرا صحافيا عبر الهاتف. وقال إنه منذ ٢٩ آذار، تاريخ بدء العملية العسكرية الأخيرة في الأراضي الفلسطينية، قتل ٢٥٠

فلسطينيا، وفاق العدد الإجمالي للقتلى من بدء الانتفاضة الحالية ١.٥٠٠، ووصل عدد الجرحى إلى ٣٣.٠٠٠. وصنف البرغوثي الانتهاكات الإسرائيلية خلال الأيام العشرة الأخيرة ضمن خمس فئات: منع المعالجة الطبية للمرضى والجرحى، الاعتداء على الأطقم الطبية؛ الاعتداء على البنية التحتية الطبية؛ الاعتداء على المنشآت والمشكلات البيئية الناتجة من ذلك؛ التدمير الكلي للبنية التحتية.

المحكمة العليا الإسرائيلية ترفض شكوى من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني وجمعية الصليب 'الأحمر ضد الجيش الإسرائيلي الذي يعوق أعمالها في الأراضي الفلسطينية، وتتهم الفلسطينيين باستعمال سيارات الإسعاف والمستشفيات لنقل الأسلحة و «إيواء المسلحين».

في تقرير أذاعه مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (بتسيلم) أن ستة جنود إسرائيليين دخلوا جامع البيك في المدينة القديمة في نابلس حيث أُقيمت عيادة طوارئ. وكان في العيادة ٤٥ جريحا وأربعة أطباء وبعض المتطوعين وعشر جثث تعذر نقلها.

ووفقا للمعلومات التي أدلت بها الدكتورة زهرة الواوي، وهي طبيبة تعمل في العيادة إلى منظمة بتسيلم أن الجنود دخلوا الجامع وبنادقهم متكئة على أكتاف مدنيين فلسطينيين اجبروا على المشي أمامهم كـ«دروع بشرية». وأضافت الطبيبة التي كانت تتحدث إلى بتسيلم بينما كان الجنود في الجامع أن الجنود فصلوا العاملين الطبيين عن المرضى، وفتشوا جثث الموتى، وتحققوا من هوية الجرحى. وطلبت بتسيلم من الجيش السماح بإخلاء الجرحى والجثث والعاملين الطبيين من العيادة.

وخلال الأيام الماضية تسلمت بتسيلم تقارير بشأن استخدام المدنيين الفلسطينيين كدروع بشرية من قبل الجيش الإسرائيلي، بالإضافة إلى منع إخلاء الجرحى، ونقص الكهرباء، والإمدادات الطبية في المراكز الطبية. وأعلنت بتسيلم أن تعريض حياة المدنيين الأبرياء للخطر يشكل انتهاكا صارخا للمبادئ الأساسية للقانون الإنساني الدولي، وان هذه الأعمال لا يمكن تبريرها بـ«الضرورة العسكرية» كما ادعى الجيش الإسرائيلي مرارا بالنسبة إلى انتهاكات أخرى. ودعت بتسيلم إلى التحقيق في هذه الحوادث.

ودان ممثلو ثلاث منظمات إسرائيلية لحقوق الإنسان في مؤتمر صحافي عقدوه في

باريس أعمال إسرائيل في الأراضي الفلسطينية منذ ٢٩ آذار. والمنظمات الثلاث هي: بتسيلم، وهاموكيد، وأطباء لحقوق الإنسان (فرع إسرائيل). وقال ممثلو المنظمات إنهم يعملون في فراغ فالرأي العام الإسرائيلي لا يساندهم، ووسائل الإعلام الإسرائيلية تبنت وجهة النظر الرسمية، وحتى المحكمة العليا الإسرائيلية تتبنى الموقف القائل أن البلد في حال حرب، وان الانتقادات يجب ألا تطال الجيش.

صادقت الكنيست الإسرائيلي بأغلبية نواب كتل اليمين على انضمام ثلاثة وزراء جدد إلى الحكومة الإسرائيلية اثنان منهم يمثلان حزب المستوطنين المتطرف (المفدال) وهما البريغادير في الاحتياط زعيم الحزب الجديد إيفي ايتام، وسلفه يتسحاق ليفي، والثالث زعيم حركة جيشر دافيد ليفي. ورأى مراقبون أن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون يريد من خطوته هذه تعزيز الجناح اليميني المتشدد في حكومته وتبليغ حزب العمل أن تلويحه بين الفينة والأخرى بالانسحاب لن يردعه عن مواصلة سياسته حيال القضية الفلسطينية.

وقال رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون في خطاب أمام الكنيست أن إسرائيل لا تنوي إعادة احتلال المدن الفلسطينية بصورة دائمة، وأن الجيش بعد إنجاز مهماته سينسحب إلى «مناطق أمنية محددة».

وقام وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر بجولة في الضفة الغربية برفقة رئيس هيئة الأركان العامة، وقائد المنطقة الوسطى، وقائد منطقة الضفة الغربية. وقال: إن العملية العسكرية الإسرائيلية ستستمر حتى إلحاق أقصى ضرر بـ «البنية التحتية للإرهاب»، لكن التوصل إلى حل سياسي لن يتم إلا حول طاولة المفاوضات.

ورد زعيم المعارضة البرلمانية في إسرائيل يوسي سريد (ميرتس) على خطاب شارون فهاجم سياسة عزل الرئيس عرفات في رام الله، وقال: إن عرفات «نجح في عزل إسرائيل على الساحة الدولية». وتابع أن رئيس الحكومة لن ينجح في تحقيق الانتصار على الفلسطينيين لأنه لا يملك أي خطة للتعامل مع القضية الفلسطينية والاحتلال. وفي تصريح صحافي طالب سريد بقوة دولية تفرض الحل على الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني وتفصل بينهما. كما طالب بعقد مؤتمر دولي يحضره جميع الأطراف، ويطلق عملية التفاوض على أساس قرارات قمة بيروت.

نابلس تحت
وابل من النيران

الثلاثاء ٩/٤/٢٠٠٢

يوم الثلاثاء الموافق ٩/ ٤/ ٢٠٠٢ معارك ضارية تدور في محيط البلدة القديمة في نابلس، وتتعرض رأس العين والقصبة في البلدة القديمة لقصف مدفعي شديد. وأصيب في القصبة مصور محطة التلفزة «فرانس». وتم تدمير دبابة إسرائيلية على محور رأس العين. وتحاول القوات الإسرائيلية التقدم في قلب المدينة والبلدة القديمة مستعملة جرافاتها العسكرية وطائراتها المروحية لهدم البيوت والمساجد. فقد دمرت خمسة مساجد، ونسفت منازل بالمتفجرات وبالقصف الجوي والمدفعي في حارة الياسمينة ومنطقة الشيخ مسلم، وحارتي المقدوسي والقصبة، وحوض العطعوط. وواصلت الجرافات عملية تدمير واسعة في مخيمي بلاطة وعسكر. وقصفت منطقة الحشاشين في مخيم بلاطة، الأمر الذي أدى إلى دمار كبير والى إصابات. وحاصرت الدبابات مخيم عين بيت الماء بالقرب من نابلس، وواصلت مدافع الدبابات قصفها المدفعي من جبل جرزيم على مخيمي بلاطة وعسكر. ودمرت قوات الاحتلال عددا من المصانع في المنطقة الصناعية شرقي مدينة نابلس.

وقصف الطيران المروحي والدبابات مخيم جنين بكثافة، وحاولت قوات الاحتلال التقدم إلى قلب المخيم. ويتواصل القتال بضراوة بين المدافعين عن المخيم وقوات الاحتلال وذلك من مسافات قريبة جدا. وقتل ١٧ جنديا إسرائيليا واختفى ٤ تحت الأنقاض خلال الاشتباكات. واحتلت القوات الإسرائيلية عدة قرى جنوبي محافظة

جنين. وفرضت نظام منع التجول على قرى كفر راعي، وفحمه، وعرابة، وعجه، والرامة. وأطلقت قوات الاحتلال العشرات من الصواريخ على المخيم وأحياء خلة الصوحة والمراح وجبل أبو ظهير والسويطات. ودمرت المنازل والمدارس والمتاجر والعيادات والمؤسسات. وتحاول دفع سكان المخيم إلى الرحيل إلى مدينة جنين. ولا يزال الشهداء والجرحى بين الأنقاض وفي الطرق. واستطاع عدد من المواطنين المحاصرين انتشال ست جثث لشهداء من تحت أنقاض أحد المنازل التي تعرضت للقصف بصواريخ الطائرات.

وتواصل قوات الاحتلال حصارها المشدد على كنيسة المهد التي تتعرض من وقت إلى آخر لنيرات الرشاشات الثقيلة. وتمنع وصول المواد الغذائية والأدوية إليها، وقطعت الكهرباء والمياه عنها. وتحاول من وقت إلى آخر اقتحامها. ويطلق الجنود المتمركزون على سطوح منازل المواطنين المشرفة على كنيسة المهد النار في اتجاه الكنيسة الأمر الذي أدى إلى إصابة أحد المحاصرين في داخلها.

وداهمت قوات الاحتلال جميع القرى والبلدات في محيط بيت لحم، وشنت حملة اعتقالات عشوائية شملت الرجال والصبية، إضافة إلى التنكيل الوحشي بالمواطنين.

وتقوم قوات الاحتلال بجرف الأراضي عند المدخل الشمالي لمدينة بيت لحم، وبجرف أراض تابعة للبلدية لشق طريق استيطانية بعرض ٢٥م تمتد من المستعمرة القائمة على جبل أبو غنيم مرورا بمنطقة وادي أبو الحمص والجرن.

وأعلنت مجموعة مسيحية مسلحة تطلق على نفسها اسم «سرايا الدفاع عن كنيسة المهد» مسؤوليتها عن إطلاق النار الذي أسفر عن جرح ثلاثة من الجنود الإسرائيليين.

وتطلق قوات الاحتلال نيران رشاشاتها الثقيلة وقذائف الدبابات على مخيمات الدهيشة وعايدة والعزة، وقرى الخضر وأرطاس ومنطقة التعامرة والدوحة التي تتعرض ايضا لحملة اعتقالات ومداهمة منازل وتخريبها وسرقة محتوياتها.

وتواصل قوات الاحتلال توغلها في مدينة دورا معززة حصارها على مدينة الخليل التي تتعرض من حين إلى آخر لقصف مدفعي ورماية الرشاشات. كما أقدمت على قصف مقر القوة ١٧ في دورا، وشنت حملة اعتقالات ومداهمات واسعة.

وفي بلدة يطا في محافظة الخليل، التي داهمتها قوات الاحتلال، واصل الجنود

اعتداءاتهم على المواطنين واعتقلوا العشرات

وخلّف اجتياح بلدة أذنا غربي الخليل أضرارا فادحة في البنى التحتية للبلدة.

وتشهد المحافظات الجنوبية والشمالية في قطاع غزة توغل قوات الاحتلال الإسرائيلي وخصوصا في بيت حانون ورفح والمنطقة الوسطى حيث تقوم الجرافات بجرف الأراضي الزراعية.

وتعرضت مدن خان يونس ورفح والمنطقة الوسطى وبيت حانون لرمايات الرشاشات الثقيلة.

وتوغلت قوات الاحتلال في أراضي دير البلح من الجهتين الشرقية والجنوبية. وانسحبت القوات الإسرائيلية من بعض المناطق في طولكرم، وأبقت دبابات واليات مجنزرة في ضاحية ارتباح وبلدة فرعون جنوبا، وعلى مفترق فرعون والتلال المحيطة بها قبالة طولكرم، وتمنع الدبابات أهالي قرى فرعون وشوفة وسفارين من الوصول إلى طولكرم.

وتواصل الدبابات تمركزها أمام بلدة دير الغصون وضاحية شويكة شمالي طولكرم وتمنع أهالي الشعراوية من الوصول إلى طولكرم، وتتمركز أيضاً دبابات في محيط خضوري وسهل طولكرم الغربي وفي محيط مستعمرة بيت حيفر.

وخلال اجتياح القوات الإسرائيلية لمحافظة طولكرم، خلفت دمارا كبيرا شمل تدمير المنازل والمنشآت المدنية والمؤسسات والبنية التحتية.

واقتحم عدد من الجنود مدرسة الأيتام الصناعية في البلدة القديمة في القدس الشرقية واعتقلوا أحد تلامذتها.

وأعلن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي مقتل جندي إسرائيلي في حي القصبة في نابلس. وأشار التحقيق الأولي إلى أن الجندي قتل بـ «نار صديقة» والتحقيق جار في ظروف مقتله. وأصيب أيضا جندي إسرائيلي بجروح خطرة بإطلاق نار فلسطيني في قرية دورا، جنوبي غربي الخليل.

وقتل ١٣ جنديا إسرائيليا من قوات الاحتياط في أثناء عمليات الجيش الإسرائيلي في مخيم جنين للاجئين. وأصيب في العملية جندي بجروح خطرة، وآخر بجروح متوسطة،

وخمسة جنود بجروح طفيفة.

وأعلن الجيش أن دورية من جنود الاحتياط تعرضت لكمين خلال العمليات في مخيم جنين، تخلله تفجير عبوات وإطلاق رصاص.

وعقد الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، رون كيتري، مؤتمرا صحافيا تناول فيه مقتل ١٣ جنديا إسرائيليا في مخيم جنين، وقال : إن درجة المقاومة في المخيم «فاقت توقعاتنا»، وأن القتال الذي واجهه الجنود كان «الأقسى» حتى الآن.

ومنعت الشرطة 'الإسرائيلية تظاهرة لفلسطينيي ١٩٤٨ من الوصول إلى مشارف جنين للاحتجاج وإيصال أغذية.



مخيم جنين .. المخيم الذي احترق فيه البغاة

الأربعاء ٢٠٠٢/٤/١٠

يوم الأربعاء الموافق ١٠/ ٤/ ٢٠٠٢ منذ الصباح، تقوم القوات الإسرائيلية بتفجير مراكز الأمن الوطني والمؤسسات المحيطة بمقر الرئاسة في رام الله. كما تقصف الآليات العسكرية المقر، واقتحمت هذه القوات وزارة الصناعة ومؤسساتها في رام الله ونابلس، كما قصفت المقر المركزي، ومقار الكمبيوتر المركزي، ومؤسسات المواصفات والمقاييس ومختبراتها، وهيئات المدن والمناطق الصناعية الحرة، وأطلقت النار في اتجاه منازل المواطنين في منطقة عين مصباح قرب البيرة، مما أدى إلى استشهاد مواطنة.

ويتعرض مخيم جنين لقصف جوي من طائرات الأباتشي ومدافع الدبابات ورماية الرشاشات، وتتواصل الاشتباكات الضارية داخل المخيم بين المدافعين عنه وقوات الاحتلال. وتقوم الجرافات بهدم المنازل والمؤسسات. وسقط عدد إضافي من الشهداء والجرحى لم يتم إحصاؤهم بسبب استمرار القصف والتدمير.

وفي اتصال هاتفي مع وكالة «وفا» قال العقيد نايف سويطات، مسؤول التوجيه السياسي والوطني في جنين، أن قوات الاحتلال انتهت حتى ساعات المساء الأولى من تدمير أكثر من ٣٠ في المائة من مساحة المخيم وتسويتها بالأرض، وطمر تحت الأنقاض عدد كثير من السكان. والمعروف أن مساحة المخيم كيلومتر مربع، وذكرت مسؤولة في منظمة اليونيسف أن الجيش الإسرائيلي طرد نحو ٨٠٠ امرأة وطفل من المخيم. وبحسب مصادر إسرائيلية (نقلا عن: صحيفة «لوموند»، ١١/ ٤/ ٢٠٠٢) بلغ

عدد القتلى الفلسطينيين خلال ستة أيام من المعارك في المخيم ١٥٠ – ٢٠٠ قتيل، وبلغ عدد القتلى من الجنود الإسرائيليين ٢٢ قتيلا.

واستمرت الاشتباكات في نابلس، وتسمع الانفجارات نتيجة القصف المركزي من مدافع الدبابات والصواريخ. وتوغلت القوات الإسرائيلية في مخيم عين بيت الماء الذي يتعرض لقصف شديد ومركز من طائرات الأباتشي ومدافع الدبابات. وفي الوقت نفسه تقوم القوات الإسرائيلية بحملة مداهمات واعتقالات، وتهدم الجرافات المنازل في منطقة الياسمينة، وبينها عدد من المواقع والحمامات ذات التاريخ الأثري والحضاري. بينما دمرت صواريخ الأباتشي سوق الحدادين في البلدة القديمة تدميرا كاملا، وتم انتشال تسعة شهداء من تحت الأنقاض في البلدة القديمة.

وفي بيت لحم واصلت قوات الاحتلال حصارها على كنيسة المهد ومحاولة اقتحامها بعد أن دمرت عدة أبواب خارجية لها وخصوصا باب الأرمن، وما زالت الكنيسة تتعرض لقصف من قبل القناصة، الأمر الذي أوقع شهيدا وإصابة راهب أرمني.

وحلقت الطائرات الحربية الإسرائيلية من طراز إف ١٦ في أجواء قطاع غزة. وقصفت قوات الاحتلال بقذائف المدفعية منازل المواطنين الواقعة شرقي مخيم المغازي وسط القطاع.

وداهمت قوات الاحتلال بلدات السواحرة الشرقية وأبو ديس والعيزرية في جنوبي القدس الشرقية، وقامت بعمليات تفتيش، واعتقلت عددا من الشبان. وأعادت قوات الاحتلال احتلال بلدة السموع جنوبي مدينة الخليل. ودمرت مقر الشرطة الفلسطينية في البلدة. وواصلت احتلالها لبلدتي يطا ودورا جنوبي الخليل وغربيه. واعتقلت ضابط إسعاف وسائق إسعاف قرب الخليل.

ومنعت إسرائيل الأونروا من القيام بواجبها تجاه الكارثة الإنسانية التي لحقت بالفلسطينيين، كما طالبتها بتفريغ مخيمي عسكر، وعين بيت الماء للاجئين الفلسطينيين في مدينة نابلس من السكان. وأعلن المفوض العام للأونروا، بيتر هانسن، أن الأزمة الإنسانية في مخيم جنين للاجئين تتجول بسرعة نحو الكارثة، وحذر من مأساة إنسانية فظيعة بسبب رفض الجيش الإسرائيلي تسهيل دخول فرق الإغاثة إلى المخيم، ودعا هانسن الجيش الإسرائيلي إلى وقف توغله في مخيم عسكر للاجئين في نابلس والانسحاب منه فورا. وأعلن أن وحدات خاصة من الجيش اقتحمت أمس (٤/٩) مركز تدريب للرجال تابعا للأونروا

في رام الله، واعتقلت عميد المركز الدكتور محمد عمران و ١٠٤ من المتدربين وباء هذا التحذير بعد ساعات من إعلان إسرائيل سيطرتها على مخيم جنين.

أصدرت الأونروا بيانا في نابلس جاء فيه أن سكان المخيم تلقوا أوامر بمغادرة المكان، وأن الرجال الذين تتراوح أعمارهم مما بين ١٤ و ٥٠ عاما جمعوا قبل اعتقالهم.

وأعلن مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المختلفة (بتسيلم) أنه تلقى تعهدا من الجيش الإسرائيلي بعدم إعدام المحاصرين في مخيم جنين الذين نفدت ذخيرتهم وعددهم ٣٩ مقاتلا.

وصرح ناطق عسكري إسرائيلي أن «جنديا إسرائيليا قتل وجرح ١٢ آخرون في مخيم جنين. ويواصل الجيش عملياته في جنين ورام الله وبيت لحم وقرى ومدن أخرى، ويطوق قلقيلية وطولكرم. وجرف الجيش مباني في مخيم جنين استخدمها الإرهابيون غطاء لإطلاق النار على الجنود الإسرائيليين. وواصل الجيش عملياته في قريتي دورا ويطا، وفي قرية السموع، جنوبي الخليل. وفي قرية حزما، جنوبي رام الله، اعتقل حرس الحدود فلسطينيا يشتبه في ضلوعه بعمليات إرهابية. وأنجز الجيش مهمته في قرية عرورة شمالي رام الله».

وقال الناطق: إن جنديين أصيبا بجروح طفيفة في أثناء تبادل النار في نابلس.

فجر فلسطيني (راغب أحمد عزت جرادات – ١٧ عاما من سيلة الحارثية في منطقة جنين) من أبناء مخيم جنين نفسه داخل حافلة على طريق جنوبي مدينة حيفا فقتل ثمانية من ركابها (اعترفت إسرائيل بأربعة كما في الخبر أدناه– المحرر) وجرح آخرون جميعهم من العسكريين الإسرائيليين جنودا ورجال شرطة. وأعلنت «سرايا القدس» الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي مسؤوليتها عن العملية الاستشهادية.

وصرح ناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن أربعة جنود قتلوا في عملية انتحارية قرب تقاطع ياغور، وأعلن الناطق كشف «خلية إرهابية» قرب الطريق الرئيسي المؤدي إلى «قرية» كفر داروم في قطاع غزة. وتبادل الجنود النار مع «الإرهابيين» الذين كانوا يختبئون في مبنى مهجور، لكنهم تمكنوا من الفرار مخلفين وراءهم قنبلتين يدويتين. وجرف الجيش المبنى.

أقر مسؤول في الحكومة الإسرائيلية أن «العملية تثبت أن الجيش لم يتمكن بعد من تدمير البنى التحتية للإرهاب». ولذلك لا بد من استمرار هذه العملية.

حمل كل من السلطة الفلسطينية ورئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون أحدهما الآخر المسؤولية عن عملية حيفا. وقال الأمين العام لمجلس الوزراء الفلسطيني أحمد عبد الرحمن، أن العمل «رد طبيعي على ما يحدث في المخيمات الفلسطينية...».

ونقلت الإذاعة العبرية عن أرئيل شارون تبليغه وزراء الليكود أن الجيش الإسرائيلي سيواصل تطويق المدن الفلسطينية ويعزز محاصرتها وقد يقتحم بلدات جديدة. وقال أن «حملة السور الواقي العسكرية ستستمر على الرغم من الضغط الأمريكي». وأكد وزير الدفاع بن اليعيزر أن الجيش «سيواصل ضرب البنى التحتية للإرهاب».

وفي أثناء زيارة قام بها شارون للقوات الإسرائيلية في جنين طلب من الولايات المتحدة عدم «الضغط» على إسرائيل لوقف حملتها العسكرية. وقال: «آمل بأن تتفهم صديقتنا الكبيرة الولايات المتحدة أن هذه الحرب تتعلق بوجودنا»، و «علينا أن نكمل العمل».

ودعا زعيم الاتحاد القومي المتطرف أفيغدور ليبرمان الحكومة إلى تجنيد كامل للاحتياط، والى قصف مقر عرفات.

وأصدر الناطق باسم الجيش الإسرائيلي بيانا تضمن «اعترافات» بعض المعتقلين الفلسطينيين الذين تم احتجازهم خلال عملية «السور الواقي».

وأصدر رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون تعليمات إلى كبار مسؤولي وزارة المالية بالقيام بجرد بنود الميزانية للبحث عن مصادر تمويل ممكنة لإضافة الميزانية المطلوبة لوزارة الأمن، وتقديم الاقتراح لتقره الحكومة. واعتبر أن الحرب في المناطق الفلسطينية تستلزم زيادة ميزانية أجهزة الأمن بملياري شيكل (نحو ٤٢٠ مليون دولار).

اللقاءات العربية تتواصل للتشاور والتنسيق. والتظاهرات تعم معظم الدول العربية، وحملات لا سابق لها في حجمها لجمع التبرعات لدعم صمود الشعب الفلسطيني.

عرض الأمين العام لـ«حزب الله» في لبنان السيد حسن نصر الله اقتراحا بإطلاق الإسرائيلي المحتجز لدى المقاومة في مقابل الإفراج عن مقاتلين نفدت ذخيرتهم وتحاصرهم القوات الإسرائيلية في مخيم جنين. وأكد نائب الأمين العام للحزب، الشيخ نعيم قاسم في حديث إذاعي، أن المقاومة ستستمر في عملياتها من أجل تحرير مزارع شبعا وحيا عملية حيفا الاستشهادية.

في كنيسة المهد صلابة المبدأ وغرور القوة

الخميس ٢٠٠٢/٤/١١

يوم الخميس الموافق ١١/ ٤/ ٢٠٠٢ استشهد أحد أفراد قوات الأمن الوطني في بلدة كفر راعي جنوبي غربي محافظة جنين قبل انسحاب القوات الإسرائيلية منها. ودمر الجنود مركز الشرطة الرئيسي في البلدة وموقعين للأمن الوطني، وأصيب أربعة مواطنين بجروح جراء عمليات القصف.

وتشن قوات الاحتلال حملة تفتيش واسعة في منازل بلدة بيرزيت شمالي رام الله والبيرة، بعد أن اقتحمتها ونسفت مجمعا أمنيا يحوي مقريّ الشرطة والأمن الوقائي، إضافة إلى تدمير مقر الاستخبارات العامة في منطقة عين الحمام، واعتقلت سبعة طلاب من عمارة عصام ربيع المؤلفة من خمس طبقات بعد أن حولت المبنى إلى ثكنة عسكرية. واحترق المقهى العربي القريب من سوق الخضار المركزية نتيجة انفجار قنبلة.

وكررت قوات الاحتلال محاولاتها لاقتحام كنيسة المهد، مواصلة إطلاق الرمايات والرشاشات الثقيلة والقنابل عليها. وما زالت الكنيسة تخضع لحصار محكم، ويمنع وصول الأغذية والدواء والمياه إليها، وأصيب أحد الرهبان بطلقة من أحد القناصين الإسرائيليين. وعززت قوات الاحتلال وجودها في المحافظة، فنشرت الكثير من الآليات العسكرية والجنود والمشاة في منطقة معالي المحاذية للكنيسة.

وجرت حملة مداهمات واعتقالات في مناطق متعددة من محافظة بيت لحم وخصوصا في البلدة القديمة للخضر ومنطقة الجداول وحارة العراق في مدينة بيت جالا

حيث تم تجريف مساحات كبيرة من الأراضي في منطقة الجداول.

وما زالت مدينة بيت لحم وضواحيها، وكذلك مدن بيت جالا وبيت ساحور والخضر والدوحة، ومخيمات الدهيشة وعايدة والعزة، تعيش تحت حظر التجول وانقطاع التيار الكهربائي والمياه والمواد التموينية والطبية.

وجاء في بيان أصدرته القيادة الفلسطينية أن مذابح ترتكب في مخيم جنين، وأن الجرافات تجرف جثث الشهداء مع بقايا المساكن لإخفاء الجرائم الإرهابية، وأن القوات الإسرائيلية تعتدي على صحافيين محليين وأجانب على المدخل الغربي للمخيم.

وقامت قوات الاحتلال بمداهمة وتفتيش المنازل في منطقة رفيديا في محافظة نابلس. وجمعت المواطنين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ و ٤٥ عاما في ساحة مطعم المائدة في رفيديا. ولا تزال الكهرباء والمياه والاتصالات مقطوعة عن محافظة نابلس.

وما زالت قوات الاحتلال تحاصر مدينة طولكرم من جهاتها الأربع، وتفرض عليها طوقا عسكريا محكما، وتعزل المدينة عن قراها وبلداتها، وتنشر قواتها الراجلة والمحمولة في محيطها. ودفعت صباحا بمزيد من المجنزرات وناقلات الجنود إلى بلدة فرعون من الجهة الجنوبية، ونكلفت بالمواطنين، وأغلقت الطريق الترابية التي تربط فرعون بطولكرم، ونشرت القوات الخاصة على طول طريق الكفريات – طولكرم. وأجبر جنود الاحتلال كل من يحاول الوصول إلى طولكرم مشيا على الأقدام على خلع ملابسه بالكامل واحتجزه لمدة طويلة.

وفي قرى منطقة الكفريات جنوبي طولكرم تجوب الدوريات الإسرائيلية قراها السبع، وتنصب الحواجز الطيارة، وتقوم بعمليات تفتيش واسعة في التلال المحيطة بهذه القرى وداخل أراضيها الزراعية. وتمنع المزارعين من الوصول إلى أراضيهم.

واعتقلت قوة إسرائيلية فتاة فلسطينية في طولكرم للاشتباه في أنها كانت ستنفذ عملية انتحارية، وحولت التلة قبالة طولكرم أمام مفترق فرعون إلى موقع عسكري بعد أن اقتلعت منها أشجار اللوز والزيتون. وداهمت قوات الاحتلال الكثير من منازل المواطنين في ضاحية شويكة بعد أن جددت حظر التجول عليها، واستولت على سطوح الأبنية لاستعمالها كنقاط مراقبة.

واجتاحت قوات الاحتلال بلدة الظاهرية في محافظة الخليل مدعمة بعشرات الدبابات. وجرت عمليات اعتقال عشوائية شارك فيها جنود من القوات الخاصة الإسرائيلية.

وتشهد غزة وخان يونس ورفح وبيت حانون وبيت لاهيا إطلاق قذائف الدبابات ورمايات الرشاشات الثقيلة وبصورة كثيفة. فاستشهد مواطن في خانيونس وجرح عدد من المواطنين. وواصلت الجرافات عملية تجريف الأراضي الزراعية والمنازل في حي السلام في مدينة رفح.

تحدثت مصادر إسرائيلية عن اعتقال أكثر من ٤.٠٠٠ فلسطيني خلال العملية العسكرية التي بدأت في ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢. وقال الجيش الإسرائيلي في بيان له أنه اعتقل ٤.١٨٥ فلسطينيا بينهم ١٢١ متهما بالقيام بأنشطة مناهضة لإسرائيل. وقال مسؤولون عسكريون إسرائيليون أن يوم الأربعاء ١٠/ ٤ فقط تم اعتقال ٢.١٠٧ فلسطينيين، منهم ٦٨٥ في مخيم جنين.

صرح ناطق عسكري إسرائيلي أن نحو ستة وثلاثين فلسطينيا مسلحين كانوا محاصرين في مخيم جنين استسلموا إلى الجيش بينهم العضو البارز في حركة الجهاد الإسلامي ثابت عزمي سليمان مرداوي وآخرون، وأعلن الناطق أن الجيش الإسرائيلي انسحب من ٢٤ قرية في الضفة الغربية (في مناطق جنين ونابلس ورام الله والخليل وطولكرم) ومنطقة وادي الأردن، وأضاف أن عمليات الجيش مستمرة في مدن جنين ونابلس ورام الله وبيت لحم. ومنذ ساعات الصباح الأولى توغل الجيش في الظاهرية وبيرزيت، وباشر البحث عن «إرهابيين» مطلوبين وعن أسلحة. وعلى الرغم من انفجار بعض العبوات، لم تقع خسائر في صفوف الجيش. وبالأمس اعتقلت القوات الإسرائيلية أربعة من رجال الشرطة الفلسطينية قرب القصبة في نابلس ووجدت بحيازتهم كمية كبيرة من الأسلحة.

أعلن الجيش الإسرائيلي أن أحد جنوده أطلق النار في حادث «عرضي على شخص داخل كنيسة المهد في بيت لحم تبين لاحقا أنه من الموظفين الأرمن في الكنيسة». ونقل الجريح إلى مستشفى في إسرائيل.



أوراق مشتعلة في مفكرتي

ومن قصص البطولة التي شدتني ورأيت لزاما علي أن أسجلها في هذه الصفحات للتاريخ أولا، وللأجيال القادمة من جهة أخرى.. فقد رأيت أنه من عدم الإنصاف لأنفسنا ولتاريخنا ألا تقف الأجيال طويلا عند هذه البطولات الفذة. غير أني لن أتوقف إلا عند تلك البطولات التي جرت في الإطار الزمني للحصار ليكون ما أعرضه تاريخيّا وأدبيّا وإنسانيّا ووثائقيا إلى حد بعيد قادر على توصيل رؤيتي وفكرتي .

لم تكد الظروف تستقر وتصبح الحالة الأمنية بصورة تسمح بالتجوال والسير حتى سارعت إلى الخروج وأنا في حالة من التوجس والتردد ، ولكنني أخذت طريقي إلى محل الخضار الذي يديره جارنا الشاب (فؤاد)، وكان يبدو في مظهره العام وكأنه أحد الشباب الثائرين من دول أمريكا اللاتينية، وسيم وقامته قصيرة وشعره طويل ولحيته معتنى بها وصوته جهوري ،وملامحه الودودة الضاحكة التي تأخذك إليه وتجعلك تشعر بتواصل إنسانيّ معه، ولعله اكتسب هذه الصفات بحكم مهنته وتعامله مع طبقات اجتماعية مختلفة خاصة مع نفر من الفلسطينيين العائدين من لبنان ، والذين تشربوا عادة الذهاب إلى محلات بيع الفواكه والخضار لانتقاء ما يريدونه بأنفسهم، ولعلها عادة تشترك فيها الطبقات المثقفة والمتنفذة من وزراء وضباط وقادة ومدراء ورجال سلطة من محافظين وقضاة ووكلاء نيابة ، أذكر منهم محافظ رام الله والبيرة مصطفى عيسى (أبو فراس)، ورئيس بلدية رام الله يعقوب رباح، والشاعر المعروف المتوكل طه، بالإضافة إلى لفيف

من أساتذة الجامعات ورجال الفكر وعدد كبير من سيدات المجتمع الراقي وبقية طبقات الشعب، و أذكر أني في فترة إقامتي في بيروت كنت ألاحظ هذه الظاهرة بنفسي، وأرى بسوق خضار بيروت نماذج من الشخصيات الرفيعة المعروفة في المجتمع اللبناني وهم يختارون أنواع الخضار والفواكه بأنفسهم بصورة فيها كثير من المتعة، وهي أصلا عادة أوروبية بصفة عامة، وباريسية بصفة خاصة، ويطلق عليها عبارة (السوق) المعروفة، حيث تصطف عربات البضائع في يوم معين، وبصورة جميلة ومكثفة، وتجذب إليها كافة طبقات الشعب الفرنسيّ.

يقول فؤاد الدلو: من بين النساء المميزات اللواتي أتعامل معهن شابة في غاية الجرأة والحضور تدعى (سعاد)، فقد قامت بعمل بطولي رائع لا يخطر على بال أي إنسان. وكان أسلوب فؤاد مزيجا من الدهشة والفكاهة، وخليط من الخيال والواقع حتى بدأنا نتساءل عن حقيقة ما يرويه ، وهل حدث حقيقة أم أنه كعادته يجيد سوق حكاياته بمهارة لافتة .

وملخص هذه القصة، أن سعاد كانت تسكن في رام الله القديمة في بيت هو بكامله حجرة واحدة، وأمامه بئر تقليدي بعمق يصل إلى عشرة أمتار، ولما كنا في آذار فقد كانت تتخذ الاحتياطات لغسل البئر وإعداده لاستقبال مياه الأمطار، ووضعت سلما في داخل البئر، ولما حدث الاجتياح لرام الله كانت موازين القوى لا تترك مجالا للشباب للمقاومة بأسلحتهم الخفيفة، فلجؤوا إلى بيت هذه السيدة التي كانت صاحبة مبادرة وذكاء، فأخذت أسلحتهم وتصرفت بها وألقتها في أقرب مكان للنفايات ثم هربتهم جميعا وعددهم ربما تجاوز الخمسة عشر في البئر، ثم أقفلت البئر وأحكمت إقفال الباب بالمفتاح.

وقد صح ما توقعت وتوقع الشباب . فلم تلبث شرذمة من جنود الاحتلال أن أحاطت بالمكان واستجوبت السيدة التي حافظت على ثبات أعصابها ورباطة جأشها، وقالت لهم: إنها تعيش وحيدة وأنها لم تر أحدا، وقالت لهم: أمامكم البيت لتفتشوه، ثم التقطت إحدى المجلات وأخذت تتصفحها بأعصاب هادئة ، وهكذا تم إنقاذ هؤلاء الشباب وأصبحت بطولة سعاد على كل لسان.

* * *

ومن بطولات الشعب الفلسطيني أيضا التي تحتويها مفكرة أوراقي في زمن الحصار قصة ذلك القناص الشاب الذي ورث بندقية إنجليزية قديمة عن والده، وفي موقع مختار

قرب حاجز عسكري يقع في شمال رام الله. كَمن الشاب وأخذ موقعه، وبدأ يطلق النار على الموقع. كان يستعمل بندقية قديمة ليست آلية، وليست رشاشا. بل يعود تاريخ صنعها إلى الأربعينيات أيام حرب فلسطين عام ١٩٤٨، واستطاع الشاب ببراعة وثقة أن يقتل تسعة إسرائيليين بينما تبقى من جنود الحاجز جنديان، وتؤكد المصادر الصحفية الإسرائيلية أن هذه العملية التي جرت في حاجز «عوفر» قد تم تنفيذها بهذا الأسلوب الشجاع الذكي من قبل شخص واحد، وبعد أن أنهى مهمته انسحب في هدوء وهو يحمل بندقيته التاريخية على كتفيهمختفيا في جبال وصخور المنطقة.. ولم تستطع كل الآلة الإسرائيلية الجهنمية العثور على أي أثر له.

***

توقفت طويلا عند هذه البطولة، وأدركت كم أن شعبنا قويّ وعظيم وفاعل. مهارة هذا الشاب وثقته بنفسه وقدرته على التصدي وإيمانه بعدالة قضية بلاده جعلتني أؤمن أن الأمهات الفلسطينيات لن يعجزن عن إنجاب الأبطال وغرس روح المقاومة فى أبنائهن ، أيقظت فيّ أحلاما فنية وهي أن أرى مؤسسات الإعلام والفن الفلسطينية أو العربية تخلد مثل هذه الأعمال البطولية.

شاب صغير قناص بارع كل طلقة يطلقها بإصابة موفقة و ثبات وجرأة وإيمان.

ولبندقيته تاريخ ، ولوالده الذي أنجبه تاريخ، لأن الحقائق تؤكد أن الابن ورث البندقية عن والده الثائر عندما شارك في حرب عام ١٩٤٨م.

***

وقد علمت.. أنهم بعد ذلك اعتقلوه. فلما أصدر الحاكم العسكري عليه الحكم..

رفع يده بالسلام والتحية..

وقال له: أحييك.. أنت بطل.

ذلك ما حدث في فلسطين قرب قرية عين عريك ليس مشهدا في فيلم سينمائي، وإنما حقيقة ملموسة روتها الصحف وسجلتها عدسات مصوري المحكمة.

***

عائلة عز كانت قد هاجرت عام ٤٨ من مدينة اللد، وتشردت وتعذبت، وعانت

الكثير بعد الهجرة حين سكنت رام الله، كانت في العام ٤٨ قد أجبرت لترك مدينتها اللد تحت التهديد وقوة السلاح مع آلاف من الذين تركوا مدنهم واتجهوا إلى الجبل ومشوا أياما وليالٍ إلى أن وصلوا مدينة رام الله.

كانت ليالي رام الله في الشتاء عام ٤٨ من أصعب السنوات إذ لم تكن المدينة قد عاينت بردا قاسيا مثل برد تلك السنة سنة النكبة، كانت المدينة ترى الثلج لأول مرة منذ عشرات السنين ثلوجا تنخر عظام البشر، والخيام التي أعطتهم إياها إغاثة اللاجئين لكي تحميهم وتأويهم سحقها الثلج، وكثير من الأطفال والنساء والشيوخ اللاجئين قد ماتوا من البرد القارص، وعائلة الحلتة والدلو جيراننا كانوا من الذين هاجروا من مدينة اللد وأتوا مشيا على الأقدام سنة ٤٨.

هذه العائلة قد كدت وتعبت وأسست تجارة وعلمت أبناءها، وأسست معملا للذهب، أقامت بناية في رام الله في منطقة عين مصباح. وأصبحت تحوز ثروة كبيرة من تجارة الذهب، وقد شيدوا بجوار بيتنا (فيللا) جميلة من أربعة طوابق ، ليتخذ كل ولد من أبنائها طابقا خاصا به

في تلك الليلة جاءت قوة هائلة من الدبابات دخلت من كل جانب وكأنها مسرعة إلى المعركة، طوقت عمارة بيت عز والأصوات تسمع من كل الاتجاهات، وصدى صوت الدبابة التي كانت تقصف وتفتك بحديد البيوت يبدو واضحا ومخيفا. كنا أنا وجيراني نتلصص على ما يصير هناك من النوافذ في الظلام .الجيش الإسرائيلي يقصف العمارة ، وكنا نهمس لبعضنا البعض في التليفون، ماذا يحصل لعائلة عز، ماذا يفعل الجيش في هذا الليل وماذا يريدون ولماذا يكسروا الحديد؟ الأصوات الرهيبة للمجنزرات والدبابات ومكبرات الضوء وكشافاتهم وسكون الليل وسكون الحركة من أفراده وكأنهم يبحثون عن شيء. كانوا يدخلون كل طابق من الأربعة يضيئون البيت والحارة والأسطح، ومكبرات الصوت تعلن: إن أي إنسان سيتحرك سنطلق النار عليه فورا. عشنا طوال الليل حاملين بأرواحنا هذا الخوف والفزع مع هذه العائلة التي لا شأن في السياسة لها، ولكن منغمسون بعملهم فقط في صناعة الذهب.وبرغم هذا لم يسلموا من جبروت الاحتلال وقمعه.

هذه ليلة الرعب في رام الله تذكر الوالد عندما هاجر وهو طفل مدينته اللد وأتى والده حافيا وهو محمول على كتفه معدما بلا ماء ولا مأكل. الطفل أصبح رجلا وهو يتذكر

بهذه الليلة، ليلة الرعب باللد عندما أمر الجيش أهل المدينة أن يتجهوا إلى الكنائس والجوامع ويفرغوا المدينة، وفتحوا النيران عليهم وقتلوهم بدم بارد رجال ونساء وأطفال وشيوخ.

زرت الأب والأم بعد فك الحصار وكلاهما أصيب بصدمة ، وكانوا يذرفون الدموع لأنهم لا يعرفون المصير المجهول لأبنائهم.

* * *

كم من الطعنات تلقينا من هنا وهناك،وكم من المؤامرات قد دبرت وحيكت لأبى عمار من كل الدنيا ولكنه لم يركن لراحة يأس أو إحباط.فكان دائما يقول : ستضع شبلة من أشبال فلسطين علما لفلسطين فوق أسوار القدس وجوامع القدس وكنائس القدس.

كان يعرف الختيار أن هذا الصراع يتجاوز حدود هذه المنطقة الصغيرة وأنه أكبر من هذه البقعة من الأرض ، وكان أبو عمار يعرف أن هذا الصراع هو صراع قوات عظمى يتجاوز المقاطعة وجنين وبيت لحم، وكان يعرف أن شارون قد أقسم علي تصفيته ، ويريد تحطيم هذا الجبار العملاق الذي يفاخر أن شعبه هو شعب الجبارين، شارون وزعماء إسرائيليون يؤمنون وهما بأن شعب الجبارين هو الشعب المختار. بني إسرائيل، ولذا كان شارون يريد فرض إرادته،

* * *

صراع الجبابرة . أبو عمار يردد دائما شعب الجبابرة . ما هو هذا الوزن الذي يقيم به أبو عمار شعبه ؟وما هذه الفلسفة التي يرددها عن شعبه؟ . شعب الجبارين .. هل هي معارك في عقلية التاريخ؟

في العهد القديم يقولون هنا تقوم إمبراطورية إسرائيل . كان شارون قد وضع يده علي مفتاح السر، وقرر أن يبني إمبراطورية إسرائيل هنا ، وأن ملك إسرائيل كان يسمي ملك إسرائيل ولكن يوجد إنسان من شعب الجبارين وضع يدا أخرى على السر أمامه وقال له : هنا، ستقوم دولة فلسطين أمامك، وقال له : هذا شعب الجبارين. فاقتل واذبح واعبث في الأرض فسادا ودمارا ولكن لن تقدر أن تقتل أو تزيل البركة عن أرض الأنبياء، والخير في البشر.

* * *

كيف كانت الإمبراطوريات تحكم. وكيف حكمت بلاد الشام؟ كيف كانت الإمبراطوريات؟ وكيف حكمت الشرق؟ أين ذهبت عيون وأفكار أبو عمار؟

الختيار كان ينظر إلي الماضي حيث كانت بلاد الشام ومصر والعراق طريق واحد بدون حدود ، الخط الساحلي الطويل الذي يمتد إلى غزة من الإسكندرون ،ومن حيفا وعكا وبيروت وطرابلس واللاذقية.

* * *

يا إلهي

أنا هنا أسمع اسم جنين عبر الأثير، وأسمع الأنين والإستغاثات والأشعار والأغاني والأناشيد موجهة لجنين. وأبو عمار من حصاره، ومن تحت الهدم والردم والقصف الذي فوق رأسه في المقاطعة يبعث لهم التحية . التحية لهذا الشعب المناضل العظيم الذي يذبح بمجزرة جنين ويستصرخ العالم أن يوقف المجزرة،أبو عمار يحيي الأبطال ، ويطلق علي جنين اسم لينتجراد، نسمع من التلفزة العربية صوت التلفزيون المصري والهتافات، والقصائد مهداة لأبطال جنين ولياسر عرفات ولصموده، وهنا بهذا الجو المفعم بالعواطف الحزينة والمؤلمة نستذكر أبطال قناة السويس، وبور سعيد والجولان، والقدس وسيناء وأبطال حرب أكتوبر فتتدفق الدموع من عيني ومن قلبي حين أسمع: «أخي جاوز الظالمون المدى، فحق الجهاد وحق الفدا .. فلسطين نهديك حماك الشباب، وجل الفداء والمفتدي. فلسطين تحميكم منا الصدور فإما الحياة وإما الردى»، وأسمع إذاعات سوريا ولبنان تصدح منها: يا قدس يا مدينة السلام، والغضب الساطع وأجراس العودة، وأنا لا أنساك فلسطينا، وسنعود إلي حيينا ،خذوني إلى بيسان، وأشعارا لكبار الشعراء العرب وأغنية أم كلثوم الشهيرة . أصبح عندي الآن بندقية

جمال حويل من جنين علي التلفزة يستغيث. إنه ورفاقه محاصرون، يصرخ بأن القوات العسكرية ستنسف البيوت فوق رؤوسهم كما أعلنوا في مكبرات الصوت، وشهود عيان يقولون: قوات الإحتلال يرفضون أن نستسلم ..إنهم يعدمون الشباب بدم بارد.

* * *

القيادة ليس لها أي ثقة بأي من الطرف الآخر، وهذا يجعل مهمة كولين باول صعبة،

لا تملك أمريكا وسائل ضغط على إسرائيل، ولا على شارون بالذات .العملاق الأوروبي يطلعنا في بيان شفهي أن سولانا ينصح عرفات بالتقاعد. رئيس المفوضية الأوروبية كان واضحا عندما طلب من المجتمع الدولي فرض عقوبات على إسرائيل لماذا تكون أوروبا أكثر عروبية من العرب؟، وصلت المظاهرات إلى مدينة انفيرز البلجيكية التي تمول إسرائيل.

قصة هزت كل إسرائيل جندي ينظر إلى امرأة وهي تنزف عندما أصيبت برصاصة، ولم يسمح لسيارة الإسعاف أن تصل إليها لنجدتها، وكان هذا الحادث، قد أحدث ضجة في داخل إسرائيل وردود أفعال قوية.

من مفكرتي

«الجيروزاليم بوسط»

إسرائيل بعد أيام ستقمع العملية الإرهابية

بيت لحم الجنود يحتلون المنازل، والقناصة تقتل الناس، الفلسطينيون بوضع تحدي ودفاع عن النفس، الدبابات تحاصر كنيسة سانتا ماريا والسالزيان وكنيسة المهد .

إسرائيل تستبيح الأرض والإنسان. كنيسة سانتا ماريا محاطة بالدبابات ولا يستطيع أحد من رجال الدين أن يدخل الكنيسة للصلاة .

جريدة الخليج تنشر: قبر جماعي، لا للاستعمار الجديد. أمة تنجب أطفالا يتصدون لشارون أمة لن تموت، في كل أرجاء العالم. في شيكاغو المظاهرات تملأ المدن، في ديترويت، في واشنطن الآلاف يتظاهرون، قوات الاحتلال تحاول اقتحام كنيسة المهد. أتصل بأصدقاء من بيت لحم ومن بيت جالا .عائلة خميس أصدقاءنا. النائب الأردني إدوارد خميس وزوجته اسبرانس إنهم في الملجأ. القوات الإسرائيلية تقصف بيت جالا من مستوطنة جيلو، جيلو هي أراضي لأهل بيت جالا .. تقول لي اسبرانس صديقتي: مريم العذراء حمت المدينة حين وقع الصاروخ في باحة الكنيسة، ومريم العذراء حمتنا، كما حمت بيت جالا في السابق سنه ٦٧. إنها أعجوبة لم تصب الأهالي رغم القصف الشديد على المدينة، صدقيني سنه ٦٧ كانت ستكون كارثة واليوم كثير من الشباب استشهدوا، وبيوتا دمرت. أما تمثال العذراء فقد ظل واقفا شامخا لم يصب. كأنه يحمينا ويحمي المدينة، لا تصدقي ماذا يحصل. نحن في الملجأ تقول لي إسبرانس:

الصواريخ تقصف المدينة بدون توقف وبدون رحمة، ولكن الشباب استبسلوا وهم يقصفون جيلو، جيلو هذه هي أراضينا يا ريموندا والوضع مرعب ولا يوجد عندنا كهرباء، والبرد قارص. نحن باتصال مع الأب فنتس والراهبات في كنيسة المهد ،الوضع خطير جدا. لقد دفن اليوم الآباء الشباب المقاتلين الفلسطينيين، وفي الخارج في بيت جالا ببستان الكنيسة تحت إرهاب السلاح دفنوا الشباب رحمة الله عليهم . داخل بيت الله تقول لي إسبرانس وإدوارد خميس الأخبار تأتينا من داخل الكنيسة أن الاشتباكات مستمرة في محيط كنيسة المهد، اشتباكات مع الجيش عند بوابتها الخلفية، وعندنا معلومات من داخل الكنيسة أن جرحى وقتلى كثيرين، وحجم المأساة لا يوصف .. تقول لي إسبرانس: سمعنا قصصا تقشعر لها الأبدان، تصوري ما سيكون موقف شاب أمام جثة أمه وأخته. لا يتصور العقل أن هذا الوضع المأساوي قد صار ونحن نعرف العائلة. الشاب مكث ٢٤ ساعة أمام جثة أمه وأخته، وكان يطلب الإسعاف، ولكن الجيش لم يسمح للإسعاف.

جريدة الجارديان ذكرت هذا الحادث في مقال اليوم في عنوانها. حرب دموية في بيت لحم. هذا الوضع الذي نشاهده، وتقول جريدة باستير زيتونغ : تحت الحرب وحصار عرفات. عرفات رمز لشعبه وأبو الأمة . شارون لن يطرح أي بيان سياسي

من مفكرتي

أسمع أصواتا وأصواتا من العرب المثقفين الوطنيين، شفيق الحوت يقول: ما يحصل هو تصفية كاملة لحركات النضال الفلسطينية. إن الحرب التي تحدث هي حرب ضد الشعب الفلسطيني، ومنعطفا لتصفية المقاومة والعودة إلى ما قبل أوسلو، ويقول: الهدف من ذلك أن عرفات رجل شجاع ولا يتنازل عن حقه وخصوصا عن حق اللاجئين، محاولة عزل عرفات والإعلان أنه رجل إرهابي وإعادة احتلال مناطق السلطة الفلسطينية وجميع المناطق والخيار لحكومات الطوق لبنان وسوريا هو رفع شعار المقاومة. تبقى مصر هي الباقية في الميزان، مصر مقيدة باتفاقات ولا يوجد مرجعية عربية بغياب الرئيس عبد الناصر، من سيأخذ القرارات ؟

ومن مفكرتي

مع الاتصال بالصديقة الجميلة المثقفة غريس ناصر من بيت لحم وأخو زوجها هو حنا ناصر رئيس بلدية بيت لحم، غريس سيدة لها نشاط اجتماعي مع عدة مؤسسات

وجمعيات في بيت لحم. تقول لي: إن جيش الاحتلال يمنع سيارات الإسعاف من الوصول إلي الكنيسة، اتصلت وعرفت أن داخل الكنيسة يوجد قتلى، تقول غريس إن اقتحام الكنيسة قضية صعبة جدا. والأسوأ أن جنود الاحتلال أتوا ومعهم بعض الخرائط لاقتحام الكنيسة. أعيد احتلال مدينة بيت لحم. صارت مدينة أشباح، لا تستطيع أن تطل من النافذة أو أن يتحرك أحد من بيته ولا أن يتنفس إننا نهمس همسا.. تقول لي غريس ناصر: لا يوجد طعام ولا مياه ولا كهرباء في داخل الكنيسة. هم بحاجة لعمليات جراحية، ولا يستطيع أحد الدخول إلى الكنيسة، هناك اشتباكات.

أعلن شارون أن إسرائيل مستمرة باجتياحها للكنيسة، رغم الأصوات التي صدرت من كل العالم المسيحي ومن الفاتيكان بعد النداءات التي قام بها رئيس بلدية بيت لحم إلى البابا وإلى كل العالم، المظاهرات مستمرة في مصر وقطر والبحرين، وفي الأردن واليمن، وفي تونس والمغرب وفي الجزائر في لبنان في كل العالم.

***

ومن مفكرتي

جيراننا أنيس ميكيل وزوجته نهى الحلتة وابنهم تامر الوحيد في البيت كانوا خائفين عليه حيث أخاه توفيق الموجود بأمريكا كان قد سجن وعذب وهو لا يزال في الجامعة، وكانوا يخشون أن يكون لتامر نفس المصير. لا نسمع لهم صوتا، وعندما كانت تريد شيئا كانت تدق لي دقيقة في التليفون حيث كانت تسكن مقابل بيتنا وبيت أم صلاح، وكنا نراقب الجيش وهو يكسر الأبواب والطابق الأرضي الذي كان فارغا، ولكنهم اعتقدوا أن فيه شبابا وكان الدم قد تجمد في عروقنا.

لأول مرة لا أسمع صوت عصافير في الربيع، ولا صوتا في الفضاء ولا في الوادي، ولكن النيران تشتعل في مقر المقاطعة، ومن أماكن كثيرة في البلد، في كل رام الله حرائق لا نعرف ماذا يحدث؟ كنا فقط نرى النيران تشتعل ونتصل بالتليفون لكي نعرف أين ومن أين أتت هذه النيران، جارتي نهى وأم صلاح ونظر الدلو يسألون أقاربهم ومعارفهم في المدينة هل هم بخير ويسألون عن الحرائق التي كانت تندلع من عمارة النتشة بوسط المدينة وقد عرفنا لاحقا أن هناك معارك، وفقط نسمع أصوات الإنفجارات ولا نعرف ماذا يحدث، وعرفنا لاحقا أنه في البعيد ببطن الهوى في الوادي المؤدي إلى الساحل، يافا والرملة واللد.كانت معركة بين الجيش والمقاتلين، وأن مقاتلين استشهدوا،

والشرطة قاومت بسلاحها البسيط الذي سمح للسلطة أن تحمله في اتفاقيات أوسلو

وفي مفكرتي أيضا

صخر حبش، واعتقاله ووجوده بعمارة النتشة. كنت أطمئن عليه من الشباب ممن كانت بيوتهم أمام عمارة النتشة .

الأصدقاء والنواب والمثقفون من داخل الخط الأخضر. من حيفا وعكا والجليل ويافا والناصرة شاركوا في كل المظاهرات، وأتوا بمواد غذائية بالقافلات إلى حاجز جنين وأرادوا أن يدخلوا إلى جنين المنكوبة، كنت على اتصال مع أحمد الطيبي، ولطيف دوري ومحمد بركة وطلب الصانع الذين كانوا على حاجز جنين وقد مُنعوا من الدخول.

ومن مفكرتي

اليوم الأخير للأدوات المنزلية من طناجر وأدوات مطبخ. خرجت الجماهير حاملة الأدوات المطبخية، اتصلت بى ديما فودة من جريدة «فلسطين» والتي كانت تعمل معي، قالت لهالة وزوجها أنهم ابتدأوا مع بعض العائلات والشباب التوجه إلى المنارة وسط المدينة وخطر تربص الجيش على الأسطح وهو يهدد ويتوعد بفتح النيران على الناس الذين نزلوا إلى الشوارع، وعندما سمعوا مكبرات الصوت تعلن أن بعد عشرة دقائق ستفجر إسرائيل المقاطعة على الرئيس وعلى المتواجدين. وكانت مكبرات الصوت تدوي في كل المدينة بلغة عربية رقيقة: أيها المواطنون: لقد أعذر من أنذر. إن المقاطعة ستنفجر بعد دقائق على الرئيس والمحاصرين وعليهم أن يرفعوا الراية البيضاء. ديما تتصل مع أصدقائها من المنجمين في نابلس بهذه الدقائق الخطرة لتستشيرهم كعادتها.

أثناء خروج هالة وزوجها واتصالهم بشباب التنظيم لكي يتوجهوا إلى المنارة في مخيم بلاطة .. تقول لي ديما التي أسألها عن الوضع الخطير للرئيس. فتجاوبني: جهنم جهنم، نار وبارود، نار جهنم، والناس هرعت إلى المنارة لحماية الرئيس. الدقائق الأخيرة والشيخ في الجامع أمام بيتنا في عين مصباح كان يطلب من الجماهير الخروج إلى المنارة للدفاع عن الرئيس: أيها المواطنون انهضوا لنجدة القائد الزعيم المناضل. كان صوت مؤذن الجامع يعلو على صوت المكبرات الذي بيد الضابط الإسرائيلي وهو يدعو عرفات والجماهير أن تنتظر تفجير المقاطعة.

إن براميل الوقود وضعت حول الأبنية لكي تشتعل بسهولة عند التفجير، لقد فتحت النساء والشيوخ والأطفال والشباب صدورها وأبواب منازلهم وخرجت منها متوجهة إلى المنارة، بعدها اتصلت بالأب فنتس بطل كنيسة المهد في بيت لحم لأخبره بما يحدث والخطر على الرئيس، كنت أستغيث به وأطلب منه أن يحرك الكنيسة في القدس وبيت لحم والكنائس كلها، وليدقوا الأجراس بكنيسة المهد وبالكنائس في كل البلاد، وكنت أسمعه صوت المؤذن في عين مصباح وأقول له: يا أبتاه هل تسمع؟ فيقول: نعم أسمع . كان صوت الشيخ في جامع عين مصباح بصوته الجمهوري ينادي: أيها الموطنون هبوا واخرجوا إلى المقاطعة للدفاع عن الرئيس فهو بخطر، ونحن بخطر. كلنا مهددون بالموت .

* * *

وفي مفكرتي

أن يضعف أبو عمار وأن يستسلم .

هكذا كان طلب شارون وهو الاستسلام . كان عرفات عدوا لدودا لشارون لأنه هكذا أراده في بيروت. وكان عرفات قد أقام الدنيا وأقعدها ضد إسرائيل وسياستها وجبروتها وظلمها.

لا للاستسلام. أبو عمار لم ولن يستسلم. إنه من حديد. من طينة شعب الجبارين. عرفات درس جيدا تاريخ شعبه، وأكد حق شعبه في الوجود، كان في بيروت يريد دائما وأبدا ضمانات حق المقاتلين وحق اللاجئين وضمان الأمن لأهالي بيروت، وكان همه كيف يضمن فيليب حبيب الأمن للمخيمات وللمقاتلين ولأهالي بيروت. والتاريخ يعيد نفسه الآن. هذا هو شارون نفسه الذي قام بمذبحة صبرا وشاتيلا. هو نفسه الذي يقوم بمذبحة جنين، ونفس الضغط على أبو عمار ، ونفس المجزرة، ولكن أبو عمار الآن محاصرا وليس حرا طليقا ،القصف الجوي مستمر، والأباتشي مستمرة مثل بيروت، وفي بيروت كانت إحدى العمارات التي يسكنها فلسطينيون دمرت على أصحابها بالقنابل العنقودية وبالقنبلة الفراغية، أطفالًا ونساء، والعمارة التي فيها عرفات في بيروت دمرت بأكملها، ولكن الله حمى عرفات ونجاه من الموت. كان الله دائما معه. كان العالم يعتقد أن عرفات عنده البركة، هكذا كانت تكتب صحف العالم. رجل الأعجوبة، كانوا يقولون في بيروت: مبارك الرجل، ومباركة قضيته، لقد كان أبو عمار يترك العمارة

قبل أن تدمر بدقائق. هل هو القدر؟ أم الحاسة السادسة عنده. لا أحد يعرف كيف كان ينجو عرفات من المآسي.

* * *

ومن مفكرتي

يتصل من حاجز قلنديا يقول لي غاضبا لطيف دوري: وصلنا إلى رام الله لدعم الرئيس وأغلقوا علينا الطريق. الجيش كان مفترسا غاضبا، استعمل العنف معنا. نحن ٣ آلاف متظاهر ومن ضمنهم رئيس بلدية الناصرة رامز جرايسة ونواب كنيست ومفكرون وعرب الـ ٤٨ وإسرائيليين، أخذنا القرار للدخول إلى رام الله. كان الجيش قد اقتحم علينا بالدبابات ليمنعونا من الدخول، وأعلنت أن المنطقة عسكرية. بدأنا بالهتافات وبدأوا يلقوا علينا القنابل المسيلة للدموع. ضربونا ضربا وحشيا، وألقوا علينا متفجرات، كانت طواقم التليفزيون موجودة من كل العالم، الشارع يستيقظ والمتظاهرون كانوا يهتفون : نريد أن ندخل شاحنات المواد الغذائية للأهالي في رام الله والبيرة. أتى الشباب من الرام للالتحاق بنا وبدؤوا برمي الحجارة. الجيش استدعى شرطة حرس الحدود، وبدأت المعارك. يقول لطيف دوري على التليفزيون: المعركة ابتدأت بالأيدي والجيش منعنا من الدخول واستعمل الرصاص الحي ليمنعنا من الدخول والتضامن. شيرين أبو عاقلة تقول: جرايسة أصيب في هذا الحاجز بعيار مطاطي في صدره ونقل على إثرها إلى المستشفى مواجهة بين متظاهرين من دعاة السلام الإسرائيليين والفلسطينيين وبين الشرطة الإسرائيلية. هذه المظاهرات كانت ضد الاحتلال. جرايسة يقول أبعث من هنا تحية لأبناء شعبنا الصامدين في جنين وبيت لحم. إنهال الجيش الإسرائيلي على النائب محمد بركة بالضرب، وتقول شيرين : أنا أيضا وقعت على الأرض وضُربت من قبل الجيش. محمد شرايحة بطحوه أرضا. يقول نحن نذهب لتصعيد النضال ضد الاحتلال. هذه معركة ينتصر فيها من ينتصر ويصمد فيها من يصمد.

ومن مفكرتي

الدكتورة زهرة من المستشفى الميداني في نابلس تقول كل مدينة نابلس ما فيها سيارة إسعاف استغاثات من الجماهير وبكاء. أتصل مع الصليب الأحمر، ولكن للأسف الصليب الأحمر بحاجة إلى إذن لإخلاء المصابين.

الدكتورة زهرة على التليفون: الآن يصلني صوت الجريح الذي دخل الآن، تقول: هل سمعتي صوته؟ اليوم يوجد أربعة عشر شهيدا. عملنا مقبرة، هل تسمعي صوت الجريح يصرخ ويقطع قلوبنا؟ يا إلهي عملنا مقبرة جماعية لأربعة عشر شهيدا، ولا نستطيع دفنهم . يوجد شهداء أحياء. المنظر مخيف داخل المستشفى الميداني. نابلس. المحافظ محمود العالول: هذه الليلة ستكون طويلة رغم الآلام والمعاناة، الجرحى والشهداء لا يستطيعون إخلاءهم من الميدان، لا نستطيع الخروج إليهم فاضطررنا أن ندفنهم بقبر جماعي، امرأة مسنة رفضت الخروج من بيتها ونسف البيت على رأسها.

العالول يتحدث عن ١٣ قتيلا منذ العدوان. في المنامة رفع طفل العلم الفلسطيني علي السفارة الأمريكية، ضربوه على رأسه، ورأيناه يبكي على التليفزيون.

من مفكرتي

البابا شنودة قرر أن لا يذهب أي أحد إلى فلسطين ويقول: ارفعوا الحصار عن الرئيس عرفات. محمد عميرة من نابلس يقول لي: الليلة حوالي ١٠٠٠ قتيل وجريح لا يزالون في الشوارع، ١٨ دفنوا ، بلاطة دمروها تدميرا ، الجثث في الشوارع وفي المستشفى وتحت الردم، النائبة الإيطالية ليوزا مورتيني ، شهدت امرأة تقتل أمامها، وقد شهدت القبر الجماعي في المستشفى.

و من مفكرتي

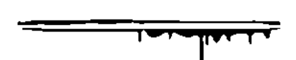
ليلي ابنتي دكتورة في روما تقول لي : يا ماما في كل الكنائس في إيطاليا صلوا لأبو عمار، إنهم يحبونه في إيطاليا ولا ينسى الشعب الإيطالي أن الرئيس عرفات أول شيء قام به عندما خرج من حصار بيروت أن قام بزيارة بابا الفاتيكان لكي يشكره ويشكر الشعب الإيطالي على موقفه ودعمه الفلسطينيين في لبنان والمقاومة، ووقتها قامت القيامة وقعدت من اللوبي اليهودي في إيطاليا وفرنسا والعالم ..كيف يستقبل رئيس الكاثوليك في العالم هذا الإرهابي.

تقول لي ابنتي : خرجت مظاهرة في روما . أكثر من مليوني متظاهر من كل الأحزاب والمفكرين، وعلى رأسهم المطران المناضل مطران القدس كبوتشي، المطران السجين و المبعد من القدس، وكان جنبا إلى جنب مع رئيس مكتب منظمة التحرير في روما نمر حماد. الهتافات كانت داعمة لياسر عرفات ولمنظمة التحرير

الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني ولفك الحصار عن عرفات وعن الشعب الفلسطيني ولوقف شلال الدم ورفع الحصار عن كنيسة المهد، وكانت شعاراتهم أوقفوا المذبحة والحصار على الكنيسة . الإيطاليون يحبون الشعب الفلسطيني وعرفات وبيت لحم والقدس.

في إيطاليا طلب البابا من جورج بوش وقف المجازر، ونادى للصلاة من أجل الأسرى في كنيسة المهد والمدنيين الذين يواجهون الموت، وطلب البابا في خطبته يوم الأحد من الذين يملكون القوة وعليهم تقع المسؤولية، وطلب من جورج بوش وقف المجازر.

من البرتغال جوزيه سماراغوا. قال: إني أفضل أن أكون ضحية للدعاية الفلسطينية، ولا أن أكون ضحية للدعاية الصهيونية الإسرائيلية الرخيصة. يقول جوزيه سماراغوا الكاتب الروائي العالمي من البرتغال : لم أكن أعلم أنه من أجل توفير الأمن للبعض عليهم أن يشوهوا أمثالي. كان يعرف أنه توجد مستوطنة فوق الجبال وأنه يوجد احتلال وهي تقصف من الجبال على المواطنين، وعندما قال سماراغوا: هذه هي نفسية معسكرات الإحتلال. عندها قامت الدنيا وقعدت، وجاءت الاحتجاجات من كل العالم ضد تصريحه، لأن العالم يفكر فى المحرقة. قالوا عنه : إنه لاسامي وهو الذي يحمل جائزة نوبل، وقال درويش: نحن نعرف أن التاريخ ليس عادلا. قال هذا الكلام عندما زاره هذا الوفد من الكتاب والمفكرين العالميين فى مدينة رم الله .



الثمن الفادح
للاحتجاج الإسرائيلي

الجمعة ٢٠٠٢/٤/١٢

يوم الجمعة الموافق ١٢/ ٤/ ٢٠٠٢ واصلت القوات الإسرائيلية مداهمة منازل المواطنين في رام الله وتفتيشها. فاقتحمت منزل الدكتور سمير غوشة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والأمين العام لجبهة النضال الشعبي، واحتجزته وعائلته في إحدى الغرف وفتشت المنزل. واقتحمت منزل عضو اللجنة المركزية لحركة فتح صخر حبش وفعلت الأمر نفسه.

وداهمت قوات الاحتلال قرية رمون شرقي مدينة رام الله، واختطفت الشاب حسن أبو فايد إلى جهة مجهولة. وداهمت بلدة النبي صالح شمالي غربي مدينة رام الله. وطوقت مقر الأمن الوقائي واعتقلت عددا من أفراده. وأقدمت قوات الاحتلال على تدمير وزارة الزراعة في رام الله تدمير كاملا.

واستمرت قوات الاحتلال طول اليوم في تجميع المواطنين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ٦٠ عاما في الساحات العامة في مدينة جنين وخصوصا في أحياء المراح والمسلخ والحارقة الشرقية، واعتقلت عددا كبيرا منهم. وقال العقيد نايف سويطات، مسؤول التوجيه السياسي والوطني، أن الاعتقال شمل العشرات من موظفي السلطة الوطنية، ولا سيما أفراد الأجهزة الأمنية. ونقل المعتقلون إلى حرش سعادة على طريق جنين — حيفا.

وقامت قوات الاحتلال بجمع من بقي في مخيم جنين في الساحات العامة في أحياء

المخيم، بعد أن قتلت وشردت الكثير من أبنائه، وتم تدمير حي الحواشين وحي الدمج تدمر كاملا، وأخذت الجثث بالتحلل إذ منعت القوات الإسرائيلية الأهالي من دفنها.

وأعادت قوات الاحتلال اجتياح بلدة كفر راعي جنوبي غربي محافظة جنين بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من انسحابها منها. واجتاحت عشرات الدبابات البلدة من ثلاثة محاور رئيسية، واعتلى الجنود والقناصة سطوح المباني العالية.

واقتحمت قوة من الوحدات الخاصة الإسرائيلية المحكمة الشرعية في مدينة نابلس وصادرت الملفات الموجودة كافة. وواصلت حملة الاعتقالات في صفوف المواطنين.

وقصفت الدبابات المتمركزة في شراعي القدس والضاحية وغربي مخيم بلاطة وشرقيه، منازل المواطنين في المخيم وألحقت بها أضرارا جسيمة. وقطعت قوات الاحتلال الطريق الوحيدة التي تربط مدينة نابلس بالقرى الشمالية الشرقية والمحافظات الشمالية للضفة الغربية.

وتخضع قرية سالم في المحافظة لحصار شديد، وتخضع قرية حوارة جنوبي نابلس لنظام حظر التجول. وتقوم قوات الاحتلال والمستوطنون بإطلاق الأعيرة النارية على منازل المواطنين، وعلى كل من يتحرك في محيط القرية.

وأطلقت قوات الاحتلال نيران الرشاشات والقنابل اليدوية والصوتية على كنيسة المهد في بيت لحم. فدمرت السيارات في مرأب الكنيسة وأحرقتها. وشهدت مخيمات الدهيشة وعايدة والعزة ومنطقة واد أبو سعدى في بيت جالا وأحياء بيت ساحور عمليات مداهمة منازل وتفتيش واعتقال.

وفتحت قوات الاحتلال نيران أسلحتها الرشاشة تجاه عدد من الشبان والمواطنين في محيط قرية بدو شمالي غربي القدس الأمر الذي أدى إلى استشهاد احد المواطنين.

وقصفت قوات الاحتلال بالقذائف المدفعية منازل المواطنين في بلدية القرارة شمالي خان يونس.

أدلى الناطق العسكري الإسرائيلي بما يلي:

استمرت عمليات الجيش الإسرائيلي في جنين ونابلس ورام الله وبيت لحم، وفي قرى دورا والظاهرية جنوبي الخليل وفي مخيم جنين استسلم أحد قادة «الجهاد الإسلامي»

علي سليمان سعيد السعيدي. وهذا المساء دخلت القوات الإسرائيلية قرية كفر قليل جنوبي نابلس لتنفيذ بعض الاعتقالات. وعند إنهاء مهمتها انسحبت القوات من القرية، لكنها أبقت على الطوق حولها.

وبالأمس تم اكتشاف مختبرين لإنتاج المتفجرات الأول في بيت لحم والثاني في رفيديا في منطقة نابلس. وبعد استكمال عمليات التفتيش في المنطقة، فجرت القوات الإسرائيلية المختبرين.

وبالأمس أيضا تم العثور على أسلحة وذخيرة وعبوات ناسفة ومعلومات استخباراتي في المجمع الذي يقيم به عرفات.

ويمكن الحصول على شريط وثائقي مصور للأسلحة التي عثر عليها في رام الله من وحدة الأفلام في مكتب الناطق باسم الجيش الإسرائيلي.

أعلن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن جنديا إسرائيليا توفي في ٩/ ٤ متأثرا بجروح أصيب بها في قرية دورا جنوبي غربي الخليل.

نفى العميد أيال شلاين قائد الكتيبة رقم ٣٤٠ في الجيش الإسرائيلي وقوع مجزرة في مخيم جنين. وقال في مؤتمر صحافي أن الجيش لم يستخدم المدفعية أو الطيران وأنه لم يمنع الفلسطينيين من نقل جثث القتلى، وأنه وجد في المخيم كمية كبيرة من الأسلحة ومختبرات لصنع الأسلحة، وختم حديثه قائلا : إن العملية في جنين لم تنجز بعد، لكن المعركة الصعبة انتهت وأكثر «الإرهابيين» والمطلوبين اعتقل أو قتل.

أقر الناطق باسم الجيش الإسرائيلي الجنرال رون كيتري بقتل مئات الفلسطينيين داخل مخيم جنين خلال مقابلة مع إذاعة الجيش الإسرائيلي. وأضاف أن المعارك كانت ضارية جدا كما يظهر من حجم الخسائر الإسرائيلية. وأصدر الجيش الإسرائيلي بيانا اعتبر فيه أن كيتري أخطأ في التعبير وأنه يعني «قتلى وجرحى» لا «قتلى» فقط.

وأصدرت «سرايا القدس» الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، بيانا أعلنت فيه «مسؤوليتها عن الهجوم الذي استهدف حاجز إيرز قرب المنطقة الصناعية في بيت حانون شمال قطاع غزة، وأسفر عن مقتل جندي صهيوني وإصابة ستة آخرين بجروح»، وأن هذه العملية تأتي ردا على جرائم العدو في جنين ونابلس. وقد نفذ العملية حاتم طلال شعبان أبو القنبز (١٩ عاما) من الشجاعية.

وعلق قائد اللواء الشمالي في الجيش الإسرائيلي الكولونيل يوئيل ستريك على الهجوم الذي استهدف معبر أيرز فقال: «إن المهاجم كان يرتدي ملابس مدنية ويحمل بندقية كلاشينكوف وقنبلة يدوية، مخبأتين تحت ثيابه، وبدأ بإطلاق النار في حضور العمال الفلسطينيين، ورمى الحاجز بقنبلة يدوية قبل خضوعه للتفتيش، فأطلق عنصر حرس الحدود النار على الإرهابيين وقتله. وخلال تبادل النار قتل عنصر من حرس الحدود وأصيب آخران بجروح متوسطة وخفيفة، وأصيب أيضا مدنيان إسرائيليان بجروح متوسطة وخفيفة. بالإضافة إلى ذلك، قتل فلسطيني وجرح أربعة آخرون جروح أحدهم متوسطة وجروح الآخرين خفيفة. ونقل جميع الجرحى إلى المستشفيات وينوي الجيش متابعة التحقيق في هذا الحادث».

فجرت عندليب خليل طقاطقة (٢٠ عاما) نفسها في موقف للحافلات في القدس الغربية ما أسفر عن مقتل ستة إسرائيليين وإصابة أكثر من ٨٠ آخرين بجروح. والموقف قرب أكبر سوق تجارية محانيه يهودا في شارع يافا، وتبنت العملية «كتائب شهداء الأقصى».

تبنت «سرايا القدس» الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي عملية اقتحام مستعمرة أيلي سيناي شمال قطاع غزة، التي نفذها محمد محمود عبدالعزيز الإسكافي (١٨ عاما) من بيت لاهيا حيث اشتبك مع دورية لجنود العدو فأصاب عددا منهم بجروح.

وفي المنطقة المحتلة في جنوب لبنان جددت المقاومة الإسلامية هجماتها على المواقع الإسرائيلية داخل مزارع شبعا المحتلة وتلال كفر شوبا وقصفت مواقع رويسة القرن والسماقة ورويسات العلم. وشنت طائرات حربية إسرائيلية غارتين استهدفتا الأطراف الجنوبية لبلدة كفر شوبا وغارة ثالثة على أطراف قرية حلتا.

وفي تصريح متلفز أعلن الرئيس ياسر عرفات أن «شعبنا يواجه حربا تدميرية وإرهابية تستهدف أطفالنا ونساءنا ورجالنا ومدننا وقرانا ومخيماتنا ومؤسساتنا الشعبية والرسمية، ومقدساتنا المسيحية والإسلامية»، ووجه عرفات كلمة إلى المهرجان الشعبي الذي أقيم في القاهرة دعما للشعب الفلسطيني أعلن فيها أن العدوان الإسرائيلي على كنيسة المهد جريمة لا تغتفر.

وطالبت السلطة الفلسطينية الأمم المتحدة بتأليف لجنة تحقيق دولية فورية لمتابعة

الجرائم والمجازر الإسرائيلية في مخيم جنين. وطالب الرئيس عرفات القيادة الروسية بالتدخل لوقف المذبحة، وإنقاذ المقدسات الدينية.

في مقابلة مع صحيفة «معاريف» اعترف وزير الدفاع الإسرائيلي وزعيم حزب العمل بنيامين بن إليعيزر بأن الحرب التي تشنها إسرائيل حاليا على الشعب الفلسطيني لن تأتي بأي حل سياسي، مضيفا أنه «من غير الممكن اجتثاث قواعد الإرهاب، لكننا نجحنا في إبعاد شبح الحرب المقبلة قليلا».

وأعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون في مقابلة مع شبكة التلفزة الأمريكية سي.بي.اس استحالة الوصول إلى اتفاق مع الرئيس ياسر عرفات، ونفى أن تكون قواته قد ارتكبت مجزرة في مخيم جنين.

التقى وزير الخارجية المصري أحمد ماهر الرئيس عرفات في مقره المحاصر في رام الله. وقال : إنه وجد عرفات «شامخا قويا ومتمسكا بحقوق الشعب الفلسطيني»، وحمل إسرائيل مسؤولية «العمليات الاستشهادية» بسبب سياستها العدوانية التي لن تجلب لها الأمن.

استمرت التظاهرات في معظم البلاد العربية استنكارا للاجتياح الإسرائيلي لمدن الضفة الغربية، وخصوصا في البحرين، ومسيرة «الزحف المقدس» في عمان (الأردن) حيث منعها رجال الأمن من الوصول إلى السفارة الإسرائيلية.

وطالب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في كلمته أمام لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في جنيف، الرئيس الفلسطيني ورئيس الحكومة الإسرائيلية «بإصدار إعلان فوري بالتزامهما بالمعايير الأساسية لحقوق الإنسان والقانون الإنساني». وقال في تصريحات صحافية في جنيف أن الفلسطينيين والإسرائيليين بحاجة إلى تدخل طرف ثالث لمساعدتهم في حل الصراع القائم بينهما. وبشأن اقتراحه إرسال قوة دولية إلى المنطقة لمساعدتهم على حل الصراع القائم بينهما. قال إنه يفكر في «قوة تساعد على توفير هذا الجو الأمن من أجل المساعدة وكي نتمكن من وقف المجازر ونباشر التفاوض»، وأوضح الناطق باسم الأمين العام فرد أكهارت أن عنان يعني إرسال «قوة متعددة الجنسية« لا »قوة دولية» إلى الشرق الأوسط.

أعلن وزير الخارجية الأميركي كولن باول خلال المؤتمر الصحافي المشترك مع

رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون أن ليس لديه «رد محدد بشأن انتهاء العمليات العسكرية الإسرائيلية» في الضفة الغربية، ورحب «بالمساعي التي تبذلها إسرائيل كجزء من الحملة ضد الإرهاب».

وقال شارون إن إسرائيل تشن حربا ضد البنية التحتية للإرهاب، وأنها ستنهي هذه الحملة في أسرع وقت ممكن.

دان وزير الخارجية الأمريكي كولين باول في تصريح له من صفد العملية الاستشهادية الأخيرة في القدس دعا سورية إلى «ضبط» «حزب الله» ووقف عملياته في جنوب لبنان قبل أن يتوسع القتال في المنطقة.

دان الناطق باسم البيت الأبيض آري فلايشر العملية الاستشهادية الأخيرة في القدس. وقال في مؤتمره الصحافي اليوم أن «حملة التبرعات المتلفزة السعودية حسبما أبلغونا هي لتوفير لمساعدات للشعب الفلسطيني ولن تذهب أية أموال للمفجرين القتلة بمساعدة من الحكومة السعودية، وهذه هي الكلمة التي أعطتنا إياها الحكومة السعودية».

أصدرت رئاسة الاتحاد الأوروبي بيانا أعربت فيه عن قلقها إزاء تصاعد التوتر في الشرق الأوسط، ودانت «الهجوم الإرهابي» في القدس، وحذرت من النتائج الخطرة التي قد تنجم عن الأحداث الجارية في مخيم جنين للاجئين.

في الإعلان الختامي لاجتماع مكتب مؤتمر رؤساء البرلمانات الأوروبية – المتوسطية الذي عقد في القاهرة أعرب رؤساء البرلمانات المجتمعون عن «قلقهم البالغ إزاء الاحتلال الإسرائيلي لبعض المدن والقرى الفلسطينية، وطالبوا »بضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي رقم ١٣٩٧، ١٤٠٢، ١٤٠٣، والانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية بما في ذلك رام الله وكذلك مقر الرئيس عرفات.

وأعلن الناطق باسم رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير أن لندن لم تتلق أي اقتراح بشأن إرسال قوة دولية إلى الأراضي الفلسطينية، وكشفت صحيفة «غارديان» البريطانية أن بريطانيا فرضت حظر بيع الأسلحة لإسرائيل، وأن هذا الحظر يشمل المعدات العسكرية التي يمكن أن تستخدمها إسرائيل في عملياتها العسكرية في المناطق

الفلسطينية.

قال وزير الخارجية البريطاني جاك سترو في بيان له أن الأنباء عن العمليات في مخيم جنين «مروعة»، مشيرا إلى أنه أعطى تعليمات للسفير البريطاني في تل أبيب ليحصل على معلومات مفصلة عن «الظروف الحقيقية التي سقط فيها القتلى وعن انتهاكات حقوق الإنسان التي رافقت العمليات الإسرائيلية»، ودان سترو العملية الاستشهادية الأخيرة في القدس.

أعلنت وزارة الخارجية النرويجية عن تخصيص مبلغ مليوني كورون نرويجي لتأمين الغذاء والأغطية والمعدات للاجئين الفلسطينيين في مخيم جنين.

أعلنت وزارة الخارجية الروسية أن القوات الإسرائيلية احتلت مجددًا «بيت الحجاج» الذي تملكه الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في بيت لحم.

وجه الرهبان الفرنسيسكان في الأرض المقدسة نداء إلى الطوائف اليهودية في العالم من أجل التدخل لدى الحكومة الإسرائيلية لإعادة الماء والكهرباء إلى الكنيسة. ووجه المحاصرون من رهبان ورجال دين مسيحيين ومواطنين نداء استغاثة إلى العالم بضرورة التدخل الفوري والعاجل لإنقاذ حياتهم.

أعرب المدير العام للدائرة السياسية في وزارة الخارجية الفنلندية ماركوس ليرا في أثناء لقائه السفير الإسرائيلي في فنلندا عن قلق بلاده إزاء تدهور الوضع في الشرق الأوسط. وطالب إسرائيل بسحب قواتها من المناطق الفلسطينية المحتلة. كما طلب من السفير تفصيلات عن الأضرار التي لحقت بالمركز الثقافي اللوثري دار الكلمة الذي يشيد في بيت لحم بتمويل ومساعدة فنلندية. كما اقتحمت القوات الإسرائيلية وزارة التربية الفلسطينية وصادرت أجهزة كمبيوتر وملفات متعلقة بها ومواد أخرى تخص مشاريع التنمية الفنلندية. وتطالب فنلندا باسترجاعها.

قالت وزيرة الخارجية السويدية آنا لينده أن الفترة الأخيرة من العملية الإسرائيلية «كانت أسبوعا من العار».

في كوبنهاجن قال وزير الخارجية الدانماركي بير ستيغ مولر أن حكومته تعارض أي مقاطعة تجارية؛ لأن ذلك لن يكون له أي تأثير في إسرائيل وسيكون حلا غير حكيم للصراع في الشرق الأوسط.

أكد وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي في بيروت أن المقاومة حق مشروع. وجاء ذلك بعد المحادثات التي أجراها مع المسؤولين اللبنانيين، وأعلن أن هناك قلقا كبيرا من أن تبادر إسرائيل إلى توسيع دائرة الحرب في المنطقة.

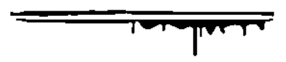
وقال خرازي أنه «يمكن للكيان الصهيوني من أجل الوصول إلى ما يريد أن يبادر إلى بعض التحرشات»، مضيفا أن «الحكمة واليقظة تفيدانا بأنه ينبغي التحلي بضبط النفس تجاه التحرشات الإسرائيلية»، ملاحظا أن «المقاومة اللبنانية في الأراضي اللبنانية المحتلة حق مشروع للبنان».

لاحظ رئيس جنوب أفريقيا ثابو مبيكي في رسالته الأسبوعية عبر الإنترنت أن «حكام إسرائيل يكررون الأخطاء المكلفة التي ارتكبها قادة نظام التمييز العنصري في بلدنا».

بعثت الأمينة العامة لمنظمة العفو الدولية، أيرين خان برسالة إلى مجلس الأمن طالبته فيها «باعتماد إجراءات لتوفير حماية فعالة للحقوق الإنسانية لجميع الفلسطينيين والإسرائيليين؛ ودعوة الحكومة الإسرائيلية إلى فتح جميع المناطق فورا وبدون عراقيل أمام المسعفين الطبيين والأمم المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر..».

أصدرت منظمة العفو الدولية تقريرا بعنوان: «إسرائيل والأراضي المحتلة: الثمن الفادح للاجتياح الإسرائيلي»، يتصدره تصريح رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، في ٥ آذار ٢٠٠١: «يجب ضرب الفلسطينيين ضربا موجعا، وعلينا إلحاق الخسائر بهم وإيقاع الضحايا كي يشعروا بفداحة الثمن». وتناول التقرير موجتي الاجتياح الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية منذ ٢٧ شباط ٢٠٠٢.

وتضمن التقرير: الخلفية والمعايير الدولية أبحاث منظمة العفو الدولية انتهاكات الحق في الحياة استهداف أفراد الطاقم الطبي عمليات الهدم والتدمير الاعتقال التعسفي والمعاملة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة؛ التوصيات.



جحافل العدوان .. تزرع الألم والموت والدمار في ربوعنا

السبت ١٣/٤/٢٠٠٢

يوم السبت الموافق ١٣/ ٤/ ٢٠٠٢ أطلقت القوات الإسرائيلية نيرانها الثقيلة في اتجاه منازل المواطنين في نابلس، فجرح عدد منهم، وانتشلت جثة الشهيد سمير الشعبي من تحت أنقاض منزله. كما أعلنت الأطقم الطبية أنها انتشلت اليوم جثث ثمانية شهداء من عائلة واحدة في البلدة القديمة قضوا إثرَ تعرض منزلهم قبل عدة أيام للقصف، ودمرت القوات الإسرائيلية الأجزاء الغربية من مقر «المقاطعة»، وشنت حملة اعتقالات في بلدة الباذان، قرب نابلس.

وفي بيت لحم ما زالت كنيسة المهد تحت الحصار، ويمنع إدخال المواد الغذائية والطبية إليها. وأطلق قناصة الجيش الإسرائيلي النار إلى داخل الكنيسة فأصابوا أحد المواطنين بجروح خطيرة. ودمرت القوات الإسرائيلية مقر وزارة الداخلية في بيت لحم، وقتلت المواطن عطا الله مخايل الحايك بإطلاق نار عشوائي على المارة.

وفي رام الله دمرت القوات الإسرائيلية مقر وزارة التموين بعد أن استولت على الملفات وأجهزة الكمبيوتر والكثير من المعدات. وما زالت تحتل وزارة الداخلية في المدينة، واقتحمت القوات الإسرائيلية مركز خليل السكاكيني الثقافي، الذي يضم أيضا مكتب الشاعر محمود درويش يحتوي المركز على أرشيفات ومخطوطات ذات قيمة أدبية وتراثية كبيرة. كما اقتحمت وزارة الصحة الفلسطينية في رام الله، ومركز مدمغ الذهب والمصوغات التابع لوزارة التموين حيث تحصر كميات كبيرة من موجودات

ومصوغات المواطنين وتجار الذهب الفلسطينيين.

وفي البيرة اعتقلت القوات الإسرائيلية الدكتور جميل محمود عبدالهادي الحموز (٤٥ عاما) من منزله بعد اقتحامه. وفجرت مستودعات وزارة الصحة في حي البالوع في المدينة. واقتحمت «كلية فلسطين التقنية للبنات» في حي المصيون جنوبي البيرة.

وفي جنين باشرت القوات الإسرائيلية بعد الظهر تجريف جميع منازل المواطنين في حيي السمران وجورة الذهب في مخيم جنين، كما تستمر في تجميع المواطنين بين سن ١٥ و ٥٠ عاما في قرية برقين غربي محافظة جنين بعد احتلالها فجر اليوم وفرض حظر التجول عليها. واحتلت بلدة عرابة في محافظة جنين. وتواصل القوات الإسرائيلية حصارها الشامل على المخيم وتطلق قذائف المدفعية والدبابات ونيران الرشاشات على المنازل.

وذكرت وكالات الأنباء أن الجيش الإسرائيلي أعاد احتلال ١١ قرية في محافظة جنين تخضع للسلطة الفلسطينية.

وفي الخليل استشهد المواطن إسكندر خالد سعادة (٥٢ عاما) برصاص القوات الإسرائيلية التي دمرت مقر البلدية ومكاتب وزارتي الزراعة والداخلية.

وفي رفح جرفت القوات الإسرائيلية مساحات واسعة من أراضي المواطنين القريبة من مستعمرة موراغ الشرقية شمالي رفح.

وقد أعلن ناطق رسمي فلسطيني أن القوات الإسرائيلية جرفت المنازل في مخيم جنين بواسطة أكثر من ٢٥ جرافة، وحملتها في سيارات ليتم دفنها في حفر خارج جنين مع جثث الشهداء من سكان المخيم لإخفاء المجزرة البشعة التي قامت بها ضد المخيم.

وأعلن ناطق رسمي فلسطيني أن قوات الاحتلال تواصل منع دخول أي طرف من المؤسسات الدولية والإنسانية والرسمية والصحافة الدولية إلى مخيم جنين، وأنها دمرت عددا كبيرا من المؤسسات الرسمية والوزارات ونسفتها بالمتفجرات، منها وزارة التموين في رام الله ووزارة الداخلية في طولكرم ورام الله ونابلس وبيت لحم.

ومنظمة عدالة الحقوقية الفلسطينية داخل «الخط الأخضر» تمكنت من استصدار أمر احترازي من المحكمة العليا الإسرائيلية يلزم الجيش الإسرائيلي وقف عمليات نقل الشهداء من مخيم جنين ودفنهم في مقابر جماعية. المحامي جميل دكور الذي قدم

الالتماس قال إن هذه الخطوة تلت تأكيدات شهود تفيد أن الجيش يدفن الشهداء في مقابر جماعية وينقل الجثث إلى «مقبرة الأرقام» في غور الأردن.

صرح ناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن الجيش وسلاح حرس الحدود واصلا عمليات التفتيش في المناطق المحيطة بجنين ونابلس ورام الله واعتقلا نحو ٤٠ فلسطينيا. وفي بيت لحم، جرح جندي من الاحتياط عند انفجار عبوات غاز يشتبه في أنها تحوي مواد متفجرة. وفي غزة أحبط الجيش عدة عمليات اختراق حواجز للوصول إلى إسرائيل وزرع متفجرات.

وقد أصدر الرئيس ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية بيانا يدين جميع الأعمال التي تستهدف مدنيين سواء كانوا إسرائيليين أو فلسطينيين.

وسلم ممثلو ١٣ كنيسة في القدس وزير الخارجية الأميركي كولن باول خلال لقاء معه في القنصلية الأميركية في القدس مذكرة لتسوية مشكلة الحصار الذي يفرضه الجيش الإسرائيلي على كنيسة المهد في بيت لحم. وحث الناطق باسم بطريركية اللاتين في القدس القوات الإسرائيلية على الانسحاب من محيط كنيسة المهد.

وقد أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون في حديث إلى شبكة التلفزة الأميركية «سي.بي.اس» أنه يعتقد باستحالة التوصل إلى اتفاق مع ياسر عرفات، معربا عن اعتقاده بإمكان إيجاد بديل.

وقد أصدر الحاخامات الإسرائيليون لحقوق الإنسان بيانا وقعه أيضا الحاخامون لحقوق الإنسان في أمريكا الشمالية ناشدوا فيه منظمات حقوق الإنسان في العالم إدانة العمليات الانتحارية والاعتداءات ضد المدنيين الإسرائيليين. وطالب البيان أيضا الحكومة الإسرائيلية بوقف انتهاكاتها لحقوق الإنسان فيما يتعلق بالفلسطينيين، حتى في وقت الحرب. وادان البيان الاعتداءات المعادية للسامية ضد اليهود ومؤسساتهم في العالم.

وأعلن مسؤول في شركة مصر للطيران وقف رحلات الشركة إلى تل أبيب إلى أجل غير مسمى تلبية لطلب رابطة الطيارين المصريين احتجاجا على الممارسات والمذابح في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقال المسؤول: أن شركة طيران «إير سينا» التي أوكل إليها تنظيم رحلات إلى إسرائيل أوقفت منذ ١١/ ٤ الرحلات بين القاهرة وتل أبيب والعكس.

وقد نفى وزير الخارجية المصري أحمد ماهر أن يكون مارس ضغطا على الرئيس

ياسر عرفات خلال لقائهما في رام الله في ١٢/ ٤.

وقد أعلن الناطق باسم الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر في تصريح صحفي أن ثمة لقاء مرتقبا بين وزير الخارجية كولن باول والرئيس ياسر عرفات يوم ١٤/ ٤، وذلك بعد أن أعلن عرفات سلسلة مواقف ايجابية أبرزها:

١- التنديد بكل أنواع العمليات الإرهابية ضد المدنيين الفلسطينيين والإسرائيليين.

٢- تنديد عنيف بعملية القدس التي حدثت البارحة.

٣- الموافقة على البدء بتطبيق خطة تينيت وتقرير ميتشل.

٤- تأكيد التزام الفلسطينيين بالتفاوض بشأن السلام.

٥- تأييد مهمة وزير الخارجية كولن باول.

وأعلن وزير الخارجية الأميركي كولن باول أن الرئيس بوش وقع في ١٢/ ٤ قرارا يسمح للولايات المتحدة بالمساهمة بمبلغ إضافي قدره ٣٠ مليون دولار دعما لبرامج الأونروا الطارئة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وأعرب الاتحاد الأوروبي في بيان صادر عن رئاسة الاتحاد، عن قلقه من الأنباء عن المجازر التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في مخيم جنين. وأعلن البيان أن «الأنباء عن الأحداث التي تقع في مخيم جنين مثيرة للقلق الشديد وستكون لها انعكاسات خطرة إذا تأكدت». وانتقد الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن المشترك للاتحاد الأوروبي خافيير سولانا في حديث إلى صحيفة «فيلت أم زيتونغ» الألمانية رفض إسرائيل السماح بعقد لقاء بين الوفد الأوروبي والرئيس عرفات الأسبوع الماضي واعتبره «خطأ سياسيا» من جانب إسرائيل و «إهانة لأوروبا».

وعلى الرغم من انتقادات سولانا، منعت إسرائيل وزيرة الصحة البلجيكية ماغدا إيلفوت من التوجه إلى رام الله. وقالت الوزيرة في إثر لقائها وزير الصحة الفلسطيني، رياض الزعنون، في غزة أنها تريد البحث في الوضع الإنساني في الأراضي الفلسطينية.

وانتقد مفوض الاتحاد الأوروبي للمساعدات الإنسانية والتنمية بول نيلسون (١٢/ ٤) إسرائيل، وأعلن أن «الهجمات المقصودة على الفرق الطبية التي تمنع من معالجة المرضى والجرحى وصلت إلى مستوى غير مسبوق».

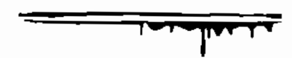
وأعلن وزير خارجية الفاتيكان المونسنيور جان لوي توران أن الفاتيكان يبحث عن حل لحصار كنيست المهد. وقال لإذاعة الفاتيكان إنه يجب «تدخل طرف ثالث صديق» بين إسرائيل والفلسطينيين في محاولة لإيجاد حل.

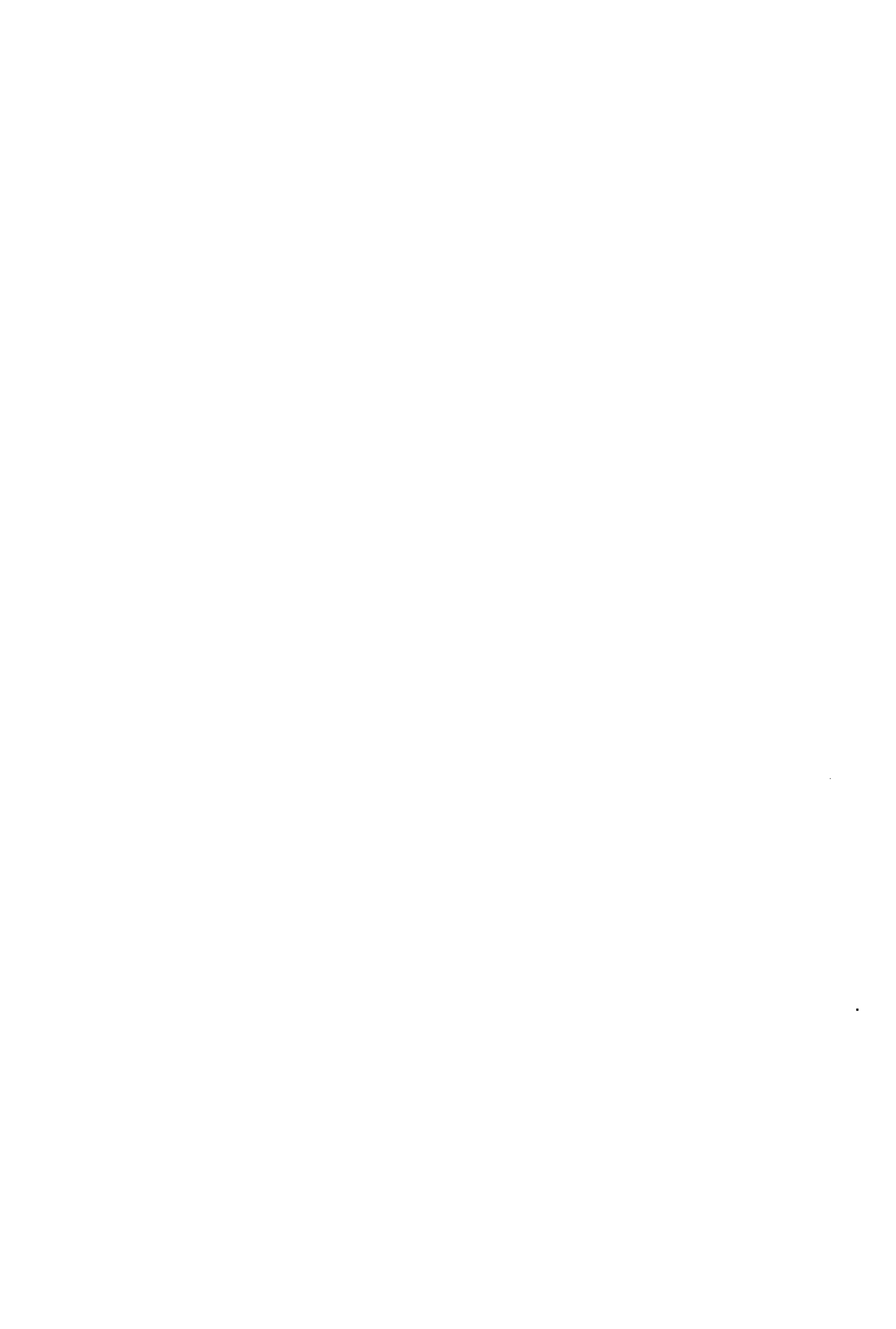
أعلنت الشرطة الفرنسية أن مجهولين رسموا صلبانا معقوفة، وكتبوا عبارات «معادية للسامية على نحو ٢٠ شاهد قبر وعلى الجدران. وبدأت الشرطة تحقيقا في الحادث الذي اكتشف في ١٢/ ٤، وهو رابع حادث يقع في موقع يهودي في فرنسا هذا الشهر.

تظاهرت مؤيدة للفلسطينيين في أندونيسيا ومالي وسري لانكا والبوسنة والهرسك والمجر وسراييفو.

وسارت أكبر تظاهرة تضامن مع الفلسطينيين منذ عشرين عاما في لندن شارك فيها أشخاص من كل الجنسيات. وقدر عدد المتظاهرين بين ٥٠ و ٦٠ ألفا تقدمهم النائبان طوني بن وجورج غالاوي. وفي وسط إسطنبول نظم حزب «السعادة» المعارض تظاهرة كبيرة شارك فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص رددوا شعارات تندد بإسرائيل. وفي نيويورك تظاهر نحو ألف شخص في ١٢/ ٤ دعما للفلسطينيين. وفي ١٢/ ٤ أيضا جرت تظاهرتان في فرانكفورت وبرلين شارك فيهما آلاف الأشخاص احتجاجا على الاجتياح الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وتظاهرة في الدانمارك شارك فيها نحو ألف فلسطيني احتجاجا على سلبية الحكومة الليبرالية – المحافظة على صراع الشرق الأوسط.

وأعرب أكثر من ثلاثة آلاف شخص عن دعمهم للشعب الفلسطيني في ١٢/ ٤ في خاسافيورت في جمهورية داغستان الروسية في القوقاز. ونظم العرب في أمستردام تظاهرة احتجاجا على العدوان الإسرائيلي ضد الفلسطينيين تحولت إلى مواجهة عنيفة مع الشرطة بعد تحطيم شبان ملثمين مقر شركة «ال عال» الإسرائيلية. وأعلنت الشرطة اعتقال ١٩ شخصا وإصابة اثنين من رجال الشرطة. نظم التظاهرة «اتحاد العمال المغاربة»، وقدر عدد المشاركين فيها بنحو ٣٠ ال ٣٥ ألفا. وفي لشبونة شارك مئات الأشخاص، بينهم الرئيس البرتغالي السابق ماريو سواريش، والرئيس السابق للجمعية العامة للأمم المتحدة ديو غو فريتاس دو أمارال، والكاتب البرتغالي الحائز جائزة نوبل للآداب خوسيه سارا ماغو في تظاهرات مؤيدة للشعب الفلسطيني.





جرائم حرب ضد الإنسانية على مشهد من العالم!

الأحد ١٤/٤/٢٠٠٢

وفي يوم الأحد الموافق ١٤/ ٤/ ٢٠٠٢ أكدت مصادر متطابقة في مخيم جنين نبأ قيام القوات الإسرائيلية بإعدام المقاوم جمال أبو الهيجا المعروف بـ «أبو جندل» (اسمه الحقيقي يوسف أحمد ريحان)، أحد ابرز المقاومين في المخيم. وقد اعتقل بعد نفاد ذخيرته. واحتلت القوات الإسرائيلية بلدة اليامون في محافظة جنين مصوبة نيران مدافعها وأسلحتها الرشاشة على المواطنين ومنازلهم. وفي بلدة عرابة اعتقل المئات من المواطنين ودمرت وحرقت أملاكهم. وخلفت القوات الإسرائيلية دمارا كبيرا في بلدة برقين واعتقلت ٢٣ مواطنا جميعهم من أفراد الأجهزة الأمنية قبل أن تنسحب منها. كما طاردت القوات الإسرائيلية جميع الأطقم الصحافية المحلية والأجنبية التي حاولت دخول مدينة جنين.

وفي بيت لحم اقتحمت القوات الإسرائيلية منزل رئيس البلدية حنا ناصر، كما اقتحمت مسجد بيت جالا والكثير من المنازل في البلدة القديمة.

وفي البيرة هاجمت القوات الإسرائيلية المركز الجغرافي التابع لوزارة النقل والمواصلات في البيرة وألحقت به أضرارا جسيمة. كما دخلت إلى المدرسة الثانوية الشرعية في المدينة.

القدس: اقتحمت القوات الإسرائيلية بلدة الشيخ سعد المتاخمة للسواحرة الشرقية،

جنوبي شرقي محافظة القدس، وفرضت طوقا على مداخلها، وحظرات للتجول في عدة أحياء منها.

أعلن الكولونيل في الجيش الإسرائيلي ميري أيسن اكتشاف وثائق في مقر المحافظ في بيت لحم تدين «التنظيم» في تمويل العمليات الاستشهادية والأمر بتنفيذها. وأعلن أيسن أيضا اكتشاف كمية كبيرة من المتفجرات في حي القصبة في نابلس.

أما الكولونيل مرسيل أفيف فتحدث عن حصار كنيسة المهد في بيت لحم، وأكد أن الهدف هو الإمساك بـ «الإرهابيين»، الذين «اقتحموا» الكنيسة، من دون إلحاق أذى بها.

نشر الجيش الإسرائيلي قائمة بأسماء ٢٩ من جنوده قتلوا خلال عملية «السور الواقي». وقالت صحيفة «هآرتس» أن الجيش الإسرائيلي تعهد أمام المحكمة العليا بأنه سيسمح لفرق الصليب الدولي بالدخول إلى جنين ومخيمها للتفتيش عن جثث القتلى الفلسطينيين. وشدد الجيش على أنه بعد التعرف على القتلى سيتم تسليم جميع الجثث إلى الفلسطينيين لدفنها، وأعلن الجيش أيضا أمام المحكمة أنه إذا امتنع الفلسطينيون من دفن الجثث واستخدموها لأغراض دعائية، فإنه سيقوم بعملية الدفن بنفسه. وجاء موقف الجيش هذا ردا على التماسات قدمها للمحكمة عضوا الكنيست محمد بركة وأحمد الطيبي ومنظمتان لحقوق الإنسان: عدالة والحق. ونتيجة موقف الجيش، ردت المحكمة العليا الالتماسات.

نفى الناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن يكون الجيش قد ارتكب مجزرة في جنين. وقال أن الجيش لا ينوي دفن الموتى في مقابر جماعية، لكن بصورة منظمة وبالتنسيق مع السلطات المحلية. وأضاف أن الفلسطينيين «المتمترسين» في كنيسة المهد يرفضون أي مساعدة إنسانية يقدمها لهم الجيش الإسرائيلي. وقال : إن الجيش يسمح بمرور سيارات الإسعاف لإخلاء الجرحى في مخيم جنين.

وأعلن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي أن الجيش تمكن هذا الصباح من إحباط «هجوم إرهابي» في منطقة أيرز الصناعية شمال قطاع غزة ومن تفجير ثلاث عبوات ناسفة وضعت هناك.

وأصدرت القانون: الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة بيانا اتهمت فيه القوات الإسرائيلية بمواصلة نقل الجثث من مخيم جنين للاجئين، وذلك على الرغم

من الأمر الذي أصدرته المحكمة العليات الإسرائيلية بتاريخ ١٣/ ٤. وأكد البيان أن الهجمات العسكرية التي تستهدف المدنيين في الأراضي المحتلة، بما فيها جنين ونابلس، هي بمثابة جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. وطالبت جمعية القانون المجتمع الدولي وخصوصا وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي الذين سيجتمعون في لوكسمبورغ في ١٥/ ٤، باتخاذ تدابير فعالة بما فيه فرض عقوبات اقتصادية عل إسرائيل.

وقال محمود الزهار أحد قادة حركة حماس، أن العمليات الاستشهادية ستستمر ما دام الاحتلال الإسرائيلي قائما. وقد أدلى بذلك إلى قناة «الجزيرة» التلفزية ردا على إدانة الرئيس عرفات لهذه العمليات.

وافقت الحكومة الأمنية الإسرائيلية على خطة لإقامة «معازل أمنية» في المناطق الحدودية مع الضفة الغربية. وأمر رئيس الحكومة شارون بالبدء فورا ببناء سور وعوائق في ثلاث مناطق: قرب أم الفحم وطولكرم ومنطقة القدس.

وأعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد اجتماعها الأسبوعين أن عدد القتلى في جنين يقدر بالعشرات لا بالمئات، وان عدد المعتقلين الفلسطينيين منذ بدء علمية «السور الواقي» بلغ ١.٢٠٠ شخص. واطلع رئيس الحكومة شارون الحكومة على نتائج محادثاته مع وزير الخارجية الأميركي باول، وعلى مشروعه الداعي إلى عقد مؤتمر إقليمي وتنفيذ خطة تينيت.

أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون أنه اقترح على وزير الخارجية الأميركي كولن باول عقد مؤتمر إقليمي تشارك فيه إسرائيل ومصر والأردن والسعودية و «ممثلون للفلسطينيين»، برعاية الولايات المتحدة. وكان باول التقى شارون في تل أبيب وأطلعه على نتائج محادثاته مع الرئيس عرفات.

وقالت صحيفة «هآرتس» أن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون حذر في كلمة أمام لجنة الخارجية والدفاع في الكنيست سورية ولبنان من أن إسرائيل لا تزال قادرة على توجيه ضرب قوية لهما لكنه أكد أن إسرائيل لا تزال تلتزم ضبط النفس.

واعتبر وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس في حديث إلى شبكة التلفزة الأميركية «سي.إن.إن»، الرئيس ياسر عرفات «شرعيا» لأنه انتخب من الشعب الفلسطيني ودعا إلى عقد مؤتمر إقليمي يكون شبيها بمؤتمر مدريد.

وبعد احتفال في وزارة الخارجية ذكر بيرس أن بيوتا كثيرة هدمت في جنين ؛ لأن

الفلسطينيين زرعوها بالمتفجرات.

وأعلنت السفارة الإسرائيلية في عمان تأجيل حفل استقبال كان مقررا في ١٧/ ٤ بمناسبة «العيد الوطني» لإسرائيل في مقر السفير الإسرائيلي. وهذه أول مرة يتم فيها تأجيل حفل استقبال السفارة الإسرائيلية بمناسبة «العيد الوطني» منذ توقيع معاهدة السلام الأردنية – الإسرائيلية سنة ١٩٩٤.

أعادت القوات الإسرائيلية افتتاح معتقل كتسيعوت (أنصار ٣) في صحراء النقب. وكان هذا المعتقل افتتح في ١٦ آذار ١٩٨٨ بمواجهة الأعداد المتزايدة للمواطنين الفلسطينيين الذين اعتقلوا خلال أحداث الانتفاضة الأولى التي بدأت أواخر سنة ١٩٨٧. ويخضع هذا السجن لإدارة الجيش، ويعيش المعتقلون فيه أوضاعا مزرية وبالغة القسوة.

قالت صحيفة «الحياة» أن شركة «إير سينا» التابعة لشركة مصر للطيران استأنفت رحلاتها إلى تل أبيب. ونفى مصدر مسؤول في شركة مصر للطيران أن تكون الشركة أصدرت قرارا بتوقيف الرحلات إلى إسرائيل.

وشارك نحو ٢٥ ألف شخص في «يوم فلسطين إلى لبنان». وتقدم الحضور في المدينة الرياضية في بيروت ممثلو الرؤساء اللبنانيين ووزراء ونواب وشخصيات سياسية، وممثلو أحزاب لبنانية وفلسطينية. وشارك في الأمسية الشاعر محمود درويش الذي ألقى قصائد قديمة وجديدة، والمطربة ماجدة الرومي، والمغني أحمد قعبور.

أعلن نائب الأمين العام لـ «حزب الله» في لبنان، الشيخ نعيم قاسم، أن العمليات الكثيفة للمقاومة في مزارع شبعا هي لإقلاق إسرائيل و «توجيه رسائل مختلفة بان المقاومة مع تحرير الأرض ومع حق الشعب الفلسطيني..».

وصف وزير الخارجية الأميركي كولن باول محادثاته التي استغرقت ثلاث ساعات مع الرئيس ياسر عرفات في مقره المحاصر في رام الله بأنها كانت «مفيد وبناءة». وقال الأمين العام للبيت الأبيض أندرو كارد أن العبء الآن يقع على كاهل عرفات، وعلى القادة العرب المعتدلين أن يساعدوه في تحمل مسؤوليته كزعيم.

وأعلنت مستشارة الرئيس الأميركي في شؤون الأمن القومي، كونداليزا رايس في حديث إلى شبكة التلفزة «أن.بي.سي»، أن المنظمات الإنسانية يجب أن «تتمكن من

دخول» مخيم جنين. ودعت رايس الإسرائيليين والفلسطينيين والدول العربية إلى أن «يتصرفوا بشكل مسؤول»، ورفضت الانتقادات التي وجهت إلى الرئيس بوش كون سياسته إزاء الشرق الأوسط تتسم بالغموض.

وأكد وزير الدفاع الألماني، رودولف شاربينغ، أن حكومته علقت مؤقتا تسليم المعدات العسكرية إلى إسرائيل، وأن المسألة لا تتعلق بفرض حظر وإنما بتوجيه إشارة « إلى إسرائيل »بسبب الوضع الحالي».

وتحدث المدير العام للجنة الدولية للصليب الأحمر، بول غروسريدر في تصريح خاص لصحيفة «لوموند» عن الصعوبات التي اعترضت نقل الجرحى والقتلى إلى المستشفيات، فقال : إن الهلال الأحمر الفلسطيني لم يكن قادرا على تلبية أكثر من ٢٠ في المائة من الحاجات الفعلية، فقد قتل – حتى اليوم – ثلاثة بينهم طبيب، وجرح ١٣٦ من أطقمه. وأصابت دبابة سيارتين للصليب الأحمر بأضرار متعمدة، ولم يكن ممكنا الاستمرار في العمل عندما تطلب المصفحات من سيارات الإسعاف التوقف. لقد كانت الظروف صعبة جدا في جنين ونابلس ورام الله.

وأعلنت وزارة الخارجية السويدية أن أربعة سويديين بينهم طبيب يعملون في منظمة إنسانية طردوا من إسرائيل في ١٣/ ٤ بعد ساعات فقط من وصولهم إلى مطار بن غوريون. وكان الأربعة في مهمة لحساب الوكالة السويدية للمساعدة الإنسانية (سيدا).

تظاهر نحو ١٥ ناشطا مؤيدا للفلسطينيين فجرا أمام مقر رئيس الحكومة الفرنسية ليونيل جوسبان في باريس قبل أن توقفهم الشرطة. واستخدم المحتجون الأبواب والألعاب النارية أمام شقة جوسبان «ليوقظوه» كي ينتبه لمصير الفلسطينيين الذين تشن إسرائيل هجوما عسكريا ضدهم. وتظاهر نحو ٤٠٠ إسلامي أندونيسي في جاكرتا ضد العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين، وطالبوا الدول الإسلامية بوقف تصدير النفط إلى الولايات المتحدة. وسارت تظاهرات مؤيدة للفلسطينيين في الكثير من المدن الفرنسية: باريس؛ ليون؛ نيس؛ بوردو وغيرها. وكذلك في مدن ألمانية إذ قدر عدد المتظاهرين في برلين بـ ١١.٠٠٠ شخص. وفي لندن قدر عدد المتظاهرين بـ ١٠.٠٠٠ – ١٥.٠٠٠ شخص هتفوا «لتسقط إسرائيل». وفي أمستردام طالبت تظاهرة من عشرة آلاف شخص بوقف الحرب ضد الفلسطينيين. وفي برشلونة سارت تظاهرة قدرها منظموها بثلاثين ألفا وقدرتها مصادر الشرطة بأحد عشر ألفا، طالبت بقطع العلاقات بإسرائيل.

أما آن لهذا الفارس أن يترجل ؟

الاثنين ١٥/٤/٢٠٠٢

وفي يوم الاثنين الموافق ١٥/ ٤/ ٢٠٠٢ اقتحمت القوات الإسرائيلية مركز التدريب المهني «معهد قلندية»، وأعادت اعتقال نحو ٢٩٠ من المواطنين الذين أُفرج عنهم خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من معسكر عوفر الإسرائيلي. وأعلنت «جامعة القدس» أن القوات الإسرائيلية داهمت كلية الدعوة وأصول الدين التابعة لها في البيرة. واقتحمت القوات الإسرائيلية بناية في بلدة بيتونيا غربي رام الله. وحدثت عمليات سلب وتخريب، واستخدم المواطن موسى الشيخ درعا بشريا في اقتحام الكثير من المنازل.

وفي جنين بدأت أطقم «جمعية الهلال الأحمر» قبل ظهر اليوم إخلاء الشهداء من تحت الأنقاض وبلغ عددهم ١٥ شهيدا. وقد سمحت إسرائيل لهيئات إنسانية، مثل الصليب الأحمر ومنظمات الأمم المتحدة، بالدخول إلى المخيم، ولكن لم يسمح للصحافيين والإعلاميين بالدخول إليه.

وأعلن الدكتور منذر الشريف وكيل وزارة الصحة أن الصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر الفلسطيني والأطقم الفنية علقت عمليات إخلاء جثث الشهداء بسبب محاولات الجيش الإسرائيلي فرض أوامره على أفراد الأطقم المنفذة وتعريض حياتهم للخطر.

بيت لحم: استمرت القوات الإسرائيلية في محاصرة كنيسة المهد، وأطلق الجنود الإسرائيليون النار في اتجاه الكنيسة وأصابوا مواطنا في داخلها. واقتحمت قوة إسرائيلية قرية العبيدية شرقي محافظة بيت لحم، وشنت حملة تفتيش واعتقالات، وفرضت حظر

التجول على القرية التي استشهد أحد مواطنيها. واقتحمت قوة أخرى قرية الدوحة جنوبي بيت لحم، حيث استشهدت مواطنة وأصيب مواطنون آخرون بجروح، واعتقل عدة أشخاص من أبناء القرية بينهم المدير العام للحكم المحلي في بيت لحم خالد العزة، وتم اقتحام قرية اللبدية واستشهد مواطن خلال عمليات الدهم.

وفي طولكرم: جرفت القوات الإسرائيلية أشجار الزيتون واللوزيات في المنطقة الجنوبية من بلدة فرعون في محافظة طولكرم، كما داهمت العشرات من منازل المواطنين. وتخضع هذه البلدة لمنع التجول منذ ما يزيد على عشرة أيام ولم يرفع عنها إلا مرة واحدة، ومنع المزارعون من الوصول إلى مزروعاتهم لريها أو جني أثمارها. وتخضع بلدة دير الغصون شمالي طولكرم لمنع تجول منذ أسبوعين، وتتعرض لعمليات مداهمة واحتجاز مواطنين لساعات طويلة. واحتلت القوات الإسرائيلية منزل نقيب الأطباء في طولكرم.

وفي قلقيلية: داهمت القوات الإسرائيلية بلدة عزون في منطقة قلقيلية ونكلت بالمواطنين. واحتلت بلدة حبلة ونكلت بالمواطنين وعبثت بمنازلهم، كما أصيب ثلاثة أشخاص نقلوا إلى «مستشفى الوكالة» في المدينة.

وفي نابلس: اقتحمت القوات الإسرائيلية مكتب رئيس المجلس الوطني في نابلس وسرقت أجهزة الكمبيوتر والمقتنيات.

وفي الخليل: قصفت طائرات أباتشي ومدافع الدبابات مخيمي بلاطة وعسكر. واقتحمت القوات الإسرائيلية المخيمات ومنطقة رفيديا والجبل الشمالي، وقامت بحملة مداهمات للمنازل واعتقلت بصورة عشوائية مواطنين تتراوح اعمارهم ما بين ١٥ و ٥٠ عاما. واقتحمت بلدتي دورا وحلحول، وأصيب مواطنون خلال اجتياحهما. وفرض منع التجول على ضاحية البريد والرام وعناتا وقرى شمالي القدس والعيزرية وقرى رمانة وزبوبة والطيبة وعانين وأم الريحان وبرطعة وشارع الجلمة.

وفي القدس: استشهد فلسطيني خلال توغل الجيش الإسرائيلي في مخيم قلندية شمالي غربي القدس.

وفي دير البلح: استشهد فلسطيني وأصيب آخر بجروح من رصاص الجيش الإسرائيلي قرب مستعمرة كفار داروم في دير البلح جنوبي مدينة غزة.

وقالت صيحفة «هآرتس» أن الجنود الإسرائيليين يجبرون الفلسطينيين على دخول

المنازل التي يشتبه في أنها مفخخة وتفتيشها. هذا ما تضمنته شهادات أدلى بها أخيرا جنود يشاركون في العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية. وفي حالات أخرى يجبر الفلسطينيون على جمع أدوات مشبوهة كي يتمكن الجنود من التقدم على الطرق من دون أن يعترضهم شيء. وفي ١٤/ ٤ قال جندي من الاحتياط شارك في عملية اقتحام مخيم جنين، أنه ورفاقه أمروا السكان الفلسطينيين بالدخول قبلهم إلى المنازل التي يشتبه في أنها مفخخة. ونقلت «هآرتس» عن المجلة الأسبوعية للجيش الإسرائيلي «بمحانيه» شهادات مماثلة لجنود شاركوا منذ أسبوعين في عملية اقتحام عمارة في قلقيلية اعتقدوا أنها مفخخة.

وقد أدلى ناطق عسكري إسرائيلي بما يلي:

تمكن الجيش خلال الليل من إحباط محاولة لشن هجوم إرهابي في كفار داروم في منطقة غوش قطيف إذ أطلق النار على مجموعة إرهابية كانت في طريقها لشن اعتداء، وقتل مسلحان اثنان وعثر على أسلحة قرب جثتيهما.

واعترضت دورية إسرائيلية ظهر اليوم في مخيم جنين للاجئين صبيا فلسطينيا يحمل حقيبة. وعندما رأى الصبي الجنود رمى الحقيبة على الأرض ولاذ بالفرار. وعثرت قوات الجيش داخل الحقيبة على ثلاث قنابل أنبوبية ومتفجرات بزنة ٤.٥كغم. وعبر الناطق باسم الجيش عن صدمته العميقة ومعارضته التامة لهذا الاستخدام البربري للأطفال كحاملين للأسلحة والمتفجرات.

مرة أخرى زود الجيش الإسرائيلي الرهبان الفرنسيسكان في كنيسة المهد بالدواء والمساعدات الإنسانية. وحاول الجيش أيضا توفير الدواء والمعدات الطبية للجرحى داخل كنيسة المهد، وإخلاء الجرحى وإزالة الجثث. وطالب الجيش من الصليب الأحمر الدولي تقديم المساعدة لكن ممثليه رفضوا رفضا قاطعا الدخول إلى منطقة الكنيسة. وسيواصل الجيش الإسرائيلي مساعيه لإدخال المعدات الطبية والمساعدات الإنسانية للمسيحيين في كنيسة المهد.

وأعلن ضابط في الجيش الإسرائيلي ميخائيل فرومن نسف مصنع للمتفجرات في بيت لحم.

وجاء في تقرير نشرته صحيفة «هآرتس» أن الضباط الإسرائيليين يقدرون الآن أن العشرات – لا المئات – من الفلسطينيين قتلوا في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين

نتيجة عمليات الجيش الإسرائيلي العسكرية. ومنذ ليل أمس، تم العثور على ٤٦ جثة في المخيم. وتتراوح التقديرات الحديثة لعدد القتلى الفلسطينيين في المخيم ما بين ٧٠ وأكثر قليلا من ١٠٠. ويعتقد الضباط أن بعض الجثث لا يزال تحت أنقاض البيوت التي هدمتها جرافات الجيش.

وأضافت «هآرتس»: وخلال الأيام الـ ١٧ الأولى لعملية «السور الواقي»، عثر الجيش الإسرائيلي على جثث ١٨٩ فلسطينيا في الضفة الغربية وجرح ٦٠٠ فلسطيني خلال العملية، ولا يزال ١٥٠٠ فلسطيني في قيد الاعتقال. ونظرا إلى العدد الكثير للمعتقلين الفلسطينيين، اضُطر الجيش إلى إعادة فتح معتقل كتسيعوت في النقب.

وبلغ رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي، شاؤول موفاز، الحكومة أمس أن ٥٠٠٠ فلسطيني اعتقلوا منذ بدء العملية، وقد أطلق معظمهم. وأعطى رئيس الحكومة الإسرائيلية أمس أرقاما مماثلة أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، وقال إنه تم اعتقال ٤٢٣٠ من المشتبه فيهم، وان ١٤٠٠ منهم كان اعتقالهم «نوعيا». وضمن هذه المجموعة الأخيرة ينتمي ٣٤٤ إلى «تنظيم» فتح و ٣٤٩ إلى حماس و ٨٢ إلى الجهاد الإسلامي، و ٧٠ إلى الجبهة الشعبية، و ٣٥٦ إلى الجهاز الأمني للسلطة الفلسطينية. ويثق الضباط الإسرائيليون بأن عملية «السور الواقي» قد ألحقت أضرارا بالغة بالبنية التحتية للإرهاب في جنين. ويعتقد الجيش أن العملية أصابت بالشلل إمكانات صنع صواريخ «القسام» وأدت إلى موت أو اعتقال «المهندسين» الفلسطينيين المسؤولين عن إنتاج الصواريخ ونشرها.

وبلغ رئيس الأركان الحكومة أن عمليات التفتيش في مجمع ياسر عرفات في رام الله أسفرت عن العثور على وثائق تثبت أن المنظمات الإرهابية حاولت تجنيد إسرائيليين عرب للقيام بهجمات إرهابية.

وختمت «هآرتس» بالقول: ومع أن ضباط الأمن الإسرائيليين يشعرون بالارتياح لنتائج العملية فإنهم يعترفون بأن العملية لم تكسر الوحدة الفلسطينية ولا التأييد الفلسطيني للرئيس عرفات. ويعتقد الضباط أن عملية الجيش الإسرائيلي كان لها نتيجتان عكسيتان على السلطة الفلسطينية: أضعاف القدرة الفلسطينية على القيام باعتداءات إرهابية، وأيضا إضعاف القدرة على منع عمليات كهذه.

واعتقلت إسرائيل مروان البرغوثي أمين سر حركة «فتح» في الضفة الغربية واحد أبرز القادة الميدانيين في الانتفاضة الفلسطينية الحالية، وحذر الأمين العام للسلطة

الفلسطينية أحمد عبدالرحمن الحكومة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي من المساس بالبرغوثي. وطالب الدكتور صائب عريقات بـ «الإفراج الفوري عن البرغوثي وعن خمسة آلاف فلسطيني». وأصدر الاتحاد البرلماني العربي بيانا استنكر فيه اعتقال البرغوثي وحمل الحكومة الإسرائيلية المسؤولية الكاملة عن حياته.

وقد وجه وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر «تهانيه» إلى قوات الجيش وأجهزة الأمن الأخرى التي اعتقلت مروان البرغوثي. وفي مقابلة مع شبكة التلفزة الأميركية «سي.إن.إن» أعلن أرئيل شارون أن إسرائيل ستقدم البرغوثي إلى المحاكمة.

قال محمد رشيد، مستشار الرئيس الفلسطيني، في مقابلة مع محطة التلفزة الأميركية «سي.إن.إن» (برنامج لاري كينغ)، تعليقا على مطالبة الرئيس بوش إسرائيل بالانسحاب فورا ومن دون تأخير أنه عندما يتعلق الأمر بإسرائيل، فان الولايات المتحدة «نمر من ورق». واتهم رشيد إسرائيل بالقيام بعمليات «تطهير عرقي»، وأعلن أن هناك أكثر من ٣٠٠٠ مفقود في مخيم جنين، وحمّل إسرائيل المسؤولية عن حياة مروان البرغوثي. وفي المقابلة نفسها اتهم كبير المفاوضين الفلسطينيين صائب عريقات إسرائيل بمحاولة تدمير مهمة وزير الخارجية الأمريكي، وأعلن عريقات أن الفلسطينيين لا يطالبون فقط بانسحاب إسرائيل بل أيضا بتطبيق القرارين رقم ٢٤٢ و٣٣٨ وإنشاء دولة فلسطينية.

صرح قائد الأمن الوقائي في قطاع غزة، العقيد محمد دحلان الذي شارك في لقاء الرئيس عرفات ووزير الخارجية الأمريكي باول (١٤/ ٤)، أن الفلسطينيين غير موافقين على مناقشة أي طلب إسرائيلي لوقف إطلاق النار ما دامت الأراضي الفلسطينية تحت الاحتلال، وتحت الحصار، وأضاف دحلان أن الفلسطينيين طالبوا بالانسحاب الإسرائيلي من دون قيد أو شرط.

أعلن المدير العام لشركة كهرباء محافظة القدس المهندس هشام العمري أن خسائر الشركة في محافظة رام الله تُقدر بأكثر من ٢٠٠ ألف دولار، وفي محافظة بيت لحم ١٥٠ ألف دولار، وقال العمري أن الشركة تضطر إلى إجراء تنسيق مع عناصر الارتباط الإسرائيلي لإجراء تصليحات، وما أن تقوم الشركة بإصلاحات في منطقة ما حتى تقصف قوات الاحتلال مواقع أخرى.

حثّت المنظمة الفلسطينية لـ «مراقبة حقوق الإنسان» الحكومة الإسرائيلية على السماح لمبعوثي المنظمات الإنسانية ومنظمات حقوق العانسان والصحفيين بدخول

مخيم جنين من دون قيود، وقدمت منظمتان فلسطينيتان لحقوق الإنسان، هما عدالة: المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في الأراضي المحتلة، والقانون: الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة التماساً لمحكمة العدل العليا تعلنان فيه أنه على الرغم من قرار المحكمة الصادر في ١٣/ ٤، فإن الجيش الإسرائيلي يقوم بترك جثث القتلى الفلسطينيين في مخيم جنين الأمر الذي يؤدي إلى تحللها، وطلبت المنظمتان من المحكمة أن تأمر الجيش الإسرائيلي بتسليم جثث الفلسطينيين فورا إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر أو إلى منظمة الهلال الأحمر الفلسطيني.

وأعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة المغربية إرسال مساعدات إنسانية عاجلة إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية.

تمكّن ٢٧ من أعضاء الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني من الدخول إلى مستشفى نابلس حيث احتفظ بجثة مسؤولة الهلال الأحمر الفلسطيني في كيس بلاستيك مع شقيقتها التي قُتلت أيضا برصاص الجيش الإسرائيلي، واطلع أعضاء اللجنة على دفن أحد القتلى في حديقة المستشفى وتكديس آخرين في ساحة كانت تُستخدم لنقل الخضار، وقد اضطر المستشفى إلى اتخاذ هذه الإجراءات لعدم سماح السلطة العسكرية الإسرائيلية بنقل القتلى.

أصدر «مجلس كنائس الشرق الأوسط: بيانا استنكر فيه «الممارسات الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني». وأعلن أنه اتخذ إجراءات للمساهمة «في الحد من آثار الهجمة الإسرائيلية الشرسة، وفي دعم صمود الفلسطينيين في أرضهم».

حذّر تقرير لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (فاو) من كارثة في الضفة الغربية وقطاع غزة بسبب انعدام الأمن الغذائي.

أصدرت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في جنيف قرارا دان «المجازر الواسعة» التي ترتكبها القوات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني.

اتهم المفوض العام لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، بيتر هانسن، إسرائيل بانتهاك معاهدة جنيف «خلال الحرب على المخيمات».

وقالت المفوضة السامية لحقوق الإنسان ماري روبنسون أمام لجنة حقوق الإنسان

التابعة للأمم المتحدة في جنيف، أنها مستعدة للسفر إلى المنطقة، ولفتت النظر إلى الانتهاكات الخطرة لحقوق الإنسان في المنطقة بما فيها التفجيرات الانتحارية والإجراءات العسكرية التي اتخذها الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية، ودعت إلى وضع حد للقتل المأساوي للفلسطينيين والإسرائيليين.

وفي تطور آخر صوّتت لجنة حقوق الإنسان على قرار يُدين بشدة الحرب التي يشنها الجيش الإسرائيلي ضد المدن والمخيمات الفلسطينية، ويدعو إسرائيل إلى الانسحاب. ودان القرار أيضا أعمال القتل من دون محاكمات والتي ينفذها الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، وإقامة المستعمرات.

أعلن الرئيس الإسرائيلي موشيه كتساف في رسالة وجهها إلى يهود العالم في الذكرى الـ ٥٤ لقيام إسرائيل، أن الإرهاب الفلسطيني هو بمثابة وباء يجب محاربته بعزم وبالتعاون بين الدول. وقال : إن إسرائيل تحارب الإرهاب بإيمان وعزم ووحدة وطنية. لكن، وعلى الرغم من كل الصعوبات، فإن الفلسطينيين والإسرائيلين يملكون مصالح مشتركة ويمكنهم تحقيق تسوية سياسية.

أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أريئيل شارون في حديث إلى شبكة التلفزة الأمريكية CNN أن القوات الإسرائيلية ستنسحب من جنين في «غضون يومين» وستنسحب من نابلس «خلال ما لا يزيد على أسبوع». وأضاف أن القوات الإسرائيلية ستبقى في بيت لحم إلى أن يُحل الموقف الراهن مع المحتمين داخل الكنيسة، وأن الحصار سيبقى على مقر الرئيس عرفات في رام الله إلى أن يتم تسليم أربعة رجال مطلوبين، موجودين بالداخل مع عرفات. وقال شارون إنه لا يمكن التوصل إلى سلام مع عرفات، وأنه يريد التفاوض مع مسؤولين فلسطينيين آخرين.

وأعلن وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس في مقابلة مع محطة التلفزة الأمريكية CNN (برنامج لاري كينغ) أن إسرائيل ستنسحب من الأراضي الفلسطينية خلال أيام، لا أسابيع. وأقر بأن الرئيس عرفات هو الزعيم المنتخب للشعب الفلسطيني، لكنه طالبه بتغيير سياسته. وأضاف أن توحيد الأجهزة الأمنية الفلسطينية «شرط مسبق». وبالنسبة إلى مروان البرغوثي أعلن بيرس أن إسرائيل ستتعامل مع قضيته «بعدل ووفقا للقانون»، وستكون محاكمته علنية، وعبّر عن قلقه إزاء الوضع على الحدود مع لبنان، واتهم «حزب الله» وسورية بتصعيد الموقف وبمحاولة فتح جبهة

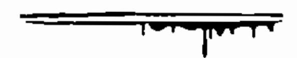
أخرى. وبالنسبة إلى مخيم جنين، نفى بيرس وقوع مجزرة هناك، وزعم أن هناك الكثير من المبالغات، وأن عدد الضحايا لا يتجاوز المائة.

وقال نائب وزير الخارجية الإسرائيلي، الحاخام مايكل ملشيور في مهرجان تضامني مع إسرائيل في واشنطن أن الحرب التي تخوضها إسرائيل والتي فرضت عليها هي حرب حاسمة لا لإسرائيل فقط بل للعالم أجمع أيضا. وشدد ملشيور على أن إسرائيل لا تحارب الشعب الفلسطيني، لكن القيادة الفلسطينية رفضت في ذروة عملية السلام الاقتراحات الإسرائيلية، وردت عليها بموجة عنف وحشي استمر وتصاعد حتى اليوم.

وقد حذّر رئيس الحكومة الإسرائيلية، أريئيل شارون في حديث إلى شبكة التلفزة الأمريكية Fox News من «استمرار قصف حزب الله للشمال الإسرائيلي، الأمر الذي سيضطر إسرائيل إلى اتخاذ تدابير صارمة ضد سورية ولبنان». وطلب شارون إلى الولايات المتحدة نقل رسالة إلى كل من الرئيسين السوري واللبناني. وقال : إن القوات الإسرائيلية ستنسحب من مدن الضفة الغربية ما عدا رام الله، في غضون أسبوع ومن بيت لحم فور التوصل إلى حل لإنهاء حصار كنيسة المهد.

وألقى المدعي العام الإسرائيلي الياكيم روبنشتاين محاضرة في جامعة بار – ايلان في تل أبيب هاجم فيها جمعية الحقوق المدنية في إسرائيل وجمعيات مماثلة أخرى، ووصف رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات بأنه مجرم حرب. وأصدرت جمعية الحقوق المدنية في إسرائيل بيانا ردت فيه على روبنشتاين وأكدت أن انتهاكات حقوق الإنسان التي قام بها الجيش 'الإسرائيلي في عملياته العسكرية الأخيرة هي الأكثر خطورة التي عرفتها إسرائيل. وأضافت الجمعية أن دور منظمات حقوق الإنسان هو التحذير والعمل ضد انتهاكات كهذه، وأن هذه المهمة تصبح أصعب بمرات عندما لا يقوم المدعي العام بواجبه – ووضع الخطوط الحمر لعمليات الجيش حتى في وقت الحرب، وعندما تنتهك العمليات التي يقوم بها الحقوق الأساسية للإنسان.

أكد الرئيس جاك شيراك ضرورة مشاركة الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وروسيا في المؤتمر الدولي المقترح عقده. وقال : إن القوى الدولية لا يمكنها التأثير في الحكومة الإسرائيلية من دون التزام قوي من الولايات المتحدة.



الخطاب السياسي العربي والعالمي.. صرخة في واد العدم

الثلاثاء ٢٠٠٢/٤/١٦

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٦/ ٣/ ٢٠٠٢ واصلت قوات الاحتلال اعتداءاتها على المواطنين والمقدسات في بيت لحم، كما واصلت حصارها لكنيسة المهد. ولجأت إلى الحرب النفسية لإنهاك نحو ٢٠٠ مواطن محاصرين فيها، إذ راحت تبث عبر مكبرات الصوت المركزة قبالة الكنيسة أصواتا مروعة. وكانت بثت قبل ذلك لمدة ستين دقيقة رسائل مسجلة تدعو المحاصرين إلى الاستسلام. وفي المساء فتحت قوات الاحتلال نيران أسلحتها المتنوعة من رشاشات وقذائف الدبابات والقنابل الغازية والحارقة على الكنيسة، الأمر الذي أدى إلى احتراق إحدى غرف الرهبان الأرثوذكسيين داخل الكنيسة، ويتسلق الجنود جدران الكنيسة من الخارج في محاولة للدخول تحت نيران كثيفة بمساندة الطائرات المروحية وطائرات الاستطلاع. وقرعت أجراس الكنيسة كنداء استغاثة.

وفي هذا الوقت، تفرض قوات الاحتلال قيودا مشددة على مصوري وصحافيي مختلف الوكالات ومحطات التلفزة المحلية والدولية الذين يقيمون بـ «فندق ستار» المشرف على كنيسة المهد. فقد اقتحم الجنود الإسرائيليون الفندق وقيدوا حركة الإعلاميين والصحافيين بعد أن احتلوا الطبقة الخامسة من الفندق وحذروا الصحافيين من استخدام الفندق للتصوير.

وفي نابلس واصلت قوات الاحتلال عدوانها على مدينة نابلس ومخيمي بلاطة

وعسكر. فاقتحمت المخيمين ومنطقة رفيديا والجبل الشمالي وقامت بحملة مداهمات واعتقالات عشوائية. وكانت طائرات الأباتشي قصفت مخيمي عسكر القديم والجديد قبل اقتحامهما، إضافة إلى القصف المدفعي، وهو ما أدى إلى تهديم عشرات المنازل. وقامت القوات الإسرائيلية بأعمال دهم وتفتيش وتفجير منازل وجرفها، واعتقلت أكثر من ٤٠٠ مواطن من مخيم عسكر، ونقلتهم في ست شاحنات كبيرة إلى «معسكر حوارة» القريب من المخيم.

واعتقلت القوات الإسرائيلية ثلاثة صحافيين في نابلس بينهم مراسل وكالة «اسوشيتد برس» ومراسل صحيفة «الأيام».

وفي طولكرم أعدت القوات الإسرائيلية احتلال مدينة طولكرم بالكامل فجرا. ودخلت الدبابات تساندها المروحيات المدنية ومخيميها طولكرم ونور شمس، وانتشرت في الشوارع، وفرضت نظام منع التجول كما قامت بعمليات اعتقال واسعة، وداهمت المنازل وعبثت بمحتوياتها.

واقتحمت قوات الاحتلال بلدتي باقة الشرقية وقفين شمالي طولكرم، وفرضت عليهما منع التجول، واعتقلت عشرات المواطنين.

ولا يزال حظر التجول مفروضا على أهالي فرعون لليوم الثالث عشر على التوالي، ورفع ساعتين فقط لمرة واحدة. كما تواصل قوات الاحتلال تجريف وخلع أشجار الزيتون ومحصول القمح والزعتر وأشجار الحمضيات في أراضي فرعون.

وفي جنين احتلت القوات الإسرائيلية من جديد بلدة كفر راعي في محافظة جنين. وتمركزت عشرات الدبابات في مناطق باطن قيس، وظهرة الشونة والحومة وباطن عابد. واقتحمت الكثير من منازل المواطنين بعد تفجيرها.

وفرضت نظام حظر التجول على قرى دير غزالة وفقوعة وعربونة وبيت قاد الشمالي والجنوبي شرقي جنين.

وفي رام الله اقتحمت قوات الاحتلال فجرا عددا من قرى شمالي محافظة رام الله وفرضت نظام حظر التجول عليها. كما اقتحمت مخيم الجلزون شمالي رام الله تعززها الدبابات والمروحيات الحربية، وفرضت نظام منع التجول، وشنت حملة مداهمات. وواصلت تجريف مساحات من الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون تمهيدا لشق طريق

استيطانية جديدة في منطقة النبي صالح شمالي غربي رام الله.

وفي قلقيلية واصلت قوات الاحتلال حصارها المشدد على قلقيلية ومنعت المواطنين من الدخول أو الخروج منها. وترابط الدبابات والمجنزرات على طريق قلقيلية – حبلة القديمة وتمنع المواطنين من الاقتراب من هذه الطريق. واقتحمت القوات الإسرائيلية فجرا بلدات عزون، وحبلة، وكفر ثلث، وفلامية، وجيوس، وعزون عتمة في محافظة قلقيلية وفرضت عليها نظام حظر التجول، وقامت بحملات تفتيش واعتقال.

وفي القدس فرضت قوات الاحتلال حظر التجول على جميع قرى وبلدات وضواحي القدس الشرقية، واقتحمتها بالدبابات المجنزرة. وشملت هذه الإجراءات بلدات السواحرة الشرقية والعيزرية وأبو ديس. كما انتشرت القوات الإسرائيلية بكثافة في محيط كلية العلوم التابعة لجامعة القدس في أبو ديس والمباني السكنية الجامعية. وتمركزت دبابة مجنزرة على مدخل البلدة وشرعت في حملات تفتيش ومداهمات، وحلقت الطائرات المروحية فوق البلدات المقدسية المحاصرة.

وفي وقت لاحق فرضت قوات الاحتلال منع التجول على بلدات الرام وضاحية البريد وبيرنبالا شمالي شرقي القدس وغربيها، وداهمت عشرات المنازل واعتقلت عددا من الشبان بينهم عشرة طلاب في كلية الأمة الجامعية بضاحية البريد شمالي القدس. واعتقلت قوات الاحتلال الدكتور سري نسيبة، رئيس جامعة القدس المكلف بملف مدينة القدس، وذلك في مركز التوقيف في معتقل المسكوبية في القدس الغربية.

وامتدت الإجراءات العسكرية الإسرائيلية لتشمل بلدتي صور باهر وأم طوبا جنوبي شرقي القدس، وأغلقت المداخل المؤدية إليهما. وأغلقت بلدات حزما وعناتا والعيسوية ومخيم شعفاط، شمالي شرقي القدس.

وفي الخليل: أقدمت القوات الإسرائيلية على اقتحام بلدتي دورا وحلحول في الخليل تحت رمايات الرشاشات الثقيلة، الأمر الذي أدى إلى سقوط عدد من الجرحى.

* قطاع غزة: قصفت الدبابات المتمركزة في مستعمرة أيلي سيناي بيت لاهيا، شمالي غزة، بالقذائف المدفعية. وتوغلت القوات في مدينة بيت حانون في شمال قطاع غزة، وكانت جرفت مساحات من أراضيها.

وأوقف الجنود الإسرائيليون اليوم في رام الله ١١ صحافيا، أحالوا اثنين منهم على التحقيق، هما ماهر شلبي وماجد صوالحة. وأصيب صحافي فلسطيني يعمل لحساب قناة التلفزة المصرية «النيل» بجروح خطيرة.

وحذر الأرشمندريت الدكتور عطا الله حنا، الناطق الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس والديار المقدسة، من كارثة إنسانية وبيئية وصحية في مخيم جنين. وقال انه شاهد الكثير من الجثث تحت الأنقاض والتي بدت عليها علامات التحلل.

وأعلنت عدة منظمات حقوقية فلسطينية تأليف لجنة قانونية دولية للدفاع عن مروان البرغوثي. وتضم اللجنة في عضويتها جمعية القانون، ومنظمة عدالة، والمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، ونادي الأسير الفلسطيني، ونقابة محامي فلسطين، ولجنة الرقابة العامة في المجلس التشريعي الفلسطيني. وشرعت هذه اللجنة منذ ساعات مساء يوم ١٥/ ٤ في الاتصال بنقابات المحامين ومنظمات حقوق الإنسان في العالم لهذا الغرض. وأعلنت النقابات والمنظمات التي جرى الاتصال بها استعدادها للمشاركة في اللجنة.

وقال رئيس الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي أهرون زئيفي فركش، أنه إذا اضطر الجيش الإسرائيلي إلى دخول المدن الفلسطينية من جديد فسيكون رده أقسى مما كان عليه في حملة «السور الواقي». واعتبر الجنرال فركش أنه لا يزال في قدرة أجهزة الأمن الفلسطينية العمل في قطاع غزة والخليل وأريحا من دون أن تواجه مشكلات تذكر أما في المدن التي دخلها الجيش الإسرائيلي، وتضررت أجهزة الأمن الفلسطينية، فإن الجناح العسكري لحركة فتح «التنظيم» يقوم بسد الفراغ الأمني القائم. وقال إنه وإن كان لا يعرف عدد القتلى الفلسطينيين في جنين، إلا أن الحديث كما يبدو يدور عن عشرات القتلى، مشيرا إلى أنه لا يمكن إحصاء جثث القتلى؛ لأن قسما من هذه الجثث لا يزال مفخخا.

وأدلى الناطق العسكري الإسرائيلي مساء اليوم ببيان عن نشاط الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية.

وتم اعتقال أربعة ناشطين من «حماس» في مدينة طولكرم، وبعد انتهاء العملية غادرت القوات الإسرائيلية المدينة واتخذت مواقع بالقرب منها.

وفي قرية بيت فجار جنوبي بيت لحم، اعتقلت وحدة خاصة من حرس الحدود ناشطين يشتبه في قيامهم بأعمال إرهابية.

وفي قرية قرعة غربي طمون، تم اعتقال ستة ناشطين يشتبه في تورطهم في أعمال إرهابية أحدهم ناشط بارز في «حماس». وفي أثناء العملية عثر الجيش على عبوة وقام بتفجيرها من دون وقوع إصابات أو أضرار في صفوفه. وغادرت القوات الإسرائيلية القرية بعد انجاز العملية.

وقد غادرت القوات الإسرائيلية أيضا قرى خربة بيت حسان جنوبي طمون، واللبن الشرقية شمالي رام الله، والرام جنوبي رام الله.

اعتقلت القوات الإسرائيلية ليل أمس في بلدة بيتونيا، جنوبي غربي رام الله، زعيم «حماس» في رام الله جمال طويل، وقائد الكتيبة العسكرية لـ «حماس» في المنطقة، أشرف أبو وردة. واستسلم الاثنان المسؤولان عن عدة هجمات ضد المواطنين الإسرائيليين، إلى القوات الإسرائيلية. وتم العثور على بندقيتين يدويتين في مكان الاعتقال، وعمليات التفتيش مستمرة في المنطقة.

وقد بدأت القوات الإسرائيلية (قوات المشاة والمدرعات وسلاح الهندسة وقوات خاصة) الليلة الماضية عمليات في مخيم عسكر للاجئين شرقي نابلس.

وأدلى الناطق العسكري بمعلومات أخرى جاء فيها:

اعتقلت القوات الإسرائيلية في نابلس ناصر يتيمة من سكان طولكرم الذي اعترف خلال استجوابه بتورطه في عملية نتانيا التي قتل فيها ٢٨ مدنيا وجرح ٦٥. واعتقال ناصر جزء من حملة اعتقالات طالت ناشطين من «حماس» في منطقة السامرة من المتورطين في هجمات أسفرت عن مقتل عشرات المدنيين وجرح مئات. والاعتقالات هذه جزء رئيسي من الضرر الكبير الذي أصاب البنية التحتية للإرهاب في أثناء عملية «السور الواقي».

وخلال عملية «السور الواقي» اعتقلت القوات الأمنية في الأيام الماضية ناشطين من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يشتبه في قتلهم جنديا من الاحتياط في الأول من نيسان ٢٠٠١. واعترف الموقوفان ياسين كركي ورامي عيسى من بلدة سالم في منطقة جنين بقتل الجندي الإسرائيلي.

وعرض رئيس الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي أهارون زئيفي فركش في مؤتمر صحفي نتائج عملية «السور الواقي» معتبرا أنها «وجهت ضربة قاسية إلى البنية التحتية للإرهاب الفلسطيني وخصوصا في جنين وإن إعادة بناء البنية الإرهابية سيتطلب وقتا طويلا».

وهددت «كتائب عز الدين القسام» الجناح العسكري لحركة «حماس» في بيان أرئيل شارون وحكومته وأركان جيشه بـ «القتل والاغتيال» ردا على اعتقال مروان البرغوثي.

وأصدر المجلس التشريعي الفلسطيني بيانا عبر فيه عن استنكاره الشديد وإدانته لقيام القوات الإسرائيلية باعتقال النائب مروان البرغوثي عضو المجلس التشريعي الفلسطيني. وحمل المجلس الحكومة الإسرائيلية المسؤولية الكاملة عن حياة النائب البرغوثي مطالبا بإطلاقه فورا إذ أن اعتقاله خرق لحصانته البرلمانية. ودان سليم الزعنون رئيس المجلس الوطني الفلسطيني اعتقال مروان البرغوثي، عضو المجلس الوطني.

وقد اتهم وزير التخطيط والتعاون الدولي الفلسطيني نبيل شعث في كلمة له أمام مؤتمر للأمم المتحدة عن السلام في الشرق الأوسط عقد في نيقوسيا إسرائيل بإعدام ٧٠ فلسطينيا في جنين من دون محاكمة، معتبرا «أن مجزرة جنين مريعة حقا. إنها جريمة حرب».

وأشاد رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون في حفل أقيم بمناسبة «يوم الذكرى»، بالجيش الإسرائيلي وقوات الاحتياط وبجميع الإسرائيليين من «اليهود، والدروز، والبدو، والشركس، والمهاجرين الجدد» الذين تركوا بيوتهم ووظائفهم وشاركوا في عملية «السور الواقي».

ووجه رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون رسالة سجلت على شريط فيديو إلى اجتماع تضامني مع إسرائيل عقد في المركز اليهودي في موسكو، دعا فيها يهود روسيا إلى الإقامة بإسرائيل «أو على الأقل القيام بزيارة سياحية لها، على الرغم من توتر الوضع العسكري – السياسي».

وقال رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي شاؤول موفاز في مقابلة مع صحيفة «يديعوت أحرونوت»، أن عملية «السور الواقي» ضربت البنى التحتية للإرهاب.

وبالنسبة إلى قطاع غزة، صرح موفاز أن الوضع هناك يختلف عن الضفة الغربية كليا، لأن «قطاع غزة محاط بجدار، وبإمكان الجيش أن يمنع بصورة فعالة أكثر انطلاق انتحاريين من القطاع إلى داخل إسرائيل». وردا على سؤال إذا كان على إسرائيل التصرف على نحو آخر مع مرور عام ونصف عام على المواجهة مع الفلسطينيين قال موفاز: «لقد أدركنا حتى قبل اندلاع المواجهة أن الموضوع الفلسطيني هو على ما يبدو لب النزاع العربي – الإسرائيلي في الوقت الراهن. لذلك قمنا بإعداد الجيش قبل ايلول العام ٢٠٠٠ لإمكانية وقوع مواجهة كهذه. لم نكن نعلم متى ستندلع هذه المواجهة بالضبط، لكنه كان واضحا لنا أن المواجهة ستندلع في مرحلة ما، وبالتالي عندما حدث ذلك كان الجيش الإسرائيلي مستعدا له. وعلينا أن نتذكر أن الفلسطينيين وضعوا نصب أعينهم من خلال خيار استراتيجي تحقيق أهدافهم القومية – أي دولة قومية في حدود الرابع من حزيران وعاصمتها القدس وحق العودة – بطرق العنف والإرهاب».

وقال موفاز أن حصيلة العملية حتى الآن هي مقتل ٢٩ جنديا إسرائيليا (منهم ٢٣ في جنين) وجرح ١٢٥. وأحصى الجيش في الجانب الفلسطيني ١٨٨ قتيلا و ٥٩٩ جريحا، وتم اعتقال ٤٢٥٨ فلسطينيا أطلق سراح معظمهم.

وأعلن موفاز في مقابلة مع صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية بمناسبة «يوم الاستقلال»، أن الجيش يخطط لتسريح معظم جنود الاحتياط الـ ٢٣.٠٠٠ الذين تم استدعاؤهم لعملية «السور الواقي» في الأسبوع المقبل وقد يستدعي وحدات أخرى. وبالنسبة إلى قرار الحكومة إقامة مناطق عازلة قال موفاز أنه عند إقامة حاجز من دون موافقة الجهة الأخرى يجب نشر قوات كافية من الجيش لحمايته.

جنين القسام نموت واقفين..!

ما حدث في جنين القسام في شهر ابريل من عام ٢٠٠٢ في ذروة حصار الرئيس.. كان قمة المآسي التي ترتكبها آلة الدمار العسكرية الإسرائيلية، فهناك أكثر من ١٢٥٠ أسرة تفترش الأرض وتلتحف السماء وحوالي ١٥٠ منزلا سويت بالأرض و ٥٠٠ منزل دمرت بشكل جزئي و ٦٠ منزلا أحرقت أما عدد القتلى فقد جاوز الثلاثة وسبعين شهيدا.

وليس من باب الصدفة أن تجتمع آراء الموفدين السياسيين الدوليين الذين قاموا بزيارة مخيم جنين على الوصف ذاته الدمار الشامل الذي لا تخلفه غير الزلازل

والكوارث الطبيعية، فلا يمكن لجيش منظم، ومهما بلغ من القوة، ومهما امتلك من آلة الحرب أن يترك الأثر الذي تركه جيش الاحتلال في مخيم جنين، ذلك المكان الذي غابت ملامحه، واستبدلت بركام المنازل وبقايا التدمير التي هدمت على رؤوس ساكنيها الذين صاروا جثثا تحت ركامها، أو في شوارع المخيم، فما أن تدخل إلى هذا المكان المنكوب حتى تنتقل إلى عالم آخر، عالم لا ترى فيه ولا تسمع ولا تشم إلا رائحة الموت الزؤام في كل مكان حيث بقايا جثث أصبحت دون ملامح بسبب هذه الآلة المسعورة التي أفرغت حقدها في السكان المدنيين على مدار حوالي أسبوعين كاملين.

ففي مساء الثاني من شهر نيسان عام ٢٠٠٢ وكما يقول أحد الضباط في المخابرات العامة (علي أسعد دمج) بدأت دبابات الاحتلال الإسرائيلي بتطويق المخيم من جهاته كافة وذلك من أجل تصفية الحسابات حسب ما يدعون وبقي الحال هكذا حيث استمرت الاشتباكات في الحارة الشرقية من المخيم والغربية، وفي الأيام الأربعة الأولى صمد المخيم دون أن يستطيع أي جندي احتلالي من دخوله، وفي اليوم الخامس جاء موفاز رئيس أركان الجيش الإسرائيلي بطائرته التي حلقت في سماء المخيم يوما كاملا، واستبدل الجنود الذين كانوا يقومون بالحملة، وأصدر أوامره بتكثيف الحملة واستعمال (البلدوزرات الضخمة) التي يبلغ حجم كل واحدة منها حجم خمس دبابات، قامت هذه البلدوزرات بفتح شوارع في المخيم بعرض (١٠) أمتار، وخلال خمس دقائق تمكنت هذه الآلات والتي قدر عددها بـ (٥٠) تمكنت من هدم (١٠) منازل وتسويتها بالأرض، وبعد ذلك بدأت الحملة الشرسة والتي قوامها (١٠٠٠) جندي احتلالي نزلوا إلى منزل الشهيد محمود غريب وهو مواطن عادي حيث قتلوه عن قرب وبدم بارد، وأصابوا والده بجروح، وبعد ذلك استمروا في فتح الشوارع حتى وصلوا إلى حي الدمج حيث كانت الجرافات العملاقة تكتسح كل ما يأتي بوجهها، إلى أن وصلوا إلى جامع الأنصار الذي لم يراعوا قداسته ودخلوه ودنسوه ودمروا محتوياته وحولوه إلى ثكنة عسكرية.

وفي اليوم السادس هدموا حارة أبو سامر الغول وجيرانه، وكذلك هدموا المخبز الموجود في المخيم. ووصلوا إلى حارة الحواشين حيث حدث الفخ الذي قتل فيه ثلاثة عشر جنديا احتلاليا حسب زعم إذاعتهم، الأمر الذي أدى إلى مضاعفة القوة، وزيادة عدد الدبابات والجرافات التي كانت تعد بالمئات، وبدؤوا باستخدامها بشكل أكثر شراسة، حيث تمكنوا خلال ثلاثة أيام من تدمير (١٥٠) منزلا، وتشريد (١٢٠٠) أسرة.

وفي مساء يوم الأربعاء، وبعد حوالي أسبوعين من الاجتياح، توقفت أعمال المقاومة بسبب نفاد الذخيرة المتواضعة التي كانت بحوزة الشباب في المخيم، وبقي المخيم مغلقا عن العالم لمدة ثلاثة أيام أخرى، حيث كان جنود الاحتلال يعيثون خرابا في الشوارع والبيوت من جهة، وكانوا يهيئون العالم ويحاولون إخفاء جزء من معالم الجريمة من جهة أخرى عن طريق إخفاء الجثث وأخذها إلى خارج المنطقة، وخلال هذه الأيام الثلاثة دمروا المنازل بشكل كامل، وقاموا بزرع الألغام بشكل عشوائي بين الأنقاض وفي الشوارع حيث ما زال الكثير من هذه الألغام تنتظر ضحاياها، وبعد ذلك سمح - وكما يعلم الجميع - لطواقم الصحافة والإسعاف بدخول المخيم، وفي اليوم الأول من هذا السماح، أُصيب طبيب من الناصرة حيث بترت ساقه بسبب اصطدامه بلغم إسرائيلي، وكذلك أصيب صحفي إسرائيلي بنفس الحادث، وقد قام الجنود الإسرائيليون بأخذ ٤٨ جثة إلى خارج المخيم، وبعد ذلك أعادوا خمسا منها، ولا زال المئات مفقودين لا يعرف مصيرهم، هل هم شهداء تحت الأنقاض، أم معتقلون في زنازين الاحتلال!!

يقول جمال الشاتي عضو المجلس التشريعي رئيس لجنة اللاجئين والطوارئ في المخيم: أن ما حدث هو عبارة عن مجازر للسكان قتل وإعدامات بدم بارد، وهدم للمنازل فمخيم جنين والذي يسكن فيه أكثر من (١٣) ألف نسمة جمعهم الشتات من (٥٨) قرية في الداخل، هاجروا منها عام (٤٨)، حيث يسكن (٢٤٥٠) أسرة، وقد قامت قوات الاحتلال بمطاردتهم داخل المخيم وشردتهم، وأفزعتهم وقتلتهم أمام كل المحافل الدولية التي لم تحرك ساكنا، فأصبح هناك (١٢٥٠) عائلة بلا مأوى، حيث أسفرت هذه الجريمة عن تدمير (٦٥٠) منزلا، وهذه الإحصاءات للأمم المتحدة، وهذه البيوت مكونة من أكثر من طبقة، حيث وبسبب ضيق المساحة لجأ السكان إلى الاتساع العمودي، فمعظم هذه المنازل كانت تأوي من (٣-٥) عائلات.

وعملية القتل الوحشي طالت السكان المدنيين دون تمييز أو تفريق، حيث شهد المخيم أثناء فترة الاجتياح قتلا لكل شيء يتحرك، وهناك أدلة تفند الكذب الإسرائيلي وادعاءات السياسيين الإسرائيليين عن عدم قتل المدنيين، فمثلا، ومنذ أكثر من خمسين سنة أصبح اسم يسرى المجنونة متداولا في المخيم، والكل يعرف أن هذه البنت التي تبلغ من العمر أكثر من خمسين سنة مجنونة، لكننا وجدنا جثتها وقد قتلت، حيث إنها أصيبت بشكل دموي بصاروخ أدى إلى حرق جسمها، وكذلك فإن كل من بقي من سكان المخيم أثناء العملية استخدموا كدروع بشرية، وهذا العمل محرَّم في كل القوانين

وفي كل شرائع الحرب.

ويضيف الشاقي: إنه بدأت لجنة الطوارئ بنصب بعض الخيام لإيواء السكان الذين باتوا دون أية خدمات حيث لا يوجد كهرباء أو مياه أو صرف صحي، وناشد الشاقي المحافل الدولية أن ترسل قوات دولية لحماية الشعب الفلسطيني الأعزل من آلة الحرب الإسرائيلية الأمريكية.

ويقول عضو المجلس التشريعي فخري التركمان: لا زالت الوفود الأجنبية تتوافد على المخيم لتطلع على المجازر والجرائم التي نفذتها إسرائيل، حيث رأوا ما رأوا، وقالوا: أن ما حدث ليس حربا أو زلزالا، فهذا أكبر من الحرب والزلازل فكل شيء دمر، لم يسلم الحجر، ولا الشجر، ولا البشر، فالتخريب والدمار شاملان، واستخدمت إسرائيل أحدث أنواع الأسلحة لمواجهة وقتل أطفال المخيم وسكانه المدنيين ولكنه بعد هذا الاجتياح هب أبناء المخيم لمواجهة هذه الكارثة من خلال اللجان المختلفة المنبثقة عن لجنة الطوارئ العليا، حيث تقوم بمحاولة إيواء الأسر في مدينة جنين وخارجها، وتعمل على تزويد هذه الأسر والعائلات بأساسيات الحياة من فراش وغاز وغير ذلك، وهناك مئات الأسر لا زالت دون مأوى، ولا زال البحث عن الجثث قائم، بالإمكانات البسيطة جدا، بسبب منع إسرائيل إدخال آلات ثقيلة إلى المخيم، وإسرائيل منعت بعض طواقم الإنقاذ الأوروبية التي وصلت إلى مشارف المخيم من الدخول، ولا زال هناك جثث متحللة تحت الركام، وهناك أشخاص معروفون لدينا بالاسم وهم لا زالوا مفقودين، ولا ندري هل هم تحت الركام أم معتقلون، ولكن كل ما نستطيع أن نفعله، هو إيصال التبرعات وتوزيعها على كل مستحقيها بطريقة نحاول من خلالها أن لا نستثني أحدا.

وحول إعادة بناء المخيم، يقول التركمان: هناك أفكار متعددة لإعادة بنائه كما هو، وذلك حفاظا على الموقف والموقع السياسي للاجئين، فنحن نرفض أي توطين لنا في هذه المخيمات والكل يعرف حساسية هذا الموضوع.

يقول د. أبو غالي: بدأ الناس يحاولون العودة إلى الحياة الطبيعية، ولكن الكارثة كانت أكبر من محاولتهم. إنهم يعيشون أوضاعا صحية ونفسية صعبة للغاية، حيث هناك حالات مرضية غريبة ظهرت لدى الأطفال والشيوخ، بشكل خاص، وهذا مرده إلى ما جرى، هناك الكثير من الجرحى غادروا المستشفى حيث حالتهم تسمح بذلك، وهناك

عدد لا بأس به لا زال تحت العلاج بسبب إعاقة إسرائيل وصولهم إلى المستشفى مما أدى إلى تعقيد أوضاعهم الصحية حيث نزفوا كثيرا، وهناك بعض الجرحى كان يجب معالجتهم على الفور، ولكنهم مكثوا أسبوعين على حالهم، وتقوم اللجنة الطبيّة العليا للطوارئ، بجمع الجثث المتعفنة ودفنها، وستقوم برش المخيم بالمواد اللازمة خشية تفشي الأمراض المعدية، وتقوم دائرة القسم الوقائي في الصحة بعملها للحد من ظهور أي وباء رغم الظروف الحربية السيئة، ولكننا نقوم بأقصى جهد ممكن للحد من ذلك، فهناك الكثير من الأعمال علينا القيام بها، ولكن الموضوع الأكثر خطورة، هو أن هناك جثثا لم يتعرف عليها أحد، وهذا دليل على أن هناك عائلات أبيدت بالكامل، المفقودون بالمئات – يضيف أبو غالي – وهذه إشارة إلى أنهم شهداء، أو معتقلون، والمشكلة أيضا هي أن هناك ألغاما لا زالت مزروعة في المخيم تعيق أعمالنا، حيث أن هناك ١٤ إصابة وعدد من الشهداء بسببها، وقد أكد خبراء أوروبيون وأجانب أنها إسرائيلية الصنع، وقد كانت نسبة الشيوخ بين الشهداء ٢٤ في المائة، والمدنيين ٦٨ في المائة وحتى الآن هناك تأكيد على استشهاد شخصين معاقين عقليا.

فيما طالب رئيس بلدية جنين العالم بالتحرك السريع من أجل وقف المجازر ضد أبناء الشعب الفلسطيني، وطالب بوجود قوات دولية لحماية الشعب الفلسطيني، وأكد أن ما حدث ما هو إلا الوجه الحقيقي للاحتلال، الذي قابل خيار السلام العربي بالمجازر، وأضاف أن مخيم جنين يرفض أية مساعدات أمريكية، لأن إسرائيل نفذت حملتها المسعورة ضد المدنيين الفلسطينيين بسلاح أمريكي وقال : إننا نرفض هذه المساعدات حتى تتوقف الآلة الأمريكية عن مساعدة الجيش الإسرائيلي.

المحاكمة.. ثقافة القوة الغاشمة :

عندما شنت القوات الإسرائيلية حملتها الواسعة على رام الله والبيرة، وقبل أن تجتاح الدبابات شوارع المدينة وتضرب حصارها على المقاطعة تم نقل أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورفاقه عاهد أبو غلمة قائد كتائب الشهيد أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية، ومجدي رحيمي المتهم بمسؤوليته عن الخلية التي قامت بقتل الوزير الإسرائيلي المتطرف زئيفي، وكذلك حمدي قراعين، وباسل الأسمر المتهمين بتنفيذ عملية القتل. ثم نقل هؤلاء المناضلين من أحد سجون السلطة الفلسطينية إلى المقاطعة، وكان هؤلاء المناضلون قد تم احتجازهم أو اعتقالهم

من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية بناء على شكوى إسرائيلية ضدهم. وحسب أوسلو فإن اعتقالهم ومحاكمتهم من مسؤولية السلطة الوطنية، وقد تم ذلك بالفعل.

وكانت المخابرات العامة الفلسطينية قد نقلتهم على عجل من السجن إلى مقر الرئيس عرفات خوفا من قتلهم أو اعتقالهم من قبل قوات الاحتلال.

وكان الرئيس عرفات يصر قبل وبعد اقتحام المقر والحصار على أن محاكمة سعدات ورفاقه والعميد فؤاد الشوبكي هو من حق وصلاحيات السلطة الوطنية الفلسطينية، وليس من حق حكومة شارون المطالبة باعتقال وتسليم هؤلاء الشبان المتهمين باغتيال «زئيفي» وذلك وفقا للاتفاقيات المبرمة بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي والتي تتيح للسلطة الفلسطينية محاكمة كل من يخرق القانون.

ويُعرف عن أحمد سعدات أنه مناضل حقيقي، وقائد شجاع صبور فقد عاش حياته مطاردا من قبل الجيش الإسرائيلي أو معتقلا في غياهب سجون الاحتلال، وامتاز بصلابته وتحديه للمخاطر، وقد اعتقلته السلطة الفلسطينية بعد تعرضها لضغوط أميركية وإسرائيلية كبيرة، وذلك من أجل تأمين حياته والمحافظة عليه.. وبذلك تفوت الفرصة على شارون وتمنعه من تصفية هذا القائد الذي يشكل أحد الرموز الهامة للمقاومة الفلسطينية.

وبطبيعة الحال فإن سعدات ورفاقه كانوا يفضلون أن يبقوا أحرارا، وكانوا على دراية كاملة بأساليب جيش الاحتلال وزبانيته، وكانوا مؤهلين نفسيا وإنسانيا لكل الاحتمالات، ولكن اختلاف وجهات النظر لم يغير شيئا من الواقع. فقد تم حجزهم وسجنهم تمهيدا لمحاكمتهم.

وها هم الآن في قلب الحصار، يواجهون مصيرا صعبا قاسيا مجهولا غير معروف المعالم، ولكنه على وجه اليقين يحمل الموت والدم والدمار.

ويصف رشيد هلال المراسل الصحفي أوضاع هؤلاء المناضلين وهم محاصرون مع الرئيس عرفات فيقول:

كان سعدات يجلس على فرشة وبجانبه عاهد أبو غلمة الذي كسرت رجلاه الاثنتان، خلال عملية مطاردة ساخنة قامت بها المخابرات في نابلس لاعتقاله مع حمدي باسل اللذين لجآ أحد المنازل، وكانت رجلا عاهد قد وضعتا في الجبس، وكان حمدي

قراعين «٢٧ عاما» المتهم الرئيسي بقتل الوزير الإسرائيلي المتطرف رحبعام زئيفي، يدلك لعاهد إحدى رجليه، بينما كان مجدي رحيمي ممددا على فرشة متواضعة يغط في نوم عميق.

أما سعدات فقد بدا حليق الذقن، وقد كسا الشعر الأبيض رأسه ولحيته إلا أن بريق عينيه ما زال قويّا مؤثرا، وعلى سمات وجهه تبدو مظاهر القوة، والثقة.

ورغم مظاهر الهدوء التي تميزت بها حياة سعدات ورفاقه خلف الحصار إلا أن الأحداث والمتغيرات حولهم خاصة محاصرة مقر الرئيس عرفات وهم بداخله، جعلتهم في حالة قلق شديد، وزاد من توترهم وقلقهم إحساسهم بإمكانية اقتحام المقر بين لحظة وأخرى خاصة وهم من أوائل المطلوبين لجيش الاحتلال وزعيمه أرئيل شارون.

ويواصل رشيد هلال وصف لحظات من حياة هؤلاء المناضلين خلف الحصار فيقول:

استيقظ مجدي رحيمي على دردشتنا، وعبّر بكلمات بسيطة عن هذا القلق الذي يعيشه بقوله:

«صحيح أن السلطة تعاملنا باحترام، وتوفر لنا كافة مقومات الحياة الكريمة، ولكن في نهاية المطاف فإن الأبواب تغلق علينا، ونكون داخل السجن، وأضاف: الآن مصيرنا مجهول، وبالأحرى فإن مصيرنا على كف عفريت كما يقولون، فنحن لا نعرف متى سيقتحمون المقر، أو متى ستكون القذيفة التالية، وهل ستكون من نصيبي.

كان رحيمي ورفاقه يتمنون أن تطلق السلطة سراحهم قبل اقتحام مقر الرئيس أو اجتياح رام الله ليتمكنوا من الاختفاء بطريقتهم الخاصة. رغم صعوبة هذا الاختفاء في ظل اجتياح إسرائيلي شامل للأراضي الفلسطينية، وبالتالي خطورة المغامرة، ولكن تظل هذه أمنية ورغبة ملحة لهؤلاء الرفاق الذين أكدوا أنهم لن يسلموا أنفسهم أحياءً لجنود الاحتلال حتى وان تم اقتحام المقر.

ويقول رشيد هلال:

نظرت في عيون سعدات التي ما زالت تتجول في المكان، وبادرته بسؤال عن رؤياه السياسية للأوضاع الحالية. فأجاب أنه من المؤلم حقا أن يصل الواقع الفلسطيني إلى مثل هذه الظروف القهرية البائسة، وأن يحاصر الشعب الفلسطيني على هذا النحو في هذه

الظروف الصعبة المعقدة، أن التصعيد الإسرائيلي الذي يقوم به شارون كان مخططا له حتى قبل مقتل زئيفي، ولا بد من ترتيب البيت الفلسطيني الداخلي لمواجهة الصلف والعدوان الإسرائيلي.

****

والحقيقة أن أحمد سعدات له رؤى سياسية وأفكار وتوجهات قد تتطابق مع الرئيس عرفات، ولكنها بالتأكيد تختلف في كثير من التفاصيل والمسائل، ومع ذلك فإن سعدات لا يتردد في التعبير عن إعجابه بمواقف الرئيس عرفات، وقد وصفه أكثر من مرة بأنه «رجل المواقف انصعبة» و «رجل اللحظة»، كما وصفه بأنه قائد محنك متمرس. وتحدث سعدات وهو في قلب الحصار عن السمات الشخصية للرئيس عرفات الذي وقف في وجه الإدارة الأميركية، والحكومة الإسرائيلية، رافضا تسليم الأمين العام للجبهة ورفاقه المتهمين في قتل زئيفي، والعميد فؤاد الشوبكي.

****

بعد لحظات.

قام أحمد سعدات «أبو غسان» بتوديع رفاقه في الغرفة، وصعد إلى الطابق الثاني، حيث يتواجد الرئيس عرفات، الذي كان يصر على دعوته لمائدة الطعام دائما، وكثيرا ما كان الرئيس يحضر إلى غرفة سعدات لمشاركته في الحديث حول مختلف القضايا، وكان الرئيس حريصا على أن يُطلِع سعدات على تطورات الوضع أولا بأول.

****

في تمام الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس الموافق ٢٥/ ٤/ ٢٠٠١.. أي في اليوم الثامن والعشرين للحصار، عقدت المحكمة العسكرية الميدانية في مقر الرئيس ياسر عرفات المحاصر.. بتكليف من الرئيس، عقدت جلستها الأولى برئاسة العميد ركن ر بحي عرفات، وعضوية كل من العقيد شرطة محمد أبو صلاح، والنقيب منجد أبو غزالة، ومثل الدفاع العميد معاذ يونس، بينما مثل الادعاء العام النقيب سليم المدهون. وذلك لمحاكمة المتهمين الأربعة بقضية قتل الوزير الإسرائيلي رحبعام زئيفي.

****

وبعد ثلاث جلسات، حكمت المحكمة على المتهم الأول حمدي عثمان قرعان، بالسجن الفعلي لمدة ثمانية عشر عاما، مع الأشغال، وهو المتهم الرئيس في إطلاق النار على الوزير زئيفي. كما حكمت بالسجن الفعلي لمدة اثنتي عشرة عاما على باسل عبدالرحمن الأسمر، وهو المتهم الثاني الذي قام بمساعدة قرعان في تنفيذ عملية القتل، أما مجدي حسين رحيمي فقد حكم عليه بالسجن لمدة ثمانية أعوام بتهمة قيادته للخلية التي نفذت عملية القتل. فيما حكمت على عاهد أبو غلمة لمدة عام واحد بتهمة إيواء مطلوبين. وقد صادق الرئيس عرفات على هذه الأحكام في ذات اليوم.

والواقع أن أحداث هذه المحاكمة، تبدو فصلا غاية في الغرابة، فكيف يحاكم الفلسطينيون فصيلا ثوريا مناضلا مشهودا له بالوطنية والفداء.

كما أن المحاكمة تجري في مقر الرئيس المحاصر، وفي ظل فوهات المدافع، وعلى بعد أمتار من الدبابات الإسرائيلية، ولكن ثقافة البطش والقوة الإسرائيلية الغاشمة وسطوة السياسة الأميركية فرضت على المشهد النضالي الفلسطيني هذه الواقعة الغريبة.

غير أنه من الواضح أن الرئيس عرفات المحاصر، أراد من محاكمة الأربعة تبليغ رسالة للأميركيين والإسرائيليين والأوروبيين، بأن مطلب شارون بتسليم أعضاء الجبهة الشعبية قد سقط بمجرد الحكم عليهم حسب الاتفاقيات الموقع عليها بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني.

وقد حرص الرئيس على أن تعقد الجلسة الأولى للمحاكمة عقب لقائه مع وليام بيرنز مساعد وزير الخارجية الأميركي، كما أن جلسة النطق بالحكم تمت أثناء لقاء الرئيس عرفات مع وزير الخارجية اليوناني بابا أندريو والتركي إسماعيل جيم، وقد سلمهم الرئيس عرفات جميعهم نسخا من ورقة الحكم على المتهمين الأربعة.

صفحة مشرفة من النضال الفلسطيني :

هذه صفحة بطولة مشرفة، سجلها شاب في ربيع العمر بحروف من نور ونار حدثت في ذروة الحصار والرئيس قاب قوسين أو أدنى من الموت، فأشعلت جذوة الوطنّية والأمل في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني، وها نحن نقدم تفاصيلها، التي شغلت الرأي العام الفلسطيني في تلك الفترة.. نرويها كما كتبها نائل موسى المحرر في صحيفة الحياة الجديدة:

كان أزيز الرصاص قد صمت فجأة في منطقة وادي الحرامية شمال مدينة رام الله، ليرتفع مكانه رجع صدى حشرجات وتوسلات جنود ومستوطنين جرحى عندما ألقى «ثائر» نظرة أخيرة لم تخل من عتاب على أشلاء بندقيته العزيزة، وهو يستدير بهدوء عائدا إلى منزله في بلدة سلواد المجاورة دون أن يدرك أن شظايا بندقيته وبقية متاع خلفها وراءه، ستكون بعد عامين الشاهد الملكي في قضية افترض أن لا شهود عليه فيها.

صباح يوم الاثنين لثالث من آذار عام ٢٠٠٢ استيقظ الشاب ثائر حماد (٢٦ سنة) قبل الفجر أو لعله لم ينم ليلته، توضأ وأدى صلاة الفجر، وتناول نسخة المصحف التي يحب، وفي الخارج ارتدى بزة عسكريّة لم يسبق وشوهد يرتديها، وتمنطق بأمشاط الرصاص، وامتشق بندقية الـ«إم١» أميركية قديمة من زمن الحرب العالمية الثانية، وتفقد عتاده المكون من ٧٠ رصاصة خاصة بهذا الطراز القديم من البنادق.

امتطى ثائر مع انبلاج الصبح صهوة جواده، وانطلق به مثل فارس جوالّ من العصور الوسطى، يسابق خيوط الشمس إلى جبل الباطن، إلى الغرب من بلدة سلواد في مسالك جبليّة وعرة، بدا أنه كما الجواد يحفظها عن ظهر قلب، وصل إلى المكان الذي سبق له وعاينه غير مرة فترجل، وترك للجواد عنانه يمضي حيث أراد، فالفارس قرر الاستشهاد وأطلق جواده.

في الأسفل حيث تخلت سفوح تلال سلواد الوعرة عن انحدارها وبعض خضرة حقولها لتحتضن سواد أسفلت شارع رام الله ـ نابلس الملتوي مع مسار الوادي، ومن موقعه كان بوسع ثائر رؤية المكان بكل تفاصيله كانت قطرات الندى لا تزال ترصع الأعشاب والأوراق الغصة في منظر بديع رآه بعينيه نصف المفتوحة على الفوهة المسددة بثبات، ومعها رأى الحاجز العسكري بجنوده ومكوناته التي تشوه المكان.

ومن موقع هيأته له يد الطبيعة، ركز ثائر البندقية على جذع زيتونة، اتخذها ساترا يحميه، ويواريه عن الأنظار، بعد أن تحسس بندقيته بأصابعه كمن يداعبها. وتفقد جاهزيتها لآخر مرة، واصمأن أن المخازن الثلاثة ذات سعة الثمانية رصاصات محشوة بها، وتفحص باقي الرصاصات، أخذ يراقب المكان ويستعد بانتظار ساعة الصفر التي بدا أنه حددها لنفسه.

من زنزانته التي أنعم عليه فيها القائد الأسير النائب مروان البرغوثي بلقب أمير كتائب شهداء الأقصى، يسرد الفتى الجسور اليوم، أدق تفاصيل العملية العسكرية، التي

اعتبرتها إسرائيل اخطر عملية نوعية تنفذها المقاومة خلال انتفاضة الأقصى، والتي لا يزال الشعب الفلسطيني يتغنى بها في كل مناسبة.

كانت الساعة تقترب من الرابعة صباحا عندما انطلق ثائر نحو هدفه، وكان جنود الحاجز الذي يذيق أبناء المنطقة ألوان الإذلال والقهر، وروح خاله الشهيد، الذي اغتيل بدم بارد، وصرخات الأبرياء تحثه وتدفعه إلى القيام بعمل نوعي، يشفي غليله، ويلقن العدو درسا. كان يتطلع إلى عملية فدائية أخيرة، لأنه توقع أن ينال الشهادة فيها وفق ما أسر به إلى شقيقه في الأسر.

أمضى ثائر نحو ساعتين يراقب، ويخطط بعناية قدر أن طول المسافة التي تبعده عن هدفه بين ١٢٠ ـ ١٥٠ مترا هوائيا، إلى الشرق منه ومع إشارة عقارب ساعة يده إلى الساعة السادسة أطلق رصاصته الأولى. كان ثلاثة جنود يحرسون الحاجز سدد على الأول فاستقرت الرصاصة في جبهته وخر مع صدى صوت الرصاصة.. «وكبرت» يقول ثائر ولاحقت الثاني بفوهة البندقية وعالجته برصاصة واحدة استقرت في القلب «كبرت» وزادت ثقتي بنفسي وكفاءة بندقيتي وأرديت الثالث برصاصة أخرى. أعتقد أن ثلاثتهم خرجوا صرعى وعندما خرج جنديان آخران من الغرفة المجاورة مذعورين يحاولان استطلاع الأمر لم أجد صعوبة في إلحاقهما لمن سبقهم إلى مصرعهم، ومن داخل الغرفة ذاتها رأيت سادسا كان يصرخ مثل مجنون أصابه مس المفاجأة كان ينادي بالعربية والعبرية أن انصرفوا، وهو يدور في الداخل، كان سلاحه بيده ولم يطلق في تلك اللحظة الرصاص، لاح لي رأسه من النافذة الصغيرة أطلقت عليه، وانقطع الصوت، وساد سكون الموت منطقة الحاجز برهة. اعتقد أنني عالجت أمر الوردية بست رصاصات.

وفجأة، وصلت إلى المكان سيارة مدنية إسرائيلية، ترجل منها مستوطنان اثنان، صوب الأول سلاحه وقبل أن يتمكن من الضغط على الزناد كان قد تلقى رصاصة، وسقط صاحبه إلى جواره مع ضغط الزناد التالي.

مضت ربما دقيقتان يقدر ثائر قبل أن تصل سيارة جيب عسكرية، اعتقد ثائر أنها وصلت بهدف تبديل الوردية، وما أن اتضح للضابط ومجموعته الأمر، حتى ترجلوا وتفرقوا، وأخذوا يطلقون الرصاص على غير هدى في كل اتجاه. ويواصل ثائر روايته العبقرية:

هذا الوضع والفوضى في الأسفل ساعدني في معالجة أمرهم فسقطوا بين صريع وجريح بالتزامن مع وصول سيارة أخرى للمستوطنين، وشاحنة عربية أجبر سائقها على

الترجل، حيث تمكنت من إصابة المستوطنين إلى جانبه دون أن أمسه هو بأذى.

ويتذكر ثائر الذي يقضي حكما بالسجن ١١ مؤبدا كيف وصلت مركبة مدنية إسرائيلية لاحظ أن بداخلها امرأة إسرائيلية مع أطفالها ويقول : إنها كانت في نطاق الهدف ولكنني امتنعت عن التصويب باتجاهها بل صرخت فيها بالعربية والعبرية أن انصرفي خذي أطفالك وعودي، ويذكر أنه لوح لها أيضا بيده طالبا منها الابتعاد.. فأنا لست قاتلا - يقول من اعتقدته إسرائيل قناصا شيشانيا مخضرما ومحترفا - وكل ما أردته أن أجبر هؤلاء القتلة الذين يمعنون في قهر وإذلال العباد على الحواجز ويتلذذون بقتل الأبرياء دون سبب على دفع فاتورة الحساب.

بالنسبة لثائر الذي سطر ملحمة وادي عيون الحرامية، وبات قناصها، فإن الرياح لم تجر كما تشتهي سفينته، ففي تلك اللحظة انفجرت بندقيته العزيزة بين يديه وتناثرت أشلاء في المكان ما أجبره على إنهاء المعركة بطريقة مغايرة لما خطط لها، كان قد أطلق بين ٢٤ و٢٦ رصاصة فقط من عتاده المكون من ٧٠ رصاصة يعتقد أنها جميعا استقرت في أجساد هدفه حيث قتل ١١ جنديا ومستوطنا وأصاب تسعة آخرين.

برؤية الواثق وهدوئه اتخذ ثائر قرار الانسحاب صعودا في طريق العودة إلى المنزل، كان ذلك نحو الساعة السابعة والنصف صباحا عندما دلف إلى بيته وأسرع لأخذ حمام ساخن، وخلد إلى الفراش لينال قسطا من النوم قبل أن يوقظه صوت شقيقه يحثه على الإسراع لتحضير جنازة قريب لهما توفي أخيراً.

وترافقا في العمل في القيام بواجب العزاء. كل شيء كان طبيعيا ولم يبد على ثائر أية مظاهر غير معروفة عنه، حتى عندما بدأت الأنباء عن العملية تتردد في القرية بكل ما رافقها من إشاعات عن أن رجلا مسنا هو القناص الفذ الذي نفذ العملية التي يؤكد ثائر أن أحدا لم يساعده في تنفيذها، أو يعلم بسرها، لكن بعض المصادر تشير إلى أنه أشرك أحد أشقائه الخمسة في سره كان ثائر على أية حال سعيدا ومرتاحا على غير العادة في الأيام الأخيرة، ربما كان فخورا بأنه فرض سيطرة كاملة على عدو مدجج يثير الرهبة والفزع أينما حل ولكنه أمامه كان يطلب السلامة.

ولد ثائر كايد قدورة حماد في ٢/ ٧/ ١٩٨٠ في بلدة سلواد شمال شرق رام الله لأسرة متواضعة لها من الأبناء الذكور خمسة غيره، ومنذ نعومة أظفاره تميز عن أشقائه بتحمل المسؤولية وحب المغامرة وروح المخاطرة، وامتهن بناء المآذن في المساجد التي يعتقد

أنها السبب في ولعه بالمخاطرة، حيث كان يقوم بعمله على ارتفاعات شاهقة دون أن يربط نفسه بحزام كما يفعل الآخرون. وعرف ثائر منذ شب بحب مرافقة كبار السن ومخالطتهم مبتعدا عن ملاعب الصبا كما هام بهواية الصيد والفروسية، وكان ماهرا في التصويب بالشعبة «النقافة» قبل أن يبحث عن السلاح لتنمية هوايته، وأتقن استخدامه، ودرب نفسه بنفسه على القنص، حتى برع فيه، تعلق ثائر بخاله نبيل حماد، الذي اغتالته وحدة إسرائيلية خاصة في ٢٩/ ٧/ ١٩٩١ في حادثة تركت في نفس ثائر الصغير جرحا وأثرا بالغا، ومع توارد أنباء مجازر الاحتلال، باتت حديث ثائر كما يروي شقيقه، الذي يقول أن نفسية ثائر تأثرت كثيرا من المعاناة التي صادفها على الحواجز حول البلدة ومن رؤية معاناة الناس صباح مساء الذين كانوا يمنعون دون سبب من الوصول إلى الطبيب أو إلى المدرسة أو العمل، وكان يصف خروجه من البيت بأنه رحلة عذاب حقيقية، وهي أسباب عددها «ثائر» لشقيقه في الزنزانة كدوافع محقة لتنفيذ العملية التي أعقبها اضطرار قوات الاحتلال لإزالة العديد من الحواجز في المنطقة.

ومع اتضاح حجم العملية التي أذهلت قادة وجنرالات جيش الاحتلال، فرضت قوات الاحتلال طوقا حول بلدة سلواد، ونفذت تمشيطًا بحثا عن المنفذين المحتملين، واعتقل ثائر وأفرج عنه بعد ثلاثة أيام ربما لم يدر في خلد المحققين أن هذا الفتى ابن الثانية والعشرين هو المنفذ الذي رسمت له مخابرات الاحتلال صورة بأنه رجل كبير في السن، وعزز ذلك وجود لفافات من التبغ «العربي» الذي يدخنه كبار السن عادة بعد إعداده بأيديهم إضافة إلى دقة القنص ببندقية قديمة مما عزز الاعتقاد بأن المنفذ قناص محترف ربما تدرب في ساحات قتال سابقة لدرجة اعتقد أنه قناص قادم من الشيشان. كان الإفراج عنه عزز في نفس ثائر الثقة بأنه في مأمن، وأخذ يردد في كل مجلس يرتاده حكاية القناص العجوز الذي كان يقول إنه ربما انتقل إلى جوار ربه، ولن يقع في يد الاحتلال. فيما كان في قرارة نفسه يطرب لسماع هتافات المتظاهرين في عموم فلسطين تشيد بالقناص وأفعاله وهم يرددون بالعامية : «ودينا واحد قناص على عيون الحرامية، وسطحهم بالرصاص والبارودة أمريكية».

* * *

مضى نحو ٣٠ شهرا على العملية عندما تسلمت عائلة ثائر أمرا من المخابرات

يطالب ثائر بمراجعتها ولكنه لم يراجع، كان ذلك قبل أسبوع من مداهمة منزله، واعتقاله فجر يوم ٢/ ١٠/ ٢٠٠٤، يومها بدا واثقا من نفسه وطمأن والدته، والعائلة بأنه سيخرج بعد أيام قليلة؛ لأنه لم يفعل شيئا، يوجب اعتقاله ولا شيء ضده.

ولم يطل المقام عندما نشرت صحف عبرية صبيحة ٦/ ١٠/ ٢٠٠٤ نبأ إلقاء القبض على قناص وادي عيون الحرامية وأنه ثائر حماد، وفي اليوم ذاته تم إحضار ثائر إلى الموقع لإعادة تمثيل العملية. كان ذيوع الخبر واعتراف ثائر بمثابة الصدمة للاحتلال الذي استبعد وشكك في الاعتراف، قبل أن يتأكد من بصمة وجدها على سكين فواكه وبقايا البندقية التي كان تركها ثائر في موقع العملية، أما عائلة ثائر فكانت في حالة من الذهول بين التصديق والتكذيب.

رغم كون العملية، نوعية، وهزت صورة جيش الاحتلال، وأصابت مهنيته في مقتل، أخضع ثائر لتحقيق قصير لم يزد على خمسين ساعة، وذكر لأشقائه أنه لم يتعرض خلالها إلى أي تعذيب جسديّ أو نفسي، يذكر بل أن جنودا وضباطا أدوا له التحية العسكرية عندما دخلوا عليه تقديرا لمهنيته.

ترافق اعتقال ثائر اعتقال ثلاثة من أشقائه، وهم نضال وأكرم وعبد القادر الذي اعتقل قبله بعشرة أيام فيما ترافق اعتقال الآخرين مع الكشف عن العملية.

في سلواد وقع الخبر على العائلة كالصاعقة، أصيبت الأم والجدة بجلطات، وأبلغت العائلة بنية سلطات 'الاحتلال هدم المنزل، وطلبت إخلاءه، فيما أصَر والد ثائر على البقاء فيه نحو سبعة أشهر في محاولة يائسة لإنقاذه دون أثاث وعاش الجميع في حالة ترقب وقلق أتت على أعصابهم.

في منتصف شهر رمضان من عام ٢٠٠٤ فوجئت الأم المفجوعة بغياب أولادها، بثائر يدلف إلى الداخل يرافقه عدد كبير من الجنود، كانت الساعة تشير إلى ما بعد انتصاف الليل، عندما تقدم ضابط من الوالدة التي بلغت الخامسة والخمسين من عمرها، وأخذ يستجوبونها وهو يقول: أنت أنجبت عساكر مثل ثائر الذي قتل ١٣ إسرائيليا، استطاعت الوالدة أن تميز وجه ثائر المقيد بالسلاسل وهرعت نحوه لتضمه إلى صدرها وهي تجهش بالبكاء، فيما كان هو يهدئ من روعها بقوله : أنت أم أبطال، لا تجزعي فلسطين غالية، وتستحق أكثر مما قمنا به، كان ثائر قد احتال على المحققين بصورة ذكية، ليعيدوه إلى بيته، بذريعة أنه يريد إرشادهم إلى أسلحة، لكنه في الواقع كان

يريد رؤية وجه والدته، فمن يدري ربما لن يكون بمقدوره رؤيتها مرة أخرى.

ومن المنزل أعيد ثائر إلى سجن عسقلان، وبعد يومين، فوجئ بدخول شقيقه عبد القادر، ولم تمض ساعات حتى انضم إليهما الشقيق الثالث أكرم، وكانت وجوه الأشقاء قد تغيرت لدرجة لم يعرف أحدهم الآخر للوهلة الأولى، بسبب الاعتقال والتعذيب، ولكنها لحظات لن تنسى.

قال أكرم: وهو يستعيد تلك اللحظات الفريدة في تاريخ أي إنسان مناضل أو غير مناضل: خطوت إلى داخل الزنزانة، وأنا أتفرس في الوجوه، كان قد مضى شهران على اعتقالي، ولم أتعرف على أخي في تلك اللحظة، كان ذقنه طويلا، كانت لحظة تاريخية جميلة بحق. ولم يطل بنا المقام في الزنزانة معا بسبب التنقلات.

وفي كل مرة كنا نُستقبل مجددا بكل حفاوة واحترام، وكان الأسرى فرحين بوجود ثائر بينهم، بعد أسبوع من اللقاء أخرجنا من الزنازين إلى السجن المركزي، وفيه مكثنا ثلاثتنا معا لمدة شهرين في الغرفة ذاتها، وقص خلالها ثائر تفاصيل حكايته الطويلة، وبعد شهرين نقل إلى السجن «أيشل» المركزي، ووضع في قسم العزل رقم (٤) وفيه التقى القائد مروان البرغوثي، ومكث معه في الزنزانة فترة طويلة، أنعم عليه البرغوثي خلالها بلقب «أمير كتائب شهداء الأقصى».

ومن هناك بدأت رحلة ثائر مع المحكمة التي أجريت له في محكمة عوفر العسكرية جنوب غرب رام الله، والتي عقدت للنظر في القضية، حيث عرضت لائحة الاتهام ضده وتواصلت جلسات المحكمة أكثر من ٣٠ جلسة انتهت بالحكم عليه بالسجن المؤبد ١١ مرة، كان ثائر في المحكمة فخورا ويتمتع بمعنويات عالية، وهو يسمع الحكم خاصة، وهو يرى آثار العار الذي ألحقه بقادة وجيش الاحتلال. فيما كانت المستوطنة التي رفض إطلاق النار عليها يوم العملية تتظاهر مع آخرين لأجله في خارج المحكمة.

كان ثائر في قاعة المحكمة سعيدا برؤية وجه والدته، وزادت سعادته واعتزازه، وهو يرى الوالدة تحتضن لائحة الاتهام التي قدمها لها المحامي جميل الخطيب للتو وتقبلها، وعينها الأخرى تراقب فلذة الكبد يجري سحبه مقيدا، دون أن تتمكن من توديعه قبل أن يزج به في سجن «أوهلي كيدار» في بئر السبع حيث يحتجز إلى الآن.

ويروي أكرم عن شقيقه قصة البندقية فيقول كان ثائر هاويا ومهتما بالصيد، وبدا أن

البندقية ارتبطت في البداية بهذه الهواية، وقد اشتراها من شخص بمبلغ ألف وثلاثمائة دينار أردني ومعها نحو ٣٥٠ رصاصة استنفذ ٨٠ في المائة منها في الصيد والتدريب على القنص، حتى برع فيه، وذاع صيته، وكان ذلك قبل العملية كما اشترى بزة عسكرية لا أحد يعرف متى فعل ذلك وأين أخفاها.

ويتابع أكرم: بات أخي يعرف بين الأصحاب، أنه بارع في القنص، لدرجة أنه درب عددا منهم على هذه المهارة، كانوا يفعلون ذلك خلسة، وربما كان ذلك هو الذي فتح عليه العيون مجددا وربطه بالعملية، ويؤكد أنه لم يسبق أن أعلم أحدا بهذه القصة، ولم يأت على سيرتها مطلقا سوى في الزنزانة التي جمعتهما.

ويرفض أكرم هو يروي تفاصيل القصة الربط بين اعتقال شقيقه عبد القادر ٢٢ عاما، والحكم عليه بالسجن أحد عشر عاما واعتقال ثائر مشيرا إلى أنه اعتقل على خلفية عملية إطلاق نار باتجاه جنود الاحتلال ومستوطنيه على الشارع الالتفافي، حيث اشتهر بلقب صقر الالتفافي.

أما أكرم نفسه فقد اعتقل وحكم عليه بالسجن أربعة عشر شهرا بتهمة الانتماء إلى تنظيم سياسي، إلى جانب حكم مع وقف التنفيذ بالسجن ٥ سنوات فيما حكم على الأخ الأكبر نضال بالسجن عشرة شهور بسبب حيازة بندقية صيد.

أغرب مواجهة في تاريخ الصراع:

من أشد فصول الحصار غرابة وأكثرها إثارة ما حدث في كنيسة المهد في بيت لحم.. فقد اجتاحت القوات الإسرائيلية مدينة بيت لحم وتصدى أبطال المحافظة للمقاومة ببسالة ورجولة.

ولما اشتد ضغط الحملة الإسرائيلية وتصاعدت وتيرة القتال والمطاردة، لجأ أكثر من مائتي مواطن إلى كنيسة المهد، وكان منهم عدد لا بأس به من المقاتلين الشجعان الذين تصدوا ببسالة لجحافل الجيش الإسرائيلي.

واستمر حصار الجيش الإسرائيلي للكنيسة حوالي أربعين يوما وقد برز في هذه المواجهة الضارية التضامن الإسلامي والمسيحي بصورة رائعة مشرفة أثبتت للعالم مدى حضارة ورقي وجدان وثقافة الشعب الفلسطيني.

وبعد أربعين يوما تقريبا بدأت من الأسبوع الثاني من شهر نيسان عام ٢٠٠٢ حتى

نهاية شهر أيار.

شهدت مدينة المهد أغرب فصل من فصول المواجهات بين الفلسطينيين والاحتلال الإسرائيلي فهناك الحصار، والموت والجوع والمساومة والمفاوضات والأخذ والعطاء والشد والجذب.

وأسدل الستار عن قضية حصار كنيسة المهد بعد عذاب ودموع وهو أول حصار من هذا القبيل تشهده الكنيسة على مر العصور، ففي أروقتها وبالقرب من المذود الذي وضع فيه الطفل يسوع أمضى أكثر من مائتي فلسطيني، كانوا لجؤوا داخلها للاحتماء من بطش الغزاة المدججين بأسلحة الموت والدمار، فافترشوا بلاط الكنيسة تحت سقف مثقل بعبق التاريخ، وسجيت جثامين من استشهدوا إلى جانب رفات أطفال قتلهم هيرودوس.

وكانت عملية خروج المبعدين الثلاثة عشر قد بدأت في الساعة السابعة إلا ربعا صباحا حسب التوقيت المحلي ونقل المبعدون إلى قاعدة عسكرية إسرائيلية في التجمع الاستيطاني غوش عتصيون جنوب مدينة بيت لحم، على متن سيارات عسكرية إسرائيلية، قبل أن يتوجهوا إلى مطار تل أبيب تحت حماية أميركية أوروبية، حيث كانت في انتظارهم طائرة عسكرية بريطانية لنقلهم إلى محطتهم الأولى في غربتهم القسرية.. قبرص قبل توزيعهم على عدد من دول الاتحاد الأوروبي.

توزع من بقي من المحاصرين منهم في الكنيسة وعددهم ١٢٣ بين عدد من الدول الأوروبية وقطاع غزة وعادت الغالبية منهم إلى مساكنهم في بيت لحم.

وكانت دول الاتحاد الأوروبي قد اتفقت على أماكن نفي الثلاثة عشر فلسطينيا، وقد صرح دبلوماسيون أسبان بأنه قد تقرر توزيع اثني عشر منهم على عدد من دول الاتحاد الأوروبي، وأن يبقى أحدهم في قبرص وتقرر سفر ثلاثة من المبعدين إلى أسبانيا، وثلاثة إلى ايطاليا، واثنان إلى أيرلندا، ومبعد واحد في كل من البرتغال وفنلندا على أن يبقى الأخير في قبرص.

وذكرت صحيفة «لوموند» اليومية الجمعة ٢٤ أيار أن ثلاثة مبعدين هم إبراهيم عبيات وعزيز عبيات وأحمد حمامرة سيتم إسكانهم في قرية صغيرة تحت حماية الشرطة.

ولم تكشف «الصحيفة» عن اسم أو موقع القرية الإسبانية المقرر أن تستقبل

الفلسطينيين، ويذكر أن إقامة الفلسطينيين أحيطت بأقصى درجات السرية والأمن منذ وصولهم من قبرص.

وتم إسكانهم أولا في فندق صغير قرب قاعدة توريخون العسكرية شرق مدريد، وقال نبيل معروف الموفد الفلسطيني في إسبانيا أن الفلسطينيين راضون ومرتاحون، وتم منح الفلسطينيين تصاريح إقامة كأشخاص لاجئين مدتها عام. وقالت «الصحيفة» أن إسبانيا ستستقبل ذويهم إذا فعلت البلدان الأخرى التي استقبلت زملاء لهم الأمر ذاته.

وأضافت المصادر أن المبعدين الثلاثة تعهدوا بعدم الإدلاء بتصريحات لوسائل الإعلام حرصا على حياتهم وعدم مغادرة إسبانيا إلى أي من دول الاتحاد الأوروبي.

وكان إبراهيم عبيات وهو سائق جرار زراعي قد أجل حفل زفافه أربع مرات، بسبب استشهاد أحد أفراد العائلة في كل مرة، بينما تزوج عزيز وهو ممرض في مشفى بيت جالا قبل عدة أشهر أما أحمد حمامرة فقد تزوج قبل أيام من الحصار.

وأصدر مجلس الوزراء الايطالي مرسوما بشأن الفلسطينيين الثلاثة الذين قررت ايطاليا استضافتهم بعد وصولهم من قبرص، وخروجهم من حصار كنيسة المهد في بيت لحم. وجاء في المرسوم أنه يسمح لهم بالإقامة في إيطاليا بشكل استثنائي لأسباب إنسانية، بناء على القرار المتخذ من الاتحاد الأوروبي لمدة اثني عشر شهرا، وسيتم استضافتهم على نفقة الدولة في أماكن يتم تحديدها خصيصا.

وقرر المرسوم أن تقوم وزارة الداخلية باتخاذ الإجراءات المناسبة للمحافظة على أمنهم، وأنهم يستطيعون وفي حالة توفر ظروف معينة مغادرة الأراضي الإيطالية، دون أن يعطيهم ذلك الحق بالعودة.

وحسب المرسوم، فإن النفقات المترتبة عن ذلك تم تقديرها بمبلغ ٦٠٠ ألف يورو وسيتم صرفها من صندوق احتياط مصروفات الدول الاستثنائية.

واستضافت اليونان وإيطاليا ثلاثة فقط، أما اليونان وأيرلندا فقد استضافت كل منهما اثنين فقط، في حين استضافت بلجيكا واحدا، وقد أكدت البرتغال الخميس ٢٣/ أيار وصول أحد المبعدين، وهو الذي أعربت عن استعدادها لاستقباله، والذي قيل إن اسمه عدنان محمد، والذي نقل بسيارة من إسبانيا وسط إجراءات أمن مشددة. ولم يتم الكشف عن المكان الذي سيمكث فيه في البرتغال.

وقالت بلجيكا: إن فلسطينيا نفي إليها يمكنه التقدم بطلب للجوء. وقال وزير الداخلية البلجيكي أنطون دوكين في البرلمان مساء الخميس ٢٣ أيار عام ٢٠٠٢ ردا على سؤال من المعارضة «إنها بالفعل حالة يمكن للشخص المعني بها التقدم بطلب للجوء وفقا لنظامنا القانوني».

وذكر الراديو البلجيكي أن تأشيرة ذات مدة إقامة قصيرة للفلسطينيين أصدرت وهي صالحة لثلاثة أشهر لكنها قابلة للتجديد. وأضاف أن الفلسطينيّ وافق على الإقامة في مكان تحدده الحكومة وعلى مراقبة السلطات لكل اتصالاته.

وفي روما ادعّى وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس أن إسرائيل تحتفظ بحقها في طلب تسليم الفلسطينيين الثلاثة عشر.

وزعم بيرس عقب اجتماع مع رئيس الحكومة الإيطالية سيلفيو برلوسكوني : «إن أيدي هؤلاء الأشخاص ملطخة بالدماء. فقد قتلوا أشخاصا آخرين» حسب تعبيره.

وقال الوزير الإسرائيلي : «إنه يتوقع من الدول التي ستستضيفهم أن «تراقبهم عن كثب».

وعلى الدول التي توافق على استقبال المبعدين أن تضمن عدم قيامهم بأي مشاكل أو أذى في المستقبل حسب تعبيره».

لكن وكالة الصحافة الفرنسية نسبت إلى ضابط فلسطيني طلب عدم الكشف عن هويته، أن «ظروف إقامة المبعدين في الخارج تستند إلى أربعة مبادئ: سيكونون أحرارا، وسيعاملون كحالات إنسانية، وسيؤمن لهم المسكن، وسيتمكنون من متابعة دروسهم، وأخيرا فإن إبعادهم مؤقت الطابع».

من ناحية أخرى ذكرت صحيفة «معاريف» العبرية الصادرة يوم الجمعة ٢٤ أيار، أن من حق إسرائيل أن تخطط لاغتيال المبعدين. ونقلت صحيفة «معاريف» عن وسائل الإعلام الايطالية أن معلومات نشرت في ايطاليا تستند إلى وثيقة سرية لأجهزة المخابرات البريطانية، ويتضح منها أن الموساد ينوي في المرحلة الأولى متابعة حركة المبعدين وفيما بعد سيغتالهم، مثلما حصل في سنوات السبعينيات بعد مقتل الأحد عشر رياضيا في ميونخ حينها بدأت إسرائيل عملية تصفية قادة أيلول الأسود وأعضاء منظمات إرهابية في أوروبا.

وقد دافع العقيد عبدالله داود مدير المخابرات العامة لمنطقة بيت لحم وأحد المبعدين، عن الرئيس ياسر عرفات في وجه الانتقادات المتعلقة بالاتفاق الذي أنهى حصار الكنيسة وقد نفى أن يكون عرفات قد قام بدور رئيسي في المحادثات التي أدت إلى إنهاء الحصار.

وكان الرئيس عرفات قد تعرض لاتهامات بأنه تخلى عن شعبه بسبب الصفقة التي تم التوصل إليها في بيت لحم إلا أن عبدالله داود قال إن المبادرة جاءت من الرجال المبعدين أنفسهم لحماية المدينة والكنيسة اللتين وصفهما بأنهما مقدستان لجميع الفلسطينيين.

وقال داود إن الرئيس عرفات رفض الفكرة من حيث المبدأ، ولكن بعد أن ناشده المحتجزون في الكنيسة قبل أن ينظر فيها، وعليه فنحن الذين نتحمل المسؤولية.

وأكد داود أن المصادفة فقط هي التي قادته إلى الاحتماء داخل الكنيسة، ولم تكن هناك أي خطط بهذا الشأن.

وفي إجابة على سؤال حول أول ما فعله عند الوصول إلى قبرص، قال داود، أخذت حماما بعد أربعين يوما من الاحتجاز مع ٢٥٠ شخصا آخرين.

ويقول : «أنا مجرد شخص عادي أؤدي واجبي كرجل ينتمي لدائرة الأمن الفلسطينية، وواجبي الرئيسي هو حماية عملية السلام، وحماية شعبنا الفلسطيني والدفاع عنه ضد الهجمات الإسرائيلية إذا كان مطلب الحرية والاستقلال يعد شيئا خطيرا، فإن هذا يعني أن أبناء شعبنا الفلسطيني جميعا خطرون».

داود في الأربعين من عمره، وهو زوج وأب لطفل وطفلة، وكان الوحيد الذي ترك في قبرص.

ولم يتخلف داود عن الاتصال هاتفيا بزوجته وابنه وابنته في فلسطين. وقد شاهد ابنته على شاشة التلفزيون خلال الشهرين الماضيين وقال: «كانت تتساءل لماذا يتم ترحيل أبيها، وهو الذي يحب بلاده واعتقد أن هذا يعبر عن مشاعر جميع الفلسطينيين».

وقال داود: «إن اندول الأوروبية التي استقبلت المبعدين الآخرين، ليس لديها ما تخشاه من وجودهم. فبعضهم سيكمل دراسته الجامعية أو العليا، والآخرون سيتعلمون حرفة.. نحن نحب الحياة وسنحمل الحلم الفلسطيني في قلوبنا. وأتمنى أن نكون سفراء

كي نبرز الصورة الصحيحة للشعب الفلسطيني أينما ذهب».

وفيما يلي أسماء الفلسطينيين الذين أبعدتهم إسرائيل إلى إيطاليا، وتم الحصول عليها من مصادر فلسطينية، مع لمحة عن النشاطات التي تتهمهم إسرائيل بتنفيذها والتي تم الحصول عليها من مصادر إسرائيلية:

١. العقيد عبدالله داود مدير المخابرات العامة لمحافظة بيت لحم، وهو من مواليد مخيم بلاطة في نابلس عام ١٩٦٢، سبق أن أبعد عام ١٩٩٢ على خلفية نشاطات طلابية مع ستة من طلاب جامعة النجاح في نابلس لثلاث سنوات. تتهمه إسرائيل بتنفيذ مهام في إطار الجناح العسكري لحركة فتح، وتنفيذ عمليات متعددة منها إنتاج مواد متفجرة، وتهريب أسلحة وتوفير حماية لمنفذي العمليات المسلحة ضد إسرائيل، والتعاون مع المسلحين الذين أطلقوا النار على مستوطنة «جيلو» قرب بيت جالا.

٢. إبراهيم موسى عبيات من مواليد ١٩٧٣ ومن سكان مدينة بيت لحم تتهمه إسرائيل بقيادة خلايا عسكرية وتعتبره من القادة البارزين لكتائب شهداء الأقصى، وبإطلاق قذائف الهاون على مستوطنة «جيلو»، كما تعتبره مسؤولا عن الهجوم الذي أسفر عن مقتل ضابط في المخابرات العسكرية الإسرائيلية في حزيران الماضي، ومسؤولا عن مقتل إسرائيليين في عمليتين متفرقتين.

٣. جهاد جعارة من مواليد عام ١٩٧١ ومن سكان مدينة بيت لحم، عضو في أحد أجهزة الأمن الفلسطينية، وتتهمه إسرائيل بأنه أحد أعضاء «تنظيم» فتح الفعالين، وبأنه وراء عدد من العمليات المسلحة لكتائب شهداء الأقصى ضد جنود ومدنيين إسرائيليين، وبتوفير مخابئ لمطلوبين.

٤. محمد سعيد عطا الله سالم من مواليد ١٩٧٩ ومن سكان مخيم الدهيشة للاجئين في بيت لحم. تتهمه إسرائيل بأنه مسؤول بارز في كتائب الأقصى ومتورط في تخطيط عمليات فدائية، داخل الخط الأخضر في آذار الماضي.

٥. خالد أبو نجمة أحد أفراد جهاز المخابرات العامة الفلسطينية.

٦. رامي الكامل، أحد أفراد كتائب شهداء الأقصى.

٧. محمد مهنا، أحد أفراد جهاز المخابرات العامة الفلسطينية.

٨. عنان خميس، عضو في حركة فتح.

٩. خليل عبدالله، عضو في حركة فتح.

١٠. أحمد حمامرة، عضو في حركة فتح.

أما أعضاء حركة حماس فهم:

١١. إبراهيم محمد سالم عبيات، من مواليد عام ١٩٦١ ومن سكان مدينة بيت لحم، تتهمه إسرائيل بأنه أحد مسؤولي حركة حماس الفعالين، وتتهمه بتنفيذ عمليات مسلحة ضدها.

١٢. عزيز جبران، من مواليد عام ١٩٧١، ومن مواطني مدينة بيت لحم، تتهمه إسرائيل بأنه قيادي فعّال في حركة حماس.

١٣. ممدوح الورديان، عضو في حركة حماس.

وقد غادرت القوات الإسرائيلية ساحة المهد في بيت لحم على متن ناقلات جنود مدرعة، وسط تكبيرات أطلقها الأطفال الفلسطينيون من مكبرات الصوت بالمساجد. وقد ساهم دبلوماسيون أوروبيون وأميركيون في التوصل إلى هذا الاتفاق الذي أنهى الحصار الذي استمر ثمانية وثلاثين يوما.

وتسلم مراقبون أميركيون وأوروبيون كانوا يقفون خارج الكنيسة أسلحة الفلسطينيين الذين كانوا يخرجون تباعا واحدا بعد الآخر، برفقة أحد القساوسة الذين بقوا معهم في الحصار، قبل مرورهم في باب إلكتروني قبل صعودهم السيارات العسكرية الإسرائيلية، استعدادا لنقلهم إلى مجمع مستوطنات غوش عتصيون جنوب بيت لحم.

ولم يسمح جيش الاحتلال للمبعدين الثلاثة عشر بوداع أسرهم وأهاليهم، الذين تجمعوا حول الكنيسة لوداع أحبائهم الذين قد يطول غيابهم إلى أكثر من ثلاث سنوات، لأن الاتفاق لا ينص على إتاحة الفرصة للمبعدين بلقاء ذويهم قبل نقلهم، وعليه فقد وقف الأبناء والزوجات والأمهات والآباء والأشقاء والشقيقات على أسطح المنازل المطلة على ساحة الكنيسة ملوحين بأيديهم ومرددين: «الله أكبر».

وصرح مسؤول أمني فلسطيني بأنهم لن يعتقلوا ولو لساعة واحدة، ولن تصدر ضدهم أية أحكام.

ووصف الرئيس عرفات رفع الحصار عن كنيسة المهد في بيت لحم بأنه«خطوة مهمة للغاية».

وأشاد الرئيس بالاتفاق. وقال عرفات : «إنها خطوة مهمة، وآمل أن يتم الانسحاب، من مدينة بيت لحم».

وأضاف الرئيس قوله:«أخيرا بعد نضال طويل، وتردد الجيش الإسرائيلي الذي واصل جرائمه ضد هذا المكان المقدس، انتهت أزمة حصار المهد».

وقال المفاوض السابق حنا ناصر رئيس بلدية بيت لحم: «إن المدينة دفعت ثمنا باهظا للاحتلال الإسرائيلي«الوحشي والمدمر»، وقال: «إن الحزن يخيم على المدينة رغم انسحاب القوات الإسرائيلية».

وذكر عدد من الذين تمكنوا من دخول كنيسة المهد يوم الجمعة أن الكنيسة لحقت بها أضرار، وكان سوء الحالة بالداخل واضحا للزوار بسبب طول فترة الحصار.

ووصف النائب في المجلس التشريعي وزير شؤون الاستيطان صلاح التعمري الاتفاق بأنه مجحف تماما في حقنا مشيرا إلى أن موضوع الإبعاد كان يجب ألا يوافق عليه، كما أن عدد المبعدين كان كبيرا جدا.

وحول انسحابه من المفاوضات حول الكنيسة قال التعمري: «إن ذلك كان أمرا طبيعيا »عندما أبلغنا بأن هناك قناة تفاوض أخرى وأنها على وشك التوصل إلى اتفاق».

وأكد أن الإسرائيليين كانوا يلعبون على عامل الوقت لإضعاف من في الكنيسة، حيث منعوا إدخال الطعام والماء والكهرباء للكنيسة بالإضافة إلى إطلاق النار المستمر.

وأضاف: «كان الإسرائيليون يصرون على تقديم قائمة بأسماء المحاصرين داخل الكنيسة، وكنا نرفض، وظل إصرارهم حتى اللحظة الأخيرة».

ويضيف التعمري: «إن الجانب الإسرائيلي يضغط بدباباته وطائراته وآلته العسكرية بالإضافة إلى الضغوطات العربية على الجانب الفلسطيني».

وحول وجوده في خيمة الاعتصام ببيت لحم تضامنا مع المبعدين قال التعمري: «أنا لبيت دعوة أسر المبعدين جئت للتضامن معهم، وأعتقد أن مطلبهم حق من حقهم أن يطمئنوا على أبنائهم، ومن حقهم أن يعرفوا مدة الإبعاد، من حقهم أن يطالبوا بعودة

أبنائهم، وأنا أساندهم في هذه المطالبة».

وقد رحب الفاتيكان بما وصفه «بالنهاية السعيدة» لأزمة كنيسة المهد، ورحبت الولايات المتحدة بما سمته بالحل غير العنيف لازمة كنيسة المهد. وأعرب الرئيس الأميركي جورج بوش في بيان له إنه ممتن ومسرور للحل غير العنيف للازمة. وأضاف بوش أن هذا الحل جاء كنتيجة إيجابية لجهود العديد من الأفراد والحكومات، وخص بالذكر جهود السفارة الأميركية بتل أبيب والقنصلية الأميركية في القدس المحتلة والاتحاد الأوروبي.

ورحبت روسيا بانتهاء المواجهة التي استمرت خمسة أسابيع في كنيسة المهد ببيت لحم سلميا، وقال المتحدث باسم الحكومة الروسية : «إن هناك حاجة لاتخاذ مزيد من الخطوات لنبذ العنف والتحرك في اتجاه تسوية سلمية».

وقالت وزارة الخارجية الروسية في بيان «تلقت موسكو بارتياح الأنباء التي ذكرت أن الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي توصلا إلى تسوية سلمية للموقف المتوتر حول كنيسة المهد في بيت لحم.

وقال بيان الوزارة : «إن المهم الآن التحرك أكثر نحو تطبيع الموقف في الأراضي الفلسطينية». وأضاف البيان«وهو أمر ملح تماما، فيما يعمل آخرون لإحباط جهود إنهاء الصراع. يجب عدم السماح لهم بتحقيق خططهم».

وبعد خروج جميع المبعدين الثلاثة عشر بدأ خروج المطلوبين الستة والعشرين إلى غزة ونقلوا على متن حافلات عسكرية إسرائيلية ترافقها حماية أميركية ـ أوروبية.

وقد استقبل الفلسطينيون المبعدون في غزة بالحفاوة والتكريم والهتافات وعبارات النصر لدى عبورهم حاجز بيت حانون «أيريز» شمال غزة.

وفي تصريحات لوكالة الأنباء الفلسطينية «وفا» قال أحد المبعدين الذي ربط كوفية سوداء على رأسه أنه لن يشعر بأي غربة في غزة، لأن كل التراب الفلسطيني هو تراب واحد متكامل ولا فرق بين بيت لحم وغزة وجنين.

ووصف سليمان محمد عبد الله من حركة «فتح» شعوره بالطيب، غير أنه ندد

بالممارسات التي مارسها جنود الاحتلال خلال عملية نقلهم إلى غزة.

وأضاف: «إن المقاومين تعرضوا للضرب المبرح، وتكسير الأيدي من قبل جنود الاحتلال»، موضحا أن الجنود نكلوا به وبزملائه وقاموا بضربهم بأعقاب البنادق، وإطلاق الشتائم، والسبب لأن أحد الشبان طلب منهم أن «يشرب ماء».

وتابع أنه «شكر الله» على إنهاء هذه الأزمة، بعد أن «مرت فترة صعبة كنا نتعرض خلالها للقتل والتجويع »حتى أننا أكلنا ورق الشجر للمحافظة على حياتنا».

وقال شاب آخر: «إنّ قوات الاحتلال قامت بعملية تفتيش مهينة للشبان، وأنه في أكثر من مرة تعرضنا للضرب وهناك زميل لنا كسرت يده، وهناك أخوة آخرون أصيبوا برضوض واضحة في أجسادهم».

«لقد أكلنا أوراق الشجر، وشربنا المياه الملوثة، وشاهدنا إخواننا ينزفون حتى الموت» بهذه الكلمات بدأ الفلسطينيون الذين وصلوا إلى غزة.

وقال ياسين الهريمي من كتائب شهداء الأقصى: إننا نشكر أهالي غزة على استقبالهم، حيث استقبلونا بدموعهم وفرحهم، مؤكدا أن الفلسطينيين كانوا يناضلون من أجل قضيتهم العادلة وكرامتهم.

وأضاف: أن المفاوض الفلسطيني اتفق على إحضارنا إلى غزة، ولم يكن من خيار آخر لتخفيف المعاناة عن شعبنا، حيث بقي ١٤٠ ألف شخص محاصرين في بيت لحم بسبب حصار الكنيسة.

وعن أيام الحصار أوضح الهريمي: أن الوجبة الغذائية التي تكفي عشرين شخصا كانت توزع على ٢٥٠ شخصا، وسقط الشهداء أمامنا دون غذاء أو دواء، ولم يكن لدينا ما نعالج به الجرحى ووقف نزف دمائهم، وشدد على أن شعار المحاصرين كان: «نموت واقفين ولن نركع».

أما مازن حسين من جنين فقال : «إن المحاصرين وزعوا أنفسهم إلى مجموعات، ونظموا أمورهم حيث قام البعض بالحراسة، وآخرون بتوفير الطعام والمياه». وأضاف إن تنظيم أنفسنا ساعدنا على البقاء والصمود والاستمرار في المقاومة.

وأكد أنه رغم الحصار المشدد فمعنويات المحاصرين كانت عالية، وكلما كان الحصار يشتد كان صمودنا وعزيمتنا يتعززان، مشيرا إلى أنه شخصيّا تناول أوراق شجر الليمون، وزملاء له تناولوا الأعشاب.

وأشاد بالاستقبال الكبير لأهالي غزة للمبعدين من بيت لحم وقال: «إن أول شهيدين سقطا في الكنيسة هما خالد أبو صيام، وحسن نبهان، وكلاهما من غزة، الأمر الذي يؤكد وحدة مصير ومستقبل شعبنا الفلسطيني.

وقال فهمي كنعان من بيت لحم: «إننا بين أهلنا وشعبنا في غزة، واستقبلونا بكل حب وترحاب نعتز به» وأضاف: «إننا وقفنا إلى جانب إخواننا المقاتلين للدفاع عن أرضنا، عندما اقتحم جيش الغزو بيت لحم وقد دخلنا الكنيسة للاحتماء لكن الجيش الإسرائيلي لا يعرف معنى الإنسانية، حيث أحرقوا أقدس كنيسة في العالم، وقتلوا فيها ثمانية فلسطينيين وجرحوا عشرين آخرين.

وأكد كنعان أن المحاصرين عاشوا أياما عصيبة، فقد كان قناصة الجيش يطلقون النار باتجاه كل من يذهب للشرب فيما كان الجرحى ينزفون حتى الموت، وعانينا من قلة الماء والطعام.

وقال جواد عبيات: لا أستطيع وصف مشاعرنا عندما شاهدنا أبناء شعبنا الوفي يخرج لاستقبالنا في غزة وكنت أتمنى لو كان إخواننا المبعدون إلى الخارج معنا في غزة، التي هي في النهاية جزء من فلسطين.

وأكد «أن الشعب الفلسطينيّ يرفض الإبعاد إلى الخارج، وكنا مستعدين للاستشهاد داخل الكنيسة على الاستسلام لكن للأسف تركنا العربُ نواجه الجيش وحدنا».

وأوضح عبيات أن قوات الجيش مارست حربا نفسية على المحاصرين، حيث كانت تارة تحاول إغراءهم بالطعام وأخرى بالحفاظ على أرواحهم وسلامتهم، وأضاف: «كنا نضع أصابعنا في آذاننا، حتى لا نسمع ما كانوا يبثونه عبر مكبرات الصوت المنتشرة حول الكنيسة».

وشدد عبيات على «أن المحاصرين قبلوا بالاتفاق لأنهم لم يجدوا أحدا يقف معهم، وسنكون في مقدمة المدافعين عن غزة إذا حاول الاحتلال اجتياحها».

من جهته أفاد محمود عطا سالم من مخيم الدهيشة قضاء بيت لحم، أن المحاصرين كانوا يدا واحدة، ومعنوياتهم عالية، وأطلق الجنود قنابل الصوت باتجاه الكنيسة مما أدى إلى حرق عدة غرف داخلها..

« أنا حزين لأننا لم نجد أحدا من العرب يقف معنا، حتى أبعدوا إخواننا إلى الخارج».

روى الأسير محمود أبو لبن من مخيم الدهيشة، المحتجز في سجن الرملة الإسرائيلي، لمحامية نادي الأسير «إليغرا باتشيكو» التي زارته في المستشفى مؤخرا، وأفاد أنه تعرض لتقييد قدميه أثناء علاجه من إصابة تعرض لها داخل كنيسة المهد، يوم الثامن والعشرين من نيسان الماضي على يد قناص إسرائيلي، بينما كان خارجا لقطف بعض الأعشاب ليأكلها المحاصرون في الكنيسة بعد انعدام الغذاء داخلها.

وكان أبو لبن قد تم نقله إلى مستشفى هداسا، حيث تلقى بعض العلاج بصورة جزئية، وهناك تم تقييد قدميه بالسرير على مدار الساعة، وكانت يداه مقيدتين معظم الوقت بقيود بلاستيكية تسببت له في الكثير من الأورام.

وقال أبو لبن: أنه بعد يوم واحد من العلاج، تم نقله إلى معسكر «عتصيون» حيث أمضى الوقت مستلقيا على نقالة لمدة ثلاثة أيام متتالية، لم يتم فيها تغيير الضمادات على جراحه، مما أدى إلى حدوث التهابات كثيرة وبعد ذلك، نقل إلى معسكر «عوفر» حيث رفض جيش الاحتلال استقباله، فأعيد من جديد إلى معسكر عتصيون، وبعدها نقل إلى سجن «هداسا»، حيث مكث أسبوعا، ومن ثم نقل بعد ذلك إلى معسكر «عوفر» مجددا ثم إلى مستشفى الرملة.

وقال أبو لبن: أنه في سجن «هداسا» أقرَّ الطبيبُ بالحاجة إلى إجراء عملية جراحية له، ولكنها لم تجر. وقال: إن الجنود والحراس في مستشفى «هداسا» كانوا عدوانيين جدا معه، ومع جميع الجرحى الفلسطينيين هناك، إذ منعوا عنهم الطعام، وظلت أيديهم وأرجلهم مقيدة طول الوقت.

وتساءل أبو لبن في بيان صادر عن نادي الأسير« لماذا استثنى الجرحى الذي غادروا الكنيسة من الاتفاقية، التي أبرمت حول المحاصرين في كنيسة المهد، مطالبا بالعمل على إطلاق سراحهم».

شهداء في موكب الحصار

مثل كل قائد عسكري فذ، كان شعاره «اتبعوني»، ولم يكن يقول لجنوده تقدموا، جمع بين الموهبة القيادية العسكرية والخبرة والدراسة عاش حياته جنديا مناضلا، والجندية في جوهرها فداء وانضباط وحزم وتضحية، وصدق، صدق في الانتماء، وصدق في السلوك، وصدق في الأداء.

المناضل الشهيد أحمد مفرج «أبو حميد» التقيته في ربوع صنعاء بعيد الخروج من لبنان، كان متواضعا، بسيطا، مفعما بالحيوية والحياة، مشبعا بالروح العسكرية النضالية وكان – رغم مرارة المنفى والبعد – يعمل من أجل تثوير اليمن وحشده وإيقاظ مشاعره القومية والعربية من أجل فلسطين التي كان يؤمن بأن فجرها سيطل قريبا.

بعيد أوسلو وعندما كانت طلائع منظمة التحرير الفلسطينية تشد رحالها إلى الوطن، كان أبو حميد في حالة من الفرح والنشوة والسعادة بدرجة لا توصف، حبه لأرض وطنه غزة كان لا يفوقه حب إلا الرغبة في النضال والقتال دفاعا عن حلمه المنشود، وأمله الأخضر في رؤية وطنه محررا، عزيزا نظيفا.

تعتبر حياة الشهيد «أبو حميد» سجلا وثائقيا للنضال الفلسطيني، فهو رجل يختزل في سيرة حياته تاريخ ثورة وكفاح أمة أو لنقل أنه شاهد حي على كل مرحلة من مراحل التاريخ الفلسطيني النابض بالثورة والدم والفداء.

عندما أعلن عن تأسيس جيش التحرير الوطني الفلسطيني في منتصف الستينيات من القرن الماضي كان الشهيد أبو حميد في طليعة الضباط الذين انضموا إليه، وعندما كانت الثورة الفلسطينية في أعقاب هزيمة حزيران تتخذ من أغوار الأردن قاعدة ومنطلقا؛ كان أبو حميد قائدا عسكريا يقود المناضلين الفلسطينيين مع رفاقه أبو عمار وصلاح خلف وأبو جهاد وأبو صبري.

وقد شهدت ربوع الأردن الخضراء في الطفيلة، والكرك وغور الصافي فصولا من انتصارات الجندي المحارب أحمد مفرج، وكان شاهدا هاما على تلك الأحداث الدموية التي جرت في ذلك الخريف الأسود من عام ١٩٧٦م في أحراش جرش، حيث سطر رفيقه أبو علي إياد فصلا رائعا في فصول الكرامة والآباء، وفضل الشهادة على الركوع.. أما أبو جهاد فقد كان العقل المفكر للطريقة التي نجا بها العديد من القادة والجند من

خيرة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ومنهم الشهيد أبو علي مصطفى وآخرون.

بموهبته العسكرية الفذة كان يعرف متى يهاجم ومتى يتحفز ومتى يتراجع، ومتى يكون بعيدا عن الأنظار.

هذه الموهبة الفطرية، وتلك الشعلة المتوهجة في فن القيادة العسكرية، تعهدها بـلدراسة والثقافة والخبرة، ونماها بالإخلاص والصدق والتواضع، فنال جماهيرية رائعة جعلته في صفوة القادة العسكريين الذين كان الرئيس عرفات يمنحهم ثقته، فشرفه بأن يكون قائدا لقوات جيش التحرير الوطني في المنطقة الجنوبية من قطاع غزة.

كانت الجندية مفتاح شخصية أحمد مفرج، وذلك إذا جاز لنا أن نستعير أسلوب عباس محمود العقاد في تحليل الشخصية العبقرية فالجندي هي ألصق الصفات بفارسنا القائد، الذي ولد وترعرع في مدينة غزة عام ١٩٣٨ وشهد أحداث فلسطين الدامية عام ١٩٤٨م ، عندما كان صبيا في العاشرة من عمره، ولكن المأساة انطبعت في ذهنه ووجدانه وحواسه، وأدرك منذ تلك اللحظة المبكرة من حياته، أن قدره أن يناضل من أجل وطنه، وأن عليه واجبا مقدسا، وهو أن يحمل السلاح ليبدأ رحلة العودة إلى القدس الشريف، مدينة القلب والروح والفؤاد.

كان أبو حميد جنديا في كل ما يقول وما يفعل وما يفكر، فهو لا يغادر ثيابه العسكرية في ساعة من ليل أو نهار، دائما كان مستعدا جاهزا متحفزا ليلبي نداء الواجب ومن إمارات أنه كان جنديا في روحه وضميره، وأفكاره أنه امتاز بصفة المبادرة.. ومن هنا يمكننا أن نفهم كيف أسس أول فصيل فلسطيني مقاتل في حياته باسم «مجموعة الشهيد أبو هاني»، وما أن انطلقت الثورة بقيادة حركة «فتح» حتى كان «أبو حميد من أوائل الذين انضووا تحت لوائها، جنديا باسلا ومقاتلا واعيا ومؤسسا مبادرا.

وشهد أبو حميد كثيرا من فصول النضال الفلسطيني، قائدا مخططا وجنديا محاربا، فكان أحد أبطال معركة الكرامة التي كانت بحق أول معركة ينتصر فيها الجندي العربي على المقاتل الإسرائيلي.

وفي معارك لبنان الضارية خاض أبو حميد ملاحم بطولة وفداء فقد عرفته قلعة شقيف، وتلال وأودية ووهاد وجبال لبنان جنديا مقاتلا ، يعرف كيف ينتزع النصر من بين أنياب العدو الإسرائيلي الضاري.

وفي حرب بيروت الملحمة الفلسطينية الخالدة عام ١٩٨٢م، كان أبو حميد نِسرا محلقا في سماء المعركة، تصدى بصحبة رفيقه ياسر عرفات لأشرس معركة شهدتها المقاومة العربية لإسرائيل على امتداد اثنين وثمانين يوما، وجرعت شارون مرارة الهزيمة وأرسلته إلى لجان التحقيق.. ومن ثم إلى العزل من وزارة الدفاع، فكان أول وزير دفاع في إسرائيل يتم إقصاؤه عن منصبه بسبب فشله الذريع وكذبه وتضليله ودمويته.

وعندما اندلعت ثورة الانتفاضة الثانية، انتفاضة الأقصى كان في طليعة العسكريين الأبطال الذين تصدوا للدفاع عن تراب الوطن العزيز وأرواح المواطنين البسطاء المسالمين، وكان دائما في الصف الأول لم يمنعه منصبه الرفيع ولا مسؤوليته الأدبية، ولا حساسية موقعه، لم يمنعه كل ذلك من أن يكون في الصفوف الأولى، ويؤكد ذلك استشهاد مرافقه الأول، ومن ثم استشهاد ثلاثة من مرافقيه الأبطال، وكان أبو حميد قائدا بعيد النظر لا ينظر إلى الأمور بعين متسرعة غاضبة، ولا يحكم على الأمور من خلال لحظة انفعالية عابرة.

كان دائما ينظر إلى الوطن، نظرة كلية شاملة.. نظرة القائد الخبير، الذي يعرف كيف يقيّم الأمور، وكيف يفهم اتجاه الريح، ويدرك برصانته وحكمته أن الجندي قد يتراجع خطوة ليتقدم بعد ذلك عشر خطوات.

ومن صفات فارسنا البطل.. أنه كان زاهدا مترفعا، لم يكن يهمه من منصبه إلا أن يكون بين رفاقه من الجنود والمناضلين يعاملهم بكل تواضع وحب، ويتواصل معهم، ويسهر على حماية أرواحهم.. بفكره وسلاحه وقراره وحكمته.

كلُّ من عرف القائد الشهيد أكبر فيه هذه الثنائية الرائعة التي لا تتوفر إلا في العظماء من الرجال التواضع والحب والتواصل مع الجماهير، والحزم والانضباط والقوة التي لا تعرف التهاون أو الانفلات.

إن حكمة الله العظيمة تختار دائما للبطل نهاية محكمة، وفصلا بديعا رائعا يليق بسيرته وعطائه وتاريخه، وأي فجر أعظم وأنبل وأجل من الشهادة على ثرى عبسان شرقي مدينة خانيونس في اليوم الثامن من آذار عام ٢٠٠٢م .

* * *

ومن شهداء موسم الحصاد الدامي استشهاد الأخوين الدميسى.

لم يكن هناك موعد مسبق مع أبو رياض للحديث عن ولديه اللذين استشهدا واحدا تلو الآخر خلال أقل من ستة أشهر وفي الفترة ما بين أواخر عام ٢٠٠١ وحتى الاجتياح الأخير لمدينة رام الله في أواخر آذار الماضي.

كنت ذاهبا أنا وزميل لي في زيارة «شخصية» إلى الفندق الذي يملكه أبو رياض في المدينة، ولم نكن نعلم انه فقد اثنين من أبنائه، إلا أن صورة ابنة الشهيد أحمد الدميسي (٢٦ عاما) الذي استشهد بتاريخ ١٣/ ١٢/ ٢٠٠١ أثناء اجتياح قوات الاحتلال الإسرائيلي لمنطقة الطيرة في ضواحي رام الله هي التي جعلتا نطرق الموضوع ونتحدث مع أبو رياض (٧٠عاما) ابن مدينة يافا عن استشهاد ولديه.

وبعد أن حدثنا عن خصال ابنه الشهيد أحمد قائلا: كان يحب الحياة يوم استشهاده صادف ٢٨/ رمضان / ٢٠٠١، وعندما علم أحمد بنبأ الاجتياح حيث كان وقتها ساهرا مع عدد من أصدقائه غادرهم حاملا سلاحه حيث قال لهم:الذي يريدني يأتي إلى المقبرة يوم العيد! وتوجه أحمد في نفس الليلة من مدينة البيرة حيث يسكن إلى منطقة الطيرة حيث استشهد بعد اشتباك عنيف مع قوات الاحتلال الإسرائيلي نحو الساعة الخامسة صباحا.

ويتذكر أبو رياض تفاصيل ليلة استشهاد أحمد كما رواها له أصدقاؤه، حيث قال بحزن: كان أحمد مع مجموعة من رفاقه يقاوم دبابات الاحتلال، التي كانت تحاول التقدم في أحد شوارع الطيرة، وبعد فترة جاءهم أمر من مركز القيادة بالانسحاب نظرا لكثافة وقوة نيران الدبابات الإسرائيلية. وعندما بقي أحمد مع زميل له اسمه موسى الفرا من أجل التغطية على انسحاب رفاقهم، وبعد دقائق أصيب موسى إصابة بالغة.. ويصمت أبو رياض قليلا ثم يتابع حديثه بفخر واضح:

اتصل ابني أحمد طالبا سيارة إسعاف لنقل موسى، بعد أن وضعه قرب حائط، وبقي يقاوم وحده نيران الدبابات من خلف جذع شجرة زيتون كبيرة، لكن سيارة الإسعاف لم تصل، وبعد وقت بدأت طائرة أباتشي إسرائيلية تطلق نيران رشاشاتها وقذائفها على الموقع الذي يتواجد به أحمد، وأضاف أبو رياض بحزن: لقد أصابت إحدى قذائف الطائرة أحمد في رأسه وفصلته تماما عن جسده ومزقته حيث اختلط اللحم مع الشعر مع مخه.

وأوضح قائلا:«لقد كان النطق بالشهادتين آخر الكلمات التي قالها أحمد للقيادة عبر جهاز اللاسلكي قبل لحظات من استشهاده».

والشهيد أحمد متزوج ولديه ولدان إياد (٤ سنوات) وجهاد (سنتان) وقال إياد ابن

الشهيد أحمد ويبدو أنه كان يتحدث عن حلم رآه: جاء أبي ونام عندي لكن اليهود طخوه. وعندما سألته أين أبوك الآن يا إياد؟ أجاب قائلا وهو يلهو بعكاز جده ـ أبو رياض ـ لقد دفنوه في الجنة!!

أما الابن الثاني لأبو رياض الذي استشهد في اليوم الأول للاجتياح الإسرائيلي الأخير لرام الله فأسمه رائد (٢٤ عاما)، وكان قد خطب فتاة تسكن في الأردن منذ حوالي ستة أشهر إلا أن سلطات الاحتلال رفضت إعطاءها تصريح زيارة للضفة الغربية، وهذا أدى إلى تأجيل عقد قرانه، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى شهيدا في قافلة الشهداء.

ويروي أبو رياض متذكرا يوم استشهاد رائد فيقول :قبل أيام من الاجتياح استشهد صديق لرائد يسمى محمد أبو لطيفة، وهذا أدى إلى إصابة رائد بما يشبه الصدمة النفسية، حيث كان يردد دائما عبارة: «أريد أن أذهب عند أحمد شقيقي الشهيد، وصديق الشهيد محمد».

وأضاف أبو رياض وقد بدا التأثر واضحا على وجهه:«ابني عضو في القوات الخاصة، وهو مطلوب لسلطات الاحتلال، وفي ليلة الاجتياح الأخير لمدينة رام الله كنا جالسين في المنزل، ونصحته أن يبقى في المنزل حفاظا على حياته، إلا أنه صمم على الالتحاق بزملائه لمواجهة القوات الغازية في رام الله التحتا».

وتابع أبو رياض باعتزاز واضح: لقد تربى أبنائي ومنذ أيام الانتفاضة على حب الوطن، والنضال من أجل تحريره، فهم أعضاء في حركة فتح منذ صغرهم وأثناء الاجتياح الإسرائيلي لرام الله، أبدى المقاتلون الفلسطينيون ومنهم رائد مقاومة عنيفة حيث اشتبكوا مع قوات الاحتلال لعدة ساعات، وبعد ذلك تراجع رائد ومجموعة من رفاقه إلى شارع ركب في رام الله، حيث اختبؤوا بجوار أحد المطاعم، لكن قناصا إسرائيليا كان لرائد بالمرصاد حيث أصابته رصاصة قاتلة، دخلت في بطنه وخرجت من ظهره محدثة تهتكا ونزيفا داخليا حادا أدى إلى استشهاده.

وتابع أبو رياض وقد دمعت عيناه: لقد شاهدت عملية استشهاده على شاشة إحدى الفضائيات العربية في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢، ولم أكن أعرف أنه ابني إلا بعد أن اتصل بنا أقارب لنا من الأردن، وأخبرونا بالأمر، وقد بقي جثمان الشهيد رائد مع جثامين العديد من الشهداء في ثلاجة مستشفى رام الله لمدة خمسة أيام إلى أن سمحت قوات الاحتلال لإدارة المستشفى بدفنهم بقبر جماعي في حديقة المستشفى بعد أن رفعت حظر التجول لعدة ساعات.

ويقول أبو رياض عندما رفع حظر التجول: اتصلت بمدير المستشفى الذي استطاع أن يؤمن لنا سيارة إسعاف للمنزل حيث ذهبت والدته مع بعض شقيقاته وأخرجناه من الثلاجة لدفنه في مقبرة البيرة، في قبر ملاصق لقبر شقيقه أحمد، وكان هذا القبر محفورا وجاهزا ولا نعرف من الذي حفره.

وهنا أجهش أبو رياض بالبكاء وهو يقول:«قبل الاحتلال الإسرائيلي لرام الله بثلاثة أيام، روى لي بعض أصدقائه انه ذهب إلى ذلك القبر الذي دفن فيه وسأل أصدقاءه:هل تعرفون لمن سيكون هذا القبر؟

ويضيف أبو رياض والدموع ما زالت تنهمر من عينيه:«في كثير من الأحيان كان يذهب ليلا ويجلس بجانب قبر أخيه ويبكي».

ثم أشعل أبو رياض سيجارة، وطلب لنا القهوة، وعندما سألته هل تحكى لنا عن مشاعرك بعد سقوط اثنين من أبنائك شهداء، فأجاب:«نحن نؤمن بالله ورسله وكتبه، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ثم قرأ الآية القرآنية: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾.

وأضاف: «الحمد الله أبنائي بين يدي الله تعالى، ولقد أنعم عليهم بالشهادة، ونرجو من الله أن يتقبلهم بين الشهداء والصدّيقين».

واستطرد قائلا:«لقد انضموا إلى قوافل الشهداء، الذين رووا بدمائهم الزكية أرض فلسطين.

والدة الشهيد أم رياض (٦٠ عاما) من مدينة الرملة التي احتلت عام ١٩٤٨، دخلت علينا والدموع ملء عينيها، وقد رسم الزمن على وجهها آثار الحزن والمعاناة - قالت: كان أولادي يحبون بعضهم كثيرا، وكان رائد دائما يقول: أريد أن أذهب عند أحمد (شقيقه الشهيد)، لقد ذهب وتركني، وتذكرت يوم استشهاد ابنها رائد قائلة «كنت يوم استشهاده جالسة أشاهد قناة أبو ظبي الفضائية، حيث رأيت على شاشة التلفزيون جثة هامدة بعد أن أطلق الجنود الإسرائيليون النار عليها، ولم أكن اعرف أنه ابني، ولكني قلت: «يا حرام هذا الشاب قتلوه اليهود». وتقول أم رياض: كان رائد أحب أولادي إلى قلبي، وكثيرا ما كان يحضر إلى غرفتي في المنزل ويسلم علي ويقبل يدي ويطلب رضاي.

وتضيف: كثيرا ما كان يذهب لقبر أخيه الشهيد احمد ويبكي بجانبه، حيث كان يقول:

لقد ذهب أحمد وتركني وحيدا، يجب أن الحق به!!

ومن الفرسان الشهداء الذين يعدون نموذجا رائعا للبطولة والفداء في هذه المرحلة من نضال الشعب الفلسطيني الشهيد مهند أبو حلاوة.

بدأ الليل يغشى المدينة، ولم تعد المروحيات مرئية في السماء قبل أن تغير على سيارة استقلها مهند أبو حلاوة وعدد من رفاقه في كتائب شهداء الأقصى.

فجأة، أطلقت مروحية إسرائيلية صاروخا بينما كانت تحلق فوق البيرة مع خمس أخريات، ولوحظ شهاب ينبثق من السماء، وبعدها سمع صوت انفجار في المكان، فصار مهند ورفاقه وشما فوق فوهات البنادق.

ولد مهند سعيد منيب أبو حلاوة (٢٥ عاما) في مدينة الزرقاء، حيث اضطرت أمه للعيش هناك قسرا، لاجئة من عقربة (٨ آلاف نسمة) القرية التي أنجبت أمهاتها عبد الله البيروتي أبو حلاوة الذي عرف بلقب «أبو بارودتين» لمقاومته الاستعمار البريطاني خلال ثورة عام ١٩٣٦.

في تلك الأيام التقى أبو حلاوة، الجد، بخميس العقرباوي، وفرحان السعدي، وفخري عبد الهادي، وجميعهم التحقوا بتنظيم القسام وقرروا المضي في الثورة.

هؤلاء من الرعيل الأول ومن جذور الثورة الفلسطينية هبوا لمساعدة الثوار في منطقة رام الله والبيرة حيث ألحقوا هزيمة بالمستعمرين الإنجليز، وتباهت بنضالهم النسوة، فرددن أهزوجة : «أنا وخوي عبد الله، حررنا البيرة ورام الله».

مفارقة غريبة تفصلها ستة وستون عاما خلت، توارثها الأحفاد، فاختزلوا الزمن، وقصّروا المسافة. في نفس المكان رام الله استشهد مهند حفيد عبد الله.

عاد الطفل مهند ابن الست سنوات ترافقه جدته، فلامست قدماه أرض عقربة، وترعرع في أزقتها، وأبنيتها التي عاش فيها أجداده، حيث لا أقارب، فالعائلة مشردة من القرية عاش حياة قاسية، فكان أن لفت شخصيته بالصمت، وحملت نظراته الحادة المعاناة في كنف العجوز.

التحق بـ «القوة ١٧» أمن الرئيس عرفات مع بدء عودة طلائع المناضلين إلى أرض الوطن، وبسط السلطة الوطنية سيادتها على جزء من أرض فلسطين بعد توقيع اتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.

يقول رفاقه : أنه شب وترعرع على المعاناة والألم فتحولت عذاباته إلى مقاومة صلبة، وعكست مواقفه ملامح شخصية ثائرة تطلعت إلى أمل المستقبل فغدا قائدا في الرعيل الأول ممن أطلقوا رصاصات كتائب شهداء الأقصى ضد الغزاة.

في تلك الأثناء عرف عنه الجرأة وهدوء الأعصاب خلال صنع القرار تحت شجرة زيتون هو وزميله أحمد الذي سبقه في نيل الشهادة وخالد الذي أقعدته رصاصات غادرة أصابته في الظهر.

ولم يتوان لحظة عن مد جسر التواصل مع أمه في المنفى، وحرص على مهاتفتها في كل يوم لتعلقه بها منذ نعومة أظافره.

وفي المرة الأولى (٤ آب) من العام الماضي نجا من محاولة اغتيال غادرة قبل عدة أشهر، حيث أصاب صاروخ أطلقته طائرة إسرائيلية من نوع «أباتشي» السيارة التي يستقلها مباشرة، ولنباهته قفز من النافذة قبل عشر ثوان من إطلاق صاروخ آخر فنجا بأعجوبة لكنه أصيب بحروق في وجهه.

وفي كل مساء رصدت الطائرات مكانه وتعقبه الجبناء، وعلى طول المسافة على الشارع إلى بيتونيا كانت المروحيات الست تتربص بسيارته فكان الصاروخ الأول الذي أصابها مباشرة، ثوان قليلة مرت وتبعه صاروخ آخر فحولها إلى كتلة حديد تقطر دما اختلط لونه بلون دخان أبيض داكن اللون ينساب على الأرض.

مهند وفوزي وعمر صعدوا بيارق إلى السماء أما جثامينهم فحملت على الأكف إلى مسقط رؤوسهم، ولدى وصول جثمان مهند إلى قرية عقربة التقت قرى المشاريق قادمة من كل حدب وصوب لتشييعه، عشرة آلاف، شيوخا ونساء وأطفالا ساروا خلفه وعلى السهل الممتد بمحاذاة قاع تلتقي عنده الجبال الراسخة فوقها منازل عقربة حلقت العيون نحو الأفق محاولة الإمعان في سماع صدى الهتافات الذي تردد .. فلسطين ... فلسطين ... وكأنها افترشت أرضا في فصل ربيع حار ابتلعت جسدا تاق لحنينها وتبلل حذاؤه بطينها.

في ذروة الحصار.. الرئيس يطرق باب الذكريات

تعودت أن التقي الرئيس من أن لآخر بصحبة إعلاميين معروفين من الشرق والغرب، عرب وعالميين وإسرائيليين، ومن كل الجنسيات، ممن أعرف لهم وزنهم وحضورهم على الساحة الدولية وموضوعيتهم وتعاطفهم مع القضية الفلسطينية.

في هذه المرة وفي غمرة الحصار، ذهبت بصحبة الزميل أمجد عرار الذي كان يعمل معنا في صحيفة فلسطين.

عندما وصلنا إلى غرفة الرئيس، خُيل إلينا أننا نهم بدخول غرفة في مستشفى فهناك جهازان وضعا في زاويتين تخرج منهما أنابيب شفافة مملوءة بالماء تصب في قوارير صغيرة كان الرئيس منهمكا في قراءة أوراق أمامه. ولما سألنا عن حقيقة هذين الجهازين قال الرئيس: إنه بناء على فحص طبّي تبين أن نسبة الأوكسجين في الغرفة لا تتعدى الـ ٤٠ في المائة أي أن هناك نقصا في غاز الحياة بنسبة ٦٠ في المائة.

كانت رحلة الدخول إلى مقر الرئاسة، تشبه مسيرة الشعب الفلسطيني نحو الحرية.. صعبة وقاسية. يوسي سريد شبه الجيش الإسرائيلي بشركة مقاولات، ولكنه أخطأ التشبيه ولم يوفق في المقارنة. فشركات المقاولات تبني.. ولا تهدم إلا لإقامة بناء جديد.. أما الجيش الإسرائيلي فيهدم من أجل الهدم إنه لا يعرف من البناء سوى المستوطنات.. عملية هدم منهجي لحياة شعب آخر، وأي شعب؟ إنه شعب الجبارين.

مشهد المقاطعة إذاً اختزال لقضية، فهو تصوير لمعاناة مستمرة وشاملة.. ولكن من يستطيع أن يجادل في أن حرية الشعب الفلسطيني القادمة لا محالة، ستكون أجمل حرية في التاريخ؟ فمن الذي يستشعر قيمة الدفء أكثر ممن جرب لسعة البرد؟

كان لقاءً دافئا في ليلة شتاء دافئة، في ذروة حصار الرئيس خلف أسوار المقاطعة. كانت زيارة تضامنية، ولم نكن ننوي المكوث طويلا نظرا لمشاغل الرئيس، لكن اهتمامه بالأوراق بدأ ينسحب تدريجيا إلى أن تفرغ للحديث معنا، وبكامل الانسجام والود، لدرجة التجديف بعيدا عن الأجواء الرسمية، خاصة في حديث الذكريات الشخصية.

طال الحديث لعدة ساعات وتجاوزنا منتصف الليل.

وكان الرئيس لا يزال يحدق في أوراقه، سألناه: كيف يؤثر هذا الحصار على عملكم؟ فرد على السؤال بسؤال:«وهل هذا هو أول حصار؟ حوصرت في جرش وعجلون، وأمضيت عامين بين ثلوج جبل الشيخ في بداية السبعينيات. ولا تنسى حصار بيروت. سألناه: ولكن الآن الوضع مختلف والحصار الحالي يرافقه انحياز أميركي سافر.. فقاطع الرئيس: ومنذ متى لم يكن الموقف الأميركي منحازا؟ في حصار بيروت جاء المبعوث الأميركي فيليب حبيب وعرض علينا الخروج إلى دمشق في سيارات الصليب الأحمر. طلبت مهلة قبل الرد، وأديت صلاة الاستخارة وأطلقت مقولتي الشهيرة: «هبت رياح الجنة»، وخضنا معركة

تاريخية خسر فيها الإسرائيليون ما لم يخسروا مثله في معاركهم السابقة، ونحن قدمنا ٦٢ ألف شهيد، ثلثهم لبنانيون والثلثان فلسطينيون. كنت أثناء الحصار أنام معظم الليالي في السيارات، وبعد الصمود الأسطوري الذي مثلته ملحمة بيروت خرجنا إلى الأماكن التي حددناها، وبأسلحتنا منا من بقي في البقاع ومنا من خرج بإرادته إلى بعض الدول العربية. وكما تذكر أنا ذهبت إلى اليونان، واستقبلت استقبالا رسميا حافلا حيث كان في استقبالي الرئيس أندرياس ببندريو وكان حينها عمدة أوروبا وبعدها ذهبت إلى تونس واستقبلني المرحوم الحبيب بورقيبة استقبالا رسمياً.

صمت عرفات قليلا وتابع معلقا: كل حصار له طبيعته وظروفه ومعطياته، وله أيضا محاسنه ومساوئه نحن تعودنا على كل ذلك ثم حدق للأعلى وتذكر: كنت قائدا للمقاومة المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو. وكنت لم أتجاوز السابعة عشر من عمري. وجاء بعدي قائد اسمه عمر شاهين قتل بعد ثلاثة أيام من تسلمه القيادة، في غارة جوية. وفي إطار قيادتي للمقاومة حينها أقمت علاقات مع عدد من الضباط الأحرار الذين فجروا الثورة بعد ذلك. وقد تحدث خالد محيي الدين ـ وهو أحد ضباط ثورة يوليو ـ عن تلك الأيام وذكر في كتابه أنني ذات يوم قلت له: أنت شيوعي فرد بالقول: كيف عرفت؟ قلت له من أطروحاتك. ويواصل الرئيس حديث الذكريات: عندما ترأست مجلس اتحاد الطلبة في الجامعة عرضت على محمد نجيب (أول رئيس بعد الثورة) أن يصبح رئيسا فخريا للمجلس ووافق وظلت صورته معلقة في مكتب المجلس حتى غادرت مصر.

ويتذكر محطة أخرى: حرب أكتوبر كانت ثلاثية المشاركة من الجانب العربي، مصرية ـ سورية ـ فلسطينية، ونحن كان لنا دور فاعل حيث ساهمنا في تحرير القنيطرة، وسقط لنا في تلك المعركة كتيبتان.

لنقترب من واقعنا قليلا: إلى أي مدى تكمن خطورة قرار الكونغرس اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل؟ رد عرفات: إن الكونغرس لا يقرر السياسة الخارجية الأميركية فهي من صلاحيات مؤسسة الرئاسة. ولكن خطورة قرار الكونغرس الأخير أنه حظي بتوقيع الرئيس جورج بوش. صحيح أن بوش أعلن أنه لن يلتزم بالقرار، ولكن قد يأتي رئيس بعده ويقول أن: «أمامي قرارا أصدره الكونغرس ووقعه الرئيس وأنا سألتزم بتنفيذه». ويضيف عرفات، لذلك أنا تعمدت أن أوقع قانون «القدس عاصمة الدولة الفلسطينية».

وخطر في ذهني سؤال له علاقة بموازين القوى، ومدى تأثير القرار الفلسطيني بهذا

الصدد وسألت الرئيس: لماذا لا تطلبون قرارا مشابها يصدر عن لجنة القدس مثلا؟ فرد الرئيس على الفور: هذا الطلب في طريقه إلى اللجنة، ونحن نسعى لعقد اجتماع لها من أجل بحث هذا الموضوع، فموضوع القدس ليس موضوعنا وحدنا. تذكرون بعد انتهاء مفاوضات كامب ديفيد دعوت إلى اجتماع للجنة القدس، وعرضت أمامهم خلال الاجتماع ما عرض علينا في كامب ديفيد بشأن القدس.. قلت لهم أنتم ابحثوا الموضوع وقرروا وأنا سأتبنى ما تقررونه، ولن أشارك في التصويت، لأن موقفي معلن ومعروف. وفي نهاية النقاش قرروا رفض تلك المقترحات.

وعن ذلك العرض الإسرائيلي أوجز الرئيس أنه يتضمن سيادة فلسطينية على الأقصى، وسيادة إسرائيلية أسفله، إضافة للسيطرة على الحي الأرمني.

صمت الرئيس قليلا عندما كان يتحدث عن أحياء القدس وشدته الذكريات. لقد عشت طفولتي في القدس، عندما توفيت والدتي، أصر أخوالي على أن أعيش أنا والدكتور فتحي عندهم، وعشنا في زاوية سعود في وقت لاحق جاء اليهود وعرضوا على خالتي أم موسى أن تبيعهم بعض أملاكنا فقالت لهم أما أنا فلن أبيع، وأخذوها بالقوة، (وقد رويت ذلك للملك فيصل والرئيس السادات عندما كنا ذات مرة في السيارة من المطار إلى قصر السادات، لكي أشير إليهم لأهمية موضوع القدس).

سألت الرئيس عن دور السعودية في مفاوضات كامب ديفيد فقال: كانوا على اتصال دائم معنا، وكنت أتشاور معهم باستمرار، وأطلعهم على كل شيء، وكان موقفهم نفس موقفنا وقد نشرت تقارير حول الخلافات بين السعودية وأميركا بعد فوز بوش فسألت الرئيس: هل لتلك الخلافات علاقة بمفاوضات كامب ديفيد؟ فقال: جزء من هذه الخلافات يعود إلى تلك المفاوضات ولكن لا تنسى أن الرئيس بوش فاز بفعل الأصوات العربية لأن اليهود لم يصوتوا له. وبالمناسبة هم (اليهود) سيسقطونه كما أسقطوا والده.

وسألت الرئيس عرفات: هل تعتقد أن الرؤساء الأميركيين السابقين كانوا أقل انحيازا لإسرائيل.. قاطع الرئيس بالقول: لماذا السابقون؟ جورج بوش الأب، عندما تم إخراج القوات العراقية من الكويت تعرض لضغوط من قبل بعض الأوساط (ذكرها وطلب عدم نشرها) لكي يجتاح العراق ويسقط نظام صدام حسين، إلا أنه رفض إدخال أي جندي إلى العراق بعدما خرج العراقيون من الكويت.

وواصل الرئيس حديثه في سياق استعراض العلاقة بين أميركا.

وإسرائيل: بعد العدوان الثلاثي على مصر، انسحب الفرنسيون والبريطانيون من الأراضي المصرية التي دخلوها، وبقي الإسرائيليون في بعض المناطق في سيناء. وعندها جاءتهم الأوامر من الرئيس الأميركي في حينه أيزنهاور بالانسحاب خلال مدة محددة، وتم الانسحاب الإسرائيلي فعلا قبل المدة التي حددتها واشنطن.

في هذه الأثناء، دخل أحد مرافقي الرئيس عرفات يحمل صورة نشرتها وسائل الأنباء، وتجمع بين عرفات وكارتر (الرئيس الأميركي السابق) لمناسبة منحه جائزة نوبل للسلام، علما بأن الرئيس عرفات نال هذه الجائزة أيضا. وقد اتصل عرفات بكارتر وهنأه على الجائزة. وتذكر الرئيس: في مفاوضات كامب ديفيد المصرية الإسرائيلية حصل خلاف شديد بين السادات وبيغن، لدرجة أن السادات حمل حقائبه وقرر المغادرة إلا أن كارتر أوقفه، وطلب منه البقاء حيث وضع (كارتر) صيغة لحل وسط أنهى الخلاف.

وفي مؤتمر مدريد للسلام (عام ١٩٩٠م) تذكرون كيف أن بوش الأب ضغط على شامير وأجبره على المشاركة في المؤتمر.

يكثر الرئيس عرفات عادة من الحديث عن مصر، ويبدو أن لها مكانة خاصة لديه، وهذا أمر طبيعي لمن عاش فترة شبابه ونضاله الأولى في هذا البلد. سألنا الرئيس: تحدثت عن فترة ما قبل ثورة يوليو ولكن ماذا عما بعدها؟ فقال أن علاقة حميمة كانت تربطه بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر. واستذكر أن عبد الناصر أعطى أوامره بقبول الطلّبة الفلسطينيين في الكلية الحربية وكان أمرا ممنوعا قبل ذلك، كما تذكر مقولة عبد الناصر الشهيرة أن «فتح وجدت لتبقى»وأضاف عليها الرئيس عرفات «ولتنتصر».

وعن السادات قال: « طلبت منه مساعدة الطلبة الفلسطينيين الدارسين في مصر، فأعطى أوامره بإعفاء كل الطلبة الفلسطينيين هناك من الرسوم الدراسية في الجامعات المصرية. وسألت عن علاقة الرئيس بالسادات بعد معاهدة كامب ديفيد فقال: على المستوى الشخصي العلاقة استمرت أما على المستوى الرسمي فلم تكن هناك علاقة، لقد كان هناك قرار عربي، وتذكر الرئيس: عرض علي السادات اقتراح وافق عليه مناحيم بيغن ويقضي بإقامة دولة فلسطينية تضم العريش ولكنها تستثني القدس، إلا أننا رفضنا الاقتراح.

سردت أمام الرئيس حدثا أورده د.جورج حبش في إحدى لقاءاته الصحفية وكان يتحدث عن العلاقات الفلسطينية الداخلية وموضوعة الوحدة الوطنية وما يعتريها من خلافات في مراحل معنية من مسيرة النضال الوطني، حينها قال الحكيم أثناء حصار

بيروت والقصف الجهنمي الذي كانت تتعرض له على مدار الساعة، كنا نلجأ إلى العمارات المقصوفة؛ لأنه يفترض ألا يعود الطيران الإسرائيلي لقصفها. وأضاف الحكيم دخلت إلى عمارة مهدمة وفوجئت بأن أبو عمار موجود فيها فقلت له: أترى يا أبو عمار.. ها هو الموت يتوحد ضدنا ويفرض علينا أن نتوحد ضده.

وسألت الرئيس عرفات: هل اتصالاتكم مستمرة مع د.حبش؟ فأجاب: طبعا الاتصالات لم تنقطع، واستذكر قصة نقل د.حبش إلى فرنسا عندما أصابته جلطة دماغية عام ١٩٩٢م. وكيف أن ضجة عالمية كبيرة حدثت إثر ذلك حتى أن شامير طالب فرنسا بتسليمه فيما كان 'القضاء الفرنسي يحاول استجوابه، وقد تدخلت تونس وعدد من الدول الأخرى في القضية التي انتهت بسلام، وتابع الرئيس: لا تنسى أننا نتكلم عن إخوة شاركونا منذ البداية في تأسيس الثورة ومنظمة التحرير الفلسطينية فالحكيم من أولئك الذين بنوا معنا الثورة طوبة طوبة، كما أن نايف حواتمة اتصل بي الليلة الماضية.

حديث الساعة موضوع العراق.. سألنا الرئيس: هل تتوقعون ضربة وشيكة للعراق؟ فقال إن الأميركيين ينتظرون انتهاء انتخابات الكونغرس إلا إذا كانت الإدارة الأميركية تريد استغلال نتائج الحرب لأغراض انتخابية.

وهل تتوقع استغلالا إسرائيليا في حال اندلعت الحرب؟ قال الرئيس: من الطبيعي أن يستغل شارون هذه الأجواء حتى إن عددا من المسؤولين الإسرائيليين لا يخجلون ويتحدثون بوقاحة عن سيناريوهات تصل إلى درجة الترانسفير.

أخيرا سألنا الرئيس : بعد كل هذه التجربة وهذه المسيرة : هل اقتربنا أكثر من الهدف أم عدنا إلى الوراء؟ صمت قليلا وقال: هذا الصمود الأسطوري لشعبنا العظيم من الصعب أن تجد له شبيها في تجارب التاريخ، وهذا ما يجعلنا نثق بأننا نقترب من تحقيق الهدف. لقد استخدمت إسرائيل ضدنا كل أسحلتها ولم يبق سوى السلاح النووي، ثم استدرك قائلا: وفعلا استخدموه هذا هو اليورانيوم المستنفذ.. لكننا مستمرون في صمودنا وفي تمسكنا بأهدافنا.

أطفال فلسطين .. عندما يجتازون أسلاك الحصار:

تأملت صورة الرئيس، وهو يحتضن طفلين من أطفال فلسطين، عندما جاءت وفود الحركة النسائية إلى مقره في رام الله، لتقول له: نحن معك.

كانت الصورة ناطقة فصيحة، تحمل أطيافا من المعاني والظلال والرؤى المعبرة، بدا الرئيس سعيدا، مبتسما، راضيا تكسو ملامح وجهه إشراقة وضاءة، فلا شيء يكسبه الإحساس بالطمأنينة والفرح مثل رؤية الأطفال، والتواصل معهم بكل ما يمثلونه من معاني البراءة والطهر والنقاء.

هذان الطفلان البريئان، وبينهما الرئيس، رسالة إلى العالم الآثم المثقل بالخطايا والنار والدم والعنف، كأن الرئيس بابتسامته الأبوية الحنونة يعتذر لهما عن هذه القسوة التي احتلت قلوب نفر من الناس، فأشاعت في حياتهما الدموع والحزن، واختطفت من أيامهم لحظات الفرح والسعادة والانطلاق.

هذه الثقة التي تشع من قسمات الرئيس وتلك النظرات الوادعة الحانية التي تطل من عيني الطفولة الفلسطينية، شاهد حي على عمق الجريمة المنكرة التي ترتكب في حق أبناء فلسطين، الحصار، الموت، والدمار، والعنف، والرصاص، لماذا؟ لماذا كل هذا الحقد الأعمى الذي يريد أن يغتال الطفولة البريئة، ويرسل الرعب والخوف والهلع إلى هذه النفوس العفة الطاهرة التي لا تعرف الحقد ولم تلوثها الأحقاد، ولم تدنسها الأطماع؟

الرئيس الأب لا يملك إلا أن يبتسم لأطفال فلسطين، لعله ينقل إليهم مشاعر الطمأنينة والرجاء والأمل، لعله يبشرهم بغد أفضل، لعله يستطيع أن يبعد عنهم أشباح الغدر ورموز الشر وجنود الظلام وأسراب الحزن وأطياف الدموع.

صورة الرئيس وسط طفلين من أطفال فلسطين دلالة عميقة فصيحة على أننا أصحاب رسالة وثقافة، وأهل مدنيّة وحضارة، وأننا نعرف قدسية الطفولة ودفء الإنسانية، ونعشق الحياة البريئة الطاهرة، التي ترفرف فيها أسراب الحمام وتزدهر فيها أغصان الزيتون.

نحن شعب لا يمكن أن يجرح مشاعر هذه الطفولة البريئة، ولا يمكن أن يروعها، أو يسلبها حقها في أن تفرح، وأن تمارس الحياة في طمأنينة وحب وسلام.

وكم يتألم الرئيس عندما يرى نفسه غير قادر على أن يحضن بذراعيه كل طفل، وكل طفلة من أبناء فلسطين كم يتألم، عندما تغيِّبُ يد الغدر والأنانية والعدوان مشاعر الأبوة والرحمة البرِّ عن أبناء فلسطين الذين يلتحق آباؤهم بموكب الشهداء، هؤلاء الأبرياء الأطهار الذين امتدت يد الغدر فاختطفتهم وقذفت بهم وراء الظلام، وحرمت أطفالهم من دفء الأبوة وسكينتها وحنانها.

إن قلب الرئيس ينبض بالحب والمودة والعطف نحو كل فلسطيني، ولا شك أنه في محنته الحالية يشكر قوى البغي والعدوان، لأنها كشفت له مدى حب الناس الطيبين له، حب الشعب الفلسطيني له بكافة فصائله، وبمختلف ألوان الطيف السياسي الذي تمثله الجماهير الفلسطينية.

لقد أسعد الرئيس كثيرا أن تتوالى هذه الجماهير الغفيرة نحو مقره، معبرة له عن حبها وتضامنها وتأييدها، لكن أكثر ما هز أعماق الرئيس، وأثار أشجانه وعواطفه، هذه الكوكبة من أطفال فلسطين التي جاءت إلى مقره وهو في قلب مدينة رام الله، لتمنحه لحظة حب ووفاء، وتهديه لمسة تعاطف وحنان، هي أصدق ما في الوجود؛ لأنها معطرة بشذا البراءة من أطفال فلسطين إلى الأب الحنون الرئيس عرفات.

ومن صفحات البطولة الوردية لأطفال فلسطين، حكاية الطفل الشجاع فضل محمود أبو زهيرة. ذلك الطفل الصغير الكبير.. الصغير في سنوات عمره التسع والكبير في شجاعته، وبما قدمه لأهله وجيرانه أثناء حصار بيتونيا، كان فضل محمود أبو زهيرة يتمتع بجرأة عالية، ولدت حقدا دفينا وخوفا في قلوب الجنود الإسرائيليين فعجلوا في استشهاده.

تقول أم الشهيد فضل في بداية الاجتياح: اقتحم جنود الاحتلال العمارة وجمعوا السكان (حوالي ٣١ نفرا) في الطابق السفلي، احتلوا العمارة وحطموا محتوياتها، وقطعوا عنا الماء والكهرباء والمواد التموينية، بما فيها مستلزمات الأطفال، وبعد ثلاثة أيام غادروا المبنى بعدما أخذوا ما خف حمله من هواتف نقالة وآلات تصوير وتضيف كان فضل عنصرا فعالا في هذه المحنة حيث لمح سيارة إسعاف تقف أمام عمارة لا إله إلا الله، فأسرع وأحضر منها دواء للسعال وتحاميل لأخيه الصغير الذي لم يتجاوز سنتين من عمره ويوم استشهاده بالذات أحضر لابن الجيران بعض الأدوية.

وعلى الرغم من صغر سنه فقد ترك أثرا في نفوس الجيران، حيث خرج إلى الشارع وعندما سأله جنود الاحتلال إلى أين أنت ذاهب، قال لهم نريد غازًا، هنالك كبار في السن يريدون أن يأكلوا، وقال للجندي: ألا يوجد عندك أولاد، فقال الجندي: ذكرتني بأولادي، عندي ولد بمثل عمرك وولد أصغر، فقال له لماذا تقتلون الأولاد إذن؟ فصاحوا به اذهب إلى البيت، فأجابهم الطفل «حلو عني» تضيف أم فضل: بأن ابنها له أصحاب كثيرون، وكان دائما يحمل خشبة على كتفه، ويقول : متى سأكبر وأحمل بارودة وأقاتل؟ كان يهتف لفلسطين، وأصحابه يرددون خلفه، وتقسم أمه بأنه كان يتمنى الشهادة.

وعن يوم استشهاده تحكي والدته، في يوم ١٨ نيسان تغيرت الدبابة القريبة من العمارة، جاء فضل من عند الجيران وهو يصيح الدبابة انسحبت، سوف نرتاح منهم، بعد خمس دقائق جاءت دبابة أخرى، سمعنا بعدها صوت انفجارين، وكنا عندما نسمع صوت انفجارات نستطلع الأمر عبر النافذة، وقف فضل على الشباك، دعوته أن يبتعد عن النافذة، وما كدت أفعل حتى سمعت صوت رصاصة، فقال فضل: يا أمي سوف أموت، آخر كلمات سمعتها من فضل، قلت له لا تقل هذا، ولم أكن أدري بأن رصاصة دمدم أصابت بطنه من قناص حاقد فأمسكت به، فإذا بأمعائه قد خرجت من بطنه، وظهره ينزف وسط صراخ أخوته تقول أمه: كان مشهدا مؤلما جدا، عندما خرجت أمعاؤه بين يدي، تبكي أم فضل وتضيف: اتصلنا بالإسعاف الذي نقله إلى المستشفى، بعد أن عرقل الجيش الإسرائيلي وصوله مما أفقده مزيدا من الدماء، وما إن وصل المستشفى ودخل غرفة العمليات حتى استشهد.

تقول أم فضل: نحن هاجرنا من بلدة عجور عام ٤٨، وما زلنا تحت الاحتلال منذ ٥٤ عاما، وفلسطين بلاد مقدسة ليست لنا وحدنا بل هي لكل العرب والمسلمين، ولا نريد أموالا ولا تموينا، نريد حماية لأطفالنا الذين يقتلون بدم بارد، حتى وهم في منازلهم، نحن شعب أعزل دون إمكانيات الدول العربية تستطيع رد هذا العدوان بما تملكه من أسلحة.

وتوجهت أم الطفل الشهيد بعزائها إلى أهالي الشهداء، وتمنت الشفاء للجرحى، والحرية للأسرى، ودعت الشعب الفلسطيني إلى الصمود حتى إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

وتقول أم فضل: أما السفاح شارون، فإنني أطالبه بقتلة طفلي وأطفال ونساء وشباب فلسطين. كما يطالب هو بمنفذي عملية الإعدام بالوزير المجرم زئيفي.

ومن ملفات الطفولة في زمن الحصار.. حكاية هذه الطفلة الفلسطينية:

استغرقت الطفلة سيما، ١١ عاما، في النوم على الرغم من سقوط إطار النافذة في سريرها بفعل فاعل جوي إسرائيلي، على شكل صاروخ سقط على مبنى للشرطة على مقربة من المنزل لكن شقيقتها التي تكبرها بعامين، استيقظت من نومها فزعة إثر انفجار دمر مبنى تستخدمه الشرطة الفلسطينية في رام الله، ليس لتصنيع السلاح النووي طبعا، وإنما لمتابعة قضايا جنائية.

وتعرضت مدينة رام الله مؤخرا لغارات جوية بالصواريخ، شنتها الطائرات

الإسرائيلية على مواقع فلسطينية ومنها صالة استقبال، مجاورة لمكتب الرئيس عرفات.

وأصابت شظايا الصواريخ عددا من المباني السكنية المجاورة، حيث تسكن عشرات العائلات.

تقول مارلين والدة الطفلة سيما : «هذه ليست المرة الأولى التي يصاب بها المنزل بأضرار نتيجة الاعتداءات الإسرائيلية، لكن هذه المرة كانت الأضرار جسيمة.

وبينما كانت مارلين تتنقل داخل الغرف المتضررة في المنزل، أشارت بيدها إلى إطار نافذة مصنوعة من الألمنيوم، وقد تهشم زجاجها على سرير ابنتها سيما، ولكن المفارقة الخارقة أن إطار النافذة ارتكز من أحد طرفيه على حافة شباك الغرفة مما أدى إلى نجاة الطفلة.

وقالت مارلين: «لدى سماعي وزوجي حنين، أمسكت بيد زوجي، وسرنا سوية إلى غرفتها وكان التيار الكهربائي قد انقطع، ولم أتمكن من مشاهدة سيما». وتابعت «مددت يدي إلى سريرها، وزاد من خوفي سكوتها، ولما نفذت يدي من بين الزجاج أحسست بها وقالت «ماما» بعد دقيقتين فاطمأنت عليها».

«إن القدر وحده هو الذي أنقذ حياة سيما كما أنقذ حياة خليل»، تقول مارلين - وهي أم لثلاثة أطفال - وفي اعتداء آخر خلال القصف الإسرائيلي اخترق الرصاص نافذة غرفة أخي، واستقرت في كتاب كان بحوزة خليل، «١٢» عاما، فأنقذ حياته.

وفي شقة مجاورة قال زاهي: «سمعت صوت طائرات حربية في أجواء المدينة عند منتصف الليل بينما كنت جالسا في صالة المنزل».

وأضاف زاهي : «اهتز البيت عندما اخترق صاروخ مبنى مجاورًا، وطارت النوافذ من مكانها لكن أحدا لم يصب بأذى، بيد أن الجميع أحس بالرعب».

وأصابت شظايا الصواريخ سيارات متوقفة على الشارع المتاخم، مما ألحق بها أضرارا جسيمة.

ولحقت أضرار مشابهة في بيت جريس يعقوب وعايدة البابا، إلا أن أحدا لم يصب جراء تطاير شظايا الزجاج.

وقالت عايدة : لقد «تحطمت جميع النوافذ والأباجورات بينما كنت وبناتي نيام».

وأضافت: صحوت بعد سماعي صوت انفجار، ولدى خروجي إلى الصالة تساءلت

من فتح الباب والشبابيك. «فأدركت أنها اقتلعت من مكانها، ولم أتمكن من مشاهدة الخراب بسبب انطفاء الأنوار».

ولا شك أن هذا الرعب الذي ألحقته آلة الدمار العدوانية، سيترسب في عقول هؤلاء الأبرياء.. لينفجر بعد سنوات على شكل عقد واضطرابات نفسية خطيرة سيعاني منها جيل كامل.

ومما يعبر أصدق تعبير عن روح ومشاعر أطفال فلسطين، تلك الرسالة الفريدة التي أرسلتها، ليلى إبراهيم الصوص - ١٣ عاما.. إلى نائب الرئيس الأميركي تشيني.

سيادة نائب الرئيس،

إنني أكتب لك هذا الكتاب لأنقل لك مشاعري بالنسبة للسياسة الأمريكية تجاه الشعب الفلسطيني، لقد سمعت تصريحاتك عندما كنت في إسرائيل الأسبوع الماضي، ولا شك أنك ذكي بما فيه الكفاية لكي تكتشف الحقيقة وتعرف أن الفلسطينيين ليسوا إرهابيين.

عندما توجهت للسيد عرفات، وطلبت منه وقف العنف والإرهاب هل كنت فعلا تعني ما تقول؟ أم أنك لا تعلم الحقيقة مثل أغلب الأميركيين؟ من هو الذي قام وأمر الجيش الإسرائيلي بدخول المخيمات الفلسطينية لقتل الناس الأبرياء؟

ألم يكن رئيس الوزراء شارون هو الذي أمر بهذا العنف؟ ستجيب: ولكن ماذا عن الانتحاريين! هل تعتقد أن جميع هؤلاء الانتحاريين هم سعداء بالموت؟ أم أنك على ثقة بأنهم يفعلون ذلك تعويضا عن شيء فقدوه؟ إن بعضهم فقد قريبا أو طفلا أو بيتا، وآخرين قد طردوا بعنف خارج أراضيهم وبيوتهم التي دمرت تدريجيا، وعليهم أن يعيشوا في الشارع لا مال ولا طعام، ماذا تتوقعهم أن يفعلوا؟ ماذا سيفعل أي أمريكي تحت هذه الظروف؟!

صدقني يا سيد تشيني، إن هؤلاء الذين اضطروا إلى هذه الأعمال القاسية، وما هو أسوأ منها ما فعلوا ذلك إلا من خلال العمى الأمريكي لمعاناتهم. الفلسطينيون ليس لديهم أي شيء ليفقدوه الآن ولأنهم تعذبوا لمدة طويلة عندهم الآن شجاعة أكثر من قبل، وهم مستعدون للتضحية إلى أبعد حد لكي يحصلوا على استقلالهم في داخل وطنهم، وحتى تكون لهم دولة ذات سيادة، عاصمتها القدس الشريف.

بعض الناس يقولون : إن الفلسطينيين إرهابيون، ماذا فعل السيد عرفات لكي يعامل من خلال دولتكم العظمى كإرهابي، أنتم تريدونه أن يعتقل المناضلين المستقلين، وتريدونه أن

يكون شرطيا إسرائيليا، رغم أن السيد شارون يحاصره ويضعه تحت الإقامة الجبرية، ومع ذلك تريدونه أن يوقف الإرهاب وما تسمونه بالإرهاب أنا أسميه مقاومة.

***

لماذا لا تحاورون السيد شارون فهو الإرهابي الوحيد هنا أنتم متحيزون جدا، تعرفون الشخص الذي يقتل ويستمر بقتل الناس الأبرياء ومنهم الأطفال الرضع، ومع ذلك لا تحاسبونه.

الفلسطينيون فقط يدافعون عن أنفسهم، ومن المؤسف تلك الطريقة التي يفكر بها بعض الأمريكان، فقد طردنا من وطننا، ثم تقولون عنا : إننا إرهابيون، أليس هذا من سخرية القدر؟ إنك تريدهم أن يجلسوا، وأن يراقبوا الإسرائيليين، وهم يقتلونهم وينسفون بيوتهم، ويسرقون ويغتصبون أرضهم، ثم لا يفعلون شيئا.

لماذا لا تعلّمون الرأي العام الأمريكي التاريخ الحقيقي لهذه الأرض، لكي يفهم على الأقل بعض الشيء عن هذا الصراع؟ بعض الأمريكان يقولون: كيف يمكن للإسرائيليين أن يفعلوا ذلك؟ وكيف يموت الأبرياء من كلا الطرفين! أستطيع القول فقط إنكم يجب أن توجهوا أصابع الإدانة إلى الحكومة الإسرائيلية والتي بسبب سياستها الاحتلالية والاستيطانية للأراضي الفلسطينية تشكل أساس المشكلة، وماذا بخصوص كل الفلسطينيين الذين قتلوا بمجزرة صبرا وشاتيلا؟ لا أحد يتكلم عن هذا بالإعلام الأمريكي؟

الشعب الفلسطيني البطل ناضل بشجاعة ضد الجيش الإسرائيلي، وتصدى لهؤلاء الجنود الغزاة، وقاتلهم ببسالة دفاعا عن الحرية والاستقلال وحقوق الإنسان، هذه المبادئ التي يجب أن تطبق على كافة الشعوب الأخرى.



ما حدث في جنين هزة أرضية دمرت النبات والبناء والإنسان

الأربعاء ٢٠٠٢/٤/١٧

وفي يوم الأربعاء الموافق ١٧/ ٤/ ٢٠٠٢ أعلنت مصادر طبية العثور على جثث عشرة شهداء جدد في مخيم جنين مدفونة تحت الأنقاض، واتهمت الجيش الإسرائيلي بعرقلة نقلها. وأكدت أن استمراره في إطلاق النار يضع صعوبات كبيرة أمام استئناف عملية الانتشال والإنقاذ. وتواصل القوات الإسرائيلية محاصرة كنيسة المهد كما تستمر في مصادرة عشرات الدونمات من أراضي خمس قرى شمالي غربي رام الله وجرف ما فيها من أشجار مثمرة، لأهداف استيطانية، وهذه القرى هي: دير السودان، والنبي صالح، وأم صفاة، ودير غسانة، وخربة فسحة.

كما فرضت القوات الإسرائيلية حظر التجول على بلدة بلعا شمالي شرقي طولكرم بعد أن حاصرتها من جهاتها الأربع، كما شنت حملة مداهمات وعمليات تفتيش لمنازل المواطنين. واقتحمت القوات الإسرائيلية قرية الراس جنوبي طولكرم وفرضت عليها حظر التجول، واحتجزت ما يزيد على ٢٠٠ مواطن، وأطلقتهم بعد أن أبقت أربعة منهم رهن الاعتقال.

واعتقلت القوات الإسرائيلية عددا من شبان مخيم الأمعري للاجئين قرب مدينة البيرة بعد أن فرض حظر التجول والبدء بحملة تفتيش واسعة.

وواصلت القوات الإسرائيلية لليوم الثاني على التوالي فرض منع التجول على قرى وبلدات في القدس الشرقية أبو ديس والعيزرية والسواحرة الشرقية، ونفذت خلاله

حملات تمشيط واسعة النطاق واعتقلت العشرات من المواطنين واعتدت على الأملاك.

وقصفت القوات الإسرائيلية بقذائف المدفعية عددا من الأبراج السكنية في أطراف مدينة الزهراء السكنية جنوبي مدينة غزة. واستشهد الطالب أحمد عمر أبو سليمة (١٦ عاما) شمالي بيت لاهيا لإصابته بقذيفة دبابة انشطارية مسمارية.

وقد أدلى الناطق العسكري الإسرائيلي بالمعلومات التالية:

ظهر اليوم، خرج فلسطينيان من كنيسة المهد في بيت لحم، ومشيا في اتجاه القوات الإسرائيلية، ولما لم يمتثلا لإشارة القوات الإسرائيلية لهما بالتوقف، أطلقت عليهما النار، فأصيب أحدهما بجروح، تمت معالجتها على الفور ثم نقل إلى المستشفى ، وتمكن الفلسطيني الثاني من العودة إلى الكنيسة، وغادر الكنيسة الليلة كاهن أصيب بوعكة صحية، فتلقى معالجة طبية من القوات الإسرائيلية ونقل إلى المستشفى، وسيستمر الجيش في توفير المساعدة الطبية للجرحى. ويكرر الجيش ويشدد على أنه لا ينوي احتجاز جميع الموجودين في الكنيسة، وإنما أولئك المسؤولون عن هجمات إرهابية والمطلوبين من قبل قوات الأمن فقط.

وقد تم العثور في شقة في منطقة المنارة في رام الله على بدلات للشرطة الفلسطينية وأحزمة متفجرات ومئات الطلقات من الرصاص.

ليل أمس أطلقت وحدة من جنود الاحتياط النار على ثلاثة مسلحين في قرية الديك في الضفة الغربية وأصابتهم بجروح قبل أن يتمكنوا من الفرار، وصباحا، عثر في مكان الحادث على بندقيتين كلاشينكوف، وعلى وسائل لتفجير عبوات، وعلى بقع دماء.

كما تم العثور على قنبلة أنبوبية في أثناء عملية تفتيش في مسجد عمر في بيت لحم قرب كنيسة المهد.

وقد أحبط الجيش الإسرائيلي محاولة اعتداء على نتساريم في شمال قطاع غزة. وأطلق الجنود النار على مجموعة مسلحة بالقرب من نتساريم، وعثر على جثتي مسلحين تنكرا بلباس جنديين إسرائيليين.

وقد أحبط الجيش الإسرائيلي الليلة الماضية محاولة تسلل إلى مستوطنة دوغيت في شمال قطاع غزة، وأطلق النار على مجموعة حاولت الاقتراب من البلدة وتم العثور على جثة بعد تفتيش المنطقة وعلى بعض العبوات والمتفجرات.

كما أحبط الجيش الإسرائيلي اليوم محاولة قامت بها مجموعة لاقتحام السياج في قطاع غزة، جنوبي معبر كارني، وجرى تبادل لإطلاق النار بين المجموعة والجيش فر في أثرها الإرهابيون عائدين إلى الجانب الفلسطيني من السياج.

وفي الليلة الماضية عقب الاحتفال بعيد الاستقلال الذي تم في الهواء الطلق في القاعدة العسكرية البحرية في إيلات والذي شارك فيه ١٤ ألف زائر، اكتشف دورية بحرية إسرائيلية سفينة مشبوهة على متنها شخصان أوقفت السفينة وأمرت بالتوجه إلى إيلات للتحقيق.

وقد أعلن مصدر أمني إسرائيلي أن الجيش الإسرائيلي اعتقل في سياق عملية «السور الواقي»، لؤي عودة (٢٤ عاما) من سكان رام الله والناشط في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وتنظيم فتح. وأضاف المصدر أن عودة اعترف خلال استجوابه بتورطه في اغتيال الوزير رحبعام زئيفي وفي تنفيذ عدد من التفجيرات الانتحارية كما تم اعتقال ناصر عويس من «التنظيم» في مخيم بلاطة.

ونسبت صحيفة «هآرتس» إلى مصادر عسكرية أن الجيش الإسرائيلي اكتشف أسلحة مهربة من العراق وايران في مجمع «المقاطعة» الذي يحيط بمكتب رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات في رام الله وتشمل الأسلحة التي اكتشف خلال عملية «السور الواقي» قذائف آر.بي.جي السوفياتية الصنع التي عدلها العراق وقالت المصادر العسكرية أن السلاح العراقي على الأرجح تم تهريبه إلى الأراضي (المحتلة) بواسطة مروحيات الرئيس عرفات التي دمرها الجيش الإسرائيلي. ووجد الجيش أيضا في منطقة «المقاطعة» قذائف آر.بي.جي مضادة للدبابات من صنع إيران.

وقد أعلن نقيب محامي فلسطين علي مهنا أن النقابة سترسل خلال اليومين المقبلين رسالة إلى المفوضة السامية لحقوق الإنسان، ماري روبنسون، بناء على طلبها توثق انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية.

كما التقى وزير الخارجية الأمريكي كولن باول الرئيس عرفات للمرة الثانية في مقره المحاصر في رام الله.

وقال الرئيس الإسرائيلي موشيه كتساف، في مقابلة مع صحيفة «يديعوت أحرونوت»: إنه يفضل «خيار الفصل العسكري». وقال: «إذا حدث وقامت الدولة الفلسطينية لن

يطول متوسط عمرها أن لم تتعاون معنا».

وطلب الرئيس كتساف بمبادرته أن يضيف الجملة التالية: «هناك أطراف في العالم العربي تعتقد في السنوات الأخيرة أن إسرائيل مصابة بالوهن لو أن العالم العربي يدرك ما تعرفه قيادتنا عنهم وعن أنفسنا لسارعوا إلى الاعتراف بكياننا والتوقيع معنا على اتفاقية سلام»، وأضاف: «لو كان بمقدور المخابرات الإسرائيلية الكشف عن ذاتها، لاستطاع مواطنو إسرائيل الخلود للنوم باطمئنان لا يجدر بالعالم العربي ولا سيما مواطني إسرائيل، الاعتقاد بأي شكل من الأشكال بأن العامل الزمني يخدم مصالح العالم العربي»، وأنهى قائلا: «لا يوجد أي خطر وجودي (على إسرائيل)، وأقول ذلك بدافع المعرفة، وليس بدافع إيماني بذلك فقط».

وقال عضو الكنيست الوزير الإسرائيلي السابق، شلومو بن عامي، في مقابلة مع صحيفة «يديعوت أحرونوت»، «إن إقامة الدولة الفلسطينية هو شيء ثانوي بالنسبة لعرفات، والشيء المركزي والمهم لديه هو المحافظة على مكانه في التاريخ الفلسطيني، كمن حرر المقدسات الإسلامية»، وأضاف: «لا فائدة من التفاوض بشكل مباشر مع عرفات. والحل يجب أن يكون دوليا»، وأكد أنه لا يوجد أي احتمال لنجاح مؤتمر دولي من دون مشاركة الأوروبيين والأمم المتحدة. وشدد بن عامي على «ضرورة الانفصال. يجب أن تكون هناك حدود شرعية تحت إشراف دولي الاستنتاج المغاير للانفصال معناه أن نوال ضرب الفلسطينيين حتى تبرز من بين صفوفهم قيادة بديلة».

ذكرت صحيفة «هآرتس» اليوم أن مصادر في حزبي الليكود والعمل الإسرائيليين كشفت أن زعيم حزب العمل وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر، ورئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق الزعيم السابق لحزب الليكود، بنيامين نتنياهو التقيا سرا في فندق في القدس للمرة الثالثة في الأشهر الأخيرة، وتباحث الرجلان وفقا لمصادر حزبية، في إمكان تأليف حكومة وحدة وطنية تلي الانتخابات المقبلة، على افتراض أنهما سيكونان على رأسي حزبيهما حينذاك.

وكتب عاموس هارئيل، في صحيفة «هآرتس»، يقول: أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون، في ١٦/ ٤أن عملية «السور الواقي» ستستمر لبضعة أيام أخرى، وأعلن وزير الدفاع بنيامين بن إليعيزر أنه أمر الجيش بترك جنين ونابلس. وغدا تدخل العملية أسبوعها الرابع وأثبت طلب الرئيس جورج بوش بانسحاب فوري انه

أقل من إنذار، وفي النهاية حصل رئيس الأركان، شاؤول موفاز على أكثر مما طلبه. فمنذ أسبوعين، قال موفاز إنه يحتاج إلى «أربعة أسابيع، ثم أربعة أسابيع أخرى». وعمليا، أنه يحصل على شهر تقريبا للعملية بحد ذاتها، ومن شبه المؤكد أن يوالي الجيش توغلاته في المنطقة «أ» (التي تسيطر عليها السلطة الفلسطينية) بعد ذلك.

إن إقرار إنهاء العملية ينبع من عدة عوامل. الأول، طبعا، هو الضغط الأمريكي والدولي. لكن الجيش يعتقد أيضا أن مردود العملية بدأ بالتلاشي. فكل يوم يقل عدد الموقوفين وكمية الأسلحة المصادرة، بينما تستمر التكلفة الاقتصادية والعسكرية في الارتفاع.

وقد رفض الرئيس حسني مبارك في حديث إلى «وكالة أنباء الشرق الأوسط» عقد مؤتمر دولي للسلام قبل وقف كل العمليات العسكرية الإسرائيلية والانسحاب الكامل من الأراضي الفلسطينية. وعن استبعاد خيار الحرب، قال مبارك إن قرار الحرب ليس قرارا ينفرد به، وإنما هو حق المؤسسات الدستورية والشعب الذي سيدفع الثمن.

ووجه مثقفون مصريون بارزون من اتجاهات متعددة رسالة مفتوحة إلى الرئيس مبارك طالبوا فيها بتدابير مصرية عاجلة تحمي الشعب الفلسطيني، وتشعر الولايات المتحدة برفض مساندتها غير المحدودة لإسرائيل.

كما وصف مدير عمليات الأونروا ريتشارد كوك، في اتصال هاتفي أجرته معه صحيفة «الحياة» من باريس ما أصاب مخيم جنين بأنه «هزة أرضية». وأعلن بأن القوات الإسرائيلية لم تسمح لموظفي الوكالة بالدخول إلى جميع المناطق في المخيم، الأمر الذي يجعل من الصعب تقدير مدى الخراب فيه. وذكر كوك أن من الصعب حاليا تحديد عدد القتلى والجرحى في المخيم. وقال إن نحو أربعة آلاف شخص غادروا المخيم خلال الأسبوع الأخير، بينهم نساء وأطفال ومسنون، في حين أن عددا من الرجال اعتقلته القوات الإسرائيلية، ومن الصعب معرفة هذا العدد بدقة، بسبب تعذر الوصول إلى مختلف أنحاء المخيم. وكانت إسرائيل أعلنت يوم (١٦/ ٤) السماح لموظفي الأونروا بدخول المخيم أول مرة منذ بدء الاجتياح.

وكررت المفوضة السامية لحقوق الإنسان، ماري روبنسون، في جنيف، طلبها من السلطات الإسرائيلية السماح لبعثة تابعة للجنة حقوق الإنسان بزيارة الأراضي الفلسطينية. وأشارت روبنسون أيضا إلى القلق النامي إزاء الأحداث الأخيرة في جنين،

والى التفاوت الواسع في التقارير الواردة بشأن ما حدث هناك في الأيام الأخيرة، وبخصوص وضع السكان المحليين والعدد الحقيقي للضحايا، وأكدت روبنسون أهمية زيارة البعثة للأراضي الفلسطينية في أقرب وقت ممكن ولقائها أُناسا من طرفي الصراع وممثلين للأمم المتحدة ولمنظمات غير حكومية، وذلك بأن تتمكن من تقديم تقرير عن مشاهداتها للجنة حقوق الإنسان قبل ختام دورتها الراهنة نهاية الأسبوع المقبل.

وعلم أن الرئيس جورج بوش أعلن في خطاب ألقاه في «معهد فرجينيا العسكري»، أن «على جميع الأطراف أن تدرك أن الرؤية الوحيدة بعيد الأمد هي قيام دولتين – إسرائيل وفلسطين – تعيشان جنبا إلى جنب في أمن وسلام». ودعا الجميع إلى اتخاذ خيار السلام، وقال بوش: «تقع على عاتق جميع الأطراف مسؤوليات بوقف تمويل الإرهاب أو التحريض عليه وعلى جميع الأطراف أن تعلن بجلاء أن القاتل ليس شهيدا وانه »(أو أنها) مجرد قاتل (قاتلة)».

وأشار وزير الخارجية الأمريكي، كولن بول، في كلمة له قبل مغادرته القدس متوجها إلى القاهرة، إلى ثلاثة عناصر حاسمة في إستراتيجيا بلاده الشاملة في الشرق الأوسط: الأمن والحرية من الإرهاب والعنف، للإسرائيليين والفلسطينيين؛ مفاوضات جادة لتحقيق تسوية سياسية مساعدة إنسانية اقتصادية لمعالجة الأوضاع اليائسة التي يواجهها الشعب الفلسطيني. واعترف باول «بالظروف الخاصة في كنيسة المهد في بيت لحم وفي المجمع الرئاسي في رام الله». وأعلن أن مساعد وزر الخارجية الأمريكي وليم بيرنز سيبقى في المنطقة، وقد يرسل مدير وكالة الاستخبارات المركزية جورج تينت «لكي يعمل على استئناف التعاون الأمني بين الاطراف». وأنه ينوي العودة إلى المنطقة، وتساءل باول «إذا كان الوقت قد حان لكي تتطلع دولة إسرائيل إلى ما يتجاوز التأثير المدمر للمستوطنات والاحتلال الذي ينبغي أن ينتهي»، وفقا لمواقف حددها الرئيس بوش في خطابه في الرابع من نيسان. وبالنسبة إلى الفلسطينيين دعاهم باول إلى «نبذ العنف والإرهاب إلى الأبد» والتطلع «إلى سلام يتحقق من خلال المفاوضات».

كما أعلن وزير الخارجية الأمريكي كول باول في مؤتمر صحافي في القدس استحالة التوصل إلى وقف للنار في ظل العمليات العسكرية الإسرائيلية، لكن تعبير وقف إطلاق النار سيصبح مناسبا وذا معنى حين ينتهي التوغل، وحين تنتهي الانسحابات. وقال باول «نحن.. خائبو الأمل من أداء رئيس السلطة عرفات.. وقد حان الوقت لكي يقوم بخيار

إستراتيجي، وإذا لم يقم بذلك الخيار الإستراتيجي، سيكون من الصعب جدا على الولايات المتحدة أو على أية جهة أخرى صراحة، أن تلعب دورا في تحقيق ما يريده الشعب الفلسطيني، ألا وهو السلام ودولة خاصة بهم». وفي شأن المؤتمر الإقليمي قال باول «مؤتمر إقليمي أو مؤتمر دولي، نحن ننظر في نماذج متعددة ولكن لم يتخذ قرار بالنسبة إلى التوقيت».

دعا الرئيس جاك شيراك في اتصال هاتفي برئيس الحكومة الإسبانية أزنار، إلى إنهاء المأساة في الشرق الأوسط، مشددا على ضرورة «سحب القوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية ووقف الأعمال الإرهابية فورا».

وردا على سؤال لإذاعة فرنسا الدولية، اعتبر شيراك أن مؤتمرا من نوع «مدريد ٢» قد يكون فكرة جديدة، لافتا إلى أن هذه الفكرة لا فائدة منها «إلا إذا كانت هناك سلطات على مستوى المسؤولية».

واعتبر وزير الخارجية الفرنسي، أوبير فدرين، في حديث إلى صحيفة «لوموند»، أن عقد مؤتمر للسلام «يفترض أن يتوصل إلى نتائج حاسمة في غياب عرفات هو من قبيل الوهم»، وعبر فدرين عن قلقه إزاء النهج الإسرائيلي الذي يعمل على «اقتلاع الإرهاب والقضاء في الوقت ذاته على أي تعبير سياسي فلسطيني».

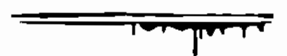
وأكد رئيس الحكومة الإسبانية، خوسيه ماريا أزنار، في تصريحات إلى الصحافيين أدلى بها في مدريد، ضرورة مشاركة الرئيس عرفات والاتحاد الأوروبي في أي مؤتمر للسلام.

وجه الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، عبدالواحد بلقزيز، رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة طالبه فيها بإرسال لجنة دولية فورا للتحقيق في الفظائع التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية.

زار أحد أفراد وفد منظمة العفو الدولية، خافيير زونيغا مخيم جنين. وقال: إن «هذا أبشع منظر للدمار رأيته في حياتي»، وأضاف أنه قد يكون «ثمة أشخاص لا يزالون أحياء تحت أنقاض منازلهم المهدمة»، وناشدت منظمة العفو الدولية المجتمع الدولي تقديم المعونات الإنسانية الفورية «لإنقاذ ما تبقى من حياة هناك».

كما وجهت منظمة «مراقبة حقوق الإنسان» نداء عاجلا لوقف انتهاكات الجيش

الإسرائيلي الفاضحة لحقوق الإنسان المتمثلة باستخدام المدنيين من الفلسطينيين بمن فيهم الأطفال في تنفيذ عملياتها العسكرية، وأشار تقرير موثق للمنظمة الدولية إلى أن الجيش الإسرائيلي «يجبر المدنيين الفلسطينيين بمن فيهم أطفال وأطباء وصحافيون على مساعدته في عملياته العسكرية» منذ تشرين الثاني الماضي حتى الآن، وأكد التقرير أن هذه الانتهاكات ترتكب بشكل «روتيني» خلال عملية «السور الواقي» للجيش الإسرائيلي المتواصلة حتى الآن.



صمود الشعب الفلسطيني دليل ناصع على عدالة قضيته

الخميس ٢٠٠٢/٤/١٨

وفي يوم الخميس الموافق ١٨/ ٤/ ٢٠٠٢ اشتد العدوان على شعبنا البطل.. ففي بيت لحم: لا تزال كنيسة المهد تحت الحصار، ولا يزال الجنود الإسرائيليون يمنعون إدخال أدوية أو مواد غذائية إليها. وقد اقتحمت مساء اليوم قوات كبيرة من الجيش الإسرائيلي قرية الولجة شمالي غربي مدينة بيت لحم وسط إطلاق نار كثيف.

جنين: احتجزت القوات الإسرائيلية وفدين، نرويجيًا وسويسريًا، عند حاجز الجلمة ومنعتهما من دخول المخيم. وتم انتشال أربع جثث من تحت الأنقاض في مخيم جنين إحداها لطفل في العاشرة. واعتقلت القوات الإسرائيلية سبعة عشر مواطنا بعد اقتحامها قرية سيلة الحارثية شمالي غربي جنين، وفرضت عليها منع التجول كما قصفت منازل المواطنين، الأمر الذي أدى إلى إصابة طفل في العاشرة من عمره. وفرض نظام حظر تجول على خمس قرى شمالي غربي جنين هي: رمانة، والطيبة، وعانين، وزبوبة، وتعنك.

رام الله: لا تزال «المقاطعة» والمناطق المحيطة بها في حالة حصار، ويتعرض سكان هذه المناطق للمداهمات وتفتيش البيوت وسرقتها.

واقتحمت القوات الإسرائيلية وزارتي الأشغال والمواصلات في رام الله، وسرقت الأوراق والأجهزة والملفات، وأقدمت على إحراق المبنيين بإلقاء القنابل الحارقة عليهما، وأعلنت مصادر طبية استشهاد الطفل فضل محمد حسن أبو زهيرة (٩ أعوام) إثر إصابته بعيار ناري في بطنه وهو في منزل أهله في بلدة بيتونيا.

وفي نابلس شيعت اليوم محافظة نابلس عشرات الشهداء الذين قضوا في الهجمات الإسرائيلية المتواصلة منذ ما يزيد على أسبوعين، وقامت طائرات من طراز إف ١٦ والأباتشي بقصف منطقة النصارية بالقرب من مدينة نابلس بالصواريخ، وهو ما أدى إلى استشهاد اثنين من المواطنين وإصابة عدد آخر بجروح.

وفي طولكرم: اعتقلت القوات الإسرائيلية ١٥ مواطنا من بلدة صيدا شمالي طولكرم، واقتادتهم إلى جهة مجهولة. كما اقتحمت بلدة كفر اللبد شرقي طولكرم، وداهمت بيوتها وعبثت بمحتوياتها بعد أن فرضت عليها نظام حظر التجول.

وفي الخليل: تفرض القوات الإسرائيلية حصارا عسكريا متزايدا على الخليل، وتطلق نيران الرشاشات والقذائف على مختلف المباني والمؤسسات من الناحية الشمالية الغربية من حلحول والمنطقة الجنوبية الشرقية حارة أبو سنينة ووادي الهرية وأم الدالية وضاحية البلدية ووسط المدينة وحارة الشيخ وباب الزاوية والسوق التجارية ورابطة الجامعيين. كما تفرض حظر التجول في قلب المدينة وعلى البلدة القديمة وتعتبرهما منطقة عسكرية، واستشهد في بلدة دورا قرب الخليل الضابط في قوى الأمن إبراهيم محمد وشاح (٤٠ عاما).

وفي قطاع غزة: قصفت القوات الإسرائيلية مساء اليوم منازل المواطنين في الدلتا غربي مدينة خان يونس في جنوب قطاع غزة. واستشهد مواطن جراء إصابته بعدة عيارات نارية أطلقها عليه جنود الاحتلال بالقرب من معبر بيت حانون في شمال قطاع غزة، وشهدت مدينة رفح إطلاق نار على الشريط الحدودي، وخصوصا في حيي قشطة والشاعر، الأمر الذي أدى إلى إصابة الطفل هاني أبو حزر (١٣ عاما).

وكشفت مؤسسة «مانديلا» الحقوقية أن سلطات السجون الإسرائيلية فتحت مؤخرا أقساما جديدة في سجون مركزية لاستيعاب الكم الهائل من الأسرى الذين اعتقلتهم خلال إعادة احتلال الضفة الغربية. وقالت المؤسسة: إنه لم يتوفر لديها حتى الآن معلومات عن أماكن احتجاز الأسرى والمعتقلين، أو عن عددهم الحقيقي، وناشدت المؤسسات الحقوقية الدولية التحرك لإنقاذ حياة آلاف الأسرى الفلسطينيين.

وحذرت مذكرة فلسطينية إلى المؤتمر السادس عن التنوع الحيوي، الذي عقد على مستوى الوزراء في لاهاي، من خطورة حدوث كارثة بيئية في حال استمرت عمليات التدمير الإسرائيلية ضد المدن والمناطق الفلسطينية، وشرحت المذكرة الممارسات

التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلية، ولا سيما تدمير البنية التحتية في مجالي الثروة الزراعية والحيوانية، وطالبت المذكرة بإرسال لجنة تقصي حقائق إلى فلسطين منتدبة من قبل المؤتمر للاطلاع على الأضرار الناجمة عن عمليات التدمير الإسرائيلية وتقويمها.

وأكدت السيدة فدوى البرغوثي زوجة مروان البرغوثي أمين سر حركة «فتح» في الضفة الغربية، لصحيفة «الحياة» أن زوجها يتعرض لأساليب تحقيق تتضمن ضغوطا نفسية قاسية داخل زنزانة قذرة في معتقل المسكوبية في القدس الغربية، وسمحت السلطات الإسرائيلية للمحامي جواد بولس بزيارة مروان البرغوثي في السجن «لبضع دقائق». وقال بولس لصحيفة «الحياة» إن الإعياء الشديد بدا واضحا على مروان الذي حرم النوم مدة ٢١ ساعة متتالية.

وأعلنت القانون: لجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة أن محامين يعملون في منظمات لحقوق الإنسان زاروا جنين ومخيم جنين للاجئين الأسبوع الماضي وعملوا على جمع الأدلة وتوثيق الأحداث. وفي مؤتمر صحافي قدم خلاله المحامون النتائج الأولية لعملهم، دعوا إلى تحقيق دولي مستقل في أوضاع حقوق الإنسان في المنطقة، وإلى تحقيق في جرائم حرب محتملة وانتهاكات أخرى للقانون الإنساني الدولي، وينتمي المحامون إلى أربع منظمات هي: عدالة. مركز القدس لحقوق الإنسان؛ القانون. المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان في غزة.

وقال رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، في أثناء عيادته جنودا جرحى في مستشفى في حيفا، أن العمليات الإرهابية الانتحارية هي مشكلة إسرائيل حاليا، لكن الخطر كبير ويمكن أن ينتشر كالنار في العالم بأسره. وأضاف شارون أن هناك مؤشرات تدل على أن ظاهرة العمليات الانتحارية موجودة أيضا بين العرب في إسرائيل. وقال شارون أنه يرى ائتلافيين في المنطقة هما: ائتلاف للحرب يضم إيران والعراق وسورية، في مقابل ائتلاف للسلام يضم إسرائيل ومصر والأردن والسعودية، وربما المغرب والفلسطينيين.

وقال وزير الخارجية الإسرائيلية، شمعون بيرس، للإذاعة الإسرائيلية: أن وزير الخارجية الأمريكي، كولن باول، ألقى بتهمة فشله في مهمته على الفلسطينيين «وعلى نحو أقل على إسرائيل». وأضاف أنه يجب حل أي مشكلة في إطار العقل والحكمة

والتروي وخاصة بالنسبة للأماكن المقدسة التي تمثل مليار مسيحي، ويجب رفع الحصار المفروض على الرئيس عرفات في رام الله، «لكن يجب عدم السماح لقتلة الوزير زئيفي بالخروج أحرارا».

وقال وزير الدفاع الإسرائيلي، بنيامين بن إليعيزر، أن الحملة العسكرية التي ينفذها الجيش الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية قد استوفت جميع جوانبها، ومن الممكن أن يبدأ الجيش بإخلاء بعض المناطق في رام الله. كما أعرب عن أمله بإيجاد حل لكافة المشاكل المعلقة. أما بالنسبة إلى العملية السلمية فقال بن إليعيزر أن الفلسطينيين لم يوافقوا على مطالب وزير الخارجية الأمريكي، كولن باول بوقف العمليات المعادية، وهم غير معنيين بخطة تينيت وتقرير ميتشل. وأضاف: «نحن نسأل أنفسنا ماذا يكون بعد إعادة الانتشار، وأنا أقول إعادة الانتشار وليس الانسحاب».

وقال المتحدث باسم الخارجية الإسرائيلية، جدعون مئير : «إن جنين هي رمز الهمجية الفلسطينية وعاصمة الانتحاريين». وأنه «كان يوجد في جنين بنية تحتية إرهابية هائلة». مضيفا أن الإسرائيليين ذهبوا إلى جنين «لمحاربة الخلايا الإرهابية والقضاء على الإرهاب». لقد كان هناك اشتباكات عنيفة «وخسرنا ٢٣ من أولادنا». جنين ليست مكانا للنزهة أو الترفيه. وكان مئير يرد على تصريحات المنسق الخاص للأمم المتحدة تيري رود لارسن.

ورفض الناطق باسم الحكومة الإسرائيلية آفي بازنر دعوة الأمين العام للأمم المتحدة إلى نشر قوة حماية دولية في الأراضي الفلسطينية، معتبرا أن قوة كهذه ستكون «غير مناسبة، في الوضع الحالي» ومضيفا، «إننا لسنا في حالة مجابهة بين جيشين أو دولتين. من جهة هناك جيش يحترم القانون، ومن الجهة الأخرى هناك منظمة إرهابية لا تتردد في ضربنا أو ضرب القوة الدولية».

وقال وزير الخارجية الأردني، مروان المعشر، بعد لقائه الرئيس عرفات في رام الله، أن هناك «خيبة أمل» بعد زيارة وزير الخارجية الأمريكي للمنطقة وعدم استجابة إسرائيل لدعوة بوش إلى الانسحاب من الأراضي التي احتلتها. وصرح وزير الخارجية المصري أحمد ماهر أنه سمع من الوزير باول أنه لم يحقق ما كان يأمل بتحقيقه، لكنه مستمر في العمل. وقال وزير الخارجية السعودي، الأمير سعود الفيصل، بعد محادثات مع الرئيس بوتين ووزير الخارجية الروسي أيغور إيفانوف في موسكو، أن مطالبة عرفات

بالوقوف ضد الإرهاب يجب أن تقترن بمطالبة شارون بوقف العدوان. وقال أن ما حدث في جنين هو «جرائم حرب». ودعا مجلس النواب المغربي في ختام جلسة خاصة عقدها إلى تطوير أشكال الدعم المادي والمعنوي لصمود الشعب الفلسطيني. وشهدت مدن الجزائر مظاهرات سار فيها مئات الآلاف تعبيرا عن التضامن مع الشعب الفلسطيني.

وشرح الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في جلسة مغلقة لمجلس الأمن اقتراحه بنشر قوات دولية في الأراضي الفلسطينية. وقال عنان : إن هذه القوة يجب أن تكون غير منحازة وقادرة على القيام بأعمال حاسمة، ويجب أن تكون لديها قوة تجعلها ذات صدقية وتفويض قوي، وأن يكون تحديدها كافيا لتنفيذ هذا التفويض.

وقال عنان : إن هذه القوة المتعددة الجنسية يجب أن تكون مخولة استخدام القوة من قبل مجلس الأمن بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

وشرح عنان في مؤتمر صحافي اقتراحه قائلا أن هذه القوة في حال إرسالها ستؤدي إلى خفض العنف وتقديم المساعدة الإنسانية وإعادة البناء وإعادة بناء قدرة السلطة الفلسطينية.

وطلب المراقب الدائم لفلسطين في الأمم المتحدة، ناصر القدوة من أعضاء المجلس تبني اقتراح الأمين العام وعارض الاقتراح ممثل إسرائيل، آرون جاكوب، وقال : إن إسرائيل تقبل بوجود مراقبين أمريكيين لمراقبة تنفيذ خطة تينيت وتقرير ميتشل.

وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، أمام جلسة مغلقة لمجلس الأمن، «انزعاجه العميق» بعد تلقيه تقريرا من اثنين من مساعديه عن الدمار «المرعب» في مخيم جنين.

وقد زار المنسق الخاص للأمم المتحدة تيري رود لارسن مخيم جنين مع مندوبي الأمم المتحدة والصيب الأحمر. وأعلن أن ما جرى «أمر غير مقبول إطلاقا، إنها فظاعة تفوق التصور. وقال: « إن لدينا خبراء اعتادوا الحروب والهزات الأرضية ويؤكدون أنهم لم يشاهدوا حتى الآن شيئا مماثلا». وأضاف: «غير مقبول إطلاقا ألا تكون الحكومة الإسرائيلية سمحت منذ ١١ يوما لفرق الإنقاذ والبحث عن الناجين بدخول

(المخيم)، الأمر مقزز على الصعيد الأخلاقي».

وقد أصدرت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) بيانا عن زيارة المفوض العام للوكالة، بيتر هانسن لمخيم جنين. وأعرب هانسن عن «الرعب» للدمار الهائل الذي لحق بالمخيم وعن «الحزن العميق» للخسارة الكبيرة في الأرواح. وأضاف هانسن أن «سكان مخيم جنين عانوا جراء كارثة إنسانية قل ما يماثلها في التاريخ». وأشار البيان إلى الأضرار الكبيرة التي لحقت بمنشآت الأونروا وعيادتها في المخيم والى التخريب المتعمد لهذه المنشآت من قبل الجنود الإسرائيليين.

ومن جهة أخرى احتجت الأونروا لدى السلطات العسكرية الإسرائيلية على الإجراءات العسكرية المشددة المفروضة على قطاع غزة، والتي تسبب نقصا في المواد الغذائية الأساسية.

وقد أصدرت منظمة العفو الدولية بيانا رحبت فيه بالمساعي التي يبذلها الأمين العام للأمم المتحدة والمفوضة السامية لحقوق الإنسان لمعالجة أوضاع حقوق الإنسان والأوضاع الإنسانية الخطرة في إسرائيل والأراضي المحتلة، ودعت المنظمة المجتمع الدولي، ومجلس الأمن بصورة خاصة إلى دعم الإجراءات الضرورية لتوفير الحماية الفعالة لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي.

وأعلنت المنظمة أنها تدعم بقوة «تشكيل فريق مستقل ومحايد من المراقبين المختصين لنشره في المنطقة بغية المساعدة على حماية حقوق الفلسطينيين والإسرائيليين»، وناشدت في بيان لها جميع المشاركين في الاجتماع الأوروبي – المتوسطي الذي سيعقد في فالينسيا، دعم إجراء تحقيق دولي في انتهاكات حقوق الإنسان في مخيم جنين.

وخلصت منظمة «مراقبة حقوق الإنسان» الأمريكية في تقرير من ٢٤ صفحة استند إلى خمسين شهادة إلى أن الجيش الإسرائيلي ينتهكك بصورة منتظمة الاتفاقات الدولية بشأن حماية المدنيين، وذلك بإرغامهم على تنظيم عمليات تفتيش، واطلاعه على معلومات عن جيرانهم، وحثت المنظمة رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، على فتح تحقيق، مشيرة إلى أن الجيش يفرض «عقوبات جماعية» ردا على العمليات الانتحارية في إسرائيل، واعتبرت أن توقيف مدني وإخضاعه لسوء المعاملة لإرغام

فلسطيني مطلوب على الاستسلام يشكل عملية احتجاز رهائن» من قبل الجيش. وختمت «إنه انتهاك خطر للقوانين الأساسية في النزاعات الداخلية والدولية» و«لاتفاقية جنيف الرابعة، وهو بالتالي جريمة حرب».

وفيما بعد التقى الرئيس جورج بوش وزير خارجيته كولن باول لتقييم المهمة التي قام بها الأخير في الشرق الأوسط، وقال بوش ردا على سؤال «أعتقد أن أرئيل شارون رجل سلام، وأظن، بل أنا واثق أنه يريد لإسرائيل أن تستطيع الوجود بأمان مع جيرانها.. لقد وافق على فكرة دولتين تعيشان جنبا إلى جنب»، وقال بوش : إن «إسرائيل بدأت بالانسحاب بسرعة بعد دعوتنا لها (بالانسحاب) من بلدات الضفة الغربية، وسيبين التاريخ أنهم استجابوا».

أما الوزير كولن باول، فقال: «أوضحنا للزعماء في المنطقة إننا نريد التقدم نحو مفاوضات بأسرع ما يمكن، والنظر في سبل مختلفة لتحقيق ذلك بعد إرساء الأمن، والربط ربطا وثيقا بين المفاوضات والأمن».

وقال الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض آري فلايشر في معرض رده على سؤال عن قضية المتهمين باغتيال وزير السياحة الإسرائيلي، أن «الولايات المتحدة تؤيد تقديم (الفلسطينيين) الخمسة (المتهمين بقتل الوزير الإسرائيلي رحبعام زئيفي) للعدالة، وتهدف المباحثات الجارية حاليا في أثناء بقاء (مساعد وزير الخارجية وليم) بيرنز في المنطقة، إلى إيجاد السبيل لتحقيق ذلك».

وسئل الناطق عن الوضع في مخيم جنين، فأجاب بالقول أن الرئيس بوش «يؤيد إجراء تحقيق والأمم المتحدة تقوم بذلك. وقد دعا الرئيس إلى الشفافية ويريد (رؤية) حقائق».

وصرح فيليب ريكر نائب المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية خلال المؤتمر الصحافي اليومي للوزارة، أن الهدف من الرحلة الأخيرة لوزير الخارجية كولن باول إلى الشرق الأوسط كان «مساعدة الأطراف على تحقيق تقدم نحو السلام، وان تقدما قد تحقق»، وأوضح أن الولايات المتحدة ستشارك في اجتماع الدول المانحة في اوسلو في الأسبوع المقبل للبحث في «الاحتياجات الإنسانية الملحة» للشعب الفلسطيني، وشدد على أن الولايات المتحدة تظل قلقة إزاء الوضع في جنين حيث توجه اتهامات إلى القوات الإسرائيلية بأنها ارتكبت مجازر ضد السكان المدنيين في المخيم.

وبهذا الخصوص قال ريكر أن موقف الوزير باول «واضح تماما تجاه ضرورة استجلاء الوضع هناك.. وينبغي إتاحة المجال أمام موظفي المنظمات الإنسانية الدولية للوصول (إلى المخيم) لكي نستطيع التعرف على الحقائق بالنسبة لجنين، وأن ذلك من مصلحة إسرائيل أيضا».

وصرح مساعد وزير الخارجي الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط وليم بيرنز عقب لقائه وزير الخارجية المصري، أحمد ماهر، أن الجهود الأمريكية مستمرة وجادة لإنهاء الأزمة الراهنة بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وقال: إن الخطوة الأولى هي ضمان انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي الفلسطينية التي أعادت احتلالها، وتتمثل الخطوة الثانية في استئناف التعاون الأمني بين الطرفين، وأضاف ببرنز أن الخطوة الثالثة ستكون السعي نحو القيام بعملية سياسية جادة ترمي إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي استنادا للقرارين رقم ٢٤٢ و ٣٣٨.

وقد أيد وزير الخارجية الفرنسي، أوبير فدرين، في مقابلة مع صحيفة «لوموند» الفرنسية، فكرة إرسال قوات فصل دولية إلى المنطقة، وأعلن أن دعوة رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون إلى عقد مؤتمر دولي لا يمكن أن تحل محل تطبيق قرارات الأمم المتحدة، وأن مؤتمرا دوليا من دون مشاركة أوروبا والرئيس ياسر عرفات لا معنى له.

وقد عبر الرئيس فلاديمير بوتين عن قلق بلاده إزاء الوضع في الشرق الأوسط، وأكد وجود «قلق خاص على مصير ياسر عرفات»، وقال: إن روسيا تؤيد المبادرة السعودية للسلام التي تبنتها القمة العربية في بيروت. وكان بوتين يتحدث في مستهل لقائه بوزير الخارجية السعودية، سعود الفيصل.

وقد وقع نحو ٢٥٠ خبيرا علميا ومثقفا فرنسيا عريضة تدعو إلى تعليق العلاقات الثقافية والعلمية «مع إسرائيل إلى أن تتقيد بالقرارات الدولية وتطلق مفاوضات سلام مع الفلسطينيين». واقترح حزب العمل النرويجي (المعارض) أن تنشئ النرويج «صندوقا شعبيا» لمصلحة اللاجئين الفلسطينيين، ورحبت الحكومة بالاقتراح، ونص مشروع القانون الذي عرضه مساء ١٧/ ٤ في البرلمان نواب حزب العمل على «وضع هذا الصندوق في تصرف الأمم المتحدة عندما يتم التوصل إلى اتفاق سلام».

أحرار العالم يطالبون بمحاسبة مجرمي الحرب في مخيم جنين

الجمعة ٢٠٠٢/٤/١٩

وفي يوم الجمعة الموافق ١٩/ ٤/ ٢٠٠٢ استمرت القوات الإسرائيلية في قصف مدن رام الله ونابلس وطولكرم والخليل ودورا وسلفيت وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، وواصلت حملات المداهمة وتفتيش المنازل والمؤسسات والعبث بمحتوياتها وسرقتها واعتقال المواطنين .

وفي جنين توغلت قوات الاحتلال مسافة ٤.٦كم داخل المدينة بعد أن أعلن الجيش، فجر اليوم، انتهاء «مهمته» فيها، ودفن المواطنون ٢٩ جثة في مقبرة جماعية أطلق عليها «مقبرة جنين». واستمر نظام منع التجول مفروضا على قرى: فقوعة؛ جلبون؛ بيت قاد الشمالي؛ بيت قاد الجنوبي، دير غزالة؛ عربونة.

وفي بيت لحم لا تزال القوات الإسرائيلية تفرض حصارها على المدين التي شهدت تصعيدا خطريا بعد أن تم قصفها أمس ليلا بقذائف الدبابات والقنابل ورماية الرشاشات، الأمر الذي أوقع أضرارا بالغة داخل المدينة التي لا تسمح قوات الاحتلال بإدخال المواد الطبية والتموينية والمياه إليها. وداهمت القوات الإسرائيلية الكثير من المنازل في بيت ساحور.

وفي نابلس واصلت القوات الإسرائيلية نار رشاشاتها الثقيل وقذائف الدبابات كما تعرضت مدينة رفح وخصوصا مخيم البرازيل ومحيط بوابة صلاح الدين إلى وابل من الرصاص والقذائف، وهو ما أدى إلى سقوط أربعة شهداء. وتوغلت الدبابات إلى داخل

مخيم البرازيل، وقامت بعملية تجريف لمنازل الفلسطينيين في بيت لاهيا، واستشهد في إثر ذلك الفتى يوسف أبو شقرة (١٣ عاما) برصاصة في الرأس وجرح عدد آخر.

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن الجيش الإسرائيلي أوقف عملية نقل الجثث من مخيم جنين في أعقاب إعلانه الانسحاب منه، نافيا ارتكاب مجزرة وهدم البيوت عمدا، ومعلنا نقل ١٤ جثة من المخيم، بينها أربع جثث مفخخة.

وذكرت الصحيفة أيضا أن الجيش الإسرائيلي اعتقل قائد حركة حماس في بيت لحم خالد طافش وزميله نصري يوسف خليل الزير، كما اعتقل فتاتين من قرية بيت فجار كانتا تخططان لتنفيذ عمليات انتحارية في إسرائيل.

وعلى صعيد المقاومة الفلسطينية الباسلة قامت «سرايا القدس» الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بإصدار بيان تعلن فيه «مسؤوليتها عن عملية اقتحام مجمع المستعمرات الصهيونية في «غوش قطيف» بقطاع غزة»، وأعلن البيان أن الاستشهادي عبدالله حسن أبو عودة (٢٠ عاما) من «سرية شهداء مخيم جنين» اقتحم «بسيارته المفخخة بالمتفجرات تجمعا للصهاينة» في مستعمرة غوش قطيف، موقعا عددا من الإصابات في صفوف جنود العدو.

وأعلنت «سرايا القدس» أيضا مسؤوليتها عن عملية اقتحام مستعمرة نتساريم في قطاع غزة»، وقالت في بيان لها: أن مجموعة من «سرية شهداء مخيم جنين» اقتحمت المستعمرة واشتبكت بالأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية مع جنود الاحتلال، وأن شهيدين سقطا في هذه العملية، هما محمد ياسر أرحيم وسالم محمد حسونة.

وأفاد مسؤول فلسطيني رفيع المستوى أن السلطة الفلسطينية بعثت برسالة إلى الإدارة الأمريكية تبلغها أن «المتهمين بقتل زئيفي هم قيد التحقيق وسيحاكمون فورا أمام محكمة فلسطينية في رام الله فور عودة الأمور إلى طبيعتها»، وأضاف: «إنهم اعتقلوا في ٢١ شباط ونقلوا بسيارات أمريكية من نابلس إلى رام الله بالتنسيق الكامل مع الأمريكيين والأوروبيين وبمعرفة مصر والأردن وروسيا والأمم المتحدة».

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، تحدث مع الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان»، وقال: «ليس لدى إسرائيل ما تخفيه بالنسبة إلى حوادث جنين»، وقال بيرس أن ما حدث في جنين هو قتال مع مسلحين فلسطينيين فضلوا الاختباء عمدا بين المدنيين، وتابع بيرس أن الجيش عمل جاهدا من أجل

الامتناع عن إصابة المواطنين، وأضاف: «إسرائيل نظيفة من هذا الموضوع»، واقترح وزير الخارجية الإسرائيلي تسليم الوثائق والمستندات المتعلقة بجنين إلى مبعوث خاص يوفده عنان. هذا ورفض بيرس فكرة إيفاد لجنة تحقيق دولية إلى المنطقة.

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن وزير الدفاع الإسرائيلي، بنيامين بن اليعيزر وجه نقدا شديدا إلى المبعوث الخاص للأمم المتحدة في الشرق الأوسط تيري رود لارسن بسبب ما قاله لارسن عما حدث في مخيم جنين للاجئين. قال بن إليعيزر: «كان بإمكاننا قصف المخيم بالطائرات لكن قيمنا الأخلاقية منعتنا من المس بالأبرياء ولذلك دفعنا ثمنا باهظا». وكان لارسن قال إن مخيم جنين يبدو كأنه تعرض لهزة أرضية. وقد رد عليه بن إليعيزر بقوله أن ما قاله لارسن هو بمثابة الصورة من إطارها. وأضاف أن لارسن لم يتطرق إلى حقيقة موت ٢٣ جنديا في معارك ضارية دارت في المخيم، وان الفلسطينيين الذين قتلوا في المخيم كانوا في معظمهم مسلحين أو انتحاريين. كما أكد بن إليعيزر أن القوات العسكرية عملت في منطقة ملآنة بالعبوات الناسفة والبيوت المفخخة. وهدمت القوات الإسرائيلية البيوت بعد عدم توقف إطلاق النار منها، وبعد عودة سكانها إلى إخلائها، ومن جهة أخرى، حذر بن إليعيزر من إمكان استعادة الفلسطينيين قدراتهم إذا لم تتطور العملية السلمية خلال أربعة أشهر.

وقد سارت تظاهرات ضخمة في عدد من العواصم العربية مطالبة بدعم الانتفاضة الفلسطينية، ومنددة بالدعم الأمريكي لإسرائيل، ورفع المتظاهرون في البحرين الإعلام الفلسطينية وإعلام «حزب الله»، وتظاهر الفلسطينيون في مخيماتهم في الأردن سورية، وتصدرت الشرطة في العاصمة اليمنية صنعاء للمتظاهرين الذين حاولوا الوصول إلى السفارة الأمريكية، فجرحت أربعة منهم واعتقلت آخرين. كما سارت تظاهرات في الرباط دعما لصمود الشعب الفلسطيني، وأعلنت جمعية الصحافيين في دولة الإمارات العربية المتحدة إنشاء «اللجنة الوطنية للمقاطعة»، وأكدت أن مهمتها الأساسية تنظيم حملة شعبية لمقاطعة البضائع الأمريكية.

وقد أصدر مجلس الأمن القرار ١٤٠٥ (سنة ٢٠٠٢) أكد فيه «الحاجة الماسة إلى ضمان وصول المنظمات الطبية والإنسانية إلى السكان المدنيين الفلسطينيين»، ورحب «بمبادرة الأمين العام إلى استقاء معلومات دقيقة بشأن الأحداث الأخيرة في مخيم جنين للاجئين عن طريق فريق لتقصي الحقائق.

وأعلن الناطق باسم الأمين العام للأمم المتحدة فرد أكهارت أن تيري رود لارسن، المنسق الخاص للأمم المتحدة لعملية السلام في الشرق الأوسط اجتمع بأعضاء السلك الدبلوماسي وممثلي البنك الدولي والأونروا لاطلاعهم على الوضع الاقتصادي والإنساني والسياسي في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقال لارسن، بالنسبة إلى زيارته لمخيم جنين للاجئين (١٨/ ٤)، «سأكون واضحا جدا. أنا لم أتهم ولا أتهم أحدا بارتكاب مجازر. لا نملك الحقائق كاملة من جنين لكن ما رأيته بالأمس كان فعلا مروعا».

وقال أكهارت : إن المفوضية السامية لحقوق الإنسان ماري روبنسون أعلنت من جنيف اليوم إلغاء رحلتها المقررة إلى الشرق الأوسط. فعلى إثر اتصال هاتفي بين رئيس الحكومة الإسبانية السابق، فيليبي غونزالس، الذي كان سيشارك في البعثة، وبين وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، علم أعضاء البعثة أن السلطات الإسرائيلية لن تسهل مهمتهم.

وكررت منظمة العفو الدولية دعوتها إلى إجراء تحقيق دولي بشأن انتهاكات حقوق الإنسان في مخيم جنين للاجئين منذ ٣ نيسان، وإلى نشر مراقبين دوليين لحقوق الإنسان، وأعلن مندوبو منظمة العفو في جنين أن «هناك أدلة قوية على انتهاك الجيش الإسرائيلي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي في جنين».

وقد عقد مؤتمر صحافي مشترك في واشنطن لوزير الخارجية الأمريكي كولن باول ونظيره الإسرائيلي، شمعون بيرس يلخص فيه الأخير إيجابيات زيارة باول للشرق الأوسط في ثلاث نقاط: تفاهم دولي بين الأمم المتحدة وروسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بشأن ما يجري في الشرق الأوسط الهدوء على الحدود الشمالية ووضوح الرؤية الأمريكية للحل.

وتحدث وزير الخارجية الأمريكي كولن باول بعد محادثات أجراها مع شمعون بيرس عن «يأس» الفلسطينيين المتأثرين بالعنف المستمر. وفي إشارة إلى العملية الإسرائيلية في الضفة 'الغربية قال: «نحن حريصون على أن تنتهي العملية الجارية في الوقت الحاضر بطريقة تمكننا من التقدم مجددا في مناقشات بشأن الأمن والإسراع في تطبيق عملية سياسية لنتمكن من إحلال الأمل محل اليأس».

وشدد شمعون بيرس على أن لا بديل من السلام مع الفلسطينيين.

حضارة نابلس وتاريخها وعطر أريجها وجبالها طعما للنيران!

السبت ٢٠/٤/٢٠٠٢

وفي يوم السبت الموافق ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٢ توصلت الحملة العسكرية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني، وتعرضت للمؤسسات الرسمية والبنى التحتية والمقدسات الإسلامية والمسيحية ومراكز الأمن الوطني والمنازل. ومارست في حملتها التدمير والمصادرة والسرقة والقتل والاعتقال، وحاصرت المدن والقرى والمخيمات.

وفي البلدة القديمة في نابلس تحولت الأماكن والمراكز التاريخية والأثرية إلى أكوام من الركام والخراب بفعل قصف الآليات والطائرات، وهدمت القوات الإسرائيلية البيوت التي تعود إلى الفترة المملوكية والعثمانية، ودمرت في مركز البلدة القديمة آثارا رومانية وبيزنطية وإسلامية، وشمل التدمير برج الساعة والسرايا العثمانية ومبنى المحكمة العثمانية. والأحياء التي أصابها الدمار بصورة مباشرة هي أحياء الياسمينة والقريون والحبلة. وواصلت قوات الاحتلال اعتداءاتها على المواطنين في نابلس وعلى الأملاك والمرافق العامة، وأطلقت النار على محولات الكهرباء فانقطع التيار الكهربائي، ومن أبرز المواقع الأثرية التي أصابها التدمير، الجامع الكبير (أو الجامع الصلاحي)، وجامع الخضراء، وجامع النصر، وموقع المدرج الروماني في حي القريون.

وقال ناصر أشتيه، وهو مصور فلسطيني يعمل لمصلحة وكالة «إسوشيتد برس» للأنباء أن ابنته الرضيعة دنيا ماتت بسبب التأخير الذي واجهه عند نقاط تفتيش إسرائيلية منعته من الوصول بها إلى مستشفى نابلس.

واستمر الحصار الخانق مضروبا حول كنيسة المهد وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور. وقطعت القوات الإسرائيلية الكوابل وأسلاك الهاتف في المنطقة المحيطة بكنيسة المهد، وكان قبل ذلك قطعت هواتف الكنيسة ذاتها. وكان للحصار المفروض على كنيسة المهد تأثير كبير في وضع مرضى مصحة للأمراض العقلية قرب الكنيسة. وبحسب صحيفة «يديعوت أحرونوت» سلّم خمسة من الفلسطينيين المحاصرين في كنيسة المهد أنفسهم إلى إسرائيل، لكن الفلسطينيين المحاصرين في الكنيسة أصدروا بيانا قالوا فيه أنهم يفضلون أن يموتوا شهداء على تسليم أنفسهم.

وجرفت القوات الإسرائيلية المزيد من الأراضي والمزروعات في بلدية فرعون في منطقة طولكرم، حيث تواصلت لليوم الخامس عمليات التدمير وخلع أشجار الزيتون.

وفي رام الله اشتعلت النيران في بناية في منطقة المصيون بعد قصفها بالقذائف. كما داهمت القوات الإسرائيلية مركز تطوير اللغات قرب نزلة البريد وعبثت بمحتوياته، وخلفت خرابا واسعا، وسرقت أجهزة الكومبيوتر الموجودة فيه ومعدات أخرى. واقتحمت عمارة أبو عزيز السكنية في حي أم الشرايط جنوبي مدينة البيرة وعاثت فسادا، وأطلقت النار على سيارة إسعاف وأصابت مريضة في داخلها.

وفي مخيم جنين، يواصل رجال الإنقاذ إزالة الأنقاض. وبحسب وزير الدفاع، بنيامين بن إليعيزر، تم انتشال ٣٨ جثة في المخيم.

وتستمر قوات الاحتلال في تعزيز مواقعها في محيط مقر الرئاسة الفلسطينية، في حين تعيش محافظة رام الله والبيرة في ظلام دامس.

واعترضت مجموعة من الجنود سيارة مدنية تابعة «لشركة الاتصالات» الفلسطينية في بلدة دورا في محافظة الخليل، وأطلقت النار على من في داخلها فأصيب الكثير من ركابها بجروح. وواصلت القوات حصارها على البلدة منذ ١٢ يوما في الوقت الذي يطلق جنود الاحتلال النار تجاه المنازل بصورة عشوائية، إضافة إلى القنابل الصوتية.

وتواصل قوات الاحتلال القصف المدفعي ورمايات الرشاشات على منازل رفح. بينما تواصل الجرافات تجريف الأراضي الزراعية فيها، وكذلك في بيت حانون وبيت لاهيا ومنطقة القرارة.

وقد صرح الناطق العسكري الإسرائيلي أن عنصرا من حرس الحدود الإسرائيلي قُتِل

ظَهر اليوم قرب المنطقة الصناعية في أيرز (شمال قطاع غزة) برصاص «إرهابي». وتمكن سلاح حرس الحدود وقوات الجيش من قتل المهاجم.

واقتحم الجيش مخيم قلندية وأوقف ١٣ فلسطينيا، واحتجز على مشارف جنين المصور الصحافي محفوظ أبو ترك (٥٢ عاما) ضمن فريق إعلامي من وكالة «رويترز» للأنباء، في طريق العودة من مخيم جنين.

وفي الجليل، داهمت قوات الشرطة منازل الكثير من الفلسطينيين من سكان مدينة شفا عمرو، واعتقلت أربعة شبان.

وعلى صعيد المقاومة الفلسطينية قام فلسطيني بتفجير نفسه، بواسطة حزام متفجرات كان يضعه، بعد أن اعترضته عناصر من قوات الاحتلال بالقرب من مدينة قلقيلية، بحسب ما أعلن متحدث باسم الجيش الإسرائيلي. وأضاف المصدر نفسه أن الرجل فجَّر نفسه عند المدخل الغربي للمدينة بالقرب من «الخط الأخضر». وقال الكولونيل رفيكا دان أن الفلسطيني كان ينوي على ما يبدو الدخول إلى كفر سابا لتنفيذ عملية انتحارية.

وعثر على جثة إسرائيلي في سيناء مقتولا بطعنات سكين، وقد نفت السلطات المصرية أن يكون للحادث دوافع سياسية، وقد وجد الإسرائيلي وهو فرانكو ميز من مواليد تركيا قرب مدينة نويبع جنوبي سيناء وفي حيازته لفائف من نبات الماريغوانا المخدر.

وفي قطاع غزة أوردت مصادر أمنية إسرائيلية أن إسرائيليا قتل برصاص أطلقه عليه فلسطيني أمام مدخل مستعمرة أيرز في شمال القطاع، وأضاف أن الإسرائيلي ُقتل عندما أطلق الفلسطيني النار وألقى قنابل يدوية قرب مدخل المستعمرة، ورد جنود إسرائيليون على النار من مجنزرة كانت في المكان وقتلوا المهاجم الفلسطيني.

* * *

وقد أصدر الرئيس ياسر عرفات قراراً باعتماد لجنة لمتابعة الإجراءات القانونية للدفاع عن المعتقلين الفلسطينيين، كما أصدر قرارا آخر بتأليف «لجنة وطنية» تقوم بـ «جمع الأدلة للتحقيق في جرائم الحرب الإسرائيلية في مدن الضفة الغربية وقراها»، وذلك في مسعى للتشديد على أن المجازر الإسرائيلية لم تقتصر على مخيم جنين.

وقد أصدر قرارا ثالثا بـ «تشكيل مجلس أعلى للإغاثة وإعادة الإعمار وتأمين المساعدات الدولية الفورية إلى المتضررين من أبناء الشعب الفلسطيني، بفعل العدوان

العسكري الإسرائيلي الواسع».

كما أدان الرئيس ياسر عرفات الصمت الدولي تجاه ما ترتكبه قوات الاحتلال الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، من مذابح وتدمير شامل وإزاء الحصار المفروض عليه كرمز للسلطة الفلسطينية، وأكد أنه ما زال ملتزما بعملية السلام، التي وقعها مع رئيس الحكومة الأسبق، يتسحاق رابين الذي دفع حياته ثمنا لهذا السلام. وأضاف عرفات أن من قتل رابين هو القوى التي تحكم إسرائيل الآن.

وقد حذرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين السلطة الفلسطينية من مغبة محاكمة الأمين العام للجبهة أحمد سعدات وعدد من القياديين فيها الذين تتهمهم إسرائيل باغتيال وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي.

وقد دعا رئيس الكنيست الإسرائيلي إبراهام بورغ في مقابلة مع صحيفة «لوموند» الفرنسية الحكومة الإسرائيلية إلى مصارحة شعبها بشأن ما تريد أن تفعله بعد هذه الحرب، وبشأن نتائج السياسة التي تتبعها، وأيد بورغ وضعا دوليا خاصا لمدينة القدس، كما أيد المبادرة السعودية التي تعني مفاوضات بين إسرائيل والعالم العربي. ورأى بورغ أن الخطأ الكبير الذي ارتكبه ياسر عرفات هو ابتعاده عن معسكر السلام الإسرائيلي الذي لم يعد يثق به. ورفض فكرة الفصل أحادي الجانب، ورأى أنه عمل نابع من اليأس ولا يشكل حلا، وقال إن ما حدث في مخيم جنين كان قتالا لا مجزرة.

وأعلن المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية رعنان غيسين أن إسرائيل ستتعاون مع فريق الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في مخيم جنين «لأنه ليس لدينا ما نخفيه».

لكن الوزير الإسرائيلي داني نافيه حذر من نتائج هذا التعاون، وقال: إن الفريق سيأتي مع «أحكام مسبقة وعدائية وبعضها لأسامي» مشيرا إلى أنها المرة الأولى التي توافق فيها إسرائيل «على السماح لجهة أجنبية بفحص الجيش الإسرائيلي، وهذه سابقة خطيرة ينبغي رفضها».

ونشرت صحيفة «هآرتس» أن إسرائيل أبلغت الولايات المتحدة أنها تعارض مشاركة المفوضة السلمية لحقوق الإنسان، ماري روبنسون، والمفوض العام للأونروا بيتر هانسن والمبعوث الخاص للأمم المتحدة في الشرق الأوسط تيري رود لارسن في فريق تقصي الحقائق، وقد سبق لهؤلاء الثلاثة أن وجهوا اتهامات إلى إسرائيل بانتهاكها

حقوق الإنسان، وبعد ساعات من صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٥ الذي يقضي بتأليف لجنة لتقصي الحقائق في مخيم جنين أعلنت المنظمات غير الحكومية وقف عمليات البحث عن الجثث في مخيم جنين للحيلولة دون «تدمير الأدلة» التي ستحتاج إليها بعثة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق.

وقال رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري في حديث إلى إذاعة فرنسا الدولية عن قرار إرجاء توقيع اتفاق الشراكة مع أوروبا، «من الصعب جدا بإزاء الرأي العام في لبنان، وفي كثير من الدول العربية الأخرى، أن نجلس إلى جانب ممثل لإسرائيل في فالنسيا. أنه أمر مستحيل»، وكأن مقررا أن يتم توقيع الاتفاق خلال اجتماع فالنسيا لوزراء خارجية دول الشراكة الأوروبية – المتوسطية، لكن لبنان وسورية قاطعا الاجتماع بسبب حضور شمعون بيرس ممثلا إسرائيل.

وصرح وزير الخارجية القطري الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني بعد لقائه الرئيس حسني مبارك في القاهرة، «إن زيارة الأمير عبدالله ولي العهد السعودي إلى الولايات المتحدة مهمة للغاية».

ورداً على سؤال عن ضعف الخطاب السياسي لدول الخليج مع الولايات المتحدة، وعدم استخدام مصالحها كورقة للضغط عليها، وهل يحتاج الوضع إلى مزيد من التوسلات، قال بن جاسم: «نحن لا نأخذ كلمة التوسل ككتاب منزل، فقد قلت هذا كاصطلاح وليس مقصودا به دول الخليج فقط بل كل الدول العربية، لكنني أقول: أن المصالح الأمريكية موجودة بالفعل في دول الخليج، وهناك علاقات اقتصادية تربطنا مع أمريكا، وكذلك وجود قوات أمريكية». وأوضح أن هذا ليس مسألة موقف قويّ أو ضعيف، بل هو موقف تبادل مصالح مشتركة، فالطرفان مستفيدان، وأوضح أن قطر فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، قدمت الشيء المناسب وخصوصا في المجال الاقتصادي، فالدول الخليجية ليس لديها جيوش كبيرة لتحارب بها، وإنما لديها اقتصاد قوي وتحاول المساعدة به.

وقال الرئيس جورج بوش في كلمته الإذاعية الأسبوعية: «لنزع فتيل الأزمة الراهنة ينبغي على السلطة الفلسطينية أن تتصرف على أساس تصريحاتها بشجب الإرهاب، ويجب على إسرائيل أن تواصل انسحابها، وعلى جميع الدول العربية أن تجابه الإرهاب في نفس منطقتها، وعلى جميع الأطراف أن يتوقفوا عن تمويل الإرهاب أو التحريض عليه، وعليهم أن يعلنوا

بوضوح أن القاتل ليس شهيدا، بل إنه أو أنها مجرد قاتـل أو قاتلـة». وأضـاف: «عـلى جميـع الأطراف أن يدركو أن الحل الوحيد الطويل الأجل هو أن تكون هنـاك دولتـان – إسـرائيل وفلسطين» تعيشان جنبا إلى جنب في أمن وسلام. وهذا سوف يتطلب خيارات صعبة وقيادة دقيقة من جانب الإسرائيليين والفلسطينيين، وجيرانهم العرب».

ودعا الرئيس الأمريكي الأسبق، جيمي كارتر، الإدارة الأمريكية إلى زيـادة ضـغوطها على إسرائيل من أجل إيجاد حل للازمة الراهنة في الشرق الأوسـط. وطالـب كـارتر، في مقالة نشـرتها صـحيفة «نيويـورك تـايمز» بتـاريخ ٢٠/ ٤، الإدارة الأمريكيـة باسـتغلال المساعدات التي تقدمها لإسرائيل، والتي تصل إلى عشرة ملايين دولار يوميـا، كوسـيلة للضغط على الحكومة الإسرائيلية.

وقال مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط، وليم بيرنـز، لوكالـة «رويتر» في الساحة التي سويت بالأرض وسط مخيم جنين: «أعتقد أن مـا نـراه هنـا هـو مأساة إنسانية مروعة». وأضاف: «واضح أن ما حدث هنـا في المخـيم تسـبب في معانـاة إنسانية هائلة لآلاف المدنيين». ودعا بيرنـز إلى السـماح بوصـول منظمـات الإغاثـة إلى المخيم، وأكد أنه «من الضروري أن يوفد الأمين العام للأمم المتحدة كـوفي عنـان بعثـة إلى مخيم جنين. أنها مبادرة مهمة جدا».

واقترح وزير الخارجية الأمريكي، كولن باول، على الرئيس بوش تجـاوز مخططـات وقف إطلاق النار بين إسرائيل والفلسطينيين والمضي مباشرة نحو محادثـات السـلام، وقال: إنه يتوجب على الإدارة الأمريكية «تحديد إستراتيجية تسعى إلى إنهاء الصراع عـلى نحو عاجل، بدل التركيز على اتفاقيات مرحلية»، وجاءت أقوال الوزير باول في لقاء جمعه بكل من الرئيس بوش، ورئيس وكالة الاستخبارات المركزية جورج تينيـت ومستشـارة الأمن القومي، كوندوليزا رايس، في كامب ديفيد.

وشدد الاتحاد الأوروبي على أهمية المبادرة التي اتخذها الأمين العـام للأمـم المتحـدة، والمتعلقة بجمع معلومات محددة تتعلق بالحوادث الأخيرة في مخيم جنين للاجئين، ودعا إلى تسهيل وصول المنظمات الطبية والإنسانية للسكان الفلسـطينيين، وفقـا لقـرار مجلـس الأمن رقم ١٤٠٥، ودعا الاتحاد الأوروبي في بيان صادر في مدريد جميع الأطراف إلى إيجاد حل سلمي لكافة القضايا المعلقة في بيت لحم، وحذر من اقتحام مقر السلطة الفلسطينية في رام الله بالقوة، الأمر الذي يعرض سلامة الرئيس عرفات ومعاونيه للخطر.

وقد بلغ وزير الخارجية الفرنسي، أوبير فدرين، نظيره السعودي الأمير سعود الفيصل، ووزير التخطيط والتعاون الدولي الفلسطيني نبيل شعث أن الاتحاد الأوروبي بصدد تحذير إسرائيل من «مغبة أي لجوء إلى القوة ضد مقر» الرئيس الفلسطيني في رام الله.

ورحب وزير الخارجية البريطاني جاك سترو بموافقة إسرائيل على مبادرة الأمم المتحدة لإرسال فريق لتقصي الحقائق إلى مخيم جنين. وقال : إن الحكومة الإسرائيلية نفسها أعلنت أن ما قامت به (في جنين) كان ضروريا ومتناسبا، فإذا كان الأمر كذلك، فليس لإسرائيل ما تخشاه من تحقيق كامل.

وسارت في واشنطن تظاهرة كبيرة احتجاجا على الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، وقال منظمو التظاهرة أن المشاركين فيها تعدوا عشرات الآلاف، حملوا لافتات تندد بالدعم الأمريكي لإسرائيل، وتظاهر نحو ألفي شخص في مرسيليا تأييدا للشعب الفلسطيني.

و أعلنت الشرطة في أوسلو أن نحو ألف شخص من «أصدقاء إسرائيل» تظاهروا أمام مبنى البرلمان للتضامن مع إسرائيل واليهود النرويجيين.

جنين.. قوافل الشهداء والأبطال.. أيضا

فجر الخميس الموافق ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٢ وتحت جنح الظلام، تسللت وحدة من المستعربين الصهاينة إلى منطقة الجابريات في جنين، وهي منطقة مطلة على المخيم، حيث اغتالت ستة من أفراد الشرطة الفلسطينية.

وبعد ذلك دخلت أعداد كبيرة من الدبابات والمجنزرات وناقلات الجنود، تدعمها من الجو طائرات عمودية من المداخل الأربعة للمدينة، وتقدر بسبعين دبابة حيث دارت حرب حقيقية بين شبان المقاومة في المخيم وقوات الاحتلال التي لم تتمكن من دخول أزقة المخيم بسبب استبسال المقاومة، والروح الجهادية التي أبداها شباب المخيم، حيث اتخذوا قرارا بالدفاع عن المخيم، وأن يلقنوا جنود الاحتلال درسا في المقاومة، رغم شح الإمكانات إلا أن الروح الجهادية العالية التي تحلى بها المقاومون حالت دون دخول جنود الاحتلال للمخيم، وقامت الطائرات العمودية بقصف منازل السكان وإطلاق قذائف الدبابات واحتلت منازل قريبة من أطراف المخيم حيث قام

القناصة الصهاينة بقتل سبعة مواطنين أبرياء، وأصيب أكثر من ستين مواطنا، واعترفت قوات الاحتلال بمقتل جنديين إسرائيليين وإصابة عدد من الجنود منهم أربعة جنود في حالة موت سريري.

وقال رئيس بلدية جنين وليد أبو مويس: أن قوات الاحتلال تمنع السكان من دفن الشهداء، وأضاف انه تم التنسيق الكامل مع قوات الاحتلال على عملية الدفن، فسمحت لموظفي البلدية أن يحفروا قبورا للشهداء، وخلال عملية الحفر فتحت قوات الاحتلال نيران أسلحتها عليهم مما أدى إلى إصابة عدد منهم بجروح، وأشار محمود صالح مدير قسم الكهرباء بالبلدية، إلى أن قوات الاحتلال فتحت النار على الموظفين دون أي سابق إنذار ودون أن يكون هناك أي خرق للتنسيق مما اضطر الموظفين للتوجه إلى مكان آخر للحفر، وخلال ذلك فتح الجنود النار عليهم مرة ثانية .

وناشد رئيس البلدية مؤسسات حقوق الإنسان للتدخل حتى يتمكن الموظفون من دفن الشهداء.

وأضاف أبو مويس: أن جنود الاحتلال لم يتمكنوا من السيطرة على المخيم، أمام التصدي والصمود الذي أبداه سكان المخيم، وخلف الاحتلال بعد الانسحاب في صبيحة يوم السبت تدميرا كاملا لخمسة عشر منزلا، حيث تم قصفها بالمدافع والصواريخ، كما استخدمت قوات الاحتلال القنابل الحارقة بحق المواطنين.

وعن الدمار الذي خلفته المحاولتان اللتان جرتا يومي الخميس والجمعة، يقول أبو مويس: أن المحاولات التي قامت بها قوات الاحتلال لدخول مخيم جنين أسفرت عن سقوط (أربعة عشر) شهيدا بينهم طفلة تبلغ من العمر (٣) سنوات، وإصابة أكثر من (٦٠) شخصا معظمهم في حالة الخطر، وهناك (ثلاث) حالات موت سريري، كما أن هناك شخصا بترت ساقه بسبب إصابته بشظية مدفعية وآخر بترت يده، كما تم تدمير (خمسة عشر) منزلا بالكامل، ودمر عدد آخر بشكل جزئي، ودمرت القوات الاحتلالية شبكتي الكهرباء والمياه في المخيم، وقطعت خطوط الهاتف كما منعت سيارات الإسعاف من نقل المصابين، وقطعت الكهرباء عن مستشفى جنين الحكومي وقامت بقصف (عشرين) محولا للكهرباء الأمر الذي ترك المخيم لليوم الثاني وأجزاء من المدينة دون كهرباء، أو مياه ويضيف أبو مويس أن قوات الاحتلال منعت دخول المواد الغذائية وحليب الأطفال إلى المخيم.

وقال أمين سر حركة فتح في جنين قدورة موسى: أنه ومنذ صباح يوم الخميس تقوم قوات الاحتلال المدعومة بالدبابات والطائرات بالمحاولة للدخول إلى مخيم جنين، حيث تدمر كل شيء يأتي بطريقها، كما أنها تقصف منازل السكان بشكل عشوائي، وهناك أكثر من (ستين) دبابة تتمركز في المدينة، وتقوم الطائرات بإنزال الجنود المظليين، وتقوم الجماهير الغاضبة بتشييع الشهداء الذين منعت قوات الاحتلال المواطنين من دفنهم رغم إجراء التنسيق لذلك.

إن المحاولات الإسرائيلية رغم شراستها وغطرستها باءت بالفشل، حيث لقيت مقاومة مستميتة مما أدي إلى مقتل جنديين إسرائيليين حسب اعتراف العدو، كما أن هناك عددا من الآليات أُعطبت وتركها الجنود على الشوارع ، وقال قدورة موسى أن مقاومة الفلسطينيين انتصرت فها هم لليوم الثالث لم يتمكنوا من دخول المخيم، وقد سمع الناس بكاء الجنود في شوارع المدينة وثمن عاليا صمود المقاومة.

أمام هذه الهجمة الاحتلالية خرج الشبان من منازلهم لأخذ أماكنهم في الدفاع عن المدينة والمخيم، ولم يبق في البيوت سوى الأطفال والنساء. وقال الشاب أحمد إسماعيل: منذ يومين لم أدخل المنزل، وعندما تكلمت مع أهلي عرفت أنه لا يوجد في البيت سوى أمي وأخواني الصغار وأننا هنا نقوم بواجبنا، ويقول محمد يوسف أن هذه التجربة من أصعب التجارب في المخيم فمنذ بداية انتفاضة الأقصى وحتى اليوم لم يمر المخيم بما هو أصعب من هذه الهجمة، ويقول قدورة موسى : إننا لا نتوقع خيرا من حكومة على رأسها شارون، فهو جنرال الحروب وتاريخه معروف للجميع، فهو رأس مجازر سنة (٤٩) ومجازر (٦٧) وصبرا وشاتيلا، وإن دلت هذه المحاولات على شيء إنما تدل على إفلاس هذه الحكومة، وهي في النفس الأخير، وهذا هو بداية زوالها وانهيارها.

وعلى الصعيد السياسي حملت القيادة الفلسطينية الحكومة الإسرائيلية مسؤولية ما يحدث في المخيمات الفلسطينية. ففي رسائل عاجلة وجهها الرئيس إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم، وأمريكا والاتحاد الأوروبي ودول عدم الانحياز، طالبت القيادة الحكومة الإسرائيلية بالانسحاب الفوريّ من المخيمات، وثمنّت عاليا تصريحات الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان الذي طالب قوات الاحتلال بالانسحاب الفوريّ من المخيمات، وحمل الرئيس ياسر عرفات الدبلوماسيين العاملين في فلسطين رسائل إلى

حكوماتهم وضح فيها طبيعة الوضع المتفجر في مخيمي جنين وبلاطة، وطالب حكوماتهم فيها بالتدخل الفوري لوقف الهجمة الإسرائيلية.

فيما أشار وزير الثقافة والإعلام ياسر عبد ربه إلى خطورة الموقف، وحمل إسرائيل المسؤولية الكاملة عن تبعات سياساتها، وأضاف أنه لا جدوى من عقد اللقاءات الأمنية في ظل هذا التصعيد، الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية. وأضاف إن القيادة الفلسطينية ستلاحق هذه الاعتداءات على كل المستويات والإطارات.

من جهته طالب الاتحاد الأوروبي إسرائيل بالانسحاب الفوري من مخيمي جنين وبلاطة، وأضافت إسبانيا التي ترأس الاتحاد : إنها قلقة جدا من تداعيات الموقف، وأنها تطالب بضرورة وقف هذه الأعمال لأنها لا تخدم أي طرف.

وحذرت المعارضة الإسرائيلية القائد المباشر للقوات التي تقوم بعملية اجتياح المخيمات الفلسطينية من أن هذه الأعمال تعد من جرائم الحرب، وأنها ستقوم بالإجراءات القانونية على هذا الأساس، وحمل زعيم المعارضة الإسرائيلية يوسي سريد رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون مسؤولية التصعيد، واتهمه بأنه يقوم بذلك بهدف قتل المبادرة السعودية.

نابلس.. جبل النار.. والنور

(نابلس).. وصفها الرحالة العرب قديما بأنها «قصر في بستان»، وأنها مدينة «الحزن والجمال» وأطلقوا عليها اسم «دمشق الصغرى» لما تحمله من طابع عمراني يشبه في روعته مدينة دمشق السورية، وأسموها «المدينة الجديدة» وهي تحريف لاسمها اليوناني نيابلوس، وفي العصر الحديث أطلق عليها «جبل النار»، وذلك للدور البطولي والبسالة التي بدت من أهلها خلال جميع الثورات التي كانت تنطلق لمقاومة المحتلين.

تقع مدينة نابلس في واد خصيب بين جبلي عيبال شمالا وجرزيم جنوبا، وتتمتع بموقع جغرافي هام، فهي تتوسط إقليم المرتفعات الجبلية، وتعد حلقة في سلسلة المدن الجبلية من الشمال إلى الجنوب، وهي تبعد عن عاصمتنا الأبدية «القدس» ٦٩كم.

أما البلدة القديمة من نابلس فقد حول الاحتلال تاريخها ومعمارها العريق إلى ركام ودمار وجعل من المراكز الأثرية والتاريخية فيها أكواما من الخراب بفعل ضربات آلياته وطائراته، خلال عدة اجتياحات تعرضت لها، ممزقا بذلك لوحة تراثية وحضارية

خلد الإنسان فيها أروع منجزاته.

تاريخ عريق

تتكون البلدة القديمة من سوقين يمتد الأول من البوابة الشرقية إلى نهاية البوابة الغربية، أما السوق الثاني فهو أصغر من الأول، ويبلغ طوله نصف الأول تقريبا، أما المساجد فهي كثيرة، أشهرها الجامع الكبير الذي كان الصليبيون قد حولوه أيام احتلالهم للمدينة إلى كنيسة عرفت باسم «كنيسة البعث»، وقد أعيد تسميته باسم الجامع الصلاحي أو الكبير عندما تحريره عقب معركة حطين، وبنفس المكانة كان مسجد الخضرة الذي يقع في حي الياسمينة والذي بني في العصر المملوكي على يد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، والكثير من المساجد الأخرى ومنها جامع الأنبياء، وجامع السلطان وجامع البيك.

أما الطراز العمراني للبلدة القديمة فهو يشبه إلى حد كبير البناء السوري، فقد شيد أهالي المدينة منذ القدم المنازل على شكل يوفر الراحة والرفاهية، فكانت المنازل كأنها حدائق، ويوجد فيها غرف كثيرة وساحات واسعة تتوسطها أحواض ماء، ما يجعلها أقرب للقصور.

وتشتهر مدينة نابلس بالحمامات – أو ما تعرف بالحمامات التركية – ومن أشهرها «حمام الدرجة» و «وحمام الريشة» و «حمام الشفاء»، وغيرها من الحمامات، أما حارات البلدة القديمة والبالغ عددها ٦ حارات – الياسمينة والعقبة والعزب والحبلة والقريون والقيسارية – فهي غاية في الجمال مزينة ببلاط روماني رائع، ويوجد في المدينة أيضا سوق الحدادين الذي يضفي لوحة جمالية يمكن تأملها، إضافة إلى ما يطلق عليه أهل المدينة «المصابن»، أو ما يعرف شعبيا بالصبانات وهي بنايات تستعمل في صناعة الصابون الذي تشتهر به المدينة والذي يعرف بالصابون النابلسي.

نابلس القديمة بعد الاجتياح

ولكن، بعد أكثر من عام من الاجتياحات والاعتداءات المتكررة، تبدو نابلس القديمة ومعالمها التاريخية التي لم يعد الكثير منها سوى ذكرى في أذهان أصحابها وأكوام من الأتربة والحجارة، كما هو الحال بالنسبة لصبانة طوقان والتي قصفت بطائرات الـ إف ١٦ في الاجتياح الأول للمدينة فلم يتبق منها سوى الذكرى.

أما المساجد والكنائس فلم تكن قدسيتها كافية بالإضافة إلى مكانتها الأثرية لكي لا يدمرها الاحتلال، فقد دمرت قوات الاحتلال عددا من المساجد، أبرزها الجامع الكبير أو الصلاحي الذي أمر القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي بإقامته، وهو عبارة عن صرح يمزج حضارات عدة ومختلفة وبشكل خاص الطراز البيزنطي، ومن المساجد التي تضررت أيضا جامع النصر الذي يقع وسط المدينة القديمة، وقد أقيم فوق بناء بيزنطي في العصر الأيوبي وله مئذنة بنيت في العهد العثماني، وهدمت في زلزال ضرب نابلس عام ١٩٢٧ وثم أعيد بناءها عام ١٩٣٥.

لم يختلف حال جامع الخضراء الذي أقامه السلطان قلاوون الصالحي قبل قرون عديدة عما حل بجامع النصر والجامع الكبير، فقد تضرر هذا المسجد بشكل كبير وفي أكثر من مرة خلال الاجتياحات المتكررة التي تعرضت لها البلدة القديمة من نابلس ويمتاز هذا المسجد بأنه يحتل مكانة خاصة بين الناس في المدينة.

لم يختلف حال الكنائس في البلدة القديمة عن المساجد كثيرا فيما اقترفته قوات الاحتلال، فقد تعرضت كنيسة «سانت ديموتريوس للروم الأرثوذكس» والواقعة في الجزء الغربي من البلدة القديمة، والتي تعود إلى الفترة الصليبية، وتقع غرب جامع الخضر تعرضت لدمار وخراب كبير حل بها نتيجة قصف طائرات الاحتلال للبلدة القديمة إبان اجتياحها في أوائل نيسان عام ٢٠٠٢.

وانتشر الدمار ليطال موقع المدرج الروماني في حارة القريون في البلدة القديمة، وهو من أبرز الآثار الرومانية، وتم تدمير ساحة التوتة أيضا في حي القريون، التي يوجد فيها عين ماء تم ترميمها قبل عدة سنوات بمشاركة اليونسكو وأخذت تعرف فيما بعد باسمها.

وأصاب الدمار أيضا عدة مصابين قديمة، تعتبر جزء من تراث المدينة، وما امتازت به على مر العصور، كذلك تم تدمير عدد من الآبار الرومانية التي ترتبط بممر مائي يصل إلى عين دفنة في نابلس، ولم تسلم القصور القديمة التي لحق بها منها دمار كلي أو جزئي، ومنها قصر عبدالهادي وقصر طوقان وقصر النمر، كما دمرت قوات الاحتلال الشوارع المبلطة التي تم ترميمها حديثا والعديد من الأبراج والقناطر التاريخية كالبرج الصليبي في حي الياسمينة الذي أصيب بأضرار بالغة.

هذا إلى جانب عدد كبير من البيوت والمحلات التجارية التي تم تدميرها إما بشكل

كلي أو جزئي.

وتصف وزارة الثقافة الفلسطينية في تقرير لها نابلس القديمة بأنها «مركز تاريخي وحضاري فريد في فلسطين، يحتوي على تراث عريق، تعود الآثار والممتلكات والمباني فيه إلى فترة تمتد إلى ٧٠ عاما قبل الميلاد، وتتجاور فيه الحضارات من رومانية وبيزنطية وإسلامية، وتشكل نسيجا حضاريا هو في الواقع ملك تراثي للإنسانية جمعاء».

وأوضحت: «إن قوات الاحتلال استخدمت أسلحة فتاكة في تدمير هذا الأثر الإنساني وما يزخر به من ممتلكات ثقافية وتراث حضاري رغم اكتظاظها بالسكان المدنيين في مختلف الحواري والبيوت، مشيرا إلى أن قوات الاحتلال وجهت قذائف المدفعية والدبابات وطائرات الأباتشي صوب البلدة القديمة، مما ألحق أفدح الأضرار بالمواقع التاريخية والدينية، ومزقت هذا النسيج التراثي الإنساني، وهدمت البيوت التي تعود إلى فترة المملوكية والعثمانية على رؤوس ساكنيها، كما هدمت الأسواق والحارات التي تربط مختلف الأحياء ببعضها البعض.

ودمرت قوات الاحتلال مركز البلدة القديمة الذي يبلغ طوله ٢٣٠ مترا، ويوجد فيه آثار رومانية وبيزنطية وإسلامية هامة، وشمل برج الساعة والسرايا العثمانية ومبنى المحكمة العثمانية والقناطر الجنوبية التي تربط المركز التجاري للبلدة مع حي القريون.

كما تم تدمير مدخل الساحة من الجهة الشمالية التي تربطها مع خان التجار، وكذلك الشارع الذي يربط الساحة بالمسجد الكبير وهو سوق للحرف التقليدية.

وامتد العدوان ليشمل خان الوكالة عند البوابة الغربية، وهناك تدمير كلي أو جزئي للعديد من المنازل والمنشآت وهي مبانٍ قديمة تعود إلى الفترة العثمانية أو المملوكية.

وأكد المهندس إبراهيم مصلح مدير دائرة الأشغال العامة في نابلس، أن عددا كبيرا من المنازل تضررت جراء العدوان التي استهدف البلدة القديمة موضحا أنها تعرضت لاجتياحات متكررة وتدمير مبرمج طال أكثر من ٣٥٠٠ منزل لحقت بها أضرار مختلفة.

وقد تعدى تدمير هذه البيوت ليصل إلى الآثار من مساجد وكنائس ودواوين وأسواق شعبية وآثار قديمة قد تعرضت للدمار والضرر مما أدى إلى حدوث ما يشبه الكارثة

الإنسانية الحضارية.

وأضاف أن عددا كبيرا من الأسر لم تستطع العودة حتى هذه اللحظة إلى بيوتها التي تضررت، مشيرا إلى أن عددا من البيوت التي ضربت في الاجتياح الأول وأعيد ترميمها قد أعيد تدمير بعضها مجددا في اجتياحات أخرى.

وأكد أن ١٥٠ منزلا تعرضت لهدم كامل في حين أن كثيرًا من المعالم الأثرية تضررت أو هدمت بشكل كلي أو جزئي.

أما عن أكثر المناطق تضررا فقد قال المهندس مصلح: إن حارات الياسمين والقريون والحبلة هي أكثر الأحياء تضررا، في حين أن شارع النصر هو أكثر الشوارع تضررا، أما سوق البصل وسوق الحدادين فهي أكثر الأسواق التي تم إلحاق خسائر بها نتيجة العدوان الذي نفذته قوات الاحتلال خلال اجتياحاتها للبلدة القديمة، وقد قدرت الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية بـ ١٥ مليون دولار.

وحول دور المؤسسات الإنسانية والدولة في إعادة بناء المناطق المدمرة وحماية أثارها، قال مصلح أن هناك وعودًا كثيرة من بعض الأشقاء في الخارج، ولكن حتى هذه اللحظة لم يوفِ إلا القليل بوعده، وقد تم بالفعل ترميم بعض المنازل، ووفرنا أيضا بيوت مؤقتة لبعض العائلات والتي لم نستطع حتى هذه اللحظات توفير مأوى لهم، ونحن ننتظر تنفيذ بقية الوعود لكي نستطيع الإيفاء بالتزاماتنا أمام أصحاب البيوت التي دمرها الاحتلال.

وأضاف قائلا: إننا نناشد إخواننا العرب والمجتمع الدولي وكذلك منظمة اليونسكو مد يد العون والمساعدة لإعمار تلك البيوت المدمرة، ولحماية تلك الثروة الوطنية من الانتشار تحت جنازير آليات الاحتلال.

لا يزال الشعب الفلسطيني يسطر في كل يوم صفحات جديدة من البطولة والنضال تؤكد عدالة قضيته، وصدق انتمائه، وليس مثل البطولة والصمود شاهد على صدق كفاح شعبنا، وليس مثل دماء الأحرار وسيلة لتوثيق أصالة هذا الشعب وحتمية انتشاره.

في أوائل السبعينيات اشتعلت نابلس جبل النار بلهب الغضب والثورة، وتركزت المقاومة في حي القصبة العتيد، وتواصل العدوان الإسرائيلي الغاشم على هذا الحي الأصيل الضارب في أعماق التاريخ. ومنع سكانه من التجول، وحبست آليات العسكر

وأسلحته ونيرانه آلاف السكان في بيوتهم، وحاصرتهم حصارا مرا قاسيا، ومنعتهم من التقاط أنفاسهم، وقطعت عنهم الكهرباء والاتصالات الهاتفية وفرضت بالرصاص والنار جوا من القهر والقمع طوال أكثر من ثلاثة أسابيع.

كنت يومها أقيم في مدينة نابلس، وكان الاتحاد النسائي هو القاعدة التي ننطلق منها من أجل نضال وطني واجتماعي فاعل، كنا كوكبة من نساء نابلس مجموعة من السيدات المثقفات اللواتي يرفضن القهر، وينظرن إلى الحياة بعين واعية وضمير حر، وفكر متحرر، فلم نسكت.

إن السكوت جريمة وضعف وهوان، ورفعنا لواء التحدي، فما أن يرخي الليل سدوله حتى تتعالى في أجواء البلدة القديمة أصوات الصفارات من كل مكان مصاحبة بقرع الأواني النحاسية وبصورة متواصلة، معلنة رفض هذا الهوان، ومؤكدة أننا لن نسكت وأننا نحاول أن نقول للجلاد.. كفى.

ولم يقتصر دور نساء نابلس على ذلك بل كانت النساء تتصيد عساكر العدو، وتلقي على رؤوسهم الماء المغلي، وقوارير الزرع، وما تيسر من الآلات أو الأواني.

لقد كانت وسيلتنا بسيطة، ورمزية، ولكنها كانت رسالة إلى الجلادين، أعداء الإنسانية. وتواصل المد العدواني على حي القصبة ونابلس القديمة، وهرعنا إلى رئيس البلدية الحاج معزوز المصري، وطلبنا مقابلة الحاكم العسكري لمدينة نابلس، الذي حضر وهو يغلي بالغضب والثورة، وصاح في وجه معزوز المصري:

أوقفوا نساءكم: ما هذا الذي تفعلونه!!

ورد عليه الحاج معزوز المصري بأعصاب باردة وبلهجة لا تخلو من التحدي:

أوقفوا أنتم جنودكم.

ورد الحاكم في انفعال:

هذه الزمرة من البشر، ليست نساء، إنهن مجرمات.

ويرد الحاج معزوز المصري بلجته النابلسية المحببة:

ماذا تتوقع يا كولونيل؟ لا، الأتراك، ولا الإنجليز.. استطاعوا قهر هذا الشعب، الأفضل لكم أن ترحلوا عن هذا الوطن.

كان ذلك في أوائل السبعينيات، وها هو التاريخ يعيد نفسه، ها هو حي القصبة يسجل في تاريخ الشعوب والنضال فصولا جديدة، مؤكدا أن الروح الثورية التي تسكن هذا الشعب لن تجف، ولن تتراجع، ولن تستكين على امتداد عامين كاملين، والثورة مشتعلة في نابلس وعشرات الشهداء يوميا، يعطرون أرض القصبة بدمائهم الزكية.

لقد أصبح حي القصبة رمزا حيا للتراث الإنساني، أصبح علما، على همجية العدو الغاصب، وعلما على بطولة الشعب الفلسطيني.

وكما كان حي القصبة في الجزائر مهدا للثورة ومنارة لكل مقاومة شعبية باسلة، سيدخل حي القصبة في نابلس تاريخ البشرية كتراث إنساني خالد، يؤرخ لنضال الشعب الفلسطيني ويؤكد بطولة هذا الشعب وصموده، واستعداد جماهيره لتقديم قوافل الشهداء والأبطال.

التقيت ذات يوم المخرج السوري العالمي مصطفى العقاد، فقال لي: لو قدر لي أن أخرج فيلما عن الثورة الفلسطينية فسيكون حي القصبة في مدينة نابلس منطلقا لسيناريو فيلم عظيم تماما كحي القصبة الجزائري.

وهذه الرؤية الصادقة للمعاني الإنسانية النبيلة والروح النضالية التي يجسدها حي القصبة، وجدتها عند المخرج اليوناني العالمي كوستا جفرز الذي نال أرفع الجوائز، كما أن فيلمه عن حرب الجزائر وعن حي القصبة قد هز الدنيا بأسرها، وحقق أمجادا فنية ونضالية وعالمية كما أن فلمه حنا كاف عن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يعد وثيقة فنية وتاريخية وقد فاز أخيرا فيلمه آمن بجائزة عالمية وهو يحكي عن دور الفاتيكان في فترة النازية.

هذا المخرج العظيم، وزميله كاتب السيناريو العالمي المبدع فرانكو ساليونز، يؤكدان أن حي القصبة الفلسطيني، سيشهد قريبا تحقيق فجر الحرية والانتصار، تماما كما تفجرت مواكب النصر والحرية من حي القصبة الجزائري في منتصف الستينيات، وما أشبه اليوم بالبارحة.. وما اصدق رؤى التاريخ، وما أقرب ما تتحقق رؤى الفنان الحقيقي.

الزبانية.. والبحث عن المطلوبين

تحت عنوان «ماذا يعني، أطلق النار علي؟ أليس من العيب عليك أن تتصرف هكذا» كتبت عميرة هاس في صحيفة «هآرتس» تقول:

في مخيم اللاجئين قرب رام الله لن ينسوا سريعا اجتياح جنود الجيش الإسرائيلي في

الأسبوع الماضي، الدمار في البيوت، التهديد بالبنادق، الخوف على مصير الرجال الذين أخذوا من المكان لمعسكر الجيش، واحد منهم عمره ١٥ خمسة عشر عاما، يروي قصته وما حدث معه منذ أن اعتقل إلى أن أطلق سراحه.

مخيم اللاجئين الأمعري

يوم الثلاثاء ١٢ آذار، عام ٢٠٠٢ الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، أمل أبو رضوان أعدت المجدرة في المطبخ، قبل ذلك بنحو ١٢ ساعة، يوم الاثنين في منتصف الليل، سيطر الجيش على رام الله وطوق الأمعري مخيم اللاجئين الذي تعيش فيه مع عائلتها، قسم من الأولاد كانوا في البيت، وقسم آخر يتجول في الأزقة، زوج أمل، جمال، الذي يعمل في الصيانة في مركز الأنروا في المخيم، كان في مكان ما في المخيم، فجأة سمعت أمل أصواتا خلف الجدار الشرقيّ لمطبخها الضيق.

ضيق لكنه مرمم قبل أربعة أشهر فقط، بعد أن جمعوا تعريفة على تعريفة اكتمل الترميم - بلاط سيراميك، ثلاجة جديدة، مجلى جديد، ولمبة، خلال دقائق تحطم المجلى والمواسير، وثغرة كبيرة فتحت في الحائط، اثنان من أولادها فروا فزعا من البيت، ابنة أخرى أصيبت بصدمة ولن تنطق بعد ذلك لمدة يومين، امتلأ المطبخ بالجنود «سكوت»، قال لها أحد الجنود، بالعبرية. «روحي»، قال بالعربية، وصوب البندقية كمن يقول : «والا سأطلق النار عليك». هكذا، على أية حال، هي فسرت حركات يديه، أشارت إلى الثلاجة وطلبت ألا يمسوا بها إنها جديدة عندما رأت أنهم ينوون تحطيم الجدار المقابل، الذي يؤدي إلى مراحيض الجيران رجوتهم أن يفتحوا ثغرة في الممر، وليس في المطبخ خسارة فقط الآن رممناه، لكنهم كانوا يمسكون بخارطة (فيها علامات للبيوت)، وقال لي أحد الجنود غير ممكن لأنه حسب الخارطة يجب أن نفتح هنا».

جمال أبو رضوان أسرع في الوصول إلى البيت، عندما سمع أن الجنود قد اقتحموه في المخيم الصغير، ثمانية آلاف إنسان يعيشون باكتظاظ في نحو عشرة دونمات مربعة على الشارع الرئيسي البيرة - رام الله، المعلومات تنتشر سريعا، حتى والدبابات ما زالت تتقدم حول المنطقة، الابنة جميلة تروي بأن الجنود وجدوا علما أخضر في البيت، فقالوا لوالدها، حليق الذقن ويرتدي جينزًا: «أنت حماس»، ويروي أهل البيت بأنهم ضربوه بالبندقية على ظهره، وأدخلوه إلى الغرفة سوية مع أخيه الذي سيعتقل بعد ذلك (ويطلق سراحه)، «وقالوا لأمي بأنها ليست حماس، لأنها ليست محجبة، وشعرها مكشوف،

وترتدي سروالا». يعيش في البيت ثماني أنفس في غرفتين، أفرغ الجنود محتويات الخزانة، لم يجدوا شيئا وأخذوا معهم الباب، تضحك أمل وهي تتحدث عن الباب المتهم الذي أخذه للاعتقال (ولم يعد).

كما أن حماتها أسرعت في الوصول، لتكون مع العائلة، التي أمروها بالتجمع في الممر صوب أحد الجنود بندقيته نحو أمل، أغمي على أمل، «ماذا جرى لها، لماذا أغمي عليها»، سأل الجندي الحموات باستغراب حسين ابن الثالثة اقترب من جندي آخر وأمسك ببندقيته، الجندي ضربه بشكل خفيف وكأنها تتساءل: «ماذا، أتريد أن تطلق النار علي؟»، ظلوا محتجزين حتى الساعة الخامسة من صباح يوم الأربعاء في غرفة واحدة، ولم يسمعوا إلا الجنود وهم يخرجون ويدخلون عبر مطبخهم في طريقهم إلى مهماتهم في المخيم، وعندما عادوا ليتفقدوا بيتهم وجدوا أن محتوى طنجرة المجدرة قد سكب، واللمبة الجديدة قد حطمت، وأن البندقية الدمية التي كان قد حصل عليها الابن في عيد الأضحى قد اختفت.

عدد من الأولاد ظلوا ينامون عند جدتهم ابنة الخامسة والستين سنة، من مواليد القرية المهدمة جيمزو، تحسب أعمار أبنائها حسب عدد السنوات التي مرت بين ١٩٤٨ وبين ولادتهم «كم مر من الزمن منذ أن أصبحنا مهجرين؟» تتساءل، وتحسب في يوم الثلاثاء، سمحت لنفسها بالتجول في الأزقة والاقتراب من الشارع الرئيسي الذي يقع بيت ابنها جمال قريبا منه «فجأة ظهر جندي، وصوب بندقيته نحوي»، قلت له: «شو يعني، طخني؟ مش عيب عليك، بتتصرف هيك؟.

في فناء البيت المقابل يشهد عدد من الأصفاد البلاستيكية وأقمشة الفانيلا على ما جرى هناك احتجاز معتقلين، على ما يبدو هؤلاء هم الذين لم يستجيبوا فورا لنداءات تسليم أنفسهم، وهناك أيضا كيس نايلون كتب عليه «منتجات الجودة لمخبز دافيدوفيتش»، وداخله علبة فارغة للحم محفوظ المسمى «لوف» وكسرة خبز تشهد على أن الجنود مكثوا في المكان.

من بيت أبو رضوان دخل الجنود إلى بيت مربوع بيت أكبر قليلا، في تلك الليلة بين الثلاثاء والأربعاء استخدمه عدد من الجنود للنوم ثلاثة من الشبان في البيت اعتقلوا، بنات العائلة والأولاد تم حشرهم في غرفة واحدة، غرفة نوم البنات اقتحمت، والثغرة في الحائط التي سدوها للتو من جديد تؤدي إلى مراحيض الجيران، وخلال البحث عن

سلاح، غير موجود أصلا، كل شيء انقلب – الملابس، الفراش، الخزانات، البطانيات، عشرات أكياس النايلون المليئة، التي لم يتم فتحها، محشوة في إحدى الخزانات، هذه هي الصورة المعروفة جدا، التي تكرر نفسها في عشرات بيوت المطلوبين وغير المطلوبين.

وكما هو معروف في بيوت أخرى في المخيم، يروي السكان أن حاجياتهم قد اختفت من البيت بعد أن اقتحمه الجنود، وحسب الروايات، أموال نقدية في السراويل التي تم تفتيشها اختفت، وهكذا أيضا الأموال التي كانت في الجزادين، كاميرات فيديو، كاميرات تصوير فوتوغرافي، أجهزة هواتف نقالة، أجهزة هواتف عادية، حلي ذهب وحواسيب، في أحد بيوت المخيم رأينا علبة شوكولاته فارغة، وجدها الجنود، قال صاحب البيت، وبهتافات فرح أكلوا الشوكولاته أمام أعين أبناء العائلة، روايات شبيهة سمعناها على مدار السنة الأخيرة تقريبا في كل مكان اقتحمه جنود الجيش الإسرائيلي في أنحاء الضفة، ودائما جاء رد الناطق باسم الجيش الإسرائيلي بأن هذه الادعاءات غير معروفة لنا، ويمكن تقديم شكوى إلى مكتب التنسيق والارتباط.

يبدو أن الدمار الأكبر في الأمعري حدث لبيت نبيل عنابي، في الطابق الثالث فوق مقهى المخيم، دخل الجنود إليه عبر الشباك يوم الثلاثاء، في الساعة السابعة والنصف مساء تقريبا، في أعقاب عدم تمكنهم من تحطيم حائط الباطون السميك الذي يفصل بين بيته وبيت والدته، حشر الجنود أبناء العائلة في المطبخ، ووقف أحد الجنود أمامهم، مصوبا بندقيته هم أرادوا الجلوس على الكراسي، لكنهم أمروا بالجلوس على الأرض، وبينما هم جالسون على الأرض في المطبخ، كانوا ينكمشون كلما سمعوا صوت انفجار وتحطيم، حاول نبيل أن يقوم كي يحتج على هذا فأمره الجندي بأن يظل جالسا في مكانه. «قلت للجندي: انظر إلى الأولاد كم هم خائفون، فهز الجندي كتفيه كمن يقول: ماذا أستطيع أن أفعل».

وبعد التوسلات سمحوا لأفراد العائلة بالنزول إلى الطابق الأول، إلى صالون العائلة، ليناموا فيه، وفي طريقهم إلى هناك اضطر أفراد العائلة إلى تخطي شظايا الزجاج، والبلاط الصيني، الذي حطمه الجنود، والتحرك بين الأثاث الذي تمَّ تكسيره ونصب كمتاريس في بيت الدرج، والقفز فوق جهاز التلفزيون الذي ألقي به بقوة على الدرج، وتدحرج حتى الطابق الأول. «حتى اسم الله، اسم الله، كسروه»، ندب نبيل عنابي، ابن الأربعين، وأشار إلى ورقة مذهبة مرمية على الدرج وموصولة بإطار تحطم زجاجه.

أما الشظايا فقد وضعها الجنود على شبابيك البيت ونثروها على الدرج، وقد استنتج عنابي أنهم قاموا بهذه الخطوة لكي يتمكنوا من سماع الخطا، إذا حاول أحد ما أن يدخل إلى البيت، وفي إحدى الغرف فرش الجنود فراش العائلة، وناموا عليه، وبين الستائر الممزقة، والشبابيك المكسرة، والكراسي المحطمة، وخزانة الأدوية المسكوبة، والملابس المنثورة ترك الجنود تفاحة مقضومة جزئيا، ونصف قطعة خبز عليها نقانق، خمسة بيوت عالية على الأقل احتلت هكذا وتحولت إلى نقاط رصد وإطلاق نار.

نبيل عنابي مر بعملية جراحية، وبحوزته أوراق طبية تثبت ذلك. ولذلك لم يمثل للاعتقال، أما شقيقه فقد استجاب لدعوة الاعتقال، صباح يوم الثلاثاء عندما هدأ قليلا أزيز الرصاص، سمعوا مكبرات الصوت تنادي الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٤٥ للتجمع في مدرسة البنات، حاولت أم محمد، وعمرها حوالي ٧٠ عاما وابنتها إقناع الحفيد «ر» (١٥ عاما) بأن يهرب «لا يوجد مخ للجنود، من يدري ماذا سيفعلون به، سيضربونه»، قالت الجدة، لكن «ر» قرر الذهاب «لأنه ماذا يمكن أن يفعلوا لي، ليس لديهم أي شيء ضدي»، رويدا رويدا احتشد رجال المخيم (أو من بقي منهم بعد أن تركه المطلوبون، نشطاء فتح وتنظيمات أخرَى ورجال أجهزة الأمن) أمام بوابة المدرسة، التي وصل إليها «ر» حوالي الساعة العاشرة، لقد تم تصوير المعتقلين في مدخل الساحة وفحصت أجسامهم.

واحتجزوا جميعهم في المدرسة حتى الساعة السابعة مساء، قسم منهم مكبل وقسم لا، «ونحن لم ندر ماذا يجري لهم وهم على بعد عشرة أمتار من هنا»، حدثت الجدة.

في السابعة مساء انتظرتهم جيبات عسكرية، فنقلت كل الـ ١٦٩ معتقلا من الأمعري إلى معسكري الجيش عوفرا جنوبي غرب رام الله، وفي معسكر عوفرا أجلسوهم على الأرض، وفي الحادية عشرة ليلا أحضروا خياما، وبعد ذلك فراشا، ولكن بدون بطانيات، في خيمة «ر» كان هناك ٤٧ شخصا، «الكبار تشاجروا كل الوقت مع بعضهم البعض، ليس كل واحد يحب الآخر، كما أنهم صبوا غضبهم علينا، قال «ر» أحد المعتقلين الكبار قال بالمقابل أن «ر» ابن الـ ١٥ عاما يبتسم لسماع الرواية المناهضة، ويقسم بأن الأولاد أشغلوا أنفسهم، «يوم الأربعاء أكلنا لأول مرة» يقول «ر» وهو ولد طويل ويحب بالأساس دراسة التاريخ. ماذا قدموا لكم؟ بوظة، بوظة على شوكولاته فقط للأولاد؟ لا للكبار أيضا، وبعد ذلك يطعمونهم طعاما عاديا، وأحضروا بطانيات

أيضا. وفي يوم الخميس أخذوا يجمعونهم في الباصات قبيل التحرير، أجلسوا حوالي تسعين منهم في الباص، أياديهم مقيدة إلى الأمام، وهكذا ظلوا في الباصات في حين أن محركاتها كانت تعمل من العاشرة صباحا حتى الرابعة بعد الظهر، وفي غضون ذلك، أخذت مجموعة أخرى من المعتقلين للتحقيق، كيف هو وضعكم الاقتصادي؟ سئل المحقق معهم، الذين عرفوا كيف يجيبون : «الحمد لله ذَهب، كل شيء تمام، كل شيء بوفرة» وذلك كي لا يفكر المحقق بأن لديه مرشحا ساخطاً هنا لتجنيده للعمالة، على خلفية ضائقة اقتصادية، وفي يوم الجمعة، بقي في الاعتقال عشرة من بين ١٦٩.

وفي الرابعة بعد الظهر سافرت الباصات حتى بوابة معسكر عوفرة، مسافة عدة أمتار، وهناك أنزلوا المسافرين المعتقلين بعد أن سلموهم استمارة «تحرير معتقل» كانت المنطقة كلها تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي، ورغم ذلك أمروهم بالتفرق كل بمفرده في شوارع بيتونيا، التي فرض منع التجول فيها بشكل فعلي لعل تلك اللحظات كانت مخيفة جدا، بل الأكثر خوفا. «القناص في البناية لا يرى استمارة تحريرنا»، قال «ر» كيفما كان وصلوا إلى مقر قيادة الأمن الوقائي في بيتونيا وهناك قضوا الليلة ومن هناك سمعوا دبابات الجيش الإسرائيلي في طريقها إلى خارج المخيم، إلى مشارف المدينة، في معسكر عوفرة نفسه، وفي المدرسة، لم يشعر «ر» بالخوف «هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها عن كثب مثل هذا العدد من اليهود الجيش، لم أشعر بالخوف أصلا الجنود هم الذين بدوا لي مرعوبين».

وطن ينزف ورئيس محاصر .. بيت لحم مهد المسيح

في يوم الخميس الموافقة ٢١ آذار عام ٢٠٠٢ شهدت مدينة بيت لحم هذا الأسبوع مقاومة باسلة وصمودا أسطوريا في مواجهة الأباتشي والدبابات، فقد استشهد الشاب فلاح عودة العصا، وأصيب زميله عودة عوض أبو سرحان بانفجار غامض بالقرب من مستوطنة «بسغات زئيف» قرب بلدة عناتا بالقدس المحتلة. والشابان من بلدة العبيدية شرق بيت لحم

ونعت كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح الشهيد المقاتل محمود عواد عجاج (٢٧ عاما) من بيت لحم، الذي استشهد خلال تصدي مجموعات المقاومة لقوات الاحتلال التي تقدمت بهدف التوغل في وسط المدينة وهو الأمر الذي أحبطه المقاومون ببطولة.

وسقط الشهيد عجاج في منطقة السينما. في المدينة التي شهدت أعنف المواجهات مع قوات الاحتلال، التي استخدمت مدافع الدبابات والرصاص من الرشاشات الثقيلة

ضد المقاومين والمواطنين المدنيين، وهو الشهيد العاشر في محافظة بيت لحم خلال عشرة أيام، وتعيش 'المحافظة حالة من التوتر الشديد مع تصعيد عدوان الاحتلال، وإعادة فرض حظر التجول على بلدات بيت جالا والدوحة والخضر.

وأطلقت قوات الاحتلال النار وقنابل الغاز المدمع على منازل المواطنين مما أدى إلى إصابة مئات بالاختناق، ومن مواقعها التي تمركزت فيها في بلدة الدوحة أطلقت قوات الاحتلال نيرانها باتجاه مخيم الدهيشة.

وتتحول شوارع بلدات المحافظة إلى شوارع أشباح في ساعات المساء والليل، حيث يعيش المواطنون ترقبا لأي تطور أو عدوان من قوات الاحتلال، التي تقوم بتدمير البنى التحتية وهدم المنازل وقتل المواطنين منذ بدء غزوها للمحافظة قبل عشرة أيام.

كما توغلت دبابات الاحتلال تساندها ناقلات جنود في منطقة باب الزقاق في بيت لحم، وهي المركز الحيوي للمدينة.

وكانت القوات الاحتلالية قد واصلت توغلها في مدن بيت جالا والدوحة والخضر ومخيم عايدة، وزادت من اعتداءاتها وتدابيرها العسكرية فيها، وما زالت الحركة غير مكتملة في كافة جوانب الحياة من تعليمية وتجارية وصحية. فالكثير من المدارس لم تنتظم فيها الدراسة بشكل كامل، والبعض الآخر مغلق كما هو الحال في بيت جالا والدوحة.

كما أن «جامعة بيت لحم» وجامعة القدس المفتوحة مغلقتان منذ الاجتياح، والعديد من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية تعمل بصورة جزئية جراء عدم وصول موظفيها إليها. وتسود حالة من الركود في شوارع مدينة بيت لحم، تتمثل في قلة الرواد إليها، الأمر الذي انعكس بدوره على الحركة التجارية.

وقد أطلق جنود الاحتلال في معسكر عش الغراب شرق مدينة بيت ساحور النار باتجاه منازل المواطنين ردا على ما اعتبرته سلطات الاحتلال «إطلاق نار استهدف الجيش الإسرائيلي» في هذا المعسكر الاحتلالي الذي تشن قوات الاحتلال العدوان منه عادة باتجاه بلدة بيت ساحور.

وقد استشهد في ٨ آذار ثمانية مواطنين خلال العدوان الإسرائيلي المتواصل على أهالي محافظة بيت لحم، وأصيب ٢٦ آخرون بجروح متفاوتة الخطورة بصواريخ طائرات «أباتشي» أمريكية الصنع.

ودارت معارك ضارية في مخيمي الدهيشة وعايدة مع جيش الاحتلال، الذي واصل تقدمه في مدن بيت لحم وبيت جالا والدوحة والخضر، حيث تمكن المقاومون في مخيم الدهيشة من إعطاب ثلاث دبابات إسرائيلية.

ويذكر أن المقاومين ردوا على العدوان الإسرائيلي بإطلاق قذائف «هاون» باتجاه مستوطنة «جيلو» قبالة بيت جالا. أما الشهداء الثمانية فهم: إبراهيم الأعرج (٢٦ عاما) سليمان الدبس (٣٠ عاما) سائد سعود عيد (٢٢ عاما) هدى محمود الخواجا (٣٥ عاما) أحمد نعمان الخضري (٣٨ عاما) عماد الصوفي (٢٢ عاما) عيسى زكريا فرج (١٩ عاما) وجاد محمود عطاالله (٢٠ عاما).

واستولت قوات الاحتلال على عدد كبير من منازل المواطنين في مخيم عايدة وبيت جالا والدوحة، وجعلت من سكانها دروعا بشرية وحولت أسطحها لنقاط عسكرية. وأفادت وسائل الإعلام أن جيش الاحتلال اعتقل عشرة مواطنين عرف من بينهم الدكتور عصام المحسيري ومحمود الزعول وأربعة من أبناء عائلة العفيفي. وكانت قوات الاحتلال المتمركزة عند المداخل المؤدية إلى مخيمي الدهيشة وعايدة قد تعمدت احتجاز سيارات الإسعاف التابعة للهلال الأحمر، مانعة إياها من إخلاء جرحى العدوان، مما أدى إلى تفاقم حالة العديد منهم وتهديد حياة البعض الآخر. وعرف من بين جرحى العدوان الإسرائيلي عدنان عجارمة، بسام أبو عكر، شادي البرميل، مصطفى أبو عكر. وفي غضون ذلك قصفت قوات الاحتلال المتمركزة في محيط مستوطنة جبل أبو غنيم شمال شرق بيت لحم أحياء مختلفة من مدينة بيت ساحور مما أدى إلى إلحاق أضرار مادية جسيمة بمنازل المواطنين.

وشيعت جماهير غفيرة جثماني الشهيدين الأعرج والدبس من مخيم عايدة إلى مثواهما الأخير في مقبرة الشهداء في بيت ساحور في موكب جنائزي مهيب انطلق من أمام مستشفى بيت جالا.

وندد المشيعون بالجرائم الإسرائيلية، ورفعوا الأعلام الفلسطينية داعين إلى مواصلة مقاومة جيش الاحتلال، حتى دحر قواته، وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، وأثناء مواراة جثماني الشهيدين أطلق عدد من المقاومين إحدى وعشرين طلقة في الهواء تحية للشهداء.

وفي مخيم الدهيشة للاجئين أطلقت قوات الاحتلال قذيفة من دبابة على سيارة

خصوصية داخل المخيم، أسفرت عن استشهاد جاد محمود عطاالله (٢٥ عاما) أحد كوادر حركة فتح، وأصيب اثنان ممن كانوا في السيارة وهما أحمد إسحاق وعادي مكاوي بجراح خطيرة.

وذكر سكان من مخيمي الدهيشة وعايدة للاجئين أن جيش الاحتلال قصف المخيمين المحاصرين بقذائف الدبابات، وطال القصف أحياءً في مدينة بيت لحم، حيث سقطت عدة قذائف في محيط جامعة بيت لحم وشارع بولس السادس، وأعلنت مصادر طبية أن خمسة مواطنين على الأقل أصيبوا بجراح فيما لحقت أضرار جسيمة بمبنى مدرسة مار يوسف.

وذكرت المعلومات الواردة من بيت جالا أن جيش الاحتلال داهم فجر السبت ٩ آذار مكتب حركة «فتح» في بيت جالا وعاث به فسادا.

وكان استشهد في المحافظة ستة مواطنين من بينهم مدير مستشفى اليمامة في الخضر، خلال العدوان المتواصل على مدن وبلدات ومخيمات محافظة بيت لحم.

فقد استشهد بعد ظهر الجمعة ٨ آذار أحمد نعمان عثمان (٣٧ عاما)، وهو مدير مستشفى اليمامة الطبي في بلدة الخضر إلى الغرب من بيت لحم. حيث فتح جنود دبابة إسرائيلية نيران المدافع الرشاشة تجاهه، بينما كان يعمل على تقديم الإسعافات لعدد من المصابين ، وإحضار الدواء من مستشفى بيت جالا.

كما استشهدت المواطنة هدى إسماعيل الخواجا (٣٦ عاما) جراء إصابتها بعيارات نارية في البطن والحوض أطلقها جيش الاحتلال، أثناء اقتحام منزلها في مخيم عايدة للاجئين.

وكان استشهد فجر الجمعة ٨ آذار ثلاثة شبان، هم سليمان الدبس (٣٥ عاما)، إبراهيم الأعرج (٣٧ عاما) وهما من مخيم عايدة، وسائد سعود عيد (٢١ عاما) من مخيم الدهيشة للاجئين جراء قصفهم بعيارات من عيار ٨٠٠ مباشرة من طائرات أباتشي كانت تحلق في أجواء المخيمين فيما أصيب ٢٠ مواطنا على الأقل، جراح عدد منهم وصفت بالخطيرة.

واستشهد في مخيم الدهيشة عيسى زكري (٢٠ عاما) مساء الجمعة ٨ آذار بينما كانت واقفا أمام منزله في مخيم الدهيشة، حيث أصيب بعيار ناري في الصدر، نقل على

أثره إلى مستشفى المقاصد في القدس حيث أعلن عن استشهاده في وقت لاحق.

وقد ذكرت مصادر جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني أن جيش الاحتلال أعاق وصول سيارات الإسعاف لفترة طويلة من الوقت لإخلاء الجرحى من مخيمي عايدة والدهيشة، وكانت طائرات الأباتشي التي بدأت تحليقها في أجواء المحافظة عند الثانية فجر الجمعة قد قصفت باستخدام الرشاشات الثقيلة منازل اللاجئين في المخيمين، مما أوقع كثيرا من الإصابات، وكان جيش الاحتلال قد اقتحم بأعداد كبيرة محمولة بالدبابات والمدرعات ترافقها جرافات ثقيلة فجر الجمعة ٨ آذار مدينتي الدوحة وبيت جالا قبالة مخيم الدهيشة المجاور.

وذكرت المصادر في المنطقة أن جرافات الاحتلال دمرت عدة طرق رئيسية تصل إلى مخيم الدهيشة، واجتاح جيش الاحتلال معززا بالدبابات والآليات قرية الخضر إلى الغرب من بيت لحم ملحقا تدميرا بعدد من سيارات المواطنين، وبالبنية التحتية حيث دمرت أعمدة الكهرباء وأرصفة الشوارع.

وتوغلت قوة معززة من جيش الاحتلال في عدة قرى جنوب وشرق المحافظة، باتجاه بيت لحم وقصفت طائرات «إف ١٦» مجددا عند الواحدة فجرا ولليوم الخامس على التوالي مبنى المقاطعة ودمرت ما تبقى من المبنى.

وكانت عدة مقار أمنية من بينها المخابرات العامة، والاستخبارات والقوة ١٧ أمن الرئاسة، والأمن الوطني دمرت بالكامل، فيما لحقت أضرار جسيمة بمقر الأمن الوقائي، وكذلك مقر الرئيس عرفات المتاخم لمبنى المقاطعة، كما أن أضرارا جسيمة أصابت عشرات منازل المواطنين.

وعزل جيش الاحتلال محافظة بيت لحم عن كافة المناطق، فيما تواصل على مدار الساعة حشد تعزيزات من الجيش مدعمة بالدبابات والمدرعات والجرافات، لتخريب الممتلكات عند مختلف محاور التماس تساندها طائرات الـ «إف ١٦» و «الأباتشي».

وعُلمَ أن جيش الاحتلال أطلق النار على المركبات العامة، في الوقت الذي لم يجرؤ جنود الاحتلال على الترجل من دباباتهم، وظلوا مقيدين بها وموجهين فوهات أسلحتهم الرشاشة على منازل المواطنين.

وأكد حنا ناصر رئيس بلدية بيت لحم أن الوضع في مدن وقرى ومخيمات المحافظة

صعبا للغاية، وأضاف أن «الدبابات الإسرائيلية لا تزال تحتل أجزاء من المدينة وتتقدم ليلا إلى البلدة القديمة كما حصل في الليلة الماضية».

وأوضح ناصر «إن الدبابات موجودة في شارع القدس - الخليل العابر بين مدينة بيت جالا وبيت لحم وبالقرب من مسجد بلال بن رباح في الناحية الشمالية للمدينة».

وقال ناصر: لقد عمنا أن هناك منزلا تعيش بداخله ثلاث عائلات في المدينة يحاصرها الجيش الإسرائيلي، ويمنع عنها الماء والغذاء، ويطلق النار على كل من يحاول الاقتراب منها.

وأضاف ناصر أن جيش الاحتلال يفرض حظر التجول في مدينة بيت جالا المتاخمة وعلى بلدة الخضر ومخيم عايدة للاجئين.

وكان ناصر ومحمد المدني محافظ بيت لحم والأب إبراهيم فلتس والنائب صلاح التعمري وعبدالله شكارنة مدير التربية والتعليم قد التقوا القنصل الإيطالي العام في القدس جياني غيزي وسكرتيرة الحزب الاشتراكي الإيطالي مارينا سيريني، وشرحوا لهم الظروف التي تعيشها المحافظة بسبب العدوان الإسرائيلي.

وتفقد الوفد برفقة مستقبليه مخيم عايدة، حيث جيش الاحتلال يتمركز في ا لمخيم وزاروا دير الراهبات المجاور.

وطالب ناصر الوفد الايطالي بالتدخل الفوري من أجل إنهاء هذه الهجمة الشرسة، والانسحاب الكامل لقوات الاحتلال من بيت لحم.

وزار ناصر ونائبه زياد البندك، وسكرتير البلدية جمال سلمان كلية دار الكلمة، الواقعة على جبل مورير واطّلعوا على آثار التخريب والدمار الذي ألحقه جيش الاحتلال بالكليّة. وتفقد الوفد ورش العمل في الكلية، ووقفوا عن كثب على تدمير بعض الجدران الاستنادية في محيط الكلية.

وقام ناصر ومرافقوه بزيارة مستشفى العائلة المقدسة، وقاموا بجولة في مرافقه وشاهدوا الخراب الذي لحق بجدران الكنيسة داخل المستشفى، وأثار العيارات الثقيلة الذي أصاب تمثال السيدة العذراء فوق الكنيسة الذي يعود تاريخ تشييده إلى عام ١٨٨٥م.

وجاء في بيان صدر عن مجلس بلدية بيت لحم أن الجيش الإسرائيلي يواصل حربه

ضد مدينة الميلاد، بيت لحم، وأضاف البيان أن دبابات جيش الاحتلال تقدمت باتجاه شارع بولس السادس الخميس الماضي، وفتحت أسلحتها الأوتوماتيكية الثقيلة، باتجاه الأحياء المأهولة بالمدينتين. ومؤسسات جامعة بيت لحم ومستشفى العائلة المقدسة ومدرسة مار يوسف.

وبالرغم من وجود علم فوق مستشفى العائلة المقدسة، فقد قصفت دبابة إسرائيلية الكنيسة بداخل المستشفى، واخترقت جدارها التاريخي. كما أصابت قذيفة أخرى معهد إيفيتا وأحدثت فتحة في الجدار.

وأشار البيان إلى أن تمثال السيدة العذراء المثبت فوق الكنيسة، تعرض للقصف بالرشاشات الإسرائيلية مما ألحق به أضرارا جسيمة، وقال البيان أن هذا التمثال التاريخي والديني تم بناؤه عام ١٨٨٥م كتمثال في كنيسة الأخت ماري في باريس.

واعتبر البيان استهداف الهجوم لأماكن مقدسة ومستشفى أمراً مخالفا للمواثيق المتعلقة بالأماكن الثقافية والتاريخية والدينية.

وأشار البيان إلى أن هذه الأعمال مس متعمد بالمشاعر الدينية للمسيحيين، وتحد واضح لأبسط مشاعر الإنسانية والقيم الدينية.

ودعا البيان جميع الكنائس والمؤسسات الدينية في العالم إلى التنديد بالعدوان، والتدخل لدى إسرائيل للحصول على ضمانات لحماية مؤسساتنا الدينية والثقافية والتاريخية، ووقف هذا العدوان الدامي ضد شعبنا الفلسطيني.

وكان مجلس بلدية بيت لحم قد أصدر بيانا في ١٢ آذار حول اجتياح مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والدوحة، والتنكيل بمخيمات الدهيشة وعايدة والعزة في المحافظة.

وقال البيان أن الاجتياح جاء بعد قصف طائرات أف ١٦ لمقرات الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الوطنية أربع مرات مما أحدث أضرارا جسيمة بالمباني والمساكن المجاورة، وإصابة عدد من الأشخاص بجروح وإجبار عائلات على إخلاء منازلها.





إخطبوط العدوان المجنون يدمر كل شيء.. البشر والشجر والحجر والإنسانية

الأحد ٢١/٤/٢٠٠٢

في يوم الأحد الموافق ٢١/ ٤/ ٢٠٠٢ لا تزال القوات الإسرائيلية تحتل عدة أحياء في مدينتي رام الله والبيرة، على عكس ما تناقلته وسائل الإعلام عن انسحاب إسرائيلي من المدينتين. ولا يزال الحصار مفروضا على المقر الرئاسي، كما لا يزال حظر التجول الجزئي مفروضا على رام الله والبيرة، واقتحمت القوات الإسرائيلية مكاتب صحيفة «فلسطين» الأسبوعية ودمرت محتوياته، وأطلق جنود النار على سيارة إسعاف، فأصيبت مريضة في داخلها. وتوغلت قوة إسرائيلية فجر اليوم في مخيم قلندية ودير دبوان وداهمت منازل واعتقلت مواطنين. كما اقتحمت قوة أخرى قرية دير عمار ومخيمها.

ولا يزال الحصار قائما حول مدن بيت لحم، وبيت ساحور، وبيت جالا ومنطقة كنيسة المهد التي حاولت قوة إسرائيلية اقتحامها مساء أمس، ومنعت القوات الإسرائيلية مسيرة من رجال الدين المسيحيين والمسلمين والشخصيات الوطنية من دخول مدينة بيت لحم.

وتواصل القوات الإسرائيلية احتلال طولكرم والخليل ونابلس والقرى والبلدات والمخيمات المحيطة بها، وتتعرض قرية ياصيد في محافظة نابلس لقصف شديد من طائرات الأباتشي، بينما توغلت قوات من المظليين في قرية عصيرة واحتلت مركز البلدية ومركز الشرطة فيها وسقط عدد من الجرحى.

وأدى انفجار لغم أرضي في جنين إلى بتر ساق ويدي طفل وإصابة آخر بجروح.

وصادر الجيش الإسرائيلي أربع قطع أرض قرب منطقة الجسر الجديد جنوبي سلفيت.

واقتحم بلدة العيزرية قرب القدس وداهم مبنى وزارة الداخلية وبعض المنازل.

واعتقل عددا من المواطنين بينهم النائب جرجوعي. كما دخل جنود إلى «جامعة القدس» وعبثوا بمحتوياتها.

واستمر القصف على خانيونس، وأُصيب عدد من المواطنين بينهم ستة أطفال.

وقد صرح ناطق عسكري إسرائيلي بما يلي:

- اعتقل الجيش الإسرائيلي فلسطينيين مطلوبين في خربة عطوف بالقرب من قرية طمون في وادي الأردن، كانا في طريقهما لتنفيذ عملية إرهابية في مستوطنة بكعوت، وبعد مطاردة استمرت طوال الليل أُلقي القبض على الفلسطينيين ووجد بحيازتهما سكاكين.

- بدأت قوات الجيش الإسرائيلي الانسحاب من مدينتي نابلس ورام الله، وستعيد انتشارها لتطويق المدينتين، وسيبقى الجنود الإسرائيليون في مواقعهم المحيطة بـ«المقاطعة»، وفق تعليمات الحكومة.

وقد دخلت قوات الجيش من الوحدة الخاصة دوفدفان ليل أمس واليوم مخيم قلندية للاجئين جنوبي رام الله، واعتقلت ١٣ مطلوبا من الفلسطينيين واستولت على بعض الأسلحة، وخلال العملية تم تبادل لإطلاق النار، ولم يصب أي من الجنود بأذى. وفي نهاية العملية غادر الجنود منطقة المخيم.

وعلى الجانب الفلسطيني قالت القيادة الفلسطينية في بيان لها أن إعلان رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون إنهاء المرحلة الأولى من العدوان الإسرائيلي والانسحاب من المدن الفلسطينية، ليس في الواقع سوى تضليل هدفه الالتفاف على تنفيذ قراري مجلس الأمن رقم ١٤٠٢ ورقم ١٤٠٣ وعلى بيان مدريد الرباعي وإعلان الرئيس الأمريكي.

وقد أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون في جلسة الحكومة اليوم، انتهاء

المرحلة الأولى من عملية «السور الواقي»، وقال: حققنا نتائج مهمة، «ولكن مكافحة الإرهاب ستستمر، وسنفعل ذلك بطرق متعددة»، وجاء في بيان للحكومة الإسرائيلية إنه بعد ثلاثة أسابيع ونصف أسبوع من العملية أنهى الجيش انسحابه من المدن وأكمل انتشاره حولها، وأبقى على حصاره لمبنى «المقاطعة» في رام الله وبقي أيضا في بيت لحم.

وأثار رئيس الحكومة مسألة لجنة تقصي الحقائق في أحداث مخيم جنين للاجئين التي قرر مجلس الأمن تأليفها، وقال: إنه بالنسبة إلى الخيارات الأخرى المتاحة لإسرائيل، فإن القرار الذي اتخذ بتأليف اللجنة أثار أقل قدر من الاعتراضات.

وردا على سؤال للوزير رعنان كوهين حول اقتراح بعض كبار الضباط بإخلاء «مستوطنات منعزلة» مثل كتسريم في قطاع غزة، قال شارون: «حتى انتخابات تشرين الثاني ٢٠٠٢، وبعدها أيضا لن يجري نقاش بشأن إخلاء أية مستوطنة».

ونفى وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، في كلمة له أمام المؤتمر السنوي لـ «اللجنة الأمريكية – الإسرائيلية للشؤون العامة» (أيباك) في واشنطن، أن يكون الجيش الإسرائيلي ارتكب مجزرة في جنين. وقال أن ٥٠ فلسطينيا فقط قتلوا في مخيم جنين، بينهم ثلاثة مدنيين، وأسف بيرس للموقف الأوروبي، وقال : إن الشعب اليهودي لا يستطيع أن ينسى ماضي أوروبا، واعتبر أن معاداة السامية بدأت تأخذ شكلا جديدا ضد الدولة اليهودية، «بعد أن كانت موجهة ضد الأفراد»، وأضاف بيرس أن الإسرائيليين سيكونون «جنودا جيدين» في الحرب ضد الإرهاب. وادعى أن إسرائيل لا تنوي إعادة احتلال الضفة الغربية أو تفكيك السلطة الفلسطينية، وأنها لا تبحث عن نصر عسكري، وإنما عن سلام حقيقي مع الشعب الفلسطيني، وشدد على أهمية تحقيق وقف للنار والاستمرار في العملية السياسية.

وأعلن المستشار الإعلامي لوزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر أن الأخير اجتمع في ١٩/ ٤ بفريق من وزارة الخارجية الأمريكية برئاسة مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، وليم بيرنز، وشرح برنامج الجيش الإسرائيلي للانسحاب وإعادة الانتشار (في الضفة الغربية)، وموقف إسرائيل من الحلول المطروحة لفك الحصار عن مبنى «المقاطعة» في رام الله وكنيسة المهد. وأعلن بن إليعيزر أن التهمة الموجهة إلى الجيش الإسرائيلي بارتكاب مجزرة في جنين لا أساس لها. وانتقد التصريحات الأخيرة لمبعوث الأمم المتحدة تيري رود لارسن بشأن ما حدث في جنين،

معتبرا أنه كمن أُخرج عمدا الصورة من إطارها.

وفي مؤتمر صحافي مشترك لوزير المواصلات الإسرائيلي أفرايم سنيه والضابط الطبيب الرئيسي في منطقة جنين، الميجر دافيد زنغين، والعقيد أوليفييه رافوفيتش، تحدث الوزير سنيه عن إنجازات عملية «السور الواقي» وأهمها توجيه ضربة إلى البنية التحتية للإرهاب في الضفة الغربية. وأعلن سنيه أن إسرائيل ستتعاون مع لجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين التي أنشأتها الأمم المتحدة وستقدم لها المساعدة التي تحتاج إليها. وأظهر سنيه صورتين جويتين للمخيم تبينان حجم الدمار فيه، في قطاع واحد فقط، كما قال.

وقال الميجر زنغين : إن مخيم جنين لم يكن مركزا مدنيا وإنما كان مركزا للإرهاب، وقال أن تصريحات مبعوث الأمم المتحدة تيري رود لارسن بشأن مستشفى جنين لا أساس لها من الصحة.

وقال العقيد رافوفيتش : إن إسرائيل تحاول التوصل إلى حل سلمي لأزمة كنيسة المهد، وكشف أن خمسين شابا وولدين موجودون في الكنيسة.

وردا على سؤال قال سنيه أن إسرائيل ستبني جدارا على امتداد ٥٧ كيلومترا بين القدس والضفة الغربية، وإن بناءه سيستغرق وقتا طويلا، وقال : إن تصريحات لارسن تلقي ظلا ثقيلا على حياده ودوره كوسيط للسلام، ونفى سنيه أن تكون هناك سياسة لمنع الصليب الأحمر ومنظمات الأمم المتحدة من القيام بمهماتها.

وقد أكد الملك عبدالله الثاني والرئيس حسني مبارك، في أثناء لقائهما في القاهرة، أهمية بلورة موقف دولي لحمل إسرائيل على الانسحاب من الأراضي الفلسطينية وإنهاء حصارها لمقر الرئيس ياسر عرفات.

ودعا الملك عبدالله الثاني وولي العهد السعودي الأمير عبدالله، في لقائهما في الدار البيضاء، إلى حشد الجهود العربية لطرح مشروع السلام العربي في المحافل الدولية.

وطالب الرئيس بشار الأسد دول الاتحاد الأوروبي بتعليق مشاركة إسرائيل في اجتماع فالنسيا الأوروبي – المتوسطي.

واعتبرت منظمة العفو الدولية في بيان أصدرته اليوم في جنيف أن العمليات العسكرية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية هي بمثابة «عقاب جماعي»، ودعت

«السلطات الإسرائيلية إلى وقف انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي والقبول بمراقبين دوليين لديهم تفويض واضح وشفاف».

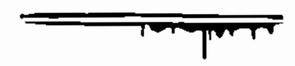
وتطرق وزير الخارجية الأمريكي كولن باول إلى الوضع في الشرق الأوسط في أحاديث أدلى بها إلى محطات تلفزة أمريكية، فقال : إنه «ليس راضيا تماما» عما تقوم به الحكومة الإسرائيلية في المناطق الفلسطينية في الوقت الراهن، وتمنى «أن يتواصل الانسحاب إلى أن تختفي كل التساؤلات حوله». وعن جنين قال : إن مساعدة وليم بيرنز تفقد المخيم وأرسل له «تقريرا مزعجا عن المآسي الإنسانية التي وقعت هناك»، وفي حديث آخر قال : إن لا خطط لديه للعودة إلى الشرق الأوسط، لكنه أضاف: «أتوقع أن أعود إلى المنطقة في المستقبل غير البعيد». وأوضح أن مهمته في الشرق الأوسط كانت «عسيرة، لكنني اعتقد أننا حققنا بعض التقدم».

وفي برنامج إخباري على شبكة « ABC»، أشار باول إلى احتمالات عقد مؤتمر دولي عن الشرق الأوسط، وقال : إن المؤتمر «طريقة واحدة» للعمل نحو حل سياسي للصراع. «ويتعين بحث مسائل كثيرة، وإن عقد اجتماع، ليس كافيا..».

وعلى شبكة التلفزة «فوكس نيوز» أعلن باول «لدينا جميعا رؤية مشتركة لدولة فلسطينية تعيش جنبا إلى جنب بسلام مع دولة يهودية»، وأخيرا قال باول «لا يزال فريق أولئك في الحركة الفلسطينية ممن يرغبون في القضاء على إسرائيل وهذا لن يحدث، فإسرائيل قوية ولإسرائيل صديق قوي في الولايات المتحدة، ويمكن أن يكون للفلسطينيين صديق قوي في الولايات المتحدة كذلك».

وفي مقابلة مع شبكة «سي.إن.إن» أعلن باول أن الولايات المتحدة تحاول أن تجد حلا سلميا لمسألة حصار مقر الرئيس ياسر عرفات في رام الله ولازمة كنيسة المهد في بيت لحم.

كما وجه البابا بولس الثاني نداء من أجل «أن يتحلى طرفا النزاع بالشجاعة لإرساء السلام ومن أجل تضامن المجتمع الدولي» آملا برفع الحصار عن كنيسة المهد.





ضمير العالم الحر يضع
الأغلال في أيدي المعتدين

الاثنين ٢٢/٤/٢٠٠٢

وفي يوم الاثنين الموافق ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٢ شددت القوات الإسرائيلية الحصار على جميع المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، وخصوصا على كنيسة المهد ومقر الرئاسة في رام الله في ظل أوضاع إنسانية سيئة للغاية. وتوغلت الدبابات الإسرائيلية في بيت حانون والخليل وقلقيلية، وشهدت قرى نابلس عمليات احتلال، وخصوصا طلوزة وياصيد وبيت إمرين.

وفي رام الله، اقتحمت القوات الإسرائيلية «مركز دار الأمل للملاحظة والرعاية الاجتماعية للأطفال»، ودمرت الطبقة الأولى التي تشمل غرف التعليم، وأتلفت الأجهزة الإلكترونية والأثاث والمكتبة إضافة إلى مخازن التموين والألبسة. كما شرعت الجرافات منذ الصباح في جرف مقار أمنية في محيط المجمع الرئاسي وإقامة سواتر ترابية. واقتحمت القوات الإسرائيلية مكاتب الإدارة العامة لدار الفتوى والبحوث الإسلامية في البيرة، وعبثت بالمكاتب ومحتوياتها وعملت فيها تكسيراً وتخريبا.

وفي بيت لحم اشتعلت النيران في مبنى دير الروم الأرثوذكس فوق كنيسة مار جرجس عقب فشل محاولة اقتحام كنيسة المهد، وسحبت القوات الإسرائيلية ٢٤ بطاقة من صحافيين يغطون الاعتداء على الكنيسة والمدينة، وأطلقت النار على سيارة أحدهم، وقصفت الطائرات مدينة نابلس، وسقط فيها شهيدان.

وفي الخليل فتحت القوات الإسرائيلية النار على عدد من المواطنين المارين بالقرب من جسر حلحول الأمر الذي أدى إلى سقوط شهيدين وإصابة ثلاثي مواطنين بجروح. بينما شددت القوات حصارها على المدينة وشرعت في عمليات مداهمة وتوغل، واعتدت على المدرسة الشرعية فيها.

ووسعت قوات الاحتلال حملاتها العسكرية على بلدات في القدس، وفرضت حظر التجول على بلدات الرام شمالي القدس والعيزرية والسواحرة وأبو ديس شرقا، وعلى ضاحية البريد، حيث فتشت منازل، وأتلفت أملاكا واعتقلت شابين.

واقتحمت الآليات المجنزرة هذه البلدات وشرعت في حملات مداهمة وتنكيل بالمواطنين، وزادت في إجراءاتها العسكرية المشددة على منافذ القدس الرئيسة والفرعية، وفرضت قيودا مشددة على حركة المواطنين.

وقد صرح ناطق عسكري إسرائيلي بما يلي:

قَتل جندي إسرائيلي في تبادل لإطلاق النار بين قوة خاصة من الجيش وإرهابيين بالقرب من قريتي عصيرة الشمالية وطلوزة. ورد الجيش على النار وقتل إرهابيين.

وأطلق الجيش الإسرائيلي في شمال قطاع غزة النار على فلسطيني حاول التسلل إلى منطقة دوغيت وأرداه قتيلا، وفي حادث آخر، أطلقت قوة من الجيش النار على إرهابيين فلسطينيين في وسط قطاع غزة.

وأعلنت مصادر أمنية إسرائيلية اعتقال قادة من «التنظيم» هم: حليم ناجي، وليم قادري، زياد حمادة أشرف يميني، عبدالمجيد هاشم ومحمد فارس خليل، وقد أعلنت إسرائيل بأنها ستبدأ تنفيذ «المرحلة الثانية من عملية السور الواقي» بمباشرة العمل لإقامة المناطق العازلة، كما أن الحكومة الإسرائيلية تمنع أعضاء القيادة الفلسطينية من المشاركة في اجتماع ضم الرئيس ياسر عرفات ومساعد وزير الخارجية الأمريكي، وليم بيرنز.

* قائد «المنطقة الوسطى» في الجيش الإسرائيلي يتسحاق إيتان يعلن أمرا عسكريا يقضي بـ «وضع اليد» على مساحات واسعة من أراضي الفلسطينيين في سلفيت التي تقع وفقا لاتفاقات أوسلو تحت السيطرة الفلسطينية الكاملة (مناطق أ).

* المحكمة العسكرية الإسرائيلية تجدد حبس النائب الفلسطيني، مروان البرغوثي،

مدة ٢٥ يوما إضافيا.

* الجيش الإسرائيلي يعلن اعتقال ٤.٢٠٠ فلسطيني منذ بدء عملية السور الواقي، بقي منهم ١.٧٠٠ في المعتقل.

* نائب رئيس الحكومة وزير الداخلية الإسرائيلي، أيلي يشاي، يدعو يهود فرنسا إلى «حزم حقائبهم» والهجرة إلى إسرائيل بعد صدور نتائج الانتخابات الأولية في فرنسا.

* * *

ومن مواقف السلطة الفلسطينية أنها بعثت بمذكرة إلى الدول الشقيقة لاطلاعها على التطورات الخطرة الأخيرة بشأن الوضع في مقر الرئيس ياسر عرفات، وجاء في المذكرة أن الحكومة الإسرائيلية «ماضية في تنفيذ مشروعها الهادف إلى تقويض الشرعية الفلسطينية وتفكيكها، وهذا هو أساس المرحلة الثانية في خطة شارون التي أعلن عن بدايتها أمس...»، ودعت المذكرة الدول الشقيقة «إلى العمل بمختلف الوسائل لمنع إسرائيل من قطف الثمار السياسية لجرائم الحرب التي ارتكبتها».

وقد نشرت وزارة الصحة الفلسطينية تقريرا عن «ممارسات قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد الأطقم الطبية وسيارات الإسعاف والمستشفيات الفلسطينية»، وشرحت الممارسات الإسرائيلية في الأمور التالية: منع سيارات الإسعاف من إخلاء الجرحى والمصابين؛ التحكم بإعدام الجرحى وتركهم ينزفون حتى الموت؛ منع سيارات الإسعاف من نقل جثث الشهداء؛ اعتقال الأطقم الطبية والمسعفين؛ اختطاف سيارات الإسعاف؛ إجبار مسعفين على خلع ملابسهم والركوع لساعات طويلة؛ إجبار الصليب الأحمر الدولي على تعليق أعماله يوم ٥/ ٤، والهلال الأحمر على العمل نهارا فقط؛ اقتحام المستشفيات؛ ومنعها من التزود بالماء والكهرباء والاتصالات والأوكسجين؛ منع وزير الصحة البلجيكي والوفد المرافق لها في ١٣/ ٤ من الوصول إلى مستشفى رام الله.

المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان يدين صمت السيدة ماري روبنسون، المفوضة السامية لحقوق الإنسان تجاه منع إسرائيل بعثة عاجلة من الوصول إلى الأراضي المحتلة، والتي كان من المفترض أن ترئسها بنفسها.

نفى رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، فاروق القدومي علمه بتعيينه خلفا للرئيس ياسر عرفات في حالة إصابة الرئيس الفلسطيني بمكروه، وقد

تناقلت وسائل الإعلام هذا الخبر.

أعلن الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان تشكيل فريق تقصي الحقائق بشأن الأحداث الأخيرة في مخيم جنين برئاسة الرئيس الفلنلندي السابق مارتي إتيساري. وأكد الأمين العام ثقته بمبعوثه إلى الشرق الأوسط تيري رود لارسن ردا على الانتقادات التي وجهت إليه في إسرائيل بعد تصريحاته بشأن مخيم جنين.

وقد ذكرت وكالة الأنباء الفلسطينية «وفا» أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) عقدتا مؤتمرا صحافيا في القدس، حمل فيه رئيس بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر رينيه كورسينيه، إسرائيل مسؤولية المجازر التي اقترفت في مخيم جنين. وقال : إنها اقترفتها من خلال منعها فرق الصليب الأحمر والإغاثة الدولية من الدخول إلى المخيم لإنقاذ الجرحى والمصابين، بالإضافة إلى حظر دخول المواد التموينية والغذائية إلى داخل المخيم، الامر الذي يتعارض مع القوانين الدولية، ومن جهته ذكر المفوض العام للأونروا، بيتر هانسن أن فرق الأونروا حاولت مرارا الدخول إلى المخيم، ولم تتمكن من ذلك إلا في الأيام الأخيرة بعد انسحاب قوات الاحتلال منه.

وقد صرح المبعوث الخاص للأمم المتحدة، تيري رود لارسن، في اثر لقائه رئيس الحكومة اللبنانية في بيروت، «أن هناك أسبابا للقلق على الخط الأزرق والخط الأزرق مقدس في جميع أجزائه»، مؤكدًا من جهة أخرى أن تصريحاته بشأن مخيم جنين هي وصف لما لمسه هناك.

وقد صرح الناطق باسم البيت الأبيض آري فلايشر في مؤتمره الصحافي اليومي، ردا على سؤال أن الجدول الزمني لانسحاب القوات الإسرائيلية من الضفة الغربية الذي بلغه رئيس الحكومة الإسرائيلية ارئيل شارون إلى الرئيس بوش ووزير الخارجية بأول تتعلق بالانسحاب من جنين ومن نابلس لا من (محيط) كنيسة المهد في بيت لحم أومن (محيط) مجمع الرئاسة الفلسطينية في رام الله، وعن عقد مؤتمر سلام دولي بشأن الشرق الأوسط، قال: «سيكون من السابق لأوانه أن نخوض في تفاصيل شيء لم يتفق عليه ولا يزال في الوقت الحالي في مرحلة الأفكار من المهم الآن من وجهة نظر الرئيس أن تركز جميع الأطراف اهتماماتها لا على خفض العنف فحسب، بل النظر بعيدا على كيف يمكننا بدء نوع من المحادثات السياسية، مثل (توصيات) ميتشل».

وقد أعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر في مؤتمر صحفي إن الولايات المتحدة مهتمة بإعادة إحياء التعاون الأمني بين إسرائيل والفلسطينيين، وأنها تؤيد مبادرة الأمين العام للأمم المتحدة بشأن تأليف لجنة لتقصي الحقائق في مخيم جنين.

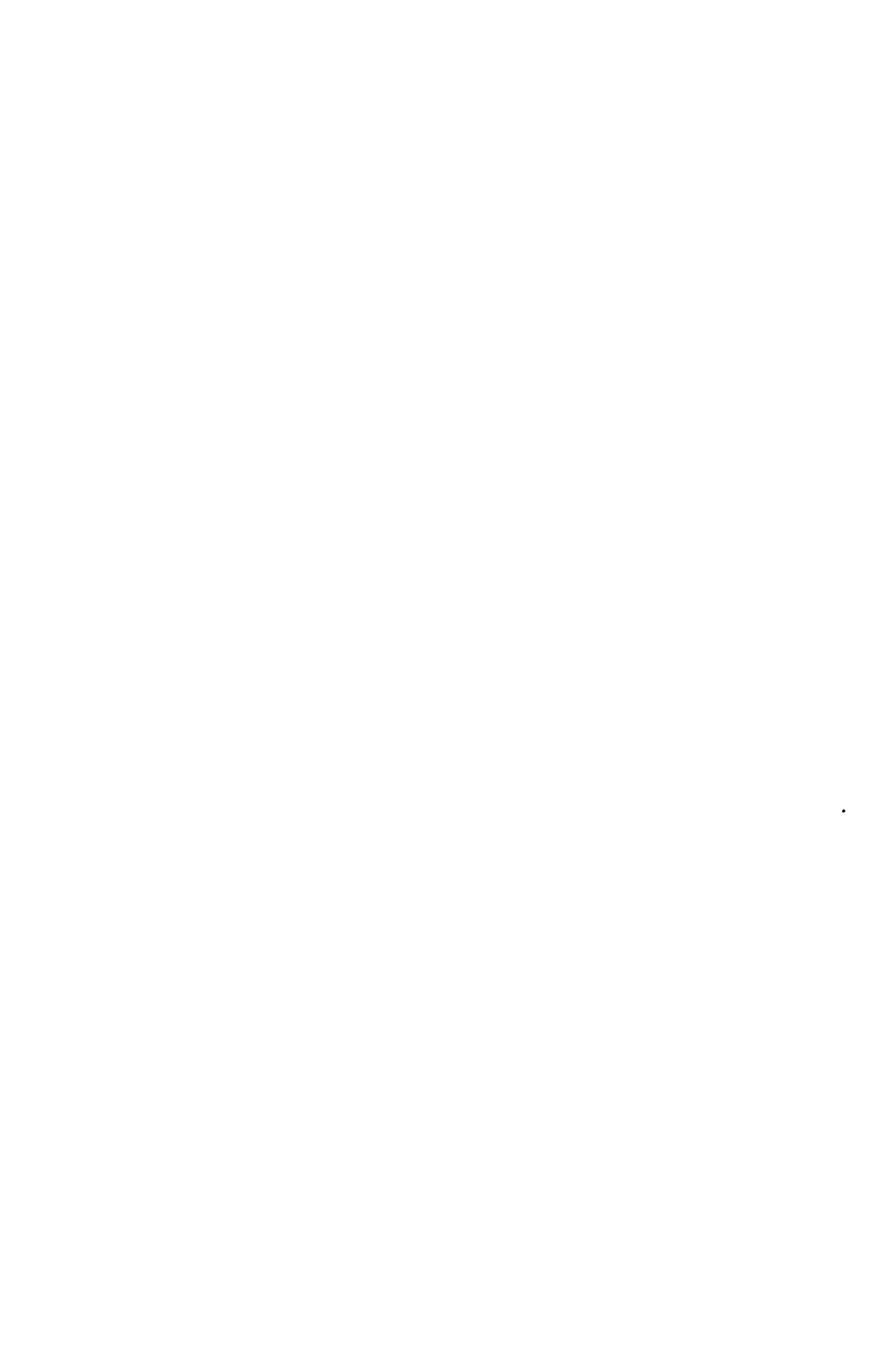
وقد نسبت صحيفة «جيروزاليم بوست» إلى وزير الخارجية الفرنسي أوبير فدرين قوله: إن رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، يشكل عقبة في طريق السلام، وأن المنظمات اليهودية – الأمريكية تدعمه في تصلبه. وأضاف فدرين، في اجتماع مغلق شارك فيه وزراء خارجية الدول الأوروبية والمتوسطية في فالنسيا (إسبانيا)،أن اليهود الأمريكيين متصلبون أكثر من شارون، وأنهم يؤثرون في مواقف الرئيس جورج بوش.

وقد شدد وزير الخارجية الإسباني، الذي يرأس بلده الاتحاد الأوروبي حاليا، جوزيب بيكيه، في افتتاح المؤتمر الأوروبي – المتوسطي الخامس في فالنسيا (إسبانيا) على ضرورة وضع حد للعنف في الشرق الاوسط. ودان «الأعمال الإرهابية» و«الاستخدام المفرط وغير المتكافئ» للقوة العسكرية في الأراضي المحتلة.

وقد عقد مندوبو منظمة العفو الدولية مؤتمرا صحافيا لدى عودتهم من مهمة تقصي حقائق في إسرائيل والأراضي المحتلة، وعرضوا النتائج الأولية التي توصلوا إليها. وزار المندوبون قرية رمانة ومدينة جنين ومستشفاها ومخيم اللاجئين فيها، وقال خافيير زونيغا مدير الإستراتيجية الإقليمية في الأمانة الدولية بالمنظمة، أن «الأدلة التي تم جمعها تشير إلى ارتكاب انتهاكات خطرة للقانون الإنساني الدولي ولحقوق الإنسان بما فيها جرائم الحرب، لكن لا يمكن إلا للجنة تحقيق دولية مستقلة أن تكشف الحقائق الكاملة وحجم هذه الانتهاكات».

وقد أعرب الأمين العام للصليب الأحمر الدانماركي، يورغن بولسن، عن «صدمته» مشيرا إلى أن ما رآه في مخيم جنين «هو الأكثر تدميرا وأكثر رعبا من زلزال». واتهم الإسرائيليين «بخرق اتفاقية جنيف برفضهم السماح لأسابيع بإيصال المواد الغذائية الطارئة وسيارات الإسعاف إلى مناطق المعارك».

كما طالب مجلس الكنائس العالمي بإنهاء الاحتلال غير الشرعي لفلسطين، ودعا دول الاتحاد الأوروبي إلى إعادة النظر في اتفاق الشراكة مع إسرائيل وفرض حظر على تزويدها بالأسلحة.



الشيخ أحمد ياسين ودعوة إلى ترشيد العمليات الاستشهادية

الثلاثاء ٢٣/٤/٢٠٠٢

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٢ واصلت القوات الإسرائيلية اعتداءاتها على المدن والقرى الفلسطينية وصرح وزير شؤون الأسرى في السلطة الفلسطينية أن الجيش الإسرائيلي اعتقل أكثر من ستة آلاف فلسطيني، واستمر الحصار المضروب على المقار الرئاسية في «المقاطعة» في رام الله. وتم تدمير مبنى إقامة الحرس الخاص والسجن الملحق بمقر الرئيس. وصرح ناطق باسم القيادة الفلسطينية أن القوات الإسرائيلية تواصل زرع المتفجرات والعبوات الناسفة في المباني المحيطة بمقر الرئاسة. وقال رئيس جهاز الأمن الوقائي في قطاع غزة أن الإسرائيليين يدمرون الجدران داخل المجمع الرئاسي للدخول إلى مكتب عرفات، وأنهم يتدربون على أبنية مشابهة لمقر عرفات، وأطلقت النيران ودوهمت المنازل في منطقة عين مصباح القريبة من المقر الرئاسي. كما اقتحم الجنود قرية بلعين غربي رام الله وفرض حظر التجول عليها.

وفي بيت لحم واصلت القوات الإسرائيلية حصارها لكنيسة المهد ومنع وصول المواد الغذائية والطبية والمياه إليها، وتفرض القوات الإسرائيلية نظام منع التجول على المدينة وما حولها، وتقوم بمداهمة المنازل واعتقال المواطنين وخصوصا في بيت فجار حيث استشهد الطفل زياد أبو ثوابته.

وتخضع نابلس إلى حصار مشدد وعمليات توغل وخصوصا قرية عصيرة وتل ، كما تواصل القوات إطلاق النيرات على أطراف المدينة.

وفي جنين، تواصل القوات الإسرائيلية أعمال المداهمة ونهب المنازل، ونعت حركة الجهاد الإسلامي الشيخ رياض بدير (٥٦ عاما) من طولكرم الذي استشهد في مخيم جنين بعد أن صمد حتى ١١/ ٤ «رافضا الاستسلام رغم الجوع والعطش ونفاد ذخيرته».

وتحاصر قوات الاحتلال مدينة طولكرم، وتفرض عليها نظام منع التجول مطلقة نيران الرشاشات بين الحين والآخر، وتتلف الدفيئات الزراعية، وتوغلت عدة آليات من الجهة الجنوبية لطولكرم ودمرت محول الكهرباء في المدينة الأمر الذي أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي.

وداهمت قوة عسكرية بلدة جيوس (منطقة قلقيلية)، وفرضت عليها نظام منع التجول. وفرض الجيش الإسرائيلي الحصار المحكم على مدينة الخليل ويطا ودورا وحلحول، ويطلق الجنود النار عشوائيا.

وأخلى الجيش الإسرائيلي في ساعة متأخرة من ليلة أمس ١١ منزلا في حي شمعون الصديق في القدس الشرقية. وطرد أكثر من ٥٠ مواطنا من منازلهم في حي الشيخ جراح، واستولى عليها لحساب المستوطنين الذين شاركوا في عملية الطرد.

وأعلنت القانون: الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة أن قوة كبيرة من الجيش والشرطة الإسرائيليين هاجمت بنايتين في حي الشيخ جراح في القدس يملكهما فلسطينيون بدعوى قرار المحكمة العليا الإسرائيلية التي قضت بإخراج العائلات الفلسطينية التي تسكنهما، وكان قرار قد صدر قبل أسبوعين من المحكمة العليا قضى بإخلاء العائلات بدعوى عدم دفعها الإيجارات لحركة «سفارديم» الاستيطانية، بعد أن قام القيم على أموال الغائبين بتسريب ملكية الأراضي بطريقة مخادعة إلى حركة «سفارديم» التي تدعي أنها صاحبة الأرض التي يقوم عليها مشروع الإسكان الذي تقطنه ٢٨ عائلة فلسطينية منذ سنة ١٩٥٤، وحذرت القانون من طرد السكان الفلسطينيين من مدينة القدس، وتوجهت إلى المؤسسات الدولية ومؤسسات حقوق الإنسان للتدخل لمنع إسرائيل من تنفيذ مخططها العنصري.

وفي قطاع غزة أطلق الجنود النار على منازل المواطنين في بيت حانون ودير البلح فأصيب الكثير من المواطنين.

وتوغلت القوات الإسرائيلية أكثر من كيلومتر شرقي بلـدة وادي السـلقا غربـي ديـر البلح، وجرت عمليات تجريف واسعة النطاق في المنطقة، وأطلقت القوات المتمركـزة في برج المراقبة في محيط وداخل مستعمرة غاني طال النيران على منطقة الربوات الغربيـة والعرايشية، الأمر الذي أدى إلى أحداث أضرار فادحة في الكثير من المنازل.

واقتلع الجنود نحو ٨٠ شجرة زيتون من أراضـي المـواطنين القريبـة مـن مسـتعمرة موراغ الغربية جنوبي خان يونس.

أدلى الناطق العسكري الإسرائيلي بما يلي:

- أطلق الجيش الإسرائيلي النار على ثلاثة فلسطينيين حاولوا تسلق السـياج المحـيط بمستوطنة نتساريم فأرداهم.

وهاجمت قوة من الجيش الليلة مروان زلوم (٤٣ عاما) وقتلته زلـوم مـن عـين سـارة (الخليل) وهو زعيم الجناح العسكري لـ «التنظيم» في منطقة الخليل بكاملها.

- دخلت قوات الجيش الليلة عدة قرى في منطقة بيت لحم واعتقلـت ٢١ فلسـطينيا يشتبه في تورطهم في أعمال مقاومة. واعتقل تسعة فلسطينيين في قرية صـوريف، وتسـعة في قرية حوسان، وخمسة في قرية الخضر. كما اعتقل الجيش خمسـة فلسـطينيين يشـتبه في تورطهم في أعمال مقاومة في قرية يطا جنوبي الخليل الواقعة تحت السيطرة الفلسطينية.

* عثر في وسط الخليل على جثث ثلاثة فلسطينيين يعتبرون «متعاونين» مع إسـرائيل. وعثر على جثثهم في المكان الذي قتل فيه مروان زلوم (المسـؤول عـن «كتائـب شـهداء الأقصى» في الخليل التابعة لحركة فتح) ، وقتـل سـميح أبـو رجـب (عضـو القـوة ١٧، الحرس الشخصي لعرفات) بصاروخ أطلقته مروحية إسرائيلية.

* أطلقت مروحية قذيفة على سيارة كان فيها فلسطينيان في شـارع السـلام في القسـم الخاضع للسلطة الفلسطينية في مدينة الخليل.

* أكد بيـان صـادر عـن المجلـس التشـريعي الفلسـطيني أولويـة انسـحاب قـوات الاحتلال وإنهاء الحصار المفروض على الرئيس ياسر عرفات، وحث البيـان المـواطنين على التحلي بالمسؤولية والحفاظ على النظام والحذر من محاولات دوائر معادية إشـاعة الفوضى والإيحاء بوجود فراغ في السلطة.

وأصدر وزير الحكم المحلي الفلسطيني صائب عريقات قرارا يقضي بأن تكون جميع اتصالات الهيئات المحلية الفلسطينية بالجانب الإسرائيلي من خلال مكاتب وزارة الشؤون المدنية اللوائية ولجان التنسيق الإقليمية الفلسطينية.

كما دعا زعيم ومؤسسة حركة «حماس» الشيخ أحمد ياسين في ندوة نظمتها كلية البحث العلمي في الجامعة الإسلامية في غزة، إلى «ترشيد استخدام العمليات الاستشهادية، وتنفيذها في الزمان والمكان المناسبين بشكل لا يضر بالقضية الفلسطينية، ولا يثير الرأي العام الدولي»، مؤكدا في الوقت نفسه مواصلة المقاومة بأشكالها الأخرى كافة التي تستهدف الإسرائيليين والمستعمرات.

ونشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» نبأ بدء محاكمة المتهمين الستة بمقتل الوزير الإسرائيلي السابق رحبعام زئيفي والموجودين في مقر «المقاطعة» المحاصر في رام الله بأمر خاص أصدره رئيس السلطة الفلسطينية، ورفض مدير الاستخبارات الفلسطينية العامة، توفيق الطيراوي، تأكيد أو نفي صحة نبأ بدء المحاكمة، لكنه أكد أن الرئيس عرفات كان أصدر قبل نحو شهر أمرا بمحاكمة المتهمين بقتل الوزير زئيفي.

* لم يستبعد رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون القيام بعمليات عسكرية واسعة ضد المنظمات الإرهابية في قطاع غزة. وقال أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست أن الانجاز الأهم لعملية السور الواقي هو ضرب قيادة المنظمات الإرهابية. وبلغ اللجنة أن ١.٨٠٠ فلسطيني لا يزالون في قيد الاعتقال منذ بدء العملية، بينهم ١٠٠ من البازرين.

وخلال الاجتماع أنكر شارون أن تكون جهات في الجيش الإسرائيلي قد اقترحت إخلاء المستوطنات المعزولة، وقال: إنه لن يخلي أي مستوطنة، لأن مثل هذا الإخلاء «يشجع الإرهاب ويزيد في الضغوط» التي تتعرض لها إسرائيل، وشدد شارون على التزام إسرائيل خطة تينيت وتقرير ميتشل.

* قال المستشار الإعلامي لوزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر أن وزير الدفاع تحادث أمس (٢٢/ ٤) مع الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، بعد أن أعلن الأخير تعيين فريق لتقصي الحقائق في مخيم جنين احتج بن إليعيزر في حديثه لأن تعيين الفريق تم من دون تنسيق مسبق مع إسرائيل، مثلما اتفق عليه أصلا، وطلب وزير الدفاع من الأمين العام للأمم المتحدة ضم الجنرال الأمريكي وليم ناش - الذي عينه الأمين العام

أصلا كمستشار للفريق – كعضو كامل وفعال في الفريق. وطلب وزير الدفاع أيضا ألا يحيد فريق الأمم المتحدة عن صلاحياته كفريق لتقصي الحقائق في مخيم جنين. وشدد وزير الدفاع على أن إسرائيل ستقدم الحقائق كاملة بشأن أحداث المخيم.

ووجه رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون كلمة إلى المؤتمر السنوي للجنة الشؤون العامة الأمريكية – الإسرائيلية (أيباك) قال فيها: إن «الحملة التي أطلق عليها اسم «السور الواقي» أتاحت فرصة جديدة للبدء من جديد بعملية سلام» مع الفلسطينيين. وعرض خطة من ثلاث مراحل لتحقيق السلام وقف كامل للعنف، واتفاق مرحلي طويل الأجل واتفاق دائم يتم من خلاله وضع الحدود النهائية لإسرائيل.

ونسبت صحيفة «هآرتس» إلى السفير الإسرائيلي السابق في واشنطن، دافيد إيفري، أن المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل ستزيد ٢٠٠ مليون دولار سنويا، أي أنها ستصل إلى أعلى من السقف المحدد لها سنة ٢٠٠٧ والذي يبلغ ٢.٤ مليار دولار.

وكشف عضو الكنيست الإسرائيلي بني ألون أن طرد عشرات السكان العرب من أحد إحياء القدس الشرقية مساء ٢٢/ ٤ هو جزء من خطة لبناء ١٧ منشأة يهودية حول المدينة القديمة.

وقال ألون أن الهدف هو جعل تقسيم المدينة القديمة مستحيلا في أي اتفاق دبلوماسي في المستقبل.

وأعلنت مصادر في وزارة الخارجية الإسرائيلية أن مكانة إسرائيل في العالم لم تتغير، على الرغم من الجهود التي تبذلها الدول العربية ويبذلها اليسار الأوروبي لمقاطعة إسرائيل. لكن وزارة الخارجية عبرت عن قلقها إزاء بعض الجهود التي تبذلها في أوروبا لتنظيم مقاطعة اقتصادية للمنتجات الإسرائيلية – وخصوصا المنتجات العسكرية.

وتحدث رئيس شعبة الاستخبارات الإسرائيلية ميري أيسن في مؤتمر صحافي عن حملة الاعتقالات التي شنتها إسرائيل في إطار عملية «السور الواقي» والتي شملت نحو ٤.٥٠٠ شخص وعن اعتقال زعيم «التنظيم» مروان البرغوثي، الذي كان على «راس الهرم الإرهابي العسكري»، وقال : إن إسرائيل تمكنت من شل عمل المنظمات الإرهابية في الضفة الغربية، وأنها قضت على زعماء حركة الجهاد الإسلامي في جنين.

وتمكن عشرة أشخاص ينتمون إلى اليسار الإسرائيلي من الوصول إلى مخيم جنين للاجئين لرؤية «جرائم الحرب التي ارتكبتها الحكومة الإسرائيلية». وتمت الزيارة بمبادرة من عضوي الكنيست عن الحزب الشيوعي (حداش)، عصام مخول وتمار غوزانسكي.

ووزعت حركة «هناك حد» الإسرائيلية نشرات عن الجنود الإسرائيليين جاء فيها أن نظام الاحتلال يزيد في مشكلات إسرائيل الأمنية حدة، ودعتهم إلى التساؤل عما إذا كانت أعمالهم خلال خدمتهم العسكرية تعزز أمن إسرائيل أو توقد العداء وأعمال العمف بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ودعت النشرات الجنود إلى التحلي بالشجاعة وقول «لا» لجرائم الحرب.

وفي أعقاب جلسة عقدها رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، في ديوانه بمشاركة ممثلين عن وزارة الخارجية ووزارة الدفاع وديوان رئيس الحكومة، قرر شارون تعليق موافقة إسرائيل على وصول لجنة تقصي الحقائق إلى جنين.

وتحدث وزير الخارجية الأمريكي كولن باول عن الوضع في الشرق الأوسط في ثلاث مقابلات أجرتها معه شبكات «إن.بي.سي» و «ايه.بي.سي» و «نيوز فوكس». وتكلم باول عن الوضع الراهن في المنطقة، بما في ذلك بعثة تقصي الحقائق الدولية، والخطوات التي يتوقع اتخاذها لوقف العنف وتحقيق الرؤية الأمريكية المتعلقة بقيام دولتين تعيشان بسلام جنبا إلى جنب في المنطقة، وأكد أن «الوضع في جنين مقلق للغاية ولا أعرف ما الذي سنتوصل إليه هناك». وأن الانسحاب من رام الله قد بدأ وأتوقع أن ينتهي هناك، باستثناء الوضع حول مقر رئيس السلطة الفلسطينية عرفات، وقال عن اجتماعه مع شارون: «أفهمه ضرورة إنهاء هذه العملية بأسرع ما يمكن». وركز على ضرورة إيجاد حل للوضعين الصعبين مقر الرئيس عرفات وكنيسة المهد.

* دان مشروع قرار في الكونغرس الأمريكي التفجيرات الانتحارية التي ينفذها الفلسطينيون، وحث الدول العربية على إعلان معارضتها لجميع أشكال الإرهاب، وبصفة خاصة التفجيرات الانتحارية، واتهم القرار الرئيس عرفات بدعم الإرهاب.

وقال الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر أن الولايات المتحدة تؤمن مساعدات عاجلة للفلسطينيين، ودعا الحكومة الإسرائيلية «إلى إتاحة وصول موظفي الإغاثة إلى أقصى حد ممكن».

* في ختام اجتماع الرئيس جورج بوش بالملك المغربي محمد السادس، في واشنطن، قال الناطق باسم البيت الأبيض، آري فلايشر، أن الرئيس بلغ الملك ما أعلنه سابقا، أن أفضل سبيل لتحقيق السلام في الشرق الأوسط هو أن تستكمل إسرائيل انسحابها كما طلب الرئيس، وأن يحارب الرئيس عرفات الإرهاب بالفعل لا بالقول، وأن تستخدم الدول العربية تأثيرها للضغط على عرفات لتفعيل التزامه بمحاربة الإرهاب، كولن باول قد حقق تقدما في الشرق الأوسط، وبالنسبة إلى التقارير الواردة من جنين، قال فلايشر أنه من المهم إثبات الحقائق، والأمم المتحدة تعمل لتحقيق هذا الهدف، وأن الرئيس بوش ينتظر مراجعة الحقائق.

وفي المؤتمر الصحافي اليومي لوزارة الخارجية الأمريكية، جدد الناطق باسم وزارة الخارجية، ريتشارد باوتشر، قوله: «نعتقد أن الرئيس عرفات يمكنه أن يقوم بالمزيد من خلال المؤسسات الخاضعة لسيطرته، وحتى في الظروف الراهنة لديه فرصة للاتصال والتباحث مع قادة ضمن السلطة (الفلسطينية)، ووحدات خاضعة لسيطرته لبدء التعاون الأمني مع إسرائيل، وقمع أولئك الذين يحرضون على العنف، ومطاردة تلك التنظيمات التي لا تفتك بمدنيين إسرائيليين أبرياء فحسب بل تقضي على حلم الدولة الفلسطينية كذلك».

ودعا المؤتمر الوزاري الأوروبي – المتوسطي، الذي عقد في فالنسيا، إلى تطبيق قرارات مجلس الأمن رقم ١٤٠٢ ورقم ١٤٠٣ ورقم ١٤٠٥، وحث الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني على قبول إيفاد مراقبين إلى المنطقة، وطالب المجتمع الدولي بالمحافظة على السلطة الفلسطينية وتقويتها ومساعدتها. جاء ذلك في استنتاجات الرئاسة الصادرة عن الاجتماع.

وقال وزير الخارجية الفرنسي، أوبير فدرين، في مؤتمر صحافي في ختام مؤتمر فالنسيا، أن أوروبا تختلف مع رئيس الحكومة الإسرائيلية شارون في استخدامه محاربة الإرهاب لتبرير هجمته على السلطة الفلسطينية، وشدد وزير الخارجية البريطاني جاك سترو، على أربع أولويات في الشرق الأوسط إيصال المساعدات الإنسانية؛ حل أزمتي بيت لحم ورام الله الانسحاب الكامل للجيش الإسرائيلي؛ تحقيق وقف فعال للنار.

وقال وزير الخارجية النرويجي، يان بيترسن، أن مؤتمر الدول المانحة التي سينعقد في أوسلو هو جزء من الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي للتخفيف من الوضع الصعب

الذي يعيشه الفلسطينيون.

وقرر المؤتمر اليهودي العالمي إنشاء قوة ضغط دولية ولجنة دولية من الخبراء وأنشطتها، وخصوصا فيما يتعلق بهيئة حقوق الإنسان وبالمنظمات غير الحكومية المرتبط بالأمم المتحدة، وقرر أيضا إنشاء لوبي يهودي في أوروبا، على غرار جماعات الضغط في الولايات المتحدة مثل إيباك ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودي -- الأمريكية كإطار لمراقبة العداء للسامية واتخاذ إجراءات ضد العداء للسامية من خلال الضغط السياسي على الحكومات الأوروبية.

هذان القراران كانا حصيلة اجتماع طارئ استمر يومين عقدته الجماعات اليهودية من أنحاء العالم في بروكسل، ردا على موجة العداء للسامية في أوروبا، وعلى هجمات الرأي العام ضد إسرائيل.

ودانت منظمة «مراسلون بلا حدود»، التي تتخذ من باريس مقرا لها، بشدة اعتداءات إسرائيل على حرية الصحافة والصحافيين، واتهمتها بممارسة إجراءات عنصرية ضد الصحافة الفلسطينية والعربية.

آلاف المتظاهرين يحاصرون المؤتمر السنوي للجنة الشؤون العامة الأمريكية – الإسرائيلية (أيباك) في واشنطن احتجاجا على الحملة العسكرية الإسرائيلية المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني.

عندما يلتقي الكبار .. فكراً وعقيدة ورؤى

أعيش أيام الحصار بعيدة عن أحبائي، فجميع أولادي ليسوا في أرض الوطن، وأنا أمضي أيامي وحيدة في البيت الكبير، وأحاول دائما أن أتواصل معهم من خلال الهاتف وكثيرا ما تحدثت مع جابي وهالة في واشنطن وليلى في روما وديانا في عمان، أما سها فإن محادثاتي الهاتفية معها تكون من عواصم عربية وأوروبية مختلفة.

ولذلك فإني أتغلب على ظروف الوحدة بالقراءة، والتأمل، ومحاولة الكتابة، لأن في ذلك عزاء لي. وبسبب ساعات الحصار الطويلة وانفرادي مع نفسي وأفكاري ووحدتي، يطيب لي أن أتوقف أمام لمحات فكرية رائعة يروقني أن أتأملها وأن أستبطنها وأن أتوحد معها لأنها تتناغم كثيرا مع رؤيتي وأفكاري من ذلك هذه السطور الرائعة عن شخصية البابا شنودة الثالث الذي عُرف بأنه شاعر، وأديب ومفكر، يجيد اللغة العربية،

ويبدع فيها كتابة وتعبيرا، وله أشعار بالعربية تنم عن نفسية كبيرة وشخصية رائعة اكتسبت احتراما رائعا على مستوى مصر والعالم العربي بل وعلى مستوى العالم بأسره.

يقول البابا شنودة: ليس هناك فرق بين الإرهاب الذي يمارس في مناطق كثيرة من العالم، وبين الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، فكله إرهاب، أما ما يقوم به الفلسطينيون خلال انتفاضتهم فهي مقاومة مشروعة وليست إرهابا، والحقيقة أن تعبير الحرب الصليبية الذي قاله الرئيس الأمريكي بوش لا أحد يوافق عليه، وهذا ما جعل الرئيس يعتذر عنه، ويطالب البابا شنودة بمعالجة الإرهاب عن طريق محاربة أسبابه سواء أكانت دينية أم سياسية. ويقول البابا شنودة: إن ما نراه اليوم ليس صراع حضارات، وإنما امتزاج حضارات من خلال ثورة المعلومات الموجودة، وتبادل الفكر في كل ناحية، والاستفادة من أي نشاط علمي، يمكن أن تنتفع به بلاد أخرى، فهناك نوع من امتداد الحضارات ويتم حاليا عبر البعثات العلمية بين جامعات الشرق والغرب، فما نراه هو امتزاج حضارات وليس هناك مشاعر عداء وإنما العداء للإرهاب.

ويقول البابا شنودة : إن ما يحدث في الأراضي الفلسطينية أمر يختلف كل الاختلاف عن الإرهاب، فالحرب لها وضع آخر، حيث يكون هناك جنود أمام جنود، ولا يوجد في الحرب قتلى مدنيون وكل من يقع قتيلا من المدنيين، يكون دمه في رقاب مجرمي الحرب، وأما ما يقوم به الفلسطينيون فهو مقاومة مشروعة، ولا شك أن تجاهل المأساة الإنسانية التي يعاني منها الفلسطينيون هي السبب في هذه التداعيات التي نشهدها من حين إلى آخر.

وقد استوقفتني سطور عن حياة الشيخ محمد الغزالي، وهو علاّمة ومفكر كبير له عشرات المؤلفات والكتب التي تتناول شؤون العقيدة، وتتحدث عن فلسفة الحياة كما تتعرض لقضايا دينية كثيرة. ولعل ما شدني إلى حياة الغزالي هذه السطور التي جاء فيها أن والده قد أطلق عليه هذا الاسم تيمنا بأبي حامد الغزالي حجة الإسلام. وقد تربى في بيئة ريفية يستغل فيها الإقطاعيون الفلاحين والمزارعين ويأخذون خيراتهم، ولذلك نشأ مرهف الحس، يقظ الضمير، متطلعا بفكره وعلمه إلى رفع المعاناة عن الكادحين والمظلومين، وقد نشأ وسط ستة من الأبناء، وكان الرزق محدودا، فلم يستطع والده أن يكمل تعليمهم وبسبب ضيق ذات اليد، كان يقطن حجرة ضيقة، وينام على فراش خشن،

ولا يهمه أي شيء آخر لأن هدفه كان هو حفظ كلمة الله. ولما حفظ القرآن الكريم التحق بالمعهد الأزهري وكان يناقش ويجادل شيوخه ومعلميه بالحجة والبلاغة، فشهدوا له بالنبوغ المبكر، وقد وصفه الشيخ يوسف القرضاوي العلاّمة المعروف بأنه كان سريع الغضب إذا انتهكت حرمة الإسلام. وكان يهيج كالبحر، ويثور كالبركان، لأنه يبغض الظلم والهو'ن لنفسه وللناس، ولا يحب أن يظلم أو يُظلم ولذلك. كان قلمه كالسيف يدافع به عن الحق في مواجهة الباطل، وقد اعتقل في أحداث عام ١٩٥٤ وأحداث ١٩٦٥ وكان القرآن أنيسه في وحدته الموحشة، وقد خرجت من أجله المظاهرات ضد جريدة «الأهرام»، وحدثت له مشكلة كبرى مع قانون الأحوال الشخصية عام ١٩٧٤ الذي كانت وراءه جيهان السادات، حيث ألقى وقتها محاضرة في جامعة الأزهر استمع إليها ثلاثون ألفا من المصلين، فُمنع من الخطاب، وفُصل من عمله في وزارة الأوقاف كمدير عام للدعوة وتم تحويله إلى وظيفة كتابية، ثم تعرض بعد ذلك إلى سلسلة من المضايقات، فضل بعدها السفر إلى السعودية التي كانت تلح في طلبه للعمل في جامعاتها كأستاذ للدعوة كما هاجمه كثيرون ومنهم صلاح جاهين رسام الكاريكاتير المعروف الذي هاجمه على صفحات «الأهرام» في منتصف الستينيات وهو الأمر الذي أدى إلى قيام المظاهرات تأييدا له؛ بدأت من جامعة الأزهر واتجهت إلى مبنى الأهرام، ولولا عناية الله لحرق المبنى، ولم يقتصر نضال الغزالي على هذا الحد فقد تطوع في حرب فلسطين، وترأس التمرد ضد إدارة معتقل «الطور»، وسجل كل واحد من كتبه موقفا ونضالا ضد الغزو الثقافي، والتعصب والفهم الخاطئ لتعاليم الإسلام.

وأعترف أن ما شدني في سيرة ها العالم الجليل قوله: «إنه تَطَّوع في حرب فلسطين. هذه الحقيقة هي التي تجعلني أحني هامتي إجلالا لهذا المفكر الكبير، وذلك أنه من السهل التنظير والتأليف والكتابة والتغني للوطن بالأناشيد والقصائد والمقولات، وكل ذلك جميل، ومقبول، ولكن الأروع من كل ذلك أن تجد صاحب القلم أو الفكر يحول مواقفه إلى سلوك، ويترجم آراءه وأفكاره إلى مواقف وأفعال، وهذه هي النوعية النادرة من المفكرين.

لقد تطوع الشيخ محمد الغزالي وهو في ريعان الصبا ليحارب في فلسطين عام ١٩٤٨، فكان بذلك من الصفوة النادرة من المفكرين، الذين أذكر منهم ليو تولستوي الكاتب الروائي الروسي المعروف الذي دعا إلى إنصاف الفلاحين وحارب الإقطاع بفنه ورواياته، فلما ورث عن أبيه آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية قام بتوزيعها على

الفلاحين، ومن الأدباء الذين حولوا مواقفهم إلى سلوك عملي الروائي الأمريكي أرنست هيمنغواي صاحب رواية العجوز والبحر، ومنهم في أدبنا الفلسطيني الشاعر عبدالرحيم محمود الذي استشهد وهو يدافع عن وطنه في معركة الشجرة، والذي لا تجسد فلسطينيا مثقفا لا يحفظ له البيتين التاليين من الشعر:

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق وإما مماة تغيظ العِدا

أما من رجال الفكر الفسطيني، فهناك ماجد أبو شرار الأديب القصاص، وغسان كنفاني الروائي المبدع، وكمال عدوان الشاعر الفنان وكمال ناصر، الشاعر الأديب، وعشرات الكتاب والأدباء والمفكرين الفلسطينيين الذين حملوا القلم والبندقية.. القلم باليمين والبندقية باليسار، وقدموا فكرا ومواقف مخصبة بدماء أجسادهم الذكية.

ومن شهداء هذه الحقبة من النضال الفلسطيني الشهيد شادي علي مطلق النجمي منفذ عملية نتانيا في ٩/ ٣/ ٢٠٠٢ والتي تبنتها كتائب شهداء الأقصى، من مواليد ٨/ ١٠/ ١٩٧٥ مخيم عين بيت الماء غربي نابلس. ينحدر من عائلة النجمي التي هاجرت من وطنها يازور قضاء يافا عام ١٩٤٨ إلى نابلس، لم يكمل تعليمه بسبب الظروف الصعبة لعائلته، وفضل أن يعمل ليساعد والده في إعالة أسرته المكونة من الأب والأم وثلاثة أبناء، هم أشرف وشادي وشاهر وهذا الأخير معتقل في سجون الاحتلال، وقد وضع في السجن الانفرادي عند إعلان نبأ أن شقيقه أحد منفذي العملية، خوفا من رد فعله في السجن، وعقابا له كونه شقيق شادي، ولشادي ثلاث شقيقات هن شيرين وحنين وياسمين.

عمل شادي في مطعم بمدينة نتانيا قبل اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة ومنذ بدء الانتفاضة توقف عن العمل هناك، بسبب الحواجز، وصعوبة الوصول، وهذا هو السبب في اختياره تنفيذ العملية في نتانيا فهو يعرفها جيدا أكثر من غيرها.

عند زيارتنا لبيت الشهيد الكائن في مخيم عين بيت الماء في مدخل نابلس الغربي، وهو بيت بسيط ومتواضع، كسائر بيوت المخيمات، مما يعكس مأساة اللاجئين الفلسطينيين، فوجئنا برائحة البيت العطرة والمميزة، وأكدت لنا والدته أن تلك الرائحة تلازم بيتهم من يوم استشهاد شادي، وخاصة غرفة نومه وفراشه، وفعلا عند دخولنا

للغرفة كان لها رائحة طيبة عطرة ومميزة، وهذا طبعا من كرامات الشهداء الأبرار، وكانت الكتب التي كان يقرؤها قبل تنفيذ العملية لا تزال في مكانها بجانب سريره، وهي كتاب الله عز وجل القرآن الكريم وكتاب عذاب القبر، وكتاب رجال حول الرسول لخالد محمد خالد.

والدة الشهيد (أم أشرف) التي بدت صابرة متماسكة وسعيدة، لأن ابنها حقق ما كان يرنو له ونال مراده وهي الشهادة في سبيل الله والوطن، أخبرتنا أنه قبل استشهاده بعشرة أيام، استشهد صديقه كايد أبو مصطفى (المكيري)، في مخيم بلاطة، أثناء الهجوم على المخيم لمساعدة إخوته في الدفاع عن المخيم، وتأثر كثيرا لاستشهاد صديقه، ومن يومها لاحظت والدته وبقية عائلته اختلافا كبيرا في تصرفاته، فأصبح مواظبا على الصلاة بجميع أوقاتها بشكل ملحوظ دائم القراءة لكتاب الله عز وجل، ويطلب من إخوته وأخواته المحافظة على أداء الصلاة، وأصبح في الفترة الأخيرة يسألها (والدته) أن كانت ستحزن عليه أن استشهد، أو عن رد فعلها أن سمعت عن نبأ استشهاده على شاشة التلفاز، ولم تكن تعلم أمه الصابرة الصامدة كبقية نساء فلسطين، أن ابنها كان يعني كل كلمة يقولها، وعند خروجه من البيت أصبح يتصل هاتفيا بالبيت مرارا وتكرارا، ويطلب التحدث مع أمه.

وأضافت أنه في الأسبوع الأخير من حياته، قضى وقته ما بين المستشفى لزيارة الجرحى والمساعدة في الطوارئ، وبين الذهاب إلى مخيم بلاطة، لمساعدة أهله إثر العملية الهمجية التي تعرض لها المخيم مؤخرا.

أما عن يوم استشهاده فقالت أمه إنه طلب منها تحضير طعام الإفطار له لأنه يريد أن يأكل من بين يديها، واستحم وذهب إلى المسجد لأداء الصلاة، ثم رجع إلى البيت، وارتمى في أحضان أمه يقبل يديها ورأسها، وهي لا تعرف ما به فسألته عن سبب تصرفه، فأخبرها بصراحة عن نيته بتنفيذ عملية استشهادية، وأنه سيخرج الآن من البيت، ولن يرجع إليه أبدا، وطلب منها الدعاء له بالتوفيق في مهمته، وأن ترضى عنه وأن لا تخبر أحدا من خارج بيتهم لحين الإعلان عن العملية، فقبلّت ولدها وهي تبكي ودعت له بالتوفيق والنصر، وطلب منها ألا تبكي ولا تحزن قائلا لها: توكلي على الله أنا اخترت طريق الشهادة ولا رجعة، وأعطى لوالدته وصيته، وأوراقا أخرى منها بطاقة انتماء لحركة فتح وأخرى لكتائب شهداء الأقصى.

خرج شادي من البيت مسرعا تاركا والدته بين السعادة والحزن، لأن ابنها اختار طريق الشهادة، ولأنها لن تراه ثانية، فشعرت بالارتباك الشديد، وتكلمت هاتفيا مع ابنتها شيرين المتزوجة في مخيم عسكر – نابلس، وأخبرتها بالحديث الذي دار بينها وبين ولدها شادي، فأخذت شيرين تهدئ والدتها قائلة لها : إن شاء الله ينال الشهادة.

وخرجت أم أشرف، من بيتها لتقضي بعضا من الوقت عند جارتها، لعلها تبدد شيئا من الارتباك الذي تشعر به، وأثناء وجودها هناك أعلن على شاشة التلفاز عن عملية استشهادية في مدينة نتانيا تبنتها كتائب شهداء الأقصى، فشعرت براحة لأن ابنها شادي نال مراده، فرجعت إلى بيتها لتجد ابنها أشرف يقول لها وهو يبكي ويحمد الله أن شادي نال الشهادة، وطلب منها التكتم لحين الإعلان عن أسماء منفذي العملية، فبقيت صامتة صامدة، إلى أن رأته على شاشة التلفاز في شريط مسجل مسبقا يعلن عن نيته تنفيذ العملية الاستشهادية.

وعند رؤيتها لفلذة كبدها على شاشة التلفاز أخذت تزغرد، وتوزع الحلوى على الجيران، وتتقبل التهاني والتبريكات باستشهاد ابنها، وكان أكثر شيء لفت انتباهها عند استقبالها المهنئين قدوم معظم أهالي منفذي العمليات الاستشهادية لتهنئتها، وإخبارها أن شادي قام بزيارتهم جميعا وهي لا تعلم بذلك.

وفي كلمة أخيرة لها قالت: «الله ينصر أمثال شادي ويجازي العملاء الخونة، وينتقم منهم أشد انتقام، وأن بقية أولادي فداء لفلسطين».

أما شقيقته شيرين «أم الوليد» التي كانت حاملًا، ووضعت طفلتها في نفس اليوم الذي استشهد فيه شادي، والتي أطلقت عليها اسم «فلسطين»، بناء على وصية شقيقها شادي، فقالت: إنه طلب منها قبل استشهاده بأربعة أيام أن تأتي لزيارتهم، وتمكث عندهم مدة يومين، وفعلا حضرت عند أهلها ومكثت يومين تلبية لرغبته، وأثناء وجودها عندهم لاحظت تغييرا في تصرفات شقيقها، وأخبرت أباها وأخاها أشرف بأن شادي دائم النظر في أرجاء البيت، ويطيل النظر في وجوههم، ولم تكن تعلم أنه يودعهم، ويودع بيته. وأضافت أنه كان يتعامل مع الجميع بحنان كبير، وخصوصا مع أطفالها، وقالت الله يرحمه مات مدافعا عن فلسطين، وفي هذا فخر لنا لأنه رفع رأسنا.

أما شقيقته حنين وهي طالبة في التوجيهي فقالت: «قبل استشهاده بيوم أعطاني صورة

صديقه الشهيد كايد أبو مصطفى (المكيري)، وصورة شقيقي الصغير الموجود حاليا في السجن، حيث كان يحتفظ بهما في محفظته، وطلب مني أن احتفظ بهما، كما طلب مني أن أبقى جالسة معه، نتبادل الحديث، وكلما أردت أن انسحب طلب مني البقاء.

أما عن استشهادد فقالت حنين: «قبل أن يخرج من البيت، وبعد أن أخبر أمي عن نيته ودعني وأعطاني خاتمة لأتذكره، ووصاني على أمي وأبي وأخواني، وأن أحرص دائما على أداء الصلاة، ثم مضى إلى غايته بإصرار وعزم كبيرين، وأنا أحمد الله على ذلك، وأشعر بفخر كبير، وأتمنى أن يكون مثواه الجنة.

أما عن وصية شادي إلى أهله فهذا ما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأهل الأعزاء: أمي الحنونة، أبي الحنون ، هذه وصيتي لكم، أكتبها أرجو منكم عدم البكاء علي، وأن تدعو لي بالجنة، وان تكونوا صابرين، وأن تسامحوني، وإلى حبيبتي حنين أختي الغالية، أرجو منك أن تسامحيني، وألا تبكي عليّ، وأن تكملي تعليمك، وأن تكوني صابرة، وعليك بالصلاة يا حنين، وإلى حبيبة قلبي ياسمين، أرجو منك ألا تبكي عليّ وأن تهتمي بمدرستك، وإلى أخي أشرف أرجو منك ألا تترك الصلاة، وتعتني بالعائلة، وأن تسلموا لي على بيت جدي، وخالاتي وأختي أم الوليد وأن تفرحوا لي، فأنا اخترت الشهادة لوجه الله تعالى، وأرجو أن تسلموا لي على جميع أصدقائي، وأن تقولوا لهم بأن يسامحوني والله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر ويا ما أحلى النصر بعون الله.

صدى حملة بالألوان .. في الإعلام الإسرائيلي

في الأسبوع الأول من شهر آذار عام ٢٠٠٢ شن الجيش الإسرائيلي حملة ضارية على مخيمي بلاطة وجنين، وقد أطلقت قيادة الجيش على هذه العملية اسم «مسيرة بالألوان». إنها بالألوان لأنها تشارك فيها عدة كتائب، كتيبة ١٠١، ووحدة المشاة والهندسة و«المظليين» وكتيبة ناحل، والقوات المدرعة، وآليات وحدة الهندسة الثقيلة، ووحدة دوفدفان من المستعربين، ناهيك عن مروحيات الأباتشي، والمخفي أعظم، أنها حرب بكل معنى الكلمة ولكن ضد من؟ ضد فلسطينيين عزل، وإن لم يخل الأمر من

وجود كلاشينكوف هنا ومسدس هناك.

كتب أمير أورن في صحيفة «هآرتس» يقول: في منتصف شهر شباط منيت قوات الجيش الإسرائيلي بسلسلة من العمليات الفاشلة. النجاحات العملياتية لدى الفلسطينيين شجعتهم. وكرد انطلق الجيش الإسرائيلي إلى هجوم، توقف بعد يومين، بعد أن أوقع عشرات القتلى الفلسطينيين وبأمر من رئيس الحكومة شارون ووزير الدفاع بن إليعيزر، تمهيدا للقاء اللجنة الأمنية الإسرائيلية ـ الفلسطينية. وقد غضب رئيس هيئة الأركان العامة موفاز. ولو أعطى للجيش أن يستمر بالغارات لبضعة أيام إضافية لربما كان سينجز «حسما» في المواجهة، قالت مصادر مطلعة.

كان على موفاز أن يعلم أن الحسم العسكري لن يتم تحقيقه، وعلى أي حال ليس خلال ولايته، والقول المنسوب له تمت ترجمته في الجيش الإسرائيلي بمصطلحات أسهل، «لو استمر الضغط العسكري على الفلسطينيين، لكانت رغبتهم المعلنة بوقف إطلاق النار حقيقية». واتهموا في الجيش الإسرائيلي المستوى السياسي بأنه في ضغط دائم، وقد سمح للفلسطينيين بإعادة أجواء الاستعراض، وفي النهاية خلال أيام اضطر المستوى السياسي لاستئناف القتال.

ويضيف أمير أورن «الخطورة في العملية التي خططت في بلاطة، هي تحويلها إلى انتصار عربي كبير، وأن تتسبب في تحول سياسي سلبي، كما حدث في (معركة) الكرامة في آذار ١٩٦٨، وقبل ذلك في العملية الأولى الكبيرة لوحدة المظليين بقيادة العقيد أرئيل شارون (سهم أسود) في غزة، بالضبط قبل سبعة وأربعين عاما، في ٢٨/ شباط عام ١٩٥٥. وكانت هذه عملية توجه في أعقابها حاكم مصر عبد الناصر إلى السوفييت للحصول على مساعدة عسكرية، وعملية كبيرة جدا في بلاطة، يكون فيها شهداء فلسطينيون كثر قد تحفز التدخل الدولي ضد إسرائيل».

وكتب زئيف شيف الخبير في الشؤون العسكرية لصحيفة «هآرتس»: «إن دخول قوة عسكرية إلى مخيمات اللاجئين يعد دوما مشكلة معقدة، وذلك لأن الحديث يدور حول قتال في منطقة مأهولة باكتظاظ شديد، وفي أوساط سكان مدنيين يضمون عددا كبيرا من الأطفال، وفي لبنان أيضا امتنع الجيش اللبناني عن دخول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين حتى غدت هذه مناطق خارج نطاق السيطرة الإقليمية، واتخذت العمليات ضد مخيمات اللاجئين بالإجمال شكل الحصار، وحتى عندما سيطرت إسرائيل على

المناطق امتنع الجيش الإسرائيلي لفترة طويلة عن الدخول إلى مخيمات اللاجئين».

وإبان حرب الاستنزاف في بداية السبعينيات، وعندما كان شارون قائدا للمنطقة الجنوبية، قام بهدم العديد من المنازل كي يشق في قلب المخيمات طرقا يمكن له فيها تمرير المركبات والمدرعات. لقد استمر التردد في مسألة العمل في مخيمات اللاجئين بضع ساعات، وحسم عندما حظي وزير الجيش بنيامين بن إليعيزر، الذي أيد العملية منذ البداية، بتأييد شارون».

ويضيف زئيف شيف:لقد اختير مخيم بلاطة، حيث يسكن عشرون ألف نسمة كهدف رئيس بعد أن اتضح أنه يختبئ في المخيم نشطاء حماس في نابلس المجاورة الذين لم يكونوا يشعرون بالأمان في المدينة.

وتحتفظ حماس في المخيم بمعامل للراجمات من طراز القسام، وبمختبرات لصناعة المواد المتفجرة، وفي المخيم الثاني قرب جنين يسكن نحو ثلاثة عشر ألف نسمة، ومنه انطلق العديد من الانتحاريين، وإضافة إلى هذين المخيمين فقد استهدف الجيش والمخابرات الإسرائيلية عدة مخيمات لاجئين أكبر وأصغر من بلاطة. ومع أن وزير الدفاع قال إنه لا توجد نية للبقاء في مخيمات اللاجئين فمن الواضح أن الدخول والخروج السريع منها، ولاسيما عندما لا تكون هناك إنجازات بارزة وهامة، سيفسره الفلسطينيون كانتصار.

أما روني شكيد مراسل صحيفة«يديعوت أحرونوت» للشؤون العربية فكتب محللا: جبل النار، هذا هو اللقب البطولي الذي يطلقه الفلسطينيون على مدينة نابلس. هذه المدينة المتمردة منذ فجر التاريخ، أما مخيم بلاطة للاجئين فهو فوهة بركان هذه المدينة.

الأردنيون لم يتمكنوا من السيطرة على ما يجري داخل المخيم، والجيش الإسرائيلي لم يدخله حتى في أيام الحكم العسكري. في أيار ١٩٨٧ حاول الجنرال عمرام متسناع بصفته قائد لواء المركز احتلال المخيم وفشل، فبلاطة يعتبر منطقة خارجة عن كل سيطرة.

أمس الأول بعد ١٨ شهرا من الانتفاضة قررت القيادة السياسية إرسال الجيش الإسرائيلي ليحاول شطب الأسطورة المسماة بلاطة، وحاولت قوات المدرعات

والمروحيات والقوات البرية احتلال مساحة النصف كيلو متر مربع التي يقوم عليها المخيم، وتمكنت بالكاد، بعد يوم من القتال، من التسلل إلى عمق أربعين إلى خمسين مترا داخل المخيم، لم تعتقل ولو مطلوبا واحدا، ولم تعثر ولو على بندقية كلاشنيكوف أو مسدس، ولا على معامل تصنيع المتفجرات أو صواريخ «القسام»، فما الذي تم تحقيقه أمس؟ لقد استأنف الفلسطينيون إطلاق النيران في كثير من القطاعات وخاصة في منطقة حي جيلو.

لبالغ الحظ لم تتسبب صواريخ الدبابات والمروحيات بأعمال قتل جماعية، لم تحول بلاطة إلى صبرا وشاتيلا ثانية، لكن دون ذلك كانت هذه العملية بمثابة مغامرة كبيرة.

في كل الحالات، عندما تنسحب الدبابات من بلاطة ، وهذا سيحدث بعد يوم أو يومين، سيخرج الفلسطينيون بشعور من النصر، وسيعود بلاطة إلى تمرده، وسيتجول المطلوبون والمسلحون في أزقته، وستنتج المعامل المحلية صواريخ«القسام» وستمتلئ مخازن الذخيرة، وسيعود بلاطة بأسرع ما يمكن ليكون بلاطة.

وينتقد الكاتب الصحافي يارون لندن في صحيفة «يديعوت أحرونوت» القيادة الإسرائيلية، ويتحدث عن ضرورة الانسحاب من الأراضي الفلسطينية فيقول:الديماغوغيون من اليمين واليسار يتخبطون بشأن المزايا الكامنة في الحلول التي يقترحونها، ويقللون من شأن أثمان هذه الحلول، ولكن الحكمة التي تخفف من الخوف والضبابية تزيد من هذه الأثمان فيما يلي محاولة لتبديد الضبابية.

الانسحاب من المناطق المحتلة، هو الشرط الضروري لإقامة علاقات سلام بين اليهود والفلسطينيين، ولكنه ليس الشرط الكافي. الشروط الأخرى هي إقامة دولة فلسطينية مستقلة يصر قادتها على إقامة سلام، ويستطيعون فرض سيطرتهم على معارضي السلام لديهم، حتى الآن لم ينفذ هذين الشرطين، وحتى المخمنين المتفائلين يجب أن يأخذوا بالحسبان، إننا لن نتوصل إلى ذلك، بعد الانسحاب سنحظى بالهدوء فقط بعد سنوات استقرار غير قليلة، وربما لن ننعم أبدا.

لا نعرف ما إذا كان الفلسطينيون يفسرون الانسحاب كضعف، يشجع على شن الهجمات ويفهمون أن الإسرائيليين لم يضعفوا، بل اعترفوا بضرورة التنازل عن جزء من «أرض أجدادهم» من أجل أن يحقق جيرانهم بعضا من أحلامهم. بعض الفلسطينيين سيفهمون الأمور على نحو صحيح، ولكن بعضهم سيفكرون أنه بجهد آخر ستنهار

إسرائيل.

ليس ثمة فائدة من تفصيل الأسباب الوجيهة لدعم الانسحاب باستثناء سبب واحد لا يكثرون من الحديث عنه: الانسحاب الآن يكلف ثمنا باهظا، ولكن الانسحاب بعد وقت سيكلف ثمنا أغلى. الثمن سيرتفع الآن الكراهية المتبادلة ستتعمق أكثر فأكثر.

تناول رئيس المعارضة وزعيم حزب ميرتس عضو الكنيست يوسي سريد في مقابلة بصحيفة «يديعوت أحرونوت»، موضوع الأعمال التي تقوم بها قوات الاحتلال في الأراضي الفلسطينية موجها نقدا شديدا إلى سياسة الحكومة، والتي يقف على رأسها وحيد القرن الكبير جدا والثقيل، أرئيل شارون، فيقول:كان هذا العام هو الأصعب لليسار الإسرائيلي، ولي بصورة شخصية، فالناس لا يتخيلون إلى أي مدى من الصعب بث رسالة مسؤولة، وغير جامحة فيما الجثث ملقاة عملية أخرى، جرحى وقتلى ودمار، ويدعوننا للظهور في التلفزيون والإذاعة، ويجب حشد كل القوى النفسية للتوضيح للمرة التي لا يعرف عددها أن الأمور لن تنجح هكذا.

هذه الحرب لا يمكن أن ننتصر فيها ولهذا يجب وقفها، وقد حذرنا مرارا من الدوامة السحرية، الدوامة الرهيبة، الدوامة الدموية إلى أن وصلنا إلى امرأتين حاملين، عند المخاض إسرائيلية وفلسطينية وسط الجروح والثكل.

والديمقراطية ليست فرقة موسيقية تردد الأناشيد، وهي تختبر تحديا حسب الأصوات التي تختنف بالرأي والفرصة التي تعطى لها كي تسمع. وفي هذا الاختبار فشلت إسرائيل، وقد تحولت «بلاد الظبي» إلى «بلاد وحيد القرن».

والآن وفي الأسابيع الأخيرة، فإن قطيع وحيد القرن هوجم بأفكار أخرى وحتى في المؤسسة الأمنية بدؤوا يتشككون في جدوى التصفيات.

وربما بتفكير آخر ومتأخر، لم يكن متزنا جدا، اغتيال رائد الكرمي تحديدا في فترة هدوء نسبي، ولم يكن متزنا هدم بيوت فلسطينية غير متورطة بالإرهاب، وربما لم يكن حكيما الإعلان عن عرفات على أنه«غير ذي صلة»، وفرض حصار عليه في مدينته، وربما أن هذه الحواجز التي تقتل جنودا ومدنيين وتجعل حياة مئات آلاف الفلسطينيين جحيما الأصحاء والمرضى على حد سواء، ليست اختراع القرن.

وبشكل مؤسف ُلهم بدأ قطيع وحيد القرن أخيرا يفكر ويتحدث، وكعادة وحيد

القرن، الكبير جدا والثقيل، فهم يتناطحون معا في حرب وحيد القرن ضد وحيد القرن. إن من نفخوا قبل عام صدورهم وسمحوا للجيش بالانتصار ـ سمحوا ومنعوا ـ يعلنون لنا الآن ببيانات وتسريبات أن الجيش بقواه الذاتية ودون مساعدة سياسية لن يستطيع توفير البضاعة.

صباح الخير يا فؤاد، صباح الخير يا موفاز، مساء الخير أرئيل شارون. الظلام على رأس رئيس الحكومة، وعندما يسيرون في الظلام يخطئون ويسيرون بتعرج، ومن أجل لقاء خطابات مثل خطابات تشرتشل للأمة يجب أن تكون مثل تشرتشل، ومن الأفضل أن تحدد بشكل دقيق أهداف الحرب.

تناقلت الصحف الإسرائيلية هذا الأسبوع موضوع المبادرة السعودية، حيث تناولها المحللون السياسيون من شتى التيارات السياسية، فمنهم المعارض، ومنهم المؤيد، ومنهم المتحفظ، فقد كتب زئيف شيف في صحيفة «هآرتس» حول موضوع المبادرة:

إن أساليب التملص من المبادرات السياسية، من قبل إسرائيل، ومن قبل العرب على حد سواء أمر مألوف فهناك من يقول: لا يوجد أي جديد في المبادرة. أو «هذه مكيدة قديمة بلباس جديد» هذان فقط مثالان للرد الإسرائيلي التلقائي. وحجة المعارضين هذه المرة، هي الادعاء بأن السعوديين يريدون ترميم صورتهم السلبية في نظر الرأي العام الأمريكي في أعقاب التفجير في برجيّ التوأم، ويمكن الافتراض أن هذا التفكير أيضا راود ولي العهد عبد الله أبو المبادرة. وثمة تفسير آخر لما يقف وراء المبادرة السعودية. فقد قالت شخصية سعودية: لقد توصلنا إلى نتيجة أنه لا يمكن الاعتماد على عرفات، ولا على شارون، ولأسفنا أيضا ولا على الرئيس بوش بما يتعلق بالمواجهات العسكرية الحالية، هذا الأمر يهدد السعودية أيضا بالخطر، لأن هذه المواجهات قد تنزلق إليها ولأماكن أخرى.

المفاوض الأمريكي قال في رده، إذا كان السعوديون سيخرجون بمبادرة سياسية، فعليهم أن يحرصوا على ألا تشمل شرطا تضطر إسرائيل بسببه إلى رفضها نهائيا.

من يقارن مبادرة الأمير عبد الله بمبادرة سعودية سابقة في آب ١٩٨١ للأمير فهد ـ الذي أصبح منذ ذلك الوقت ملكا ـ سيجد فرقا بهذه الروح مبادرته، التي أطلق عليها أيضا مبادرة فاس، على اسم مؤتمر القمة العربية في مدينة فاس التي طرحت فيها المبادرة، شملت مطالبة بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين أو دفع تعويضات للذين

سيبقون في أماكنهم، هذه المرة لم يذكر هذا الأمر، وحينذاك لم تتطرق المبادرة إلى موضوع تطبيع العلاقات مع إسرائيل، بل كان الحديث فقط عن حق كل دول المنطقة في العيش بسلام، وفي مؤتمر القمة تم حينها تعديل المبادرة إلى الأسوأ، وهكذا أيضا في الأقوال التي أدلى بها فهد للصحافة مثل مطالبته بأن توقف الولايات المتحدة كل المساعدات لإسرائيل، ورغم ذلك، اعتبارات م.ت.ف مع العراق وسوريا من المعارضين للمبادرة السعودية. أما هذه المرة فقد قبلت المبادرة السعودية من قبل عرفات.

من ناحية إسرائيل فقد سقطت في فترة يتبلور فيها جدل داخلي الاعتراف بأننا لم ننجح عسكريا في إبادة الإرهاب الفلسطيني، ولم ننجح في تغيير خط عرفات السلبي.

بإمكان المبادرة السعودية أن تكون فرصة لتغيير إيجابي في الوضع القائم، الذي يشدنا جميعا إلى المنحدر. ورفضها سيخلق في إسرائيل ثغرة في الإجماع الوطنيّ على الحرب ضد الإرهاب، ومن أجل استيضاح المبادرة يجب على الأمير عبد الله أن يخرجها من دُرجه، وعندما يدخلون في تفاصيلها سيكون هناك مكان للتعديلات، وسيطلب ذلك بالتأكيد الفلسطينيون أيضا.

وحول ذات الموضوع أورد الكاتب الصحافي سالم جبران رئيس تحرير الأهالي في صحيفته تحليلا يقول فيه: حكومة شارون تذرف دموع التماسيح عند سقوط الضحايا، ولكن ألا تدرك هي، ألا يدرك العالم، أن سياسة حكومة شارون تقود مباشرة لسقوط الضحايا، اليهود، والفلسطينيين!! تصوروا تطورا آخرا مغايرا للأحداث: حكومة إسرائيل تعلن الترحيب الرسمي بمبادرة ولي العهد السعودي، وتعلن أنها ستعقد جلسة خاصة طارئة لبحث الوضع الناشئ في أعقاب المبادرة حركة دبلوماسية إسرائيلية وعربية وعالمية واسعة لإعطاء المبادرة زخما عمليا للمباشرة بالاتصالات الرسمية، لجس النبض والتفكير بخطوات عملية، هذا الأمر كان سوف يبعث التفاؤل والبهجة في الشعب اليهوديّ المتعطش إلى وقف سفك الدم وتذوق الطمأنينة، وفي الشعب الفلسطينيّ الذي يعيش جهنما حقيقية من إهانة وجوع تحت الاحتلال، وكان العالم كله سوف يهب داعيا إلى تنفيذ المبادرة لمصلحة الفلسطينيين والشرق الأوسط والعالم إلى هنا ما كتبه سالم جبران.

ونحن نشهد في الآونة الأخيرة أنه بدأت ترتفع في إسرائيل أصوات عديدة تحذر من

إضاعة الفرصة التاريخية، لصنع السلام من خلال المبادرة السعودية، وراحت تتهم الحكومة بالتخريب على هذه المبادرة بواسطة شتى الحيل الدبلوماسية من ناحية، ومن ناحية أخرى بواسطة الهجمة العدوانية الشرسة التي تشنها على الشعب الفلسطيني الأعزل.

وعلق أوري أفنيري الذي يرأس «غوش شالوم» - كتلة السلام قائلا: «إن المبادرة تاريخية بالفعل، فهي تقضي في نهاية المطاف، إلى اعتراف العالم العربي كله بإسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معنا، والفلسطينيون والدول العربية كلها رحبت بالمبادرة المدهشة، وفقط نحن نتمنع أن حكومة شارون - بيرس تفضل عدم دفع الثمن وتفضل الاحتفاظ بالأراضي الفلسطينية وبالمستوطنات اليهودية فيها. وتتخذ مختلف المواقف والإجراءات والأحابيل السياسية الهادفة إلى إجهاض هذه المبادرة، وإفراغها من مضمونها، ودعت هذه الحركة أنصار السلام في إسرائيل إلى إقامة الدنيا فوق رأس الحكومة، فهي تقودنا إلى خسارة فرصة لا تعوض، ستجعلنا نبكي أجيالا.

وتطرق للمبادرة الصحافي غاي بيخور حيث كتب في صحيفة «يديعوت» وتحت عنوان «حوار إسرائيلي وضيع».

يتذكر الكثيرون رد موشيه ديان فور حرب الأيام الستة بأن إسرائيل تنتظر الآن مكالمة هاتفية، احتلت «المناطق» كوديعة تعيدها إسرائيل إلى جاراتها مقابل اتفاق سلام شامل. مر أكثر من ثلاثين سنة والمكالمة الهاتفية لم تصل. صحيح أنه أبرمت اتفاقيات سلام منفردة مع مصر والأردن، والتسويات (الفاشلة) مع الفلسطينيين، ولكن لم يكن هذا مصالحة شاملة مع العالم العربي تستدعي إعادة الوديعة. ربما تحديدا الآن، في إحدى اللحظات العصيبة جدا في تاريخ النزاع، وصلت المكالمات الهاتفية الأكثر جاذبية مع أكثر الصفقات التي عرضت على إسرائيل التطبيع الكامل بين إسرائيل وبين مجموعة الدول العربية مقابل إعادة المناطق»، الحوار في البلاد في كل ما يتعلق بالمبادرة السعودية مؤسف من حيث وضاعته. لا أقصد فقط الشخصيات من اليمين التي سارعت بالتشكيك فيها، تحسبا من أن تؤدي إلى انسحاب من المناطق، بل أقصد فهم الأمور كما لو أن الحديث يدور عن مبادرة سياسية فورية، وكأن الأمير السعودي سيصل إلى إسرائيل أو سيدعو رئيس الدولة إلى الرياض.

وينهي غاي بيخور مقاله بتلخيص ماهيّة المبادرة السعودية فيقول: «المبادرة

السعودية تقترح على إسرائيل حلا واقعيا إقليميا، يضع القضية الفلسطينية في سياقها المقلص المناسب لها، ويمنح أفقا سياسيا ساطعا لإسرائيل والمنطقة. هل يستطيع قادة إسرائيل تجاهل جرس الهاتف هذا؟».

الحياة في ظل الحصار .. صورة واقعية لملامح رام الله :

معايشة الحصار لا يمكن أن تتحول إلى نموذج نمطيّ تقليدي للحياة، فالأربعون يوما التي عاشها الرئيس في ظل الحصار المشدد، تشكل ملحمة درامية كاملة، رسم لها صديقنا الأديب الكاتب حكم عبد الهادي هذه البانوراما الفنية الخلابة، المتدفقة بالمشاعر والأحاسيس والرؤى البديعة ولحظات الشجن الخلابة، التي تفيض ألما وحزنا، وتواصلا وجدانيا بديعا، كتب يقول:

يشعر المواطن الفلسطيني المدجج بجواز سفر ألماني أنه من المرضين عنهم حين يغادر جسر الملك حسين قادما من عمان إلى فلسطين، فهو ليس بحاجة إلى الوقوف في طابور الفلسطينيين العاديين، الذين يدخلون من معبر خاص بهم، حيث يذوقون الأمرين من معاملة جنود الاحتلال والانتظار الطويل.

وبالإضافة إلى ذلك تتجنب سيارة أجرة المغترب طريق أريحا، وما يرافقها من حواجز وأحزان، وبعد حوالي النصف ساعة تتلاطم عواطفه، حين يرى القدس وقبة المسجد الأقصى الذي يصبو كل مسلم إلى الصلاة فيه.

بيد أن جواز السفر الألماني يفقد مفعوله السحري حين يريد السائح الفلسطيني ، الألماني الذهاب إلى رام الله، فهو لا بد أن يعبر حاجز قلنديا، وعندما يعود إلى أصله، يجد نفسه مع مئات الفلسطينيين، الذين يدقق الجنود الإسرائيليون جوازات سفرهم وهوياتهم وتصاريحهم. المنتظرون يميلون للشراء أكثر من غيرهم، وهكذا يرى العابرون مجموعة كبيرة من الباعة الفقراء، الذين يعرضون خضارهم وأقمشتهم الرخيصة والسجائر والعلكة وبكثير من السخرية يصف الناس سوق حاجز قلنديا بأنه «Duty Free» الفلسطيني.

مئة ألف فلسطيني في رام الله يعيشون خلف حاجزي قلنديا وسردا، كما يعيش بقية أهلهم خلف ثلاثمائة حاجز - كما ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية.

هل بالغ سفير بريطانيا في تل أبيب حين قال: أن الضفة الغربية وقطاع غزة يشكلان

أكبر سجن في العالم؟

ويعتبر حاجز قلنديا الحاجز رقم واحد في الضفة الغربية، لأنه من أهم معابر الضفة الغربية إلى القدس التي لا يستطيع المواطنون دخولها دون تصريح خاص، من منهم لا يعشق هذه المدينة، التي تجسد تراثه سواء أكان مسلما أو مسيحيا؟ أذكر أن أحد شباب رام الله قال لي: آه، المرة الآخرة التي رأيت فيها القدس كانت من خلف قضبان سيارة عسكرية كانت تنقلني إلى السجن.

والآن، هل سيسجن الشاب الذي رأيت بأم عيني جنديا إسرائيليا ينهال عليه ضربا أمام حاجز قلنديا؟ هل أراد هذا الشاب مغادرة بلده إلى القدس بلده الثانية، دون تصريح؟ من يهتم بمثل هذه الأمور في هذا الجو، فكل عابر يسعى إلى «الستيرة» وإلى المرور بكرامته وبسرعة عبر هذا الحاجز المقيت، وكل الحواجز مقيتة ومهينة.

بيد أن حاجز سردا، كان بالنسبة لي أهم حاجز في فلسطين، فقد كان على عبوره ذهابا من رام الله وإيابا من بيرزيت، حيث أحاضر في جامعتها لمدة ثلاثة أسابيع، وعلى الرغم من أن جامعة بيرزيت لا تبعد سوى سبعة كيلومترات عن رام الله إلا أن الطريق إليها يستغرق في هذه الأيام العصيبة، ومنذ بداية الانتفاضة ساعة على الأقل السيارة تنقلك إلى الحاجز الأول الذي تغادره ماشيا على الأقدام حوالي الكيلو متر، لتخترق الحاجز الثاني وتستقل السيارة الثانية، التي تحملك مباشرة إلى الجامعة التي تبدو لك ببناياتها البيضاء الجميلة كالنور في ظلمات الاحتلال، وبين الحاجزين تقف دبابات الجيش وجنوده، الذين يطلبون من هذا الشاب أو ذاك أن يبرز هويته أو تصريحه إذا كان من شباب غزة، ويذكر أن أكثر من مائتي طالب وأستاذ جامعي قرروا تجنبا للانتظار ومضيعة الوقت الانتقال من غرفهم وبيوتهم في رام الله، التي يهواها الجميع، ليسكنوا في بلدة بيرزيت، ويشاركوا أهلها (حوالي العشرين ألفا) البنية التحتية، مما أدى إلى تفاقم أزمة المجاري والمياه بالإضافة إلى السكن.

في الساعة الرابعة ليلا اتصل رئيس الجامعة الدكتور حنا ناصر بنائبته الدكتورة كرميلا العمري - حيث كنت سعيدا بضيافة عائلتها وكرمها أثناء فترة التدريس ، ليبلغها أن الجنود الإسرائيليين اقتحموا الجامعة وانتهكوا حرمتها وعاثوا فسادا في مكتب مجلس الطلبة. حدث ذلك ثلاث مرات خلال زيارتي القصيرة، وفي ذات يوم رأيت كيف وقفت سيارات الجيش أمام مدخلي الجامعة في وضح النهار، وخلال دقائق شاهدت شباب

الجامعة وشاباتها يتجمعون في الباحة، وقد حمل أحدهم مكبر صوت ليقول: علينا أن ندافع عن جامعاتنا وأن نتصدى لهم. كنت للوهلة الأولى أتخيل أنه يردد شعارات تعودنا أن نسمعها من أبواق الدعاية العربية، ولكنني عندما تأملت في وجوه هؤلاء الشباب رأيت عزما وعنفوان، وخلال نصف ساعة غادر حوالي ثلاثمائة طالب الباحة ليرشقوا الجنود بحجارة الانتفاضة. توترت أعصابي وأخذت أسأل نفسي: «هل يستطيع هؤلاء الأشاوس التصدي بحجارتهم للجنود المدججين بالرشاشات، وهل سنشارك غدا في جنازة شهيد آخر لجامعة بيرزيت؟ تنفست الصعداء حين انسحب الجنود، ولكنهم عادوا ليلا واقتحموا مجددا الجامعة، كما أغلقوا حاجز سردا لساعات، وبهذا سدوا الطريق بين رام الله وخمسين قرية».

لقد اتخذت جامعة بيرزيت كبقية الجامعات والمؤسسات التعليمية قرارا بعدم التوقف عن التدريس، مهما كانت الظروف، فقد تعلمت المؤسسات المعنية من تجربة الانتفاضة الأولى، حيث كاد التعليم يتوقف، مما أدى إلى تراجع ثقافي وتربويّ كبير في صفوف جيل من شبيبة البلاد.

إدارة الجامعة تعمل المستحيل لتنفيذ مهمتها، فقد استأجرت بيوتا في بيرزيت لنوم الأساتذة تحسبا لإغلاق حاجز سردا، فإذا حدث هذا - وما أكثر ذلك - استمر التعليم للطلبة الذين يسكنون في البلدة، أما الذين يعيشون في رام الله فيستطيعون مواصلة الدراسة في بنايات استأجرتها الجامعة هناك خصيصا لهذا الغرض.

كثير من طلاب الضفة الغربية من نابلس وجنين وغيرها من المناطق لا يستطيعون الوصول إلى جامعتهم، نظرا لكثرة الحواجز ومخاطر الطريق، في الوقت الذي يواجه فيه طلاب غزة كالعادة صعوبات أكبر، لأنهم بحاجة أيضا إلى تصاريح بيد أن عددا غير قليل من المنطقتين قرر منذ زمن بعيد الانتقال إلى بيرزيت أو رام الله طيلة مدة الدراسة. في الأعياد مثلا لا يقوم شباب غزة بزيارة أهلهم، خوفا من عدم الحصول على تصريح للعودة، وكنت أشعر أحيانا أن سكان الضفة يضعون منزلة مميزة في قلوبهم للغزاويين، خاصة عندما يحين وقت الأعياد.

الطلاب لا يعانون وحدهم، فأساتذة الجامعة لم يتلقوا منذ أشهر سوى نصف رواتبهم غير المرتفعة أصلا، وذلك لأن السلطة لا تستطيع في ظل هذه الظروف أن تدعم الجامعة ماليّا.

من يوميات الحياة في رام الله

في مقهى «سانجريا» التابع لأحد فنادق المدينة تجد في وقت متأخر من الليل عشرات الشابات والشبان يتسامرون ويدخنون النرجيلة، وأتساءل: أين أنا؟ في باريس أم في برلين؟ ماذا عن منع التجول المفروض على المدينة، فهو يبدأ في الساعة السادسة مساء؟!وليد العمري مراسل «الجزيرة» يقول معقبا على ذلك: منذ الاجتياح الأول في نهاية شهر آذار (مارس) ٢٠٠٢ وعودة الاحتلال فرض منع التجول بشكل أو بآخر على المدينة، ولكن يبدو أن الحياة أقوى من الاحتلال.

صحيح أن منع التجول لا يُخترق إلا من مجموعة صغيرة من الشباب الذين يعشقون الحياة وروح المغامرة ومن سائقي سيارات التكسي، ولكنه يخترق. قال لي أحد سائقي سيارات التاكسي «يستطيعون أن يسجنوني أو يقتلوني، ولكنهم لن يستطيعوا أن يمنعوني أن أعمل، كل ما أقدر عليه لانتزع لقمة العيش لعائلتي»، وماذا يحدث إذا قبضت دورية إسرائيلية على سائق تاكسي متلبسا بالجريمة؟ سيأخذون منه مفتاح السيارة، ويقولون له اذهب إلى بيتك. ولكني علمت أن كل سائق يحتفظ بسبعة مفاتيح لسيارته ومصدر رزقه.

لكن حياة الناس بصورة عامة للأسف ليست بهذه البساطة، ولو أن الزائر يتخيل بداية أن كل شيء متوفر في هذه المدينة، فأرفف الدكاكين مكدسة بالمواد الغذائية والحاجيات المستوردة في معظمها من إسرائيل بيد أن عشرات الآلاف من المواطنين خسروا – كما تشير تقارير البنك الدولي – أماكن عملهم في إسرائيل، والضفة الغربية وقطاع غزة، حيث انحسرت حركة الاستثمار بشكل مأساوي.

أبو الوليد مثلا أحد سكان مخيم الأمعري الذي يقع في أطراف رام الله يجسد وعائلته التي تتكون من سبعة أفراد بؤس الشعب الفلسطيني في هذه الأيام إنه يعيش منذ سنتين بعد أن طرد من عمله في إسرائيل على ما تيسر من أعمال نادرة ومساعدة الأقارب والجيران. يبدو وكما يقول وليد العمري، أن العائلة الكبيرة – التي تسمى جزافا الحامولة، التي تعتبر في الأحوال العادية من معوقات التطور، لأن الواحد فيها قد يميل إلى الكسل ويعتمد على جهود أخوته أو أولاد عمه، أصبحت هذه العائلة في الظروف الراهنة من شروط الحيلولة دون التسول؛ لأنه إذا تمكن أحد أفرادها من الكسب داخل البلاد أو خارجها تقاسم دخله مع عائلته الكبيرة في الداخل.

***

في ٢٩ تشرين الأول، عقدت جلسة طارئة لمجلس النواب في المقاطعة، مقر الرئيس عرفات في رام الله. وكان الدكتور سامي مسلم، الذي حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بون ويترأس منذ سنوات مكتب الرئيس في أريحا قد قال لي: «ستُشاهد الجلسة، وستلاحظ الأجواء الديمقراطية، التي أصبحت نظامنا السائد».

في البداية صعقت حين شاهدت عن قرب الدمار الذي حل بالمقاطعة هذه القرية الصغيرة التي تبلغ مساحتها حوالي نصف كيلو متر مربع الدمار ذكرني بما لحق بمخيم جنين وبصور الدمار في المدن الألمانية دريسدن وبرلين وكولن بعيد الحرب العالمية الثانية، لقد تساقطت البنايات، ولم يبق حجر على حجر باستثناء غرفة الرئيس وعمارة بالقرب منها اجتمع فيها مجلس النواب.

رأيت مئات الأكياس من الرمل لحماية مكتب أبو عمار. وعلق رسام الكاريكاتير لصحيفة «القدس» المقدسية بسخرية مرة على التضامن العربي حين كتب تحت كاريكاتيره «تضامن العرب مع ياسر عرفات وأرسلوا له ألف كيس رمل».

بلد فيه سلطة وطنية رئيس ومجلس نواب منتخبان وزارات وجنود الاحتلال يصولون ويجولون وينصبون الحواجز هنا وهناك. رأيت رئيسا في شبه سجن لا تسمح له سلطات الاحتلال بزيارة بيت لحم بمناسبة عيد الميلاد. لم أر أثناء زيارتي كلها شرطيا فلسطينيا واحدا، ولكني شاهدت ذات مرة رجلا بلباس مدني ينظم بصمت ودون سلاح حركة السير في وسط مدينة رام الله، ساحة المنارة، وأعتقد أنه أغلب الظن كان شرطيا سريا فقد علمت أن جنود الاحتلال سيصفونه جسديا لو حمل سلاحا.

على الرغم من ذلك يمشي الإنسان بأمان في شوارع رام الله، لا يلاحظ عمليات سطو ولا جرائم المحاكم ما زالت تفتتح جلساتها كالمعتاد، والسير بحاجة إلى بعض التنظيم، ولكنه ليس متأزما أكثر من الأحوال العادية.

* * *

في ٢١ تشرين الأول كنت في بيت زميلي عارف حجاوي، مراسل إذاعة لندن ونائب رئيس معهد الإعلام في جامعة بيرزيت، كنا نجلس في غرفة ضيوفه في رام الله قبل أن يبدأ منع التجول في الساعة السادسة بقليل، اجتمعنا لنتناول طعام العشاء ولنقضي سهرة جميلة مع عائلته الكريمة. وبعد ذلك سأغادر بيته بالتاكسي، الذي عودنا سائقه أن

يتحدي منع التجول.

وتجدر الإشارة إلى أن عارف من أفضل الصحافيين في العالم العربي، ومن فقهاء اللغة العربية ويحسن الحديث عن الأدب والأدباء. كما أنه عازف عود من الطراز الأول، وإذا تمكنا من إقناع ابنته مريم (١٦ عاما) بمختلف الحيل وضروب التشجيع بأن تغني لنا برفقة العود فستكمل السهرة فقد غنت منذ أيام قليلة أغنية سيد درويش على باب الله يا صنايعية على أفضل وجه. وكان عارف إذا نسيت إحدى كلمات الأغنية يهمس بها في أذنها ويقول بدفء الأب وحنانه: «يللا ، يللا يابا». كنت أُحدث نفسي: «سنسمع اليوم أجمل القصص عن الأدب والأغاني والحكايات، وبدأ عارف يعد الأراجيل».

وفي تلك اللحظة دخلت زوجته سميرة وقالت بعصبية: قناة الجزيرة أفادت منذ لحظات أن مجموعة من المسلحين نفذت عملية. فلسطينيون فجروا سيارتهم بحافلة إسرائيلية بالقرب من الخضيرة، مما أسفر عن عديد من القتلى والجرحى، اندفعنا عارف وأنا بسرعة إلى التلفزيون وتبخر بالسرعة ذاتها كل فرحي، فقد شعرت أن السهرة انتهت.

بدأت أتساءل: كيف سيكون رد فعل الجيش الإسرائيلي، وهل سيشددون منع التجول ويوسعون نطاق العقوبات الجماعية؟ هل سيقصفون المقاطعة التي تقع على بعد قفزة فقط من بيت عارف؟ وهل ستسافر التاكسيات في مثل هذا المساء؟ لم أصب بحالة ذعر ولكن بكثير من القلق والتحفز، وطلبت من زميلي أن يتصل بسائق التكسي، الذي تعودت التنقل برفقته. انطلق السائق بسرعة جنونية راقت لي في تلك اللحظة، بينما أمقت في الأحوال العادية قيادة السيارة بهذه السرعة في وسط المدينة، حتى ولو كانت الشوارع فارغة تماما من الناس كما هو الآن.

ولكن «لماذا ركب العفريت هذا الرجل، ومن الذي أجبره على المرور في شارع المقاطعة»؟ الدبابات الإسرائيلية تبعد أمتارا عن المقاطعة منتظرة أوامر القصف، فهم بحاجة إلى إشارة باللاسلكي ليباشروا مجددا قصف المقاطعة، فلماذا لم يختر السائق طريقا التفافيا؟!

كنت أشعر في تلك اللحظة أن العشر ثوانٍ التي لف فيها طريق المقاطعة دهرا، وأخذت الصور تمر برأسي كالفيلم، ورأيت صورتي في مخيلتي كملصق في شوارع رام الله والجامعة، وقد كتب تحتها «حكم عبد الهادي، صحافي مغترب، شهيد الكلمة، قتل في ٢١ تشرين أول برصاص جنود الاحتلال».

حدثت فيما بعد إخوتي في عمان عن مخاوفي تلك عندما سألوني ما إذا واجهت مخاطر حقيقية في الضفة، وأضفت: «هل ترون خطورة الحالة أم تعتقدون أنني أرنب»؟ فأجمع أربعتهم على أنني أرنب، وهمس أحدهم بسخرية : «ماذا سيقول لك الشهداء، يا رجل»؟

* * *

ثم حدثتهم عن قصة ثانية دارت بالقرب من حاجز سردا: لا يستطيع أحد أن يتخيل الفوضى التي تعم المكان، الأمر الذي يعود إلى عدم وجود شرطة تنظم السير. مئات من الطلبة والأمهات مع أطفالهن، والفلاحون الذين يحملون بعض ما قطفوه من موسم السنة من الزيتون ليبيعوه في رام الله، كل هؤلاء يريدون مغادرة الحاجز البغيض بأقصى سرعة ممكنة. عشرات من سيارات الأجرة التي تنقل سبعة أو تسعة ركاب لدخول أو مغادرة الحاجز تحاول اللف في شارع مسدود ضيق غير معد لمثل هذه المناورات.

«افتح الطريق يا أولاد الكلب» كثف السائقون مناوراتهم فهم يريدون ـ كالمارة الذين أخذوا يقفزون كالدجاج من هنا لهناك ـ أن يفتحوا الطريق للدبابة، ولكن كيف، فالأمر ليس بهذه السهولة؟!

ماذا سيحدث لو أن بعض الطلبة ردوا على مثل هذه الإهانات بحجارتهم، فقد شاهدت منذ أيام قليلة جسارتهم وتصديهم للجنود الإسرائيليين أمام بوابتي الجامعة؟ هل سيطلق الجندي النار على الناس؟ هكذا تحدث الكثير من المذابح في فلسطين، تبدأ بإهانة، يتبعها حجر وتنتهي بحمام دم، ولحسن الحظ استطاعت الدبابة التي كانت في طريقها إلى الانضمام إلى دبابتين في منتصف الوادي بين حاجزي سردا أن تمر دون سفك دماء الأبرياء.

لم أشعر هذه المرة بأي خوف، ربما لأن الموت مع الجماعة رحمة، كما يقول مثل قديم يبدو أنه فيه بعض من الواقع.

أيضا هذه المرة لم يوافق أخواتي على خطورة القصة، وأصروا مجددا على أرنبيتي، فقلت لهم أن أحد زملائي، وهو تلفزيوني غطى كل أحداث الانتفاضة، أكد لي أن الوضع كان من الممكن أن يتفجر فعلا، فعلق أشقائي بكثير من السخرية«زميلك أرنب فلسطيني آخر».

ينفضون أيديهم من السياسة

منذ أعوام أساهم بالاشتراك مع زميلتي الفلسطينية ـ الألمانية نادية عودة، التي تعمل في إذاعة ألمانية، في تدريس القصة الإذاعية في معهد الإعلام ـ جامعة بيرزيت، وقد شارك في هذه الدورات عشرات الإذاعيين من صوت فلسطين والإذاعات الخاصة: إذاعة الخليل، وإذاعة جنين (منها كان الزميل المرحوم عماد أبو زهرة الذي استشهد في مطلع هذا العام حين كان يغطي بمسجله مظاهرة في جنين) وإذاعة الحب والسلام التي دمرها جنود الاحتلال وإذاعة أمواج، التي توقفت عن البث، لأن الجنود الإسرائيليين احتلوا بنايتها التي توجد فيها مكاتب وزارة الثقافة أيضا.

ومن البداية كنا نسعى الزميلة نادية وأنا إلى لفت أنظار المشاركين في الدورة إلى قصص غير سياسية، لأننا نريد تأهيلهم ليس للانتفاضة فحسب، بل للمستقبل أيضا الذي نرجو أن يعم فيه السلام الحر، لقد تمكنا بالفعل من تشجيعهم على إعداد قصص مثلا عن بائعة خضار في سوق رام الله، أو عن بائع الكعك المتجول. ونهدف من ذلك إلى إدخال رجل الشارع بشكل فاعل ومثير إلى برامج الإذاعات، وليس الوزراء والشخصيات فقط بيد أننا نعلم في الوقت نفسه أن معد القصة يجب أن يحب موضوعها، لأن ذلك يعتبر من أهم شروط القصة الإذاعية الناجحة.

في هذا العام لم نتناقش ساعتين أو أكثر عن المواضيع، كما جرت العادة، فقد كان كل شخص يعرف تماما موضوع قصته، وكانت جميعها سياسية، اخترنا المواضيع خلال دقائق، وأذكر من هذه القصص على سبيل المثال:

– قصة الزميلة التلفزيونية سوسن طه (٣٥ يوما من الحصار رجل عادي يروي كيف حوصر منذ ٢٩ آذار كل هذه الأيام مع الرئيس عرفات في المقاطعة يحدثنا عن جوعه، وبرده، وماذا ستقول أمه إذا استشهد، ومن جهة ثانية تصف زوجته مشاعرها: هل سيعود حيا إلى بيتنا؟ هل يستطيع أن ينام، وإلى أي مدى علي أن أقول لطفله الحقيقة دون أن يصاب بأذى؟

– الزميل محمد أبو سمية أعد قصة عن استشهاد عصام التلاوي، الذي كان زميله في صوت فلسطين. عصام الذي عرفته جيدا إذ كان أحد ضيوف الدورة في رحلة قصيرة لألمانيا، عصام كان أحد المتظاهرين في ٢٢ أيلول الماضي حين هب الناس ليلا عندما تردد أن حياة الرئيس عرفات المحاصر في خطر. ومنذ ذلك اليوم ودعنا هذا الصحافي

اللامع والشاب الودود، الذي كان دائما مقبلا على الحياة، كما يقول خالد، زميله في صوت فلسطين.

- بيد أن قصة الطفلة كليفين التي أعدتها الزميلة ضحى الشامي، المحررة في «صوت فلسطين» كانت أكثر القصص ألما وحزنا، كليفين طفلة في الثانية عشرة، تعيش مع والديها وإخوتها الأربعة في مخيم الأمعري، تقول الصغيرة وهي تجهش بالبكاء وأمها تصرخ من خلفها بلاش عياط:

- والدي بدون شغل من سنتين وجاي. «معنديش» حذاء للرياضة الأولاد يضحكون على كل ملابسي من الجيران والأقرباء.

رأيت ضحى ومهند مهندس الصوت أثناء مونتاج القصة والدموع في أعينهم وتساءلت: البكاء ليس عيبا في الشرق، ولكن هل يحق لمحاضر فلسطيني ـ ألماني أن يبكي معهم؟ زميلي الألماني مارتين أجاب على هذا السؤال: «نعم، يحق، كان الله في عون هذا الشعب الباسل».

لكل رصاصة عنوان .. أصداء الحصار في الصحافة الإسرائيلية:

تحاول قيادات الجيش الإسرائيلي دائما أن تقنع نفسها بأن القتال الذي دار في مخيمات اللاجئين يستند إلى المس بدقة بالأهداف العسكرية والأمنية، لكن مئات المدنيين القتلى من الفلسطينيين يثبتون العكس، وفي الجيش الإسرائيلي يؤمنون أن للرأي العام أهمية حاسمة، كما ويعلم قادة الجيش الإسرائيلي جيدا أن من يستغل نقاط ضعف العدو ينتصر، إذا كان الوضع كذلك، فإن لديهم الكثير مما يتعلمون من الفلسطينيين، منوها بأن أعداد المعتقلين الكبيرة تفضح دموية الجيش الإسرائيلي.

هكذا افتتح أوري بلاو مقاله تصدر في صحيفة «كول هعير» المحلية والتي تصدر في مدينة القدس وجاء في مستهل المقال:

«حرب انتقائية ـ لأن لكل رصاصة عنوانًا» هذا هو عنوان العرض الذي أعد في كلية مكافحة الإرهاب التابعة للجيش الإسرائيلي، حول موضوع القتال الدائر في المناطق الفلسطينية، والذي يعرض على الوحدات المقاتلة في المناطق.

المبدأ الرئيسي الموجه للقتال حسب العرض، هو إطلاق نار دقيقة موجهة لكل طلقة وطلقة، والفارق بين المرغوب وما هو قائم، بين علم القتال وما يجري على أرض

الواقع في المناطق. وحسب معطيات الهلال فقد قتل مائة واثنا عشر فلسطينيا خلال الأيام التسعة الأولى من شهر آذار من العام ٢٠٠٢ وقد قتل في مخيمات اللاجئين في الضفة والقطاع أربعة وأربعون فلسطينيا بينهم تسعة وعشرون مدنيا من ذات الشهر. وخلال الاجتياح لرام الله وقطاع غزة من الشهر التالي قتل العشرات، وإذا كان هؤلاء هم العناوين للعيارات النارية فإن مبدأ توجيه الأوامر والتخاطب المباشر للجيش الإسرائيلي ينطوي على إشكالية معينة وهو أقل ما يمكن أن يقال في ذلك.

ويستأنف أوري بلاو وصفه لطابع المواجهة بين جيش نظاميّ ومجموعات مقاومة ولا تنطبق عليها أي أسس من علم القتال الحربي، ويأتي بمثال لإبراز الهوة بين علم القتال وما يجري على أرض الواقع فيكتب:

«مع اجتياح مخيم اللاجئين في طولكرم تلقت إحدى الدبابات إذنا بإطلاق النار باتجاه سيارة مشبوهة، وفهمت دبابة أخرى خطأ أنها تلقت أمرا بإطلاق النار، فقام أحد جنود الدبابة بإطلاق النار، باتجاه سيارة أخرى لم يكن ركابها مسلحين إطلاقا والنتيجة: مقتل مدني واحد أعزل، واكتفى الناطق العسكري بالقول:«إن الموضوع قيد التحقيق!»».

ويتحدث بلاو عن الحواجز العسكرية، وما توصل إليه المقاتلون الفلسطينيون فيقول: الجيش الإسرائيلي الكبير والمتثاقل الخطا يجد صعوبة في تغيير اتجاهه بسرعة. لكن الفلسطينيين ليسوا كذلك، فمنذ اللحظة التي شخصوا فيها نقاط الضعف في عشرات الحواجز العسكرية في الضفة الغربية قاموا بمهاجمتها تباعا. وبعد أن قام الجيش الإسرائيلي باستنتاج مدى قلة جدوى الحواجز والإشكالية فيه، لم يحسن دراسة إمكانية إزالتها قبل بدء موجة الهجمات عليها حاجز سردا كان الأول بين الحواجز التي هوجمت من قبل الفلسطينيين، وبعده هوجم حاجزا عين عريك، ووادي الحرامية، وبالمحصلة تكبد الجيش الإسرائيلي سبعة عشر قتيلا ولم يتم اعتقال أي من المهاجمين.

***

وكتب المحلل العسكري والصحافي زئيف شيف في صحيفة «هآرتس» مقاله تحت عنوان : «تينيت وميتشل دون تخفيضات» ينتقد فيها خرق الاتفاقيات المبرمة بين الفلسطينيين والإسرائيليين فيقول:

إذا نجح المبعوث الأمريكي الجنرال أنتوني زيني، في تحقيق وقف إطلاق النار أو

على الأقل بداية وقف إطلاق النار، فما من شك أننا سنسمع من مؤيدي عرفات في إسرائيل طلبا للسماح له بالامتناع عن تنفيذ التزاماته التي قطعها على نفسه في وثيقة تينيت بمعنى ـ جانب يلتزم بالحفاظ على التعليمات في الوثيقة، بينما الجانب الآخر يحصل على تخفيضات.

وكانت هذه الطريقة المتبعة منذ التوقيع على اتفاقيات أوسلو، فمثلا حين تبين قبل بضع سنوات أن الفلسطينيين خرقوا البند الذي يلزمهم بعدد معين من أفراد الشرطة، ادعوا أنهم مضطرون لفعل ذلك لأن عليهم تأمين مصدر رزق لمواطنيهم، وأنهم فقط نسوا إبلاغ إسرائيل والولايات المتحدة بالخرق.

لا يوجد أي احتمال للتقدم في المفاوضات السياسية الصادقة والحقيقية إذا كانت طريقة الأكاذيب ـ لدى الطرفين ـ ستعود على نفسها، حين سيطرح بند تجميد المستوطنات في وثيقة ميتشل، يجب عدم تقديم تنازلات لإسرائيل، وإذا وافقت حكومة إسرائيل على الاتفاق سيكون عليها تنفيذه بحذافيره، وإذا عادت على نفسها أساليب الأكاذيب في فرض واقع على الأرض، يحق للفلسطينيين أيضا خرق الاتفاق، ولن يكون لإسرائيل حق بتقديم ادعاءات ضدهم.

***

وقد نشرت صحيفة «هآرتس» إعلانا مدفوع الأجر جاء على شكل مقال للبروفسور داني غور ويحمل عنوان «قلب من حجر» لأهميته نورده بالكامل.

إعلان

قلب من حجر

بقلم البروفسور داني غور:

مخطط شارون للسلام والأمن يعطي للفلسطينيين مناطق ليحيوا فيها على عشرة في المائة من أرض إسرائيل الانتدابية، دون تواصل إقليمي وسيكونون محاطين بكتل استيطانية. ومن أجل إلزام الفلسطينيين القبول بالمخطط الانتحاري فإن شارون ينفذ سياسة ذبح يتوخى في نهايتها أن ينهاروا ويوقعوا على صك استسلام وهو اتفاقية السلام والأمن. ومن أجل إعطاء شرعية لهذا الذبح فإن شارون يحتاج لعمليات قاتلة لنا، لمواطني الدولة، هكذا حصل على سبيل المثال عندما أعطى أمر قتل أذكيدك ساعات

قليلة بعد أن أعلن عرفات في ١٦/ ١٢/ ٢٠٠١ عن وقف إطلاق النار في اليوم التالي، لقد ألغى مقتل أدكيدك وقف إطلاق النار المرتقب، وأدى إلى تصعيد ملحوظ في عدد الضحايا من الإسرائيليين. كما وأعطى شارون أمرا بقتل رائد الكرمي، بعد أن دام وقف إطلاق النار الذي التزم به عرفات مدة خمسة أيام وكما يبدو أن هذا أكثر مما أراد شارون.

وفي أعقاب هذا القتل حدث تصعيد كبير في العمليات بإسرائيل، ونتيجة إحباطات وقف العمليات، فقد سبب شارون عن سابق معرفة، في ارتفاع عدد ضحايانا، فلو قام شارون على سبيل المثال بإطلاق سراح عرفات فور إلقاء القبض على قتلة رحبعام زئيفي الثلاثة، عندئذ كنا سنوفر سقوط عشرات القتلى من الإسرائيليين.

وبصورة عامة فإن عدم مبالاة شارون بموضوع الشهداء، هو نتيجة لقلب من حجر. وحسب أقواله، فلا وقت لديه لتقديم العزاء للأسر التي فقدت ضحايا سياسته البشعة. أيُّ قلبٍ لهذا لشخص الذي يقوم بقصف السكان المدنيين بالطائرات.

على الرغم من أن في كل حادثة وردت هنا، كان شارون هو الذي أقدم على منع وقف إطلاق النار، وألقى باللائمة على عرفات الذي يصفه بالكاذب. وبالفعل فمنذ أن قام باراك وبغباوة بتحطيم مصداقية عرفات بحيث يصدق الجمهور الإسرائيلي الاتهامات الموجهة ضده.

في ذلك خطأ كبير. ويعي عرفات جيدا أن شارون يقوده، ويقود شعبه للذبح، وأنه دون ضحايا من اليهود لن يتم ذلك. لكن عندما يدور الحديث عن أعمال انتقامية فإنه لا يتمكن من إيقافها. صحيح أن عرفات يستعمل «الأكاذيب» لكن أي سلاح آخر بيده أمام القوة العسكرية الإسرائيلية، فالكذب بالنسبة له أحبولة البقاء الوحيدة في العالم العربي المعقد.

يجب أن نعي تماما أنه مثلما أوقف مناحيم بيغن كقائد المنظمة الوطنية العسكرية، الإرهاب ضد البريطانيين فقط بعد التوصل إلى اتفاق إنهاء الاحتلال، هكذا أيضا عرفات عليه مواصلة الإرهاب حتى تحل مشكلة الاحتلال الإسرائيلي.

إذ أن وقف إطلاق النار من قبله الآن معناه إعطاء شرعية للمستوطنات، ومع هذا فقد توقف مرتين، في أيام رابين الأخيرة، وعلى مدار وقت ما، وفي فترة حكم نتنياهو فقد صدق أن نراياهم خالصة. وإذا مات عرفات فلن يتمكن أحد أن يحل مكانه، وعندها لن

يحل السلام هنا في الوقت المنظور. لا يولد كل يوم رجل كعرفات والذي على مدار أربعين عاما نجح بالبقاء، ونجح في تشكيل شعب جديد هو الشعب الفلسطيني. ولا يوجد اليوم رجل في العالم العربي له ذلك الموقع والصلاحية لإنهاء الوضع مع اليهود.

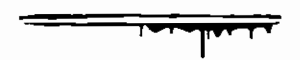
إن الاحتمال الوحيد القائم للوصول بالرغم من كل شيء إلى اتفاقية سلام في أيامنا متعلق ببقاء عرفات بعد ذهاب شارون، وعليه يجب إبعاد رئيس الحكومة الكذاب فورا. وعليه أيضا حان الوقت للخروج مرة أخرى إلى الشوارع. فعلنا ذلك بعد حرب يوم الغفران وبعد حرب لبنان، وبعد الخدعة النتنة التي قام بها بيرس عندما قامت بذلك منظمة «أربع أمهات» وقد نجحت جميع هذه المحاولات.

وعلى أثر نشر هذا المقال، قدم رئيس بلدية «أور عكيفا» يعقوب أدري شكوى للشرطة ضد البروفيسور داني غور بادعاء أنه قام بالتحريض على الإرهاب من خلال ما نشره في صحيفة «هآرتس» يوم الجمعة الماضي، وجاء في هذه الشكوى تحت عنوان «قلب من حجر» نشر جراح القلب البروفيسور غور، رأيه في سياسة شارون الأمنية. وعرض صورة للوضع كما يراه، شارحا أنه «كما أوقف مناحيم بيغن، قائد المنطقة العسكرية الوطنية، الإرهاب ضد البريطانيين، فقط بعد إحراز اتفاق على إنهاء الاحتلال، فإن عرفات مضطر لمواصلة الإرهاب إلى أن تجد مشكلة الاحتلال الإسرائيلي طريقها إلى الحل».

وقدم أدري شكواه إلى الشرطة كما بعث بالشكوى إلى المستشار القضائي للحكومة بادعاء «إن البروفيسور غور يدّعى أن رئيس الحكومة يقود إلى سياسة مجازر».

ورد البروفيسور غور على الشكوى قائلا:«أخذت بالحسبان مثل هذه الإمكانية وأنا لا أتراجع عما كتبت»، وأنا أدري «إن رئيس البلدية هذا فاشي يميني، والمشكلة هي أن لدينا كثيرين من أمثاله».

ورد أدري قائلا : «عار أن يتضح أن جراح القلب الشهير لا يملك قلبا، ولا أدنى ذرة من الاكتراث، وسأكافح من أجل تقديمه إلى المحاكمة بكل الطرق القانونية».



كشف الحقيقة بين أساتذة القانون وأساتذة المراوغة

الأربعاء ٢٤/٤/٢٠٠٢

يوم الأربعاء الموافق ٢٤/ ٤/ ٢٠٠١

* في بيت لحم، الحصار على كنيسة المهد مستمر. وقد تعرضت اليوم لإطلاق نيران الرشاشات والقنابل من قوات الاحتلال والقناصة المحاصرة لها، الأمر الذي أدى إلى سقوط ثلاثة جرحى من المحاصرين فيها، في حين أصيب صحافيان أوروبيان في باحة الكنيسة وآخر فلسطيني جراء إطلاق نار متعمد عليهم، وما زالت المواد التموينية والطبية، المياه والكهرباء ممنوعة عن الكنيسة، واستسلم فلسطينيان (كان في الكنيسة) إلى الجيش الإسرائيلي وهما من أفراد الشرطة.

وفي رام الله، ما زال المقر الرئاسي محاصرا وترفض القوات الإسرائيلية السماح لأي سياسي أو قيادي فلسطيني الدخول، وكذلك ترفض السماح بإدخال الأدوية والمواد الغذائية، وتواصل الجرافات عملها في حفر خنادق، وإغلاق الطرق المؤدية إلى المقر بالسواتر الترابية والأسلاك الشائكة.

وهاجمت قوات الاحتلال بعد ظهر اليوم مسيرة سلمية نظمتها القوى الوطنية والإسلامية في محافظة رام الله والبيرة بالرصاص وقذائف الغاز السام وقنابل الصوت، وهو ما أدى إلى إصابة عدد من المواطنين بحالات إغماء.

وفي جنين قال مواطنون من البلدة أن القوات الإسرائيلية احتجزت نحو ٨٠٠ طالبة

في المدرسة الأساسية هناك وأمطرتهن بقنابل الغاز المسيل للدموع الأمر الذي أدى إلى إصابة العشرات منهم بحالات اختناق.

واستشهد الطفل أسد فيصل عريسان (١٠ أعوام) من سكان مخيم جنين متأثرا بجروح أصيب بها قبل أربعة أيام في اثر انفجار لغم من مخلفات قوات الاحتلال، واقتحمت القوات الإسرائيلية قرية جبع بعد ظهر هذا اليوم تحت قصف مدفعي، وهو ما أدى إلى استشهاد الفتى مجدي ناجي خلايلة (١٥ عاما)، وإلى إصابة عدد آخر من المواطنين، كما اعتقلت المواطنين عارف فاخوري ووائل علاونة من أفراد الأجهزة الأمنية، بعد أن قصفت منزل الأخير بقذائف الدبابات ودمرته، وتم انتشال جثة امرأة من تحت الأنقاض في مخيم جنين.

واحتلت قوة إسرائيلية مجددا بلدة فرعون في محافظة طولكرم بعد أن خرجت منها مساء أمس، ونشرت دورياتها ودباباتها في شوارعها الداخلية، ونكلت بالمزارعين في عزبة شوفة وخربة جبارة ومنعتهم من الوصول إلى مزارعهم.

وفي فرعون والراس، تتجه الأعمال نحو الغرب بهدف ربط مستعمرة سلعيت بالطريق الالتفافية، وما زالت قوات العدو تحاصر قرى الشعراوية شمالي طولكرم وتفرض حظر تجول على قريتي دير الغصون، وعتيل للأسبوع الرابع على التوالي، كما تفرض حصاراً على منطق الكفريات جنوبي طولكرم وتمنع المواطنين من الوصول إلى محافظة قلقيلية ومدينة طولكرم.

وفي الخليل تم التعرف على هوية شهيدين سقطا في وقت سابق اليوم برصاص القوات الإسرائيلية في بلدة بني نعيم شرقي الخليل، وهما يعقوب إسماعيل الطرايرة (٣٥ عاما) أمين سر حركة «فتح» في بلدة بني نعيم، وابن عمه محمد عبدالحليم الطرايرة (٤٥ عاما)، كما اعتقلت القوات الإسرائيلية عددا من المواطنين الجرحى ونقلتهم إلى جهة مجهولة.

واعتقلت قوات الاحتلال سبعة مواطنين، أربعة منهم في بلدة العيزرية، وثلاث فتيات في شارع صلاح الدين. واتهمتهم الشرطة الإسرائيلية بمحاولة طعن شرطي، وتواصل فرض منع التجول على بلدتي العيزرية وأبو ديس لليوم السادس على التوالي.

وفي قطاع غزة استشهد ثلاثة مواطنين من عائلة واحدة بينهم شقيقان إثر انفجار لغم

من مخلفات الاحتلال في منطقة بئر النعجة قرب مخيم جباليا للاجئين في شمال القطاع. وتم التعرف على هوية ثلاثة شهداء أطفال سقطوا الليلة الماضية برصاص قوات الاحتلال قرب مستعمرة نتساريم جنوبي مدينة غزة، وهم يوسف باسل زقوت (١٤ عاما)، وإسماعيل أبو ندى (١٣ عاما)، وأنور عادل حمدونة (١٣ عاما)، وجميعهم من مخيم الشاطئ وحي الشيخ رضوان في مدينة غزة، وما زالت الجثث محتجزة لدى القوات الإسرائيلية.

ومنذ ظهر اليوم تطلق القوات الإسرائيلية نيران رشاشاتها في اتجاه منازل المواطنين شمالي بيت حانون وبصورة مكثفة في محاولة تقدم، إلا أنها صُدت وعادت إلى مواقعها. وقامت بعدها بطرد العاملين في منطقة معبر أيرز – بيت حانون، وتوغلت الدبابات في وادي السلقا، ودمرت موقعا للأمن الوطني في محيط مخيم البريج، وتواصل رمايات رشاشاتها الثقيلة من حين إلى آخر في اتجاه منازل المواطنين في رفح، ولا سيما بوابة صلاح الدين.

وأصدرت حركة «حماس» بيانا طالبت فيه «أشبال فلسطين» بعدم تنفيذ عمليات، لأن «دماءهم غالية»، وذلك بعد أن كثر إقبال الفتية الفلسطينيين على التطوع للقيام بعمليات استشهادية.

وصرح الناطق العسكري الإسرائيلي أن قوات خاصة من الاحتياط قامت ليل أمس وصباح اليوم بعمليات في قرية بني نعيم شرقي الخليل، في منطقة تحت سيطرة السلطة الفلسطينية، وقتل في أثناء العملية مسلحان تورطا سابقا في عمليات تفجير وإطلاق رصاص في منطقة الخليل، وتم اعتقال سبعة فلسطينيين يشتبه في قيامهم بأعمال إرهابية، وانسحبت القوات الإسرائيلية من الأراضي الواقعة تحت السيطرة الفلسطينية بعد انجاز مهمتها.

وتبحث محكمة العدل العليا في القدس في التماس لإدخال مساعدات إنسانية إلى داخل كنيسة المهد.

***

و استقبل الرئيس ياسر عرفات في مقر الرئاسة المحاصر في رام الله خافيير سولانا الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن المشترك للاتحاد الأوروبي، يرافقه ميغال

موراتينوس المبعوث الأوروبي لعملية السلام في الشرق الأوسط، وأعضاء الوفد الذي يزور المنطقة. وتم الاتفاق خلال الاجتماع على استمرار بذل الجهود الأوروبية مع المجموعة الرباعية، التي تضم الولايات المتحدة، وروسيا، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة، من أجل إيجاد مخرج للوضع الخطر الحالي، وأعلنت إسرائيل أنها سمحت للوفد بمقابلة عرفات في مقره.

وأوضح الدكتور مصطفى البرغوثي، مدير معهد الإعلام والسياسات الصحية والتنموية، أن قوات الاحتلال الإسرائيلية تعمدت وبصورة منهجية مقصودة تدمير مختلف أوجه الحياة والبنى التحتية والمؤسسات الرسمية والأهلية والمحلية الفلسطينية خلال احتلالها للمدن الفلسطينية، وقال خلال مؤتمر صحافي عقده في مقر المعهد الذي تعرض للتدمير الشامل على يد قوات الاحتلال، أن الدمار الهائل في المدن الفلسطينية يدل على أن هناك منهجية متعمدة في عملية التدمير هدفها منع قيام دولة فلسطين، وأكد البرغوثي أن الكثير من المؤسسات المحلية والدولية يعمل لتوثيق جرائم الاحتلال الإسرائيلي ولا سيما في مخيم جنين، وأن الاحتلال فشل في كسر إرادة وأمل وصمود الشعب الفلسطيني من خلال عدوانه على المؤسسات والبنى التحتية الفلسطينية وتدميرها!.

ودان الدكتور موسى حميد المدير العام للمستشفيات في الضفة الغربية بشدة استمرار سلطات الاحتلال في منع الأطقم الطبية المحلية والدولية من القيام بواجبها الإنساني، وأوضح أن قوات الاحتلال ما زالت حتى الآن تمنع الأطقم الطبية من إنقاذ حياة خمسة جرحى أصيبوا داخل مقر الرئيس في رام الله لليوم الرابع على التوالي، في وقت تحاصر مستشفى المستقبل في مدينة البيرة من دون أي مبرر. وندد أبو حميد بمنع سلطات الاحتلال وصول طائرة إغاثة يونانية جاءت لمساعدة المنكوبين في محافظتي جنين ونابلس، واعتبر أن هذا الإجراء يأتي استكمالا لمحاولات منع أطقم التحقيق الدولية من تقصي الحقائق في مخيم جنين.

وتلقى رئيس «ميثاق المعروفيين الأحرار» (من دروز فلسطين)، المحامي سعيد نفاع، رسالة تهديد تعتبر «الأقليات خطرا على الدولة» (الإسرائيلية) وتدعوهم إلى مغادرتها.

وأوقف الجنود الإسرائيليون بقنابل الغاز المسيل للدموع تظاهرة دعم متجهة إلى

مقر رئيس السلطة الفلسطينية في رام الله.

واقترح الوزير إيفي أيتام (المفدال) في مقابلة خاصة مع صحيفة «يديعوت أحرونوت» إقامة دولة فلسطينية في سيناء وغزة، وإعطاء حكم ذاتي تحت السيادة الإسرائيلية في الضفة الغربية.

واعتبر أن تشكيل لجنة تقصي الحقائق «بحد ذاته يعد إخفاقا من جانب وزارة الخارجية ومن يقف على رأسها».

ودعا وزير المالية الإسرائيلي، سلفان شالوم، في مؤتمر صحفي، الإسرائيليين إلى «شد الحزام»، ملقيا اللوم على الوضع الأمني الذي أدى إلى تزايد العجز في الميزانية، وإلى ركود اقتصادي. وعرض شالوم خطة للتقشف تمتد حتى نهاية سنة ٢٠٠٣ وتهدف إلى تقليص الإنفاق وزيادة العائدات.

ونشرت وزارة المالية خطة التقليصات التي ستوفر على الخزينة مبلغ ١٣ مليار شيكل في العام الحالي ومبلغا مماثلا في سنة ٢٠٠٣، وأوردت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أهم بنود الخطة.

ووزع وزير المواصلات الإسرائيلي المتطرف بني ألون نشرة باللغة العربية يطالب فيها المقدسيين في حي الشيخ جراح بالتنازل عن عقاراتهم والقبول بتعويضات مالية.

وأعلن المستشار القانوني لوزارة الخارجية الإسرائيلية، ألان بيكر، أن إسرائيل وافقت على مجيء لجنة لتقصي الحقائق في مخيم جنين لأن لا شيء لديها تخفيه، ولأنها تريد للحقيقة أن تظهر وأن موافقتها تمت بناء على البند الثاني من قرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٥. لكن ما حدث من توسيع صلاحيات فريق تقصي الحقائق، ومن تعيين أعضاء الفريق من دون مشاورة إسرائيل، دفع الحكومة الإسرائيلية إلى الطلب من الأمين العام للأمم المتحدة توضيح صلاحيات الفريق وتعليق مهمته حتى التوصل إلى تفاهم مع الأمم المتحدة بهذا الشأن.

ورفض وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس التعقيب على قرار رئيس الحكومة أريئيل شارون بعدم الموافقة على قدوم لجنة تقصي الحقائق، إلا أن بيرس قال: «إذا كانت هناك خلافات فهي متعلقة بصلاحيات هذه اللجنة وليس على مزاولتها مهامها»، وقال جدعون مئير، المسؤول الاعلامي في وزارة الخارجية: «لدينا شك بأنهم ينوون

خداعنا، وبأن وصول اللجنة إلى هنا لم يكن عملا ساذجا. لذلك طلبنا تعليق وصول اللجنة من أجل القيام بمفاوضات مع الأمم المتحدة حول صلاحيات وتركيبة اللجنة.

وهاجم وزير الدفاع الإسرائيلي، بنيامين بن إليعيزر لجنة الأمم المتحدة الخاصة بتقصي الحقائق في مخيم جنين قائلا: «إسرائيل تعارض تركيبة اللجنة بسبب الروح المعادية لإسرائيل السائدة بين أعضاء اللجنة».

وتجدد اللقاء الإسرائيلي – الفلسطيني في مدينة بيت لحم في محاولة أخرى للتوصل إلى حل بخصوص المحاصرين في كنيسة المهد في بيت لحم.

ورفضت الحكومة الإسرائيلية محاكمة قتلة وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي في رام الله ووصفتها بأنها صورية، وتعهد رئيس الحكومة أرئيل شارون بأن المتهمين سيحاكمون في إسرائيل، وقال شارون بعد لقائه وزيري خارجية تركيا واليونان أن إسرائيل تصر على طلبها باسترداد قتلة الوزير زئيفي، وفؤاد الشوبكي، الرجل الذي يقف وراء العلاقات بين إيران والسلطة الفلسطينية، والمسؤول بالاشتراك مع الرئيس عرفات عن تمويل العمليات الانتحارية.

وقالت صحيفة «هآرتس» أن الخبير بالقانون الدولي في جامعة كمبردج مستشار الحكومة الإسرائيلية بشأن لجنة تقصي الحقائق في جنين دانيال بتلهام حذر في مذكرة رفعها إلى الحكومة الإسرائيلية، من أن التحقيق في أحداث جنين أخطر على إسرائيل من تحقيق لجنة ميتشل؛ لأنه تحقيق في جرائم حرب.

وقال الرئيس حسني مبارك في كلمة وجهها إلى الأمة بمناسبة عيد تحرير سيناء: إن إسرائيل تجاوزت كل الخطوط الحمر في عملياتها في كنيسة المهد في بيت لحم ومخيم مدينة جنين. إسرائيل تخرق كل المواثيق الدولية وتحاول تبرير أعمالها من خلال ادعائها أن أعمال المقاومة الشرعية للاحتلال هي إرهاب.

وأصدر رئيس مجلس الأمن، السفير الروسي سيرجيو لافروف، بيانا باسم المجلس يدعم الأمين العام في صلاحية تشكيل لجنة تقصي الحقائق، وولايتها ومهماتها. وأوضح رفضه المحاولات الإسرائيلية للتدخل في هذه الصلاحيات. كما أعرب عن قلق المجلس إزاء سلامة الرئيس ياسر عرفات وطلب رفع الحصار عنه.

وصدرت عدة إدانات دولية جراء تراجع إسرائيل عن موافقتها على إيفاد لجنة تقصي

الحقائق، التي شكلها الأمين العام كوفي عنان للتحقيق فيما حدث في مخيم جنين.

وطالبت المفوضة السامية لحقوق الإنسان ماري روبنسون بوقف العمليات العسكرية الإسرائيلية، وكذلك العمليات ضد المدنيين الإسرائيليين، وأوصت بإجراء «تحقيق شامل ومستقل» في كل أعمال العنف في الأراضي الفلسطينية وإسرائيل. جاء ذلك في تقرير قدمته روبنسون أمام لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في جنيف.

ونفى المبعوث الخاص للأمم المتحدة في الشرق الأوسط تيري رود لارسن، أن يكون صرح بحدوث مجزرة في مخيم جنين مؤكدا أن ما قاله كان مجرد وصف لما رآه عند زيارته، وإن أي شخص كان ليقول ما قاله. وقد أعرب عن ارتياحه لتشكيل لجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين، موضحا أن موقفه مساند للفريقين الإسرائيلي والفلسطيني، إذ يعاني الأول جراء الهجمات الإرهابية، ويعاني الثاني الكثير، وخصوصا البطالة التي وصلت إلى حد الـ ٧٥ في المائة، وإذ يعيش أكثر من نصف الشعب تحت حافة الفقر.

وأعضاء لجنة تقصي الحقائق وعلى رأسهم الرئيس الفنلندي السابق مارتي إتيساري، يجتمعون في جنيف تحضيرا لقدومهم إلى المنطقة.

وقال الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان أن اللجنة قررت تأجيل موعد وصولها حتى يوم السبت (٢٧/ ٤) نتيجة رفض إسرائيل التعاون معها، وأنه قد تطرأ تعديلات على تركيبة اللجنة بسبب المطلب الإسرائيلي».

وتضم اللجنة: كونيليو سوماروغا الرئيس السابق للجنة الدولية للصليب الأحمر، وساداكا أوغاتا مفوضة الأمم المتحدة السابقة لشؤون اللاجئين، وعين الجنرال الأمريكي المتقاعد وليم ناش مستشارا عسكريا للجنة، والإيرلندي بيتر فيتزجيرالد مستشارا من الشرطة، وانضم إلى اللجنة خبيران آخران: تيجي ليمان، محام دولي دانمركي وخبير بمجال حقوق الإنسان، والفنلندية هيلين رينتا المتخصصة بالطب الشرعي.

وأوضح المتحدث باسم الأمم المتحدة، فرد أكهارت أن الأمين العام «يشعر بأن تحديد أسماء الفريق من اختصاصه»، وقال خلال المؤتمر الصحافي اليوم في مقر الأمم المتحدة: «لقد تم تأخير البعثة قليلا إثر طلب السفير الإسرائيلي إجراء مشاورات»، لكن

لا يزال قرار مغادرتها إلى الشرق الأوسط السبت (٢٧/ ٤) قائما.

وأدلى وزير الخارجية الأمريكي، كولن باول، بإفادة مستفيضة، أمام اللجنة الفرعية المختصة بالعمليات الخارجية وتمويل الصادرات والبرامج ذات الصلة، شرح فيها الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، وطالب الفلسطينيين والإسرائيليين بالتطلع إلى سلام دائم وشامل من خلال المفاوضات، وقال باول: «إن القضية بالنسبة للفلسطينيين وزعمائهم هي ما إذا كان بإمكانهم نبذ العنف والإرهاب إلى الأبد وتركيز أنظارهم بشكل ثابت على (تحقيق) السلام عبر المفاوضات»، والقضية الجوهرية بالنسبة إلى إسرائيل وزعمائها هي «ما إذا كان بإمكانهم التطلع إلى أبعد من التأثير الهدام للمستوطنات والاحتلال، فعلى الإسرائيليين أن يتطلعوا إلى الوعد الذي تقدمه المنطقة والعالم بسلام شامل ودائم».

ونسبت صحيفة «يديعوت أحرونوت» إلى وزير الخارجية الأمريكي، كولن باول، قوله أنه لا يفهم معرضة إسرائيل لقدوم وفد الأمم المتحدة لتقصي الحقائق فيما حدث في مخيم جنين للاجئين، وقال باول أن وفدا إسرائيليا سيجتمع بالأمين العام للأمم المتحدة لمناقشة الموضوع.

وقالت مصادر أمنية يونانية أن إسرائيل تمنع وصول طائرة يونانية مع أطقم وأدوية طبية لمساعدة الفلسطينيين في نابلس وجنين بعد أن كانت جاهزة للإقلاع في المطار.

ووصف الوزير البريطاني لشؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، بن برادشو، قرار إسرائيل الرافض للجنة تقصي الحقائق بأنه «أمر بالغ الحماقة»، وقال: «إذا لم يكن لدى إسرائيل ما تخفيه فلا عذر لها على الإطلاق بعدم السماح لهذا الفريق بالمضي قدما»، ودعا وزير الخارجية الدانمركي بير ستيغ مولر، إسرائيل إلى «الموافقة فورا» على استقبال بعثة الأمم المتحدة لتقصي حقائق أحداث مخيم جنين، وانتقدت الخارجية الفرنسية رفض إسرائيل لجنة تقصي حقائق أحداث مخيم جنين، واعتبر الناطق باسم وزارة الخارجية أن ذلك يسيء إلى صورة إسرائيل.

وأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الفرنسية أن فرنسا سترسل بعثة تدريب إلى مخيم جنين لمساعدة الفلسطينيين على إعادة إحياء المخيم.

و اجتمع ممثلو الجهات المانحة للفلسطينيين، في أوسلو للبحث في قيمة المساعدة

الواجب تقديمها إلى الفلسطينيين لإعادة بناء اقتصادهم.

ووجه البابا يوحنا بولس الثاني نداء إلى الإطراف المعنية لإيجاد حل يضع حدا لحصار كنيسة المهد.

وصوّت النواب الروس في مجلس الدوما على قرار يدعو الأمم المتحدة إلى فرض عقوبات على إسرائيل.

و انتقد البطريرك الأرثوذكسي في موسكو إسرائيل التي أدخلت الكنيسة في الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي عبر احتلالها أحد المواقع المقدسية في بيت لحم.

وأورد تقرير للمعهد الدولي للصحافة أن الجيش الإسرائيلي يعتم على هجمات جنوده على و سائل الإعلام الذين اقترفوا ما لا يقل عن ١٦٥ عملية انتهاك لحرية الصحافة.

وأصدرت منظمة مراقبة حقوق الإنسان بيانا استنكرت فيه قرار الحكومة الإسرائيلية تعليق التعاون مع بعثة تقصي الحقائق المزمع إرسالها إلى مخيم جنين.

وحثت منظمة العفو الدولية في بيان لهان الحكومة الإسرائيلية على السماح لفريق الأمم المتحدة بالتوجه إلى جنين، وجاء في البيان أن «تشكيك الحكومة (الإسرائيلية) في تشكيلة الفريق ورفضها التعاون مع زيادة المفوضة السامية لحقوق الإنسان يشكلان تحديا فاضحا للرغبة التي عبرت عنها المجموعة الدولية في تقصي الحقائق عما حدث في جنين».



محاولات لجم العدوان والكتابة على الماء

الخميس ٢٠٠٢/٤/٢٥

في يوم الخميس ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٢ استمر التصعيد العسكري الإسرائيلي في مختلف المناطق الفلسطينية، وخصوصا الحصار المفروض على منطقة «المقاطعة» في رام الله، حيث أُقيم المزيد من السواتر الترابية والأسلاك الشائكة حول المقر الرئاسي، وأطلق جنود القناصة الإسرائيليون النار على كنيسة المهد، فاستشهد في ساحتها حسان جوابرة، ورائد الخطيب، اللذان نزفا لساعات من دون أن يسمح لسيارات الإسعاف بالوصول إليهما، وتوغلت قوات الاحتلال في مدينة الخليل وعطلت شبكة الهاتف في المحافظة، واستشهد أحمد بشير من قوات الأمن الوطني، وجرح آخرون، واجتاحت القوات بلدتي الشيوخ وسعير، وأحكمت الحصار على دورا ويطا والظاهرية، وأستشهد أربعة شبان في قرية جبع قرب جنين. وجرفت قوات الاحتلال مساحات كبيرة من الأراضي في طولكرم، وفي قريتي الراي وفرعون حيث بدأت عمليات التجريف قبل ثلاثة أيام. وأعلنت المنطقة منطقة عسكرية مغلقة، واستمر فرض منع التجول في ضاحية شويكة شمالي طولكرم وبلدة فرعون جنوبيها، واعتقلت القوات ضابط الإسعاف ربيع حماد في قلقيلية، وعددا آخر من أبنائها، وفي دير البلح استشهد النقيب في قوات الأمن إبراهيم عابدين، وجرح جنديان في محيط مستعمرة كفار داروم المقامة على أراضي دير البلح.

وقد صرح ناطق عسكري إسرائيلي بما يلي:

- أصيب جندي إسرائيلي بجروح خطرة بالقرب من كنيسة المهد في بيت لحم.

- قام عدد كثير من المراسلين الأجانب بالتغلغل في منطقة كنيسة المهد، وهو ما يعد انتهاكا للأمر الذي أصدره القائد العسكري للمنطقة باعتبارها منطقة عسكرية مغلقة. بعد هذا الحادث تمت مصادرة خمس بطاقات تعريف صحافية، وحذر الناطق العسكري الجنرال رون كيتري الصحافيين الأجانب في بيت لحم من «اختراق مناطق عسكرية مغلقة» لأنهم بذلك يعرضون حياتهم للخطر.

- اعتقلت الشرطة العسكرية الإسرائيلية ثلاثة جنود يشتبه في قيامهم بسرقة أموال من محفظة فلسطيني كان في قيد الاعتقال، واعترف الجنود بالتهمة. واعتقل جندي آخر للاشتباه في قيامه بالنهب. وقدمت وثيقة اتهام أمام محكمة عسكرية تتهم جنديا بنهب معدات كمبيوتر وهواتف خليوية. تأتي هذه التدابير في إطار المحافظة على طهارة الجيش، لأن قوة الجيش في طهارته.

وقالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن الشرطة العسكرية الإسرائيلية فتحت ٢٤ ملف تحقيق في حالات سرقة وتجاوزات يشتبه في أن جنودا إسرائيليين ارتكبوها بحق الفلسطينيين.

* * *

وقد رفض اللاجئون في مخيم جنين المساعدات التي قدمتها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)، وقال نائب جنين في المجلس التشريعي الفلسطيني جمال الشطي أن «سكان المخيم يرفضون مساعدة الولايات المتحدة بسبب سياسة هذا البلد حيال القضية الفلسطينية ولأن المخيم دمر بأسلحة أمريكية».

وصادق الرئيس ياسر عرفات على قرار المحكمة العسكرية التي عقدت في ٢٥/ ٤، بشأن العقوبات التي أصدرتها المحكمة بحق المتهمين بقضية مقتل وزير السياحة الإسرائيلي، رحبعام زئيفي، وقد حكمت المحكمة العسكرية الميدانية المنعقدة في مقر «المقاطعة» في رام الله بتاريخ ٢٥/ ٤ على المتهمين بما يلي:

المتهم الأول: حمدي عثمان قرعان بالسجن ١٨ عاما.

المتهم الثاني: باسل عبدالرحمن الأسمر بالسجن ١٢ عاما.

المتهم الثالثة: مجدي حسين أرحيمي بالسجن ثمانية أعوام.

المتهم الرابع: عاهد يوسف موسى أبو غلمة مدة عام واحد.

والتقى الرئيس ياسر عرفات وزيريّ خارجية تركيا واليونان في مقره المحاصر في رام الله، وجال معهما في أرجاء المقر حيث اطلع الوفد على حجم الدمار والاعتداءات. كما التقى الوزير أعضاء الحملة المدنية العالمية لحماية الشعب الفلسطيني الذين لا يزالون معتصمين في داخل المقر تضامنا مع الرئيس الفلسطيني.

واستنكرت بطريركية الروم الأرثوذكسي في القدس بشدة حملة التحريض التي تقودها أوساط حكومية إسرائيلية بهدف الابتزاز والضغط على الكنيسة للحصول على تنازلات فيما يتعلق بعقاراتها وأوقافها، إضافة إلى محاولة جعل الكنيسة تتراجع عن مواقفها المبدئية الداعمة للشعب الفلسطيني. كما استنكر الأرشمندريت الدكتور عطا الله حنا، الناطق الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس والأراضي المقدسة، في بيان أصدره حملة التحريض التي تقوم بها وسائل الإعلام الإسرائيلية ضد البطريركية، وإعلان ديوان رئيس الحكومة الإسرائيلية عدم الاعتراف بشرعية انتخاب البطريرك الأرثوذكسي القدسي الجديد إيرينيوس الأول بسبب مواقف الكنيسة الداعمة للشعب الفلسطيني، والمستنكرة للاحتلال والحصار والعدوان الذي يتعرض له.

وعبر ناطق باسم حركة المقاومة الإسلامية «حماس» عن رفض الحركة «للمحاكمة التي جرت لمناضلين من الجبهة الشعبية الذين قاموا بواجبهم في الرد على اغتيال الأمين العام للجبهة أبو علي مصطفى»، وأضاف الناطق «إن هذه المحاكمة التي جرت في ظل الحصار والقتل والمجازر لا تساهم في حماية الوحدة الوطنية»، مؤكدا «حق شعبنا وكافة قواه الوطنية والإسلامية في الدفاع عن النفس ومقاومة المحتل والرد على جرائمه واغتيالاته».

وأصدرت حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين «حماس» بيانا هاجمت فيه العقيد جبريل الرجوب قائد الأمن الوقائي الفلسطيني في الضفة الغربية، وانتقدت محاولته تبرئة نفسه «بعد جريمته النكراء التي ارتكبها بتواطئه في تسليم الأسرى والمعتقلين من مجاهدي فصائل المقاومة الفلسطينية – حماس والجهاد الإسلامي وفتح – في سجن بيتونيا في أوائل شهر نيسان الحالي..».

ورفض رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون المحاكمة العسكرية الميدانية التي أجرتها السلطة الفلسطينية لأربعة من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتهمة قتل رحبعام زئيفي، وأصر على ضرورة تسليم المتهمين مع الأمين العام أحمد سعدات

والعميد فؤاد الشوبكي لمحاكمتهم في إسرائيل.

ووصف وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بـن إليعيـزر، قـرارات المحكمـة بأنهـا أكبـر مسرحية في المدينة». كما طالب وزير الخارجية شمعون بيـرس بتسـليمهم إلى إسـرائيل «وفقا للاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية».

وصرح الناطق العسكري الإسـرائيلي أن قـوات حـرس الحـدود وقـوات مـن كتيبـة حاروف في الجيش الإسرائيلي اعتقلت في قريـة جبـع شـمال الضـفة الغربيـة في التنظـيم مسؤولا عن إرسال أحد الانتحاريين، بالإضافة إلى أربعـة فلسـطينيين آخـرين يشـتبه في تورطهم في أعمال إرهابية. وأصيب ضابط من حرس الحدود بجروح طفيفة بعـد إلقـاء الحجارة وقنابل المولوتوف، ورد حـرس الحـدود بتـدابير ضـد الشـغب ولم يسـتخدم، خلافا للادعاءات الرصاص الحي.

وقال الناطق أن جنود لواء (جفعاتي) أحبطوا الليلة محاولة تسلل (لمسـتوطنة) كفـار داروم، الواقعة جنوب قطاع غزة، وأطلقوا الرصـاص عـلى جماعـة مـن أربعـة مسـلحين وأردوهم.

وأعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون أنه يمكن أن يسـمح للـرئيس ياسـر عرفات بالانتقال إلى غزة شـرط «أن يبـرهن أنـه يعمـل مـن أجـل القضـاء عـلى العنـف الفلسطيني في المنطقة». جاء ذلك في مقابلة مع صحيفة «نيويورك تايمز»، وقال شـارون «لو لم ألتزم لرئيس الولايات المتحـدة بعـدم اقتحـام مكتـب عرفـات في رام الله، لكنـت أصدرت أوامري للجيش بدخوله واعتقال المطلوبين المتواجدين هناك».

وحدد وزير الخارجية الإسرائيلي، شـمعون بيـرس، في مـؤتمر صـحفي مشـترك مـع نظيريه التركي إسماعيل جم واليوناني جورج بابندريو، ثلاثة شروط للتعـاون مـع مهمـة لجنة تقصي الحقائق في جنين:

- ألا تستخدم اللجنة شهادات الإسرائيليين ضدهم.
- أن تضم خبيرا بالإرهاب.
- ألا تستخلص أي نتيجة.

وقال: إنه لا يمكن ملاحقة إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي.

وتطالب إسرائيل بأن يتمتع الجنرال الأمريكي المتقاعد وليم ناش الذي تم تعيينه مراقبا في اللجنة، بعضوية اللجنة.

وصرح بيرس أن «الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، يتفهم الدوافع الكامنة وراء المطالب الإسرائيلية المتعلقة بلجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين للاجئين».

وقالت صحيفة «هآرتس» أن وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس حاول في واشنطن لقاء نظيره السعودي، الأمير سعود الفيصل، لكن الأخير رد طلبه.

* أعلن المستشار الإعلامي لوزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر، أن الأخير التقى سفراء الاتحاد الأوروبي في إسرائيل لاطلاعهم على الوضع الراهن، بحضور منسق الأنشطة الحكومية في الأراضي الفلسطينية، عاموس غلعاد، ورئيس دائرة الأبحاث في شعبة الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي يوسي كوبرواسر.

وأعلن بن اليعيزر أن الرئيس عرفات هو الوحيد الذي يمكنه وقف الإرهاب، لكنه لا يفعل ذلك، وقال : إن إسرائيل وافقت في البداية على التعاون مع فريق الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في جنين. لكن يبدو أن نياتهم تغيرت وتخطت الصلاحيات الممنوحة لهم من قبل مجلس الأمن.

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرنوت» أنه خلال اللقاء الفلسطيني – الإسرائيلي بشأن مسألة كنيسة المهد، بحث الجانبان في اقتراح يقضي بإبعاد ستين من المحاصرين إلى قطاع غزة، وأربعة من المطلوبين المسؤولين عن مقتل إسرائيليين يتم إبعادهم إلى خارج البلد، ويرفض الجانب الفلسطيني اقتراح الإبعاد إلى خارج البلد رفضا قاطعا، وتقرر في اللقاء أن يجتمع الوفد الفلسطيني برئيس السلطة الفلسطينية كي يتمكن من اتخاذ قرار نهائي.

وأضافت الصحيفة أن جولة رابعة من المفاوضات انتهت من دون التوصل إلى حل. وتوقفت الجلسة بسبب إطلاق النار بين الجنود الإسرائيليين والفلسطينيين، وسمح الإسرائيليون بإجلاء تسعة فتيان وراهبين كما أجليت جثتان، وفي حين واصل الإسرائيليون إطلاق الرصاص والقنابل الدخانية حول الكنيسة، قالت مصادر إسرائيلية مشاركة في المفاوضات أن الفلسطينيين سيوافقون على إخراج الأطفال الموجودين مع المتحصنين في داخل الكنيسة.

وشن وزير الخارجية المصري أحمد ماهر في مؤتمر صحافي عقده في القاهرة، هجوما شديدا على تصريحات الوزير الإسرائيلي المتطرف إيفي أيتام الذي دعا إلى قيام دولة فلسطينية على أراضي سيناء المصرية، وصعد ماهر من انتقاداته لإسرائيل، فقال: إن «الاستعمار عندما يصل إلى مرحلة يقتنع فيها بأنه زائل لا محالة يزداد عنفا وشراسة ويقرب من تلك التصرفات يوم نهايته». مشيرا بذلك إلى تحدي إسرائيل للقرارات الدولية.

وأصر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان على أن تستعد لجنة تقصي الحقائق لبدء مهمتها، وأعلن أنه سيبحث في ضم خبراء إلى اللجنة على الرغم من أنه لن يستبعد أي عضو في تشكيلتها الحالية.

وقال الناطق باسم الأمم المتحدة فرد اكهارت: إن تحديد أسماء الفريق هو من اختصاص الأمين العام.

وأعلن رئيس مجلس الأمن سيرغي لافروف أن أعضاء المجلس يتابعون عن كثب الوضع في الشرق الأوسط، بما فيه القضية الفلسطينية من أجل تأكيد تطبيق القرارات الأخيرة لمجلس الأمن حول الشرق الأوسط.

واجتمع ممثلو ٢٠ دولة ومنظمة دولية، بمن فيهم ممثلو إسرائيل والسلطة الفلسطينية ، في أوسلو في إطار لجنة الارتباط لمساعدة الشعب الفلسطيني التي يرأسها وزير الخارجية النرويجي يان بيترسن، وأعلن المانحون تعهدهم تخصيص مبلغ ١.٢ مليار دولار خلال سنة ٢٠٠٢ لمساعدة الشعب الفلسطيني، منها ٣٠٠ مليون دولار لمواجهة الحاجات الإنسانية العاجلة في الضفة الغربية.

وأعلن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي خطة طارئة للإغاثة وإعادة التأهيل في الأراضي الفلسطينية، وذلك بهدف التخفيف من معاناة الشعب الفلسطيني، وإعادة بناء مؤسسات السلطة الفلسطينية.

وعقد مساء اجتماع لمجلس الأمن هو الثاني خلال ٢٤ ساعة بدعوة من سورية من أجل البحث في مشروع قرار يدعو إسرائيل إلى الرفع الفوري للحصار عن الرئيس ياسر عرفات وكنيسة المهد، كما يدعو الدولة العبرية والسلطة الفلسطينية إلى التعاون التام مع اللجنة، الاجتماع انتهى من دون تصويت.

وقال مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط وليم بيرنز أمام اجتماع الدول المانحة، أن «المجتمع الدولي لم يتخلف قط عن واجبه لمساعدة الشعب الفلسطيني واليوم، أكثر من أي وقت مضى، علينا أن نساعد. أولوياتنا واضحة: المساعدة الإنسانية الفورية يجب أن تأتي أولا بعد ذلك نحن بحاجة لأن نقوم الأضرار ونجعل البنية التحتية الأساسية تعود إلى سابق عهدها وتعمل بصورة جيدة. وفي الوقت نفسه يجب أن نستمر في التطلع إلى المدى الأطول للمساعدة على إعادة بناء المؤسسات الاقتصادية الفلسطينية والمحافظة على السلطة الوطنية الفلسطينية وتقويتها، وإعادة بناء بنيتها التحتية، والأمن وقدرات الحكومة».

وصرح الرئيس جورج بوش للصحافيين أن محادثاته مع ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في كروفورد، تكساس، أرست «عروة شخصية متينة». كما أعلن أنه يتشاطر الرؤية مع الأمير السعودي: البلدان يتقاسمان رؤية قيام دولتين، إسرائيل وفلسطين، تعيشان معا في سلم وأمن. وردا على أحد الأسئلة، قال الرئيس الأمريكي إن الحكومة السعودية أعلنت على الملأ أنها لن تستخدم البترول سلاحا في نزاع الشرق الأوسط.

وتجاهل الرئيس الأمريكي سؤالا عن وصفه رئيس الحكومة الإسرائيلية بأنه «رجل سلام».

وصرح الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية، ريتشارد باوتشر، في مؤتمره الصحافي اليومي، «ردا على سؤال بشأن الحكم على أربعة من أفراد الجبهة الشعبية في رام الله: «إننا مدركون لموقفي الطرفين بخصوص السيادة والحاجة لتقديم هؤلاء الناس إلى العدالة، ورأينا لا يزال أن هذه المسألة ينبغي أن تحل بصورة لا عنفية، ومن المهم جدا أن يسوى موضوع مجمع عرفات بدون اللجوء إلى العنف وبالسرعة الممكنة».

ودعا المندوب الأمريكي في افتتاح اجتماع الدول المانحة في أوسلو إلى إعطاء الأولوية لتوفير مساعدات إنسانية طارئة للفلسطينيين، وأعلن أن الولايات المتحدة ستساهم بمبلغ ٣٠ مليون دولار إلى الأونروا، بالإضافة إلى مساهمتها السنوية التي تصل إلى ٨٠ مليون دولار، وأعلن أيضا بدء تطبيق برنامج مساعدات إنسانية بقيمة ٦٠ مليون دولار بهدف تمويل برامج صحية طارئة، وإصلاح إمدادات المياه، وتوزيع الغذاء، وإصلاح البنية التحتية الأساسية، وأضاف المندوب الأمريكي أن بلده سيساعد في

المدى البعيد في إعادة بناء المؤسسات الاقتصادية الفلسطينية، والمحافظة على السلطة الفلسطينية وتعزيزها، وإعادة بناء بنيتها التحتية وقدرتها على ممارسة الحكم.

ودعا المستشار الألماني، غيرهارج شرودر، في خطاب ألقاه باسم حكومته في جلسة للبرلمان الاتحادي (البوندستاغ) إسرائيل إلى سحب قواتها من المناطق الفلسطينية وإزالة المستوطنات التي بنيت بصورة «غير مشروعة»، وإلى رفع الإقامة الجبرية عن الرئيس عرفات، كما رفض في شكل قاطع فرض عقوبات على إسرائيل.

وشهدت الجلسة التي تحدث فيها رؤساء الكتل النيابية للأحزاب السياسية الألمانية ومسؤولو الشؤون الخارجية انتقادات علنية لحكومة شارون ونهجه العسكري.

وقال الزعيم اليميني النمساوي، يورغ هايدر، أن «ما جرى في جنين هو بمثابة جرائم حرب» وقال هايدر ذلك خلال لقاء مع قناة «الجزيرة». وقال إن سياسة رئيس الحكومة أرئيل شارن، تهدد عملية السلام في الشرق الأوسط.

ونقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن المجلس الأوروبي المنعقد في ستراسبورغ أنه وجه نداء عاجلا إلى الحكومة الإسرائيلية لسحب قواتها من الأراضي الفلسطينية ووقف عملياتها العسكرية، وقرر النواب الأوروبيون معاودة النظر في وضع المراقب الممنوح للكنيست الإسرائيلي في الجمعية البرلمانية الأوروبية.

وقالت صحيفة «هآرتس» أن المجلس الأوروبي أوصى الاتحاد الأوروبي بتعليق الاتفاقية الاقتصادية مع إسرائيل.

واجتمع الممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن المشترك للاتحاد الأوروبي، خافيير سولانا والمبعوث الأوروبي للشرق الأوسط ميغال موراتينوس برئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون: مصدر قريب من سولانا قال إن هذا الأخير طالب شارون بـ«وضع حد للوضع المريع» الذي يعيش فيه الرئيس عرفات.

وقالت صحيفة «هآرتس» أن محامين يمثلون منظمات متعددة لحقوق الإنسان في إسرائيل انتقدوا أوضاع معتقل كتسيعوت الذي أعادت إسرائيل فتحه والذي تحتجز فيه أكثر من ٥٠٠ معتقل فلسطيني، وقال المحامون : إن أوضاع المعتقل تعرض صحة المعتقلين للخطر ولا تلبي أدنى المعايير الإنسانية.

في حي الزيتون كما في مخيم جنين

انسحبت أخيرا القوات الإسرائيلية من منطقة الزيتون بغزة، بعد أن نجحت الدبلوماسية المصرية بإقناع المقاومة الفلسطينية بضرورة تسليم رفات الجنود الإسرائيليين بعد أن قتلوا على يد المقاومة الفلسطينية الباسلة في حي الزيتون بغزة، حيث قام العقيد رشيد أبو شباك وأحد الموظفين في السفارة المصرية بتسليم الرفات في معبر بيت حانون، ومن ثم انسحبت القوات الإسرائيلية من حي الزيتون، بعد أن تركت خرابا ودمارا لم يسبقه مثيل. لقد ارتكبت إسرائيل أبشع الجرائم بحق الفلسطينيين العزل وممتلكاتهم، فواصلت عملياتها الإرهابية والوحشية مخلفة عشرات الشهداء والجرحى ودمارا واسعا في المنازل والبنية التحتية والمحال التجارية.

وقالت وزارة الصحة الفلسطينية أن عددا كبيرا من الجرحى هم في حالة حرجة للغاية. العشرات تقطعت أطرافهم وقتل عدد من الأطفال وأصيب عدد كبير من النساء.

معظم الشهداء من الأطفال والنساء الأبرياء، كثيرون منهم في حالة الخطر الشديد، دمار هائل في المنازل والممتلكات، تدمير لشبكات الكهرباء، وخطوط المياه والهاتف، وتجريف البنية التحتية، وكل مقومات الحياة هي حصيلة العدوان الإسرائيلي الغاشم على هذا الحي الصامد الذي سطر بصموده أروع ملاحم النصر والتحدي في وجه جبروت وظلم وإجرام هذا العدوان.

أما مدينة رفح قلعة الجنوب الصامدة، فكانت على موعد جديد مع التدمير والقتل المنهجي الذي يمارسه إرهاب الدولة الإسرائيلي، ضد البشر والشجر والأرض، فلم تكد تغفو عيون المواطنين مودعين مأساة وجريمة جديدة حلت بهم حتى استيقظوا على وقع جريمة لا تقل بشاعة وإجراما عن سابقتها، فقد قصفت طائرات الإرهاب الإسرائيلية الأمريكية الصنع بصواريخها تجمعات للمواطنين ومسيرة سلمية ما أدى إلى ارتقاء عديد من الشهداء إلى العلى.

في قلب مجزرة الزيتون شهادات عن بشاعة الاحتلال الإسرائيلي، هكذا قالها من قلب المجزرة وتحت القصف الجوي المكثف والمدمر وبعد ليلتين ويوم كامل من الجوع والعطش والألم والمعاناة مع الجرح النازف، هنا في حي الزيتون في قلب غزة، أكثر من مائة عائلة حوصرت، أتلفت قوات الاحتلال خزانات المياه، وقطعت الكهرباء، ودمرت الطرق وحاصرت المنطقة، وحذرت بالقصف العشوائي كل من تسول له نفسه

بطلب الإغاثة .

من عائلة ملكة التي منيت بالشهيد إيهاب المدفون أسفل أكوام من الأنقاض بفعل جرافة إسرائيلية عندما كان حيا، يقول أحد المتصلين: «نطلب من الله أولا ومن أي أحد أن يتحدث معنا أن يحاول إنقاذنا، فالدبابات والجرافات الإسرائيلية تجرف الشوارع وتطلق النار عشوائيا على أي جسم متحرك، وعلى أي إنسان حتى لو حاول النظر من الشباك».

ويضيف: «ابن عمي الشهيد، إيهاب ملكة، استشهد بعد أن استغاث مدة طويلة بعد إصابته فقط بقدمه، ولكن جرافة إسرائيلية دفنته حيا ودون أي إحساس بآدمية سمعه الكثيرون يستغيث، ولكن أحدا لم يستطع مساعدته فالدبابات الإسرائيلية تحاصره، نحن لا نستطيع أن نعمل شيئا، ورغم هذا نحن صامدون بإذن الله ولنا النصر بمشيئته، وهم يظنون أنهم سيهزموننا، ولكنهم جبناء ومحاصرون لا يستطيعون الرحيل، ورأيت بأم عيني ٧ دبابات فجرتها المقاومة بالقرب من بيتي».

الأطفال.. يومان بلا طعام.

الطفلة من عائلة ملكة: «أنا خائفة من اليهود والرصاص والقصف، نزلنا تحت خائفين من القصف».

الأم: نحن في وضع لا نحسد عليه، عندي خمسة أطفال والدبابات قبالتنا تماما. ما في حدا قادر يطلع من بيته وما في عنا خبز وحاجات كثيرة ناقصة علينا والأطفال جوعى، وكلنا محبوسون في غرفة واحدة، والأطفال ببكون ومالنا إلا الصبر وصامدون بإذن الله، وبنشجع كل المقاومين».

الصحفي محمد أبو شباب قال في تمام الساعة العاشرة من صباح الأربعاء اليوم الثاني من المجزرة أن قوات الاحتلال شرعت بعمليات تجريف لأراضي تابعة لعائلة عرابي في حي الزيتون، والقصف متواصل، والعملية متمركزة على طول شارع صلاح الدين وشارع العيادة والمنطقة الجنوبية من الحي بالتحديد، القصف عنيف ومركز على جنوب الحي، وهناك جثمان الشهيد إيهاب ملكة مدفون تحت الرمال منذ الأمس، لا تستطيع سيارات الإسعاف الوصول إليه، وقوات الاحتلال تمنع سيارات الصليب الأحمر من إخلاء الشهداء والجرحى، قوات الاحتلال حولت الحياة إلى جحيم في حي

الزيتون. شلل شبه تام لا يستطيع أحد التحرك لأن قناصة الاحتلال اعتلت أسطح المنازل وحولتها إلى ثكنات عسكرية، تدمير للبنية التحتية علاوة على قطع التيار الكهربائي. القصف يتركز في محيط مسجد عبدالرحمن وهناك حصار بري وجوي كامل، وقوات الاحتلال الإسرائيلي دفعت بمزيد من تعزيزاتها العسكرية، والقائد العسكري الإسرائيلي الجنوبية قال: إن العملية العسكرية في الزيتون ستستمر لانتشال القتلى الإسرائيليين. رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون ورئيس هيئة الأركان موشيه يعلون قالا؛ أن العملية العسكرية ستستمر، نحن حقيقة لا نعرف إذا كان هناك جرحى أو شهداء، فسيارات الإسعاف لا تستطيع الوصول إلى المنطقة الجنوبية من الحي، فهو محاصر ومغلق بالكامل.

أحد المحتجزين لمدة ثلاثة أيام، صالح أبو عاصي، قال «نحن محتجزون في مصنع الستار من الساعة ١٢:٣٠ ليلة الثلاثاء، حاولنا الخروج إلى منازلنا، ولكن بدأ الاجتياح ولم نستطيع التحرك نحن ١٥ شخصا نناشد الصليب الأحمر بسرعة لإنقاذنا بيننا ٤ مسنين وطفل وبيننا مرضى.. كل واحد فينا يحتمي بماكنة من ماكنات المصنع لا نملك أي شيء للأكل.. نحن غير قادرين أبدا، نناشد الصليب الأحمر بإنقاذها بأسرع وقت ممكن، الرصاص يحيط بنا من الأعلى ومن الأسفل».

أحد الشهود العيان يدعى أبو أسعد قال في تمام الساعة ١١:٢٠ صباحا، وبجوار بيارة ساق الله وعزام نسمع صوت إطلاق نار شديد، قوات الاحتلال تجرف بيارة ال عزام وال ساق الله، وهناك غطاء جوي موفر لعملية التجريف ومتزامن معها، والدبابات تطلق النار اتجاه أي جسم متحرك، أشاهد أمامي امرأة حاولت نقل ابنها للمستشفى، حاولت الاختباء من الدبابة، جميع كوابل الكهرباء والهاتف جرفت بشكل كامل، والقصف لا يطاق وفظيع، الأطفال يصرخون ليل نهار، والنساء يبكين بشكل متواصل، المنطقة هنا تم إعلانها منطقة عسكرية مغلقة بالكامل».

محمد أبو شباب قال : إن القصف الإسرائيلي استهدف عدة منازل في حي الزيتون في غزة والعمارة التي تعرضت للقصف هي منزل الشهيد أحمد شتيوي، سيارات الإسعاف تمكنت بصعوبة من نقل الجرحى المصابين إلى مستشفى القاء.

د. جمعة السقا من مستشفى الشفاء قال: «إن سيارات الإسعاف المحملة بالجرحى وصلتنا بعد اتصالات حيث استهدف القصف السيارات، عدد الجرحى وصل إلى ١٨٦

جريحا بينهم حالات خطيرة». المصور الصحافي موفق مطر من حي الزيتون قال: «قصف منزل عائلة الشهيد أحمد شتيوي، ويقع في منطقة سكنية مزدحمة، حيث لا يشكل هذا البيت خطرا على قوات الاحتلال المتواجدة في المكان، سيارات الإسعاف أخلت الجرحى وهي لا تستطيع الوصول إليها».

الصحفي محمد أبو شباب أكد أن سلسلة الانفجارات القوية التي شهدتها المنطقة الجنوبية من حي الزيتون زادت من صعوبة مهمة سيارات الإسعاف التي حاولت بصعوبة الوصول إلى الجرحى في المنطقة، كانت هناك طائرات استطلاع إسرائيلية تحلق في سماء غزة وتعزيزات عسكرية متزايدة وقناصة إسرائيليين يعتلون أسطح المنازل والقصف من الدبابات الإسرائيلية، هناك تفجير في الآليات العسكرية على طول خط شارع صلاح الدين، وطائرات الاحتلال الإسرائيلي تخلي جرحاها من المكان».

انسحبت قوات الاحتلال من حي الزيتون في مدينة غزة تحت غطاء المروحيات الإسرائيلية التي فتحت نيرانها الرشاشة بكثافة، بعد أن تكبدت خسائر فادحة في قواتها المسلحة وآلياتها العسكرية، وبعد أن مني الشعب الفلسطيني بما يفوق ١٤ شهيدا وقرابة مائتي جريح سقطوا في الاجتياح للحي، وقد عاثت قوات الاحتلال بآلياتها فسادا في الحي وأوسعته قصفا وتدمير بالمنازل والممتلكات.

حي الزيتون تكبد خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وقد عثرت طواقم الإنقاذ والإسعاف على جثامين أربعة شهداء في أحد حقول الزيتون في الحي فور الانسحاب الإسرائيلي، وانطلقت فرق الطوارئ والإنقاذ التابعة لبلدية غزة لتفقد المكان، وبدأت فورا في تسوية الطرق التي دمرتها قوات الاحتلال الإسرائيلي ووصل خطوط المياه وشبكات الصرف الصحي والكهرباء والهواتف.

وكانت القوات الإسرائيلية قد انسحبت من الحي المنكوب بعد التوصل لاتفاق تسلمت بموجبه قوات الاحتلال أشلاء الجنود الذين قتلوا خلال الانفجار الأول في الحي يوم الثلاثاء الماضي، وأبرم الاتفاق بوساطة مصرية، وقد تسلمت إسرائيل الأشلاء، وأعلنت أنه تم التعرف عليها وإلحاقها برفات أصحابها.

وقالت مصادر أمنية فلسطينية في وقت سابق أن النشطاء في المقاومة الفلسطينية وافقوا على تسليم جثث الجنود الستة في حالة انسحاب القوات الإسرائيلية من غزة أولا، في إجبار العنجهية الإسرائيلية بالإذعان للإرادة الفلسطينية.

عوداً على بدء... سياسيون ومفكرون ورواد سلام يحاولون إيقاف شلالات الدم؟

الجمعة ٢٠٠٢/٤/٢٦

وفي يوم الجمعة الموافق ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٢ أعلن ناطق رسمي فلسطيني أن الجيش الإسرائيلي أعاد احتلال مدينتي قلقيلية وطولكرم والقرى المحيطة بهما. واستمر الحصار الذي تفرضه القوات الإسرائيلية على مقر رئيس السلطة الوطنية في رام الله، وكنيسة المهد في بيت لحم. كما تواصلت الاعتداءات الإسرائيلية على مختلف المناطق الفلسطينية في الضفة والقطاع، وهاجمت الاعتداءات الإسرائيلية تظاهرة نظمتها القوى الوطنية والإسلامية في وسط رام الله، وأصيب أحد عشر شخصا من المتظاهرين بجروح جراء تعرضهم لنيران الجنود الإسرائيليين، ودمرت القوات المحيطة بالمقر الرئاسي ٥٠ سيارة للرئاسة والموظفين والعاملين في الدوائر المتعددة، ونقلتها الجرافات إلى خارج المقر، وتوغلت قوة إسرائيلية في منطقة رام الله التحتا، واقتحمت قرية عطارة شمالي المدينة، واستمرت القوات المحيطة بكنيسة المهد في إطلاق نيران متقطعة على الكنيسة، واعتقلت تسعة صبيان بعد إخراجهم من الكنيسة بموجب اتفاق رسمي فلسطيني – إسرائيلي، بإشراف أوروبي وكنسي.

وفي طولكرم، دمر الجنود الإسرائيليون أعمدة الكهرباء وشبكات المياه بعد عودتهم لاحتلال المدينة مجددا، وفي جبع (محافظة جنين) اقتحمت قوة إسرائيلية المسجد واعتقلت مصلين وفرضت الحصار ومنع التجول على البلدة.

وفي قلقيلية أخرج الجيش الإسرائيلي السكان من منازلهم وجمعهم في الساحات

العامة، واستمر فرض نظام منع التجول على المدن الثلاث: طولكرم، وجنين، وقلقيلية.

وفي الخليل صعدت قوات الاحتلال حملاتها وأعمال التفتيش والاعتقال وخصوصا في قرى السموع والظاهرية ودورا والشيوخ وسعير وحلحول في ظل نظام منع التجول، وشهدت جميع محافظات قطاع غزة عمليات إطلاق نار من رشاشات الجيش الإسرائيلي الذي واصل أيضا عمليات التجريف للأراضي الزراعية في خزاعة، وقد أدى إطلاق النار إلى استشهاد فتاة في تل السلطان وإصابة ٣ آخرين عند بوابة صلاح الدين في رفح.

وسارت تظاهرة كبيرة في مخيم جباليا شمال القطاع، وتحدث فيها عبد العزيز الرنتيسي أحد قادة حركة حماس، ودعا إلى استمرار الجهاد حتى انتهاء الاحتلال.

وأدلى الناطق العسكري الإسرائيلي بما يلي:

يقوم جنود من سلاحي المشاة والمدرعات وسلاح الهندسة بعمليات في قلقيلية. وحتى الآن، تم اعتقال ١٦ فلسطينيا، بينهم مطلوبون لدى الأجهزة الأمنية الإسرائيلية. وتم تبادل إطلاق النار عدة مرات خلال العملية، ولم يبلغ عن وقوع إصابات في صفوف الجيش.

وقتل خلال تبادل إطلاق النار رائد موسى إبراهيم نزال مسؤول الجبهة الشعبية في قلقيلية، وهو مسؤول عن تخطيط وتنفيذ الهجوم الانتحاري في كارني شومرون في ١٦/ ٢، وأسفرت عمليات التفتيش عن العثور على مختبر لتصنيع المتفجرات للجبهة الشعبية، وعثر بداخله على أحزمة من المتفجرات للانتحاريين وعبوات ناسفة وأسلحة. وأدت هذه العملية إلى إحباط عملية إرهابية كبيرة داخل إسرائيل.

واعتقل الجيش الإسرائيلي في قريتي سيلة الظهر وجبع ٢٦ فلسطينيا، بينهم عدد من الناشطين في «التنظيم» متهمين بالمشاركة في هجمات، واعتقلت القوات الأمنية احد المطلوبين الفلسطينيين في قرية كفر جمال شرقي قلقيلية، كما اعتقلت ثلاثة ناشطين من حماس في قرية بيتا جنوبي نابلس.

وسلم اليوم أربعة فلسطينيين في كنيسة المهد أنفسهم إلى الجيش الإسرائيلي، وتقوم حاليا الأجهزة الأمنية باستجوابهم. كما أطلقت القوات الإسرائيلية بعد ظهر اليوم النار على مسلحين اثنين في الكنيسة وإصابتهما، وسلم الجريحان إلى الجيش وتمت معالجتهما ونقلهما إلى المستشفى. وأيضا نقل الجيش خلال النهار الطعام إلى رجال

الدين في الكنيسة.

وقدم أربعة جنود إسرائيليين للمحاكمة بعد رفضهم الخدمة في سجن كتسيعوت في النقب، حيث رفضوا تنفيذ مهمات حراسة معتقلين فلسطينيين مسجونين في المكان. ويخدم الجنود ضمن وحدة الناحال، وقال أحد الجنود: «العمل الذي قمنا به في بيت ريما وفي الجليل اثبت لنا أن الاحتلال يبقى احتلالا على الرغم من تصرفنا الإنساني، اضطررنا إلى دخول البيت والقيام بالتفتيش».

وأعلن وزير الدفاع الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر أن إعادة احتلال قلقيلية عملية محدودة، جاءت على خلفية وصول تحذيرات تتعلق بتخطيط عناصر فلسطينية لتنفيذ عمليات معادية داخل إسرائيل.

وانتقد رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض في مؤتمر مدريد الدكتور حيدر عبد الشافي، في مقابلة مع مجلة «كل العرب» (العدد ٧٥٠)، الأداء الفلسطيني قائلا: «كان ينبغي ألا تستمر عفوية الانتفاضة وأن تخضع للتنظيم». كما انتقد العمليات الاستشهادية، معتبرا أنها كانت «خطأ إستراتيجيا» في ظل حكومة كحكومة أرئيل شارون، لكنه أكد أن «العمليات الاستشهادية تنبع من حقيقة ما يشعر به الإنسان الفلسطيني من ظلم وقع عليه وقادة في النهاية إلى تنفيذ هذه العمليات»، وأضاف عبد الشافي أن «قضية القتال جانب هام من رسالة الانتفاضة.. لا بد أن نقاتل بما يعطي الصورة أننا نقاتل دفاعا عن النفس أي أن نحصر قتالنا ضد الاستيطان وضد الأعمال الإسرائيلية التي تهدف إلى تيئيس الشعب الفلسطيني».

وأكد الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين نايف حواتمه في حديث إلى مجلة «الحوادث» اللبنانية أن مواصلة خط أوسلو لم تعد ممكنة، ودعا إلى إعادة بناء الوحدة الفلسطينية حول برنامج سياسي موحد.

وأعلنت رئاسة الحكومة الإسرائيلية أن إسرائيل طلبت رسميا تأجيل قدوم لجنة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في مخيم جنين «حتى الانتهاء من المحادثات الجارية (في نيويورك) وحصول إسرائيل على توضيحات بشأن القضايا الخلافية».

وكتبت صحيفة «هآرتس» أن رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي الجنرال شاؤول موفاز يدرس إمكان منع أي لقاء بين أعضاء اللجنة وضباط جيشه الذين عبروا عن

خوفهم من تقديمهم إلى المحكمة الدولية في لاهاي.

ونقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن رئيس الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي أهارون زئيفي فركش، تحذيره من أن السماح للجنة الأمم المتحدة بتقصي الحقائق «من شأنه أن يلحق ضررا بالغا بمكانة إسرائيل، وسيحدث انقلابا إستراتيجيا في غير صالحنا في إطار المواجهة مع الفلسطينيين»، وأضاف أن اللجنة «ستمحو كل انجازات عملية السور الواقي».

وأوردت مصادر إسرائيلية أن رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون ووزير دفاعه بنيامين بن إليعيزر وافقا على طلب رئيس الوفد الفلسطيني في المحادثات المتعلقة برفع الحصار عن كنيسة المهد، صلاح التعمري لقاء الرئيس عرفات في رام الله.

وأعلن الناطق باسم الأمين العام للأمم المتحدة أن المحادثات بين الأمم المتحدة والوفد الإسرائيلي بشأن فريق تقصي الحقائق في مخيم جنين قد أنجزت، وأن الأمم المتحدة قدمت إلى إسرائيل توضيحات بشأن مهمة الفريق المرتقبة، وبلغت الأمم المتحدة أن الحكومة الإسرائيلية ستتخذ قرارا رسميا بشأن هذه المسألة يوم الأحد ٢٨ نيسان. وطلب وزير الخارجية (الإسرائيلي) أن يصل الفريق إلى إسرائيل يوم الأحد بسبب العطلة اليهودية يوم السبت، ووافق الأمين العام على هذا الطلب.

وقال رئيس مجلس الأمن، السفير الروسي سيرغي لافروف، أن الأمين العام بلغ أعضاء المجلس أنه يتوقع وصول لجنة تقصي الحقائق إلى الشرق الأوسط في نهاية الأسبوع، مثلما كان مقررا أصلا، وعبر أعضاء المجلس عن أملهم بأن تسفر الجهود السياسية المبذولة لتحقيق الأهداف الواردة في قرارات مجلس الأمن، عن تغييرات إيجابية على الأرض، بما في ذلك الحل اللاعنفي للوضع حول مقر الرئيس عرفات في رام الله، ووصل لجنة تقصي الحقائق في نهاية الأسبوع، وسيواصل أعضاء المجلس متابعة الوضع بهدف تأمين تطبيق قرارات مجلس الأمن الأخيرة بشأن الشرق الأوسط.

وفي ختام الجولة الـ ٥٨ للجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في جنيف، تحدثت المفوضة السامية لحقوق الإنسان، ماري روبنسون، عن كيفية تعامل اللجنة مع الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقالت: أن اللجنة أدرت وجود حاجة إلى التحرك ردا على الخسائر القاسية في الأرواح التي تكبدها الفلسطينيون والإسرائيليون، وبسبب العنف المتزايد الذي يعرقل مراقبة تطبيق حماية حقوق الإنسان. وأضافت أن

اللجنة قامت بمراجعة الوضع وشكلت بعثة لتقصي الحقائق التي تسلمت منها تقرير لتراقب الوضع عن كثب، واعتبرت روبنسون هذه الخطوات تعبيرا عن التزام اللجنة حماية ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان في أوضاع صعبة للغاية.

وأعلن البيت الأبيض أن الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد السعوي، سلم الرئيس جورج بوش وثيقة من ثماني نقاط لإحياء عملية السلام الفلسطينية – الإسرائيلية.

والنقاط الواردة في الوثيقة هي: انسحاب إسرائيلي من أراضي الحكم الذاتي الفلسطيني؛ رفع الحصار عن رام الله؛ إنشاء قوة متعددة الجنسيات؛ إعادة إعمار المناطق الفلسطينية المتضررة؛ نبذ العنف؛ تركيز المحادثات على المسائل الأمنية (خطة تينيت) والسياسية (خطة ميتشل)؛ وقف بناء المستوطنات الإسرائيلية؛ دور محرك للولايات المتحدة في تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

وصرح الرئيس جورج بوش للصحافيين في مزرعته في تكساس، بعد يوم من لقائه ولي العهد السعودي، الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، أنه أوضح لولي العهد السعودي «إن لدينا علاقة فريدة مع إسرائيل، وأن هناك شيئا يمكن للعالم أن يعتمد عليه وهو أننا لن نسمح بأن تسحق إسرائيل، وأعتقد أن ذلك تصريح مهم. إنه جزء من سياستنا الخارجية، وكان على الدوام جزءا من سياستنا الخارجية، وسيبقى جزءا من سياستنا الخارجية – والسعوديين يفهمون ذلك». ودعا الرئيس بوش إسرائيل إلى إكمال انسحابها من المناطق الفلسطينية التي احتلتها، وقال: «أنا أعلم بأنهم سمعونا».

وسحب الكونغرس الأمريكي مشروع قرار يصف الرئيس ياسر عرفات بأنه «إرهابي»، بضغط من إدارة الرئيس بوش، خوفا من عرقلة الجهود المبذولة في الشرق الأوسط.

ورحبت وزارة الخارجية السويسرية بإنشاء لجنة دولية لتقصي الحقائق في مخيم جنين للاجئين، وأعلنت أن سويسرا عرضت خدماتها، ووضعت في تصرف فريق تقصي الحقائق الذي أنشأه الأمين العام للأمم المتحدة طائرة وعربة مصفحة.

وطالب الناطق باسم الخارجية الفرنسية بأن تبدأ لجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين عملها من دون تأخير، كما طالب بانسحاب الجيش الإسرائيلي من الضفة الغربية، واستعادة عرفات حرية الحركة والقدرة على التصرف كرئيس للسلطة الفلسطينية.

ووجه كهنة وراهبات الأرض المقدسة رسالة إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون، وإلى عرفات، يدعون فيها إلى «وقف الحرب»، مشددين على أن «العنف لا يوقف العنف».

وأعلنت منظمة العفو الدولية يومي ٢٧ و ٢٨ نيسان يومي حداد دولي، وفي هذين اليومين، ستقوم الأمينة العامة للمنظمة أيرين خان بزيارتها الأولى لإسرائيل والأراضي المحتلة، ودعت خان المجتمع الدولي إلى التحرك حالات لإنهاء انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكب ضد الفلسطينيين والإسرائيليين، وطالبت بأن تكون مسألة حقوق الإنسان في صميم أي حل للازمة.

انتفاضة منتصف الليل:

ليلة السبت ١٩ أيلول من العام ٢٠٠٢ أثر حدوث عمليتين فدائيتين في تل أبيب وأم الفحم، أقدمت الآلة العسكرية الإسرائيلية على حماقة جديدة، وخطوة يائسة في إطار مخططها المتدحرج للقضاء على السلطة الوطنية وإجهاض المشروع الفلسطيني التحرري، مستغلة عالم القطب الواحد، وسيادة منطق المصالح على حقوق الشعب في الحرية.

وكما يحدث في كل مرة تحدث فيها عملية فدائية، قام الاحتلال برفع مستوى التصعيد ضد الرئيس ياسر عرفات، بحيث قام بشن عملية تدمير همجية لمباني الرئاسة، اقتحمت على أثرها قوات الاحتلال مقر الرئاسة في رام الله، واستولت على مهبط الطائرات فيه وسط إطلاق نار كثيف، وطلب جيش الاحتلال عبر مكبرات الصوت من حرس الرئيس إلقاء أسلحتهم وتسليم أنفسهم.

ودفعت قوات الاحتلال بحوالي اثنتي عشرة آلية عسكرية بين دبابة ومدرعة إلى محيط المقر الرئاسي، وقامت قبل عملية الاقتحام بتطويق مدينة رام الله المحتلة.

وهدمت عربات مدرعة الجسر الذي يربط بين جناحيّ المبنى المتبقي في المجمع الرئاسي، في حين أطلق جنود الاحتلال النار على أشخاص كانوا يعبرون الجسر.

وأوضحت مراسلة إحدى الصحف الأجنبية أن جنود الاحتلال اقتحموا أحد جناحي المبنى، وقد استشهد أحد ضباط الحرس الرئاسي في القاعة التي يستقبل فيها الرئيس عرفات زواره برصاص قناص إسرائيلي، وتم نسف وتدمير مباني الاستخبارات العسكرية، وقوات الأمن الوطني، وحرس عرفات الخاص، وجميع البوابات الرئيسة للمقر، والجدران

المحيط به بهدف المساس بشخص الرئيس عرفات وتدمير عملية السلام بأكملها.

وقد تحول مقر الرئاسة إلى ساحة من الدمار والركام المتبقي من نسف وتدمير ألماني الرئيسية به، ولم يتبقَ سوى المبنى الذي يضم مكتب عرفات.

وأدت التفجيرات إلى حالة من الذعر في المناطق السكنية المجاورة إثر تحطم نوافذها بسبب الانفجارات القريبة المتوالية.

وما لبثت القوات الإسرائيلية أن أعلنت أن مقر الرئاسة منطقة عسكرية مغلقة، وطوقته بالكامل، كما أغلقت الشوارع المؤدية إليه، ودمرت أكثر من عشر منشآت ثابتة ومتنقلة في محيط المجمع إما بتفجيرها أو بإزالتها بالجرافات.

ووسط تزايد المخاوف من المساس بالرئيس، قال وزير الجيش الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر إن إسرائيل لا تنوي طرد الرئيس ياسر عرفات أو إيذاءه جسديا، ولكنها تريد حصاره بهدف عزله، كما أن إسرائيل تطالب باستسلام حوالي عشرين فلسطينيا مطلوبين، ومتحصنين في مقر عرفات.

وقال مسؤولون إسرائيليون: إن قوات الاحتلال الإسرائيلية طوقّت المجمع في محاولة لفرض عزلة عليه، أو ربما لإبعاده عن الضفة الغربية .

وأشارت المصادر الإسرائيلية أن من بين المطلوبين مدير جهاز المخابرات الفلسطينية بالضفة الغربية العميد توفيق الطيراوي، وقائد القوة ١٧ في رام الله محمود ضمره المعروف باسم أبو عوض.

وفي سياق الأحداث أعلن نائب وزير الجيش الإسرائيلي «وايزمان شيري» أن الهدف من العملية الإسرائيلية على مقر عرفات هو دفعه إلى الرحيل، وقال في تصريح للتلفزيون الإسرائيلي القناة الأولى:

«ليس لدينا نية في القضاء جسديّا على عرفات، أو احتلال المقاطعة بالقوة، بل حمل عرفات على اتخاذ قرار من تلقاء نفسه بالرحيل.

***

وفي منتصف ليلة الاثنين ٢١/ ٩ الساعة الثانية عشرة تماما، انطلقت أصوات مكبرات الصوت تهدد وتتوعد، وتعلن أن على الرئيس عرفات والمطلوبين العشرين

الاستسلام خلال عشر دقائق، وإلا فإن الجيش سيقتحم المكان، ويدمره على كل من فيه.

وقع الخبر عليّ وقع الصاعقة..

لم أكن أصدق ما أسمع

إن هذا الذي يحدث ضربا من الأوهام

إنه مجرد كابوس.. كريه.

لا يمكن أن تكون العقليّة النازيّة قد وصلت إلى هذا الحد من البربرية..

عشر دقائق.

عشر دقائق فقط.

عشر دقائق.. وبعدها يأتي الطوفان.

عشر دقائق.. ستمائة ثانية.. تفصل.

بين الحياة والموت.

عشر دقائق من منتصف ليلة الحادي والعشرين.

من شهر أيلول عام ٢٠٠٢.

ستظل محفورة في ذاكرتي بكل تفاصيلها.. ولحظاتها الرهيبة خاصة تلك الدقائق العشر.. في منتصف تلك الليلة.. حيث.. تعالت مكبرات الصوت تهدد الرئيس عرفات ومن معه تطالبه بالخروج والاستسلام وإلا فإنها ستهدم المقاطعة أو ما بقي منها على رؤوسهم.

كانت هذه الدقائق ذروة المأساة.. كانت كل ثانية منها عاصفة بالنار والثورة والقهر والألم، وكان الخوف على الرئيس يشل فكري وإحساسي. وشعرت للحظة بأن كل فكري قد تأكسد واحترق، وأن مشاعري وأعصابي قد أصبحت كتلة من الرماد.. ولم أملك نفسي، فقد اندفعت إلى الشارع.

كانت آلاف الجماهير تتدفق نحو المقاطعة متحدية أوامر منع التجول، وكانت آلاف الأصوات من كل حدب وصوب تتصاعد من الحلل والأواني النحاسية والأطباق والطناجر والأكواب وأواني الشاي والقهوة والصواني المعدنية، كلها توقع سيمفونية الغضب والثورة والرفض.

وكان آلاف الشباب يدقون بعنف على أعمدة الكهرباء المصنوعة من الفولاذ، وكانت صيحات الغضب والهتافات بحياة الرئيس تملأ فضاء رام الله مشحونة بالدموع والصراخ وبكاء الشباب والصبية والرجال وعويل النساء. كانت ليلة رهيبة.. ليلة أسطورية خالدة كأن رام الله في يوم الحشر، كأن الناس بعثت من قبورها يوم القيامة، جماعات المواطنين تنطلق هائمة على وجهها في كل اتجاه.. وعشرات المئات من السيارات تطلق تعبيرها في كل مكان وتنبعث من كل حارة وزقاق وشارع آلاف البشر نساء ورجال وشيوخ وأطفال.. كلهم يدقون على أوعية الطبخ المعدنية.. ويهتفون ويصرخون..

والثواني تتعاقب..

والدقائق تمر..

عشر دقائق فقط ثم يقتحمون المقاطعة عشر دقائق وتكون المأساة كاملة.. هجمت الجماهير بجموعها.. على المقاطعة.. لم تعبأ لحظة بالدبابات والمدافع والنار والرصاص والموت.. ولم تكترث بنظام حظر التجول

إنه الرئيس أبو عمار.

سيغتالونه.

بعد عشر دقائق.

بعد تسع دقائق.

بعد ثماني دقائق.

بعد سبع دقائق.

بعد ست دقائق.

وأنا وسط الموج البشريّ الهادر، لا أعرف أين أنا ولا من أنا، لا أعرف ولا أرى ولا أسمع إلا وجيب قلبي وانفعالاتي..وبركان النار يسري في بدني، يكوي كل ذرة من كياني.

كان خروج الجماهير على هذا النحو وتدفقها نحو المقاطعة في منتصف تلك الليلة حدثا فريدا في التاريخ.

شعب بأسره هجر النوم، وخرج من بيوته في القرى، والمدن، والبوادي، والمخيمات، يعلن بكل قواه.. إن الحياة للرئيس، وإنَّ الموت للطغاة..

وانتصرت إرادة الشعب..

لم يجرؤ شارون ولا عساكره على تنفيذ تهديدهم..

لقد شلت إرادةُ الجماهير وقوى البغي والعدوان.. فتراجعت أمام هذا المد الجماهيري الرهيب قوى البغي والعدوان ومخططات الشيطان الأكبر أرئيل شارون .

في كل فصل من فصول حياة عرفات تطل آيات الأسطورة..

وقد شهدت بنفسي عشرات المواقف التي تؤكد ملامح هذه الأسطورة، لكن هذه الدقائق العشر التي تحوم في كل فصل من فصول حياة عرفات تطل آيات الأسطورة.

وقد شهدت بنفسي عشرات المواقف التي تؤكد ملامح هذه الصورة.. لكن هذه الدقائق العشر التي عشتها مع الجماهير في رام الله حول المقاطعة.. وقرب الرئيس.. لا يمكن أن تنطمس من ذاكرتي يوما.

النار حولنا، والحرائق، والجدران المحطمة، والخنادق والسيارات المحترقة.. والدبابات والآليات .. وعساكر الموت وكل هذه العناصر تداخلت وامتزجت وأصبحت خليطا واحدا.. البشر والجنود والرصاص والنار والدبابات والرعب والهلع.. الدمار والغبار والعساكر وهم في دباباتهم ووراء رشاشاتهم ومدافعهم ونحن بأيدينا الفارغة، ندق على الطناجر والصحون ونصرخ صرخة الحياة التي ترفض جبروت الموت كل ذلك صنع مشهدا فريدا مرعبا لا يتكرر.

والحقيقة أن هذه الفكرة العبقرية كانت من بنات أفكار صخر حبش (أبو نزار) الذي اقتبسها من موقف مناسب في التاريخ وبدأ يبثها عبر تلفزيون الاستقلال، وهي محطة تلفزيونية محلية، والحقيقة أن الجماهير الفلسطينية كانت على استعداد لعمل أي شيء وكل شيء لتنقذ رئيسها المحاصر وتفتديه بالروح والدم ومن هنا كانت الاستجابة الجماهيرية الكاسحة لمؤازرة الرئيس.

لقد تحدى آلاف الفلسطينيين حظر التجول الذي فرضته قوات الاحتلال في عدد من المدن والمخيمات الفلسطينية في غزة والضفة، وامتدت الاحتجاجات الغاضبة لتشمل سجون الاحتلال داخل الخط الأخضر، وتحديدا في مجدو والنقب ونفحة وشطة، حيث جرح العديد من الأسرى في سجن النقب إثر اشتباكات مع حراس السجن.

وبعد هذا التحرك الشعبي العارم والشامل، وهذا التحدي، لحظر التجول والخروج

ليلا على هذا النحو الفريد الذي أحدث صدمة لقادة إسرائيل وأربك قيادتها ونسف خططها وتوقعاتها فأعلنت قوات الاحتلال أنها أوقفت عمليات الهدم فيما تبقى من مقر الرئيس، وشرعت في إخراج جرافاتها والإبقاء على الحصار إلى أن يتم تسليم المطلوبين.

يقول نبيل أبو ردينة.. إن مظاهرات التأييد التي انطلقت ليلا هي الاستفتاء الحقيقي، وهي الرد الحقيقي على شارون، وعلى ما يقوله أركان قواته وما يقوم به عساكره، وهو في عدوانه الأخير هذا إنما هو تكرار لفشل سابق.

* * *

وقد طالب مجلس الأمن بقراره الذي يحمل رقم ١٤٣٥ إسرائيل وبالوقف الفوري للإجراءات المتخذة في رام الله ومحيطها، وخصوصا تدمير البنية التحتية المدنية والأمنية الفلسطينية والحفاظ على حياة الرئيس أبو عمار ووقفت الولايات المتحدة وحدها تعارض هذا القرار فأمتنعت عن التصويت في حين أيد ١٤ صوتا من أصل ١٥ صوتا القرار.

وقد رفضت إسرائيل الانصياع لمجلس الأمن قائلة: إنها عازمة على مواصلة الحصار المفروض على مقر عرفات، رغم قرار مجلس الأمن، وقال أحد القادة الإسرائيليين الكبار: «إما أن يخرج عرفات من مقره أو أن يقوم المطلوبون بتسليم أنفسهم»، وهو ما لم يحدث.

وماذا بعد.

إن ما حدث في هذا الحصار الأخير يفوق كل وصف، إنه صورة ناطقة للظلم والقهر والاضطهاد والبربرية، صورة تفوق خيال أي كاتب من كتاب سيناريوهات الغرب الأمريكي في أفلام هوليود، صورة تجسد ما حدث ذات يوم بعيد في سجن الباستيل الذي انهار على يد فرسان الثورة الفرنسية، بعد أن أصبح رمزا خالدا لانهيار كل معاقل الظلم والقهر والعبودية.

* * *

في كل مكان وموقع من معالم المقاطعة، وفي كل ركن من أركان مكاتب الرئيس كنت تشاهد مظهرا من مظاهر الظلم والقهر والبغي والعدوان.

أكثر من مائتين وخمسين إنسانا حوصروا في مساحة لا تزيد على أربعمائة متر مربع طوال عشرة أيام، يأكلون أقل الزاد، ويقتسمون جرعات الماء، ويمضون حياتهم في

صبر واحتمال وبطولة وشجاعة، ينتظرون الموت في كل ثانية.

ينامون واقفين ، ويأكلون، ويشربون، ويعيشون، بالتناوب وفوق رؤوسهم وحولهم وفي متناولهم رصاص الموت وأصوات الجرافات العملاقة التي تملأ الجو رعبا وخوفا وتوجسا وانتظارا رهيبا.

وعندما فجر الإسرائيليون العمارات المجاورة للمقاطعة في ليل يوم السبت الرهيب، أدرك المحاصرون أن ساعة النهاية قد دقت، وشعروا بأنهم يلفظون آخر أنفاسهم، فهم راحلون لا محالة. والمبنى الذي يجتمعون فيه سينهار عليهم خلال لحظات قليلة.

ورغم ذلك.

فإن أحدا لم يفكر بالخروج أو الفرار.

بقي الجميع متضامنين متوحدين.

في تاريخ الشعب الفلسطيني فصول رائعة من النضال العبقري، ومواقف تشهد بأن المناضلين دفاعا عن الحق الفلسطيني إنما هم جنود حق وعدل.

ولكن هذه الأيام العشرة بدقائقها العشر الأخيرة، تستحق أن يكون عنوانها انتصار عرفات الفريد في أرشيف التاريخ الفريد.

لقد تحدى نفر قليل من أبناء هذا الشعب، وهم مجردون من أي سلاح سوى سلاح الإرادة تحدوا مظاهر القوة والبغي والعدوان، وانتصروا على رموز الشر والغطرسة، وذلك لإيمانهم بعدالة قضيتهم، وصدق توجههم وشرعية مطالبهم.

مرة أخرى، وليست أخيرة انتصرت قوة الإرادة على إرادة القوة، فالطرف المحاصر الأعزل المجرد من مفردات القوة والسلاح، ينتصر، ويخرج محفوفا بهالات الفخر والعزة في مشهد من العالم كله وباعتراف صريح من كافة وسائل الإعلام والمراقبين والساسة.

نصر عرفات.. في هذه الدقائق العشر.. في بستان المقاطعة الدامي يؤكد أنه لا يصح إلا الصحيح، ولا يمكن تزييف حقائق التاريخ ومعطياته..

وما هذه الدقائق العشر إلا خطوة صغيرة في مشوار طويل، سيجتازه شبل من أشبال فلسطين أو زهرة من زهراتها، حيث سيعبرون الأسلاك والأشواك ليرفعوا الراية على أسوار القدس الشريف على قباب القيامة والمسجد الأقصى.

أحرارنا يسقون العدو من كأس المنية

٢٠٠٢/٤/٢٧

وفي يوم السبت الموافق ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٢، قال الوزير الفلسطيني صائب عريقات أن الجيش الإسرائيلي شَدَّد الحصار على مقر عرفات الذي قطعت عنه المياه، فالجرافات العسكرية جرفت موقف السيارات التابع للمقر بعد أن دمرت جميع السيارات التي كانت متوقفة فيه، وأصيب ثمانية مواطنين على الأقل، بعد ظهر اليوم، بالرصاص المعدني وشظايا الرصاص وقنابل الصوت وبحالات اختناق شديد، إضافة إلى إصابة عدد آخر من المواطنين بحالات إغماء متفاوتة، بعد أن فتح الجنود نيران أسلحتهم على مسيرة سلمية نظمتها القوى الوطنية والإسلامية للمطالبة بوقف العدوان، قرب مقر الرئيس عرفات، وأجبرت القوات الإسرائيلية عددا كبيرا من المواطنين على التعري وخلع ملابسهم بالكامل على حاجز دير أبزيع – عين عريك العسكري قرب رام الله، بعد احتجازهم لفترات طويلة في المنطقة.

وفي بيت لحم، أعلنت مصادر طبية إصابة المواطن رامي الخطيب (٢٧ عاما) بنيران القوات الإسرائيلية داخل كنيسة المهد المحاصرة، وفجرت القوات الإسرائيلية أبواب الكثير من المحال التجارية في المدينة. وفتح الجنود نيران أسلحتهم الثقيلة من الدبابات في اتجاه منازل المواطنين في مخيم الدهيشة وبلدة الخضر وألحقت أضرارا مباشرة في واجهاتها.

وفي طولكرم أُصيب سبعة مواطنين بجروح متنوعة في قريتي شويكة وفرعون، نتيجة

إطلاق النيران عليهم.

وتعرضت مدينة الخليل لإطلاق قذائف الدبابات، كما يفرض عليها حصار مشدد ونظام منع التجول. وتشهد جميع القرى المحيطة بها عمليات مداهمة للمنازل وحملة اعتقالات وخصوصا في دورا والسموع والظاهرية وحلحول والشيوخ وسعير.

واعتلى القناصة عددا من المنازل المطلة على الشوارع الرئيسية في البلدات والقرى، ولا سيما في بلدة بيت كاحل، ولم يسمح لسيارات الإسعاف بالدخول إلى المنطقة، بينما توغل عدد من الآليات داخل المنطقة (أ) في وادي الهرية في الخليل، التي أُغلقت مداخلها كافة بالحواجز الإسرائيلية.

وفي قطاع غزة، استشهد محمد سمير شامخ الدبس (١٩ عاما) من جباليا إثر تعرضه لنيران القوات الإسرائيلية، وأُصيب ثلاثة مواطنين بجروح جراء فتح الدبابات الإسرائيلية نيران رشاشاتها بصورة عشوائية صوب المواطنين في رفح جنوب قطاع غزة.

* * *

وقد أدلى الناطق العسكري الإسرائيلي بما يلي:

قتل أربعة مدنيين إسرائيليين وأُصيب آخر بجروح خطرة، وسبعة بجروح طفيفة ومتوسطة في هجوم إرهابي وإطلاق رصاص هذا الصباح في أدورا، شمالي غربي الخليل. وارتدى المهاجمون الثلاثة لباس الجيش الإسرائيلي وتمكنوا من فتح ثغرة في السياج المحيط بالمستوطنة. ولم يكن السياج إلكترونيا، وتسللوا إلى المستوطنة ومكثوا ١٥ دقيقة فيها وبعد عمليات بحث واسعة النطاق في المنطقة تمكنت قوة من الاحتياط من قتل أحد المهاجمين.

وقد أحبطت قوة من الجيش من لواء جفعاتي الليلة محاولة تسلل في شمال قطاع غزة وأسفرت عمليات البحث صباحا عن العثور على جثة المسلح.

وتقوم القوات الإسرائيلية (قوات المشاة والمدرعات والهندسة بالتعاون مع مروحيات سلاح الجو) بعمليات في قلقيلية تستهدف البنية التحتية الإرهابية، واعتقلت القوات الإسرائيلية ٢٠ فلسطينيا، بعضهم مطلوب من القوات الأمنية، بقي منهم ١١ في قيد الاعتقال. وقتل خلال تبادل إطلاق النار مسؤول الجبهة الشعبية في قلقيلية رائد موسى إبراهيم نزال. وتم العثور أيضا على مختبرات لتصنيع المتفجرات، على أحزمة من

المتفجرات وعبوات ناسفة وعلى سيارة تحتوي على مواد متفجرة.

وأعلنت القيادة الفلسطينية موافقة الرئيس ياسر عرفات على الخطة الأمريكية - البريطانية لتسوية أوضاع الفلسطينيين الموجودين في مقر الرئاسة في رام الله الذين تطالب إسرائيل باعتقالهم بتهمة قتل الوزير رحبعام زئيفي.

ومصادر في القيادة الفلسطينية تؤكد لصحيفة «الحياة» تذمرها وعدم ارتياحها من تحديد ثلاث شخصيات فقط يسمح لها بلقاء الرئيس ياسر عرفات في مقره المحاصر في رام الله، واستثناء الشخصيات البارزة في قيادة الشعب الفلسطيني. وقالت هذه المصادر أن حصر من تسمح لهم السلطات الإسرائيلية بلقاء عرفات في ثلاثة هم المستشار الاقتصادي للرئيس محمد رشيد ورئيس جهاز الأمن الوقائي في قطاع غزة محمد دحلان، ووزير الحكم المحلي صائب عريقات «يثير تذمرا وعلامات تساؤل جدية».

وقال الأمين العام لمجلس الوزراء الفلسطيني، أحمد عبد الرحمن، لصحيفة «الحياة» إن عملية أدورا هي رد طبيعي على سفك دماء الفلسطينيين، وتأكيد على قدرة الفلسطينيين على النهوض والدفاع عن أنفسهم في ظل الهجمة الإسرائيلية الشرسة.

وحثت وزارة السياحة والآثار الفلسطينية منظمة اليونسكو على القيام بمسؤولياتها لإلزام إسرائيل باحترام المعاهدات الدولية، وتطالبها بإرسال لجنة فنية للمساهمة في تقويم الأضرار التي تعرضت لها المواقع الأثرية والمباني التاريخية، وأماكن العبادة في المدن والقرى الفلسطينية.

ويواصل موظفو وزارة الأشغال العامة الفلسطينية عمليات التنظيف والترميم داخل مبنى الوزارة في مدينة رام الله، بعد تدمير وإحراق الدور الرابع منه بالكامل. وعلى الرغم من التدمير الشامل الذي لحق بطبقتين، الثالثة والرابعة، في وزارة المواصلات، فإن الجهاز العامل فيها عاد إلى العمل بنسبة ٦٠٪.

* فتى فلسطيني سمح له الجيش الإسرائيلي بمغارة كنيسة المهد مع ثمانية فتية آخرين، يفيد أن المسلحين داخل الكنيسة على استعداد للذهاب إلى المنفى لإنهاء المواجهة المستمرة منذ ٢٤ يوما مع القوات الإسرائيلية، شرط موافقة الرئيس عرفات على هذه الخطوة. وقال فؤاد لحام (١٩ عاما) أن معظم المسلحين في الكنيسة من رجال الشرطة، لكنه أضاف أن جهاد جعارة، وهو عضو في «كتائب شهداء الأقصى»، موجود

أيضا داخل الكنيسة ويعاني جراء إصابة تحت ركبته. وقتل القناصة الإسرائيليون فلسطينيا من المحاصرين داخل الكنيسة.

وأعلن المفوض العام لوكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، بيتر هانسن، في مؤتمر صحافي في أبو ظبي، أن ما حدث في جنين «كارثة إنسانية» وأن الأونروا حتى اللحظة لا تعرف ماذا حدث للآلاف من سكان المخيم، وأضاف أن الأونروا ستطالب إسرائيل بدفع تعويضات عن الدمار الذي لحق بالمباني والمنشآت التابعة للوكالة الدولة.

وتظاهر أكثر من ألف شخص من دعاة السلام الإسرائيليين والعرب واليهود في تل أبيب ضد مواصلة 'لاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية.

بطريرك السريان الكاثوليك الإنطاكي مار أنطونيوس بطرس الثامن عبد الأحد، يعقد مؤتمرا صحافيا في بيروت يروي فيه تجربته الأخيرة في فلسطين (بين ١٦ و ٢٤ نيسان)، ويعتبر «أن إسرائيل تضطهد الشعب الفلسطيني»، محذرا الإسرائيليين من اقتحام كنيسة المهد بالقوة؛ «لأن ذلك سيكون كارثة عليهم وعلى شعبهم إلى أبد الآبدين».



ياسر عرفات
وجورج بوش
من يخون ثقة من؟

الأحد ٢٨/٤/٢٠٠٢

وفي يوم الأحد الموافق ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٢ أعلن ناطق رسمي فلسطيني أن الاستفزازات العسكرية الإسرائيلية تتواصل في محيط مقر الرئيس عرفات و«تتصاعد ذروتها في تطبيق الحصار والاستعدادات العسكرية حوله مقدمة لعمل إجرامي ضد المقر ومن فيه»، ووجه عرفات كلمة إلى أهالي نابلس والمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية الأخرى حيا فيها صمودهم، وأعلن أنه يتابع عن كثب «ما تعرضتم له من دمار وقتل وتخريب...».

ويستمر الحصار حول كنيسة المهد في بيت لحم، والاعتداء على منازل المواطنين في المدينة والاستفزازات والاعتداءات على المواطنين في نابلس، وأعادت القوات الإسرائيلية احتلال مناطق الشعراوية والجاروشية وعتيل وزيتا وعلار ودير الغصون حول طولكرم، وفرضت عليها منع التجول، وصادر الجيش ثمانية آلاف دونم، وجرف بساتين الزيتون لشق طريق بين طولكرم وسلفيت، ويستمر الحصار والإغلاق الكامل مفروضا على مدينة الخليل والبلدات والقرى المحيطة بها خصوصا تفوح وجسر حلحول وبيت كاحل وبيت عينون.

وأعلن رئيس الوفد الفلسطيني في المحادثات المتعلقة برفع الحصار عن كنيسة المهد صلاح التعمري عدم التوصل إلى اتفاق مع المفاوضين الإسرائيليين بعد أكثر من أربع ساعات ونصف ساعة من المحادثات (الجولة الخامسة من المفاوضات).

وأعلنت القانون الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة أنه «رغم القرار الذي أصدرته المحكمة العليا الإسرائيلية بتاريخ ٦/ ٩/ ١٩٩٩، والذي تحرم فيه أساليب التعذيب المستخدمة ضد المعتقلين إلا أن الإسرائيليين لا زالوا يستخدمون هذه الأساليب ضد المعتقلين الفلسطينيين وعلى نطاق واسع».

وأعلن الناطق العسكري الإسرائيلي أن الجيش الإسرائيلي اعترض عنصرا مسلحا برشاش كلاشينكوف حاول التسلل من الأردن إلى الضفة الغربية بعد عملية مطاردة قرب مستوطنة أرغمان في وادي الأردن، وأطلق عليه النار واعتقله بعد إصابته بجروح.

وذكرت صحيفة «هآرتس» أن فتى فلسطينيا قُتل برصاص الجيش الإسرائيلي على حاجز عسكري عند مدينة حلحول شمالي الخليل، وأُصيب الفتى بعيار ناري أطلقه الجيش وأصابه في رأسه في أثناء مروره على حاجز سعير – حلحول شمالي الخليل في طريقه إلى المدرسة، وأعلنت مصادر عسكرية إسرائيلية أن التوغل الإسرائيلي الأخير داخل قلقيلية المحاذية لإسرائيل أتاح تجنب هموم «لا سابق له» على تل أبيب إذ كانت الجبهة الشعبية «تعد لعملية تفجير ضخمة تحت واحدة على الأقل من ناطحات السحاب وسط إسرائيل».

وعلى الجانب الثوري الفلسطيني أصدرت «كتائب الشهيد عز الدين القسام» بيانا أعلنت فيه أن إحدى مجموعاتها العسكرية قامت باقتحام مستعمرة أدورا في مدينة الخليل. حيث قتل خمسة من الإسرائيليين، وجرح الكثيرون منهم، وأعلنت كتائب القسام مسؤوليتها الكاملة عن هذه العملية.

وفي الوقت نفسه اتصل عضو في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بوكالة الصحافة الفرنسية، وأعلن مسؤولية الجبهة عن عملية أدورا.

***

«كتائب الشهيد القائد أبو علي مصطفى» الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تصدر بيانا تشيد فيه بـ «المبادرة القومية» للأمين العام لـ «حزب الله» في لبنان، السيد حسن نصرالله، لـ «فك الحصار وإطلاق سراح الرفاق الأربعة أبطال عملية تصفية الصهيوني المتطرف رحبعام زئيفي وغيرهم من المتحصنين في كنيسة المهد في بيت لحم»، وخاطب البيان السيد نصرالله بالقول: «نثمن ضرباتكم الموجعة ضد العدو

الصهيوني في مزارع شبعا، والتي تلعب دورا هاما في دعم الانتفاضة، والمقاومة، وتضاف لدعمكم السياسي والمادي والإعلامي الذي تقدمونه لخدمة شعبنا وانتفاضته ومقاومته الباسلة».

وكان الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله قد أدلى ببيان هذا نصه: «نظرا إلى المخاطر التي تحيط بمصير الأخوة الأربعة المتهمين بقتل وزير السياحة الصهيوني المحاصرين في رام الله، وكذلك ما يحيط بمصير الأخوة المحاصرين في كنيسة المهد في بيت لحم وفشل كل المساعي المطروحة لمعالجة هاتين القضيتين:

«يعلن حزب الله استعداده للتفاوض من خلال أي وسيط ممكن للتوصل إلى إطلاق هؤلاء الإخوة جميعا وحل هاتين القضيتين نهائيا في مقابل من يتفق عليه من الأسرى الموجودين لدى حزب الله.

«ونحن حاضرون لبدء التفاوض منذ هذه اللحظة لإنهاء هذه المأساة الإنسانية».

وبحثت الحكومة الإسرائيلية، في اجتماعها يوم ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٢ في موضوع لجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين، وفي اقتراح الرئيس بوش بشأن وضع قتلة رحبعام زئيفي في سجن تحت رقابة أمريكية – بريطانية. ثم جرى تصويت فنال الاقتراح الأمريكي ١٧ صوتا (ضد ٨) بعد أن وضع شارون كل ثقله لمصلحة الاقتراح، لكن وزراء الليكود صوتوا في معظمهم ضد رئيس الحكومة، الذي أذعن لضغط أمريكي «قاس»، واعتبر نجل الوزير زئيفي قرار شارون «نقضا صارخا» لالتزامه الشخصي.

وذكرت إذاعة الجيش الإسرائيلي أن الحكومة الإسرائيلية قررت في اجتماعها (٢٨/ ٤) من خلال عملية تصويت، رفض التعاون مع فريق الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين، ويعارض رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي، شاؤول موفاز، وغيره من القادة العسكريين التعاون مع اللجنة، وتعريض الجنود والقادة الميدانيين الذين أشرفوا على العمليات العسكرية من مخيم جنين للمحاكمة بارتكاب جرائم حرب، ودعا موفاز إلى منع وصول اللجنة إلى المنطقة.

وبلغ وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس الأمم المتحدة تعليق وصول لجنة تقصي الحقائق في أحداث مخيم جنين.

وأعلنت مصادر في مطار جنيف الدولي أنه تم إلغاء رحلة بعثة الأمم المتحدة لتقصي

الحقائق في أحداث مخيم جنين. وكان من المتوقع وصول البعثة إلى إسرائيل في ٢٨/ ٤ بطائرة سويسرية.

واعتبرت صحيفة «هآرتس» أن تعيين لجنة لتقصي الحقائق في مخيم جنين هو «مصيدة» أعدها كوفي عنان لوزير الخارجية الإسرائيلي بيرس، ويشكل ذلك فشلا لوزارة الخارجية، وفشلا عمليا للجيش الذي كان عليه القيام بتحقيق داخلي في أحداث جنين.

وكشف تحقيق داخلي للجيش الإسرائيلي، نشرت صحيفة «هآرتس» مقتطفات منه، أن المروحيات الإسرائيلية أطلقت ٣٠٠ صاروخ على مخيم جنين، وذكرت أن عدد قتلى الجنود الإسرائيليين بلغ ١٣ في المخيم، وأشار التقرير إلى أن قائد الوحدة هو الذي أصيب في الدبابة، وأن الجنود قتلوا في أغلبيتهم خلال محاولة إنقاذه، وذلك بإطلاق النار عليهم الواحد تلو الآخر، وسط إلقاء عبوات ناسفة من سطوح المنازل، وأشار التقرير إلى ضعف وحدة الاحتياط التي شاركت في اجتياح المخيم، وإلى غياب لغة مشتركة بين القوات التي شاركت في المعركة.

وأعلن وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، في مؤتمر صحفي مشترك في تل أبيب مع نظيره الروماني، أن قرار الحكومة فك الحصار عن الرئيس عرفات، ووضع منفذي عملية اغتيال الوزير رحبعام زئيفي تحت حراسة أمريكية – بريطانية كان «صائبا». وقال: إن ما حدث في جنين لم يكن مجزرة فقد (قتل سبعة مدنيين فقط)، وأن الخلاف مع الأمم المتحدة بشأن لجنة تقصي الحقائق يتعلق باستدعاء الشهود.

وبلَّغت مصادر إسرائيلية صحيفة «هآرتس» أن الحكومة الإسرائيلية استقبلت بفتور خطة السلام السعودية المؤلفة من ثماني نقاط، والتي عرضها ولي التعهد السعودي، الأمير عبدالله على الرئيس جورج بوش في ٢٥/ ٤.

ورفضت إسرائيل اقتراح «حزب الله» مبادلة أسرى إسرائيليين لديه بالإفراج عن الفلسطينيين المحاصرين في كنيسة المهد في بيت لحم، وفي مقر رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات في رام الله، وقال ناطق باسم وزارة الدفاع الإسرائيلية أن «اقتراح حزب الله ليس جديا»، واصفا إياه بـ«مناورة دعائية».

وقدم عاموس جلعاد منسق الأنشطة الحكومية في الأراضي الفلسطينية، إلى لجنة الخارجية والأمن في الكنيست قائمة كاملة بالطعام والتجهيزات التي زودت بها القوات

الإسرائيلية مقر الرئيس عرفات في «المقاطعة» في رام الله خلال فترة حصاره منذ ٣٠ آذار حتى ٢٥ نيسان.

وحذر الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى أمام «منتدى الإعلام العربي» في دبي من خطة مبيتة لإقامة نظام إقليمي في الشرق الأوسط تحدد فيه أدوار ثانوية للبلاد العربية، وتملى عليها السياسات التي يتعين عليها اتباعها.

وبدأت أعمال الدورة الـ ٦٨ لضباط اتصال المكاتب الإقليمية لمقاطعة إسرائيل في دمشق بحضور ١٩ دولة عربية، ومندوبي جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ودعا أحمد خزعة المفوض العام للمقاطعة، الدول العربية إلى «تطوير أساليب المقاطعة الاقتصادية للشركات الإسرائيلية وكل من يدعمها».

وأعلن وزير الخارجية السعودي، الأمير سعود الفيصل في حديث إلى شبكة التلفزة الأمريكية «أي.بي.سي» معارضته لاقتراح رئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون عقد مؤتمر دولي بشأن الشرق الأوسط «يستثني كل الأطراف المهمة» واعتبره «فكرة سخيفة»، وأعرب الفيصل عن مشاعر الخيبة بسبب إخفاق الرئيس الأمريكي في إقناع رئيس الحكومة الإسرائيلية بسحب قواته من المناطق الفلسطينية، ورفض بقوة الاتهامات التي يوجهها أنصار إسرائيل في أمريكا إلى السعودية بأنها تمول الإرهاب والعمليات الاستشهادية؛ لأنها تجمع التبرعات والمساعدات الإنسانية وتوزعها على الفلسطينيين، مشددا على أن التبرعات توزع من خلال جمعيات ومؤسسات خيرية، ونفى وزير الخارجية السعودي أن يكون ولي العهد الأمير عبدالله قد هدد باستخدام النفط كسلاح سياسي ضد أمريكا.

وأعلنت شبكة التلفزة الإخبارية «فوكس نيوز»، نقلا عن مصادر استخباراتية إسرائيلية اكتشاف وثائق تثبت أن الحكومة السعودية دفعت مبالغ مالية لعائلات «الانتحاريين الفلسطينيين»، ولفلسطينيين آخرين قتلوا في حملات إرهابية ضد إسرائيل.

وصرح رئيس مجلس الأمن الحالي، السفير الروسي سيرغي لافروف، بشأن إيفاد لجنة لتقصي الحقائق في جنين، أن «أعضاء مجلس الأمن ما زالوا يشددون على التطبيق التام للقرار ١٤٠٥ (٢٠٠٢)، وهم يدعمون بقوة الأمين العام للأمم المتحدة في الجهود التي يبذلها لضمان نشر فوري للجنة تقصي الحقائق في جنين مع التعاون التام من جانب إسرائيل والسلطة الفلسطينية».

ورحب الرئيس جورج بوش بقرار الحكومة الإسرائيلية السماح للرئيس ياسر عرفات بالتنقل بحرية، وقال بوش في تصريحات للصحافيين: «الرئيس عرفات أصبح حرّاً في التنقل وحرّاً في القيادة. ونحن نتوقع أن يفعل ذلك»، وردا على سؤال عن دعوة الرئيس عرفات إلى واشنطن، قال بوش: إن عرفات «لم يكتسب احترامي، وعليه أن يكسب احترامي، بأن يتصرف كقائد وهناك الكثير من الفلسطينيين الذين يعانون وقد حان الوقت له كي يعمل».

وأعلن بوش أن قضية جنين «يجري العمل بصددها في الأمم المتحدة»، وبشأن الأزمة في بيت لحم، قال: «أعتقد بأننا نحرز تقدما نحو إنهاء ذلك الجزء من التوغل الإسرائيلي، ونحن نأمل بأن يتم تسويته».

وأعلن الرئيس جاك شيراك، في بيان صحافي أنه التقى السفير الإسرائيلي في فرنسا، وعبر له عن اهتمام فرنسا بالأحداث في الشرق الأوسط، وعن ضرورة الالتزام بالمطالب التي وافق عليها مجلس الأمن عدة مرات وبالإجماع وهي: انسحاب القوات الإسرائيلية، واحترام القانون الإنساني الدولي، وحماية المدنيين والرعايا الأجانب في المنطقة. وأعلن شيراك أنه تحدث أيضا مع ممثلة فلسطين في باريس الموجودة حاليا في غزة، وطلب منها نقل رسالة إلى الرئيس عرفات وتبلغيه أنه يجب القيام بمبادرات للتوصل إلى وقف للنار، لوضع حد نهائي للهجمات الإرهابية ضد المدنيين وضد الشعب الإسرائيلي.

ورحب كل من وزير الخارجية البريطاني جاك سترو والفرنسي أوبير فدرين، بالاقتراح الأمريكي بوضع المتهمين بقتل الوزير الإسرائيلي زئيفي تحت حراسة أمريكية – بريطانية، وأعلن المستشار العسكري البريطاني لمنظمة العفو الدولية الميجر المتقاعد ديفيد هولي، أن قيام إسرائيل بتدمير قسم من مخيم جنين للاجئين لا يبدو «مبررا عسكريا». لكنه استبعد الاتهامات الفلسطينية بأن مجزرة وقعت في المخيم، إذ لا أدلة تعزز هذه الاتهامات. نشرت هذا التصريح صحيفة «هآرتس»، لكن صحيفة «يديعوت أحرونوت» نسبت إلى هولي قوله: إن إسرائيل بهدمها بيوتا بعد انتهاء القتال وقتلها مواطنين فلسطينيين ارتكبت «جرائم حرب».

قالوا في حصار الرئيس

تحت عنوان ظلنا الظليل: أيتها الشجرة الخضراء اليانعة.. كتب محمد روحي:

أعرف أن ثمة من يكتب بواسطة القبان، أسميها «كتابة على الكيلو» وبواسطة المتر:

اسميها «كتابة بالمسطرة» وهؤلاء - والله - يجب محاكمتهم في الساحات العامة على مرأى ومسمع من الناس، الكتابة النبيلة، ينبغي لها ألا توزن، إلا بميزان أغلى وأدق من ميزان الذهب، ميزان العقل والعدل والضمير، وألا تقاس إلا بمسطرة القلب والشرف والصدق والحقيقة.

كاتب إغريقي قبل الميلاد.

كتب «يوريبدس» في مسرحيته «الفينيقيات» فقال:

ما هي طبيعة المنفى؟ وما الذي يجعله قاسيا؟

ثمة أمر واحد أسوأ منه، وهو ألا يمكن للمرء أن يفصح عما في باله، فألا يتمكن المرء من الإفصاح عما في أعماقه، تلكم هي العبودية).

السيف.. القلم

سأحاول أن أكتب عن الرئيس بطريقة مختلفة، بعيدة عن المعجم المنافق المكرور الممجوح إياه سأكسر السائد المستهلك المقزز، الذي يسيء للرجل أكثر مما يحسن إليه، أما قال لأدباء فلسطين : «إذا رأيتم فيّ اعوجاجا، فقوموّني في بسيوفكم»؟.

وانبرى له يومها شاعرنا الرائع «سميح القاسم» قائلا: «لو رأينا فيك اعوجاجا، لقومناه بأسنان أقلامنا».

الفرنسي بلزاك:

الروائي الفرنسي «بلزاك» في روايته «الفلاحون» واحد من شخوص الرواية قال: «يا أبنائي، لا تقتحموا الأشياء مباشرة، أنتم ضعفاء جدا، خذوها مني، اقتحموها جانبيا، تظاهروا بأنكم أموات، تمثلوا دور الكلب النائم».

أيها «الختيار» الحبيب خذها مني - منا - بلا مواربة: كلا، بل سنقتحم وتقتحم معنا «الغلط» و «العيب الوطني» ونقارعه وجها لوجه، أنت قوي جدا بنا، ونحن أقوياء جدا بك.

ومن راق له من الأحياء الأموات «عبيد المال والنفاق والتزلف» أن يتمثل ويمثل دور الكلب النائم فهو حر، أقصد فهو عبد.

جيمس سكوت:

إذ قال الكاتب «جيمس سكوت» مرة: «إن أولئك الذين تجبرهم السيطرة على وضع قناع على وجوههم سيكتشفون ذات يوم أن وجوههم قد نمت بحيث صارت توائم القناع».

أيها الشجرة الخضراء اليانعة الوارفة عيد ميلاد مبارك، كل سنة وقضيتنا بخير، كل عام وشعبنا الأكرم والأشجع والأوفى والأطيب والأصدق منا بخير.

ويقول محمود روحي عن حصار الرئيس. هو إهانة لكل أحرار العالم.. ففي ليلة العشر دقائق الشهيرة، أحسست بأني اختنق، هاتفت الأخ «محمد لطفي» - أمضى ١٨ عاما في معتقلات الاحتلال الإسرائيلي، قلت له: «يجب أن نخرج الناس للشوارع، الآن وفورا»، قال لي: «تحرك من عندك وسأتحرك من عندي، انتبهوا لأنفسكم» اتصلت بالأخ موسى أبو بكر - أمضى ذات المدة - قلت له لاهثا: «بسرعة، هات أولادك وأولاد الجيران وأولاد العمارة عمارة لا إله إلا الله، سبق وحاصرونا فيها» وكل الحارة، أنا وأولادي في الشارع.

قال لي : معي كل الذين ذكرتهم، أنا في الشارع وها نحن متجهون نحوكم.

اتصلت أيضا بآخرين وآخرين، قلت للحشد لما تجمع والتئم: (رحم الله امرأً عرف قدر نفسه، لا نريد الليلة أن تعمل جيفارا ولا عنترة، الهدف أن نسجل موقفا ونسمع صوتنا للعالم، ونفهم الاحتلال أن كل الشعب هو ياسر عرفات، لا نريد أي تهور ولا أية ارتجالات، لا نريد موتا مجانيا)، وافقني على رأيي الجميع، وخاصة جاري الطيب، الأخ الدكتور «محمد غضية» من وزارة التخطيط.

الجماهير الغاضبة انفلتت الوقت بعد منتصف الليل، الناس صغارا كبارا، ذكورا إناثا، أطفال وصبايا وشباب ونساء وشيوخ، الهتافات هدارة صاخبة مجلجلة، أما الكاتب الأجن منا كنا، فهو الطيراوي، ابن طيرة حيفا (عيسى عبدالحفيظ) فلقد طار قبل الجميع باتجاه المقاطعة محاولا أن يسهم بفك الحصار عن الرئيس.

ثوان، دقائق قليلة، نظرت حولي فلم أجد أحدا سواي والأخوين موسى ومرسي أبو غويلة، الأصوات الآدمية الكظيمة المبهوظة، تهز الأبدان والأرواح، أبواق السيارات تحرث الأرض وتخترق السموات، قلت للأخوين موسى ومرسي «إذا انجنوا ربعك

عقلك ما بفيدك، يللا».

وانطلقنا نحو «دوار الساعة»، وهناك وجدنا رام الله التحتا، بيتونيا، مخيم قدورة، مخيم الأمعري، رام الله البلد، ليلة كانت أشبه بيوم الحشر.

حاولنا أن نتفلسف قدام اليافعين (لنحرص أن تظل تظاهرتنا سلمية، هادئة، حضارية، لا قذف حجارة). الأشبال «طقعوا»، لنا قامت القيامة، وأثبتوا لي على الأقل، كم أنا سخيف، وكأن الحجارة ليست من بنات الحضارة.

بإيجاز شديد: تجندل ابني «شامخ» وابن الأخ موسى إبراهيم هناك على «دوار المنارة» وباختزال أشد لم قصصت هذه الحكاية؟

قصصتها لأقول: «إن حصار الرجل – سواء أحببناه أو كرهناه، وافقناه أو عارضناه – يعد إهانة لكل مسلم غيور وعربي شهم، وإذلال لكل إنسان شريف في العالم.

حصار الرئيس اعتبرته وما زلت أعتبره بمثابة إهانة شخصية لكل فلسطيني بالذات وبالتحديد، أحب هذا الرجل بطريقتي الخاصة أيضا، أو ليس هو قائدنا التاريخي المنتخب، الذي يدفع الآن ثمن عدم تفريطه بملف القدس واللاجئين والدولة الفلسطينية المستقلة؟

فأين وجه الغرابة والعجب، في العشرة دقائق التي هزت فلسطين؟

أوليست فعلا بمثابة مبايعة جديدة وانتخاب جديد للرئيس؟ أما كانت غضبة خالصة لوجه الله والوطن؟ هبت في وجه جنازير الاحتلال التي تتهادى وتتبختر و «تكزدر» فوق قفصنا الصدري وحنايانا؟

أما كانت هبة شعبية، تصدت لبساطير إسرائيل التي داست وما فتئت تدوس «وتدعس» على رقبة كرامة العرب؟

حقا إن رام الله وكل مدن وقرى ومخيمات الوطن كانت تقف خلف الأبواب ليلتها، تنتظر من يعلق الجرس، وقد علقه أشبالنا أولادنا الأشجع منا. قصصتها لأقول للرئيس: من النهر إلى البحر، من المحيط إلى الخليج، وطن زاهر بجماهيره، فالفقراء معنا ومعنا والأغنياء ينهبون.

* * *

وتحت عنوان «إليك حيث أنت، وجه حصارك يبدد قبح العالم، كتب أحمد رفيق عوض يقول:

أيها الزعيم الكبير؟

أنت حيث تقيم الآن، بين الركام والدمار، تجمل العالم، وتزيل قبحه وتسند انهياره وتهالكه.

أنت في غرفتك الضيقة قليلة التهوية، محطمة البلاط تجعل لهذا العالم البشع بياضا يرى، وجمالا يشاهد.

وفيما يستمتع الزعماء الآخرون بقصور فارهة وأثاث فاخر، فإنك في زهدك وتقشفك لك ألق الحكيم وزهوة المنتصر وحكمة القائد وجلد الزعيم.

لك المجد حيث أنت.

لك المجد وأنت تصنع الأيام والتاريخ، لك المجد وأنت ترفع السقوف عالية، وتضع المواقف في ذرواتها.

لك المجد مهما أراد لك الآخرون أن تغيب أو تهمش أو تتوارى، لك المجد وأنت محاصر على قمتك الشامخة.

لك المجد حيث صرت لنا وصرنا لك، نركض في سهول المجد والثبات والإيمان، نتوشح الأشجار ورائحة التراب.

لك المجد وأنت تحمل شعبك ويحملك شعبك إلى قمة أخرى من القمم التي ستذكرها البشرية في حكاياتها وتواريخها، محاصرا، محاصرا، قويا طودا شامخا.

لك المجد، حيث عادلت المدن والعواصم.

لطروادة أن تكره حصانها، ولعكا أن تحتفل بعوامها، وللينغراد أن تعتز بثلوجها، ولنا أن نعتز بعرفاتنا، وله أن يعتز بنا:

أيها الزعيم الكبير؟

لا يستطيع احد أن ينتزع منك كل هذا الحضور، ولا يستطيع أحد أن يغتصب مكانك الذي تبوأته بالجهد والعرق والتواصل، ولا يستطيع أحد أن يمنعك من دخول حديقة

الخالدين والزعماء الأكثر سطوعا.

أيها الزعيم الكبير،

أيها الصاعد من أرض فلسطين، المربكة والباهظة والمقدسة، أيها الطالع من ذلك التراث العميق والعريق لهذا التراب الذي رأى ما رأى، أيها المجبول من كل الآمال والآهات والأحزان والأحلام لشعوب هذه الأرض التي ذهبت والتي بقيت.

أنت ابن هذه الأرض القديمة، وأنت من تعلقت بها وناضلت من أجل حرية الإنسان فيها، ومن أجل حرية الأديان فيها، ومن أجل توفير الشمس لكل أسير ومنكسر.

أيها الزعيم الكبير،

ضاق الغزاة بك، وضاق من يملك أن يدمر الأرض سبعة مرات متتالية بموقفك الفذ، ضاقوا بإيمانك وصلابتك، ضاقوا بك لأنك تفضحهم وتكشف عوراتهم وعيوبهم ومثالبهم.

ضاقوا بك لأنك لا تشبههم ولا يشبهونك.

ضاقوا بمن يقرأ القرآن ويتهجد في الليل، ولا يحمل على كتفيه سوى أوسمة الشرف والزهد والاكتمال.

أيها الزعيم الكبير،

ربما كان من العار علينا جميعا أن نحيا حياة عادية وأنت محاصر..

ربما كان من العار علينا أن نمارس سلوكياتنا اليومية وأنت وتعاني ما تعاني، ربما كان من الأجدر والأكثر جدوى أن تتوقف حياتنا حتى تخرج علينا منتصرا، كبيرا ومكللا بالغار وأغصان الزيتون.

أيها الزعيم الكبير،

لا بأس، فصناع التاريخ لهم فضيلة لا تنسى على البشرية، إنهم يعلموننا كيف يمكن لفرد واحد أن يصبح شعبا بأكمله.

* * *

وتحت عنوان «نحتاج إلى الرئيس للبوح والإفصاح» كتب د. تيسير مشارقة:

حاصر حصارك لا مفر،

ياسر عرفات، رئيس فلسطين اسم مرتبط بالحصار، شيء مثير ويدعو للدهشة. كطائر الفينق دائما يأتي، قادما من وسط الدمار والحريق، ملوحا لنا ببيارق الانتصار القادم.

رئيس فلسطين يلوح بأجنحته بعنفوانه، ينفض الغبار عن وهج الهوية. حصار الرئيس حصار للهوية «غير القابلة للحصار». الهوية الوطنية التي تتسامى كل يوم وتتطور مع استمرار الصمود والثبات.

أذكر لما اشتدت الأزمة، وضاقت الأرض بما رحبت، اشتعلت القلوب غضبا، فخرج الناس إلى الشوارع وبدأت تهتف له، للرئيس، للهوية الثائرة، وبدا الزحف نحو المقاطعة لحماية الأب الفلسطيني، وحماية القلب النابض تحت الدمار. انطلقت السيارات تزمر والناس يصرخون بملء حناجرهم، حاصر حصارك لا مفر.. فأوقف الناس آلة الموت التي توغلت في الإيلام.

ظل الرئيس ياسر عرفات بطلا في السلام والحرب، وماهرا في الأداء والخطاب، وهذا سر بقائه الأسطوري، الكاريزما غير العادية التي يتحلى بها أذهلت البعيد قبل القريب، فاستمر الرئيس عنوانا للهوية ورمزا سياديا راسخا في الأرض تسيجه القلوب.

لأي هوية وطنية مفرداتها. وياسر عرفات من مفردات الهوية الوطنية الفلسطينية ورموزها. فصار مفردة غير قابلة للاندثار أو الانطواء أو التطويع.. مفردة راسخة في الأرض وفرعها في السماء.

مثله مثل الأنبياء والشهداء والقديسين على أرض فلسطين، حمل قضيته على كاهله كما حمل المسيح صليبه وسار نحو الخلود. رقم صعب يحسب حسابه الأعداء وأشباه الغزاة.

اذكر أيضا، أن تلاميذ إحدى المدارس الأوروبية، رشحوا الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات لزعامة الأمم المتحدة، في مفارقة عجيبة وإدراك فطري طفولي بأن ظلما ما وقع على الشعب الفلسطيني وتتحمل الأمم المتحدة المسؤولية، فهل تلبي الأمم المتحدة النداء؟!

«يكفينا فخرا أنه منا» هذا ما قاله عامل يبني في هذا الوطن.

فرئيس فلسطين يرمز للفخر والمجد عند الفلسطينيين أصبح طقسا من طقوس الناس، يلجؤون إليه في الملمات، ويطلبون منه نجدتهم فصار حارسا للنار المتوقدة دائما، يسهر على جذوتها من الانطفاء.

يحتاج الفلسطينيون إليه، ليتحدثوا إليه عن قرب، كطقس الأسلاف يحتاجون إليه للكشف عن دواخلهم وهمومهم يحتاجون إليك أيها الرئيس، فأنت رمز للسلف الصالح كالشهداء وصلاح الدين والأنبياء والقديسين.

«نلجأ إليه عندما تتبعثر الأشياء وتختلط الأفكار ويزمجر البحر ويعلو الموج. فالرئيس سيد البحر».

«واه عرفات» حين يختطف الموج السفينة الهادرة في البحر المتلاطم، صرخة حق تعلو لإله الحق طلبا للنجدة والنصر فتهدر الصرخة لنجدة المسيرة الهادرة.

وحين يشتد الجدل حول الثوابت الفلسطينية وتختلط الأنساب يحضر عرفات، على جواد مطهم ليقول كلمته الفاصلة بين القمح والزوان. الرئيس عرفات زعيم وحكيم بلا صولجانات أو نياشين، فالعلم الفلسطيني نيشانه الأول والأخير.

مثل زيتونة هو.

«في قلبه قنديل يضيء عتمتنا»

مثل سماء هو

«في روحه تحلق نجمتنا»

وتطرد عنه الغياب.

* * *

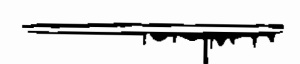
وتحت عنوان

عرفات أبهى وأروع وأكبر كتبت في افتتاحية العدد السادس والأربعين في صحيفة «فلسطين»: عيد ميلاد السيد الرئيس مناسبة للتذكر والتأمل، لتأمل الشخصية وحضورها وصناعتها للقرار والحدث، وصياغتها للإستراتيجية ضمن خطط تتراكم لتحقيق الهدف وقدرتها على الإدارة، وتميزها بالمرونة، واستجابتها الحية والمبدعة

للتغيرات والتطورات.

عرفات، كرجل دولة، استطاع إثبات أن الشعب الصغير يستطيع فعل المعجزات، واستطاع أن يجعل من قضية أريد لها أن تصغر، قضية إنسانية كونية، واستطاع أن يجعل من شعب مشرد ومنكوب شعبا صلبا وصعبا ورمزا للنهوض والاستنهاض، واستطاع أن يحيا في عالم ثنائي القطب، واستطاع أن يجعل من الثورة الفلسطينية حالة نضالية وفكرية واجتماعية استنهضت قوى الشعب وطاقاته الخلاقة. واستطاع أن يكسر شوكة الصهيونية وأطماعها، بل يمكن القول بهذا المجال أن عرفات وشعبه استطاعا أن يهزما الصهيونية وأحلامها التوسعية من خلال الثبات والصمود والاستمرار. في عيد ميلاد السيد الرئيس نستذكر محطات مضيئة، وتجارب عميقة، ووقفات وانعطافات، هي ما يميز كل ثورة عظيمة تجابه عدوا هائل القوة عظيم القدرات مدعوما من أقطاب الأرض جميعا.

الآن، وفي عيد ميلاده، وفي حصاره، يبدو الرئيس أقوى وأجمل، وهو آخر الزعماء أصحاب المبادئ الكبرى، يبدو في حصاره أبهى وأروع وأكبر الآن، وفيما يواجه ضغوطا هائلة وتحديات لا تقوى عليها الدول، يبدو هذا الرجل زعيما يليق بشعبه كما يليق شعبه به كل عام وأنت بخير أيها الرئيس.



مدينة خليل الرحمن
تحت نيران القوى الغاشمة

الاثنين ٢٠٠٢/٤/٢٩

في يوم الاثنين الموافقة ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٢ دمرت القوات الإسرائيلية برام الله مقر اللجنة العلمية الملحق بمباني الرئاسة، كما دمرت مباني أخرى منها مبنى خاص بالنقليات، بينما الحصار المضروب حول «المقاطعة» لا يزال مستمرا.

وفي بيت لحم، أعلنت مصادر في داخل كنيسة المهد المحاصرة استشهاد أحد المحتمين فيها (نضال عبيات – ٢٨ عاما) برصاص القوات الإسرائيلية،بينما كان يجمع بعض الأعشاب من ساحة الكنيسة لطهيها، وقد أصيب ثلاثة آخرون بجروح.

واقتحمت القوات الإسرائيلية بلدة دير شرف في محافظة نابلس، وفتحت نيران رشاشاتها الأمر الذي أدى إلى إصابة الكثيرين من المواطنين، ومنعت سيارات الإسعاف من نقلهم، وأصيب عشرة مواطنين آخرين، اثنان منهم في حالة الخطر، وفي مناطق أخرى من المحافظة بنيران القوات الإسرائيلية.

وشددت القوات الإسرائيلية حصارها على مدينة قلقيلية، كما واصلت منع المزارعين من الوصول إلى أراضيهم في مناطق بئر حبلة والحماميص، واعتقلت القوات الإسرائيلية خلال مداهمتها بلدة جيوس في محافظة قلقيلية اثنين من أهالي البلدة، هما أمجد عبدالله (٢٩ عاما) وهو متخلف عقليا، وفادي مثقال فايز جبر (٢٢ عاما)، واقتادتهما إلى جهة مجهولة.

وعززت القوات الإسرائيلية حصارها لمدينة طولكرم، من خلال انتشار الدبابات والآليات والجنود والحواجز العسكرية في محيط المدينة، وتعاني ضاحية شويكة وقرى فرعون وشوفة وسفارين جنوبي طولكرم، وبلدات عتيل ودير الغصون شمالي المدينة حصاراً مشدداً وعزلا للأسبوع الرابع على التوالي. وفي منطقة فرعون، لحقت بالمزارعين خسائر كبيرة جراء عدم تمكنهم من الوصول إلى أراضيهم الواقعة جنوبي وغربي الطريق الالتفافية التي قامت القوات الإسرائيلية بشقها في الأسبوع الماضي.

وأورد شهود عيان أن عشرات الدبابات والعربات المدرعة والطائرات الحربية اجتاحت في ساعة مبكرة من صباح اليوم مدينة الخليل، وبعض القرى المحيطة بها من كل الاتجاهات، وأعلنت مصادر طبية أن ١٣ مواطنا استشهدوا خلال الاجتياح، وجرح العشرات، واستهدفت سيارات الإسعاف في أثناء توجهها لأعمال الإنقاذ. وشن الجنود الإسرائيليون عمليات دهم وتفتيش وحملة اعتقالات شملت عدة مئات من المواطنين بينهم عدد كثير من الشيوخ والأطفال. واقتحمت منازل ومؤسسات مدنية وتعرضت لأعمال تخريب ونهب.

وأصدرت القانون الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة بياناً عن الاجتياح الإسرائيلي لمدينة الخليل وإعادة احتلال المدينة بالكامل. ورد في البيان أن اجتياح الخليل أدى إلى سقوط ثمانية شهداء، بينهم أحد أفراد قوات الأمن الوطني، وأن قوات الاحتلال قصفت ثلاثة محولات كهرباء رئيسية تغذي المدينة بالتيار الكهربائي، الأمر الذي أدى إلى انقطاع التيار عن المدينة انقطاعا كاملا، ومنعت سيارات الإسعاف والإنقاذ من التحرك، وشرعت في عمليات الاستيلاء على المقار المدنية والأمنية التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية وفي أعمال مداهمة للمنازل وحملات اعتقال في صفوف المواطنين، وطالب البيان مجلس الأمن بإصدار قرار واضح وصريح وملزم لحكومة إسرائيل لإجبارها على الانسحاب فورا من المناطق الخاضعة للسيادة الوطنية الفلسطينية.

وصرح الناطق العسكري الإسرائيلي بما يلي: يقوم الجيش الإسرائيلي منذ ليلة أمس بعمليات ضمن مدينة الخلل، واعتقل حتى الآن ١٧ مطلوبا من المشتبه فيهم، بينهم ناشطون من حماس والجهاد الإسلامي والتنظيم وعثرت القوات الإسرائيلية على حقائب متفجرات وبنادق كلاشينكوف وإم- ١٦، وصواريخ لاو، وأسلحة أخرى، وفي أعقاب

«المجزرة الوحشية» التي وقعت صباح السبت (٢٧/ ٤) في مستوطنة أدورا غربي الخليل التي قتل فيها أربعة مدنيين إسرائيليين وجرح آخرون، وبعد تلقي إنذارات بشأن هجمات إرهابية مخطط لها مصدرها الخليل، دخلت القوات الإسرائيلية المدينة ليل أمس، وهي تقوم باعتقالات وتبحث عن أسلحة، وشدد الناطق باسم الجيش على أن العملية في الخليل هي ضد البنية التحتية الإرهابية لا ضد السلطة الفلسطينية.

وقالت صحيفة «هآرتس» أن مصدرا عسكريا إسرائيلياً اعترف بأن ادعاءات الفلسطينيين بقيام الجيش الإسرائيلي بتدمير منهجي للأملاك، وخصوصا أجهزة الكمبيوتر، خلال العمليات العسكرية الأخيرة هي صحيحة في أكثرها.

* * *

نفى وزير الإعلام والثقافة الفلسطيني ياسر عبد ربه ما تناقله مسؤولون إسرائيليون لصحيفة «الحياة»، تفصيلات الخطة التي قدمها مسؤولون أمريكيون وبريطانيون في اجتماع مع الرئيس عرفات في ٢٨/ ٤، وهي تنص أولا على وضع الناشطين الأربعة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الذين حوكموا في سجن فلسطيني، تحت حراسة فلسطينية ومراقبة أمريكية وبريطانية. أما فيما يتعلق بالأمين العام للجبهة أحمد سعدات والمسؤول المالي في السلطة الفلسطينية فؤاد الشوبكي، فقال: إنه سيتم «نقلهما مع الأربعة، لكن فقط كموقوفين» والسلطة هي التي ستقرر إذا كانت ستحاكمهما، وبعد ذلك يأتي الانسحاب الإسرائيلي من «المقاطعة» ومن رام الله، وتحرك الرئيس عرفات في الداخل والخارج من دون أي قيد أو شرط. والنقطة الثانية تتعلق بكنسية المهد.

وأعلن رئيس الوفد الفلسطيني في المحادثات المتعلقة برفع الحصار عن كنيسة المهد صلاح التعمري أن الجانب الفلسطيني جمد المفاوضات مع الإسرائيليين «احتجاجا على رفضهم إدخال الطعام واحتجاجا على الممارسات الإسرائيلية كافة ومنها استمرار القناصة بإطلاق النار واستهداف المحاصرين»، وكان نضال عبيات قتل صباحا برصاص جنود، ليصبح بذلك سادس فلسطيني يقتل منذ بداية حصار الكنيسة، كما أصيب ليل ٢٨ – ٢٩/ ٤ فلسطينيان متحصنان في الكنيسة برصاص الإسرائيليين ليرتفع عدد الذين أصيبوا داخلها إلى ثمانية فلسطينيين، معظمهم من الأجهزة الأمنية، وكانت المفاوضات بين الجانبين توصلت إلى اتفاق يقضي بإطلاق ١٥ مدنيا من المحاصرين.

ورفض الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين رمضان عبدالله شلح في

حديث إلى صحيفة «الحياة» الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل بوساطة أمريكية بشأن المتهمين الفلسطينيين باغتيال الوزير زئيفي، وفي سياق الحديث روى تفصيلات الكمين الذي نصبه المقاتلون الفلسطينيون للجنود الإسرائيليين في مخيم جنين.

وأصدر المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بيانا انتقد فيه موافقة السلطة الفلسطينية على الاقتراح الأمريكي بشأن منفذي عملية اغتيال الوزير الإسرائيلي رحبعام زئيفي، وبدا الاتفاق كأنه «صفقة لفك الحصار عن الرئيس الفلسطيني»، ودعا البيان إلى «إطلاق سراح هؤلاء الأبطال وغيرهم من المعتقلين السياسيين في سجون السلطة الفلسطينية»، وفي مقدمتهم الأمين العام أحمد سعدات.

ورفض مصدر مسؤول في حركة «حماس»، في تصريح صحافي موافقة السلطة الفلسطينية على اقتراح الرئيس بوش بشأن المتهمين بقتل وزير السياحة الإسرائيلي، رحبعام زئيفي، وقال المصدر: «إن محاولة تركيز كل الاهتمام والجهود على مسألة رفع الحصار عن السيد ياسر عرفات هو تقزيم فاضح لقضيتنا الفلسطينية، وتجاهل مرفوض للحصار الكبير والخانق الذي يعاني منه كل أبناء الشعب الفلسطيني وليس السيد عرفات وحده».

وبلّغ وزير الدفاع الإسرائيلي بيامين بن إليعيزر لجنة الخارجية والأمن في الكنيست أن نهاية عملية «السور الواقي» لا تعني نهاية الحرب على الإرهاب، ووصف عملية الجيش الإسرائيلي في الخليل بأنها «محدودة»، وقال: إن الجيش اعتقل هناك ١٧ فلسطينيا وعثر على حقيبتين مليئتين بالمتفجرات، وعلى سيارة مفخخة وأنه يعمل استنادا إلى معلومات استخباراتية، وقال بن إليعيزر أن الجدار الأمني المزمع بناؤه على امتداد «الخط الأخضر» من جنين إلى قلقيلية يجب أن يمتد في المستقبل لإقامة فصل أمني كامل.

وفي اجتماع مع نواب حزب العمل في الكنيست، قال بن إليعيزر أن مقر الرئيس عرفات في رام الله لن يكون في أيدي إسرائيل في غضون أسبوع، وأعلن أنه «ابتداءً من اليوم، أصبح عرفات حرا في الذهاب حيث يريد». وأمل بن إليعيزر بحل أزمة كنيسة المهد في غضون أيام، وأن الحكومة تقدر أن هناك ٢٥ مطلوبا بين مئة موجودين في الكنيسة. ونسبت صحيفة «هآرتس» إلى بن إليعيزر، قوله أمام لجنة الدفاع والأمن في

الكنيست أنه عرض على رئيس الأمن الوقائي في قطاع غزة، محمد دحلان، السيطرة على القطاع وانسحابا إسرائيليا كاملا منه، لكن دحلان لم يرد بعد على عرضه.

وأقرت الحكومة الإسرائيلية بأغلبية ١٧ وزيرا في مقابل معارضة تسعة وزراء وامتناع وزير واحد من التصويت، خطة التقليصات التي طرحتها وزارة المالية، والتي سيتم بموجبها تقليص ١٣ مليار شيكل من ميزانية سنة ٢٠٠٢، وقد أقرت الحكومة تقليص ٥٠ في المائة من الامتيازات الممنوحة لسكان النقب والجليل والمستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وتسلم الأمين العام لجامعة الدول العربية، عمرو موسى، شيكا بقيمة أربعة ملايين دولار تمثل حصة مملكة البحرين في الدعم المالي الذي قررته القمة العربية في بيروت للسلطة الفلسطينية.

وأعلن الناطق باسم فريق تقصي الحقائق في أحداث مخيم جنين، ستيفان دوجاريك أسماء خبراء عسكريين وخبراء شرطة سينضمون إلى فريق تقصي الحقائق، وقال دوجاريك، في جنيف حيث يستعد الفريق للرحلة، أن اثنين من المساعدين الجدد سيعملون مع الجنرال الأمريكي المتقاعد وليم ناش، المستشار العسكري للفريق، وهما الكولونيل الإنكليزي مايلز وايد وخبير التخطيط في الجيش الفرنسي، كزافييه توماس.

وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان أنه قدم إيضاحات وبعث برسالة لكل من إسرائيل والسلطة الفلسطينية شرح فيها بدقة عمل لجنة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة في مخيم جنين. وصرح للصحافيين في نيويورك أنه يتوقع أن تسوى الخلافات (مع إسرائيل) في هذا الشأن.

وأشادت مستشارة الرئيس الأمريكي في شؤون الأمن القومي كوندليزا رايس في خطاب في جامعة جون هوبكنز بالمبادرة السعودية للسلام في الشرق الأوسط، وقالت أن بعض عناصر هذه المبادرة سيتم البحث فيه في المفاوضات.

وأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر في مؤتمره الصحافي اليومي، أن وزير الخارجية كولن باول «يتعاطى بصورة شاملة ومع كافة الأطراف» سعيا لحل المسائل المتصلة بالتوغل العسكري الإسرائيلي في المناطق الفلسطينية، ومحاولة الأمم المتحدة إيفاد بعثة تقصي حقائق إلى مخيم جنين للاجئين. وأوضح باوتشر أنه

يتعين التطرق إلى ثلاثة أسئلة أساسية: الأمن والحرية من الإرهاب للإسرائيليين والفلسطينيين؛ تسريع وتيرة المفاوضات السياسية؛ تقديم مساعدات اقتصادية وإنسانية لتلبية الوضع اليائس للشعب الفلسطيني.

وعقد وزير الخارجية الأمريكي كولن باول ووزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر مؤتمرا صحافيا مشتركا في ختام مباحثاتهما في واشنطن، وزير الخارجية الألماني فيشر تعهد بأن تعمل ألمانيا والاتحاد الأوروبي بجد «لتظل متلاحمة» مع الولايات المتحدة لحل الأزمة في الشرق الأوسط، ووزير الخارجية الأمريكي كولن باول اعتبر أن «جميع العناصر» موجودة لتحقيق تقدم في أزمة بيت لحم، وتوقع أن يتم الانتهاء من وضع تفصيلات الاتفاق بشأن حصار مقر الرئيس الفلسطيني في رام الله خلال الأربع والعشرين أو الثماني والأربعين ساعة المقبلة.

وأعلن وزير الخارجية البريطاني جاك سترو في بيان أمام مجلس العموم، أن «على إسرائيل أن تتعاون من دون تأخير مع فريق الأمم المتحدة لمعرفة الحقائق» في مخيم جنين.

وأعلن وزير الخارجية البريطاني جاك سترو في حديث متلفز، أن بلده وافق على تأمين حراس بريطانيين لستة فلسطينيين، منهم أربعة متهمين بقتل وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي، استجابة لرغبة إسرائيل.

وأصدر وزير الخارجية الفرنسي أوبير فدرين بيانا رحَّب فيه برفع الحصار عن مقر الرئيس ياسر عرفات في رام الله وأشاد بالجهود التي بذلتها الولايات المتحدة للتوصل إلى هذا القرار، وأكد فدرين أن لجنة تقصي الحقائق في أحداث مخيم جنين يجب أن تبدأ عملها من دون تأخير.

وشدد الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية ألكسندر ياكوفنكو على ضرورة التطبيق التام لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٠٥ المتعلق بإرسال لجنة لتقصي الحقائق في مخيم جنين.

وزار المبعوث الأوروبي لعملية السلام في الشرق الأوسط، ميغال إنخل موراتينوس، مخيم جنين، ووصف الدمار في المخيم بأنه «مأساة إنسانية».

وأورد مصدر في الفاتيكان أن البابا يوحنا بولس الثاني قرر إرسال الكاردينال الفرنسي

روجيه إتشيغاري إلى الأرض المقدسة في محاولة لدفع المفاوضات الهادفة إلى رفع الحصار عن كنيسة المهد في بيت لحم.

وقالت الأمينة العامة لمنظمة العفو الدولية أيرين خان أنها «تشعر بالذعر إزاء استمرار رفض الحكومة الإسرائيلية التعاون مع فريق تقصي الحقائق الذي شكله الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان»، وأضافت السيدة خان أنه «من الضروري جدا أن تسمح الحكومة الإسرائيلية لفريق تقصي الحقائق التابع للأمم المتحدة المؤلف من خبراء ببدء عمله. باستقلالية تامة، ومن دون المزيد من التأخير»، ودعت إسرائيل والسلطة الفلسطينية إلى التعاون الكامل مع فريق الأمم المتحدة، وأكدت أنه «من حق الضحايا وعائلاتهم معرفة الحقيقة»، ودعت السيدة خان إلى وقف أعمال القتل «ولا عذر لاستهداف المدنيين سواء كانوا في حيفا أو جنين أو تل أبيب أو الخليل».

زارت السيدة خان ومندوبون آخرون عن منظمة العفو الدولية، بمن فيهم مستشار عسكري، إسرائيل والأراضي المحتلة، وفي مخيم جنين قالت إن مندوبي المنظمة «عثروا على أدلة موثوق بها على حدوث انتهاكات جسيمة للقانون الإنساني».

الرئيس.. صورة من قريب:

وتحت عنوان (ياسر عرفات رمزا للثورة الفلسطينية والحصار في المقاطعة) كتب حسين حجازي:

ظل ياسر عرفات رمزا للثورة الفلسطينية على مدى أكثر من أربعين عاما، وكان ينظر إليه على أنه تجسيد للنضال الفلسطينيّ منذ انطلاق شرارة الكفاح المسلح في كانون الأول ١٩٦٥ على يد حركة فتح.

لكنه بُعيد سنوات قليلة أصبح رئيسا لسلطة تنفيذية فلسطينية لا وجود لها واقعيا، إذ كان يفترض أن تدير مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة التي أعادت إسرائيل احتلالها.

وإذا كان عرفات قد فقد الإجماع العربي بتوقيعه في عام ١٩٩٣ اتفاقات أوسلو التي اعترف بموجبها بحق إسرائيل في الوجود، مقابل وعد بإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة فإنه عاد واستعاد بعد سبع سنوات جزءا كبيراً من شعبيته كمدافع شرس عن حقوق الشعب الفلسطيني.

ففي تموز عام ٢٠٠٠ استقبل العالم العربي ياسر عرفات استقبال الأبطال لدى عودته من مفاوضات كامب ديفيد بعد أن رفض التفريط في حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة وفي السيادة الفلسطينية على المسجد الأقصى، حسب ما يقول الباحث في مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام عماد جاد.

وبعد شهرين ومع انطلاق انتفاضة الأقصى في الثامن والعشرين من أيلول ٢٠٠٠، استطاع عرفات أن يحظى بدعم شامل في العالم العربي كله بلا استثناء غير أن عرفات بدأ بعد ذلك في التراجع شيئا فشيئا تحت وطأة التصعيد العسكري الإسرائيلي على الأرض من جهة والضغوط السياسية الأمريكية المتنامية من جهة أخرى.

فقد أعلن في آخر آذار ٢٠٠٢ أنه سيصمد مع شعبه في الأراضي المحتلة حتى يموت شهيدا، فيما كانت الجرافات الإسرائيلية تحاصر مقره في المقاطعة وتهدد بتدميره على رؤوس من فيه ضمن العملية العسكرية واسعة النطاق السور الواقي، ولكن الزعيم الفلسطيني عاد واستجاب جزئيا للشروط الإسرائيلية بموافقته على تسليم مقاتلين فلسطينيين كانوا متحصنين بمقره بالمقاطعة.

وبموجب الاتفاق نفسه وافق عرفات على إيداع الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعدات، مع أربعة من أعضاء حركته المتهمين بالاشتراك في اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي في تشرين الأول ٢٠٠١، في سجن أريحا تحت مراقبة أمريكية بريطانية.

وأثارت الصور، التي بثتها آنذاك محطات التلفزة الفضائية العربية، للمقاتلين الفلسطينيين وهم يغادرون المقاطعة على متن حافلات ليتم تسليمهم إلى الجيش الإسرائيلي استياء وحزنا في العالم العربي. ومع استمرار حصار مقر قيادة عرفات، وفي ظل دعم محدود لعرفات من القادة العرب بسبب الضغوط الأمريكية التي تعرضوا لها من حليفتهم الأمريكية الذي يلح على ضرورة رفع أي غطاء عربي عن عرفات، بدأت تطفو على السطح مظاهر ضعف في السلطة الفلسطينية.

إنَّ أحدا لا يستطيع نكران الدور التاريخي الذي لعبه هذا الرجل في حياة مصير شعبه وأنه تحت قيادته تحول الشعب الفلسطيني من مجرد شعب زائد، كما كان يقال همسا، أو كمجموعة من اللاجئين البؤساء إلى شعب قوي العريكة لا يمكن لأحد القفز عن حقوقه.

وتشاء المفارقة التاريخية أن الاعتراف الأول وغير المسبوق بآلام وتضحيات الفلسطينيين وكفاحهم تحت قيادة عرفات قد صدر عن غريم عرفات الأشد بأسا، أرئيل شارون، من على منصة الكنيست في ذات الوقت الذي كان يبدو فيه عرفات، وكأنه في الصراع الأخير من أجل البقاء بجسده وروحه.

لأول مرة يخاطب رجل مثل شارون شعب ياسر عرفات مضمنا خطابه هذا الاعتراف بجدارة كفاحهم، وجدارتهم هم أنفسهم ليسوا بوصفهم «العرب» قليلي الأهمية والاعتبار، ولكن بصفتهم الاعتبارية كجيران ينبغي أخذهم بالحسبان والتعامل معهم كحقيقة سياسية على قدم المساواة.

إن كلمات شارون، وحتى انسحابه من غزة، وتفكيك الاستيطان الذي كان شارون قد رفضه، ولو من غزة أولا، ربما نظر الآن له، على نحو تراجيدي، في ذات الوقت، الذي بدأ فيه الصراع ينال من جسد الرجل الذي ظل على مدى أربعين عاما، يجسد صورة الشخص الكريه والممقوت من قبل شارون، وكما لو أننا نعيش مشهدا من الدراما التاريخية، حدثت فصولها في عصور لا تمت بصلة لعالمنا الراهن، فقد رأينا كيف أن الأبطال الأعداء، يتصرفون في ذروة هذه الدراما، بقدر من الشهامة الفروسية، كما لو أنهم يؤدون مشهدا من زمن لويس الرابع عشر، حيث يسمح شارون الذي يفرض الحصار على عرفات، لخصمه أن يقلع بالطائرة من مقر إقامته، والذهاب إلى باريس لتلقي العلاج، مع الأمنيات بالشفاء العاجل.

وتحت عنوان «نبراس دربنا أبو عمار» كتب يزن محمود الصغيري:

«قدر الله حق لا مفر منه، ونحن عندما نرثي المناضل العتيد الرئيس الشهيد ياسر عرفات، إنما نحاول أن نستذكر آخر رجالات مرحلة الفرسان آخر رموزها الكبار؛ أمثال المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر، المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز.. وأخيرا المناضل الشهيد الرئيس ياسر عرفات، ذلك الومض المضيء الذي زين تاريخ الثورة الفلسطينية، وأخرجها من ظلمات التعتيم الصهيوني الإعلامي، إلى العالمية. أصبح صوت الشعب الفلسطيني مسموعا برغم سياسات صم الآذان التي تتبعها بعض الحكومات في العالم وعلى رأسها الإدارة الأمريكية بعد أن كانت إسرائيل الطفلة المدللة لدول العالم الأول، وبعد أن كانت القضية «أن نرمي أو لا نرمي اليهود في البحر»، استطاع ذلك المناضل الباسل الفريد رحمه الله أن يقضي على الأكذوبة الصهيونية الحلم.

استطاع أن يفتح عين العالم على الحقيقة، تلك الحقيقة التي ضاعت في يوم من الأيام تحت عجلات التزييف والتحريف.

ومن مأثوراته الخالدة التي ميزته حقا أنه استطاع أن يجمع خيوط العالم العربي من مشرقه لمغربه، برغم مكايدات عالم السياسيين الموبوء. لقد كان رحمه الله المعلم الأول في النضال، في السياسة، في الوطنية، في التضحية، في الشموخ. كان خير من رفع سلاحا عندما نادت الكرامة. وكان أصدق من رفع غصن الزيتون دون أن ينسى الكرامة. لذلك فمن مأثوراته الخالدة أيضا، إنه الزعيم العربي الأجدر الذي استطاع أن يجمع بطولتي الحرب والسلام. كثيرا ما صبغ القادة العرب أنفسهم بهذا اللقب. وبغض النظر عن أحقية هذا أو ذاك - دعونا نترك هذا للتاريخ - لكن زعيم الثورة الفلسطينية استحق هذا اللقب دون أن يردده المنافقون أو يكتبوه على الجدران بالصور الملونة!

أما ما ورثناه منه بعد رحيله، فحقا لا يقدر بثمن. لقد ترك الراحل لنا وفينا ذخيرة معنوية وأخرى مادية.

أولا، لا أعني بالذخيرة المعنوية حب فلسطين، فكلنا نحب فلسطين. ما أعنيه هو حب القضية، «قضية وجود فلسطين». لقد أثبت التاريخ لأكثر من نصف قرن بالتجربة والبرهان أن الحب العاطفي لفلسطين لا يكفي لتحقيق الوجود. لا بد من الإيمان به، بوجود الدولة؛ أو بالأحرى لا بد من تحويل وجود هذه الدولة إلى عقيدة. فعندما تتحول الأفكار إلى عقائد يحدث التغيير.

أما الذخيرة المادية، فهي أسس وجود هذه الدولة. وأكبر دليل على ذلك هو تلك اللحظات المأساوية التي تلت غيابه، جميع أعداء فلسطين، لا بل وحتى بعض أصدقائها ومحبيها، راهنوا على انهيار هرم السلطة بعد هذه الفاجعة. وقد جاءت النتيجة لتسحق تلك التوقعات. فبرغم حالة الحصار والظلم والقهر التي يعيشها الشعب الفلسطيني برغم فيضان العواطف الذي اجتاح الجنازة الرسمية للزعيم الخالد، والذي فسره بعض الحمقى على أنه عودة لعصر الفوضى، تمكن رفاق السلاح والسلام من تجميع الخيوط بحسب النظام والقانون والدستور. وما خاب من كان أبو عمار نبراس دربه وملهمه الروحي.

سيدي الفارس الأخير.

أيها الشجاع.

أيها الصامد.

يا صوت الضمير.

هناك.

في عالي علاك.

نجمة تعلو سماك.

تعلو وتعلو.

وكلما علت تصيح.

«يا جبل ما يهزك ريح».

أخيرا، أتوجه إلى زنبقة الشهيد ياسر عرفات، إلى زهوته. رحم الله من سمّاك زهوة، فلك يا بنت الشهيد ألف زهوة وزهوة لأن اسمك: زهوة ياسر عرفات.

***

وتحت عنوان «ميعادا ميعادا.. يا أبا عمار كتب الشاعر الفلسطيني أيمن اللبدى:

وصلت يا أبار عمار.

فالسماء غير السماء، والأرض غير الأرض، والهواء غير الهواء.

وبعدك نحن مهما اجتهدنا لن نجيد الاختصار.

فهذا الفن فنك وحدك، وهذا العلم لا يقبل الانتشار.

ومهما حاولنا فلا صبرنا صبر ياسر، ولا عزمنا ما تحمله «الختيار».

وصلت يا أبا عمار.

***

سافرت قلوبنا وأرواحنا فاستقر حبك الكبير فيها، وعبرت منها إليها دون انتظار.

طارت يماماتنا على مشارف نبضك، فأسكنتها في راحة كفك وأسكنتنا معها بين ذراعيك مثل الصغار.

وأبت آلامنا وآمالنا وأيامنا إلا أن تلحقك، فالتحفتها بين عينيك، سفيرا لها وأن عزت السلوى وغاب الدثار.

أما الأسماء فقديمها وجديدها يستعد لرحلة بين العيون والحلم وساحة من فسحة فيها اعتذار.

وصلت يا أبار عمار.

***

أحببت الضم في الأسماء كما أحببت الرفع في الكلمات.

فرفعت غصن الزيتون في هيئة الأمم فاعلا مكررا مؤكدا، ورفعت العلم على أسوار القدس دائما في كل الجمل والتراكيب، وضحكت من بلاغة اللغة وقواعد الإعراب، وفتحت ذراعيك للحياة فضممتها، وضممتنا معها على أمل الوصول معك برغم رحلة الشقاء، وسفر العذاب.

نصف لغات الأرض نطقت باسم فلسطين من وحي الكوفية، ونصفها هتفت لها من وحي الهامة الأبية، فكنت في الحالين أمير الفصاحة والبيان وأمير الدعاة وصانع الكتابة وجامع الكتاب.

وصلت يا أبار عمار.

***

ضربت خيمتك الكبيرة بين الأرض والأرض.

فكنت خيمة الضاد وخيمة الإنسان وخيمة القدس في ذات الدفق والنبض.

وجمعت في حياتك كما جمعت في وصولك يا معلم الحرية، ويا باني الإنسانية فيها سنةً وفرضاً.

خطوت بين الألغام دون انشغال بها، وحولتها بدل أن تكون ساحة للموت والخراب إلى ساحة لجمع الشمل ودارٍ للقاء حول بيتك الكبير وصبرك الغض.

وصلت يا أبا عمار.

في السياسة ما أطعمتنا سمكة واحدة واكتفيت، ولكن علمتنا القنص والصيد.

وفي الثورة ما فككت لنا غير قفل واحد في أصعب الأبواب، ثم علمتنا كيف نفك القيد.

وفي المشوار أخذت منا القسم والعهد، فقلنا القسم هو القسم والعهد هو العهد ولا حياد.

وفي الأبوة أطلقت خزائن البشرية، فما ردها حاجز ولا أوقفها سد ولا وسعها حوض

وصلت يا أبا عمار.

* * *

بك رفعنا نصابنا في السماء وأنرنا دروب الجنة الفيحاء.

وأصبحت ليس فقط شهيد الأرض وشلال الدماء في فلسطين، بل أصبحت شهيد السماء.

يا صاحب اللا الوحيدة في قرن الخور والارتماء.

منحت مداد التاريخ بحرا جديدا للكتابة والإنشاء، وشغلت قادم الأيام بما شغلت سالف الأجيال.

فوق القدس روحك اليوم رغم صلف الكذب والادعاء.

وصلت يا أبا عمار.

* * *

يتامى من بعدك يا والد الأحرار.

بيد أن أبا فلسطين أحسن إعداد البيت وأحسن البيت الاختيار.

شعب واحد وخطوة واحدة.

فلسطين أولنا وآخرنا وفلسطين بيعتنا وعهدتنا وسنحسن الانتصار.

في أعناقنا القدس والعودة فاطمأن بأنا لن نساوم ولن نهادن، ولن ننعاك يا أبا فلسطين فانك ما رحلت وإنا ما ودعناك ولكنا أودعناك أو أوعدناك، فقرَّ عينا واسترح قليلا حتى نكمل المشوار.

ليس وداعا يا أبا فلسطين ولكن إلى لقاء يا صاحب الدار.

أبو عمار ميعادا، ميعادا يا أبا فلسطين، ميعادا يا أبا عمار.

***

وتحت عنوان ياسر عرفات.. «اللغز!» كتب روبرت مالي في صحيفة الواشنطن بوست:

تم اللقاء الأخير بيني وبين عرفات منذ أسابيع قليلة في أطلال مقره المدمر برام الله، حيث تناولنا عشاء متواضعا مكونا من الحساء والخضروات. كان الرجل يرتدي زيه العسكري الشهير في حين تجمعت على الطاولة التي يجلس إليها مجموعة من الملفات في انتظار توقيعه. كان الرجل يحاول أن يعطيك الانطباع بأنه قائد مقاومة مسلحة في حين أن إسرائيل يمكن أن تنتهي منه بسهولة خلال دقيقة، وأن عملية اتخاذ القرار تتم وفقا لنظام محدد في حين أن الفوضى حلت محل السلطة الفلسطينية منذ زمن طول.

يبدو أن المنظر كان في حد ذاته تجسيدا لحقائق السلطة، فمن ضمن زواره في تلك الليلة كان هناك نفر من مساعديه الذين كان بعضهم قد تحدى الرئيس علنا في الآونة الأخيرة. وفي تلك الليلة كانوا هم الذين يتحدثون في حين كان عرفات يتصنع الاهتمام.

بالنسبة لصناع السياسة الأمريكيين، كانت قدرة عرفات على ممارسة هذا النوع من السلطة سببا لحيرتهم المستمرة. كان هؤلاء الساسة يعتقدون أن عرفات يجب أن يتم تقييمه بناء على الطريقة التي يحكم بها والإنجازات التي يحققها، لا بناء على أي شيء آخر.

بالنسبة للفلسطينيين كان الأمر مختلفا تماما، فهم يقدرون الرجل لأنه في نظر الكثيرين منهم يعتبر تجسيدا للشعب بأسره في المقام الأول. فهو الرجل الذي تسلم قضيتهم ونجح في تحويلها إلى قضية تشغل العالم وتحظى بالاحترام، كما أنه الرجل الذي نجح في تفادي محاولات دول عربية عديدة لإخضاع المقاومة لمصالحها، والذي استطاع الحفاظ على استمرار المقاومة على الرغم من كل شيء.

إن عرفات حقق من خلال تجسيده للشعب الفلسطيني أكثر مما حققه عن طريق القيادة – وهو سبب آخر من أسباب الحيرة الأمريكية تجاهه، فهو لم يكن يسعى إلى فرض القرارات فرضا، ولم يحكم عن طريق إخضاع منافسيه بواسطة القوة وحمامات

الدم، كان الرجل تجسيدا لآليات السياسة الفلسطينية وليس خالقا لها، وكان تعبيرا عن الإجماع الشعبي، وكان أكثر الناس قدرة على قراءة الإمكانيات المتاحة أمام الفلسطينيين، والقيود والمحددات المفروضة عليهم، ولعل هذا هو السبب الذي جعله يحجم عن اتخاذ إجراءات قاسية ضد عمليات «حماس» و «الجهاد الإسلامي» من أجل فرض النظام، كما كان هو السبب الذي جعله - حتى وهو يقترب من نهايته - يخشى أن يؤدي انسحاب إسرائيل من غزة إلى حدوث صراع بين مراكز القوى المتنافسة فيه. إن هذه «الجماعية الفوضوية» في القيادة وهذه (الفوضى المتحكم فيها) على الأرض كانت هي الخلفية التي يستند عليها في الاختيار من بين البدائل، وكانت هي التي وفرت له أكبر مساحة للمناورة.

لم تكن للزعيم الفلسطيني في أي وقت إستراتيجية كبرى، وإنما كان يعتمد على الحدس وعلى البراجماتية السياسية القصيرة الأجل. فهو كان يؤمن بتسوية سلمية تقوم على حل الدولتين، ولكنه كان يؤمن أيضا بأن هذا الحل يمكن تحقيقه في بعض الأحيان عن طريق العنف. فعملية تقييم الآثار السياسية البعيدة المدى بالنسبة لقراراته لم تكن مهمة بالنسبة له، وكانت الدبلوماسية من طرف والعنف من طرف آخر، يمثلان قوام قيادته. فإذا كان العنف يساعد في المدى القصير على تحقيق أهدافه، فلا مانع من اللجوء إليه وعدم القيام بشيء جدي من أجل إيقافه، وعلى الرغم من أن هذه السمات كانت سببا في عجزه عن اتخاذ القرارات الحاسمة ومحاولته اللعب على جميع الحبال، إلا أنها كانت في نفس الوقت هي السمات والمكونات التي ساعدت الحركة الوطنية الفلسطينية على الاستمرار حتى الآن.

وهذه السمات هي التي رافقته إلى مقره الأخير المدمر في رام الله الذي ظل حبيسا فيه قرابة ثلاث سنوات فهناك ظل الرجل وفيا للمبدأ الذي يؤمن به وهو: قف بصلابة واجلس هادئا، كان الرجل هناك ينظر إلى أية محاولة أمريكية أو إسرائيلية للحل على أنها محاولة لإضعافه والنيل من سلطته وشق الصف الفلسطيني.

والسؤال كيف يمكن لهذه الحركة التي أنشأها عرفات أن تستمر بدون عرفات؟

لم يكد الزعيم الفلسطيني يغادر مقر المقاطعة إلى باريس حتى كان الرباط الذي يربط الجميع معا قد بدأ في التحلل، وظهرت على الفور مراكز عديدة للنفوذ متمثلة في قوة العائلات والعشائر والميليشيات المسلحة. أن موت عرفات في نظري سيفتح فراغا

كبيرا اجتهد طيلة حياته ألا يتمكن أحد من ملئه.

هناك خلفاء محتملون لعرفات ولكن مصدر شرعيتهم الرئيسي هو القرب منه، كان الرجل يمتلك أوراق اعتماد شخصية وتنظيمية وديمقراطية في حين لا يمتلكون هم شيئا منها.

ومن ضمن هؤلاء الخلفاء يبرز محمود عباس وأحمد قريع باعتبارهما الوحيدين اللذين يتمتعان بشرعية دستورية ضمن إطار منظمة التحرير الفلسطينية، وشرعية تاريخية مستمدة من قضائهما عقودا طويلة إلى جوار عرفات.

ولكن قيادتهما العلمانية ستواجه معارضة من المنظمات المختلفة مثل «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، كما أن المنظمات المنبثقة عن فتح ستقوم بالدخول في مواجهات ضد بعضها، كما سيقوم الجيل الصاعد في السياسة الفلسطينية بمعارضة الجيل المخضرم.

إن الكثير سيعتمد على قدرة الفلسطينيين على التوصل إلى صيغة للقيادة الجماعية، القادرة على استيعاب المنظمات الأخرى وعلى رأسها «حماس»، والكثير أيضا سيعتمد على ما إذا كانت الولايات المتحدة ستمتلك الحكمة السياسية؛ التي تجعلها تنأى بنفسها عن معارك الخلافة الفلسطينية، وتمتلك الشجاعة السياسية التي تمكنها من التوصل إلى تسوية عادلة ودائمة للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني.

القاتل في بيتي

يجب الاعتراف أنني كنت خائفة من فكرة أن تسقط على بيتي قذيفة مدفعية أو أن تخترق زجاج نافذتي صلية رشاش أعمى، نعم، كنت أشعر بالخوف الحقيقي من هذا الاحتمال، ولهذا تحاشيت السير المستقيم في الصالون أو الممر الذي يتوسط غرفة النوم والمطبخ إلى درجة أنني كنت أشاهد التلفزيون محتمية بزاوية من زوايا الصالون. كان الرصاص كثيرا جدا حول منزلي، رصاص وصراخ وضجيج وأضواء ورطانة بالعربية والروسية، وروائح بارود وعفونة، وصوت مطر وريح ورعد، وأصوات طلقات بعيدة وانهيارات ودق على الجدران، كم شعرت ساعتئذ أن العالم صغير ومستهلك ولا يستحق العيش.

كان أبنائي يتصلون بي يسألون بلهفة وقلق عني وعن الناس وعن البلد وعن الرئيس،

كانت أسمع في أصواتهم الخوف والهلع، ورغم أنني أنا الخائفة والمرتعبة، إلا أنني أصر وأجبر نفسي على أن أتحلى بالمعنويات العالية، فأتكلم معهم بصوت قوي أحاول أن أبعث فيه الثقة والاطمئنان، كنت أرغب أن أجنبهم القلق والخوف، فالقلق والخوف يكبران على البعد، ويكبر الحنين بكبر المسافة، ولهذا كنت أنقل إليهم ما يجري بصورة اعتيادية وأنا أغرق في عتمة ما يجري، أحاول أن أضع في صوتي حيادية ما وأنا التي اكتوي بنار الحصار والرصاص.

كانت ليلى الأكثر حساسية وشاعرية تكاد تبكي، وهي تسألني عن الأوضاع، كنت أشعر أنها تريد أن تطير لتحضنني وتطمئن علي، أما جبران (جابي) المتحفظ والذي لا يظهر مشاعره دائما كان يفقد كل ذلك وهو يسأل بلهفة ولا يخفي جزعه ويتحول إلى طفل كبير يسأل عن أمه، هالة الإدارية والمنظمة والدقيقة، هالة تريد أن تعرف كل التفاصيل، حتى تلك التفاصيل التي ننساها، كانت تريد أن تعرف كيف آكل وكيف أنام، ومن يرافقني.

كانت تسألني لتعرف وكأنها تشاطرني الحصار، أما ديانا، فقد كنت أشعر في صوتها الغيظ والانفعال اللذين تمنعهما بالتكتم والحذر، كان صوتها الدافئ العريض يأتيني حاملا ذلك الحنين والحب الذي ينسيني تعب الدنيا وقرف الحصار في هذا الحصار، فكرت بأبنائي كثيرا، افتقدتهم في حالات الخطر، نفكر باللذين نحبهم، نريد أن نطمئن عليهم، ونريد أن نجنبهم ما نحن فيه، أبنائي صنعوا حياتهم بإرادة واستقلالية، كانوا دائما أصحاب شخصيات مستقلة، فعلوا ما أرادوا باقتناع ونجحوا باقتناع، ربما لم أرضَ في لحظة من اللحظات عما فعله هذا أو تلك، ولكني الآن أشعر بالرضا، لقد ربيتهم على الاستقلال والاعتماد على النفس، هذا ما أعطتني إياه كريسماس أمي العظيمة، وهذا ما أعطيه لأولادي.

لقد عملت طيلة حياتي لأحمي أسرتي، لقد كلفتهم كثيرا من التعب والقلق لطبيعة حياتي ونشاطاتي التي توزعت ما بين الصحافة والكتابة والسياسة والسجن، والآن أرغب في أن أقول لهم شكرا على كل لحظات الصبر والتفهم، وبهذه المناسبة أتذكر زوجي داود الطويل، الذي منحني كل شيء الحب والدعم والمال، لقد شاركني حياتي ووفر لي الفضاء المناسب للعمل والإنتاج أشعر الآن أنني قدمت لأسرتي كما قدمت لي، ولهذا أشعر بالرضا في هذا الحصار الذي يموت فيه الناس بعشوائية وعبث، رغبت في أن

اجتمع بأحبائي، أنا الآن وفي هذا الخوف الذي يبتلعني، أرغب حقا في الجلوس أمام المدفأة مع أبنائي نثرثر ونتحدث ونستعيد ذكريات الخطر والظفر معا.

فجأة عاد جنود الاحتلال إلى مهاجمة بيتي للمرة الثانية، هذه المرة لم يأتوا من الباب الرئيسي المطل على الشارع، وإنما جاؤوا من طريق غير معهود ولا متوقع، لقد تجاوزوا الحديقة التي تقع أمام منزل جيراني من آل الدلو ومنها قفزوا إلى فناء بيتي، جاء جنود كثيرون، كانوا يقصدون بيتي بالذات، لم يفتشوا بيتا آخر غير بيتي.

اندفع الجنود يفتشون اقترب مني الضابط المسؤول وقال لي: وين الشباب. قلت له: مفيش شباب.

قال بصوت مرتفع: لا.. في شباب.. إحنا بنعرف أنو عندك شباب.

خفق قلبي بعنف، توقعت الأسوأ إذ أن مرافقي الرئيس وقبل الاجتياح بعدة أيام، أتوا إلى منزلي وهم يحملون عددا من الأسرة السفرية لاستعمالها حين الحاجة لاستخدام الرئيس نفسه، كانوا يريدون أن يوفروا له مكانا آمنا. يومها طلبت من أم صلاح جارتي وصاحبة المنزل أن تسمح بوضع تلك الأسرة فوق سطح المنزل وهي مطوية لم يأت الرئيس ولم تستعمل تلك الأسرة أبدا، ولا أعرف حتى الآن أين اختفت.

الضابط المسئول كان ينظر إلي بعين الصقر: وين الشباب؟؟

قلت له وأنا أرتجف من الغضب والتوتر: مفيش شباب، فتش البيت!!

كان الجنود لا ينتظرون كلمتي هذه، فقد فتشوا كل شيء، نبشوا كل شيء، ومروا بأصابع مدربة على كل زاوية، استوقفتهم الكتب واللوحات، وقبل أن يذهب الضابط قال لي وكأنه لا يصدقني: إذا كان في شباب راح نمسكهم.

قلت له وكأنني أطرده: بس ييجوا الشباب امسكهم ساعتها.

فوجئت أن الجنود تركوا آثار وحل كثير على البلاط والسجاد، فأصابني نكد كبير، ذلك أنني أكره منظر القذارة، لم يكن عندي أحد ساعتئذ، ولم أعرف كيف سأقضي ليلتي وأمامي كل هذه القذارة دخلت غرفة نومي وأنا أحاول أن أكون قريبا من الزوايا، أخذت معي الهاتف تمددت على سريري وأنا أستمتع إلى آلاف الطلقات المجنونة التي تتقاذف حول غرفتي. كم هو العالم صغير وموحش كما قالت صديقتي مي الصايغ. فكرت

بالناس المحشورين في عمارة «ما شاء الله» في بيتونيا بالقرب من مبنى الأمن الوقائي، فقد احتل جنود الاحتلال العمارة ونصبوا على سطحها رشاشاتهم وقناصاتهم، أما سكان العمارة فقد حشروهم في غرفتين صغيرتين في الطابق الأول، جعلوا النساء في غرفة والرجال في غرفة، وأغلقوا الأبواب وتركوهم دون طعام أو شراب أو حليب للصغار أو أدوية للمرضى.

سكان العمارة الذين ذعروا للمواجهات الدائرة بين المحاصرين في مبنى الأمن الوقائي وقوات الاحتلال، انتبهوا إلى أن حياة خمسين شخص في غرفة ضيقة هي حياة بائسة بكل المقاييس، في الغرفة المقابلة، ارتفع بكاء الأطفال جوعا وخوفا، حاول بعض السكان الحديث إلى الجنود ولكن هؤلاء كانوا قساة كالحجارة. تفاقم الوضع حتى أنذر بالخطر، واستطاع أحد المحاصرين وهو الكاتب محمد روحي من الاتصال بقناة الجزيرة يطلب النجدة. فيما بعد وعندما زارني هذا الكاتب وحدثني عن تجربته تلك، قال إنه وبعد أسبوع من الحصار في تلك الغرفة، انطلق السكان إلى شققهم فوجدوا العجب العجاب، الثلاجات منهوبة، وغرف النوم مقلوبة رأسا على عقب، والفراش والأثاث ملوث بالقاذورات البشرية- صدق أو لا تصدق- وهناك من فقد جزءًا من كمبيوتره، أو مصاغه أو نقوده أو تحفه أو كتبه أو حتى ملابسه.

كان كل شيء مقلوبا أو مكسورا وكأنه إعصار من نار مر على العمارة.

إلى هذا الدرك وصل جيش الاحتلال.

قلت للكاتب محمد: وكيف تدبرتم أمركم.

قال وهو يضحك: كنا نأكل البسكويت!!

ليس هناك أسوأ من الاحتلال، لا يعلمنا الضحك بل يعلمنا السخرية.

عندما يستعمل المحتل حمامك الشخصي

شارع مار يوحنا مرة آخرة، قبل ٢٥ عاما، كان هذا الشارع ساحرا بالأشجار التي تحفه من الجانبين، أشجار سور وأكليبتوس وحور وجوز، كان أهل رام الله وزائروها يرون فيه المكان المثالي لمشاوير بعد العصر وما قبل المساء للحديث والنجوى والمسامرة واللقاءات التي ترى فيها فورة الشباب وجماله.

ولكن هذا الشارع تغير بسرعة تماما كما تغيرت رام الله بسرعة، فسرعان ما بدأت البنايات والفيلات والعمارات تتعالى وتتطاول على جنباته، صارت الأشجار تختفي ويحل محلها الجدران والأسوار، ولكن الشجر يأبى أن يموت، فما زلت ترى هنا شجرة سرو نجت من الاجتثاث أو شجرة جوز ما تزال تظلل جزءًا من الشارع.

أما أنا ومنذ أن سكنت في هذا الشارع، فقد حظيت دائما بجيرة ممتازة، فعلى يساري، تسكن عائلة كريمة من آل الدلو، وهم من اللد، وقد هجروا منها عام ١٩٤٨، ولكن أهل اللد الذي عُرف عنهم المهارة في التجارة وإدارة الأعمال والتكيف مع الواقع استطاعوا بسرعة أن ينظموا أنفسهم في رام الله وعمان ومدن الشتات الأخرى، ليبدؤوا من جديد أما عائلة الدلو التي تجاورني، فقد انخرط أبناؤها في تجارة الخضروات والفواكه، ونجحوا بها أيما نجاح إذ أنهم يعتمدون في ذلك على التسويق للنخبة، إذ يأتون بأفضل وأرقى الأنواع ليتركوا للزبائن حرية الانتقاء ومن ثم الشراء، وهي عادة تم نقلها من المدن الغربية الكبرى، حيث هناك ما يسمى بمتعة التسوق والاختيار من محال الخضروات والفواكه.

هذه العائلة الكريمة التي لم تغفل لحظة واحدة عن متابعة أحوالي أيام الاجتياح والسؤال عني وتحذيري أو تنبيهي في لحظة اقتراب الدبابات من شارعنا الذي لم يعد هادئا.

ما أريد أن أقوله هنا أن هذه العائلة الكريمة ما أن تدخل بيتهم حتى تشعر بأن كل شيء نظيف يلمع، وكأنه خارج للتو من المصنع، هناك هوس حقيقي في النظافة. تشعر بالنظافة من لحظة إمساكك بأكرة الباب الرئيسي وحتى وأنت تحدق في الإيقونات العديدة والمختلفة ومفارش الموائد وزوايا الحمام، نظافة تكاد تنطق، ونظافة تدعوك إلى الحذر وتمنعك حتى من الحركة، هذا البيت الذي يتنفس هواء نظيفا، ويطرد كل قاذورة هوجم في لحظة واحدة، جاء الجنود بروائحهم ووجوههم المسودة وأسلحتهم المنتنة وبساطيرهم الثقيلة الملوثة، صعدوا السلم الحجري الواسع اللامع، ودقوا على الباب الحديدي الرمادي الرئيس حيث صورة الصليب محفورة على قطعة من الجير الملون، وفح الجندي في وجه الممر من أنفاسه الكريهة، وما أن فتحت الابنة الكبرى نظر الباب بوجهها الأبيض الصافي وعينيها الواسعتين حتى بادرها الجندي الذي لوث وجهه بدهان أسود ليوحي بأنه مرعب وغير إنساني: في شباب!!

قالت نظر بغضب وسرعة: لا، ما فيش شباب.

دفعها الجندي ودخل ببسطاره ووحله ورائحته ونتانة سلاحه، وتبعه آخرون، ارتعبت الأسرة، ليس لأن الجنود يفتشون ويبعثرون، وليس لأنهم خائفون منهم، ولا لأن الجندي قد يكسر ويتلف ويدمر لا، لم يكن هذا هو السبب، كان خوفهم أن نظافة البيت وهواءه وأثيره وعبيره وترتيبه الذي تهتم به الأسرة سيذهب أدراج الرياح، ستذهب العطور الخاصة للحمام وللأثاث ولغرفة النوم والاستقبال لكل زاوية عطر، أما الآن فإن رائحة القاتل ستسيطر على كل شيء، وفجأة انخرطت الأختان نظر وسمر في بكاء مر، لم يكن الخوف أبدا، كان ذلك لأن العالم الصغير والزاوية الأخيرة التي حاولتا الحفاظ عليها من العبث والتخريب قد تم انتهاكها واغتصابها.

دخل الجنود البيت كزوبعة من الوحل والجراد، وخرجوا كما دخلوا زوبعة من الغبار والرماد. أما الأسرة، فقد تجمعت في غرفة الجلوس مذهولين تماما البيت لم يعد نظيفا. سمر الفتاة الرقيقة كفراشة، التي تحب بيتها أكثر من أي شيء في الدنيا، قررت أن تغير كل شيء وأن تبدأ بترتيب كل الزوايا من جديد لونا لونا رائحة رائحة مفرشا مفرشا.

وهذا يختلف عما جرى لجاري من جهة اليمنى، حيث يسكن الدكتور مفيد الشامي الذي ابتنى عمارة من خمسة أدوار تشرف تماما على حي عين مصباح من جهة الغرب وعلى وسط مدينة رام الله من جهة الشرق، والدكتور مفيد الشامي هو ابن المجاهد الكبير أحمد الشامي من قرية بيت عور التحتا، هذا المجاهد الذي انخرط في صفوف ثورة عام ١٩٣٦ وكان عضوا في اللجان والهيئات الثورية والسياسية في تلك الفترة، وتعرض للسجن والنفي لم يغفل عن النشاط العلمي والتربوي، فعمل في هذا المجال بشكل جعله تربويا من الطراز الأول. وقد أوصى قبيل موته ببناء مدرسة على حسابه الخاص في قرية بيت عور التحتا، وقد نفذ أبناؤه مفيد وجميل وفاروق وصيته وتم بناء المدرسة التي تتسع لحوالي ١٠٠٠ طالب.

الدكتور مفيد يحمل الدكتوراة في علم الإدارة وكان يحاضر في جامعة النجاح الوطنية ثم في جامعة بيرزيت، أما شقيقه فاروق فهو أحد أنجح رجال الأعمال في الولايات المتحدة، أما جميل فهو مستشار في السفارة السعودية، وهو رئيس جمعية العرب الأمريكيين الجمهوريين وله علاقات جيدة مع رجال الإدارة الأميركية.

وفي هذا الاجتياح فوجئ سكان شارع مار يوحنا كلهم بجنود الاحتلال يقتحمون بناية آل الشامي، يحاصرونها ظهرا، ثم يقتحمونها من مداخلها جميعا، فتشوها غرفة غرفة، حشروا العائلة في غرفة واحدة وسيطروا على الباقي، وللمرء أن يتصور وحشية الجندي المحتل عندما يرى عالما لا يشبه عالمه، وأثاثا وصورا وكتبا ولغة لا تشبه لغته، وللمرء أن يتصور ماذا يمكن للعداء واللا إنسانية والكراهية أن تفعل في رأس شاب لم يتجاوز العشرين عاما ويملك بندقية آلية وتصريحًا بالقتل والإذلال والإهانة كان هذا هو الحال لدى دخول هؤلاء بناية آل الشامي. الدكتور مفيد رجل في الأربعين من عمره، هادئ وبطيء الغضب ويستطيع تقدير المواقف، تحدث معهم بأدب وتفهم، حاول أن يقيم معهم صلة إنسانية، حاول أن يذكرهم بأنهم أيضا بشر مثلنا، وأننا نتألم أيضا كما هم يتألمون، ويبدو أنه أفلح في ألا ينقض الجنود على الأخضر واليابس في الطابق الذي يقيم فيه، إذ سمحوا له بالتحرك خلال تلك المساحة وألا يتعداها. أما هم فقد صعدوا إلى سطح البناية ليطلوا على مساحات واسعة من مدينة رام الله، نصبوا رشاشاتهم وتلسكوباتهم ووضعوا أكياسهم ومعداتهم وذخيرتهم، وصارت البناية لهم من على سطحها يرصدون ويطلقون ويقتلون، استعملوا البناية كما يحلوا لهم، كان المحتل في أسوأ حالاته وأردأ أوضاعه.

عندما يصل المحتل إلى مخدع النوم فان المسألة كلها بحاجة إلى إعادة النظر. وعندما يتحول الاحتلال إلى أن يستعمل حمامك وأن يأخذ فراشك وأن يستعمل صنبور المياه الذي تستعمله فإن الأمر قد وصل إلى نهايته، هذا ما كان.. وهذا ما سوف يكون.

أصيص الورد

لم يترك جنود الاحتلال شارع مار يوحنا الذي لم يعد كما كان، صار الشارع الذي أحب مخيفا ينذر بالموت والفجيعة، أنا التي طالما أحببت الحياة وما زلت، أحب الحياة في الفرح والورد والعطر والشباب والجمال والأناقة والحياة الحرة الكريمة، كنت وما زلت أؤمن أن الحياة مقسمة بالتساوي على جميع الأحياء في الأرض، ليس لأحد الحق في سلبها من الآخرين، وليس لأحد الحق في أن يعتقد أنه أكثر حقا في الحياة من غيره.

ولكن شارع مار يوحنا، صار شارعا يضج بالموت والغضب والاحتقان، جنود الاحتلال لم يتركوا بيتا في هذا الشارع دون أن يهاجموه بأقسى ما يمكن من وحشية وعنف.

هذه المرة، كان منزل الدكتور نقولا عوض هو الهدف، وهذا الدكتور شخص لطيف، تشعر وهو يحدثك أن العالم بخير، وأن كل شيء يمكن له أن ينتظر، هناك أشخاص لهم قدرة أن يجعلوا الحياة حلوة وجديرة بالعيش، ولكن المحتل دائما يمنعك من الاستمتاع حتى بتفاصيل الحياة الصغيرة، المحتل يستطيع أن يكسر لك أصيص الورد الذي أنفقت شهرا كاملا وأنت تنتظر بروز البراعم أو تفتح الزهر، ويستطيع أن يكسر لك اللوحة التي دفعت فيها مبلغا محترما من المال، ويستطيع أن يعبث بملابسك الخصوصية ورسائلك ودفاترك ويستطيع أن ينتهك خصوصية لحمك في أبشع صور الإذلال والإهانة.

يمكنني القول هنا أن الفلسطيني ومنذ اندلاع النزاع الفلسطيني- الإسرائيلي قد تعرض لأبشع أنواع إهدار الكرامة الإنسانية، لم يبق شيء في حياة الفلسطيني دون انتهاك أو اغتصاب أو إهدار.

الدكتور نقولا عوض الذي فوجئ بالجنود الملطخين بالألوان السوداء الحاملين البنادق والرشاشات يتدفقون من جميع مداخل المنزل، أخذ يرطن بما يعرف من لغات لعله يتفاهم معهم أو يذكرهم بأن هناك قانونا ما يحكم هذا العالم، ولكن الجنود لم يكن يهمهم سوى البحث عن «الشباب».

- في شباب.

هكذا صرخ الجندي في وجه الدكتور نقولا.

- لا، ما في شباب!!

جن جنون الجندي وهو يشير إلى أبناء الدكتور عوض وإخوته، كان هناك شقيقان للدكتور وابنان يقفون إلى جانبه.

صرخ الجندي: وهدول.. مش شباب..

كان إخوة الدكتور وابناه في إعمار ما بين الخامسة عشر والأربعين، كانوا يلبسون بيجامات النوم ومعاطف شتوية بيتية.

لم يجب الدكتور عوض فأضاف الجندي وهو يصوب بندقيته إلى الشباب الأربعة:

- شباب ولا نسوان.. احكِ.

لم يرد الدكتور عوض. أحس أنه في فخ كبير وغبي شعر بالذل والهوان والعجز، فصاح من قحفه: خذهم.. خذ الدار.. خذ كل شيء.. تفضل.

لم يغضب الدكتور عوض من قبل بهذا القدر، ولم يشعر أنه يستطيع الصراخ في وجه الجندي من قبل أيضا الدكتور عوض هادئ ويشعرك أن الحياة جديرة بالعيش، أما الآن فقد أعماه الغضب تماما لم يعد يرى الألوان، ولم يشعر ببرودة الجو الشديدة، ولم يشعر أنه لا يلبس إلا قميصا دون معطف. كان الذل هو المسيطر الوحيد على اللحظة القاسية والقاتلة.

صاح مرة أخرى: هدول مش نسوان.. بس يلعن أبو الظرف.

كان يمكن للدكتور نقولا أن يظل يصرخ هكذا، فقد اكتشف فجأة أهمية الصراخ وضرورته.

انتهى الموقف كله، عندما تم اعتقال ولديه وشقيقيه، ولم يطلق سراحهم إلا بعد مرور أسابيع عديدة، أما الدكتور نقولا عضو فقد ارتمى على مقعد قريب يلهث وقد أحس أنه قطع شوطا كبيرا.

وغير بعيد من بيت الدكتور عوض وغير بعيد عن بيتي أيضا، وفي شارع مار يوحنا نفسه، يقوم منزل والد الدكتور غازي حنانيا عضو المجلس التشريعي ورئيس جمعية أصدقاء المريض المسؤولة عن مركز خليل أبو ريا ، وهو أفضل المراكز في الأراضي الفلسطينية في طب العظام والأطراف البديلة والعلاج الطبيعي، وقد أقيم بجهود الجاليات الفلسطينية في المهجر، كان يقيم في ذلك المنزل والد الدكتور غازي ووالدته، وهما عجوزان يقضيان وقتهما في تربية الزهور والأشجار الصغيرة المثمرة، ودائما ما كنت أشاهدهما يستمتعان بضوء الشمس صباحا أو عصرا وهما يحتسيان الشاي، في بعض الأحيان، كنت أغبطهما على هذه الراحة وهذا السلام الذي يقضيان به وقتهما وشيخوختهما.

وفي ذلك اليوم البارد من نيسان القاسي، وحيث الدبابات والرشاشات وطائرات الأباتشي تهاجم مدينة عزلاء بهدف الترويع والتركيع، انطلقت مجموعة من الجنود إلى منزل العجوزين اللذين ذعرا لهذا الهجوم، تقافز الجنود من على الشرفة والحديقة، تبعثرت التحف وتمزقت الستائر، وتساقطت الأيقونات، وطار السؤال الجاف والبارد

والمزعج: وين الشباب!!

ما في شباب.

أنت كذاب!!

هكذا قال الجندي للعجوز وزوجته.

قال أبو غازي بهدوء: أنا ما بكذب يا ابني.

صاح الجندي: أنا مش ابنك. فاهم.

قال أبو غازي بهدوء أشد: أنت أغبى شخص شفته بحياتي يا ابني.

لم ينتظر الجندي كلام العجوز، بل انطلق يبحث عن الشباب تحت الأسرّة أو وراء الثلاجة، استطاع الجنود أن يقتلوا الهدوء الذي كان يظلل البيت والشرفة والحديقة.

صوتان من إسرائيل

كنت وجيراني خلية نحل حقيقية في نقل وتناقل المعلومات وتبادل الأخبار، إذ أنني كنت أُنبه جيراني الذين يسكنون في الطابق الأرضي المطل على الحديقة بدق الأرضية بإبريق أثري يمثل بكائية كنعانية مصنوعة من النحاس المطلي باللون الأسود والذهبي، جيراني هؤلاء هم نهى وزوجها أنيس، وابنهما تامر مع جارتنا أم صلاح التي تسكن في الطابق العلوي نتمتع كل يوم بشرب القهوة في الحديقة الجميلة ، ومرأى الأغصان الجديدة، وعصافير الدوري التي لا تكل ولا تمل عن الحركة والصياح.

أما جيراني من آل الدلو فقد كانوا يتصلون بي بالتلفون، أو بمجيء ابنتهم الرقيقة سمر عن طريق حديقة بيتهم لتدخل من باب مطبخي، الاحتلال يعلم الناس طرقا بديلة وناجعة للالتفاف على الحصار والقمع والإهانة.

كنت محاطة بالاهتمام والعناية من الجميع لم يتركني جيراني أبدا، ولهذا كم أشعر بالامتنان لهم جميعا، كانوا يريدون أن يحموني، وعلى الرغم من أن أبنائي جابي وسها وليلى ونهى وديانا بعيدون عني كل البعد، ويطمئنون عليّ بالاتصال الهاتفي، إلا أن جيراني جميعا أشعروني أنني لست وحيدة أبدا، وأنني موضع رعايتهم واهتمامهم وحبهم ودفئهم.

وكما قلت فان الهاتف كان رفيقي في ساعات الاقتحام المجنون، لم يكن يفارقني الهاتف أو الهاتف النقال، تحدثت مع جميع معارفي وأصدقائي وزملائي القدامى والجدد، وكان أن تحدثت مع روت ديان، زوجة الجنرال الشهير موشيه ديان، صرخت في وجهها أن ما يحدث يفوق الخيال، وأن ما يفعله جنود الاحتلال يتجاوز كل قانون، أو عرف أو دين. قلت لها: إن جنود الاحتلال يعيدون البشرية إلى أيام الغابة الأولى، وأنهم يستفردون بالمدينة يعبثون فيها الفساد والدمار، قلت لها: إن جنودها يقتلون الناس ويبثون أفلاما إباحية في التلفزيونات المحلية في مشهد لم يكن من قبل، وفي تصرف لم تعرف البشرية مثله، وللحق أقول إن السيدة روت قد أبدت استنكارها الشديد لما يجري، وقالت: إنها ستنقل ذلك إلى وزير الخارجية آنذاك شمعون بيرس ولقيادات أخرى في اليسار الإسرائيلي الذي تآكلت وتراجعت قوته وخاصة بعد أن انضم حزب العمل إلى الليكود في حكومة موحدة نكلت بالشعب الفلسطيني.

السيدة روت ديان سيدة في السبعينيات الآن وما يزال صوتها يحمل قوتها ونشاطها وروحها المرحة، وقد عرفتها ذات مظاهرة دعا إليها اليسار الإسرائيلي في القدس بعد أن وقعت إسرائيل معاهدة السلام مع الرئيس أنور السادات، وكان من المخطط أن أتحدث وإياها في المظاهرة، ذهبت إلى تلك المظاهرة، وكان معي الصحفي إلياس زنانيري، كان ذلك في العام ١٩٨١، نزلت من السيارة أحمل العلم الفلسطيني، كان علما ضخما بطول مترين، وما أن رأى منظمو المظاهرة ذلك العلم حتى أعلنوا رفضهم لدخولي وأنا أحمله، فما كان مني إلا أنني رفضت الاشتراك في إلقاء الكلمة أمام المتظاهرين، قلت لهم يومها أن السلام مع أي طرف عربي بدون الفلسطينيين ليس سلاما، وإن السلام مع الشعب الفلسطيني هو مفتاح الحرب والسلام، وبعد نقاشات طويلة ومضنية، وافقت على إلقاء كلمتي سوية مع روت ديان، ويومها تعرفت على امرأة نشيطة وحيوية، ذات ملامح أوروبية تماما فهي من أصول سويسرية وتتحدث الإنكليزية بلهجة محببة، وكان من المدهش أن تكون هي بالذات قد اتخذت مواقف معتدلة من الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، فهي زوجة أشهر جنرال إسرائيلي حارب العرب وقاتل الفلسطينيين وأول من احتل القدس بعد أن حررها صلاح الدين الأيوبي، كان ديان من أولئك الصهاينة الذين يؤمنون بما يسمى الاحتلال الليبرالي، أي سحب الذرائع التي يمكن معها الشعب المحتل أن يثور، فآمن بسياسة الجسور المفتوحة والعلاقات «الحسنة» مع الفلسطينيين وتقديم الخدمات لهم، وكان يؤمن بوجود قيادة محلية يمكن التعامل معها كبديل عن

منظمة التحرير، وبالمقابل، فإنه أيضا كان وراء تشديد المراقبة الاستخبارية وقمع الثورة ومطاردتها، كان يريد عمليا تجفيف منابع الثورة من جهتين: معاملة جيدة للجماهير وقمع انتقائي للنخب الثورية. كان بالفعل رجلا استعماريا على الطريقة البريطانية أي من رافعي ذلك الشعار البغيض «فرق تسد».

ولذلك كان من المدهش أن تتحول امرأته بعد موته إلى امرأة تؤمن بالتعايش والسلام مع الفلسطينيين.

وقد زارتني هذه السيدة في بيتي بشارع مار يوحنا عندما فرضت علي الإقامة الجبرية في بيتي بشارع مار يوحنا- أحب هذا البيت جدا ، وعندما زارتني رأت العلم الفلسطيني مرفوعا في الصالون، فضحكت وقالت: يمكنك أن ترفعي العلم في صالون بيتك، ولكن لا يمكنك فعل ذلك في الشارع.

قلت لها يومها: ستعترفون بهذا العلم شئتم أم أبيتم، إن اعترافكم بهذا العلم هو الضمان الوحيد لكم بالأمن.

وفي العام ٢٠٠١، زارتني هذه السيدة للمرة الثالثة، أي بعد إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية بسبع سنوات، يومها طلبت من محافظ رام الله والبيرة السيد عيسى اللفتاوي أبو فراس وهو صديق قديم أن يوفر للزائرة حراسة مناسبة من لحظة دخولها حاجز قلنديا شمالي القدس، وحتى دخولها منزلي، وقد قام المحافظ بذلك بطريقة جيدة وأسعدت الزائرة التي أعربت عن مخاوفها الأمنية، وعندما دخلت البيت، قلت لها: ألم أقل لك أن اعترافكم بعلمنا هو بداية الأمن لكم.

ردت بطريقتها المرحة والذكية: الحكمة لها ثمن، وحكمة الخائف الأولى هي الشك.

قلت لها: ألا تتوقفون عن الشك ولو للحظة.

أذكر يومها إنها دخلت، فرأت في بيتي عددا من سيدات آل الدلو- جيراني- يلبسن ثيابا سوداء، فسألت عن ذلك، فقلت لها أن رب الأسرة قد توفي، ولا تستطيع العائلة أن تدفنه بدون حضور أقاربه من عمان، والسلطات الإسرائيلية تمنع وصولهم من العاصمة الأردنية، فتطوعت- مشكورة- بإجراء اتصالات كثيرة ومعقدة على مدى ثلاث ساعات مع أقارب لها ومعارف ومنهم ابن شقيق ديان ممن يعملون في أجهزة الأمن والشرطة

والجسر لتأمين حضور أقارب آل الدلو، وقد استطاعت أن تسهل وصول ثمانية من هؤلاء، وبالتالي تم دفن المتوفى، وكانت تلك لفتة طيبة وإنسانية منها.

روت ديان هذه التي تعمقت علاقتي بها في الثمانينيات، أتت بابنتها عضو الكنيست والروائية المعروفة ياعيل ديان، وهي نائبة برلمانية في حزب العمل، كان ذلك اللقاء في العام ١٩٨٩ على ما أذكر، وقد التقيت بالسيدتين بصحبة إبراهيم قراعين زميلي وشريكي في المكتب الصحفي الفلسطيني، كنا نقوم عمليا باختراق النخب المثقفة الإسرائيلية لتغيير آرائها ولكسب مواقفها واستطلاع آرائها، وكان ذلك يتم بمعرفة ودعم منظمة التحرير الفلسطينية، كنا أيامها نقوم فعليا بإجراء جهود مساندة ودائمة وكاشفة للمواقف الإسرائيلية على اختلاف أطيافها.

ياعيل ديان، تبدو امرأة قاسية بتلك التقاطيع المشدودة والشفاه المزمومة والعيون الحادة، كانت أشبه ما يكون بوالدها، لم تأخذ من والدتها إلا تلك البشرة البيضاء والشعر الأشقر، أما ما عدا ذلك فقد ورثت أباها حتى بتلك اللهجة السريعة والآمرة والعدوانية إلى حد ما.

كانت أكثر تحفظا من أمها وأكثر توترا وأكثر هواجسا وأقل انفتاحا على الموقف الفلسطيني، ويمكنني القول أنها كانت باردة إلى حد كبير، ولكن ورغم كل ذلك، فقد أقنعناها بالتحدث إلى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في ألمانيا، الأستاذ إبراهيم الصوص، ورغم ذلك إلا أن هذه السيدة ظلت في حدود تحفظها وبرودها تجاه القضايا الفلسطينية مقابل جرأتها اللامتناهية في طرح القضايا الاجتماعية الإسرائيلية التي تثير الجدل في المجتمع الإسرائيلي.

وفي هذا الاجتياح المجنون واللا إنساني، كان صوت روت ديان يأتيني مشجعا لي أن اصمد، وألاّ أتعجل بالحكم، قالت لي إن عقلية اليمين الصهيوني هي عقيلة التأبيد، تأبيد الصراع وتأبيد الأنماط المسبقة عن العرب باعتبارهم يعبدون قاتلهم، قالت لي: إن لا حل دون اشتراك الفلسطينيين والعرب وحضورهم، شعرت أنها تعيد كلامي قبل خمسة عشر عاما.

قلت لها : إن الجنود يتصرفون دون اعتبار لقوانين الحرب أو الجيرة أو الشراكة، وقلت لها إن حياة الإنسان لا تعني لهم شيئا، طلبت منها أن تحكي ذلك للأوساط الإعلامية والسياسية، وعدتني خيرا، ولكني لاحظت أن صوتها مضطرب ومتردد وكأنها تعتذر ذلك

أن قوى التعقل والاعتدال قد اختفت أو خطفت في الشارع الإسرائيلي. إذ استطاع رئيس الوزراء شارون أن يخيف هذا الشارع وأن يقنعه أن لا حل سوى القوة أو المزيد من القوة، استطاع هذا الرجل أن يسحر الجمهور الإسرائيلي وأن يروض الكنيست والإعلام وحتى الجهاز القضائي الذي يفخرون بنزاهته وقوته واستقلاليته من أجل حربه المجنون.

استطاع هذا الرجل أن يحول السلام الذي يحلو للرئيس ياسر عرفات أن يسميه سلام الشجعان إلى سبب لمزيد من الكراهية والحقد والعداء، واستطاع هذا الرجل أن يتناسل إلى مئات الآلاف من الشارونات التي تؤمن بأن استخدام القوة الغاشمة هو أفضل الطرق للتعامل مع الفلسطينيين، كان شارون بانتظار أن يخرج الرئيس ياسر عرفات من مقر المقاطعة حاملا راية الاستسلام وأن ينفذ إرادة شارون، ولكن ذلك لم يحصل ولن يحصل.

الصوت الآخر الذي كان يأتيني خلال لحظات الاقتحام وهدير الدبابات هو صوت تسفي البيلغ المحاضر في جامعة تل أبيب وصاحب الكتب التاريخية عن ثورة ١٩٣٦ والعلاقات العربية الإسرائيلية قبل قيام إسرائيل وبعدها، هذا الرجل كان أول حاكم عسكري لمدينة نابلس بعد احتلالها عام ١٩٦٧، وقد عرفته في تلك المرحلة في أحداث سأذكرها فيما بعد في كتابي هذا، المهم أنني نقلت إليه فظائع الجنود في رام الله وقلت له أن ذلك لم يكن في بداية الاحتلال، فقال لي: إن عملية السلام وعلى عكس ما خطط له فقد ساهم في تشكيل عقلية استحواذية وانتقامية، وقال بأن المسؤول عن ذلك هي النخبة المثقفة الإسرائيلية التي أصبحت أكثر انغلاقا وخوفا ونفاقا، وقال: إن إسرائيل تنحدر أخلاقيا.

ولما قلت إن هناك مذبحة حقيقية في مخيم جنين، رفض التصديق تماما رفض هذا الرجل أن يصدق أن جنودا إسرائيليين يقومون بذلك، سأعتئذ رغبت في الضحك، قلت له: هل فكر المذبحة بعيد عن عقلية الجندي الإسرائيلي.

قال: كان ذلك في مرحلة التأسيس، أما الآن في عصر الكاميرات والتلفزيونات.

قلت له: المذابح زادت في عصر التلفزيونات صارت أكثر دقة ومنهجية.

سألته . ماذا يمكن له أن يفعل لوقف ذلك، وعدني أن يقوم باتصالات مختلفة. كان صوته مترددا ومضطربا، كنت أعرف أن الجنون أصبح سيد الموقف وأن أصوات التعقل والاعتذار لم يعد مقبولا في إسرائيل.

وحدي كنت في بيتي، استمع إلى هدير الدبابات.. وذكرني ذلك بأشياء كثيرة.

إغرورقت عيناي بالدموع

لم يبق مع الرئيس المحاصر إلا الشعب في كل مكان، الشعب البسيط المؤمن بالحرية والذين يتعاطفون مع العدل والحق بصورة طبيعية، اندلعت المظاهرات في كل مدن العالم، العربية والإسلامية والأجنبية، الحركات والأحزاب والقوى والفعاليات الشعبية دعت إلى مظاهرات في كل مكان من أندونيسيا حتى السنغال ومن لندن وحتى ملبورن، وفاجأ العالم شاب ياباني جلس أمام السفارة الأميركية، وأشعل النار في نفسه احتجاجا على حصار الرئيس ياسر عرفات، وخرجت جماهير عربية لم تخرج أبدا في مظاهرة كما حصل في سلطنة عُمان وقطر والبحرين، فضلا عن السودان والمغرب والجزائر وذلك ما حدث في دول شرق آسيا ووسط أميركا اللاتينية.

وحده المحتل كان يعمل على تمزيق البلاد، وتخريب المدن العامرة، وقد رأيت بأم عيني كيف أتى المحتل بجرافاته الضخمة وأكثر من خمسمائة جندي في الليل، أضاؤوا المنطقة كلها بالأضواء الكاشفة، وبدؤوا يحفرون الشارع الموصل إلى المقاطعة من جهة شارع مار يوحنا حيث أسكن، وفيما بعد عرفت أن المحتل حفر جميع الشوارع المؤدي إلى مقر الرئيس في المقاطعة، كانوا لا يكتفون بحفر الشارع، بل كانوا يضعون أكواما هائلة من التراب ومكعبات أسمنتية وأسلاك شائكة، بمعنى عزل المقر والرئيس نهائيا عن العالم.

أما ما حدث على رأس شارعنا فقد ذعر الناس ذعرا شديدا، عندما رأوا الجرافات وكثافة الجنود وقوة الإضاءة، فقد حسب كل واحد من سكان الشارع أن المحتل سيهدم بيته وقد اتصل بي عدد من جيراني يسألون عن سبب هذا التجمهر وهذه الإضاءة، ولم أكن أقل منهم قلقا وذعرا.

ولما بدأت الجرافات بالهدير، وحفر الشارع، حسبنا أن الأمر سيتوقف عند ذلك، ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا، إذ سارعت الجرافات إلى وضع مكعبات أسمنتية بالقرب من الحفر الضخمة في الشارع، ثم، وهنا الكارثة، كان هناك عشرات من السيارات المتوقفة أمام المنازل ومنها سيارتي، وفوجئنا بما قام به المحتل إزاء هذه السيارات، إذ بدأت الجرافات والدبابات بدهس كل مركبة متوقفة على طول شارع مار يوحنا، كانت الجرافة أو الدبابة تصعد على السيارة فتحيلها إلى رقاقة ليس إلا، ومن ثم جمعت تلك الرقاقات ووضعتها بالقرب من رأس الشارع، وهكذا فقد سدوا شارعنا من جهة والشارع الموصل إلى المقاطعة

من جهة ثانية، رأيت الدبابة تصعد على سيارتي، فتهرسها مثل حبة الجوز، شعرت بأن أحدا ما يطعنني في ظهري، شعرت بالقهر والغضب والذل، رغبت سأعتئذ أن اخرج إلى سائق الدبابة، أمزق وجهه، وأقول له إنه لا يحمي أحدا ولا يضمن السلام ولا العدل ولا حتى الاحتلال. كنت أريد أن أقول له إن المحتل عندما يفقد أعصابه وينفلت ويستسلم لغضبه ونزواته وغرائزه، فإنه في المرحلة الأخيرة من الرحيل والانتهاء.

رأيت سيارتي تتحول إلى كومة لا شكل لها من المعدن، تحولت إلى جثة هامدة، فرأيت أن جزءًا مني قد ضاع، أحسست أن الجندي رأى خصوصياتي، فاغرورقت عيناي بالدمع، أنا التي لا أميل إلى البكاء، ولا أسمح لمشاعري أن تظهر، لم أشعر إلا وعيناي تغرورقان بالدمع، كان ذلك كثيرا وكثيرا جدا فكانت تلك سيارتي الأولى التي تحمل لوحة تشير إلى م.ت.ف .

أكمل الجنود مهمتهم في إغلاق الشارعين، وإذا بالرصاص ينهمر في شارعنا بكثافة غير معهودة، إطلاق نار بكل أنواع الأسلحة، اختبأت في زاوية بعيدة، اجتمع حولي العتمة والخوف والإحساس بالقهر والذل، شعرت بالوحدة الشديدة، وقلت لنفسي: إن كل فلسطيني يشعر بما أشعر الآن، الخوف والقهر، ماذا تريد إسرائيل أن تثبت بهذا؟!

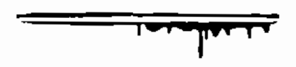
ولكن سر هذا الرصاص الكثيف، تكشف لي سريعا، عندما اتصل بي أحد الجيران ليقول لي أن جنود الاحتلال طوقوا عمارة الإسراء الملاصقة لشارعنا وبدؤوا يطلقون عليها النيران ظنا منهم أن أعضاء من حركة حماس مختبئون فيها، ظلت أصوات الرصاص تصل إلي فتهز جدران البيت وجدران دماغي وروحي، كانت محاصرة العمارات في رام الله والبيرة جزء من العملية العسكرية الفظيعة التي أطلق عليها المحتل اسم «السور الواقي» في تناقض مضحك تماما، إذ في الوقت الذي كان المحتل فيه يعمل أسلحته ونيرانه وكراهيته في جسد المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، حدثت عدة عمليات تفجيرية داخل إسرائيل نفسها، راح جراءها عدد كبير من الجنود والمدنيين الإسرائيليين، أي أن كل ما فعلته إسرائيل في عمليتها الكبرى هذه لم تستطع أن تمنع شابا يمتلئ بروح الإيمان والانتقام من ممارسة عمل يوجع إسرائيل ويهدم نظريتها الأمنية، لم يكن ذلك سورا واقيا أبدا، كان سببا آخر من أسباب تأجيج الصراع وإضرام الكراهية في القلوب والأرواح، كانت عملية السور الواقي مجرد عبث، إذ لم يستطع شارون ولا منظري أمنه وإستراتيجياته أن يقنعوا الجيل الشاب من الفلسطينيين، إن يد إسرائيل طولى وقوية وأن بمقدور إسرائيل أن تضرب دون

رحمة. والمشكلة هنا تماما، بمعنى أن استعمال القوة للتعامل مع الشعوب، نظريته أثبتت فشلها دائما، ولكن المحتل الإسرائيلي يحاول استخدام ذات السلاح الفاشل، ويريد أن يعيد التاريخ من أوله، ولا يمكن للتاريخ أن يعود من نقطة البداية، التاريخ تراكمي أيضا، حتى ولو كانت الغرائز أولية فإن التاريخ ليس كذلك.

كانت فكرة عملية السور الواقي هو الذهاب إلى «عش الدبابير» واقتلاع «الأشواك الضارة» بمعنى أن المحتل وبدلا من انتظار «الانتحاري» عليه أن يذهب إلى «البنية التحتية» التي «تنبت» هذا الانتحاري؛ ولهذا كان هذا العنف اللامبرر والقوة المفرطة التي تستعمل في جبهات الحروب لا ضد أناس مدنيين عزل.

ولهذا طوقت قوات الاحتلال عمارة الإسراء وعمارة النتشة، وبدأت عمليات تمشيط وقتل واعتقال، أما سعاد تلك الشابة المرحة والمقبلة على الحياة التي تسكن في رام الله القديمة، ليس بعيدا عن بيتي، فقد فعلت ما جعلها حكاية رائعة يتناقلها الناس، إذ إن هذه الفتاة تسكن في حجرة واحدة وأمام تلك الحجرة ثمة بئر تقليدية، وفوجئت بأن شبابا مسلحين كانوا هاربين من وجه قوات الاحتلال المدججين بكل سلاح ممكن، سعاد التي لم تفقد أعصابها ولا هدوءها، طلبت من أولئك الشباب النزول إلى البئر، ومن ثم غطته، ولما جاء جنود الاحتلال سألوها فيما إذا كنت تخفي مطاردين، فردت عليهم بما يشبه السخرية أنها لا تخفي أحدا، وقلبت يديها علامة العدم، فبدأ الجنود بتفتيش المكان حجرا حجرا، لم يجدوا شيئا، لم تفقد سعاد هدوءها ولا رباطة جأشها، بل ظلت محافظة على تلك الابتسامة الخفيفة، التي هي مزيج من السخرية والتحدي، خرج الجنود من المكان، فقامت سعاد بإخراج الشباب من البئر، وما فعلته سعاد فعله كثيرون مثلها، حيث استطاع الشباب، من مختلف التنظيمات والأجهزة أن يختفوا من أمام جندي الاحتلال الأعمى، وهكذا استطاع الإنسان العادي والبسيط أن ينقذ ثورته، وأن يصمد أمام قاتله، وأن يجعل من عملية السور الواقي مجرد أضحوكة.

هناك بطولات كثيرة، قام بها أناس عاديون وبسطاء، فعلوا ما فعلوا؛ لأن ذلك مجرد القيام بالواجب.



أبطال فلسطين تحت حراب الأمريكيين والبريطانيين والإسرائيليين؟

الثلاثاء ٢٠٠٢/٤/٣٠

في يوم الثلاثاء الموافق ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٢ استمرت القوات الإسرائيلية في فرض الحصار المشدد على مقر الرئيس الفلسطيني في رام الله، وعلى كنيسة المهد في بيت لحم، بما في ذلك منع وصول المواد التموينية والطبية والمياه. ونفى ناطق رسمي فلسطيني ما ورد على لسان منسق الشؤون المدنية في وزارة الدفاع الإسرائيلية بشأن إدخال كميات كبيرة من الأغذية والمواد الطبية إلى مقر الرئاسة في رام الله على مدى أكثر من شهر، وقال: إن هذا مناقض للحقيقة وأن ما سُمح بإدخاله لا يزيد على خُمس الكميسات الأساسية التي يحتاج إليها المقر، وتوغلت قوة إسرائيلية مساء أمس حتى دوار المنارة في رام الله مطلقة النار بكثافة على منازل المواطنين، بينما توغلت قوة أخرى في بلدة الشواورة في منطقة بيت لحم، وفرضت حظر التجول، وداهمت منازل المواطنين، وشنت حملة اعتقالات في البلدة، وفرضت القوات الإسرائيلية منع التجول على بلدة سيلة الحارثية غربي جنين واعتقلت عددا من أبنائها، وداهمت القوات بلدة جيوس في محافظة قلقيلية وفتشت الكثير من المنازل، وجرفت الجرافات عدة دونمات من أشجار الزيتون غربي البلدة، وتعرضت مدينة طولكرم لإطلاق نار بين الحين والآخر، وفرض حصار محكم على ضاحية شويكة وقرى صيدا وعلار ودير الغصون. وفرض منع التجول على مدينة التجول على مدينة الخليل والقرى المجاورة، وحاصرت القوات الإسرائيلية المستشفى الأهلي ومستشفى عالية وأحاطتهما بسواتر ترابية لإعاقة تحرك الأطقم

الطبية، واستشهد في الخليل تسعة فلسطينيين وجرح أكثر من ٢٨، وشملت الاعتقالات نحو ٢٥٠ مدنيا وفي غزة استمر إطلاق النار المتقطع على الطرقات والمنازل، وفي خان يونس أطلقت النار على مواطنين قرب حاجز التفاح الأمر الذي أدى إلى استشهاد اثنين منهم.

وروى محافظ جنين، زهير المناصرة، لمندوب وكالة الأنباء الفلسطينية «وفا» ما جرى في المدينة ومخيمها خلال الاجتياح فقال: إن القصف البري والجوي استمر تسعة أيام متواصلة، ولم ينجح الجيش الإسرائيلي في فرض الاستسلام على سكان المخيم، فبدأت البلدوزرات بجرف المنازل بمن فيها، ثم انسحبت القوة المهاجمة من دون أن تتمكن من دخول بعض أحياء المخيم، وأضاف أن المخيم يحتاج حاليا إلى إعادة بناء، وقد تم نصب ٧٥ خيمة لإيواء أهله بمساعدة الأونروا، وقال:إنه حتى ٢٩ نيسان لم يدخل في الحساب المصرفي للجنة الطوارئ المركزية للمخيم أي مبلغ مالي، وكان وصل قبل الاجتياح خمسة آلاف دولار من جمعية الهلال الأحمر الإماراتية، وثمة وعود بمساعدات من عدة جهات، وتحدث المدير العام للحكم المحلي في محافظة جنين فتحي عطاطرة عن اجتياح مدينة جنين والتركيز الخاص على قطاع التربية والتعليم، إذ أتلفت القوات المهاجمة الأجهزة والملفات والوثائق في الوزارة، واقتحمت مدارس، ودمرت أجهزة الكمبيوتر والمختبرات.

واتهم وكيل وزارة التربية والتعليم الفلسطيني نعيم أبو الحمص إسرائيل بإعاقة «حركة مليون طالب وطالبة وحركة ٣٠ ألف معلم في الضفة الغربية و ٤٥ ألف معلم في قطاع غزة».

* صرح الناطق العسكري الإسرائيلي بما يلي:

- منذ ليل أمس تقوم قوات من المظليين من حرس الحدود، ومن قوة دوفدفان بعمليات في قرية الشواورة شرقي بيت لحم للبحث عن مطلوبين وعن السلاح، وستغادر المنطقة اثر انتهاء عملياتها.

- وفي الـ ٢٤ ساعة الماضية في مدينة الخليل، اعتقلت قوات الجيش ١١٥ فلسطينيا، ١٨ منهم من المطلوبين لقوات الأمن، تم الإفراج عن معظمهم بعد استجوابهم؛ ومن الأسلحة التي تم اكتشافها: متفجرات؛ قنابل؛ ست بنادق إم ١٦؛ صواريخ لاو؛ قنابل دخانية؛ بندقية صيد؛ صندوق ذخيرة؛ بندقيتان آليتان؛ سترات قتال، وقتل سلاح حرس

الحدود فلسطينيين قرب كفار داروم في قطاع غزة.

واعتقلت قوات الجيش والأمن العام هذا المساء لؤي قفيشه من سكان وادي الحارثة في الخليل، واعتقل لؤي، وهو ناشط في «التنظيم»، بالقرب من الخليل.

وفي مؤتمر صحفي عقده الكولونيل موشيه أغار قائد منطقة يهودا أعلن أن قرار اقتحام مدينة الخليل اتخذ بعد عملية أدورا، وأن السلطة الفلسطينية، وقوات الشرطة والأمن التابعة لها لم تتدخل، وبذلك تمكن الجيش الإسرائيلي من مواصلة عملياته في الخليل دون إلحاق الأذى بالمدنيين.

ولخص الناطق العسكري عمليات الجيش الإسرائيلي في جنوب قطاع غزة بما يلي:

- انفجرت أمس عبوة ناسفة بالقرب من سيارة عسكرية إسرائيلية قرب معبر رفح على الحدود الإسرائيلية – المصرية، وأطلقت قوة من الجيش النار على الوحدة الإرهابية التي فجرت العبوة، وأصابت أحد الإرهابيين، وأُلقي القبض على إرهابي آخر، سلم إلى قوات الأمن لاستجوابه، وقام الجيش لاحقا بعمليات تفتيش لمنطقة المنشآت العسكرية قرب رفح، وهي منطقة تحت السيطرة الإسرائيلية، بهدف كشف أنفاق تستخدم لتهريب السلاح. وفي أثناء عملية البحث، انفجرت عبوة، وتم إطلاق نار وألقيت عشرات العبوات على قوة الجيش، التي ردت بإطلاق النار. وتم اعتقال أربعة فلسطينيين وسُلموا إلى قوات الأمن لاستجوابهم.

وشدد الناطق على أن الحدود الإسرائيلية – المصرية التي تمر في رفح تستخدم لتهريب السلاح الذي تستخدمه لاحقا المنظمات الإرهابية الفلسطينية لإلحاق الأذى بالمدنيين والجنود الإسرائيليين.

وطلب أمس فلسطينيان مساعدة الجيش الإسرائيلي لمغادرة كنيسة المهد، ويتم إطلاق المغادرين بعد استجوابهم.

وخلال الساعات القليلة الماضية، غادر كنيسة المهد ٢٦ فلسطينيا (من المدنيين والمسؤولين) بالتنسيق مع الفريق المفاوض، وتعد هذه نقطة تحول في المفاوضات، وتسمح باستمرارها حتى إنجازها.

أما بالنسبة للمقاومة الفلسطينية، فقد رأى مصدر مسؤول في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، في تصريح له اليوم، أن «نزول السلطة الفلسطينية عند شروط الإدارة

الأمريكية بتسليم من تسميهم إسرائيل قتلة الوزير العنصري رحبعام زئيفي، والأمين العام للجبهة الشعبية أحمد سعدات وفؤاد الشوبكي للسجن تحت الرقابة والحراسة الأمريكية – البريطانية، إنما يشكل تراجعا خطيرا وارتدادا إلى سياسة الانقسام في الصف الفلسطيني أي سياسة ما قبل الانتفاضة، والمقاومة والوحدة الميدانية ضد الاستيطان والاحتلال».

وقالت الحكومة الإسرائيلية الأمنية المصغرة، في بيان لها، أن إسرائيل أثارت مع الأمم المتحدة مسائل جوهرية تتعلق بلجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين. وأن إسرائيل لن تتعاون مع اللجنة، إذا لم توافق الأمم المتحدة على الشروط الإسرائيلية، ومنها عدم استدعاء شهود من قبل اللجنة، وأن تحصر هذه الصلاحية بإسرائيل.

وعرض وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، في مقابلة مع شبكة التلفزة الأمريكية سي.إن.إن على نحو ٢٥ فلسطينيا موجودين في كنيسة المهد في بيت لحم الاعتقال أو النفي وأدعى أن سبعة مدنيين فلسطينيين، فقط قتلوا في مخيم جنين، في حين قتل ٤٥ فلسطينيا مسلحا و ٢٣ جنديا إسرائيليا، وإن إسرائيل اتخذت كل التدابير لعدم إيذاء المدنيين في المخيم، وردا على سؤال عبر بيرس عن اعتقاده أن الأمم المتحدة منحازة ضد إسرائيل، كما استبعد فكرة اعتقال الرئيس عرفات «في الوقت الحالي».

وصرح وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس أن الحكومة الإسرائيلية تتحمل المسؤولية الكاملة عن جميع العمليات التي قام بها الجيش الإسرائيلي، بما فيها عملية جنين. لذلك، فإن الحكومة وحدها يمكن أن تقرر من سيدلي بشهادته (أمام لجنة تقصي الحقائق) فيما يتعلق بالقتال الشرس الذي وقع في مخيم جنين للاجئين.

وقال بيرس : إن إسرائيل قدمت ستة تحفظات إلى الأمم المتحدة، أهمها استفرادها بالقرار بشأن من سيدلي بشهادته أمام لجنة تقصي الحقائق، وحتى الآن لم يرد أي جواب من الأمم المتحدة. وأضاف بيرس أن إسرائيل لن تتخلى عن سيادتها.

وأمر رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ببناء ٨٠٠ وحدة سكنية في مخيم جنين وتوزيعها على المتضررين.

وقال الرئيس حسني مبارك في خطاب ألقاه لمناسبة الاحتفال بعيد العمال في القاهرة: إن إسرائيل «تجاوزت كل الحدود بممارساتها اللا إنسانية الهادفة إلى إرهاب

الشعب الفلسطيني وقمع مقاومته للاحتلال»؛ ورأى أن هذه «الممارسات شكلت خرقا فاضحا لالتزاماتها الدولية بموجب اتفاقية جنيف الرابعة»، وأضاف أن الحملة ضد الإرهاب «أخذت وجهة جديدة تهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية لإسرائيل على حساب الدول العربية والإسلامية، واستخدام هذه الحملة لمحاولة القضاء على المقاومة الفلسطينية الشرعية للاحتلال الإسرائيلي لأراضيها بل ولتعزيز موقف إسرائيل الرافض للدخول في مفاوضات سياسية مباشرة».

وصرح الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان أنه يميل إلى حل فريق تقصي الحقائق في أحداث مخيم جنين، نظرا إلى عدم قدرة الفريق على التحرك وللصعوبات التي واجهته، وقال: إنه تحدث مع المسؤولين الإسرائيليين، وبعث برسالة إلى إسرائيل لتوضيح الأمور ومعالجة المخاوف الإسرائيلية، وأضاف أنه أوضح للإسرائيليين أن الفريق سيذهب خصيصا لتقصي الحقائق، وأن المعلومات التي ستكون بحيازته ستستخدم لكتابة تقريره وتقريره فقط، وعلى الرغم من هذه الإيضاحات، لا يزال الطريق مسدودا.

وقال متحدث باسم الأونروا، رينيه إكوارون، في مؤتمر صحفي في جنيف، أن الحواجز الإسرائيلية تعرقل إيصال المساعدات الإنسانية إلى المناطق الفلسطينية المحتلة، وأضاف أن قطاع غزة يتعرضون لـ «اختناق اقتصادي»، وإن حرية الحركة والتنقل للسكان والبضائع مقيدة ومحدودة وفي الضفة الغربية، ما زالت مدينة بيت لحم تخضع لحظر تجول. وفي نابلس، كان حجم الدمار وعدد القتلى كبيراً ، أما في جنين حيث سويت مساحة ما يعادل أربعة ملاعب لكرة القدم بالأرض تماما، فتقدر الأونروا أن تكلفة إعادة أعمال المخيم تبلغ ٤١.٣ مليون دولار.

وأكد وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر في مقابلة مع محطة بي.بي.اس أهمية تدخل طرف ثالث لحل الأزمة الحالية في الشرق الأوسط، وأيد فيشر إرسال مراقبين دوليين إلى المنطقة، وأكد أن من مصلحة إسرائيل التعاون مع الأمم المتحدة في مسألة لجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين، ودعا وزير الخارجية الألماني إلى «تسوية إقليمية تقوم على أساس حق إسرائيل في الوجود والأمن وعلى أساس التطلعات المشروعة للشعب الفلسطينية إلى إقامة دولة معترف بها دوليا».

واجتمع ممثلو دول عدم الانحياز في دربان (جنوب إفريقيا) ونددوا بـ «المجازر

المتعمدة» وعمليات الدمار و «الفظائع الأخرى» التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني.

وأعلن البابا يوحنا بولس الثاني إيفاد مبعوث خاص إلى القدس للبحث في مسألة الحصار حول كنيسة المهد.

من مدينة إلى غرفة !!

تحادثت مع عماد النحاس، مدير مكتب الرئيس ياسر عرفات مطولا، عماد النحاس هو الرجل الهادئ الصامت والحاد والدقيق في عمله، لا شيء في حياته سوى رغبته في إنجاز ما يوكل إليه من مهام، ولهذا فقد رافق السيد الرئيس ياسر عرفات منذ سنوات طويلة جدا.

ذكر لي النحاس ما يعانيه المحاصرون في المقاطعة من عذاب وخوف وجوع، قال لي أن الماء والطعام والدخان نفد من بين أيدي المقاتلين وباقي الذين التجؤوا للمقاطعة من مدنيين وغيرهم، قال لي: إن جنود الاحتلال استطاع عزل المتواجدين بما فيهم الرئيس في قاعة سفلية كانت تستعمل للاجتماعات الكبرى، والطابق الثاني حيث مكاتب الرئيس، أما مبنى المحافظة الذي يضم أيضا عددا من إدارات الشرطة والمرور والأمن الوقائي والسجون فقد تمت السيطرة عليها من قبل جنود الاحتلال.

قال لي النحاس: إن ما يفصل بين المدافعين عن الرئيس وبين جنود الاحتلال مجرد أبواب حديدية أو خشبية مغلقة أو جدران غاية في الرقة، قال لي:إن الموت يترصد الجميع بمن فيهم الرئيس الذي أخذ على عاتقه رفع معنويات الجميع بلا استثناء. قال لي النحاس: إن الرئيس يمارس نشاطه الاعتيادي، يواصل اتصالاته بالقيادة الفلسطينية والعالمية رغم التشويش الشديد على الاتصالات ورغم انقطاع الكهرباء وانتهاء بطاريات الشحن للهواتف النقالة.

المشكلة الأكبر في كل ذلك ليس تهديد الجنود الإسرائيليين الذين انتشروا في كل أنحاء المقاطعة، وأنهم دمروا مبنى الاستخبارات العسكرية الذي تم بناؤه بعد قدوم السلطة الوطنية، ودمروا كذلك الإضافات التي أقيمت بالقرب من مبنى المخابرات، وكذلك المسجد الصغير الذي كان الرئيس يصلي فيه خارج المبنى، المشكلة في كل ذلك كان انعدام الماء والطعام لأكثر من مائتي شخص محاصرين. ولهذا – قال لي

النحاس - أن المقاتلين من قوة ١٧ قرروا أن يغامروا بالوصول إلى مخزن المؤن المتواجد في نهاية الممر الواصل ما بين مكاتب الرئيس ومبنى المحافظة.

ولتحقيق ذلك كان على المقاتلين أن ينفذوا عملية غاية في الخطورة، إذ عليهم أن يشتبكوا مع الجنود الإسرائيليين في نهاية الممر، أي كانت المواجهة مواجهة شخصية، يجدر بها السلاح الأبيض لا السلاح الناري، والشجاعة الشخصية أكثر من القدرة التكنولوجية.

وقد اختار مغاوير القوة ١٧ الليل لتنفيذ العملية، وقد فاجؤوا بذلك جنود الاحتلال الذين لم يتوقعوا أبدا أن يقوم المحاصرون بمهاجمتهم، وبجرأة نادرة وشجاعة فائقة استطاع المقاتلون إبعاد جنود الاحتلال عن باب مخزن المؤن في مبنى المقاطعة واستطاعوا الوصول إليه بعد مواجهة عنيفة ومشرفة، ومن ثم استطاعوا الحصول على عبوات كثيرة من المياه المعدنية وأكياس المؤن من الحبوب وغيره، وقد عادوا وسط التصفيق والتهليل لما قاموا به من عمل جريء، أما المحتل خارج المقر، فقد واصلوا كعادتهم التدمير والحفر وقطع الأشجار وهدم الجدران وإطلاق النيران وقنابل الإنارة، فيما لم تنقطع أصوات إطلاق الرصاص في مدينة رام الله.

الرئيس ياسر عرفات، الذي تعود الحصارات، استعاد صفاءه وقدرته على التركيز، قال لي المقربون منه والذين عاشوا معه فترات طويلة ورأوه في حصاراته أنه خلال الحصار ينكشف معدنه الأصيل القيادي الفذ، ويتحول إلى كتلة من الجرأة والدقة والحزم والمعنويات العالية.

في هذا الحصار، في مدينة رام الله، وحيث صار مكان الحصار لا يتجاوز الغرفة أو الغرفتين لم يتخل ياسر عرفات عن ثوابته أو مبادئه أو معنوياته، وعندما طلب اليه الاستسلام من خلال مكبرات الصوت، وطلب قائد الهجوم الحديث مع محافظ رام الله والبيرة الأخ الصديق أبو فراس خرج إليهم، فإذا بهم يعرضون عليه استسلام جميع من في المقاطعة وعلى رأسهم ياسر عرفات، هكذا دون مقدمات، كانوا بالتأكيد لم يعرفوا معادن الرجال المؤمنين بقضيتهم، وبالتأكيد أنهم لم يستفيدوا من حصار بيروت، حيث كان مكان الحصار مدينة كاملة وليس مجرد غرفة أو غرفتين، عرفات لم يسلمهم المدينة ولم يستسلم.

صحيح أنه ترك المكان، ولكنه لم يترك الراية، صحيح أنه غادر المدينة ولكنه لم يغادر

الوطن، في حصار بيروت كان المحتل يطارد الفلسطيني خارج وطنه من أجل تجريده من ثورته، أما الآن، فإن المحتل يطارد الفلسطيني من أجل أن يجرده من قراره وإراداته، اختلفت الأجيال وتغيرت ولكن الفلسطيني زاد من قدرته ومن إيمانه، وفقد الإسرائيلي شرعية رؤيته وإستراتيجيته، وأعتقد أنه كلما تقدم الصراع بيننا وبين الإسرائيليين فإننا بالقدر الذي نقترب به من أهدافنا المشروعة، فإن الإسرائيلي – ومن منطلق غبائه ليس إلا – سيفقد رغبته في الاستمرار في صراع من هذا النوع، ذلك أن الأجيال الفلسطينية المتعاقبة تفشل الصورة المسبقة التي ترسمها الدعاية الإسرائيلية لهم، فهم ليسوا إرهابين، وليسوا مجرد يائسين ولا جوعى ولا همج، ولا قتلة، بل هم طلاب أوطان وطلاب سلام وطلاب حضارة وتعايش.

وهذا يذكرني بما قاله لي داني مات عام ١٩٨١ عندما قال لي: إن دولة إسرائيل ستختفي عن الوجود ذات يوم، وذلك انصياعا لمنطق التاريخ، قال لي: إن أرض فلسطين رأت الرومان واليونان والفرس والمصريين وعشرات الأمم والحضارات ولكن فلسطين تبتلع كل الناس، رأى الدهشة على وجهي، قال لي وكأنه يقرأ أفكاري أنه يملك في بيته شمعدانين كبيرين بينهما مسافة، وكلما انتصرت إسرائيل في معركة، يقوم هذا الرجل بنزع شمعة من أحد الشمعدانين، قال – مضيفا – أنه سيأتي الوقت الذي تنتهي فيه شموع الشمعدانين، وبذلك تنتهي دولة إسرائيل، قال بما يشبه الصراخ إن هذه الفترة هي فترة إسرائيل وعليها أن تقوم بما هو مطلوب منها تماما، أن تدافع عن نفسها قال لي: إنه من عائلة تعرضت للذبح عام ١٩٢٩ في مدينة الخليل، ولهذا فقد تجند في عصابات البالماخ وكان بطل معركة الخليل عام ١٩٤٨، ولهذا أيضا فإنه يرى في نفسه مقاتلا حقيقيا في معركة الدفاع عن اليهود، قال وهو يصرخ إن مقتل يهودي واحد يساوي قتل العالم جميعا، أضاف أنه يعرف أن إسرائيل ستختفي كما اختفى غيرها من الدول التي أقامت نفسها في فلسطين، ولكن ذلك لن يمنعه من القتال حتى النهاية.

دان مات، رجل قصير ولكنه صاحب عينين ذكيتين نافذتين، وقد شغل منصبه هذا بعد معاهدة السلام بين السادات وإسرائيل، وقد اشتعلت المناطق المحتلة بعد ذلك ثم توجت بعملية فدائية قادتها دلال المغربي، وقد كانت عملية نوعية وجريئة أدت إلى تنظيم حملة عسكرية إسرائيلية عرفت باسم حملة الليطاني، وقد انطلقت جماهير الأرض المحتلة بمظاهرات صاخبة، وحينها استدعى داني مات رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة، وفيما كان مات يتحدث عن قتل اليهود ومعاناتهم بحرارة وصدق، تراءى له أن

الشكعة يسخر منه لأنه كان يبتسم، ولم يعرف مات أن الشكعة لم يكن يبتسم وإنما كانت شفته مشدودة إلى أعلى دائما مما يعطيه شكل المبتسم، ولكن مات الذي لم يكن يعرف ذلك اعتقد أن الشكعة يسخر من معاناة اليهود، ولهذا فقد سجنه، أما نحن في صحافتنا المحلية وفي مجلتي «العودة» فقد أطلقنا على داني مات اسم الوحش، لأنه كان المسؤول عن قمع المظاهرات الحاشدة وعن زج رموز الحركة الوطنية في السجن، ولهذا فقد استدعاني ليفهمني أنه ليس وحشا، وأنه مجرد مدافع عن حق اليهود في الحياة لأنهم تعرضوا أكثر من غيرهم للذبح والقمع. تحدث معي أو بالأحرى، كان يصرخ في وجهي لمدة ساعة، قلت له: أنني أعرف معاناة اليهود وأعرف تاريخ مذابحهم، وأعرف مقدار معاناتهم، ولكن هذه المعاناة لم يكن شعبي مسؤولا عنها، ولم يحدث أن أهان عربي أو مسلم يهودي لأنه يهودي مشكلة اليهود مع أوروبا وليست معنا، وليس هناك من سبب أن ندفع فاتورة حساب لم نكن طرفا فيها أبدا.

نظرية الأمن

الحصار على الرئيس يتعمق ويشتد، والتهديد بقتله أو تعمد قتله كانت إمكانية واردة تماما، وقد قال لي المحافظ أبو فراس إن الرئيس قال وهو يستقبل زخات الرصاص: «أهلا بروائح الجنة»، في إشارة إلى استعداده التام للموت، وقد تعود الرئيس أن يحمل معه بالإضافة إلى مسدسه الشخصي رشاشا جاهزا لكل احتمال، وقد ذكر لي غير شخص يتواجد مع الرئيس أنه أجرى عدة اتصالات مع قادة عرب وأجانب للضغط على إسرائيل لتبعد دباباتها عن مقره، وقد أكد له هؤلاء أنهم اتصلوا بالطرف الإسرائيلي، وأن إسرائيل أكدت لهم أنها أبعدت قواتها عن مقر الرئيس، عندئذ تأكد أبو عمار من حجم المؤامرة الكبرى، ففي اللحظة التي كان يسمع فيها من سماعة الهاتف أن إسرائيل أبعدت دباباتها عن بابه، كان يسمع بالأذن الثانية أمواج الرصاص الذي يئز حوله من كل الجهات، قال لي المحافظ أبو فراس إن أبو عمار صاح عندها: إنها مؤامرة إنها مؤامرة. وهي كذلك بالفعل؛ فقد ترافق الصمت العربي بالتواطؤ الغربي، ولم يعد هناك سوى الإرادة والصمود.

أبو عمار الذي كان يعرف أنه هو المقصود بهذه العملية، ليس بشخصه فقط وإنما بمواقفه ومبادئه وقضيته، تعود أن يمر على المقاتلين كل ليلة، وأن يمازحهم وأن يرفع معنوياتهم، وأن يربت على أكتافهم، وكذلك كان يفعل بالمحاصرين معه من المدنيين،

ومن المحاصرين معه كان هناك بالإضافة إلى المحافظ كل من العميد توفيق الطيراوي، ومسؤول الحماية العقيد جهاد الغول وهو رجل مليء وخفيف الظل رافق الرئيس في رحلاته وحروبه، وقد سقط معه في صحراء ليبيا عام ١٩٩٢، وقد ذكر لي أن الرئيس ورغم إصابته جراء السقوط إلا أنه هو الذي قام بحراستهم، وكذلك كان في المقاطعة كلها كل من أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي تم انتخابه بعيد استشهاد الأمين السابق أبو علي مصطفى جراء اغتياله بصاروخين أوديا بحياته صبيحة يوم ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٢، وقد توعدت يومها الجبهة أن تنتقم لأمينها العام، وقد حدث ذلك فعلا، إذ لم تنته تلك السنة حتى استطاع ثلاثة عناصر ينتمون إلى الجبهة من قتل الوزير المتطرف رحبعام زئيفي زعيم حركة موليدت الداعية إلى طرد المواطنين الفلسطينيين من وطنهم إلى الخارج، وذلك في فندق هيات في القدس المحتلة ويومها، هاجمت قوات الاحتلال بلدة بيت ريما وقتلت ثمانية مواطنين ونسفت عددا من البيوت بحجة البحث عن الخلية المسؤولة عن عملية قتل الوزير المتطرف، ثم وجهت إسرائيل التهمة فعليا إلى الأمين العام الجديد أحمد سعدات، وقد كان من المفاجئ أن يتم الإعلان أن أحمد سعدات والخلية المسؤولة عن قتل الوزير تتواجد في مقر الرئيس، وقد ذكر لي عماد النحاس أن الرئيس ياسر عرفات كان عادة ما يتناول طعامه مع سعدات، وأنه كان يستشيره في أمور عديدة، وأنه كان يعامله معاملة الأصدقاء والمستشارين.

أحمد سعدات الرجل الذي نشعر أنه تجاوز الستين بالشيب الذي يغزو رأسه وحواجبه، يفاجئك بعينيه الثاقبتين الذكيتين وأنفه المستقيم دلالة التحدي والصلابة، يفاجئك أيضا بثقافته وهدوئه وسعة اطلاعه ونفاذه ورؤيته الدقيقة للأمور.

كانت إحدى مطالب المحتل الذي يحاصر المقاطعة هو تسليم أحمد سعدات والثلاثة الذين نفذوا عملية قتل الوزير زئيفي-،كان مقتل الأمين العام أبو علي مصطفى ومن ثم مقتل الوزير زئيفي عمليتين نوعيتين، انتقلت فيهما المواجهة بين الفلسطينيين والإسرائيليين إلى مستويات مختلفة، ودفعت بالأمور إلى ذورة المعركة ، ولكن أبو عمار رفض هذا المطلب تماما ، واعتبره جزءًا من عملية فرض الاستسلام على الشعب الفلسطيني.

بالإضافة إلى هؤلاء كان هناك العقيد محمود ضمرة أبو عوض قائد قوات الـ ١٧ المطلوب الأخطر لقوات الاحتلال، ذلك أن هذا الرجل نظم عمليات المقاومة عن

المدينة وحول رجاله إلى مقاتلين مبادرين أيضا، وهو الأمر الذي دفع بقوات الاحتلال إلى نسف جميع نقاط المراقبة والتفتيش التي يشرف عليها جهاز الـ ١٧، وأكثر من هذا فقد طلبت قوات الاحتلال من السلطة الوطنية حل جهاز الـ ١٧ نهائيا. أبو عوض هذا، وفيما كان يجلس في الطابق الثالث من مقر الرئيس يحتسي فنجانا من القهوة- الأمر الذي يعتبر ترفيها بكل المقاييس- تعرض لصاروخ لاو أطلقه عليه أحد الجنود المتواجدين قبالته، ولكن الله كتب له النجاة إذ لم يصب الرجل بأي أذى.

وكان هناك أيضا الشاب خالد أبو شاويش، الذي فقد رجليه بعد أن أطلقت عليه قوات الاحتلال قذيفة مدفعية في حي الإرسال؛ خالد أبو شاويش كان يجلس على كرسي المقعدين، لا يستطيع الحركة ولا يستطيع خدمة نفسه، كان هذا أيضا أحد أخطر المطلوبين لقوات الاحتلال، فقد اتهمته هذه القوات بأنه يقف وراء العديد من العمليات التفجيرية، وقد ذكر بعض الصحفيين أن وفاء الإدريسي أول استشهادية فلسطينية وهي التي أنقذت خالد أبو شاويش يوم أصيب في شهر أكتوبر من عام ٢٠٠١، وقد رافقته من مكان إصابته إلى المستشفى باعتبارها كانت تعمل في طواقم الهلال الأحمر، وفاء الإدريسي ابنة مخيم الأمعري، قررت بعد ذلك بسنة أن تقوم بعملية تفجيرية انتقاما لكل شيء لمشاهد الدماء والدماء والخراب.

خالد أبو شاويش هذا، الذي لقبه رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي موفاز بأنه رامبو فلسطين، لم يترك العمل الوطني لحظة واحدة، إذ أنه كان يمارس اتصالات مع كتائب شهداء الأقصى وهو لا يستطيع الحراك، وقد ذكر بعض الصحفيين أن خالد أبو شاويش كان على اتصال هاتفي بالفدائية دارين أبو حجلة التي فجرت نفسها عند الحاجز العسكري قرب مستعمرة مودعين، قالت له في آخر كلماتها إن هناك عشرة جنود يقفون بجوارها ثم سمع خالد صوت الانفجار، الاحتلال قاس ومرعب، ويحظى- بالضرورة- بردود أفعال قاسية وعصية على الفهم.

كان يمكن لخالد أبو شاويش ابن الثلاثين عاما أن يمتهن مهنة تدر عليه دخلا وأن يتزوج وأن تكون له هوايات، وكان يمكن لوفاء الإدريسي، أن تتزوج وأن تربي ابنتها وأن تبقى تعمل في الهلال الأحمر، وكان يمكن لدارين أبو حجلة أن تستمر في عمرها، مراهقة تدرس وتكون أسرة، وكان يمكن لهؤلاء وغيرهم أن يعملوا في التجارة والزراعة والفن، ولكن الاحتلال غير أقدارهم وسمم أعمارهم وحولهم من أناس وادعين بسطاء

إلى أمثال هؤلاء.

الاحتلال مرعب حقا، ويحول حياة الناس إلى رعب، ومن ثم يحولهم إلى مرعبين، أبو عوض مثلا قائد قوات الـ ١٧ في رام الله، رجل لا تشعر معه أنه يمتلك كل هذا القدر من الصلابة والعناد. هو رجل أبيض البشرة ربعة القامة في عينه اليسرى ما يشي بأنها من زجاج- فقدها أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢- أنيق جدا وحليق الذقن، ويداه صلبتان ناعمتان في آن معا، أبو عوض هذا قال في تصريح صحفي له أثناء الحصار ونشرته جريدة الوطن القطرية، أنه إذا تم المس بالرئيس ياسر عرفات، فإن العمق الإسرائيلي لن يكون آمنا، إذن، الاحتلال يستطيع تحويل الإنسان العادي إلى مقاتل شرس، المعنى هنا واضح، فإذا كان الاحتلال يسلبنا الأمن، فإن باستطاعتنا أيضا سلبه أمنه الأمن للجميع والخوف للجميع. كان أن اختار شارون الطريق الثاني، اختار أجواء التخويف، لنا وللإسرائيليين، اختار أن يسلب أمننا فسلب أمن الإسرائيليين.

نظرية الأمن تقول: إنه إذا كان جاري يعيش بأمن، فإنني أعيش بأمن أيضا، ولا يمكن الحصول على كل شيء إلى الأبد، لا بد من التسوية.

ولما كان عام ٢٠٠٢ عام الإدارات اليمينية المتطرفة، والعقائد الواهمة والنظريات المغلوطة، فقد كان على الشعب الفلسطيني أن يدفع الثمن مضاعفا.

الرئيس عرفات وحده مع شعبه، تقاسم معهم عذاب الحصار والعتمة والجوع، وفي ظل هذه الأجواء حدثت فضيحة دولية جديدة شاهدها العالم كله.

أجانب أحرار وأصحاب ضمائر

كان منظرا محرجا للأوساط السياسية العربية والعالمية معا، كان منظرا مدهشا ولم يحصل من قبل، إذ اندفعت مجموعة كبيرة من الرجال والنساء الذين قدموا من بلاد بعيدة لا تتكلم العربية، باتجاه مقر الرئيس عرفات المحاصر بالنار والبارود، كانت مجموعة كبيرة تحمل لافتات تندد بالحصار وتشيد بالصمود الفلسطيني، حاول جنود الاحتلال منعهم ولكنهم، استطاعوا الوصول إلى الباب الرئيسي للمقر ، رغم أن جنود الاحتلال أطلقوا النار فوق رؤوسهم، كان جنود الاحتلال أجبن من أن يطلقوا النار عليهم بقصد القتل، فإسرائيل حساسة لصورتها في العالم وخاصة العالم الغربي، ولكن ذلك الأمر تم اختراقه أيضا، إذ قتل الإسرائيليون الأمريكية كارين ميتشيل في خانيونس،

والصحفي الإيطالي رافائيل في اليوم الأول لاجتياح رام الله بالقرب من مخيم الأمعري، وقدمت إسرائيل في حينها اعتذارا هو أقبح من الذنب نفسه .

كان قدوم هذه المجموعة من ناشطي السلام الأجانب عصر اليوم الثالث للحصار، وقد رأى العالم كله كيف يغامر هؤلاء بحياتهم من أجل إيمانهم بقضية السلام والمبدأ وحق الشعب في تقرير مصيرها، كان فعل هذه المجموعة عظيما ورائعا ولا يقدر، وما أن وصلت تلك المجموعة الباب الرئيسي لمقر الرئيس، حتى سارع المقاتلون إلى إزاحة الحواجز لإدخالهم بسرعة قبل أن يصابوا بأذى.

كان على رأس تلك المجموعة السيدة العظيمة كلوديا لوبوستيك، الفرنسية التي تعمل مدرسة للغة الفرنسية في مدينة نابلس، وقد تركت كل شيء لحظة سماعها خبر محاصرة الرئيس، وأسرعت في الوصول إلى رام الله رغم كل الحواجز العسكرية المنصوبة بين المدينتين، ورغم الحصار الذي يمنع أي حركة في المدينتين أجرت اتصالاتها مع الحركات الداعمة والمساندة لنضال الشعب الفلسطيني، واستطاعت أن تنظم هذه المجموعة الذين يرون في الرئيس عرفات رمز الصمود والإيمان بالمبدأ، ويرون في أريئيل شارون مجرم حرب، مارس جرائمه ضد الإنسانية منذ أن كان مجرد ضابط صغير في عام ١٩٤٨، كان هؤلاء مجموعة من الأشخاص غير الحالمين ولا حتى المتوهمين إطلاقا، وعلى العكس من ذلك كانوا يرون أن الرئيس عرفات ونضال شعبه الصغير هو خير مثال على محاربة الظلم ومواجهة العولمة وإقرار حق الشعوب الصغيرة في الاحتفاظ بملامحها الثقافية وانتماءاتها السياسية.

كانوا يرون أن نضال الفلسطينيين ورمزهم الكبير أبو عمار بمثابة الحرب الكبرى ضد سيطرة الولايات المتحدة على العالم.

إحدى النساء في تلك المجموعة الشجاعة كانت نتانيا غولان، وهي يهودية كندية متزوجة من فلسطيني تعيش في نابلس، انضمت إلى هذه المغامرة الخطيرة لإيمانها أنها ستمنع سفك الدماء الفلسطينية التي تعامل معها المحتل بأنها دماء رخيصة دائمة، المحتل تصرف وكأن دم الفلسطيني مبذول وتافه ومتاح، فيما دم اليهودي غال ونفيس، وكان في المجموعة أيضا الناشط الفرنسي المزارع وسائق التراكتور بوفيه، بشاربيه الطويلين وقامته القصيرة ولغته السريعة والغاضبة، والناشط في مجال مواجهة العولمة والذي تعرض عدة مرات للضرب والاعتقال في عدد من مدن العالم، جاء لينضم إلى

الرئيس عرفات في حصاره ليقول للعالم: أن الظلم والقهر والإذلال هو جزء من ملامح سياسة العولمة والأمركة.

ومن بين أعضاء هذه المجموعة البروفسور جيرار، الفرنسي ابن الستين عاما، ولكنه لم يكن يمل أبدا في كتابة مذكراته ومشاهداته عن فظائع الاحتلال وما يفعل حول المقاطعة، وكذلك كانت الشابة جوليا، القادمة من ألمانيا، التي أثبتت فعلا أنها تؤمن بما تفعل، إلى درجة أنها مزقت قميصها لتضمد به جراح المقاتلين، رغم برودة الجو تساقط الأمطار.

ما أن وصلت المجموعة إلى داخل المقر حتى قوبلوا بعاصفة من التصفيق الحاد والترحيب الحار، لقد أضافوا قوة معنوية هائلة للمحاصرين، شعر هؤلاء أن هناك في العالم من يضحي من أجلهم، بالجسد والروح معا، شعروا أنهم انتصروا على محاصريهم بدخول هؤلاء إليهم رغم كل شيء.

شعر المحاصرون وكما ذكر أصدقائي آنذاك أن دخول هؤلاء المتطوعين إلى المقر رغم وجود قوات الاحتلال هو فعلا إشارة للمستقبل، إذ إن قضيتنا عادلة ونحن على حق، وأن آلة إسرائيل العسكرية والإعلامية لا تستطيع أن تغطي على شمس الحرية والعدل.

وهذا ما يذكرني بما فعلته الآلة الإعلامية الصهيونية بي عندما توجهت لاستلام جائزة السلام وحقوق الإنسان من مستشار النمسا برونو كرايسكي عام ١٩٨٨، فقد لاحقوني بالدعايات المسمومة التي ذكرت إنني أطلقت تصريحات معادية لليهود، وأن كلامي فسرّ على أنه لا سامية، ولم يكتفوا بذلك، بل أرادوا أن يحرجوا كرايسكي نفسه بذلك، بمعنى إحراجه، لأنه يعطي «لا سامية» جائزة للسلام وهو اليهودي أصلا.

أذكر أنني توجهت بالطائرة من عمان إلى فيينا، ويومها، وعندما عرف الركاب أنني متوجهة إلى فيينا تجمعوا حولي وبدؤوا يسألون عن فلسطين وعن نضال أهل الضفة ضد الاحتلال، وقد أخذنا الحديث حتى جاء قائد الطائرة وأمرنا بالتفرق لتحافظ الطائرة على توازنها.

وقبل أن أصل فندق إنتركونتيننتال في فيينا اتصلت بي مديرة مكتب المستشار كرايسكي وطلبت مني بأدب جم أن أنفي ما نسب إليّ من تصريحات عن اليهود، وقالت

لي أن الإعلام الصهيوني الذي يرفض منحي هذه الجائزة مصر على تعكير صفو المناسبة، ومصر على إحراج كرايسكي. فهمت المسألة تماما عرفت أن الإعلام الصهيوني لا يقل خطرا عن الدبابة في المحاصرة والهجوم والاقتحام وتغيير الوقائع، قلت لنفسي : إنني سأقدم نفسي وشعبي وثقافة أمتي كما هي تماما، بعيدة عن العنصرية وعن الكراهية وأن ما يدعى باللاسامية إنما هي مصطلح غربي أطلق في القرن التاسع عشر في روسيا وألمانيا ورومانيا وليس في فلسطين أو الجزائر أو اليمن، وأننا ننتمي أصلا إلى الثقافة السامية، فلا يمكن لليهود أن يتميزوا علينا بهذه الصفة، كما أننا لم نعرف أصلا هذا التعبير.

وفي فندق أنتركونتيننتال وأمام الصحفيين شرحت مواقفي وأعدت تأكيد قناعاتي بالتعايش والتفاهم والحوار، وحدهم هم من لا يريدون الانصياع لصوت الحق والعدل. وقلت: أن لا مشكلة لنا مع اليهود كيهود فهم عاشوا معنا دائما، وشغلوا أرفع المناصب في الأندلس ومصر واليمن والجزائر والمغرب، ولم نعرف يوما مفهوم المسألة اليهودية كما طرح في الوعي الغربي، قلت:إن مشكلة اليهود مع الغرب وليس معنا، فنحن ننتمي إلى حضارة حوار وتفاهم واحترام الآخر.

كان هذا المؤتمر الصحفي في ذلك الفندق بمثابة الصفعة المدوية على خد الإعلام الصهيوني والسياسة الصهيونية التي تريد إظهارنا دائما بصورة الإرهابي القاتل الذي يرفض الحوار مع الآخر.

كرايسكي اليهودي أصلا ذو القلب الكبير والمفهوم الإنساني الواسع كان يرى في الصهيونية حلا غير مناسب للمسألة اليهودية برمتها، كان يرى في إسرائيل دولة قاصرة في تعاملها مع محيطها، كان يعتقد أن اليهودي الحقيقي هو اليهودي الذي يرى في نفسه إنارة داخلية تحمله على إطاعة الله وليس تعذيب عبيدالله، كان كرايسكي ذا حضور مميز ببذته القصيرة والبيضاء، وقامته المتوسطة وعينيه الذكيتين الطيبتين، لهذا السبب كرهته إسرائيل الرسمية ورغبت في إحراجه.

زرت كرايسكي مرات كثيرة، وفي كل مرة كان يحتفي بي احتفاء شديدا، كان يرى في شخصي المتواضع امرأة فلسطينية تناضل من أجل شعبها وحريته، كان يرى في عملي الإعلامي والسياسي جزءًا من رحلة طويلة لإقناع العالم بأن الفلسطينيين يستحقون دولة ككل الشعوب.

وبالمناسبة، فإن هناك حساسية إسرائيلية تجاه ما يحصل في النمسا دائما، ولهذا فقد تعرض كورت فالدهايم للملاحقة الإعلامية الإسرائيلية ،وكذلك حصل مع الدكتور هايدجر الذي اتهم بأنه مناهض لليهود في النمسا.

الفضيحة

اشتقت لمنظر شجرة الياسمين التي تظلل مدخل بيتي، هذه الشجرة التي كانت صديقتي دائما، وقد رافقتني منذ أن سكنت هذا البيت، في شارع مار يوحنا قبل ٢٥ سنة، ولما كانت القذائف والرصاص يلعلع حول غرفتي، كنت أفكر أيضا بمصير شجرتي التي لا تتوقف عن عطائها الأبيض ذي الرائحة الناعمة والمريحة.

هذه الشجرة كانت رفيقتي في سجني المنزلي، وكانت حاضرة دائما وفي استقبال الشخصيات السياسية والأدبية والفعاليات الشعبية التي زارتني لإظهار دعمها ووقوفها معي، كان ذلك في العام ١٩٧٦، حيث أراد المحتل أن يطوع جماهير الضفة والقطاع ضمن خططه الرامية إلى جعل هؤلاء المواطنين مجرد عمال ذوي أجور رخيصة في مصانعه ومزارعه.

هذه الشجرة كانت تراني وأنا استقبل عاموس عوز الكاتب الإسرائيلي الذي أبدى في ذلك الوقت تغييرا هاما في مواقفه اتجاه الفلسطينيين، وكذلك عاموس كنعان الذي أحضر والده العجوز معه، وأذكر أنه جلس في ظل شجرة الياسمين أمام البيت وقال لي :إنه يخجل من أفعال إسرائيل.

لم أنسَ هذه الشجرة حتى عندما انتقلت إلى باريس، فقد كنت أوصي جيراني بها في هذا الحصار اشتقت لأن أرى ياسمينتي، رغبت أن افتح الباب وأراها وأتنسم عطرها، ولكن من يستطيع أن يفتح باب داره وخاصة في شارع مار يوحنا، حيث لم يغادر الجنود هذا الشارع إطلاقا.

وفي الحقيقة وبعد مرور عدة أيام من الاقتحام المرعب والفظيع، فقد شعرت حقا برغبة في رؤية رام الله، رغبت في التجول في أحيائها وأزقتها، اشتقت لرؤية بطن الهوى في هذا الوقت من السنة، حيث يغطي الضباب جنبات الوادي ويغرق المنازل بذلك الندف الناعم من الرذاذ والقطن، كنت أرغب في رؤية رام الله القديمة بمنازلها القرميدية الهادئة يتصاعد الدخان من مدافئها، كنت أرغب أن أرى الوجوه والبنايات والأشجار، كنت

أرغب في السير في شارع الطيرة، حيث أواجه البحر، بحر فلسطين الذي حرمت منه منذ زمن بعيد، كنت كلما أنظر إلى البحر، أتذكر أمي، أمي كريسماس، بنت كفر ياسيف، التي ولدت في الولايات المتحدة والتي كانت أسطورة حقيقية في حياتها وكرمها وشجاعتها وإيمانها بنفسها وحتى في قوتها، البحر يذكرني بعكا، بمدينتي الأولى، وبيتي الأول، ووالدي حبيب، الذي كان رجلا ممتلئا بالكرم والبذخ والثقافة والأريحية، كان ينفق دون خشية من فقر، وكان يحب الحياة وكأنها بلا نهاية، كان يملك قلعة جدّين- التي أقيم على أنقاضها موشاف يحيعام الآن ، كان صاحب مزاج حقيقي، وله صداقات وعلاقات مع مختلف العائلات والزعماء، كان معتدا بنفسه إلى درجة أنه قدم ذات مرة للمندوب السامي هربرت صمويل خبزا وصحنا من لبن؛ لأنه دعاه إلى طعام فتأخر جدا فما كان من والدي إلا أن صب ماء وسخا على الطعام وقذف به إلى الخارج، ولما جاء المندوب السامي قابله والدي بهذا الاستقبال.

والدي حبيب حوا، كان هو الآخر أسطورة، ولكنه أسطورة البذخ والوجاهة والشجاعة، أما أمي فقد كانت أسطورة الشجاعة والاندماج الاجتماعي والرغبة في التحرر والعطاء والانطلاق، كانت فنانة بملابسها ومجوهراتها وعربتها التي يجرها حصان ويسوقها حوذي، وبلغ من حب والدي لها أن اشترى لها سوطا له مقبض من ذهب، كان بينهما فارق زمني كبير، غطى الحب في البداية على هذا الفارق، ولكن الحياة والفروق الحقيقية بينهما فرقت بينهما في النهاية، فتربية والدي وحياته في لبنان وباريس جعلته أكثر استعراضية، فيما كانت حياة والدتي في الولايات المتحدة أكثر انطلاقا وحرية وحقيقية، ولهذا افترقا حياة البذخ والعلاقات والتجارة، جعلت والدي يمعن في بذخه وكرمه وحفلاته، وكما قلت فقد كان ينفق وكأنه لا يخشى الفقر، وكان يعيش عمره وكأن الحياة بلا نهاية، كان يملك أراضي كثيرة شمال وشرق عكا، وكان يملك بواخر تأتي بالبضائع من بلاد بعيدة، وكان على علاقة مع كبار الشخصيات على طول الساحل الفلسطيني وفي موانئ مصر وبيروت، ولكن كل ذلك لم يمنع الأسرة من الانهيار، وكان أن ذهبت لمدرسة داخلية في الناصرة، ولكن أمي النادرة التي أعطتني كل شيء فيها، المبادرة والجرأة والرغبة في الحياة ومواجهتها بكل قوة، ظلت هي مرشدي طيلة حياتي، حتى هذه اللحظة، وللحقيقة، فإنني دائما ما أراها أمامي، ودائما أحلم بها في منامي، أن قوتها وجرأتها وانفتاحها وتغييرها للبيئة التي كانت تعيش فيها جعلتني على ما أنا عليه الآن.

في هذا الحصار، أتذكر أمي كثيرا وكثيرا جدا، أتذكر أمي لأنني أتذكر نفسي عام ١٩٦٧ عندما استطعت وعددا من سيدات نابلس أن ننقذ أهالي قلقيلية من الطرد والقتل، وان نسعفهم وأن نوفر لهم المأوى والطعام والماء، رغم اختفاء الرجال وخوفهم، وبذلك أتذكر ما فعلته أمي كريسماس بعد عام ١٩٤٨، وكيف استطاعت أن تنقذ كثير من السجناء حتى المحكومين من الإعدام، وكيف استطاعت أن تهربهم بواسطة حمالات المرضى وبذلك أنقذت أرواح كثيرة من القتل أو الأسر، أشعر أنني أعيد سيرة حياة أمي، أشعر أحيانا أنني أمي ليس إلا، لقد ورثت عن أمي بشرتها البيضاء وأناقتها وحبها للحياة وقدرتها على التكيف، فبعد أن ضاعت الثروة لم تنكسر ولم تنزو، بل بحثت عن عمل تعتاش منه، وقد رأيتها آخر مرة في نابلس في العام ١٩٥٦ من خلال بوابة مندلباوم في القدس، رأيتها في شيخوختها شمعة عتيقة ما تزال قادرة على منح الضوء والحب، رأيتها شجرة ياسمين شامخة، بلون الياسمين ورائحته وبياضه، هل هذا هو السبب الذي جعلني أحب شجرة الياسمين التي تحرس باب بيتي.

في هذا الحصار أشعر بالعجز الشديد، لم أستطع الخروج إلى مدينتي لأحميها، ولم أستطع أن أعيد الأيام إلى سابقتها، استحضرت وجه أمي، فبكيت بحرارة، كانت المدينة تمتلئ بالشهداء والجرحى والبنايات المدمرة، ورئيس الشعب ورمزه محاصر بينه وبين الموت أقل من نصف بوصة، أما أنا فمحاصرة أيضا، على باب بيتي شجرة ياسمين عتيقة.

لم يعد أمامي سوى الهاتف وشاشة التلفزيون، كان اليوم الثامن للحصار، وإذا بفضيحة دولية يتم الإعلان عنها ويراها العالم دون أن يحرك ساكنا، ذلك المبعوث الأمريكي اللبناني الأصل أنتوني زيني سيزور الرئيس ياسر عرفات في مقره المحاصر، لم أصدق عيني، فكيف تقبل دولة هائلة القوة أن تبعث بأحد ممثليها إلى الرئيس عرفات تحت سمع وبصر وحماية الدبابات الإسرائيلية؟ وكيف تقبل دولة تمثل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان أن تعطي الشرعية للاحتلال والظلم وسلب الحقوق.

لم أصدق عيني وأنا أرى زيني المحاط ببنادق المحتل، يحضر إلى مقر المقاطعة يتجاوز أكوام التراب والسيارات المسحوقة والبنايات المبقورة والجثث التي تطل من هذا الركام أو ذاك، يأتي حاملا شروط الولايات المتحدة التي هي شروط إسرائيل - للاستسلام.

كانت تلك فضيحة بكل المقاييس، ونفاق دولي وتواطؤ من جميع الأطراف بلا استثناء، فها هي إسرائيل والولايات المتحدة وجميع الأطراف ذات العلاقة تحاصر الرئيس عرفات من كل الجهات، عمليا، فإن زيني يستكمل ما تقوم به دبابات المحتل وبنادقه وعمليا، فإنه يساند خطة شارون في فرض الاستسلام على الشعب الفلسطيني. زيني الذي جاء بوجه جامد وصلب وتسريحة شعر تشبه تسريحة جنود المارينز، اجتمع بالرئيس ياسر عرفات في غرفة بالطابق الثاني من المبنى في حين لم يبتعد جنود الاحتلال عن شباك الرئيس ولو للحظة، تحت هذه الظروف طلب زيني من الرئيس تسليمه أحمد سعدات وأعضاء الخلية التي قتلت زئيفي وفؤاد الشوبكي مسؤول الإدارة المالية المتهم بأنه الذي مول السفينة كارين أن بالإضافة إلى هذا طلب زيني من الرئيس أن يعلن وقف إطلاق النار.

كان ذلك قمة الفضيحة الدبلوماسية، فكيف لرئيس محاصر لا يملك دبابات ولا طائرات ولا صواريخ إستراتيجية أن يعلن وقف إطلاق النار ضد دولة تمتلك ترسانة نووية، كان ذلك أشبه بنكتة سمجة جدا، إذ تحولت إسرائيل إلى حمل وديع فيما كان الرئيس هو المعتدي، لم يكن زيني يعلم ـ أو ربما يعلم ـ أن الرئيس لم يأكل منذ أكثر من ثلاثة أيام وان المحاصرين لم يشربوا ماء نظيفا منذ بداية الحصار، زيني الذي قلب الحقائق وصدقها فوجئ بالرئيس عرفات يرفض كل ذلك.

أمريكا خاصتهم

كان مجيء المبعوث الأمريكي أنتوني زيني إلى مقر المقاطعة محروسا بالبندقية الإسرائيلية، مجرد ورقة ضغط أخرى على الرئيس عرفات وشعبه، ولكن قدومه الذي يشبه الفضيحة الأخلاقية، أدى إلى إدخال بعض مواد التموين للمحاصرين، واستطاعوا أن يتمتعوا بوجبة كاملة وأن يشربوا مياه نظيفة وكافية.

ولم تنته الفضيحة الأخلاقية تلك، إذ ورغم أن اللقاء بين زيني والرئيس عرفات لم يؤد إلى نتائج تذكر، لكن تم الاتفاق على مواصلة اللقاء بين الطرفين في القدس بمعنى أن يلتقي زيني مع وفد فلسطيني برئاسة الدكتور صائب عريقات، ولكن القوات الإسرائيلية المحتلة منعت الوفد الفلسطيني من الوصول إلى القدس، ولم تحتج الولايات المتحدة على ذلك وبهذا فقد اكتملت عناصر النفاق والفضيحة الأمريكية. فالترجمة العملية والفعلية لهذا هو أن الهجوم على الرئيس وعلى الشعب كان بمباركة الإدارة الأمريكية

التي كانت تريد أن تثبت جديتها في ما تسميه حرب الإرهاب، حيث رأت في النضال الفلسطيني من أجل الحرية جزء من الصورة الشاملة للإرهاب العالمي في أكثر صور النفاق والكيل بمكيالين.

ربما يبدو الموقف الأمريكي للفلسطينيين غير مفهوم إطلاقا، فهذه الدولة العظمى التي أقامت نظامها السياسي والاجتماعي على الحرية وحقوق الإنسان، تبدو هنا في فلسطين وكأنها لا تقرأ التاريخ ولا الجغرافيا ولا السياسة ولا الثقافة.

وبالصدفة رأيت كتاب المعلمة الأمريكية نانسي باركر ماكدويل التي كانت تدرس التاريخ والعلوم والانكليزية في مدرسة الفرندز ما بين العامين ٣٨-٣٩، أي خلال الثورة الكبرى التي إندلعت في الفترة ٣٦-٣٩، وقد كتبت هذه السيدة كتابا عن حياتها في رام الله أثناء تلك الثورة تحت عنوان «ملاحظات من رام الله» ذكرت فيه ممارسات قوات الاحتلال الإنكليزية في رام الله، وكيف أنهم احتلوا الفندقين الوحيدين في المدينة وكذلك المدارس الحكومية، وكيف أن تلك القوات كانت تهدم الأسوار حول تلك المواقع ونقص الشجر حتى لا تترك المجال للثوار بالتواري خلفها، وذكرت بالتفاصيل واقع الحياة اليومية في رام الله أثناء تلك الثورة، إذ كان يمنع على المواطنين التجول ما بين الساعة السابعة مساء وحتى السادسة صباحا، ومن يخرق نظام حظر التجول يقتل دون إنذار، وأشارت تلك السيدة إلى قيام قوات الاحتلال الإنكليزي بقطع الطرق ومنع الحركة إلا لمن يحمل تصريحا خاصا، ولكن الثوار منعوا المواطنين من الحصول على تلك التصاريح، وأشارت الكاتبة إلى شدة الثوار في التعامل مع من يرفض دفع النقود إليهم أو من يتهم بالعمالة كما فعلوا في القدس القديمة حيث علقوا جمجمتين لعميلين على أحد أبواب القدس، شعرت أنها تكتب عن أيامنا هذه، الاحتلال وعقليته لا يتغيران. المهم إنني فوجئت بأن هذه السيدة التي كانت متحفظة في إبداء آرائها حول النزاع العربي الفلسطيني في بداية الكتاب تحولت إلى اتخاذ موقف أمريكي متقدم- حتى بمفهوم هذه الأيام- تجاه هذا الصراع.

تكتب هذه السيدة مظهرة حسا إنسانيا وعمقا في الرؤية في كتابها المشار إليه في العام ١٩٣٨ ما يلي بالحرف «لقد شعرت بالحزن، لأن اجتماع كلية أصدقاء بلتيمور أشار إلى أهمية فتح فلسطين لليهود، لأن هذا الاجتماع لا يعرف شيئا عن أحوال فلسطين إن هذا لا يعني أنني أكره اليهود كما هو الحال لدى العرب،أو لأنني غير متأكدة من أن عليهم أن يمتلكوا مكانا آخر في العالم. ولكن فلسطين صغيرة، ويميل الناس إلى إهمال حق العرب

الذين عاشوا في فلسطين دائما، وأن وطنهم يعطي لأجانب بواسطة قوة أجنبية، الأرض مهمة جدا للوجود، والعرب الأصليون هم بطيئون وغير أكفاء إذا قورنوا باليهود ورؤاهم التقدمية، ولكن عادات وثقافة العرب تراكمت عبر الأجيال، وأنا لست متأكدة من أن التقدم الصناعي الذي يمثله اليهود هي أكثر ما يستحقه هؤلاء العرب في حياتهم».

وفي العشرين من أكتوبر من عام ١٩٣٨، يدور هذا الحوار بين تلك السيدة وصاحب حمار كان يوصلها إلى المدرسة، وتسجله في كتابها على النحو التالي:

صاحب الحمار: حرام، أنت أمريكية، أنت لا تحبين العرب.

الكاتبة: لماذا تقول ذلك؟! العرب أصدقائي.

صاحب الحمار: ولكن رئيسك روزفلت يحب اليهود، وهو يريد منح فلسطين لليهود.

الكاتبة: ولكن الرئيس روزفلت لا يعرف شيئا عن حالة العرب في فلسطين.

صاحب الحمار: أميركا خاصتك، لماذا تسمحون لليهود أن يديروا كل شيء في أميركا خاصتك؟!

الكاتبة: لا أعرف!!

شعرت أن هذا الحوار يدور الآن، لا شيء تغير، أميركا على حالها تجاهنا، ونحن على حالنا تجاهها، لم نتقدم ولو قيد شعرة، الأميركي لا يفهمنا ونحن لا نفهم الأميركيين، والدماء وحدها التي تسيل.

عندما وقف رئيس الولايات المتحدة جورج بوش وطلب من العالم ألا يتعامل ولا يعترف بالرئيس ياسر عرفات، كان يخالف ويناقض ابسط قواعد الديمقراطية التي تقول أن علينا أن نتعامل ونعترف بالرئيس المنتخب شرعيا، ورغم ما قاله بوش، فقد أرسل أنتوني زيني إلى المقاطعة ليتفاهم مع الرئيس عرفات، وكان ذلك أيضا نفاقا وتناقضا في المواقف، أي أن الإدارة الأميركية اعترفت ضمنا بأن الرئيس عرفات هو الذي يتحكم في كل شيء، وأنه العنوان الرئيسي والوحيد للشعب الفلسطيني.

على كل فإن زيارة أنتوني زيني إلى المقاطعة ترافقت مع مقتل ١٧ جنديا إسرائيليا في مخيم جنينّ المحاصر منذ أكثر من أسبوع، والذي يتعرض لعملية إبادة حقيقية، ورغم الفرق بين المهاجمين والمحاصرين، فقد استطاع المقاومون قتل ١٧ جنديا في عملية

واحدة، كان الأمر موجعا لإسرائيل إلى درجة أنها طلبت وقفا لإطلاق النار في المخيم، شيء مضحك إلى درجة البكاء.

وفي اليوم التالي لذلك، أي في اليوم الثالث عشر للحصار الموافق للعاشر من نيسان نفذت كتائب عز الدين القسام عملية تفجيرية على طريق حيفا القدس أسفرت عن مقتل عشرة جنود إسرائيليين، ففقد اليمين الإسرائيلي أعصابه، وسمعنا أصواتا تدعو إلى قصف مقر الرئيس عرفات بالطائرات على من فيه، وقد تم تنفيذ ذلك جزئيا، إذ لم تغرب شمس ذلك اليوم، حتى حلقت طائرات (١ف ١٦) فوق المقاطعة وبدأت بإلقاء قنابل حول المقر، فدمرت مبنى الإدارة المالية ومبنى الأمن العام وغيرها من المباني.

قال لي عماد النحاس إن الرئيس عرفات، وعندما بدأت الطائرات تدمر المباني حول المقر، وشعور المحاصرين أن النهاية قد اقتربت، صعد إلى الطابق الثالث، هو في أقصى حالات الغضب، حاول مرافقوه أن يمنعوه من الصعود إلى الطابق الثالث لأن الوضع خطر جدا ولكنه رفض ذلك، فقد أراد أن يرى ما الذي يجري في الخارج، كان غاضبا جدا، صار يتمشى في قاعة المؤتمرات وهو يقول في ذروة من القهر والغضب: ليتفرج علينا العرب كما تفرجوا علينا في حصار بيروت.

عندئذ قاطعه أحد المقاتلين بالقول: إن عزيمتك يا أخ أبو عمار تبعث فيها العزيمة لمقاتلة العالم.

نظر الرئيس إليه، ورد عليه وقد ردت إليه ابتسامته: بارك الله فيك.

ظلت الطائرات ترمي بحمولتها حول المقر، وظل الرئيس يحدق في المشهد الجنوني أمامه، كان الموت والنكران والإهمال فقط ما يؤطر المشهد كله، كان الرئيس ومن حوله ومن بعده شعبه محاصرا دون أدنى مساعدة أو دعم. وفي تلك اللحظات، أعلن أن وفد القيادة الفلسطينية وعلى رأسهم أمين سر اللجنة التنفيذية أبو مازن سيأتي إلى المقر بعد مفاوضات طويلة ومضنية وتدخل دولي للسماح للوفد بالدخول -.

كان هدف الزيارة الإعداد لزيارة وزير الخارجية الأمريكي كولن باول نفسه.. يا للمفاجأة .

جاء باول !!

بعد أن انتهت طائرات (إف ١٦) من إلقاء حمولتها على المقاطعة، لم يمض وقت

طويل من ذلك اليوم، حتى حضر وفد القيادة الفلسطينية إلى المقر، وضم الوفد بالإضافة إلى محمود عباس، كلا من ياسر عبد ربه وزير الإعلام والثقافة وصائب عريقات وزير الحكم المحلي والعقيد محمد دحلان رئيس جهاز الأمن الوقائي في غزة.

وعندما اجتمع الوفد بالرئيس، كان مفاجئا أن يطلب الرئيس من مسؤول المطبخ أن يعد مائدة طعام الرئيس، كان الرئيس يرغب في إرسال رسالة ما للخارج.

الوفد القيادي الذي اجتمع مطولا مع الرئيس أشار إلى المحادثات المتعثرة مع المبعوث الأمريكي زيني، وأن الحديث يدور الآن حول المطالب الإسرائيلية المتشددة، بعد أن أحكمت القوات الإسرائيلية حصارها على معظم مدن الضفة الغربية وقراها ومخيماتها، وبعد أن دخلت عملية السور الواقي أسبوعها الثاني، وتراجع الموقف الرسمي العربي إلى أدنى مستوياته.

واستمع الوفد إلى تعليمات الرئيس فيما يتعلق بالمحادثات المستقبلية مع زيني، ولكن النقطة الأهم التي ثارت في اللقاء، هي الإعداد لزيارة كولن باول نفسه إلى المقاطعة الذي اشترط فيها أن يصدر الرئيس ياسر عرفات بيانا يدين فيه عملية يوم أمس التي نفذتها كتائب القسام ، وأسفرت عن مقتل عشرة جنود.

كان المطلب الأمريكي يدلل مرة أخرى للمرة الألف ربما على الكيل بمكيالين، وعلى اختلال النظرة الأخلاقية والسياسية للأمريكيين، فهم من جهة يدعمون احتلال إسرائيل لأراضي دولة أخرى وإذلال شعب آخر، ومن جهة أخرى تطلب من الشعب الذي يقع عليه فعل الاحتلال ألا يتحرك وألآيغضب وألا يرد على الإهانة بالإهانة.

ولكن وعلى الرغم من كل ذلك، فقد توقع المحاصرون أن تكون زيارة باول المتوقعة إلى المقر، قد تؤدي إلى رفع الحصار عنه، فليس من المحتمل أن يقبل باول المجيء إلى المكان وهو محاصر بدبابات الاحتلال وبنادقه، أن ذلك سيمسّ بسمعة وهيبة الولايات المتحدة.

وتوقع المحاصرون أيضا أن زيارة باول للمنطقة بشكل عام ستساهم في حلحلة الأزمة، فلا يعقل أن يأتي خالي الوفاض من المقترحات أو الحلول، والأهم من ذلك كله، أن الولايات المتحدة- على ما يبدو- قد اعترفت بفشل سياستها عدم التعامل مع الرئيس عرفات، وها هي تعيد الاتصال معه، قال لي النحاس إن آمال المحاصرين

مرتفعة وتوقعاتهم عالية من هذه الزيارة.

ذكرتني مسألة الاعتراف بعرفات والتعامل معه أو التغاضي عنه، والاضطراب والتردد في التعامل معه، ما حدث يوم أن استدعاني وزير الصحة الإسرائيلي مردخاي غور، العمالي ذو الخلفية العسكرية في حرب ١٩٧٣، يومها التقينا في أحد فنادق القدس التي تشرف على المدينة كلها، كان هذا اللقاء بطلب من الرئيس كرايسكي وهو من رتب له. كان ذلك في العام ١٩٨١، قال لي يومها وهو يشير بيده إلى القدس وبكامل الافتخار والزهو: انظري إلى المدينة، إنها المرة الأولى في التاريخ التي نفتح فيها القدس كيهود، وتهزمنا كيهود هذه معجزة والعرب لن يأخذوا القدس مرة أخرى، يومها قلت له: إن القدس ستكون مقبرة لكم.

قال لي : إنه مستعد ليقابل عرفات وأن الفلسطينيين يستحقون دولة، وأضاف أنه ليس مجرما ولا قاتلا، بالعكس من ذلك، فهو يكتب القصص والشعر ويحب الأدب والموسيقى، ثرثر معي لأكثر من ساعة أراد أن «يعرف بنفسه» كما قال لي كيهودي محارب وحساس معا، وانه ليس ضد الفلسطينيين بل ضد قتل اليهود، ولكن هذا الرجل وعندما دقت ساعة الحقيقة لمقابلة الرئيس ياسر عرفات رفض قائلا:إنه لا يريد أن يحرق نفسه كما فعل عازر وايزمن الذي تحمس للسلام مع الفلسطينيين حسب تعبير مردخاي غور.

إن الجبن والتردد وضيق الرؤية هي التي تدفع بعض الأطراف إلى عدم التعامل مع العنوان الصحيح للشعوب. وهذا نفس الموقف الذي يتخذه الآن بوش وشارون وغيرهم.

صباح اليوم التالي، وعشية الاستعداد لزيارة كولن باول، وصل عناصر الأمن الأمريكي إلى المقاطعة، وبدؤوا يفتشون المكان ويعدون لزيارة آمنة للوزير الأمريكي. وفي ذلك اليوم أيضا أخرجت قوات الاحتلال الإسرائيلي جثة الشهيد الشاب محمود فريد بواطنة من تحت الانقاض، وكان هذا الشهيد قد استشهد في اليوم الأول لحصار المقر، والشهيد كان يعمل طاهيا لحرس الرئيس، وقد فقدت آثاره منذ اليوم الأول للهجوم، وتم الاعتقاد بأنه قد أسر، وقد فوجئ المحاصرون وهم يشاهدون جثة الشهيد تطرح جانبا، حيث فخخها جنود الاحتلال لتنفجر بوجه من يحاول إيواءها، إلى هذه الدرجة وصلت الأمور، أسوأ الأشياء وأردأ الخصال البشرية نجدها لحظة الحروب.

يوم الجمعة الموافق ١٢/ ٤، أي قبل وصول الوزير الأمريكي وصل وزير الخارجية المصري أحمد ماهر حاملا بعض الماء وبعض العصير ، كان ذلك ما حمله فقط جاء تحت الحراب الإسرائيلية، لم تستطع الدبلوماسية المصرية أن تفعل شيئا تجاه حصار المقاطعة، أو مخيم جنين الذي يتعرض سكانه للذبح والتهجير، ولم تستطع الدبلوماسية المصرية أن تضغط على باول عندما زار القاهرة ليحرك الوضع إلى الأمام.

جاء أحمد ماهر بسيارته الدبلوماسية وتجاوز مناظر الدمار والتراب والوحل، وتحت الحراسة الإسرائيلية ليظهر أن مصر لم تنس ولم تخذل الرئيس في حصاره، كانت زيارته نوعا من المجاملة ليس إلا، إذ لم يحمل الوزير المصري في زيارته هذه سوى الماء والعصير والطلب من الرئيس أن يصدر بيانا يدين فيه العملية التفجيرية التي حصلت قبل يومين.

كانت زيارة الوزير المصري مخيبة للآمال كثيرا، هكذا قال لي صديقي المحافظ أبو فراس، كان يتحدث معي في الهاتف ومعنوياته في أدنى حالاتها، قال لي : إن المحاصرين توقعوا شيئا كثيرا من الزيارة، ولكنها كانت زيارة مجاملة من الدرجة الأولى. فقد قال الوزير المصري أن الرئيس مبارك يدعم أبو عمار في حصاره هذا!!

وللحقيقة وللتاريخ فإن أحدا من الزعماء العرب لم يتصل بالرئيس ياسر عرفات أبدا، فضلا عن الزعماء الأجانب، تركوه وحيدا ولهذا فإن زيارة الوزير المصري إلى المقاطعة كانت جيدة رغم نتائجها المتواضعة جدا.

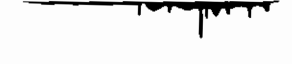
وشهد يوم السبت ١٣/ ٤ قلقا وتوترا كبيرين ، فبالإضافة إلى اشتداد الحصار وإطلاق النيران على كل من يتحرك خلف النوافذ أو على الشرفات، كانت هناك تحركات سياسية وتصريحات علنية لا تقل شدة أو تأثيرا من إطلاق الرصاص، إذ أن باول يصل إلى البلاد وهو متفهم للعمليات العسكرية التي تقوم بها إسرائيل، ويطالب في الوقت ذاته السلطة الوطنية باعتقال المقاومين ومصادرة الأسلحة، وهو مطلب لا يقل فضائحية ولا يقل نفاقا وعدم رؤية منطقة للأمور للمواقف السابقة، فكيف لسلطة محاصرة ومدمرة وضعيفة ولا تستطيع الحركة على الطرق ولا تملك مقرات ولا سجون ولا مكاتب أن تقوم بالاصطدام مع شعبها.

في هذا اليوم حضر محمود عباس بصحبة الممثل النرويجي لدى السلطة إلى مقر

الرئيس وكل من ياسر عبدربه ومحمد دحلان، وبعد اجتماع مطول صدر بيان باسم الرئيس ياسر عرفات والسلطة الوطنية يدين قتل المدنيين الإسرائيليين والفلسطينيين على حد سواء، وكان ذلك الثمن الدبلوماسي لحضور بأول إلى المقاطعة المحاصرة.

يوم الأحد، حضر باول إلى المقر المحاصر دخل من بين الدبابات الإسرائيلية والجنود المحتلين المدججين بالأسلحة، رأى مناظر الدم والدمار والخراب، رأى المكان المحاصر والمدمر، كان عناصر أمنه يدققون في الممرات التي سيسلكها الوزير خوفا من أن يقتله فلسطيني، ولكن عناصر أمنه لم يشاهدوا الدبابات ولا الجنود الإسرائيليين المستعدون لإطلاق النار.

دخل الوزير الأمريكي مقر الرئيس والزعيم المحاصر، الذي يعيش على ضوء شمعة جاء ليطلب منه الاستسلام ليس إلا؛ اجتمع باول بالرئيس لمدة ثلاث ساعات كانت الدبلوماسية الأمريكية تختبر نفسها، وتختبر قوتها وتختبر مصداقيتها كان الشيء الأكيد في هذه الساعات الثلاث أنه لم تطلق أية رصاصة على المقر خلالها.



قائد إسرائيلي شجاع سكت دهرًا وأخيرًا نطق صدقًا

الأربعاء ١/٥/٢٠٠٢

يوم الأربعاء الموافق ١/ ٥/ ٢٠٠٢ في رام الله، لا يزال مقر الرئاسة الفلسطينية تحت الحصار المحكم، والقوات الإسرائيلية تدمر قاعة كبار الزوار، وتجرف الأسوار، وتدمر السيارات المتوقفة في مرأب مجمع المباني في «المقاطعة».

وفي بيت لحم تواصل القوات الإسرائيلية حصارها لكنيسة المهد، ولا يزال إدخال المواد التموينية والطبية والمياه ممنوعا على الرغم من المفاوضات والوساطات الأوروبية والأمريكية والكنسية، وقد خرج ٢٧ فلسطينيا من الكنيسة.، وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن حريقا شب في أحد أبراج كنيسة المهد نتيجة تبادل إطلاق النار بين الجنود الإسرائيليين والمحاصرين في الكنيسة، ولا تزال مدينة طولكرم تحت الحصار، وأعادت القوات الإسرائيلية فرض حظر التجول على بلدة فرعون وضاحية ارتاح جنوبي طولكرم، بعد أن كانت رفعته قبل يومين، وداهمت القوات الإسرائيلية بلدة دير الغصون شمالي طولكرم، واعتقلت أربعة مواطنين واقتادتهم إلى جهة مجهولة. وتتواصل أعمال تجريف واقتلاع أشجار الزيتون الروماني ووضع اليد بالقوة على أراض قرب قرى الراس وجبارة وفرعون وكفر صور لإقامة سياج إلكتروني فاصل بين الخط الأخضر وهذه القرى إضافة إلى تطويق بيت ليد وعزلها أيضا عن القرى المجاورة لمدينة طولكرم، واحتلت القوات الإسرائيلية مدينتي قلقيلية والخليل مجددا فجر اليوم، وداهمت منازل وشنت حملة اعتقالات، واقتحمت بلدة سيلة الظهر في محافظة

جنين. وتتعرض مدينة رفح والمخيمات المحيطة لقصف متواصل مما أدى إلى سقوط كثير من القتلى والجرحى.

وأعلنت سلطة المياه الفلسطينية أن قيمة الخسائر في هذا القطاع الناجمة عن إعادة احتلال مناطق السيادة الفلسطينية تتراوح بين ٣ و ٤ ملايين دولار، كأضرار عينية تشمل الخطوط والمعدات ومحطات الضخ. وقال المهندس فضل كعوش، نائب رئيس سلطة المياه أن الجهود متواصلة لإعادة توصيل المياه إلى مختلف المناطق، على الرغم من العراقيل التي تضعها قوات الاحتلال.

وأدلى الناطق العسكري الإسرائيلي بما يلي:

أنجز الجيش الإسرائيلي مهمته في الخليل وانسحب منها، واعتقل الجيش ١٥٠ فلسطينيا يشتبه في مشاركتهم في اعتداءات إرهابية، بينهم ٥٢ مطلوبا، وتمت مصادرة الأسلحة التالية خلال العملية: متفجرات وأدوات متفجرة؛ ٦ بنادق إم ١٦؛ صاروخ لاو؛ صناديق ذخيرة؛ قنابل دخانية؛ بندقية صيد؛ بندقيتين آليتين؛ بدلات قتال.

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن القوات الإسرائيلية اعتقلت ستة مطلوبين فلسطينيين من عدة قرى في الضفة الغربية. وقالت صحيفة «هآرتس» أن ثمانية فلسطينيين بينهم طفل وولدان قتلوا في عمليات عسكرية إسرائيلية متنوعة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وأعلن الجيش الإسرائيلي اعتقال خمسة فلسطينيين يحملون أحزمة للتفجير في سيارة في غوش قطيف في طريقهم للقيام بعمليات انتحارية.

ونقل أربعة فلسطينيين متهمين بمقتل وزير السياحة الإسرائيلي، رحبعام زئيفي، ومعتقلان آخران إلى سجن في أريحا تحت حراسة أمريكية – بريطانية، وبدأ انسحاب القوات الإسرائيلية من «المقاطعة» التي تضم مكاتب السلطة الفلسطينية.

وأوردت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن قائد كتيبة احتياط في الجيش الإسرائيلي، يورام روبينفلد، أعلن أمام اجتماع احتفالي عدم استعداده لتنفيذ مهمات عسكرية في المناطق الفلسطينية، تجدر الإشارة إلى أن روبينفيلد هو صاحب أعلى رتبة عسكرية يعلن رفضه الخدمة في المناطق الفلسطينية المحتلة.

وتم اليوم نقل الفلسطينيين المتهمين باغتيال وزير السياحة الإسرائيلية رحبعام زيفي من مقر الرئاسة المحاصر في رام الله إلى سجن أريحا، تحت الرقابة الأمريكية –

البريطانية المشتركة. والمتهمون الأربعة هم: حمدي عثمان قرعان؛ باسل عبدالرحمن الأسمر؛ مجدي حسين أرحيمي؛ عاهد يوسف موسى أبو غلمة، كما نقل أحمد سعدات وفؤاد الشوبكي من المقر إلى السجن نفسه.

وأعلن الرئيس ياسر عرفات، في كلمة ألقاها وزير العمل رفيق النتشة، نيابة عنه، بمناسبة الأول من أيار، أن الحرب التي تشنها إسرائيل على الشعب الفلسطيني «هي إرهاب دولة منظم ومخطط لها سلفا». وأضاف: «إننا طلاب سلام، ولن نتخلى عن هذا الطريق ونقول للشعب الإسرائيلي: إن سياسة غطرسة القوة والتدمير والقتل والاغتيال والاستيطان التي تتبعها حكومة شارون لن تجلب لكم الأمن والسلام والاستقرار».

وطالبت لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية بعد اجتماع عقدته في غزة، السلطة الوطنية الفلسطينية والرئيس ياسر عرفات بالإفراج عن الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أحمد سعدات، الموجود في سجن فلسطيني تحت حراسة أمريكية – بريطانيا، وأعلنت أن قضية سعدات والنتيجة التي آلت إليها «تسيء للوحدة الوطنية الفلسطينية وتشكل سابقة خطيرة لا يمكن القبول أو التسليم بها».

ورفض رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، في مقابلة مع شبكة التلفزة الأمريكية «أي.بي.سي»، إعطاء الرئيس ياسر عرفات ضمانات بالعودة إلى الأراضي الفلسطينية في حال سفره مؤكدا عدم قدرة عرفات على تحقيق السلام ومتهما إياه بإنشاء «ائتلاف للإرهاب».

وقال وزير الدفاع، بنيامين بن إليعيزر، في حديث صحافي ردا على سؤال بشأن جنين: «لا يوجد ما نخفيه.. عرفنا منذ اللحظة الأولى أنه لم تكن هناك مجزرة.. لقد دارت هناك معارك ضاريه..» وبشأن لجنة تقصي الحقائق في أحداث جنين، قال بن إليعيزر: «عندما بدأنا بقراءة كتاب التعيين، وعندما رأينا تركيبة اللجنة واختصاصات أعضائها ومن هم الأخصائيون المرافقون، فهمنا أن حكم هذه اللجنة قد قرر وما تبقى الآن هو كتابة مضمون القرار».

وأصدر مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (بتسيلم) تقريرا عن الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية والقدس الشرقية شدد على عدم شرعية المستوطنات الإسرائيلية وانتهاكها لحقوق الإنسان، وطالب الحكومة الإسرائيلية بإخلاء جميع المستوطنات.

وصادقت لجنة القانون والدستور التابعة للكنيست على مشروع قانون، تقدم به النائب يسرائيل كاتس (ليكود)، يحظر كل قائمة أو مرشح لا يعترف بإسرائيل كدولة يهودية ديمقراطية ويؤيد الكفاح المسلح من قبل دولة معادية أو تنظيم «إرهابي».

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن وزير الخارجية الإسرائيلي، شمعون بيرس، اعترف في جلسة الكنيست بأن الجنود الإسرائيليين قاموا بعدة سرقات خلال أحداث جنين، مؤكدا أنها «كانت تلك حالات منفردة في جنين، وقرر الجيش الإسرائيلي مقاضاة هؤلاء الجنود الذين ارتكبوا هذه المخالفات».

وأكد المتحدث الإعلامي لرئيس الحكومة الإسرائيلية مشاركة أجهزة الأمن الفلسطينية في المعارك في مخيم جنين من خلال التنسيق مع «التنظيم» التابع لحركة فتح، وقال: إن ناصر أبو حميد، احد قادة ومؤسسي كتائب الأقصى أدلى خلال التحقيق بمعلومات تفيد بان أجهزة الأمن الفلسطينية متورطة في تسليح وتمويل كتائب الأقصى لشن عمليات إرهابية ضد إسرائيل.

وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، في رسالة إلى مجلس الأمن، نيته حل لجنة تقصي الحقائق في أحداث مخيم جنين غدا (٢/ ٥)، مؤكدا أن تعاون إسرائيل كان ضروريا لإنجاح عمل اللجنة، وبما أن هذا الشرط لم يتوفر فلم يكن في الإمكان إرسال اللجنة إلى مخيم جنين.

وعلق نائب الأمين العام للشؤون السياسية في الأمم المتحدة، كيران بريندرغاست على رسالة الأمين العام بالقول أن الاعتراضات الإسرائيلية ذات أهمية، وان تخطيها لم يكن واردا.

وأوضح المتحدث باسم البيت الأبيض أري فلايشر ما ورد في تقرير نشرته صحيفة «نيويورك تايمز»، في الأول من يار، أن الرئيس بوش والأمير عبدالله ولي العهد السعودي اتفقا في أثناء اجتماعهما في تكساس في ٢٥ نيسان، على «اقتسام الجهد» في الشرق الأوسط، فيضغط المسؤولون الأمريكيون على شارون، لكسر سيكولوجية العنف في المنطقة، بينما يفعل القادة العرب الشيء نفسه مع عرفات، وقال فلايشر: «إن الولايات المتحدة ستستمر في الضغط على الدول العربية لكي تفي بالتزاماتها لتحقيق السلام؛ وستستمر الولايات المتحدة في الضغط على إسرائيل لكي تفي بالتزامها ومواصلة الانسحاب والدخول إلى محادثات سياسية مع الفلسطينيين كي يكون ممكنا تحقيق

رؤية (إنشاء) دولة. وستستمر الولايات المتحدة في تشغيل الحسابات الثلاثة، وترحب الولايات المتحدة بالمساعدة المقدمة من دول أخرى».

وسئل فلايشر عما إذا كانت الولايات المتحدة لا تزال تؤيد إرسال فريق دولي لتقصي الحقائق في مخيم جنين، فقال: «إن الرئيس يؤيد فكرة معرفة الحقائق بشأن ما حدث أو لم يحدث في جنين، وقد أيدنا جهود مجلس الأمن لوضع الترتيبات وما زلنا على اتصال وثيق، وسنرى ما سيحدث في النهاية».

* * *

في اليوم الثامن والعشرين من شهر نيسان عام ٢٠٠٢ حضر وفد أمريكي يقوده قنصل الولايات المتحدة في القدس رونالد شلايكر، والتقى عرفات، وتم الاتفاق على اقتراح أمريكي يقضي بأن يرفع جيش الاحتلال الإسرائيلي الحصار المفروض على عرفات، بشرط أن يسجن المتهمون باغتيال زئيفي واثنان آخران من الفلسطينيين، تطالب بهما إسرائيل تحت حراسة أمريكية وبريطانية والمقصود بذلك سعدات والشوبكي.

وفي ٣٠ نيسان قام الخبراء الأميركيون والبريطانيون، بالتعاون مع السلطة الفلسطينية بتسوية التفاصيل التقنية لرفع الحصار عن مقر الرئيس خلال أربع وعشرين ساعة.

وفي اليوم الأول من أيار قام قنصلا بريطانيا والولايات المتحدة بإجراء محادثات مع عرفات، حول طرق نقل الفلسطينيين الستة إلى سجن فلسطينيّ في أريحا بإشراف أمريكي وبريطاني.

وفي اليوم الثاني من أيار، غادرت دبابات جيش الاحتلال الإسرائيلي موقع مقر الرئيس وحول ذكرياته عن الساعات الأخيرة من الحصار يقول العقيد «أبو صلاح»:

ـ كنا في مركز قيادة الشرطة في محافظة رام الله الواقع في مبنى الداخلية المجاورة لمقر الرئيس، وكان الجميع في حالة استنفار كامل؛ لأن جميع المعلومات التي كانت تصل إلى مقر القيادة، كانت جميعها تؤكد قرب الاجتياح لمدينة رام الله، وقد تم توزيع المهام للشرطة في جميع أنحاء رام الله والمحافظة، وتم تعزيز مقر القيادة لمواجهة أي طارئ، والواقع أن آخر دورية دخلت قبل دقيقة واحدة من وصول الدبابات الإسرائيلية

إلى باب المقاطعة يوم الخميس الموافق ٢٩ آذار الماضي.

في ذلك اليوم كنت قد توجهت إلى مكتب السيد الرئيس لاستيضاح بعض الأمور، فإذا بالدبابات الإسرائيلية قد حاصرت المقاطعة من جميع الاتجاهات، ولم يعد بالإمكان الخروج بشكل مطلق، وقد سرت روح قتالية ونضالية وتحد عرفناها في الرئيس أبو عمار، الذي بدأ يقود الشباب، ويوزع المهام داخل المقر لمواجهة أسوأ الاحتمالات، خاصة وأن جميع المؤشرات كانت تدل على توجهات القيادة الإسرائيلية باقتحام المقر.

والواقع أنه كان لوجود السيد الرئيس أثر كبير في رفع معنويات الجميع، وإعطاء الشباب وكل من في المقر دفعة معنوية عالية، وروح قتالية باسلة، ورغبة قوية في التحدي، وعلى امتد'د ثلاثة وثلاثين يوما ورغم انقطاع الماء والكهرباء والاتصالات، ورغم قلة المواد الغذائية، ظلت الروح المعنوية وروح الصمود والتحدي جذوة مشتعلة في صدور المقاتلين من أبناء فلسطين.

وحول ذكرياته عن الساعات الأخيرة من الحصار يقول أبو صلاح:كانت هذه الساعات هي الأصعب طوال أيام الحصار، فقد كان الشباب المحاصرون يعيشون لحظات مختلفة من الشد والجذب، حيث تتعاقب على هواجسهم مشاعر الأمل بالحرية، والألم لمفارقة الشباب الستة المعتقلين الذين تم ودعاهم بالعناق والدموع.

وتابع الجميع بقلوب ملؤها الترقب والأمل، قضية الشباب الستة، أحمد سعدات وفؤاد الشوبكي وزملاؤهما، وكان الجميع مبتهجين، فرحين لدى سماع أنباء انفراج أزمة المعتقلين المناضلين، وكان الجميع بقلوب ملؤها الأمل والرجاء ينتظرون حلا موقفا لهذه القضية، التي شغلت العالم العربي بأسره.

يقول أبو صلاح: أدركنا جميعا أن لحظة الخلاص قد اقتربت وأن فجر الحرية سيطل علينا عندما سمعنا، أن اتفاقا وشيكا سيتم تنفيذه وأخيرا بدأ المعتقلون .. يظهرون واحدا بعد الآخر.

فبعد أن تم تفتيشهم تفتيشا جسديا دقيقا من قبل الجنود الإسرائيليين، بدأ المعتقلون يخرجون واحدا واحدا، يفصل بين كل منهم ربع ساعة، وبعد مصافحة وعناق حار من قبل كل من يمرون به من حرس الرئيس وبقية المحاصرين من المدنيين، وفي حوالي

الساعة التاسعة والنصف، بدأ الموكب بالتحرك من المقر باتجاه أريحا.

وكانت لحظات خروج الشباب «المعتقلين الستة» مؤلمة، مثقلة بالشجن والأسى والدموع، ودعهم الرئيس واحدا واحدا، كما ودعناهم نحن واحدا واحدا بالعناق والدموع، فقد قضوا معنا أحلك أيام حياتنا.

في الخارج كان عشرات الصحافيين وعدد من المسؤولين، من بينهم عزام الأحمد وزير الأشغال العامة والدكتور أحمد الطيبي العضو العربي في الكنيست ونحو خمس عشرة آلية بين جرافة وشاحنة ينتظرون لحظة الانسحاب للدخول إلى المقر، ويحاولون بين الفينة والأخرى التقدم نحوه غير أن جنود الاحتلال استمروا بمطاردتهم حتى الواحدة فجرا، ويكمل أحد القادة الميدانيين رواية «أبو صلاح» عن تلك اللحظات العصيبة فيقول:

كنت على اتصال دائم مع مكتب الرئيس منذ العصر، وتأكدنا أن عملية الانسحاب ستتم خلال الليل، بعد إتمام عملية نقل المعتقلين، وبقينا في حالة استنفار للبدء بعملية فتح الشوارع المؤدية إلى المناطق، وإزالة السواتر الترابية من المداخل وحتى الساعة الحادية عشرة والنصف، كنا قد أزلنا ثلاثة حواجز إلى أن اصطدمنا بحاجز تقف خلفه دورية عسكرية تطلق قنابل صوت ورصاص باتجاه الصحفيين، إلا أننا واصلنا التقدم بعد مغادرة السيارة العسكرية إلى أن اصطدمنا بسيارة عسكرية أخرى، فتراجعنا تحت قنابل الدخان التي أطلقها الجنود، وكانت هذه آخر سيارة عسكرية تغادر، بعدها شاهدنا الصحفيين يندفعون داخل المقر.. فاندفعنا معهم لنكتشف أن عملية الانسحاب قد انتهت وانكسر الحصار.

الحصار يكسر المهزومين أصلا

رصاص، ولا شيء غير الرصاص، انفجارات تدوي في كل مكان، اقترب بحذر من الشرفة الزجاجية، أحدق في المساء، في التلال التي تتكدس عليها المنازل، في منطقة عين مصباح، منازل صامتة، لا يتصاعد منها أدخنة المدافئ ولا ينبعث منها صوت موسيقى أو فرح، حتى صوت الأذان لم أعد أسمعه، صوت الأذان دائما أشعرني بالراحة، أشعر معه بأن هناك حياة على مقربة منا، هناك من يذهب للصلاة، تماما كدقات جرس الكنيسة، أحس أن هذه الأنغام تحول المدينة من جدران إلى بشر، يذهبون، عجائز وشيوخ وشبان ونساء وصبايا، يذكرون الله، للحماية والأمن والهدوء والراحة.

عين مصباح الآن تغرق في صمت ثقيل، حتى صرخات الأطفال ولعبهم وصخبهم وضجيجهم اختفى، إلا صوت الرصاص. دائما رصاص.

أين الأطفال الآن،يا لرعبهم وخوفهم.

أتذكر نفسي الآن طفلة في الثامنة أو السابعة، اختبىء في قبو كنيسة مار يوسف، محشورة مع عشرات الرجال والنساء والرهبان والراهبات، كان ذلك في العام ١٩٤٨، وأفراد العصابات الصهيونية يطوقون الدير من جميع جهاته، يطلقون النار من مدافع سريعة وكثيفة، كان المحاصرون من جميع سكان مدينة الناصرة، مسلمين ومسيحيين، بدأ الجميع يصلي ويدعو مريم العذراء أن تحميهم صوت الراهبات ما زال يرن في أذني: أفيه مريم.. أفيه مريم..

رأيت الخوف على الوجوه وعلى الجلود، رأيت الناس تنهار، والنساء يلطمن، كان خوف كثير، والرصاص يطوق الكنيسة والموت يطوق المدينة كلها، أذكر يومئذ أن الرهبان رفعوا علم الفاتيكان على الكنيسة، وعندئذ أنزل الجنود فوهات مدافعهم لحظة الخطر.

ولكن الطفلة بنت السابعة أو الثامنة التي حشرت في ذلك الدير، ومعها عشرات من الناس المهددين لم تنسَ طعم الخوف أو لذعة الرعب، فكرت بأطفال رام الله والبيرة المرعوبين الآن بسبب القذائف أو الرصاص فكرت بأرواحهم ونفوسهم، وما الذي ستكون عليه عندما يكبرون. ماذا سيربح الاحتلال من شخص تعلم الخوف ورضع الرعب!!

ماذا سيجني الاحتلال من شخص فتح عينيه على الدبابات وعلى إهانة أبيه أو قتل أخيه أو اعتقال صديقه؟!

لم تُمحَ من قلبي ذكرى حصاري الأول في كنيسة مار يوسف في الناصرة، ولم تزل صلاة الراهبات «أفيه مريم» أسمعها تحت القصف الكثيف.

وربما، وفي بعض الأحيان، أقول أن أحد دوافعي للعمل السياسي والصحفي والأدبي هو ذلك الصوت الذي انطبع في قلبي إلى الأبد.

حصاري الثاني لم أكن وحدي فيه، كان معي أبنائي الذين لم يتجاوز أكبرهم العاشرة،

كان ذلك في نابلس عام ١٩٦٧، عندما اندفعت قوات الاحتلال إلى المدينة الأكبر والأغنى في الضفة الغربية.

كنت يومها أعيش في فيللا رائعة في حي رفيديا، تحيط بها حديقة تمتلئ باللوزيات والحمضيات، كانت مفخرتنا كما قلت.

في تلك الفيللا حوصرت مع أبنائي، ويومها جن جنوني حقا، وكدت أفقد أعصابي، لقد عادت إلي ذكرياتي في كنيسة مار يوسف، فأحسست بأني الآن افهم أعمق أعماق أولادي. رأيت الخوف في عيونهم ورأيتهم يرتجفون، رأيتهم يبحثون عن حماية، وبالنسبة له فإن الأم والأب هما أكثر شخصين في العالم يقدران على منحهم الحماية. نظروا إلينا، تلمسونا يبحثون عن الحماية، رأيت نفسي في كنيسة ما ر يوسف وحيدة، لا أم ولا أب، كنت وحدي، يومها ارتجفت كورقة في مهب الريح، لم يكن هناك من صدر أحتمي به، ولم يكن هناك من يجفف دمعتي.

أما في نابلس ومع أولادي، وبينما كانت الدبابات تلعلع في المدينة ،وتعيث فسادا وتنشر رعبا، احتضنت أولادي جميعا، أخذتهم إلى زاوية من الغرفة، وحاولت يائسة أن أوفر لهم ما يشبه المأوى أو الملجأ، يومها – يا لجنوني – اعتقدت أن بقاءهم تحت السرير سيوفر لهم الحماية، اعتقدت أن خشب السرير سيحميهم من قذائف الدبابة المجنونة ربما كنت يومها أريد لهم ألا يروا أو ألا يسمعوا.

يا لقلب الأم!!

ذات يوم دخلت علي والدة شهيد، فيما كنت في مكاتب جريدة فلسطين بعمارة زيادة في شارع ركب، حدثتني هذه الأم عن كيفية اغتيال جنود الاحتلال لولدها فيما كان يأكل. قالت: إنه لم يزرها لمدة ثلاثة أيام متواصلة، أما يوم مقتله فقد جاء ليأكل ويستحم ومن ثم ينطلق، ولكن قدر الله، شاء له أن يقتل، إذ دخل عليه جنود الاحتلال، قتلوه بدم بارد وذهبوا، تركوا جثته على الأرض، بين يديها في حضنها.

قالت : وقد شرق صوتها بالدمع: كانت الدنيا تمطر في الخارج، وأنا وحيدة مع جثة ابني!! كانت اللقمة لم تزل في يده، لم تصل إلى فمه، خيط دم سال من رأسه على أرضية الغرفة. لم أعرف ماذا أفعل، شل تفكيري، كان ولدي قبل دقائق حيًا، شابًا ممتلئًا بالحياة، أما الآن لم أشعر إلا وأنا أصرخ من قحف رأسي: قتلوه.. قتلوه.

ثم أغمي عليّ لمدة يوم كامل عندما صحوت من إغمائي، كان ابني في قبره. أقسى ما يمكن للمرأة أن تشعر به.

أم محمود من بيتونيا، والدة أحد الشهداء الذين سقطوا في الأيام الأولى للانتفاضة أثناء هجوم على معسكر عوفرا، قالت في لقاء تلفزيوني معها أجراه التلفزيون الفلسطيني أنها تصحو في الليل، فتجد ابنها الشهيد، وقد صنع لها القهوة، تشرب معه فنجانا ثم يذهبان للنوم، تقول أم الشهيد أن المفاجأة هي أنها عندما تصحو في الصباح تجد في غرفة الجلوس فنجاني قهوة فارغين، أعرف قلب الأم تماما. يا إلهي.

الآن، أنا أعود محاصرة من جديد، وحدي هذه المرة، أسمع صوت أبنائي من بعيد، من عواصم العالم، باريس وروما وواشنطن، أشعر بلهفتهم وقلقهم عليّ، ولا يعرفون بقلقي ولهفتي عليهم.

هذه المرة، أحاصر وحيدا في رام الله، وكأني على موعد مع الحصارات ومواجهة الموت، هذه هي المرة الثالثة التي أكون فيها قريبا من الرصاص المجنون والغبي، وهذه هي المرة الثالثة التي أشعر فيها أن الحياة غالية وأن الأمل قوي ورائع.

ولكني واحدة من نساء شعبي، اللواتي واجهن الطرد والحصار والثكل والقمع والإذلال.

أنا واحدة من الجيل الذي رأى النكبة، وشاهد بأم عينه كيف تم الاستيلاء على بيوته وأملاكه وذكرياته.

أنا بنت عكا التي أحبتها وتحبها وستحبها حتى تحت التراب.

أنا التي رأيت بأم عيني كيف يتم تغيير الجغرافيا وتبديل التاريخ.

الحصارات علمتني المواجهة وعلمتني الصبر وعلمتني الأمل..

في الحقيقة أن ما قاله أبو عمار خلال حصاره من صموده وتمسكه بمبادئه أعجبني جدا، شعرت أنه يتكلم باسمي ونيابة عني وكأنه يقرأ من قلبي.

الحصار يكسر المهزومين أصلا.

طروادة لم تسقط بالحصان الخشبي، ولكنها هي التي أنتجت حصانها الخشبي، تماما كبغداد التي أنتجت مغولها وغازيها أيضا.

الحصار يكسر المهزومين أصلا.

هل لهذا السبب لم ينكسر أبو عمار أمام حصاره ولم ينكسر الشعب الفلسطيني أمام الهجمة الشرشة الممتدة على طيلة القرن.

انظر إلى نفسي الآن، فأرى أنني خائفة ولكنني بالتأكيد لست منهارة ولا فاقدة للاتجاه..

أشعر أنني أستطيع المواصلة، فتحت الشرفة الزجاجية رغم المخاطر، تنشقت عبير المساء الثقيل قلت لنفسي: الدنيا حلوة..

حصار يُذكِّرْ بآخر !!

في الحصار، نكتشف روعة اللحظات الصغيرة، نكتشف نعمة الهدوء والصمت، نكتشف روعة النوم روعة الاستحمام وروعة الجلوس إلى الأصدقاء وسماع الموسيقى ووجوه الناس والنكات والإشاعات والثرثرة التي بدون هدف.

في الحصار، نكتشف أن الحياة الروتينية العادية التي تخلو من الحوادث المثيرة هي حياة رائعة بكل المقاييس، نكتشف أننا كنا في ألف نعمة.

الحصار يرمينا بدون رحمة في قلب الخوف، والخوف كريه، له رائحة نتنة ومنظر بشع، الخوف يسلب الإنسان كل شيء حتى التفكير السليم، الآن، وأنا أفكر في فنجان من القهوة التركية الثقيلة وقطعة حلوى غارقة بالقطر، أفكر بالرئيس ياسر عرفات الذي يرى جنود الاحتلال على بابه وتحت شباكه يدقون عليه الجدران بأنياب جرافاتهم وفوهات مدافعهم، من أين لهذا الرجل كل هذا الصبر والاحتمال والقوة، وكيف يستطيع أن يحتمل كل ذلك!! غبطت الرجل على صبره واحتماله، وأحسست أنه رجل مختلف يحتمل ما لا نحتمل.

ولكن عرفات هو عرفات، يخرج من حصار ليدخل في مواجهة، ويخرج من مواجهة ليدخل في معركة، فلسطين تستحق كل شيء؛ لأن عدونا لا يريد أن يفهم ولا يريد أن يقتنع بان لنا حق الوجود.

أعود بهذه المناسبة إلى لقائي مع مردخاي غور، الذي التقيت به بناء على طلب من المستشار النمساوي كرايسكي- وبعد منحي جائزة السلام وحقوق الإنسان- فقد قال لي

الوزير الإسرائيلي أن استعادة القدس بالنسبة لهم تعني أن زمن اليهود قد أتى، وأن هذه هي فترة اليهود وعصرهم، ولهذا، فلا يمكن إعادتها للفلسطينيين، كما لا يمكن لإسرائيلي عاقل أن يمنح الفلسطينيين حق العودة، هذان خطان أحمران لا يمكن تجاوزهما، هكذا قال مردخاي غور لي في العام ١٩٨١، وهو النائب في الكنيست عن حزب العمل، أي الحزب الذي كان يدعي التنوير والتقدمية والإنسانية، فما بالك اليوم واليمين الإسرائيلي استطاع أن يغسل عقول الجمهور الإسرائيلي وأن يسحره تماما.

الخطان الأحمران هذان، كانا بالذات سبب تفجر محادثات كامب ديفيد في العام ٢٠٠٠. لقد أصر عرفات على أن يتضمن الاتفاق الموقع مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك حق الفلسطينيين في القدس المحتلة عام ١٩٦٧، وأن تكون عاصمة الدولة الفلسطينية بما فيها الحي الأرمني والأقصى فوقه وتحته، وأن يضمن حق العودة لكل فلسطيني حسب مقررات الأمم المتحدة بهذا الشأن، ولكن إسرائيل القوية المدعومة بالولايات المتحدة لم تجد ما يضغط عليها للتنازل، ولماذا تتنازل وهي في أفضل حالاتها، قوة ودبلوماسية وإعلاما، وهكذا عاد الجميع إلى البلاد لفرض معادلته بالقوة، عادت إسرائيل مستندة إلى قوتها ودعم الولايات المتحدة، فيما عاد الفلسطينيون معتمدين على قوة الحق، ولكن المعادلة مختلة وناقصة ومعطوبة.

ومع تصاعد الانتفاضة واتساعها، فقد عادت إسرائيل إلى أسطوانتها القديمة المشروطة، يمكن القول أن التاريخ يعيد نفسه في حالتنا بصراعنا مع إسرائيل، ففي العام ١٩٨٢، تكتب مي الصايغ في كتابها «الحصار» ما يلي عن أحداث يوم ٢٠/ ٦/ ١٩٨٢: أبو عمار يطالب الأمين العام للأمم المتحدة باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بإرسال بعثة دولية للكشف عن الجرائم التي ارتكبها الجيش الصهيوني في غزوه للبنان، مشيرا بأن هذه القوات أوقعت نحو ثلاثين ألف إصابة بين قتيل وجريح إضافة إلى عشرة آلاف مفقود، وثمانمائة ألف مشرد ودمرت أربعة عشر مخيما وثلاث مدن لبنانية. (وفي اجتياح ما يسمى بالسور الواقي مارست قوات الاحتلال ذات النهج في قتل الإنسان وتدمير المكان، وناشد أبو عمار العالم ليحقق في جنين، وكنيسة المهد ولكن لا حياة لمن تنادي!!).

تتابع الكاتبة الروائية الصايغ في حديثها عن أحداث ٢٠/ ٦/ ١٩٨٢ فتقول «ويتحدث أبو إياد عن طلب فيليب حبيب من المقاومة تسليم أسلحتها إلى الجيش

اللبناني، وأن ينكفئ الفلسطينيون إلى المخيمات، وأن يخرج قادة المقاومة رافعين الأعلام البيضاء إلى خارج بيروت، ويؤكد أبو إياد رفض المقاومة المطلق لهذا الطلب وان المقاومة لن تسلم أسلحتها ولن تتحول إلى حركة سياسية وأن المطلوب من الرئيس اللبناني الآن أن يأخذ موقفا وله بعدها كل ما يريد من المقاومة لإنقاذ لبنان، ثم يضيف أبو إياد سيأتي حساب كل العرب الراكعين والشامتين».

يا الله، كم يعيد التاريخ ذاته، ها هي إسرائيل وفي العام ٢٠٠٢ تطلب من المقاومة تسليم أسلحتها، وتطلب من زعيم الشعب الفلسطيني الخروج حاملا العلم الأبيض وأن تجعل من منظمة التحرير الفلسطينية حارسا أمينا على الإسرائيليين، وكأننا لم نتحرك قيد أنملة. فالنظام العربي راكع وشامت وصامت صمت القبور.

تكتب مي الصايغ في كتابها هذا ما يلي: «عزل نحن أمام هذا العالم الوحشي»، هذا ما قالته عام ١٩٨٢، فماذا أقول أنا في العام ٢٠٠٢، ونحن نذبح أمام الشاشات ووصل صراخنا السماء ، ولكنه لم يصل قلوب الأمة العربية والإسلامية، يا إلهي، كل هذا العجز أمام الظلم والقهر والقمع، يا إلهي، من أين للعالم كل هذه القسوة؟! ومن أين للبشرية كل هذا الغل والحقد!!

ومن أعماق أعماق قهري، توجهت إلى ياسمينتي العتيقة أناجيها:

قولي لي أيتها الياسمينة.

أيتها الخضراء .

يا من تكتفين بقليل من الماء والهواء والشمس.

لماذا يقتل الإنسان أخاه الإنسان .

لماذا يطارده في كل مكان.

لماذا انعدم الأمن وغاب الأمان.

قولي لي أيتها المباركة .

لماذا انتصر الشيطان .

على كل وصايا الأديان .

ولماذا تعكر الوقت وانهدم الزمان.

وصار دمنا كالماء رخيصا .

ودم غيرها بأغلى الأثمان.

قولي لي أيتها البيضاء .

هل يمكن للمعتدي أن يمنع .

وجهك من الاغتسال بالشمس .

وهل يمكن للقاتل أن يعتقد .

بأن الأرض غير مكورة .

وهل يمكن له أن يقتل في قلبي .

إني أحب عكا، وإني أصلي ناحيتها .

كل مساء.

يمكن للقاتل أن يقتلني .

ولكنه بالتأكيد .

لن يقتل في قلبي ذكرى سقوط .

الشمس في بحر عكا، ولا خيوط .

الذهب التي عانقت أفق البلاد.

في عيني فتاة صارت فيما .

بعد أنا.

الإسرائيليون الذين حاصروا أبو عمار في بيروت، يحاصرونه الآن في فلسطين، صحيح أن الطلبات هي ذاتها، ولكن الأرض اختلفت، اقترب عرفات من قدسه وشعبه، فيما ابتعد المحتل عن أهدافه، صارت المواجهة هنا في الوطن، وليس في المنفى، لم ينتبه المحتل لهذا أبدا المحتل يتجرع الحقيقة قطرة قطرة، ليزداد عذابه بها لحظة بلحظة.

انتكاسة حقيقية في نيسان!!

لم يسفر لقاء الرئيس عرفات بوزير الخارجية الأمريكية كولن باول عن أية نتائج ملموسة أو علنية على الأقل كرر باول مطالب أميركية إسرائيلية سابقة تتمثل في وقف إطلاق النار وتسليم من يسميهم جيش الاحتلال بالمطلوبين.

بدا باول بتصريحاته أمام مقر الرئيس المحاصر، وكذلك في رئاسة الحكومة الإسرائيلية كأغبى رجل في العالم، بدا ضعيفا ومتحيزا وكاتما للحقيقة، بدا عاريا بكلماته الملتوية ورؤيته الضيقة، كم بدا هذا الرجل متطامنا وباهتا وهو يتحدث عن حق إسرائيل في الدفاع عن ذاتها متناسيا أن الفلسطينيين بشر أيضا كل ما نتج عن زيارة باول الباهتة هذه، هو الاتفاق على إبقاء وليم بيرنز مبعوث الإدارة الأميركية ، ومن ثم مجيء رئيس وكالة الاستخبارات الأميركية جورج تينيت إلى المنطقة.

تبخرت أية آمال بحلحلة سريعة وقريبة للأزمة، وكان من الواضح فعلا أن الولايات المتحدة ترضخ للمشروع الإسرائيلي في تعاملها مع الشعب الفلسطيني.

هذا اليوم لم يهدأ الهاتف في بيتي عن الرنين، تحدث معي فتحي الناطور مراسل جريدة فلسطين واحد سكان مخيم جنين، كان يصرخ على الطرف الآخر من الهاتف، وهو يصف لي الوضع التراجيدي في المخيم، قال لي: إن الجرافات والدبابات الإسرائيلية أزالت ثلث المخيم، قال لي: إن حارة الدمج أزيلت تماما عن وجه الأرض، وذلك ليتمكن جنود الاحتلال من قتل أو اعتقال المقاومين الذين كانوا من جميع الفصائل بالإضافة إلى قوات من قوات الأمن الوطني على رأسهم محمود ريحان أو أبو جندل كما يحب أن ينادي.

قال لي فتحي: إن أهل المخيم هجروا من مخيمهم للمرة الثانية، ولكنهم وعلى عكس المتوقع وبدلا من أن يتجهوا شرقا، فقد توجهوا غربا باتجاه الخط الأخضر ، وكأنهم يريدون العودة إلى ديارهم، انطلق أهل المخيم تحت المطر والرصاص والدم والخوف إلى القرى القريبة من الخط الأخضر مثل رمانة وزبوبا والسيلة الحارثية، حيث خرج أهالي هذه القرى يحملون الطعام والماء والأغطية لمواساة أهل المخيم، قال لي فتحي: أن جنود الاحتلال فعلوا كل شيء يمكن أن يخطر على بال، القتل بدم بارد، تفجير البيوت على أصحابها قتل المرضى مهاجمة المستشفى، اعتقال المحتضرين منع الأمهات من الولادة، استعمال الناس كدروع بشرية منع الطعام عن الأطفال، سجن الأهالي في

غرف ضيقة، استخدام الدبابات والجرافات والطائرات والرشاشات المختلفة لإرهاب وتركيع المخيم، وتغيير القادة وحتى مجيء شارون وموفاز، ووقوفهم على تلة الجابريات لمتابعة إخضاع المخيم الذي تحول إلى أسطورة حقيقية حيث صمد أمام أقوى جيوش العالم لمدة ١٧ يوما متتالية.

قال لي فتحي: إن أسلحة المقاومين كانت أسلحة متواضعة وبدائية، وقد اخترعوا عبوات ناسفة تسمى الكوع ـ لأنها تشبه الكوع فعلا ـ وهي عبارة عن ماسورة حديدية تحشى بنوع من البارود والكبريت تفجر بطريقة كهربائية، وقال لي أن محمود طوالبة، العامل الكهربائي وأبو جندل، النقيب في الأمن الوطني، وجمال حويل أحمد نشطاء كتائب الأقصى، وهم شبان لم يتجاوز أكبرهم الأربعين عاما، حولوا مخيم جنين من مجرد مخيم منسي وغير معروف إلى معركة شرف حقيقية، خسر فيها جيش الاحتلال أكثر من ٢٧ قتيلا بالإضافة إلى خسرانه هيبته وسمعته كجيش لا يقهر. في مخيم جنين قال فتحي أثبت الفعل الشعبي والتنظيمي الجماهيري أنه قادر على تغيير مسار المعركة وفتح آفاق جديدة للمستقبل.

قال لي فتحي أيضا: إن جمال حويل أنقذ بأعجوبة هو ومجموعة من رفاقه حيث حاصرهم المحتل وهدد بنسف المكان على من فيه، وقد سمعت شخصيا هذا الشاب وهو يصرخ في فضائية الجزيرة طالبا إنقاذ المجموعة، فتدخل حزب الله لإنقاذهم عن طريق إطلاق سراح العقيد في المخابرات الإسرائيلية المحجوز لديه، ولكن الاتفاق لم ينفذ؛ ربما لأن إسرائيل لم تكن معنية بالصفقة في تلك الفترة، استشهد أبو جندل وهو يحمل سلاحه، وقيل عن موته الكثير، فقد ذكر شهود عيان أنه قتل بدم بارد، ولكن من الأكيد أنه تعرض للحرق إذ وجد على كومة من الحجارة ونصف وجهه محروق، وتحول أبو جندل إلى أسطورة حقيقية مع رفيقيه محمود طوالبه وقيس عدوان.

أما محمد عميرة مراسل جريدة «فلسطين» في نابلس فقد كان يبكي وهو ينقل لي ما سمعه ورآه من أفعال قوات الاحتلال في مدينة نابلس ، وخاصة المدينة القديمة منها، قال لي: إن قوات الاحتلال اخترعت مداخل أخرى للبيوت العتيقة التي يصل عمرها بعضها إلى ثلاثمائة سنة، إذ عمدت تلك القوات إلى اختراق الجدران بالآلات التي تهدم وتنسف، وهكذا كانت تنتقل من بيت إلى بيت عبر الجدران وليس عبر الأبواب، وهو ذات الأسلوب الذي اتبعوه في مخيم بلاطة ومخيم عسكر.

قال لي عميرة: إن سلطات الاحتلال عمدت إلى تقسيم مدينة نابلس إلى مربعات صغيرة عبر عزلها بأكوام التراب ومكعبات الأسمنت وأن تمشط حارة الياسمينة بيتا بيتا، وأنها تهدم المنزل الذي تشتبه به على رؤوس ساكنيه، وقد شاهد العالم كله على القنوات الفضائية كيف تم إخراج عجوزين دفنا تحت الأنقاض لمدة تزيد على أسبوع.

قال لي عميرة: إن قوات الاحتلال، هدمت مساجد في البلدة القديمة يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وأنها هدمت أبنية يعود تاريخها إلى العهد الروماني، كان ذلك اعتداء على التاريخ والتراث والقيم الإنسانية، والأهم من هذا كله كيف تعاملت تلك القوات مع المقاتلين، إذ إنها لاحقتهم حتى الرمق الأخير، وقتلت كثيرا منهم بدم بارد حتى بعد استلامه.

أما ما كان يجري في بيت لحم فأمر آخر لا يصدق، وقد شاهد العالم المسيحي والعربي والإسلامي كله ما كان يجري من اعتداء سافر على مهد المسيح الأول، حيث ولد وحيث كانت المعجزة، وحيث صار عنوان المحبة والسلام مدينة بيت لحم ولكن على عهد الاحتلال لم تنعم هذه الكنيسة لا بالحب ولا بالسلام.

كان صوت الأب إبراهيم فلتس، المصري الجنسية، القادم من أعماق الكنيسة يصور الألم والمعاناة التي يعيشها المحاصرون هو الصوت الوحيد الذي كان يبعث الأمل والرجاء بنجاة هذه الكنيسة.

المحاصرون في الكنيسة كثر، ومنهم من كان يحمل سلاحا ومنهم من لجأ إليها خوفا من قوات الاحتلال، ولكن الإعلام الإسرائيلي حاول أن يصور أن هناك خلافات بين المحاصرين وبين الرهبان، وأن الفلسطينيين يستغلون الكنيسة لأغراض دعائية، وأن البابا ضد تواجد المسلمين فيها إلى آخر ما هناك من إشاعات.

أحد هؤلاء المحاصرين كان وليد عبيات، وهو من عائلة تلحمية احترفت النضال والمقاومة، وكان قد استشهد حسين عبيات في الأيام الأولى للانتفاضة من خلال استهداف سيارته بصاروخ أطلق عليه من طائرة أباتشي.

وليد عبيات ذكر لي شخصيا عن تجربته في ذلك الحصار، حيث تقاسم والمحاصرون من المقاتلين والمدنيين والرهبان شربة الماء ولقمة الطعام التي انتهت، فصار البعض يأكل ورق الشجر، أما الماء، فقد صاروا يبحثون عنها في الآبار المطمورة

غير المستعملة في الكنيسة، وحكى وليد عن الكيفية التي تم بها إزعاجهم من قبل قوات الاحتلال من خلال مكبرات الصوت، وعن محاولات تسميمهم من خلال إطلاق قنابل الغاز المختلفة التي تترك صداعا فظيعا في الرأس، حكى وليد عن تفاصيل كثيرة، عن اختفاء السجائر، وانتهاء الرصاص وعن محاولات العدو استمالة بعض الشبان المحاصرين، وعن جثث الشهداء التي بدأت بالتحلل ولم تسمح قوات الاحتلال بإخراجها إلا بعد تدخل دولي، وحكى عن المفاوضات المضنية وعن دور العميد توفيق الطيراوي وعن الاتصالات الكثيرة، كانت لحظة حصار فريدة من نوعها. الحصار في كنيسة المهد لا يشبه أي حصار آخر.

المحاصرون وحسب شهاداتهم واتصالاتهم بالعميد توفيق الطيراوي في المقاطعة قالوا: إنهم أكلوا أوراق الشجر ليستمروا ويصمدوا، وقالوا: إنهم يعانون من الممارسات الإسرائيلية التي وصلت حدا من التفنن العجيب إلى درجة إنهم وضعوا جهازا فوق الكنيسة يطلق أصواتا مزعجة حتى لا ينام المحاصرون أو ينعموا بالهدوء، هذا بالإضافة إنهم منعوا إخراج جثة الشهيد الذي سقط في اليوم الأول لحصار الكنيسة فضلا عن الجرحى الآخرين.

حوصرت كنيسة القيامة كما حوصر مقر الرئيس ياسر عرفات، كما حوصر الشعب الفلسطيني كله، كان نيسان من عام ٢٠٠٢ انتكاسة للقيم والأخلاق في العالم كله!!

الحياة على مقربة من الموت

هاني الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، المنظر والكاتب والقائد صاحب المواقف الجريئة والأفكار التي تسبق وقتها، هو أيضا مستشار الرئيس للشؤون الإستراتيجية، واحد أهم رجال حركة فتح الذين يستطيعون إيجاد المخارج والحلول ويستطيع نسج العلاقات الدولية والإقليمية بشكل يشبه السحر، وقد ألف هذا الرجل عددا من الكتب السياسية عبّر فيها عن أفكاره التي تعارض في بعض منها التيار العام في الحركة، كمعارضته لاتفاق أوسلو مثلا من منطلق عنوضة وعدم التزامه بآليات ومرجعيات دولية أو زمنية.

هاني الحسن هو أيضا شقيق المرحوم خالد الحسن وكلاهما من مؤسسي حركة فتح وآبائها، وهما ينحدران من بيت عريق وغني في حيفا، وقد ألف خالد الحسن عددا من الكتب السياسية اتهم على أثرها بتبني مواقف يمينية ولكن الزمن أثبت صوابها ودقتها.

هاني الحسن كان أحد أعضاء القيادة التي حوصرت في المقاطعة عندما وقع الاجتياح في التاسع والعشرين من آذار عام ٢٠٠٢.

وهنا اقتبس من كلامه إليّ عن ذلك؛ إذ قال لي: إنه كان هناك عدد من أعضاء القيادة الفلسطينية قادة أجهزة، وزراء، مدراء عامون، وما أن أعلن أن الإسرائيليين قادمون حتى انفرط عقد الجميع، ولم يبق سوى هاني الحسن ووزير المالية سلام فياض.

كان هناك حوالي ٤٢٧ شخصا في المقاطعة ما بين عسكري ومدني، له علاقة بالأمر ومن ليس علاقة، كان هناك مطلوبون ومعتقلون ومراجعون عاديون وصحفيون وآخرون لا نعرف كيف دخلوا كانوا هناك بالصدفة وعلقوا كانوا مراجعين لشأن ما ثم لم يستطيعوا الخروج.

يقول الحسن : إن الإسرائيليين طلبوا التفاوض منذ اللحظة الأولى لاقتحامهم مقر المقاطعة، كان يقود جنود الاحتلال ضابط درزي يدعى «أبو عمري»، طلب التحدث إلى المحافظ أبو فراس، فخرج إليه، فطلب الضابط منه تسليم المطلوبين إياهم، فلما عاد أبو فراس ومعه مطالب المحتلين، طلب الرئيس عرفات المشورة، فتقدم هاني الحسن ، وقال : إن الموقف يتطلب عدم التفاوض مع الإسرائيليين، لأن التفاوض معنا، نجاح الحصار والاقتحام ونجاح الخطة الإسرائيلية، أما التفاوض فمعناه انقسام الرأي والأمل بانفراج قريب ومعناه أيضا عدم القدرة على الصمود لمدة يومين.

وهكذا اتخذ الرأي بعدم التفاوض مع الإسرائيليين، وعندما كانت تجري المفاوضات عن طريق دولي أيضا، كان الجواب الفلسطيني على المطالب الإسرائيلية: لا رد.

يقول هاني الحسن: إنه أجرى اتصالات دولية وعربية كثيرة لفهم أبعاد وأهداف الحصار الإسرائيلي الحقيقية، وخلال الأيام الثلاثة الأولى اتصل به وزير خارجية قطر الشيخ حمد طالبا منه الاستسلام ومن معه بمن فيهم الرئيس عرفات مقابل تنفيذ مطالب الإسرائيليين.

وقال الوزير القطري أنه اجتمع برئيس الوزراء الإسرائيلي أريئيل شارون الذي أكد له ضمان سلامة المحاصرين مقابل تنفيذ طلبه، وأنه ـ أي الوزير القطري ـ يضمن بشكل شخصي سلامة كل المحاصرين بمن فيهم الرئيس ياسر عرفات. لم يذكر الوزير القطري

أين اجتمع برئيس الوزراء الإسرائيلي، ولم يذكر كيف سيضمن شخصيا أمن المحاصرين.

يقول هاني الحسن أنه رد على الوزير القطري بالرفض القاطع، فقال له هذا أن ليس هناك ما يبرر هذا الموقف المتعنت واللاعقلاني.

عندئذ- يقول هاني الحسن- أنه أغلق سماعة الهاتف بغضب، وبذلك أنهى المكالمة مع وزير الخارجية القطري.

أما وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن عبدالعزيز، فقد تحدث مع هاني الحسن بعد أربعة أيام من الحصار، وطلب منه الأول أن يعمل من أجل رفع الحصار عن الرئيس، فطلب منه الوزير السعودي أن يمهله ساعتين ليس إلا، وبعد ساعتين، اتصل الأمير السعودي ليقول : إن الاقتحام الإسرائيلي لم يكن منسقا مع الإدارة الأمريكية، ولهذا فإن الصمود يأتي بنتائج.

عندئذ، يقول هاني الحسن أنه ارتاح تماما وعرف أن الإسرائيليين لديهم سقوف عندئذ ولهذا فقد ارتاح تماما وعرف أن الإسرائيليين لديهم سقوف وحدود، كان خوفه فقط من يومي السبت والأحد حيث تتغيب الإدارة الأمريكية عن مكاتبها ومتابعة العمل.

ولهذا السبب بالذات لم تمانع الولايات المتحدة من تقدم المجموعة العربية بطلب عقد مجلس الأمن لمناقشة الوقع المتأزم.

يقول هاني الحسن أن بعض المحاصرين أبدى تصرفات وسلوكيات تتناقض ومبدأ الصبر والمصابرة والجلد والثبات، ربما بسبب غياب الانضباط خاصة وأن كثيرا من المحاصرين من المدنيين الذين ليس لهم تجربة، أو بسبب ضغط الظرف وطبيعة الوقت.

كان هؤلاء يتجمعون في الطابق الثالث يثرثرون ويتكلمون ويهدمون أساسات الصمود في صدورهم عندما علم الرئيس ياسر عرفات بذلك، أحب أن يصعد من غرفته إلى الطابق الثالث، ولكن هاني الحسن نصحه بعدم ذلك، لأن من الممكن أن يتفوه أحدهم بكلمة أو بتعبير أو بتصرف لا يليق ثم لا يتخذ بحقه أية إجراءات بسبب الظرف، ولهذا طلب هاني الحسن من الرئيس أن يسمح له هو بالصعود إليهم.

يقول هاني الحسن أنه صعد إليهم، وخطب فيهم ما مفاده أنه يستطيع أن يخرج من الحصار من يريد بمجرد فتح الأبواب، وأنه ليس مسؤولا عن الوصف الذي سيطلق على من يخرج من أنه جبان ومنشق وغير صامد، وأضاف هاني الحسن أن الحصار- في بعض معانيه- طوعي لم يرغم أحد أحداً، وأن الأمة العربية والإسلامية تنظر إلى المقاطعة باعتبارها الخندق الأخير للبطولة والصمود، في عصر صارت فيه هذه المفاهيم عملة نادرة.

قال لهم:إن الشجاعة صبر ساعة، فالمحاصرون هم الضعفاء وهم المنهارون لأنهم أتوا إلى هنا، هم الذين في مشكلة وفي أزمة وليس نحن، وأضاف هاني الحسن أن اختطاف سيجارة من يد جندي إسرائيلي أو تبادل الحديث أو الشتائم معه أو طلب الماء منه دليل ضعف منا ودليل تعب وعلينا ألا نعطيهم هذا الإحساس، ذلك أن الإسرائيليين شعروا إن هناك تململا ما بين المحاصرين، ولهذا أعادوا طلب التفاوض من جديد.

قال هاني الحسن: إن هذا التململ يعني أن المُحاصِرين سينجحون إذا أشعرناهم أننا بحاجة إليهم.

يقول هاني الحسن إن الضابط المحتل أبو عمري قال للمحافظ أبو فراس بعد ذلك أن ما قاله هاني الحسن أمام الشباب مسجل لديهم بعد ذلك، صارت مكبرات الصوت المركبة على آليات جنود الاحتلال تنادي: هاني الحسن، تستطيع أن تخرج، هاني الحسن تستطيع أن تغادر المقاطعة.

وذلك في محاولة منهم لدق الأسافين بين القيادة والمحاصرين الآخرين.

هاني الحسن الذي يتذكر تلك اللحظات القاسية، يقول: إنه فكر بالموت كثيرا، ورغم ذلك لم يناقش أفكاره أو هواجسه مع الرئيس أبو عمار الذي تعود حمل رشاش صغير أينما ذهب وحيث ينام في غرفته مع هاني الحسن ونبيل أبو ردينة وإسماعيل جبر قائد قوات الأمن الوطني.

أبو عمار كان عند كلمته ـ يقول هاني الحسن ـ أي أنه كان على استعداد للمقاومة حتى الرصاصة الأخيرة، قال ذلك تصريحا وهمسا: لن أدعهم يأسرونني.

ثم ينظر إلى رشاشه كان الرئيس في تلك اللحظات يعيش في الجانب الآخر من الحياة.

في الأسبوع الثاني من الحصار، أطلق المحتلون المحاصرون صاروخ لاو على غرفة لا تبعد كثيرا عن غرفة الرئيس، يومها صرخ أبو عمار: هبت روائح الجنة.

يقول هاني الحسن: كان الرئيس يشعر أنه يعيش أيامه الأخيرة فعلا.

رام الله وأبو عمَّار

لنا في كل العواصم ذكريات وحكايا.

لنا في الأفق المحدود على وجه الدنيا دماء.. ودموع.. وبقايا.

لنا الشفق الدامي وشقائق النعمان

لنا من الكون ما تركه البناؤون ولفظه الحصادون..

لنا فلسطينيا، جرحا وسكينا وضمادا..

لنا في كل العواصم ذكريات وأمنيات وأغنيات.

تزهو العواصم بما ننثره من دماء على رباها..

في بيروت، في صيف العام الثاني والثمانين وتسعمائة وألف بعد ميلاد المسيح؛

يصلب الفلسطيني في شرقي وغربي بيروت؛

ليدافع عن شرف الأعراب والأنساب

وليغطي عُري الثياب

وليفضح ظلم الأغراب.

في بيروت، يكتب الفلسطيني بحد ثورته

على البحر وعلى الغيم وعلى الطرقات..

تصبح بيروت مدينة أخرى؛

لا علب الليل ولا موالات صباح ولا ليل السكارى،

تصبح بيروت لعلعة الرصاص ولغة الأنين ولهجة الصمود.

ترتفع بيروت؛

تزهو؛

تكبر؛

الثورة تجعلها مدينة أخرى ولدت من رحم مدينة لم نعرفها أبدا.

ثورتنا تحول العواصم إلى نقيضها،

أبو عمار يحيل الحجارة إلى ذهب؛

والناس إلى عجب

والمدن إلى خنادق؛

والعادي إلى مدهش،

يا للثورة،

يا للصمود؛

على تلال بيروت ينتحر الإرهابي؛

يتعرى؛

يكشف عن الحيوان الذي فيه؛

يغرز أنيابه في اللحم البشري،

أما بيروت فتسافر في البحر؛

تصبح طائر الفينق وغيرها الرماد؛

للفلسطيني أن يكتب تاريخه عبر المدن

وله أن يضع المدينة حيث يريد من التاريخ..

مدن طاردت الفلسطيني

ومدن حضنت الفلسطيني

أما الفلسطيني فقد حضن العالم في وطنه

وحضن وطنه في العالم.

الفلسطيني لا تكفيه مدينة؛

والفلسطيني لا تكفيه زهرة.

وفي رام الله، في ربيع العام اثنين وألفين للميلاد؛

تتغير هذه المدينة؛

ولا نعود نعرفها؛

أهذه رام الله الهادئة الوادعة،

مدينة الصيف والشرفات والشمس والهواء الشفيف؛

أهذه مدينة القرميد والهوى العذري على هضاب الكون؛

أهذه المدينة هي التي لبست جلد النمر لقاتلها؛

أهي التي تخرج من قمقمها لتبصق في وجه غازيها؛

أهي المدينة التي تحتضن رئيسها لتدافع عنه حتى الرمق الأخير!!

أهي المدينة التي اختارها القدر لتكتب تاريخا جديدا لامعا وجديرا!!

كيف تخلق المدينة مجدها!!

كيف تلتقي بتاريخها!!

حصار الرئيس وتلك المدينة كانا على موعد.

ها هي هذه المدينة تكتب صفحة جديدة في سجل سيرتها،

وفصلا جديدا في عمرها.

تكتب أنها حضنت أبا عمار؛

ودافعت عنه،

وأعطته من مائها وشمسها وهوائها ودماء أبنائها!!

وارتفعت معه إلى مصاف المدن التي صمدت أمام المغول.

مدينة كانت مرتاحة على هضاب الكون وتلال الشمس

حتى جاء أبو عمار،

فصار لكل شيء معنى آخر؛

المغول لا يحبون المدن

والتتر لا يحبون الأسوار.

أما عشاق الحرية فيختارون الطريق الأصعب،

أما المدن العصية فتختار القدر الأكثر رعبا؛

رام الله المسترخية، قامت، نهضت، شدت جذعها وقالت:

لن يغتصبني محتلي!!

لن يركعني

ولن استسلم.

رام الله ارتفعت إلى الأعلى.

تربعت على ذروة المجد؛

رام الله سافرت إلى جبال الحكايات؛

صارت المدينة حكاية تحكى

ومجد يتلى

هي ورئيسها؛

رام الله وأبو عمار ارتفعا.. ارتفعا.. حتى تعلم منهما الكون..

لهما المجد؛

لهما العناقيد؛

لهما هديل الحمام؛

لهما أول المطر

وأول الثمر

وشعاع الشمس

وضوء القمر.

صدى ليلة لا تنسى خلف أسوار المقاطعة

ما كادت مدافع الدبابات الإسرائيلية تتباعد أمتارا قليلة عن مكاتب الرئيس؛ حتى أطل على شعبه عبر نداء رائع في الذكرى الثانية للانتفاضة، مؤكدا أننا شعب الجبارين، لا يهمنا حصار.. ولا حديد ولا نار ولا محاولات تآمرية، وكانت كلماته هذه قد انطلقت بعد تلك الليلة، وقد جاء في هذه الكلمة

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) ﴾.

يا أهلي..

يا ربعي..

يا كل أهلي..

أحييكم من هذا الحصار..

ولكننا كفلسطينيين لا يهمنا الحصار، ولا تهمنا محاولات تآمرية هنا أو هناك، لأننا شعب الجبارين، كما قال فينا نبينا الكريم:

«لا تزال فئة من أمتي على الدين محافظين لعدوهم، ظاهرين، لا يضرهم من عاداهم، وأنهم لمنتصرون بحول الله».

قيل: يا رسول الله أين هم؟ومن هم؟

قال: **في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس**

وهم في رباط إلى يوم الدين.

هذه هي المسيرة، وهذا هو الطريق، وهذا هو الهدف، لنقوم به جميعا بعونه تعالى.

يا شعب الجبارين لنقوم جميعا بواجبنا النضالي، الذي هو قدرنا التاريخي، حتى يقوم طفل من أطفالنا، كما قام الشبل فارس عوده.. وزهرة من زهراتنا لترفع علم فلسطين فوق أسوار القدس ومآذن القدس، وكنائس القدس.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ . ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾. ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

نعم يا إخوتي، نعم يا أحبتي، نعم يا شعب الجبارين، معا وسويا حتى النصر ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ ومعا وسويا حتى القدس عاصمة دولة فلسطين».

***

كنت أستمع إلى كلمات الرئيس وهي تنطلق من «صوت فلسطين».. وأنا في أحسن حالاتي النفسية.. لقد أصبح الرئيس في مأمن بعد تلك الليلة الجهنمية وتأكدت أن الأيادي الآثمة لن تجرؤ بعد اليوم على أن تمتد إليه، فهو رمز وطني وقومي عالمي، لا يمكن للأصابع الآثمة أن تتطاول إليه أو تغتاله، أن أبو عمار «قيمة تاريخية ورمز خالد لا يجرؤ أي متغطرس أثيم على أن يمد إليه يدا.

كانت هذه قناعاتي، ربما كانت أصداء العاطفة فيها أقوى من معطيات الحقائق الواقعية والمنطق، ربما كانت أمنيات رومانسية تختلط بما في ذهني وذاكرتي ووجداني عن ثقافة البطولة والصمود.. فالبطل يظل دائما أقوي من كل الأيادي الآثمة.

***

وانتعش كياني كله، وأنا أتواصل مع هذه الأفكار، ورحت استذكر كل ما يؤكد هذا المعنى.. أن الأبطال أعظمُ من كل المؤامرات، وإن عرفات سيظل عصيًا على أي مؤامرة.. وأنه سيظل رمزا خالدا لهذا الشعب.

واستذكرت لحظات غاضبة، وأنا أتوجه إلى المقاطعة لمقابلة الرئيس كما اعتدت،في كل أزمة عاصفة.. كان منظر العلم الإسرائيلي الذي زرعته يد الحقد والكراهية فوق مبنى المقاطعة، قد أزيل، وقد وضع مكانه علم فلسطين يرفرف في زهو وكبرياء، ورغم مظاهر الدمار والحريق وعبث الجنون الذي أحدثه العسكر الغزاة، في كل مكان كنت أشعر بالطمأنينة والرضا، إن صراع الخوف في نفس الرئيس كان ينهزم دائما لصالح مشاعر الثقة والإيمان بالله وبأنه سيرعاه ويجنبه كل سوء.

لم أكد أصل المكان؛ حتى أطل الرئيس عرفات من بين الأنقاض والجدران المحترقة، وأكياس الرمل المكدسة، أطل بوجهه المشرق وابتسامته الصافية، وملامحه

الوديعة التي تكسوها قسمات الفرح والانتصار..

أطل الرئيس على الجماهير متعبا، ولكن سعيدا، مرهقا ولكن راضيا، مكدودا ولكن قويا.

واستقبل في سعادة ورضا مشاعر أبناء شعبه الجارفة الفياضة، وألقى بناظريه إلى العلم الفلسطيني الذي عاد يرفرف في سماء رام الله عزيزا، نظيفا، مشرقا، بعد أن رفعه أحد جنودنا على سلاحه ليثبته فوق مبنى القيادة الفلسطينية.

الأجواء السياسية بعيد تلك الدقائق العشر، كانت تميل إلى تحليل ما حدث، وكانت ترجح أن شارون أخطأ فهم الموقف العالمي مما جعل الصحافة الإسرائيلية تؤكد أخيرا أن شارون هو المحاصر الحقيقي، وليس عرفات. ولكن الدرس الأهم في الخطوة الإسرائيلية حيث تراجعت قوى العدوان الإسرائيلي بسبب الهبة الشعبية التي استمرت عدة أيام؛ بعيد ذلك الإنذار الخطير في منتصف ليلة الاثنين ٢١ سبتمبر «أيلول» الماضي، فقد خرج الشعب الفلسطيني كله على شكل طوفان بشري في كل المدن والقرى والمخيمات بصورة يومية، وكانت الجماهير قد تدفقت نحو المقاطعة رغم الحصار والدبابات والآليات العسكرية.

وعلى الصعيد الدولي، أعرب الرئيس الفرنسي جاك شيراك في اتصال هاتفي مع عرفات عن استيائه لما آلت إليه الأوضاع في الشرق الأوسط، وطالبت فرنسا إسرائيل بوضع نهاية فورية لعملياتها حول مكتب عرفات.

وقالت وزارة الخارجية الفرنسية أن العمليات العسكرية الجارية ضد مكاتب عرفات في رام الله غير مقبولة.

وناشدت السلطات الإسرائيلية ألا تفعل شيئا من شأنه الإضرار جسديا برئيس السلطة الفلسطينية والمسؤولين المحيطين به.

* * *

وفي لندن انتقدت الخارجية البريطانية لجوء الحكومة الإسرائيلية للقوة، وقال ناطق باسمها أن التصعيد العسكريّ لن يقود إلى السلام. «السلام الذي لن يتحقق إلا بالتفاوض» كما طالبت روسيا إسرائيل برفع الحصار عن مقر عرفات، ومنح السلطات الفلسطينية إمكانية حقيقية لإعادة النظام لأراضيها، وقال بيان وزارة الخارجية الروسية:

لا بد من بذل كل جهد لوقف العنف فورا.

وقد طلبت حكومة طهران الأسرة الدولية، التدخل بصورة عاجلة، لوضع حد للحصار الذي يفرضه جيش الاحتلال على مقر الرئيس عرفات، وقال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية حميد رضا، أن الاعتداءات الوحشية الأخيرة التي ينفذها والحصار، وتدمير جزء من مقر الرئيس، كل ذلك يندرج في إطار السياسة القمعية التي تمارسها إسرائيل، وتشكل انتهاكا للأعراف والمواثيق الدولية. وأكد البيان الإيراني أن إسرائيل هي التهديد الرئيسي للسلام في الشرق الأوسط، وأنها مصدر التوتر في المنطقة بفضل الدعم الذي تتلقاه من الولايات المتحدة حيث تقوم باستمرار بانتهاك أبسط حقوق الشعب الفلسطيني.

* * *

وأما عن صدى أحداث الدقائق العشر في الصحف العالمية، فقد كان بالفعل في الصفحات الأولى، ولمدة أكثر من أسبوع.. فقد كتب جان بيير بيران في صحيفة «ليبراسيون» تحت عنوان انتصار عرفات:

«محاطة بركام المقاطعة المحروقة من الماء والكهرباء والهاتف في رام الله، فان غرفة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات مهددة كذلك بالبلدوزرات الإسرائيلية، وقد أدى ذلك إلى تعزيز وتدعيم قوة وشرعية عرفات على الصعيدين الدولي والشعبي، حيث خرج آلاف من الفلسطينيين للمرة الأولى إلى الشوارع في جميع مدن الضفة الغربية تلبية لنداء حركة فتح، مجازفين بحياتهم، ومخترقين حظر التجول المفروض عليهم منذ أكثر من ثلاثة أشهر، لإظهار تأييدهم ودعمهم المطلق للرئيس الفلسطيني المحاصر.

ويمكن القول انه كلما استمر الحصار، فإن حركة الشارع الفلسطيني تَقوى وتتكثف أكثر فأكثر، حتى أن حركة حماس قدمت تأييدها ودعمها ونادت بتعزيز المقاومة ردا على ما يجري في رام الله.

ويضيف جان بيير: أن هذا التضامن يذيب بعض حواجز العزلة التي فرضت على الرئيس عرفات، وزعم وزير الدفاع الإسرائيلي بن إليعازر حسب مقابلة نشرت له في صحيفة «معاريف» اليومية، أن عرفات في وضع صعب، لأنه لا يوجد أحد مهتم بمصيره لقد فشل كما لم يفشل من قبل في تحريك العالم حوله. وهذا الذي يقوله بن إليعازر

يتناقض تماما مع ما يذهب إليه شارون، ذلك أن أرئيل شارون رئيس وزراء إسرائيل يدرك تمام الإدراك أن نفيه لعدوه القديم «عرفات» في مقره في رام الله، يمكن أن يكون غير مجد، وغير فعّال، فهو بذلك يقوي مكانة عرفات أكثر مما يضعفها، وإذا تم إبعاد الرئيس إلى غزة أو أي بلد عربي آخر، فإنه سيجد مجالا للعمل الذي لا يستطيع تحقيقه هنا، بسبب الحصار الخانق والعزل، وسيكسبه كذلك مزيدا من الشرعية التي فشلت أوسلو في تحقيقها.

* * *

وفي صحيفة ليبراسيون أيضا كتبت ألكسندرا شوار تزيرود مقالا صدرته الكاتبة صدرته بعبارة قالها مواطن من رام الله، وجاء فيها:

«لا يوجد لدينا سلاح، كل ما نريده هو السلام، إذا خفنا من الجنود الإسرائيليين، فإننا نكون على وشك الموت لم يبق هناك ما يخيفنا» ومما جاء في مقال هذه الكاتبة الفرنسية المعروفة:

في الوقت الذي كانت فيه شاحنة صفراء برفقة جيب عسكري إسرائيلي تتوجه لما تبقى من المقاطعة؛ لوضع كشّافين كبيرين ليكونا مضيئين طوال الليل على شبابيك البناية المتبقية من المقاطعة، والمتواجد فيها عرفات ورجاله، وحيث البولدوزرات الإسرائيلية تتحرك باستمرار حول المقاطعة؛ فإن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، كان قد تبنى قرارا مشددا على رفع الحصار عن مقر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

يوم الاثنين مساء الموافق ٢٢ سبتمبر «أيلول» وفي تمام الساعة الثانية عشرة كان عدد كبير بلغ آلاف الفلسطينيين من النساء والأطفال نزلوا إلى الشارع عندما سمعوا النداء في تلفزيون محلي حاملين معهم الطناجر والأوعية بالإضافة للملاعق المعدنية للتظاهر ودعم أبو عمار.

- نريد أن نذهب إلى المقاطعة لتحرير رئيسنا ياسر عرفات.

قال أحد المتظاهرين

هناك حد لمعاناة الناس، لقد أن الأوان لمعسكر السلام في إسرائيل أن يستيقظ، لا نستطيع التحمل أكثر تحدث شاب مصطحبا معه زوجته وبناته الأربع.

«إنني هنا لدعم وتأييد رئيسنا عرفات.. انظري، بناتي لا يستطعن الذهاب إلى المدرسة، لا يوجد معنا سلاح»،

صرح رجل عجوز.. هذا ما تقوله الكاتبة الفرنسية في اكبر صحيفة فرنسية.

***

وقال سلام فياض فور خروجه من مقر المقاطعة، حيث كان محاصرا مع الرئيس عرفات:

إنه ترك لتوه سجنا صغيرا ليعود إلى السجن الكبير، وذلك في إشارة إلى الحصار المفروض على الشعب الفلسطيني وما يرافقه من نظام منع التجول وإغلاق، ومعاناة يومية للإنسان الفلسطيني.

ويقول سلام فياض، لقد كان يوم السبت الماضي أصعب يوم في حياتنا، إذ رأينا الموت أمامنا فعلا، وكنا في كل لحظة نتوقعه كنا مرعوبين، وأحسسنا أن كل شيء سيؤدي إلى الموت.

ولكن صلابة القيادة الفلسطينية في هذه المعركة، هي التي انتصرت خاصة عندما تم استصدار قرار مجلس الأمن، ومن ثم تمسكنا بهذا القرار وإصرارنا على تنفيذه بكل ثبات ودون إجراء أي مفاوضات.

ومما دعم انتصار القيادة الفلسطينية تلك الهبة الشعبية التي عبر فيها شعبنا عن أصالته المعروفة عنه، والتي شكلت مصدر تشجيع واعتزاز لنا. لقد شعرنا بحالة اعتزاز بالغة جدا لا تستطيع وصفها.

وأكد سلام فياض أن الشعب الفلسطيني شعب معطاء بالرغم من المعاناة اليومية التي يعيشها، والحصار المفروض عليه، ونظام منع التجول، ومع كل ذلك خرج المواطنون، صغيرهم وكبيرهم نساءً وأطفالا إلى الشوارع بعفوّية تنم عن أصالة نعتز بها جميعا.

الأسلحة التكنولوجية والبدائية !!

لم يكن هناك إطلاقا توازنا بين الفلسطينيين والإسرائيليين في كل مواجهة من المواجهات التي جرت بين الطرفين منذ بداية القرن الماضي وحتى هذا اليوم، فمنذ العام ١٩٣٦ في هذه المدنية رام الله، وعندما كان أبو «حسام» قائد المقاومين في المدينة،

والاحتلال البريطاني يمنع الحركة إلا بتصريح، ويقطع الطرق بالحواجز، ويهدم البيوت ويعتقل الناس بسبب أو لغير سبب أو في مدن أخرى مثل جنين حيث كان الثائر أبو درة وفصيله الذي دوخ القوات الإنكليزية في المنطقة حتى حيفا، أو عبدالرحيم الحاج محمد في منطقة طولكرم، أو حسن سلامة في الجنوب، أو فرحان السعدي في الشمال، كانت تلك ثورة فلاحين بالأساس ضحى فيها الفلاحون بالغالي والنفيس، واستطاعوا أن يزعجوا الإنكليز تماما إلى درجة أنهم استقدموا خصيصا لقمع الثورة الجنرال ديل الذي عرف عنه شدته في تعامله مع الشعوب المستعمرة، وكذلك الضابط وينغيت الذي بنى مقاطعة رام الله ومقاطعات أخرى في المدن الفلسطينية لمواجهة المدّ الثوري، كانت الأسلحة في ثورة عام ١٩٣٦ بنادق وقلوب شجاعة مليئة بالإيمان فيما وجهها الإنكليز بالطائرات كما حدث في معركة طولكرم عام ١٩٣٨، وواجهوها بالدبابات والرشاشات، وهو ذاته ما حدث عام ١٩٤٨، حيث كانت عصابات البالماخ والهاجاناة مزودة بأحدث الأسلحة، وحيث كان عناصر تلك العصابات منحدرة من الجيش البريطاني نفسه، على عكس المقاومة الفلسطينية الشعبية، غير المنظمة، غير المسلحة، المطعونة من الخلف.

وكذلك كان في بيروت عام ١٩٨٢، حيث حوصرت الثورة من قبل أعتى جيوش المنطقة أن لم يكن العالم، حيث كان الفدائي الفلسطيني يحمل الـ آر.بي.جي أو الـ بي سفن، في حين كان الجيش المحتل يغير على المدينة بطائرات الفانتوم. لم تكن هناك أبدا مقارنة بين سلام الفلسطيني وسلاح الإسرائيلي كان الإسرائيلي متفوقا دائما ولكن الفلسطيني لم يستسلم.

في انتفاضة عام ١٩٨٧ كان سلاح الفلسطيني الحجر، ولا شيء غير الحجر، سلاح قديم وبدائي ولكنه صاعق، فيما كان سلاح المحتل ما شئت من تكنولوجيا.

ولكن انتفاضة عام ١٩٨٧ أوقفت العام على رجليه، جعلته يفتح عينيه وقلبه وضميره على مأساة شعب يرزح تحت الاحتلال منذ عقود طويلة، كان سلاح الحجر اكتشافا مذهلا.

في بيروت كان الفلسطيني ضعيفا بسلاحه قويا بإيمانه، ولهذا استطاعت دبلوماسية الصبر والثبات أن تنتصر أخلاقيا، ومن هذا المنطلق، أهدى الرئيس ياسر عرفات ميدالية رمزية لوزير الخارجية اللبناني تعبيرا عن الوفاء والصبر والوحدة والخندق

الواحد، ميدالية حملت معنى بقاء المدينة وصمودها وعدم تنكرها، أما في انتفاضة ١٩٨٧ فقد كان الفلسطيني ضعيفا بسلاحه ضعيفا بتكتيكاته، ولكنه اكتشف سر قوته، وكانت تتمثل في أنه لا يمتلك شيئا يخسره، كانت تلك الورقة التي لعب بها إلى النهاية، قوة الضعف، قوة السلب، وقوة الذي لا يخسر إذا حارب ولا يخسر إذا تحرك، ولهذا ارتبكت إسرائيل تماما، وانهار جهازها الأمني، وانهارت نظريتها الأمنية التي بنتها على أساس تدجين الفلسطينيين داخل القطاع والضفة أو تحويلهم إلى مجرد بهائم يعملون في مصانعها نهارا وينامون في الضفة والقطاع مساء، كانت الانتفاضة عام ١٩٨٧ معجزة بكل المقاييس.

وها نحن الآن في حصار عام ٢٠٠٢، المواجهة هي هي، والطرفان هما هما، والسلاحان هما هما، الفلسطيني الضعيف بلا سند ولا دعم، والإسرائيلي المدجج والمدعوم والحاصل على كارت بلانش للقتل والتنكيل.

الفلسطيني يقاوم بأسلحة بدائية وضعيفة ومضحكة، ولكنها تكفي للدلالة على قوة هذا الشعب وعظمته.

تماما كما كان ذلك في بيروت، حيث طور المقاتلون الكلاشينكوف والسيمنسوف ليلائم مناخ البحر المتوسط، حيث اكتشف المقاتلون آبار المياه العذبة في بيروت، وحيث قامت الاتحادات الطلابية والنسائية باختراع آلاف السبل والطرق للمقاومة والعلاج والإنقاذ، كذلك حدث في رام الله وجنين وبيت لحم ونابلس، فقد اخترع المقاومون وسائل بدائية للمقاومة، فمن مواد أولية تتواجد في السوق صنعوا الأكواع المتفجرة، والبنادق اليدوية المصنوعة من الخشب والأسلاك، والألغام التي صنعت في ورش للحدادة تقوم أساسا على أسطوانات الغاز، وعلى أجهزة إنذار مبكر يضعونها على الأعمدة وأطراف الطرقات، وعلى بنادق بعضها كان من ذلك الطراز الذي استخدم في الحرب العالمية الثانية كبندقية (ام ١)، كل هذا استعمله المقاومون الفلسطينيون أمام دبابات المركباه وطائرات الأباتشي.

أما إسرائيل من جهتها فقد اندفعت في هذه المواجهة، مواجهة ٢٠٠٢، اندفعت بكامل قوتها التكنولوجية والحربية، فقد استعملت طائرات إف ١٦ وقصفت مقر المقاطعة في نابلس فدمرتها تماما، واستعملت طائرات الأباتشي والكوبرا الحربيتين وزودتهما بصواريخ فائقة القوة وقصفت بها كثيرا من الأهداف، وبهما اغتالت أمين عام

الجبهة الشعبية أبو علي مصطفى وآخرين، واستعملت دبابة المركباه في الهجوم على المدن، وقيل: إن هذه الدبابة تكلف عدة ملايين من الدولارات، ولكن المقاومين في نابلس وبيت لحم وغزة استطاعوا نسفها، ولهذا ألغت تركيا صفقة كانت ستشتري بموجبها هذه الدبابة التي قالت الدعاية الإسرائيلية عنها أنها أغلى دبابة في العالم وأكثرها أمنا.

ثم استعملت إسرائيل طائرة الاستطلاع بدون طيار التي تستطيع تصوير كل شيء يجري في المدينة، ثم زودت الطائرة بصاروخ ينطلق آليا عند تحديد الهدف، ثم استعملت ـ وهي تستعمل ذلك دائما ـ جهازا استخبارا قويا يبتز فيه فلسطينيون ـ بالتهديد والإغراء معا ـ فتلاحق النشطاء وتغتالهم.

في هذه المواجهة جندت إسرائيل كل شيء تكنولوجيا وبشريا لتحارب الفلسطينيين وتركعهم، وتخفض من سقف مطالبهم وتوقعاتهم وآمالهم.

هذه المرة كان الإسرائيلي المحتل يرغب أن يبدو في أقسى وأقصى قوة له أمام شعب اعزل لا يستطيع أن يرد على طائرة ال إف ١٦ ولا دبابة المركباه ولا طائرة الاستطلاع. كان الإسرائيلي يرغب أن يقول أن يد إسرائيل قوية وتعاقب وتقمع، وأنها لن تعيد الانسحاب من جنوب لبنان أو لن تكرره. ولكن وفي هذا الحصار الفظيع والرهيب، بدا الإسرائيلي مرة أخرى، غير قادر أبدا على كسر الفلسطيني ولا هزيمته.

الحديد لا يهزم القلوب.

والعدوان لا يجلب السلام.

والدمار لا يأتي بالهدوء.

بالصدفة، فتحت المذياع، كانت هناك محطة ما تذيع أغنية لفيروز تقول فيها:

يا حرية

يا طفلة وحشية

يا زهرة نارية

يا حرية!!

نعم. الحرية، يا لاسمها المبارك.. ليتقدس ذاكروك.. وليعلُ طالبوك!!

ليس هناك مذبحة !!

اتصلت بتسفي البيلغ وقلت له إن هناك في جنين، صدم الرجل ورفض أن يصدق، ثم طلب مني أن أمهله بعض الوقت ليتصل بوزير الخارجية آنذاك شمعون بيرس، وعندما عاود الاتصال بي، قال: إن ليس هناك مذبحة.

كانت تلك فضيحة ولكن إسرائيل تعودة على الفضائح، لقد اختفى الخطاب التبريري الإسرائيلي.

قال إسحاق شامير عام ١٩٨١ أمام طلاب مدرسة ثانوية أنه ينتظر اليوم الذي إذا تم السؤال عن ميلاد دولة إسرائيل: لماذا كانت دولة إسرائيل وما هي مبررات وجودها، أن يكون الجواب: هكذا!!

أي بدون مقدمات ولا مبررات ولا إحساس بالخطيئة أو عذاب الضمير.

لماذا إسرائيل؟ هكذا.

لماذا تقتل إسرائيل! هكذا.

لماذا تغتال وتدمر وتجتاح وتحاصر؟ هكذا.

لماذا تصادر وتحارب على كل الجبهات؟ هكذا.

لماذا إسرائيل أقل أماكن الأرض أمانا للشعب اليهودي؟ هكذا.

إن منطق «هكذا» هذا منطق مدمر ولا يبشر بخير ولا بمستقبل واعد.

عندما قال تسفي البيلغ أن ليس هناك مذبحة، أحسست أن هذه الدولة ترتكب أخطاء الدول الأخرى التي عرفت في نهاية الأمر أنها مجرد دولة عادية، لا يمكن لدولة ما مهما عظمت أن تتجاوز الواقع أو التاريخ أو منطق البشر. عندما تتصرف الدول على أنها فوق التاريخ، فهذا أول خطوة على طريق الهزيمة الفعلية.

أما مخيم جنين، فقد عاش الجحيم بعينه

يذكر سعد أبو بكر في كتابه «شاهد على الجحيم» ما يلي حول ذلك الحجيم فيقول: وفي الساعة ١٢:٣٠ بعد منتصف الليل، أي في بداية فجر يوم ١/ ٤/ ٢٠٠٤، كانت هناك طائرات الـ إف ١٦ ما تزال بسماء جنين، وفي الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم

وصل ٤٥ دبابة إلى معسكر سالم غرب جنين ونزول قوات خاصة قدر عددها بأكثر من ٤٠٠ جندي من جهة قرية الطرم قرب يعبد، مع نزول خمسة دبابات إلى معسكر دوتان قرب عرابة عدا ما تواجد أصلا من دبابات هنا في المخيم سابقا ، وتواجد دبابات أخرى قرب الجلمة مع وجود دبابات أخرى في مستوطنة جانيم شمال جنين، وفي الساعة ٧ مساء ذات اليوم تم قدوم خمسين دبابة إلى مستوطنة شاكيد قرب يعبد، وفي الساعة الحادية عشر قبل منتصف الليل من ذات اليوم تقدمت مائة دبابة مدرعة من جنوب جنين من شارع نابلس باتجاه المدينة، وما تزال قوات الاحتلال قائمة حولنا حتى الساعة ١٢، وفي اليوم التالي أي في يوم ٢/ ٤/ ٢٠٠٢ أرى الشباب ءيتحدث المؤلف هنا كشاهد عيان والمقاومين في الشوارع ءالأزقة سواء بالمخيم أو المدينة ومعنوياتهم عالية جدا واسمع الآن في سماعات المساجد خطب حماسية وأغاني ثورية ، وفي الساعة الواحدة فجرا تم تفجير سيارة أحد المواطنين قرب مثلث الشهداء من قبل الاحتلال ودخول فدائيين لمستوطنة تعناخ قرب بلدة زبوبا غرب محافظة جنين في مرج بني عامر واشتباكات هناك، وأرى الآن قنابل ضوئية تطلق مع وجود سيارة إسعاف وطائرات مروحية، وفي الساعة العاشرة صباحا، بدأت الدبابات في التحرك من الجلمة باتجاه جنين عبر الشارع الالتفافي، وشوهدت حوالي ٤٠ دبابة ومدرعة هناك ووصول أكثر من ٥٠ دبابة من مستوطنة شاكيد لمعسكر عرابة عدا ما تواجه أصلا، وبدأ التجهيز في معسكر سالم بأكثر من خمسين دبابة، وفي الساعة ١.٣٠ ظهرا تواصل التقدم والزج بأعداد هائلة من الدبابات القادمة من مستوطنة شاكيد لتنضم لعشرات الدبابات في مفرق معسكر عرابة جنوب مدينة جنين، وجميع العشرات الدبابات على الشارع الالتفافي غرب شمال مدينة جنين، والتي أصبح عددها أكثر من ٤٥ دبابة. وفي الساعة ٥.١٥ مساء تقدمت ١٧ دبابة إلى المدخل الجنوبي لمدينة جنين وفي الساعة ٧.١٥ مساء تقدمت دبابات بالعشرات من حاجز سالم باتجاه مدينة جنين إلى المدخل الغربي للمدينة، ويستمر الكاتب في رصد تحركات جيش الاحتلال حتى يصل إلى ذكر أولى الاشتباكات، فيقول في ذكر أحداث ٥/ ٤ ما يلي: بهذه الساعات بدأ الاحتلال بتغيير خطته الهجومية، حيث إن الطائرات أخذت الدور الأكبر بالمعركة، وبدأت بالقصف العشوائي وأخذت الصواريخ المنطلقة من طائرات الأباتشي والكوبرا بتدمير المنازل بشكل متواصل، وأصبحت المدينة والمخيم كأنها شعلة نار، والطائرات تقصف بالصواريخ تارة وبمدافعها تارة أخرى، واستمر الوضع على هذه الوتيرة حتى يوم السبت ٧/ ٤/ ٢٠٠٢،

وفي هذا اليوم لم أعد قادرا على إحصاء عدد الصواريخ التي تسقط على المخيم والبلدة القديمة في جنين، وأقدر عددها الآن في هذا اليوم بمائتي صاروخ، وفي الساعة ٩.١٥ صباحا، ما زالت طائرة الأباتشي والكوبرا تقصف وجرافات تجرف بيوت من أطراف المخيم وقد أصبح عدد الشهداء بالمخيم أكثر من عشرين، وفي هذا اليوم أيضا طلب جيش الاحتلال بمكبرات الصوت من المقاتلين والناس المحاصرين في مخيم جنين تسليم أنفسهم، لكن سكان المخيم تحدوا الدبابات ووقفوا أمامها، مما أدى إلى اعتقال بعضهم، ويقدر عدد المعتقلين في ذلك الموقف حوالي ٥٠ معتقلا معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال، وقد كانوا خرجوا بعد تجريف بيوتهم، وفي الساعة ١٠.٠٥ مساء من ذلك أيضا استمر القصف والجثث والجرحى بشوارع المخيم، وفي تلك الساعة أيضا اعدم جنود الاحتلال ثلاثة فلسطينيين بالمخيم بعد أسرهم، وفي اليوم التالي، ورغم أن جيش الاحتلال رفع حظر التجول ساعة واحدة للتزود بالمؤن، إلا أن جنود الاحتلال أطلقوا النار على سكان المخيم الذين خرجوا لشراء حاجياتهم.

وفي يوم ٨/ ٤/ ٢٠٠٢، يقول سعد أبو بكر كشاهد عيان أنه رأى بأم عينيه تهجيرا قسريا للعائلات من مخيم جنين بالمئات، ويقول هكذا في كتابه: وأشاهدهم الآن بشوارع جنين ويجبرون على رفع راية بيضاء بعد هدم بيوتهم بالصواريخ والجرافات، وتفجير بعضها، ومعظم الأطفال والنساء وكبار السن يمشون هنا ومنهم بلا ملابس خارجية واعتقالات للشباب تجري أمام مستشفى جنين، بعد ذلك وحوالي الساعة الخامسة مساء من ذلك اليوم، بدأت قوات الاحتلال بضرب المخيم بالصواريخ مرة أخرى وشاهدت أكثر من نوع من الطائرات منها إف ١٦، وكانت هذه ليلة دامية لأبعد الحدود هكذا يقول سعد أبو بكر .

ويستمر المؤلف/ شاهد العيان في وصف وذكر ما جرى في مخيم ومدينة جنين من فظائع يندى لها جبين البشرية..

سبعة عشر يوما من الرعب المتواصل. دولة نووية تستفرد بمخيم أعزل تنكل به وتقتل أبناءه وتهدم جدرانه وتشرد ساكنيه، تفعل كل ما لا يتصوره خيال بشري، إحدى الروايات العجيبة والحقيقية تقول أن قوات الاحتلال ربطت امرأة جريحة على مقدمة سيارة جيب عسكرية وبدأت تطوف بها شوارع المخيم ليحمي الجنود أنفسهم من الرصاص، امرأة أخرى قالت :إن جنود الاحتلال قتلوا زوجها وتركوا جثته في البيت

مدة ثلاثة أيام، أما أبناؤها الصغار الثلاثة الذين لم يفهموا ذلك فقد ظلوا يلعبون حول جثة والدهم الميت باعتباره نائما ليس إلا الدكتور محمد أبو غالي قال: إن الجنود قطعوا الكهرباء عن المستشفى، ومنعوا عنه الأكسجين وأطلقوا عليه النيران ومنعوا دفن الموتى فقام الأطباء بدفنهم في ساحة المستشفى، قصص لا تنتهي.

أما تسفي البيلغ فقد أنكر ذلك كله، لمجرد أن شمعون بيرس قال له: ليس هناك مذبحة.. إذن لم تكن هناك مذبحة وصدق العالم ذلك!!

جبل النار

صورة الدبابة التي وقفت في منتصف الشارع ووجهت فوهتها نحو بناية في نابلس ثم قصفتها، هذه الصورة التي شاهدها العالم أجمع، رأيتها أيضا، فتصدع قلبي.

عادت إليّ نابلس، غضة كحبة اللوز الخضراء؛

هبت في خاطري الذكريات،

عندما عدت إليها مع زوجي في نهاية الخمسينيات؛

مدينة تنضح بالتاريخ وعبق الأيام؛

كنت أيامها أعرف أنني أمتلك في داخلي قوة هائلة لا أعرف شكلها ولا حجمها.

مدينة نابلس مدينة محافظة .

لكل إنسان فيها انتماء عشائري أو حزبي.

لا يمكن اختراق المجتمع النابلسي.

إلا إذا تميز بطريقة لا يمكن إخفاؤها.

في نابلس .

بدأت أولى خطواتي في الصحافة .

وفي نابلس تعرفت على نخبة الأدباء والمفكرين والسياسيين.

في نابلس استقبلت في بيتي هربرت ماركوز والبارون دي روتشيلد .

وفيها أيضا تعرفت إلى الروائية سحر خليفة وعصام عبدالهادي وفائزة عبدالمجيد وإلهام أبو غزالة وأختها هيام ونائلة العطعوط، وهؤلاء هن من أعطين وأنتجن وشكلن

خميرة التغيير والحراك الاجتماعي. الآن نابلس تفرم بيد من حديد.

الآن، اجتاحها المحتل وانهال عليها ضربا بالسكاكين.

المحتل يقتل الناس.

المحتل يدمر البيوت على أصحابها.

المحتل يقطع الكهرباء والماء والمؤن والدواء عن المواطنين.

ونابلس، كياسمينتها لا تستسلم ولا تذعن.

تدور أعنف المعارك في نابلس.

ويعترف العدو بذلك .

يجن جنون المحتل، فيبدأ بقصف الأحياء القديمة عشوائيا .

يكرر ما فعله في مخيم جنين .

أي اقتلاع المكان من أساسه.

ولكن من يستطيع اقتلاع المكان.

ومن يستطيع تحويل الشمس عن مسارها .

ومن يستطيع أن يزحزح جرزيم من مكانه .

أو عيبال من عنفوانه وذراه.

تبقى جثث الشهداء بين الأزقة.

وتبقى الدماء والجرحى يعانون البرد والجراح النازفة .

يريد المحتل أن يعري المدينة وأن يفضحها.

يريد المحتل أن يذل المدينة ويخضعها.

ولكن المدينة التي شيدها الكنعاني الأول تأبى الإذعان أو الاستسلام .

تقوم المدينة .

تنهض من المفرمة الحديدية.

تنبعث من محرقة الرصاص والكبريت .

تقف على رجليها.

نابلس عريقة .

بجرزيمها وعيبالها.

بمياهها وخضرتها.

وأسرارها وحكاياتها .

والنار المقدسة التي فيها .

يوم هاجمها إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا في العام ١٨٣٠، أشعل أهل نابلس النـار على الجبال ليخيفوا جيش الغازي، فلما رأى إبراهيم باشا ذلك قال: جبل نار.. ما هذا!!

وهكذا كان وهكذا سوف يكون، نابلس جبل النار.

لأنها قاتلت المحتل دائما.

لأنها لم تركع أبدا.

ولأنها لم تستسلم .

ولأنها المدينة التي شهدت أول ما شهدت حضارة الكنعانيين.

في بلاطة، غير بعيد عن دوار الساعة في نابلس، هناك بنى الكنعاني الأول بيته على تلـة من الأرض تشبه كتف الإنسان، ولهذا سـماها الكنعـاني شـخيم أي الكتـف، هـذه هـي نابلس؟

الكتف الذي نتكئ عليه .

الكتف الذي نأوي إليه .

الكتف الذي يرفعنا ويحمينا ونتعلق به.

المحتل يهاجم البلدة القديمة.

يهدم المنازل .

ويدمر المواقع الأثرية من مساجد ومبان وأعمدة .

وترد على المحتل بصفعة مدوية.

نابلس لا تموت.

أتذكر الآن أيامي الأجمل في نابلس.

أيام الحفلات والأغنيات واللقاءات.

أيام التوهج والعطاء .

أيام البحث عن معنى وعن جدوى.

يا لهذه المدينة العذبة المعذبة .

على قدر جمالها وانغلاقها وقوتها وعنادها .

يكون عدوها.

وعلى قدر صلابتها .

يكون ردها.

وعلى قدر عراقتها .

تكون مصائبها.

هذا هو قدر المدن العظيمة.

هذا هو قدر المدن التي تصنع التاريخ لا التاريخ يصنعها.

قدرها أن تتعذب وتعذب، وأن تمضي إلى الأمام دائما.

في نابلس، رأيت الجانب الحلو من الحياة .

ولكن نابلس الآن، في هذا الحصار والهجوم المرعب .

تعيش أحلك أيامها وأفظع فصول سيرتها.

لم أشعر بنفسي إلا ودموع كثيفة تتجمع في عيني.

لقد أضحكتني هذه المدينة مرة، وها هي الآن تبكيني!!

صحيفة فلسطين

أَدعي أَنني ولدت صحفية، أُطارد الخبر واكتشف القصة الصحفية والأُحق الأحداث وأصنعها لبلورة رأي أو اتجاه،

وأدعي أنني وجدت أن العمل الصحفي هو أنسب المهن لي لخدمة قضية شعبي من جهة، وللميول الأدبية والفنية التي أشعر أنني مضطرم بها؛ ولهذا كانت الصحافة جزءًا لا يتجزأ من حياتي.

ففيها استثمرت أموالي وأموال زوجي.

وفيها أيضا استثمرت قواي.

وبسببها سجنت.

وبسببها خضت تجارب حياتية مريرة وحلوة.

وبسببها أيضا تعرفت على أناس من كل نوع ومن كل صنف.

وتعلمت أن كل إنسان مهم في موقعه، مهم في مستقبله، مهم لنفسه ولعائلته.

هذه المهنة علمتني التواضع وعلمتني التواصل وعلمتني احترام الآخرين، وعلمتني أن استمع بصبر وأناة لكل شكوى ولكل حديث، وهذا السبب أيضا هو الذي دفعني إلى إنشاء صحيفة «فلسطين» في رام الله في العام ٢٠٠٠.

وقد بدأت هذه الصحيفة بجهد ذاتي، بدأتها وداود إبراهيم ورياض غزلان نلصق المقالات باليد، إلى أن وقفت الصحيفة على رجليها وانتظمت في الصدور إلى حد ما.

شعرت أنني لا أستطيع العيش دون أن أكون صحفية أو أمارس هذا العمل. وحاولت أن أجعل من هذه الصحيفة ملتقى أدبي وفكري وسياسي واجتماعي لمرحلة الدولة والمجتمع المدني.

لهذا ركزت على مسيرة البناء.

والتعمير وخطط المستقبل.

ولقاء الأجيال، وجدل البناء والتعددية والليبرالية.

حاولت أن أجعل من صحيفتي أيضا ملتقى للتعايش مع العدو الذي عودنا على القتل

والمصادرة والأسر.

حاولت أن أجعل من صحيفتي بحق تعبر عن رحلة بناء الدولة.

ولكن لم أنسَ أيضا التاريخ المجيد للثورة ورموزها وثوارها.

ولهذا خصصت جانبا كبيرا منها لاستعادة التاريخ الفريد.

كنت أريد أن أوازن بين الدولة والثورة.

وبين مبدأ التعايش دون التخلي عن الحقوق .

وبين التعددية دون الوقوع في العبثية والعدمية.

وبين جدال الأجيال دون التقيد بالقديم ورفض الجديد.

حاولت أن أجعل من صحيفتي بحق مرحلة من مراحل العمل الوطني في عصر مختلف.

فقد أسست المكتب الصحفي الفلسطيني في القدس، أيام الثورة وأيام كان كل شيء يجري تحت الطاولة وفي الخفاء، أما الآن فإن الدولة هي التي تقرر، ومجتمع الدولة غير مجتمع الثورة.

صحيفة فلسطين حملت أحلامي وآرائي وأفكاري واستطعت أن أنقل هذه الرؤى للزملاء الذين عملوا معي، وقد استطاع الجميع أن يترجم ذلك إلى مقالات وتحقيقات ومقابلات وأخبار عكست الرغبة في البناء والتحرير والتعبير معا.

ولكن ومع اندلاع انتفاضة الأقصى في التاسع والعشرين من أيلول من عام ٢٠٠٠، فقد تغير كل شيء.

وكان على صحيفتي أن تتغير أيضا.

كان هناك دم كثير.

وقسوة وحقد وكراهية.

ذهب الأمل الذي تمسك به الناس.

وإلتماعة الأمل القصير غاصت في عتمة قاتلة.

تبادل الفلسطينيون والإسرائيليون ضربات قاسية ومؤلمة.

وانتهى الحديث عن السلام.

وبدأ الحديث عن الاستسلام.

وبدلا عن الشراكة صار الحديث عن الشر

وبدلا عن الحديث عن التنمية صار الحديث عن السجون والقبور.

واستقبلت صحيفتي المتغير الجديد بطريقتها الخاصة؛

إذ لم نفقد الأمل لحظة بالسلام.

ولم نفقد الإيمان لحظة بالتعايش وبناء الدولة.

ولم نتحرك قيد أنملة باتجاه اليأس أو التعصب أو التطرف.

ظلت صحيفة فلسطين تتابع الأحداث وترصدها دون أن تلغي أو تعمي عينها على التاريخ المنحاز دائما للسلام.

استطاعت جريدة فلسطين أن تصل إلى كل مناطق ١٩٤٨ بالإضافة إلى توزيعها في مدن الضفة.

وكانت تزين في كل طبعة من طبعاتها وعلى الصفحة الأولى بصورة الرئيس ياسر عرفات، باعتباره رمزا ورئيسا وصانعا لدولة فلسطين الأولى.

وكان الرئيس يدعم هذه المجلة ويعتبرها جريدته الشخصية، وقد التقى طاقم الجريدة عدة مرات، وكان يشجعهم ويلبي مطالبهم بأبوة وحنان بالغين.

صحيفة فلسطين التي كانت وظيفتها إعلامية ليس إلا، تحولت بعد الانتفاضة إلى عنوان من عناوين الدعم والمساندة، فقد صار المواطنون يتوجهون إليّ يطلبون أن أقضي حاجاتهم وأن أساعدهم وأتوسط لهم لدى المسؤولين وذوي العلاقة، وقد ساعدني الله أن أقوم بواجبي.

ذات مرة، توجه إلي أحد الشباب ويدعى مراد أبو غربية، وهو شاب ملتح طالبا مساعدتي في مقابلة أبو عمار، لأن زوجته قتلها المحتلون، فما كان مني إلا أن اصطحبته معي إلى مقر المقاطعة أثناء حصار الرئيس، فلما شاهدني مرافقو وأعضاء سكرتارية

الرئيس استغربوا أن اصطحب أحد الملتحين معي، وقد استغربت ذلك إذ أنني وطيلة حياتي لم أشعر بفارق بين فلسطيني وفلسطيني، وبين مناضل ومناضل، لقد عشت طيلة عمري أؤمن بفلسطينيتي وعروبتي، ولهذا لم يكن صدفة أن اخترت اسم صحيفتي «فلسطين».

كان الاسم هو بالضبط ما أريد وما أحب. وسأسرد قصة مراد أبو غربية في فصل خاص في هذا الكتاب.

الألم والرصاص:

فيما كان القصف الشديد يطال أجزاء بعيدة من رام الله، فوجئت بانفجار ضخم قبالة بيتي من الجهة الغربية باتجاه حي عين مصباح، أسرعت إلى الشرفة الزجاجة لأرى ما يحدث، في الحقيقة لم استطع التوجه إليها ماشية أو مهرولة، وإنما زاحفة، كان الوقت بعد الظهر بقليل ولكن المطر والغيوم جعل من الوقت شبيها بالمساء، أطفئت النور، وزحفت باتجاه الشرفة، ورفعت رأسي قليلا قليلا لأرى، وإذا بي أرى مبنى الشرطة الذي لا يبعد عن بيتي سوى مائة متر فقط قد اشتعلت فيه النيران، وإذا بقذيفة أخرى تسقط على أحد جوانبه، فازداد الدخان وامتدت ألسنة النيران من الشبابيك، وضعت يدي على قلبي، فكرت بعناصر الشرطة المتواجدين فيه، وكذلك بالمعتقلين ـ ولكني عرفت فيما بعد أن عناصر الشرطة قد أخلت المكان وأنهم أخذوا معهم المعتقلين إلى أماكن آمنة بعضها سيارات ليس إلا ـ هذا المبنى الجديد الذي يجاورني جاء بديلا عن مركز الشرطة الذي دمر في الأيام الأولى للانتفاضة بعد أن قتل فيه إسرائيليان وصلا رام الله بطريق الخطأ أو لمهمة أمنية، المهم في الأمر أن الشباب اكتشفوهما، فلما حاولت الشرطة تخليصهما من أيدي الجمهور، أخذاهما إلى مركز الشرطة ولكن الجمهور الغاضب والمشحون تبعهما إلى هناك، واستطاعوا انتزاعهما من أيدي الشرطة ومن ثم قتلهما بطريقة بدت غير مفهومة ولا مقبولة أيضا، وقد اشتهرت هذه الصورة في العالم، فقد بثتها جميع المحطات التلفزيونية،وأضرت بالانتفاضة جدا وصورت الفلسطينيين على أنهم متوحشون، ولا أريد أن أدافع عن ذلك، ولكن العالم تناسى أيضا مشاعر هذا الجمهور أو خسائره أو مقدار الإذلال الذي يتعرض إليه. بعد ذلك، قام الطيران الحربي الإسرائيلي بقصف هذا المركز فدمره تماما، وقد حولته المحافظة الآن إلى موقف للباصات والسيارات بالأجرة، ومن يمر من هناك لا يصدق أن هذا الموقف كان يوما

من الأيام مركزا للشرطة، رام الله تتغير بسرعة.

بعد تدمير المركز، انتقلت الشرطة إلى المركز الجديد بالقرب من بيتي، وها هم يقصفون مركز الشرطة من جديد. وقد كانت تلك خطة محكمة أرادها شارون تقوم أساسا على تدمير البنية الأساسية للسلطة الوطنية، ومن ثم إضعافها جدا حتى تفقد شرعيتها. ففي الوقت الذي قصفت به مركز الشرطة بجوار بيتي، كانت تقصف أيضا المقر العام لأجهزة الأمن والشرطة في حي الطيرة، وهو مبنى جميل جدا، له قبة ذهبية ويضم جميع قيادات الشرطة كالمرور والنجدة والمدعي العام إلخ.

في هذا الاجتياح، حاولت إسرائيل أن تقصف وتدمر كل ما له علاقة بالمجتمع المدني، فقد هاجمت وزارة الثقافة في شارع الإرسال ودمرتها وكذلك وزارة التعليم العالي وسرقت منها الكثير بالإضافة إلى مهاجمة مركز الإحصاء الفلسطيني ومقرات حركة فتح والإذاعات الخاصة، وكذلك مبنى هيئة الإذاعة والتلفزيون، كان هذا الاجتياح في أحد أهدافه يسعى إلى تقويض السلطة تماما وإلغاء اتفاق أوسلو وفرض معادلة جديدة في البلاد، حدقت في سحب الدخان وألسنة النيران المتصاعدة من مركز الشرطة، داهمتني رائحة المواد المحترقة من المبنى، أحسست بالخوف والقلق الشديدين، في تلك اللحظة عادت أضراسي تؤلمني، وكأن المشهد لا يكتمل إلا بهذا الألم الجسدي القاتل. ويبدو أن أرواحنا لا تستقر إلا إذا أشركت أجسادنا في ألمها، ألم الروح يفيض على الجسد، وكانت أسناني نقطة ضعفي، تزايد الألم بشكل لم أعد احتمل فيه، كان هذا الألم يأتي ويذهب دون أن انشغل به لكثرة اهتماماتي وقلة وقتي، أما في هذا الحصار، فقد صار يعاودني بشكل متكرر، ولما لم يكن بالإمكان الذهاب إلى عيادة أو مستشفى، فقد كنت أقتل الألم والانتفاخ الذي بدأ يظهر تحت فكي بتناول الثوم، أخذت أتناول الثوم بكثرة لما فيه من قوة ناجعة ضد البكتيريا والتلوث، ولكن وبعد قصف مبنى الشرطة بالقرب من بيتي، لم يعد هذا الألم يهدأ، وبدأ يؤرقني فعلا، وحوّل حياتي إلى جحيم. وتوزعت جسما وروحا ما بين تآكل المدينة تحت جنازير الدبابات وما من تآكل أضراسي بفعل تلك الميكروبات.

لم أعد أطيق صبرا ألم الأضراس ألم خرافي لا يمكن تصوره، فاتصلت بأبنائي اخبرهم بالوضع، خاصة أن الانتفاخ بدأ يكبر ويكبر ولم تعد الثوم تكفي أو تصد ما يجري.

وقد عمل أبنائي المستحيل، فاتصلوا بمدير محطة السي.إن.إن ليبعث بمراسليه في

رام الله ليوفروا لي المضادات الحيوية المناسبة، وقد اتصل بي مدير المحطة الأمريكية واعدا إياي بإرسال الأدوية بأسرع ما يمكن، ولكن هذه «الأسرع ما يمكن» طالت جدا، وذلك أن المراسلين الذين بعث معهم الأدوية لم يستطيعوا الوصول إلى بيتي، لأنه كما ذكرت سابقا كان مسدودا بالأتربة والصخور وكذلك بالجنود الذين منعوا المراسلين من الوصول إلى بيتي.

تحملت الألم الفظيع، وتحملت الرصاص المتناثر حول غرفتي، وفي خضم هذا كله، كان عليّ أن أواصل الحديث في الهاتف مع مراسلي المحطات ومراسلي جريدة فلسطين وأصدقائي من كل الجهات.

اتصلت بي عدة محطات أمريكية وفرنسية تسألني عما يحصل، فكنت أضبط نفسي من الانفجار، وأحاول أن أرد على الأسئلة بأكثر ما أستطيع من منطقية وتركيز، ولكن في لحظة من لحظات الألم أو سماع صليات الرصاص، أفقد دماغي حقا، فأبدأ بالصراخ: أن ما يحدث هنا مجرد مجزرة بموافقة العالم وصمته.

تسألونني عن عرفات، إنه محاصر، وأنا محاصرة، وشعبي كله محاصر. نحن لسنا دعاة حرب، ولسنا إرهابيين، الاحتلال هو جريمة الإرهاب الأولى والحقيقية.

ماذا نأكل؟! نأكل ما يتيسر كيف نعيش؟ نعيش في هامش ضيق بعد أن احتل الظلم العالم كله.

وأصبح بيتي معتقلي وحصني وقلعتي، كما كان ذات مرة في أواسط السبعينيات، عندما تم حبسي في بيتي بأمر من الحاكم العسكري في ذلك الوقت، أما الآن فإن بيتي تحول إلى سجني مرة أخرى ولكن بأمر من العالم كله.

عندما استطاع مراسلو محطة السي.أن.إن الوصول إلى بيتي وتسليمي المضادات الحيوية، اكتشفت أنني أستطيع التعايش مع ألم الأسنان. يا للمفاجأة.

لقد أنساني الموت حول غرفتي ألم أسناني.

لهذا الحد، يستطيع الإنسان أن يتكيف، وأن يقوم بمعجزات لم تخطر له ببال.

محاولة لقتل الثقافة

كانت الصدمة قوية وعنيفة، لما لمسته من حجم الدمار والحقد والكراهية على معالم

الثقافة الفلسطينية، لقد كنت طيلة حياتي أحد العاملات النشيطات في دعم وتشجيع والمشاركة في المجهود الثقافي الفلسطيني لتأسيس هوية فلسطينية حديثة، وليجد الصوت الفلسطيني مكانه في الفضاء. ومنذ أيامي في نابلس ومن ثم في القدس ورام الله، كنت مشاركة فعلا وقولا في الحياة الثقافية من خلال ذلك الكم الكبير من المثقفين والمبدعين والصحافيين الذين عملت معهم وأتحت لهم المجال للتواصل والاستمرار والنجاح.

ولهذا كانت صدمتي عالية وكبيرة لمشاهد الدمار التي لحقت بالبنية الثقافية الفلسطينية في مدينة رام الله، خلال هذا الاجتياح.

كانت تلك الهجمة مبرمجة تماما وهدفها واضح تماما، إذ اندفع جنود الاحتلال منذ بداية الهجوم إلى وزارة الثقافة المقابلة لمقر المقاطعة حيث لا تبعد عنه سوى عدة عشرات من المترات.

إذ فجر جنود الاحتلال مدخل مبنى الوزارة- التي يتواجد في طابقها السابع إذاعة أمواج الخاصة ، ومن ثم بدؤوا يعيثون فسادا في جميع مكاتب البناية التي تضم مؤسسات أخرى من ضمنها تلفزيون المستقبل الذي يديره الصديق صخر حبش عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، ولم يكتفِ جنود الاحتلال بذلك، بل جعلوا من مكاتب الوزارة مقرا لقيادتهم، إذ أن المبنى أصبح مركزا لتجمع الدبابات والمركبات العسكرية وحركة دؤوبة فيه.

تحولت وزارة الثقافة إذن إلى مقر قيادة ومعتقل ومكان للتحقيق ومكان للمراقبة، ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا أيضا، إذ تم مصادرة الأرشيف وتم إتلاف اللوحات الفنية.

وربما كانت الوزارة جزءًا من الوجود السياسي أو السيادي للسلطة ولكن في القصبة في نابلس كان دائما مكانا لالتقاء الحضارات وتعايشها، ولأنه كذلك، فإن جنود الاحتلال وخلال اجتياحهم، ركزوا على مسح هذا المعلم الثقافي من الوجود، في محاولة منهم لتجريد المدينة من تاريخها وطابعها الفريد.

إذ ذكر لي مراسلنا محمد عميرة أن بعض مباني حي القصبة يعود إلى سنة سبعين قبل الميلاد، وإن جنود الاحتلال دمروا حي الياسمينة وحي القريون وحي الحبلة بما فيها

من مساجد وحمامات قديمة ومصابن وقصور تاريخية.

أما مركز خليل السكاكيني في رام الله، فقد تعرض هو الآخر للاقتحام والتدمير، إذ تم تكسير النوافذ والأبواب وبعض قطع الأثاث، وكذلك هاجموا مكتب الشاعر الكبير محمود درويش في ذلك المبنى، واعتدوا على مكتبه وأرشيفه ومزقوا الكتب ورموها على الأرض وكأنهم كانوا يفتشون عن أسلحة في مكتب الشاعر الكبير، ولم يكتف جنود الاحتلال بذلك، بل هاجموا غرفة السكرتارية وسرقوا جهاز الكمبيوتر وهاتفا نقالا كما فتحوا الخزنة وسرقوا منها أربعة آلاف شيكل هي ما يوجد في تلك الخزنة أصلا، العجيب في هذا كله أن جنود الاحتلال لم يجدوا مكانا يفضلون فيه حاجتهم إلا في غرف وممرات المركز، قذارة فوق قذارة، هذه هي آخر صور الاحتلال.- فكرة قضاء الحاجة في الغرف انتشرت في جميع المباني والعمارات والشقق التي اقتحمها جنود الاحتلال، وهذه المسألة تحتاج إلى توقف بمعنى الفهم السيكولوجي لهذه الظاهرة، اذ ما الذي يدفع جنديا نظاميا محكوم بأنظمة وقوانين وأخلاق أن يفعل هذا الأمر المنافي لكل القيم، ولكن، إذا أضيف لهذا ما أؤمر به الجنود أو قيل لهم عن التساهل في القتل، فإن اجتياح نيسان كان يعني انفلات الروح البشرية إلى أقصى شرورها ورداءتها، وقد أثبت جنود الاحتلال فعلا أنهم يستطيعون ببساطة أن يتخلوا عن ما يسمونه بفخر «طهارة السلاح». في نيسان لم تكن هناك طهارة أبدا.

وأعود إلى هجوم جنود الاحتلال على مراكز الثقافة ومعالمها في رام الله وغيرها. إذ اندفع جنود الاحتلال إلى مسرح القصبة وسط المدينة، وفجروا بوابته بعبوة ناسفة ثم حطموا جميع الأبواب والنوافذ، وكذلك غرفة التحكم ذات المواصفات الخاصة، وسرقوا من المسرح عددا من الكاميرات والمعدات السينمائية وأتلفوا العديد من الأشرطة التلفزيونية. بالإضافة إلى نشر «قاذوراتهم» في المكان.

أما في بيت الشعر الفلسطيني الذي يرأسه صديقي الشاعر المتوكل طه، والذي يقابل مستوطنة بسجوت تماما، فقد اقتحم جنود الاحتلال المركز، حيث تم سرقة وتدمير أجهزة الكمبيوتر وأجهزة التصوير والاتصالات علاوة على إطلاق الرصاص على اللوحات والصور المعلقة على الجدران وخاصة صور الرئيس ياسر عرفات، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد هاجم جنود الاحتلال مبنى تابعا لجامعة القدس يتواجد فيه قسم الإعلام والتلفزة وكذلك تلفزيون القدس التربوي، وهناك في هذا المبنى جعلوا من

إحدى غرفه الكنيس الرئيسي للصلاة، بالإضافة إلى تحويله أيضا إلى مقر للقيادة، وقد فعلوا في هذا المبنى الكثير، إذ لم يتوقف الأمر على التدمير والسرقة والعبث ونشر القاذورات، ولكن كانوا يحاولون أن يجعلوا من أنفسهم «خفيفي دم» فقد تركوا على الجدران الكثير من الشعارات والكتابات «المرحة» منها «شكرا على الضيافة» أو «متأسفون، سنكون ألطف في المرة القادمة»، ووصل الأمر بهم إلى كتابة «الرجاء عدم التدخين لأنه يضر بالصحة».

هذا فضلا عن مهاجمة مدارس المدينة كلها، حيث حولوا مدرسة المغتربين في البيرة إلى مركز اعتقال وتحقيق، فيما حولوا مدارس أخرى إلى مرابض للدبابات والمركبات العسكرية، أما وزارة التعليم العالي فقد هاجموا جميع طوابقها بلا استثناء، واعتدوا على أجهزة الكمبيوترات وسرقوا منها الأقراص المبرمجة كلها، ومن ثم أشعلوا النيران في بعض المكاتب.

أما الصحفيون فقد تعرضوا هم أيضا إلى الاعتقال والتنكيل بهم، فقد هاجم جنود الاحتلال مكاتب وكالة إسشيوتد برس في البيرة، واعتقلت الصحفيين العاملين هناك، وكذلك هاجموا مكاتب قناة النيل وأبو ظبي ودبي في مبنى بنك القاهرة عمان، حيث قتلوا هناك في اليوم الأول للاجتياح ستة من عناصر قوات الأمن الوطني.

هذا فضلا عن محاصرة ومن ثم اقتحام مركز الرعاية العربية بحثا عمن سموهم مطلوبين جرحى، وكذلك محاصرة ومن ثم اقتحام مستشفى رام الله ومنع الأهالي من دفن الشهداء الذين امتلأت بهم الثلاجات، الأمر الذي أجبر المواطنين وإدارة المستشفى على دفنهم في قبر جماعي في باحة من باحات المستشفى القريبة، وقد تم ذلك بحضور وكيل وزارة الصحة الدكتور منذر الشريف، وهو ما فعله العاملون في مستشفى جنين أو اضطروا إلى دفن الشهداء في باحة قريبة من المستشفى بشكل جماعي.

هجوم المحتل على الإنسان الفلسطيني لم تقتصر على قتله جسديا فقط، وإنما محاولة قتل وجدانه وروحه وإبداعاته.

كان المحتل يعرف عناوينه التي يراها بعينيه، أما تلك التي يراها فلم ولن يستطيع قتلها إطلاقا، فنانو رام الله وبعد انسحاب قوات الاحتلال من مدينة رام الله ذهبوا إلى مقر المقاطعة، اختاروا قطعة كبيرة من سقف مدمر، وعليه رسموا نسرا كبيرا محلقا وبالقرب منه صورة لياسر عرفات باللون الأحمر، تم تحويل قبح الدمار إلى نعومة الفن!!

حصارات .... حصارات

محاصرة في بيتي، حولي الموت والعتمة والبرد والضباب.

وهناك ثلاثة ملايين فلسطيني يعانون من هذه اللحظة حصارا فريدا من نوعه، كان المحتل الإسرائيلي يحاصرنا تماما.

يحاصر هواءنا وماءنا وفضاءنا وتيار كهرباءنا وماءنا

كان يحاصر رئيسنا وشرعيتنا ورمزنا وتاريخنا؛

ويحاصر كنيسة مهدنا حيث ولد الفلسطيني الأول الذي بشر بالحب والمؤاخاة والتسامح.

في تلك الكنيسة الآمنة التي علمت العالم كله معنى الفداء والتضحية، استشهد ستة مواطنين فلسطينيين، وحشر المواطنون والرهبان في مجمع الكنيسة دون ماء أو طعام، وتعرضوا لأسوأ أنواع حصارات الأرض قتلا وترويعا وتعذيبا.

أطلقوا على الكنيسة قنابل مسيلة للدموع ثم رصاصا حيا ثم قذائف، ثم أطلقوا فوقها بالونات التصوير وماكينات الإزعاج.

كنيسة المهد التي لم تؤذ ولم تهدد، جاء الوقت في نهاية القرن العشرين لإيذائها وتهديدها والاعتداء عليها.

المحتل كان يحاصرنا.

حاصر المباني والعمارات والمقرات والبلدات ومن ثم الوطن.

في نيسان هذا .

كان الرئيس مُحاصرا .

وكانت كنيسة المهد محاصرة .

وكان مبنى الأمن الوقائي محاصرا.

وكان مخيم جنين محاصرا.

وكانت نابلس القديمة محاصرة.

وكان صوتنا محاصرا، وكانت صورتنا محاصرة .

وكانت صحافتنا محاصرة.

في مبنى الأمن الوقائي في مدينة بيتونيا، حوصر ٤٠٠ شخص بما فيهم من مقاتلين وأفراد من الجهاز ومعتقلين ونساء وأطفالا. تعرض المبنى لحصار دام ٤ أيام و ١٨ ساعة من القصف المتواصل بالدبابات والرشاشات، الأمر الذي انتهى إلى اعتقال العشرات من المتواجدين في المقر، ومن ثم نقلهم إلى معسكر عوفرة القريب، كان حصار المقر وما ثار حوله من لغط وجدل دفع الصديق جبريل الرجوب رئيس الجهاز في الضفة الغربية إلى التصريح إنه يتحمل قرار خروج المتواجدين في المقر، وأنه في نهاية الأمر ضابط تنفيذي ولا يتحمل المسؤولية السياسية عن الآثار المترتبة عن القرار.

مبنى جهاز الأمن الوقائي كان مبنى ضخما يضم كثيرا من الأجنحة، وبعد انتهاء حالة الحصار، كان المبنى مدمرا بالكامل، وقد قال الرجوب: إن الخسائر تقدر بعشرة ملايين دولار.

أما حصار الكنيسة الأولى في العالم، فقد انتهى إلى الإبعاد بعد أخذ ورد وجدل كثير وتداخل في الصلاحيات والمسؤوليات، وتعدد المرجعيات واختلاف الرؤى والاجتهادات.

أهل بيت لحم، وكما ذكر لي أصدقائي هناك، اضطروا إلى تشييع الشهداء تحت منع التجول وإطلاق النار عليهم،

كان أصدقائي هناك ينقلون إليّ ما يجري أولا بأول، كانوا ينقلون إليّ أسماء الشهداء، أسماء الشوارع وأسماء الأحياء، فتتحول في قلبي إلى شقوق عميقة فيه، كان كل شيء مؤلما وحارقا.

رأيت على شاشة التلفزيون كنيسة المهد المحاصرة، مبلولة بالمطر والدموع ورأيت قوات الاحتلال وهم يطلقون عليها النار، فيتمزق قلبي وينفطر وجداني لم احتمل، ولما عرضت صور المقاتلين وهم يخرجون رافعي الرؤوس، يعانقون الرهبان، لم أتمالك نفسي، صرت أبكي بكاء مرا، لم احتمل أن العدوان ينتصر ويفرض شروطه، لم أحتمل أن يستطيع شارون فرض معارك بموافقات محلية ودولية.

تم إبعاد مقاتلين إلى قبرص وتم إبعاد آخرين إلى غزة، أما كنيسة المهد فقد تم توجيه

الإهانة إليها.

لم تستطع كل القوى العربية والإسلامية والمسيحية إنقاذ كنيسة المهد من براثن المحتل كان العالم في تلك اللحظة يعاني سقوطا أخلاقيا لا مثيل له.

أما حصار مخيم جنين فقد كان هو الآخر حصارا فريدا حتى بالمفاهيم العسكرية.

كيف لهؤلاء الناس أن يصمدوا أكثر من أسبوعين بدون ماء أو طعام.

أنا المحاصرة في بيتي وحيث كنت أنسى الطعام والشراب إلى حد كبير ولا أتذكر ذلك إلا عندما يبعث لي جيراني من آل الدلو بعض الطعام، فكيف للأطفال في ذلك المخيم أن يصمدوا هذا الوقت كله.

أهالي المخيم في جنين، انتشلوا ٤٨ جثة من تحت الأنقاض، وهناك ٣٠٠ مفقود بالإضافة إلى إزالة جزء كبير من المخيم لمجرد أن المحتل يريد أن يقضي على النواة الصلبة للمقاتلين.

وحصار عمارة النتشة انتهى بتدمير محتويات العمارة وإلقاء القبض على من فيها وكان من بينهم الصديق صخر حبش.

وحصار عمارة مخماس وعمارة الإسراء وعمارة أمية انتهت بالدمار والاعتقال.

وحصار قلقيلية انتهى بتطويقها بالأسمنت.

وحصار مبنى المقاطعة في الخليل انتهى بتدميرها.

وحصار مبنى المقاطعة في جنين انتهى بتدميرها.

وحصار بيت عصام براهمة في قرية عنزة قضاء جنين انتهت بهدم البيت عليه، وحصار الصحفيين أدى إلى مقتل الصحفي الايطالي رافائيلو ليوتشيانو واعتقال العديد منهم ومنعهم من الوصول إلى مناطق المواجهات.

المحتل يحاصر كل شيء حتى الشجر فقد ذكرت بعض المصادر الصحفية أن المحتل قطع خلال هذه الانتفاضة أكثر من ربع مليون شجرة مثمرة وغير مثمرة وذلك في سعيه إلى تجريد فلسطين من غطائها الأخضر ضربا للاقتصاد من جهة ومنعا لاختفاء المقاتلين، في فلسطين تحتاج شجرة الزيتون مثلا إلى خمس سنوات حتى تثمر، ولهذا فإن

قطع شجرة الزيتون الواحدة يعني إفقار الفلسطيني مدة خمس سنوات قادمة، فإذا أضفنا لذلك أن المستوطنين منعوا المواطنين الفلسطينيين من قطف زيتونهم المحاذي لتلك المستوطنات، فسنعرف بالضبط حجم الهجمة وسعتها ومراميها.

يقول الكاتب أرنست همنغواي: يمكن تدمير الإنسان ولكن لا يمكن هزيمته.

هذا كاتب أمريكي غاضب، ترك المدينة وذهب إلى البراري والبحار ليجد حريته، أما الأمريكيون الآن فهم يعتقدون عكس ما يعتقده هذا الكاتب العبقري.

رائحة غريبة

«هذه لم تكن حرب أهلية، فللحرب حدود وقيود، ولكنها استباحة مطلقة» هذا ما كتبه الصديق الشاعر المتوكل طه في مقالته «أيام الاجتياح والبطولة» التي نشرت في العدد الأول من جريدة «فلسطين» بعد الاجتياح وذلك في ١٧/ ٥/ ٢٠٠٢.

وبالفعل، كانت تلك استباحة أو نوعا من الاغتصاب الحضاري وحتى الجسدي لم نستطع أن نصدر جريدة «فلسطين» بعد انتهاء الاجتياح مباشرة، لأسباب مالية وإدارية مختلفة.

ولكن جريدة «الأيام» اليومية استطاعت أن تعاود الصدور في ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٢ وفي عددها الأول بعد الاجتياح وضعت رسما بالكاريكاتور للرئيس ياسر عرفات وهو جالس بيده قلم وأمامه شمعة وهناك كلمة كبيرة وراءه تقول: العزيمة.

الاجتياح الذي نجح في قتل وتدمير الفلسطينيين، لم ينجح بالتأكيد في قتل إرادتهم وعزيمتهم.

اعتقلوا من اعتقلوا،

وقتلوا من قتلوا،

وأبعدوا من أبعدوا،

ودمروا ما دمروا،

وملؤوا الأراضي الفلسطينية بالحواجز والدبابات ونقاط التفتيش، استطاعوا إملاء شروطهم على الأمريكيين ومن ثم فرض هؤلاء شروطهم على العرب،

انحاز الغرب إليهم.

صوروا أنفسهم كضحية للإرهاب العالمي.

استطاعوا ـ بنجاح مؤقت ـ أن يصوروا الفلسطيني المقاوم على أنه إرهابي، ولكن الفلسطيني استطاع رغم تخلي الأصدقاء والأشقاء من إثبات وجوده وحقه وأحقيته في الحياة. كان صمود الفلسطيني صمودا عبقريا كما أطلق عليه الوزير نبيل عمرو.

كانت الآلة الصهيونية الإعلامية تقنع العالم أن دباباتها وقواتها انسحبت من المدن الفلسطينية، ولكن ذلك الانسحاب لم يكن إلا انسحابا شكليا، إذ ابتعدت الدبابات والمركبات العسكرية بضع عشرات من المترات عن وسط المدن.

في رام الله مثلا انسحبت الدبابات من محيط المنارة ولكنها رابطت في شارع الإرسال، وظلت تطوق مقر الرئيس ياسر عرفات، ولم تبتعد عن حي الطيرة، كما أن الحواجز الدائمة حول مداخل المدينة ظلت كما هي.

لم يكن ذلك انسحابا بقدر ما كان ابتعادا عن النوافذ والشبابيك والشرفات.

كان بالإمكان الخروج الآن، كنت فرحة أنني أستطيع الخروج أخيرا من بيتي بعد أكثر من عشرين يوما.

أحسست برجفة في جسدي، وبدون شعور تقريبا، اتجهت إلى مرآتي أحدق بوجهي.

كنت أريد أن أستعيد حيويتي وأتنفس هواء حقيقيا.

كننت أريد أن أرى لون عيني ولون بشرتي وفكي الذي لم يعد منتفخا.

وبدون شعور أيضا مددت يدي لأول مرة إلى مكياجي.

كنت أريد أن أتجمل وأنا أرى المدينة.

كنت أريد أن ألقى مدينتي بما تليق من احترام.

سمعت ـ لأول مرة ـ صراخ الأطفال في الشوارع، وسمعت أبواب السيارات فدق قلبي.

أخيرا، عادت الحياة إلى المدينة، المدينة التي تعودت الحركة والحياة.

أخذت ما استطعت من زينة، وصعدت الدرجات باتجاه الباب الرئيسي، فتحته ببطء

وكأنني انتظر رصاصة، فتحته ويداي ترتجفان، نظرت إلى السماء، كانت ملبدة بالغيوم، وهواء بارد في الشارع.

بلهفة شديدة، نظرت إلى ياسمينتي التي تربض بالقرب من الباب كانت شجرة كبيرة وقديمة وطيبة، وتحمل أزهارها البيضاء بهدوء وسكينة كأنها لم تعرف ما الذي دار حولها من موت وقتل ودماء.

كانت الشجرة كما هي، لم تتحرك ولم تنفعل، كانت هناك، تستمع بكونها قائمة، تحدث ذكرياتها وأيامها.

يا لياسمينتي!!

قطفت زهرة أو زهرتين، شممت عبقهما، أحسست براحة شديدة، ونظرت إلى طول شارع مار يوحنا، فإذا بي لا أعرفه أبدا، لقد سكنت في هذا الشارع مدة ٢٥ سنة، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها هكذا، محطما، مذلولا، مهانا، الشجر المقطوع والسيارات المحطمة والحفر العميقة وأحجار الرصيف المكسرة، لم يكن هذا الشارع هو ما أعرفه، ونظرت إلى أعلى، حيث المقاطعة مقر الرئيس وإذا بدبابتين تشهران فوهتيهما باتجاه المقر، كان الشارع الرئيسي مقطوعا إذن، ما زال الرئيس محاصرا، فيما ترك المحتل المدينة دون حصار كانت تلك جزءًا من جثث المحتل ولؤمه.

رائحة غريبة كانت ترف في المكان رائحة موت ورصاص وكراهية، مشيت بحذر شديد بين الحفر والسيارات المحطمة، أنظر إلى المنازل والعمارات، أنظر إلى النساء اللواتي بدأن يظهرن على الشرفات، كان الناس يتبادلون التحيات والتهاني والأسئلة والضحكات والنكات، كانوا يفعلون ذلك وكأنهم يثبتون أنهم أحياء.

وصلت دوار المنارة الذي لا يبعد عن بيتي سوى خمسة دقائق مشيا على الأقدام، فرأيت مدينتي بكاملها، أبواب المحلات المنسوفة، زوايا البيوت المبقورة دماء قاذورات سيارات محطمة، الأسود التي تحرس المناورة ملوثة ومكسورة في بعض أطرافها، الأشجار المقطوعة، عربات محطمة إشارات مرور سويت بالأرض.

الرائحة الغريبة ما تزال تسيطر على حواسي، رائحة المدينة التي تم اغتصابها وإذلالها، رائحة الموت المجاني والعبثي رائحة الانتقام والرغبة فيه رائحة الناس المعزولين والعزل رائحة الورود المسحوقة والأجساد المحشورة، المدينة التي كانت

تزهو بهوائها ومائها وشمسها تعاني الآن من الإصابة بالذل والمرض والهوان.

أما الناس الشباب والعجائز والنساء فقد كانوا يتعانقون، يضحكون بعصبية، كانوا يفتشون عن بعضهم البعض، يسألون، ثم يتعانقون من جديد، توجه إليّ العديد من الشباب والمسؤولين، سلموا عليّ كما لم يسلموا من قبل، أكدوا صمودهم، وثباتهم والتفافهم حول الرئيس، تحدثوا عن الشهداء والإصابات والجرحى وما حصل في المستشفى ومقر الأمن الوقائي، تحدثوا عن المقابر الجماعية، تحدثوا عن مخيم جنين، تحدثوا عن حصار الكنيسة الذي لم ينته بعد.

كانوا يعيدون اكتشاف مدينتهم ووطنهم، فجأة، هطل مطر قوي، غسل الشارع، أزاح قاذورات كثيرة، ولمفاجأتي، فقد اختفت الرائحة الكريهة وتطاير في الجو رائحة زكية تشبه رائحة الياسمينة قرب بابي.

الشارع والجريدة

توقف المطر، غسل المدينة من أدرانها، رائحة زكية شاعت في الجو، عاد الناس إلى الشوارع، تزاحموا حول المخابز ودكاكين البقالة وعربات الخضروات، حدقت في وجوه الناس؛

كانوا متعبين ولكنهم مصرون على الحياة.

كانوا بؤساء ولكن غير مهزومين.

كانوا يحدقون في مدينتهم وكأن ذلك للمرة الأولى.

اقتربت بحذر من عمارة النتشة وسط شارع ركب، تجاوزت محل بيع الزهور الذي نسفه المحتل لأن مسلحا اختبأ بالقرب من زاويته.

كانت عمارة النتشة ذات البناء الخاص، حيث يخيل للنظار إليها أنها غير مستقيمة، قد تكسر زجاجها كله، كانت بوابتها الحديدة الضخمة قد التوت وكأنها خيوط من الكتان لا من الحديد، نظرت إلى الداخل، فرأيت محلات ألعاب الأطفال والملابس والإنترنيت والساعات والأدوات المنزلية قد احترقت، ورأيت المصعد قد أتلف بفعل قذيفة، نظرت إلى طوابقها الأعلى، فذهلت حقا، إذ كانت العمارة تبدو وكأنها تقيأت أحشاءها، كل شيء محروق ومحطم، كان أصحاب المحلات الذين تجمعوا يضربون

كفا بكف، أحد أصحاب المطاعم الشهيرة الذي يقع في الطابق الثالث قال إن الجنود لم يكتفوا بسرقة محتويات المطعم وإنما حرقوه أيضا.

صاحب شركة إنترنت كبيرة كان يقول إن الجنود سرقوا كل شيء يمكن سرقته، وقال أيضا إن أولئك الجنود اعتدوا على المركز الثقافي الفرنسي القريب من مكاتب شركته.

لم أحظ بأن أمشي وحدي، فقد كان معظم من يراني يأتي ليسلم وليسأل، وكنت أسعد برؤية الوجود والأشخاص والابتسامات، كنت أريد أن أستعيد طعم المدينة من جديد.

وفجأة، ظهر صبي يبيع صحيفة، كان ينادي على صحيفته بصوت هادئ وكأن الصبي كبر فجأة، لا طفولة في فلسطين، أخذت منه جريدة «الأيام» وأخذت أقرأ، كان ذلك اليوم هو ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٤، العدد الأول من الجريدة بعد انتهاء الاجتياح. كنت وما زلت اعتبر أن صدور الجرائد في المدن هو دليل حياة وتجدد وحضارة.

وكان مما قرأت في ذلك العدد من الجريدة في ذلك اليوم:

«أونروا: خمسة آلاف مشرد وتدمير ٨٠٠٠ منزل في مخيمم جنين»

و «البحث عن جثث الشهداء بين أنقاض مخيم جنين»

تساءلت: وأين لجنة تقصي الحقائق الدولية؟!

كان الجواب في عنوان آخر:

«ناصر القدوة: أنان يعلن اليوم أسماء طاقم لجنة تقصي الحقائق في مجزرة جنين». تساءلت: كيف تنازل الضمير العالمي من تشكيل جنة تحقيق إلى تشكيل لجنة تقصي حقائق؟! كان الجواب أيضا في عنوان آخر من الجريدة:

«واشنطن قلقة للغاية من الوضع الإنساني في مخيم جنين».

قلت لنفسي: واشنطن قلقة فقط، ولم تجسر على الإدانة أو الاتهام وكان أبطال مخيم جنين رائعين عندما رفضوا المساعدات الأمريكية التي وصلت المخيم. واشنطن قلقة فقط، لم تستطع أن تدين المجزرة أو أن تطلب تقديم مرتكبي الجريمة إلى المحاكمة.

موقف واشنطن المنافق والمنحاز وجدته في عنوان منافق آخر في الجريدة يقول:

«باول: المطلوب تحركات سياسية للتقدم نحو التسوية في المنطقة».

قلت: المطلوب ليس تحركات سياسية وإنما قرارات حازمة وفاعلة، ومشاركة حقيقية في إرساء التسوية لا المساعدة في إشعال النيران أن هذا الضعف الذي تبديه الولايات المتحدة إزاء إسرائيل يدفع إسرائيل إلى هذا الموقف الذي وجدته في عنوان آخر يقول:

«شارون: إسرائيل ستقطع كل اتصال مع لارسن وتدرس إعلانه شخصا غير مرغوب فيه».

قلت: تيري رود لارسن ممثل الأمين العام للأمم المتحدة، وفي لحظة صدق مع النفس، عندما رأى الدمار في مخيم جنين قال: هذا لا يصدق. هذه جريمة؛ هذا ما قاله الرجل أمام مأساة إنسانية، ولكن إسرائيل ترفض حتى هذه المشاعر الإنسانية، فما حدث في جنين ليس جريمة ولا مذبحة ولا مأساة وليس قتلا وليس ذبحا، وإنما هو إنهاء للإرهاب هذا فقط ما يجب أن يصدقه العالم إسرائيل ستعاقب لارسن على مشاعره الإنسانية تلك- وهو ما فعلته فيما بعد- ولكن وبعد الهجوم الإسرائيلي على لارسن، اقرأ هذا العنوان أيضا:

«أنان يجدد ثقته بمبعوثه لارسن».

قلت: ولكن شارون لا يسمع لا لأنان أو غيره، فهو يقول بعد كل المذابح في كل أراضي الضفة والقطاع ما في هذا العنوان: «شارون يعلن انتهاء المرحلة الأولى من الاجتياح الإسرائيلي». وفي عنوان آخر:

«شارون: لا مجال لتفكيك المستوطنات اليهودية».

قلت: إذن شارون يريد أن يقول أن هدف الاجتياح السياسي هو عدم المساس أو التحدث عن الاستيطان الذي شكل سقف المطالب الفلسطينية خلال هذه الانتفاضة.

قلت: شارون الذي يجد كل الدعم من الإدارة الأمريكية الحالية، فإن الرئيس عرفات يحظى بدعم الناس، كل الناس، من كل أقطار الأرض، ففي عنوان آخر اقرأ:

«عشرة من دعاة السلام الدوليين يدخلون إلى مكاتب عرفات».

وتحت هذا العنوان «اقرأ ما يلي »تمكن حوالي عشرة ناشطين دوليين من دعاة السلام

أمس- يعني ٢١/ ٤/ ٢٠٠٢- من الانضمام إلى الوفد الموجود في مكاتب الرئيس ياسر عرفات في رام الله حسب ما أعلن دعاة السلام لوكالات الأنباء، وكان في مقدمة هؤلاء الناشط الفرنسي كريستوف تيبو».

قلت: فرنسا هذه، بلد الحضارة والتسامح تشهد انقلابا سياسيا حقيقيا، ففي عنوان آخر اقرأ:

«تقدم لوبان لينافس شيراك في الجولة الثانية، وجوسبان المهزوم يقرر الاعتزال».

قلت: هل ندخل عصر التطرف والتعصب؟! ما تفعله إسرائيل بنا سيؤدي حتما إلى أتون الكراهية والتطرف. ولن يتوقف هذا إلا بتوقف العدوان.

إسرائيل تريد هدم ما بناه الشعب الفلسطيني تماما، وهذا ما قرأته في عنوان آخر:

«قريع يقول: هدف الاجتياح تدمير السلطة والعودة لأوضاع ما قبل أوسلو».

قلت: أوسلو صارت جثة يجب دفنها والبحث عن صيغة أخرى يقبل بها الشعبان. إسرائيل قتلت زعيمها لأنه وقع اتفاق سلام، أما الفلسطينيون فإنهم يحمون زعيمهم بأرواحهم.

إسرائيل التي يحكمها الجيش والمخابرات لا يمكن لها أن تعيش إلا بالحرب هذا ما قاله في صديقي ناحوم جولدمان بعد أن تقاعد من منصبه كرئيس للوكالة اليهودية.

بنت عكا .. التي تجاور البحر لاو تخافه !!

واصلت سيري في شارع ركب، الذي لم أعد أميزه، فقد مر جنود الاحتلال منه، وتركوه قاعا صفصفا، ، كان كل سنتمتر في الشارع يشهد أن جنديا همجيا ضد الحضارة وضد الشعوب قد مر من هنا، كان هذا الجندي يكره حتى الحجر، كانت أبواب المحلات قد نسف بعضها أو ضرب بعضها الآخر بكف دبابة أو جرافة، فانثنى إلى الداخل فيما الأقفال والعوارض الحديدية قد ذابت بفعل قذيفة أو نحوها.

وقبل أن أصل إلى بوابة عمارة زيادة حيث تقع جريدة فلسطين، فوجئت بأن العمارة الأنيقة والنظيفة قد تحولت إلى شيء آخر تماما، قاذورات في كل مكان، علب فارغة، أشرطة، أدوات عسكرية، أبواب مخلوعة وزجاج متناثر في كل مكان، وسخ، وسخ، حيثما نظرت نجد وسخا من كل الأنواع. هبط قلبي، كانت المحلات الأرضية قد

تعرضت للاعتداء المقصود، قيل أن جنود الاحتلال اعتادوا سرقة المواطنين والشقق التي يداهمونها، هذه المرة يتحول جندي الاحتلال إلى سارق بالمعنى الرخيص المبتذل.

وقبل أن أدخل العمارة شاهدت جمعا غفيرا من المواطنين يتجمعون حول العمارة التي تضم حزب فدا في طابقيها الثالث والرابع.

اقتربت أستطلع، فوجدت هناك أصدقاء ومعارف كثر فحدثوني عن قصة ذلك المقاتل الذي حوصر مع صديقه في الأيام الأولى للاجتياح، واستطاع جنود الاحتلال قتل صديقة بعد أن نفدت ذخيرته، فما كان من ذاك المقاتل إلا أن يقفز من النافذة التي تعلو عن الشارع علوا خطرا جدا، وليس هنا المثير في الأمر، بل إن هذا المقاتل البطل قفز من النافذة وهو مصاب، فلما قفز من ذلك العلو الشاهق، كسرت رجله أيضا، وقد شاءت قدرة الله له النجاة رغم كل ذلك، كان هذان الشابان من مرافقي صديقي صالح رأفت رئيس حزب فدا الآن. كانت قصة مثيرة تعكس واحدة من مئات إن لم يكن آلاف البطولات التي سطرها أبناء شعبي في هذه الانتفاضة.

عدت إلى عمارة زيادة، كان المصعد معطلا، لم يلحق به ما لحق بمصعد عمارة النتشة. ولكنه كان معطلا، اضطررت إلى الصعود على السلم الطويل والمتعب، في كل طابق كنت أمر به، كنت ألمس مدى وحشية الجندي الذي كان هنا، لقد كانت الأبواب محطمة ومكسورة ومنفجرة، وكنت أستطيع أن أرى بعض المكاتب وأدواته الثمينة أو الهامة محطمة ومبعثرة على الأرض، انقبض قلبي تماما، تساءلت عن مصير مكاتب جريدة فلسطين، وهل لحق بها ما لحق بالمكاتب الأخرى. تقدمت إلى الطابق الثالث بخطوة مترددة وقلب منقبض ولكني وجدت ما توقعته، لقد دخل جندي الاحتلال إلى هنا، لقد حطم أبواب المكاتب جميعا، عاث فسادا فيها، حطم الكمبيوترات، والكراسي والطاولات، بعثر الأوراق والأرشيف، مزق الكراسي، وحطم الخزائن، ما الذي كان يبحث عنه جندي الاحتلال؟ ماذا يريد من تمزيق الكراسي وتحطيم الكمبيوترات، ماذا يريد من تكسير التلفونات وتمزيق الأرشيف! وماذا يعتقد أنه يحقق عندما يترك قاذوراته في مكاتب الجريدة؟!

وقفت مدهوشة وسط كوم النفايات حولي، كانت جريدتي ملقاة على الأرض كالقتيلة، تنزف دما أسود يغطي العالم.

كانت جريدتي، حبيبتي التي صنعت المستحيل من أجل أن أنشئها.. كانت جثة

هامدة تئن واسمع أنينها.

لقد بدأت هذه الجريدة ألصق المقال على صفحة المونتـاج بالصـمغ، وقـد سـهرت ليالي طويلة أنا وداود إبراهيم ورياض غزلان لإصدار أول الأعداد.

لقد أنفقت وقتا ومالا وجهدا من أجل أن أقيم هذه الجريدة، وها هي أمامي الآن بـلا حراك.

لم أتمالك نفسي، اغرورقت عيناي بالدمع. تهالكت على كرسي قريب مكسور الظهر، لم استطع أن أتحكم بمشاعري أبدا، لقد آذوني.. كانت طعنة في الصميم، لقد أصابوني في ما أحب وفي مقتلي أيضا. الصحافة والحياة الثقافية هي هوائي الذي أتنفسه، وهـي الـدم الذي يسري في عروقي.

جلست فترة ما وأنا أحدق بجريدتي المقتولة والمطعونة، ولكني أعرف نفسي جيدا، أنا مقاتلة جيدة، لا أستسلم ولا أذعن، قمت مـن فـوري وأنـا مصـممة عـلى أن أسـتعيد أنفاسي، وأن أبعث الحياة من جديد في أوصال جريدتي.

لم أنشر ذلك في الصحافة ولم أتكلم ولم أنقل ذلك حتى لـوزارة الأشـغال التـي كانـت تعمل من أجل تـرميم مـا دمـره جنـود الاحـتلال، لم افعـل كغيـري الـذين سـارعوا إلى التصريحات وحتى الاستعراض.

كان ذلك سري قلت إني سأرد على هذا الهجوم بطريقتي وطريقتي هي صـنع الحيـاة والاستمرار في العمل الصحفي والثقافي والسياسي. ولهـذا لم يمـض شـهر واحـد حتـى كانت جريدة فلسـطين تصـدر مـن جديـد، في ١٧/ ٥/ ٢٠٠٢ صـدر العـدد الأول بعـد الاجتياح، لم أكتب شيئا عن مهاجمة الصحيفة وتحطيمها، ولم أكتب شيئا عن خسـائري أو خسائر الجريدة، كان ذلك سري وطريقتي في الرد، ولكن العدد الأول حمـل مـا أريـد أن أقوله أيضا، حمل جزءًا من ردي الروحي والسياسي والوطني، حمل موقفي ورؤيتـي كـان ذلك الرد يحمل الحرف والكلمة أقوى الاختراعات والأسلحة، حمل الصورة التي تغني من الشروحات والوصف منظر الدماء والقتل والإذلال هي الدليل عـلى إرهـاب الدولـة وإرهاب العقلية وإرهاب النهج.

كان العدد الأول الذي صدر بعد الاجتياح يحمل على صفحته الأولى ما كنت أريد أن أقوله بالضبط، فعلى صورة التفاف الجماهير حول قائدهم بعد أن خـرج يتفقـد مـا حـل

بالمدينة، كتب بالحرف الكبير «أبو عمار.. من ظلمة الهزيمة يولد فجر الانتصار».

كانت تلك رسالة إلى أولئك الذين ظنوا أنهم سيغيبون أبا عمار في الظلمة والنسيان والنكران.

كانت تلك رسالة للجميع أن أبا عمار هو الرمز الذي لم ولن يتم تجاوزه، كانت تلك رسالة أردت أن أضع فيها كل آلامي التي ذقتها وأنا محاصرة في بيتي أستمع إلى رصاص الموت والجنون والغباء.

وفي ذلك العد نشر تقرير مطول حول أول قداس احتفالي تشهده كنيست المهد بعد رفع الحصار عنها، وفي ذلك التقرير كان هناك تصريح للبطريرك ميشيل الصباح قال فيه: لا بد من زوال الاحتلال حتى ينتهي الصراع والعنف. كنت أريد أن أرى تلك الكنيسة وقد زال عنها الشر والأذى.

«نجنا من الشرير» هكذا نقول في الصلاة، هذه ليست دعوة بل هي طلب من الله أن يبعدنا عن الشرير وألا يقربنا منه. لقد رأيت شريرين كثيرين في حياتي منذ ذلك اليوم الذي لم أعد أرى فيه وجه عكا، تلك المدينة الفتاة التي تطلق إلى البحر شعرها المجنون، وتفتح ذراعيها للريح والشمس على صور المتوسط.

وفي ذلك العدد أيضا وثقت للاجتياح بكل زواياه وأبعاده، السياسية والاقتصادية وحتى النفسية، حاولت في ذلك العدد أن أحول الجريدة إلى مؤرخ يكتب للعالم وللأجيال أن الاحتلال استباح بلادنا وصادر أحلامنا وأعيادنا وأفراحنا الصغيرة.

أنا بنت عكا أولا وأخيرا، وفي كل عملية توغل أو اجتياح، يهدر في أذني صوت الموج على بحر عكا الذي يحبها ولا يخيفها. أنا بنت عكا التي لو كانت تخاف ما جاورت البحر.

الدقائق العشرة الأكثر مجدا

عشرة دقائق أوقفت العالم على رجليه،

عشرة دقائق نفضت الصدأ عن القلوب والأرواح،

عشرة دقائق تواجهت فيه الإرادة الفلسطينية والإسرائيلية في زاوية ضيقة جدا.

عشرة دقائق من العمر، من التاريخ، من أعمق أعماق التجارب.

ذلك أن إسرائيل وعلى لسان مجلس وزرائها المصغر قررت أن تضغط على الرئيس عرفات حتى يسلم عشرين مواطنا فلسطينيا تتهمهم إسرائيل بأنهم مطلوبون لديها.

دفعت إسرائيل بدباباتها وجرافاتها إلى ما بقي من مكاتب المقاطعة الآيلة للسقوط أصلا.

بدأت الجرافات تهدم الجدران التي يتكئ عليها ما بقي من المبنى الذي تتواجد فيه مكاتب الرئيس.

رافق هذا الأجراء على الأرض تصريحات عسكرية وسياسية إسرائيلية مفادها أن تريد أن تعزل الرئيس أو تدفعه إلى الرحيل، فيما قال آخرون لتكتمل الصورة ويرتب المشهد أنهم لا يريدون المساس بحياة الرئيس.

عندئذ صرح صائب عريقات أنه إذا تم المساس بالرئيس عرفات فإن الأوضاع ستخرج عن السيطرة .

بدأت هذه العملية عصرا وحتى يعطي الإسرائيليين مصداقية لعمليتهم وهدفهم هذا، فقد بدؤوا فعلا بتجريف الجدران والأعمدة ببطء ولكن بحزم مع إطلاق النيران.

بيتي الذي لا يبعد عن المقاطعة سوى مائتين وخمسين مترا هوائيا، كان يهتز لحركة الجرافات والدبابات المحيطة بالمقر، اتصلت بأصدقائي في مكتب الرئيس، فقيل لي: إن الرئيس يجري اتصالات بالملوك والرؤساء العرب من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يرفض رفضا قاطعا تسليم الفلسطينيين الذين تطلبهم إسرائيل تحت أية ظروف.

بعد ذلك بقليل أصدر الرئيس بيانا دعا فيه المواطنين الفلسطينيين إلى وقف الهجمات داخل إسرائيل، وكرر موقف السلطة من السلام مع إسرائيل، ولكنه في الوقت ذاته لن يتنازل عن تحرير مدينة القدس أو أي حفنة تراب، كان ذلك جزءًا من ثمن سياسي يدفعه الرئيس بشكل أو بآخر، ولكنه في الوقت ذاته، كان موقفا حازما وصلبا، بمعنى أنه لم يشر ولو بكلمة واحدة إلى مطالب قوات الاحتلال التي تحاصره، ولم يذكر شيئا مما يدور حوله.

كان الرئيس يدير الأزمة كرجل دولة حقيقي.

رجل إستراتيجي لا يلتفت فيها إلى التفاصيل.

ولكن التصريحات الإسرائيلية والإجراءات على الأرض تصاعدت أيضا، وكلها تشير إلى إمكانية قتل الرئيس الأمر الذي دعا السلطة الوطنية إلى إصدار بيان دعت فيه اللجنة الرباعية والدول العربية ومجلس الأمن للتحرك الفوري وإرسال قوات دولية إلى الأراضي الفلسطينية.

كنت قلقة جدا، فأنا أصدق وأعرف التصريحات والتلميحات الإسرائيلية، لقد بدأت أخاف حقا مما سيحصل للرئيس.

دخل الظلام في ذلك المساء الخريفي وأصوات الجرافات وإطلاق النار ما تزال حول مقر الرئيس.

إسرائيل من جهة تقول: إنها لن تمس الرئيس جسديا، فيما جرافاتها تهدم عمليا المبنى.

وفوجئت بسماع مكبرات الصوت المركبة على الآليات العسكرية الإسرائيلية تطوف في الشوارع التي حول مقر الرئيس تأمر أصحاب البيوت المجاورة بفتح الشبابيك حتى لا تتكسر لأنهم سيفجرون مقر الرئيس.

كانت تلك خطة جهنمية، إذ كانت الخطة الاحتلالية تفجير مقر الرئيس عن طريق أنابيب الغاز، وقد أعطوه مهلة عشرة دقائق ليستسلم ويسلم المواطنين العشرين.

ترافقت مكبرات الصوت بما تبثه وسائل الإعلام الصهيوني عن تنفيذ الخطة، وقد تناقل الخبر ذاته كافة فضائيات العالم.

كان الظلال يلف العالم كله، ظلام كثيف ومترامٍ ومتمدد.

هل سيسلم الشعب الفلسطيني رئيسه لعدوه.

كانت كاميرات الفضائيات مسلطة على مقر الرئيس بانتظار لحظة الذروة.

كانت الفضائيات تنقل الحدث مباشرة إلى العالم كله..

أعطى المحاصرون عشرة دقائق ليخرج الرئيس حاملا راية الاستسلام..

شُدِهَ العالمُ لما يرى!!

ما الذي يحصل؟!

هل من الممكن أن تقوم إسرائيل بما تعلن عنه!!

وجن جنوني، فهل سنشهد مقتل الرئيس على شاشات التلفزيون مباشرة..

هل سنشاهد ثم نبكي.

هل وصلنا إلى هذا الحد من العجز والإرهاق.

هذا لن يكون.

وإذا بمدينة رام الله تقوم من سباتها، خرج الناس، كل الناس، الرجال والنساء والأطفال، خرجوا رغم منع التجول، ورغم الدبابات ورغم الرصاص، خرجوا كلهم يحملون أواني المطبخ يقرعون بها أسماع الكون للاستيقاظ،

خرج الناس، من مدينة البيرة ومدينة بيتونيا، وحي الطيرة وحي أم الشرايط، اندفعوا بلا وعي تقريبا باتجاه مقر الرئيس، رئيسهم الصامد الخارق للعادة.

خرجت رام الله والبيرة وبيتونيا، ولكن لحظتها قام الوطن كله..

اندلعت المظاهرات في كل قرى ومدن الضفة والقطاع.

كانت تلك انتفاضة لم تحل في أي شعب آخر.

أن يقوم شعب قبيل منتصف الليل لينظم مظاهرة حاشدة عمت كل البلاد، هذا لم يحصل.

ولكن الشعب الفلسطيني فعلها.

قام كله، قام من رماده ومن رقاده ومن سباته، قاموا كلهم ليقولوا: لا للمحتل.

المحتل إطلاق 'النار على المتظاهرين، وسقط ليلتها في رام الله الصحفي المذيع عصام تلاوي الذي لم يمض على زواجه أكثر من عشرة أشهر، وسقط شهيد آخر من بيتونيا هو عيسى عبدالحفيظ هريش ،وقد نشرت عنه تحقيقا طويلا عن ليلة استشهاده وذلك في عدد ٥/ ١٠/ ٢٠٠٢ من جريدة فلسطين -.

المظاهرة تلك كانت مفاجئة وساحقة للمحتل، لقد قلبت حساباته، فقد اعتقد المحتل أن الشعب سيرفض زعيمه أو سيبيعه أو سيتخلى عنه، ولكن المظاهرة التي عمت الوطن كله وحتى في المعتقلات أفشلت حسابات المحاصرين، فإذا أضفنا إلى

ذلك الضغط الدولي، فقد فشلت خطة شارون تماما.

تلك الدقائق العشرة التي وقف فيها الشعب حول قائده كانت الدقائق الأكثر مجدا في حياة هذا الشعب الذي لم يتوقف عن المعجزات أبدا.

مؤذن المسجد!!

لن أنسَ أبدا تلك الدقائق العشرة.

هناك تجربة في العمر لا ننساها، تبقى محفورة في القلب والوجدان.

تلك الدقائق العشرة كانت من أقوى ما مرّ في حياتي من مخاطر، وهي كثيرة ومتنوعة.

في ذلك الوقت، وبينما كانت مكبرات الصوت تطلب من مجاوري مقر الرئيس فتح الشبابيك حتى لا يتكسر الزجاج - يا للسخرية - وتحذر من أن تفجير المقر سيتم بعد عشر دقائق فقط ساد صمت ثقيل شمل المدينة، ثم شمل العالم له..

في تلك اللحظة بالذات انطلق صوت مؤذن مسجد عين مصباح، بمئذنته الطويلة الرفيعة التي أراها دائما من شرفتي، كنت أفرح لمرآها مضاءة، وأفرح لسماع مؤذنها صباحا يؤذن لصلاة الفجر، كنت آنس بهذا الصوت، وأشعر أنه ينسجم تماما مع الصمت الهادئ في الساعات الأولى للفجر..

في تلك اللحظة، انطلق صوت المؤذن يصيح بأقصى ما في صوته من قوة وعنف: يا أهل رام الله، يا أهل البيرة، يا أهل الوطن، زعيم البلاد في خطر، رئيسنا وقائدنا في خطر، العدو يريد أن يقتله بالغاز، هبوا إلى نجدة قائدكم، هبوا إلى إنقاذ زعيمكم يا أهل البلاد.

كان صوته يحمل الفجيعة بكل شيء، وكأنه ينعي كل الناس، وكأنه يريد أن يصل إلى قلوب الحجر ووجدان الشجر، كان يريد أن يبكي وأن يصرخ وأن ينفجر.

يا إلهي كم أخذني صوت المؤذن وهو يدعو الناس إلى الالتفاف حول القائد.

لا أدري ماذا فعل صوته بي، لا أدري ما الذي حل بي، كل ما أعرفه أنني خرجت من منزلي دون تفكير، لم أعرف أنني خرجت بملابس المنزل، أنا التي لا أخرج عادة إلا بكامل أناقتي، خرجت دون وعي إلى الشارع، أخذت أركض على طول شارع مار يوحنا، رآني الدكتور مفيد الشامي، كان يقف على شرفة منزله، قال لي أن أرجع، لأن جنود الاحتلال على دوار المنارة وهم يطلقون النار على المواطنين، لم أهتم لما قال.

اندفعت إلى الأمام،رغم الظلمة ورغم أصوات الانفجارات والعيارات النارية، كنت أسمع الناس تضرب بالعصي على طناجرها وصحونها، وكنت أسمع صوت الدبابات وهي تجوب في الشوارع. كانت المدينة تطن وكأنها خلية نحل، كان حولي ضجيج كثير.

كان المؤذن ما يزال يصيح بذلك الصوت الذي يحمل الفاجعة.

اتصلت من لهفتي بالأب إبراهيم فلتسو في كنيسة المهد وطلبت منه أن يدق أجراس الكنيسة، بل أجراس كنائس بيت لحم كلها، سألني: ولماذا؟!

قلت : ما بين الصراخ والبكاء: إنها أوامر، ألا تسمع مؤذن الجامع؟!

هكذا قلت دون وعي، وكأن القيادة كلها انتقلت إلى يدي ذلك المؤذن الذي لم أشاهد وجهه حتى هذه اللحظة.

قلت للأب فلتسو ما بين الصراخ والبكاء: ألا تعرف، إنهم يريدون قتل الرئيس.

إذن، لتنوح المساجد والكنائس وحواري المدن وتلال البلاد وهضابها.

لم أكتف بذلك، بل اتصلت بكل كنائس مدينة رام الله وممثليها، لأطلب منهم أن يدقوا أجراس كنائسهم، وكان ذلك بالفعل.

ارتفعت الأصوات في المساجد ودقت أجراس الكنائس، وخرج الناس يدقون على أواني مطابخهم، قامت رام الله كلها، والبيرة كلها، رأيت بعيني كيف اندفع الناس إلى الشوارع عزلا ومسالمين ليقولوا: «لا» لشوكة الاحتلال وحربته، وليعلنوا أنهم فداء للرئيس ومستعدون للتضحية بأرواحهم من أجله.

كانوا يدافعون عن أنفسهم .

كانوا يحافظون على كرامتهم .

كانوا يطيعون ثقافتهم ولا يتنكرون لها .

كانوا جزء من ارث عريق وضخم .

لم يهنوا ولم يحزنوا.

في تلك اللحظة انبث في خاطري تلك الأغنية للقصيدة الشهيرة .

أنا ما هنت في وطني .

ولا نكست أعلامي .

وصنت العشب الأخضر .

فوق قبور أسلافي.

أناديكم .

اشد على أياديكم .

أبوس الأرض تحت نعالكم .

أقول أفديكم .

ما أروع الشعر عندما يكون معبرا عن جماعته، وما أصدق الشاعر عندما يلتحم بقضية شعبه، نعم، أنا ما هنت في وطني، ولا نكست أعلامي، والعشب الأخضر الذي ما يزال ينبت على جدران قلعة جدين المدمرة، وفي كفر ياسيف حيث ولدت أمي. وعلى أسوار عكا حيث ولدت أنا، هذا العشب لم يزل أخضر تماما كذاكرتي التي لن تجف لأنها ستنتقل إلى أبنائي وأحفادي، تماما ككل أولئك الذين حرموا من رؤية قراهم ومدنهم ومنازلهم.

في تلك الليلة التي لن تنسى أبدا، حيث استطاع الدم الانتصار على السيف، واللحم على السكين، استطاع الفلسطيني أن يرفع رأسه أمام العالم.

لم يكن الفلسطينيون كتلك الشعوب التي حاصرت زعماءها وقتلتهم أو باعتهم أو طردتهم أو اغتالتهم أو سلمتهم.

كان الفلسطينيون تماما حيث التوقع والأمل وحسن الظن.

جند الاحتلال، المعبؤون بالكراهية، المشحونون بالعداء، المتلبسون بالتوجس والخوف، المرتدون اللوبيا، المتربون على العنصرية والهمجية، أطلقوا نيران أسلحتهم على الناس، أخافوهم بما استطاعوا، ولكن الناس أبدا لم يتخلوا عن مواقفهم.

«ساكنو الدبابات» كما سماهم الشاعر الكبير محمود درويش، حاولوا أن يعيدوا إلى المدينة أوامر حظر التجول، ولكن عبثا لم يستطيعوا، حاولوا أن يفرضوا ذلك بمكبرات

الصوت ولكن عبثا، حاولوا ذلك بإطلاق النار، ولكن عبثا أيضا.

أصر الناس على الاحتفاظ بمدينتهم وشوارعهم.

هم الذين أرادوا أن يقرروا متى يذهبون إلى البيت وليس الجندي الذي يصيح بوجه المواطن «بروخ البيت».

هذه الجملة صارت مهينة ومذلة وإساءة بحق الإنسانية والكرامة البشرية. قال المواطنون: لا نريد أن «نروخ» البيت.

قال المواطنون: أنت «بروخ» البيت.

قال المواطنون تلك الليلة لجندي الاحتلال: اذهب أنت ابحث عن بيتك.

هذا بيتنا وهذا بيت رئيسنا..

جندي الاحتلال، في تلك الليلة، انهزم تماما، انهزمت إدارته وخططه وأهدافه، جندي الاحتلال في تلك الليلة شعر بخزي شديد.

يحكى أن الليلة عيد ذكريات وردية

أطل العيد هذا العام في زحمة النكبات

والأحداث الخطيرة.

وهاجمتني الذكريات والخطوب والأحزان.. في مواسم الأعياد والفرح..

تذكرت ما قاله المتنبي.. وهو يحاور كوارث الزمن:

أبنتَ الدهرِ عنديّ كل بنتٍ

فكيفَ وصلتِ أنتِ من الزّحامِ

غمرتني الأحداث الخطيرة.. وأنا أتابع معركة القائد، وإصراره على تحدي قوى البغي والعدوان، ما أعرفه عن ياسر عرفات الثائر. أنه لا يهاب الردى. ولا يتردد ،

في اقتحام الهول والموت في سبيل هدفه..

إنهُ يكنّ تقديرا وحبّا صادقين لما يمثله هذا العيد من القيم والمبادئ والإنسانية، وبيت لحم والقدس عنده صنوان، والمهد والقيامة كالأقصى وقبة الصخرة..

حضوره كقائد تاريخي فذ في أجواء كنيسة المهد وسط صحبة رجال الدين، ورموز الكنيسة وأبناء شعبه، يساوي عنده الكثير يساوي مواجهة البطش والطغيان.. ورصاص الحقد الأعمى وتحدي خطر الموت الأسود الظالم.

أتجول في مدينة رام الله أنقب في ليلها البارد عن الحب والأمل، باحثة عن الفرح مستوحية من نجوم سمائها ذكريات بيروت وليل بيروت وعظمة وشموخ وكبرياء بيروت، التي ناضلت من أجل البهجة والانعتاق من ظلم السنين وجبروت البشر وطغيان الساسة، أتأمل الوجوه، والملامح أرهف كل أسماعي إلى حركة الشارع وإيقاع المدينة، انتشي إلى حد الذروة يغمرني الفرح بإصرار الجماهير على أن تحيا، أن تستقطر رحيق السعادة والبهجة من قسوة الألم وجبروت الطغيان وفوهات البنادق وكتل الأسمنت ما أعظم هذا الشعب وما أروع تواصله مع الحياة.

ليست هناك قوة في هذا الوجود تستطيع أن تقهر إرادة هذه الجماهير، للتواصل مع الحياة والحب والثورة والأمل..

كم أحببت هذه اللحظات، في هذا العيد كم أحببت شعبي، قويّا عفيّا نابضا متفائلا.. طَردَتُ مظاهر الحزن والألم والدموع بقوة إرادة حديدية .

ورحت أفتش عن هامش للفرح والانتصار.

أعود إلى نبض الشارع، وحركة الجماهير.. أتأمل الأضواء والمتاجر، والمحلات والناس وصوت فيروز الملائكي ينطلق مرددا ليلة عيد.. ليلة عيد الليلة ليلة عيد، زينة وناس وصوت أجراس عم بترن بعيد.

ثمة زحام يوحي بالحركة والحياة والقدرة على التواصل رغم الحصار والحديد والنار، وأصوات الفرح والحياة تطغى على أصوات الأباتشي التي تحوم لتقتنص البهجة والفرحة والأمل من صدور أبناء شعبي مرة أخرى. أحاول أن أجمع شتات أفكاري، ويأتيني صوت فيروز هذه المرة رائعا مصحوبا بالثورة والغضب معجونا بالتحدي والإصرار الغضب الساطع آت وأنا كلي إيمان، الغضب الساطع آت سامر على الأحزان.

إطلالة العيد..

ميلاد السيد المسيح..

وانطلاقة الثورة الفلسطينية حركة فتح

كم هي رائعة وعزيزة وجميلة وبديعة هذه القيم العظيمة التي تتلاقى على روزنامة الدهر ميلاد يسوع عيسى ابن مريم نبي الرحمة ورسول الحق والخير والجمال حامل الشعلة المقدسة لتحرير الإنسان من الظلم والقهر والعدوان قائد الإنسانية المعذبة من أجل العدل والإنسانية والنور وانطلاقة فتح..

أروع وأنظف وأنبل وأشجع حركة مقاومة انطلقت في فجر اليوم الأول من عام ١٩٦٥م

ترى ألا زالت هذه الحركة فتية قوية جميلة، عفية عذرية الروح والقلب والضمير كما انبثقت ذات يوم من رحم المعاناة والنضال والبسالة والفداء..

هكذا أراها دائما، وستظل دائما تذكرني برسالة السيد المسيح التي تحارب الظلم والقهر والاسترقاق كما أن ميلاد المسيح يذكرني بها على أني ما نسيت لحظة مبادئ رسول السلام يغمرني إحساس بالفرح، وأنا أرى وجوه الأطفال والأمهات والصبية، وهم يحملون الشموع ويهزجون ويفرحون إنهم بسمات الأمل والتفاؤل والحياة المشرقة، استعيد كلمات من رسالة الميلاد في أرضنا هذه التي سوف تشهد يوما العدل والسلام، وسوف تتفتح عيون كثيرة، وقلوب كثيرة، لترى أن المظالم يجب أن تزول، وأن العدل والحرية لجميع الناس أمر عادل، وواجب من أجل هذا نصلي.

وتأخذني الذكريات.. وأستذكر كلمة لابنتي ليلى عندما كانت طالبة في جامعة روما تدرس طب الأطفال، وكتبت ذات عيد بعنوان.. يحكى أن الليلة عيد، كان ذلك منذ عشرين عاما، أستعيد العنوان بيني وبين نفسي، يحكى أن الليلة عيد، لا شك أنه كان عيدا حزينا، فالعنوان يوحي بالشجن والحزن وأطياف دموع، ما أشبه اليوم بالبارحة كأنه قدرنا أن نعايش الحروب وأن تكون أعيادنا مضمخة بشذى الألم وبقايا الدموع كأن القدر لا يستطيع أن يجود علينا بفرحة عيد.. أو عيد للفرحة، ولا تناسيت يوما.. أهداف فتح، وتطلعها إلى النور والحق والعدالة والسلام في ظل دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس الشريف. ورحت أتأمل ما كتبته ليلى:

يحكى أن الليلة عيد، وانطلق الغادي من أرض السلام، والعالم صاخب جدا، وروما مصممة على إحراق نفسها بزينة الفرح والأضواء، وقدسي تنزف جرحها سيولا

مخصَّبة في شوارعها العتيقة، وزجاجات النبيذ المعتقة منذ سنين طويلة تنساب في الكؤوس الجميلة لتتم بهجة الاحتفالات، ويستعد الجميع لتبادل الأنخاب ويسكر العالم المخمور من جديد، ويمارس الأناني، الفجور، اللامبالاة، ويحترف الجميع الصمت والنسيان، ويرقص بهمجيّة حضارية مزيفة، وتطغى صرخات الفرح الوحشي على زفرات الألم والأنين، ويتبادل الجميع التهاني، ويسدل الستار على مسرحية الزيف، والنفاق التي مرت بنجاح، وتنتحر سنة الميلاد بمرارة دون أن تذرف لأجلها دمعة، وتنطلق من حنجرة ما صرخة احتجاج.

يحكى أن الليلة عيد، والعالم يغرق في الضباب، والليل الطفولي القسمات يفقد ملامحه من شدة إصرار الأضواء المزيفة على إثبات وجودها بالقوة، ويهرب القمر بحثا عن سحره الضائع ومعنى وجوده.

تظل يافا عروسة البحر الخرافية، وعكا الصبية التي لا تمل أبدا من انتظار فارسها الآتي على الميناء، وحيفا تظل ميناء كئيبا منكس الشراع، والقدسُ أسطورة درب الآلام المثخَن بالجراح، وينام وطني في تلك الليلة بسكون، بهدوء طفل أرضعته أمه رفضا ونضالا، ويمر العيد مشردا كعابر سبيل أنهكه التعب من التجوال، وصادفه حظه العابث بأن يطرق بوابة مدينة الآلام، ولكنه عاد يائسا منهارا، لأن جميع من في الداخل عجز عن زحزحة بوابة الحزن العتيقة، والتي زحف عليها الصدأ واحتلها القمع منذ زمن طويل.

ويمر العيدُ بلا بهجة بلا بريق عيون متراقصة وخالٍ من الزينة والأضواء ولهفة طفل لا زال يحبو، من أجل الهدية التي سيخبئها له الثلج الأحمر تحت الوسادة أو قرب شجرة العيد المتلألئة الألوان الساحرة كالأحلام.

ويتلاشى العيد كأنه لم يأت، كأية كلمة غريبة خارجة عن قاموس لغتنا، مرت خطأ، وعجز الجميع عن ترجمتها، أو استيعاب ما تحوي، برغم قناعتنا الواثقة بأنها بعثت من قلب اللغة التي نتعامل بها.

يحكى أن الليلة عيد لا عفوا يحكى أن الليلة مفجعة.

يحكى أن الليلة، تزداد فيها الطعنات اختراقا لصميم القلب، والعالم المخمور غارق في الفجور واللامبالاة، وكؤوس الشمبانيا المسحوقة بوحشية على الشفاة، تحتفل بنرجسيتها بغرور.

يحكى أن الليلة عيد، وهانية الصغيرة تبتسم للمستقبل بثقة وإيمان برغم دموعها المنسابة على وجنتيها، وجرحها ينزف براءة وألما، ورسالة من أختي الصغيرة تتحدث فيها عن اللوز الأخضر، والملل الدراسي، والزيتون تصلني مجروحة ومحاطة بأختام الرقابة الحمراء الفضولية، حرصا على الأمن، يحكى أن الليلة عيد لا آسفة جدا، فالتكرار المستمر يعني ركاكة في اللغة وعجزا في التعبير، لكن هذه الليلة الملائكية مهزلة ما دامت بيت لحم مصلوبة على أعمدة النسيان، ومحاطة بالأسلاك الشائكة وبإعلانات ممنوع الدخول، وما دامت السماء عاجزة عن ولادة نجمة ساطعة لترشد الضائعين إلى الطريق.

طويت مقال ليلى وأنا أغالب دموعي، كم كانت صادقة ومعبرة عندما نشرت هذه الرسالة في جريدة القدس منذ سنوات وسنوات، وما تزال هذه اللحظات تعبر اصدق تعبير عن الجرح الفلسطيني.

***

وللتاريخ أن يسجل أن ياسر عرفات هو أول حاكم لفلسطين يحضر قدّاس منتصف الليل في كنيسة المهد حسب اتفاقية ١٩٠٥م، ففي العهد التركي لم يكن الحاكم العثماني يحضر مراسم هذا الاحتفال الديني العام، وكذلك في عهد الانتداب البريطاني وعندما جاء الحكم الأردني لم يشارك أحد من الأسرة الحاكمة، وكذلك في عهد الاحتلال الإسرائيلي.

أبو عمار هو الحاكم العربي الفلسطيني الوحيد والأول في التاريخ المعاصر وغير المعاصر الذي يحضر هذا القداس.

وهذا الحضور الرائع جسّد التلاحم بين أبناء الشعب الفلسطيني، ولقي احتراما وقبولا حميمين من الكنيسة بكل ما تمثله من قيم روحية ودينية وأخلاقية وتاريخية. كما أن عدم حضور أبو عمار هذا العام لم يقلل هذا المعنى - ولم يؤثر فيه - بل إن ذكاء أبو عمار وحسن تصرفه، وبعد نظره، جعل لهذا العيد حضوراً رائعاً مميزا في نفس كل مواطن فلسطيني، وفي نفس كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها.

إنه الظلم الذي يفجر طاقات النور والنار والثورة، ويعلي بيارق النصر، ويطرد جحافل الظلم.



وقبل أن يسدل الستار شمس الحرية تشرق على رام الله

الخميس ٢/٥/٢٠٠٢

وفي يوم الخميس الموافق ٢/ ٥/ ٢٠٠٢ أعلن ناطق رسمي فلسطيني أن القوات الإسرائيلية «أقدمت عند منتصف هذه الليلة، على عمليات نسف وتفجير وتدمير لمباني قيادة الأمن الوطني والحماية والأمن الملاصقة لمقر الرئاسة (في رام الله) مما أسفر عن تدمير هذه المباني تدميرا كاملا ونشوب حرائق هائلة فيها».

وفي بيت لحم اشتعلت النيران في ساعة مبكرة من فجر اليوم في الطبقة العلوية من كنيسة المهد جراء القصف الإسرائيلي، واشتعلت النيران في جوار مقري طائفتي اللاتين والأرثوذكس في مجمع الكنيسة، وتصاعدت منها سحب الدخان، وذكر مصدر لـ «وفا» من داخل الكنيسة أن أربعة مواطنين أصيبوا بحروق، وأن محمد أبو عابد (٢٠ عاما) استشهد داخل الكنيسة برصاص قناص إسرائيلي.

وفي بيت جالا سلمت القوات الإسرائيلية إلى مواطنين في منطقة بئر عون إخطارات باعتزامها مصادرة نحو ٥٠٠ دونم من أراضيهم. وقامت القوات الإسرائيلية بعمليات تجريف وتدمير واسعة النطاق لأراضي المواطنين في منطقة الجداول بين مخيم عايدة للاجئين وبلدة بيت جالا.

وفي البيرة واصلت القوات الإسرائيلية لليوم الثاني على التوالي نصب السياج الفاصل بين محافظة رام الله والبيرة وشمال القدس، ليصل طوله بين حاجز قلندية وقرية جبع إلى أكثر من ثلاثة كيلو مترات بارتفاع مترين ونصف متر تقريبا، ويأتي هذا استكمالا

لـ«السياج الأمني» الذي أقامته القوات الإسرائيلية بين منطقة قلندية البلد وقرية رافات ومشارف الشيخ بطول عدة كيلو مترات، وهو ما فصل المحافظة عن قرى شمالي غربي القدس وجنوبي غربي رام الله.

واجتاحت القوات الإسرائيلية قرية تل جنوبي غربي مدينة نابلس وسط إطلاق نار كثيف من البر والجو، وشنت حملة اعتقالات واسعة في صفوف المواطنين.

وداهم جنود إسرائيليون بلدة عنزة في محافظة جنين واعتقلوا أربعة شبان.

وفرضت القوات الإسرائيلية نظام منع التجول على مخيم العروب شمالي الخليل، وشنت حملة اعتقالات، واقتحمت بلدة سعير شمالي شرقي الخليل، واعتقلت الكثير من المواطنين، وفجرت بعض المنازل. ويستمر منع التجول في مدينة الخليل يصاحبه إطلاق نار متقطع.

وسلمت قوات الاحتلال أوامر مكتوبة إلى أربعة عشر شخصا يملكون أراضي تقع في منطقة السيفا في بيت لاهيا، شمال قطاع غزة، تفيد باعتزامها مصادرة أراضيهم التي تزيد على ٣٠٠ دونم لمدة خمسة أعوام ولأسباب أمنية.

واستشهدت المواطنة صبحة غانم (٤٥ عاما) من سكان مدينة رفح في جنوب قطاع غزة، برصاص القوات الإسرائيلية. وقالت مديرية الأمن أن الدبابات الإسرائيلية فتحت نيران رشاشاتها الثقيلة في اتجاه الأحياء السكنية ومنازل المواطنين والمارة قرب بوابة صلاح الدين، والشريط الحدودي المحاذي لمصر، الأمر الذي أدى إلى إصابة عدد من المواطنين واستشهاد صبحة غانم متأثرة بجروحها.

وأصيب مواطن برصاص القوات الإسرائيلية على حاجز المطاحن شمالي خان يونس.

ووصف وزير الثقافة والإعلام الفلسطيني، ياسر عبدربه، الدمار الذي لحق بوزارة الثقافة جراء العدوان الإسرائيلي بأنه لا مثيل له، وكان تدميرا كاملا ومنهجيا استهدف ذاكرة الشعب الفلسطيني. وأكد عبد ربه أن الجرائم التي ارتكبها الاحتلال «تدل على أن حربهم كانت ضد حياة الشعب الفلسطيني وضد عملية بناء المجتمع»، وليست بحسب ما يزعم «حربا ضد الإرهاب»، وأعلن عبد ربه «إننا سنقوم بإعادة البناء رغم هذا الدمار والشعب الفلسطيني قادر على النهوض من جديد».

وقال الكولونيل الإسرائيلي ميري أيسن أن تبادلا لإطلاق النار جرى في الساعات الـ٢٤ الأخيرة في محيط كنيسة المهد في بيت لحم، وحتى اليوم غادر الكنيسة ٨٠ شخصا أحياء، بينهم رجال دين وأطفال ومدنيون وعدد قليل من المطلوبين، وخمس جثث لمطلوبين، وأضاف أيسن في مؤتمر صحفي أن إسرائيل لا تملك رقما دقيقا لعدد الموجودين داخل الكنيسة لكنها تقدره بالعشرات. وتابع أن حريقا اندلع ليلة أمس في البرج الشمالي للكنيسة وحمل الفلسطينيين المسؤولية عنه، لكنه لم يستبعد أن يكون اندلع بفعل قنبلة ضوئية.

وأعلن الجيش الإسرائيلي أن قواته أنهت عملياتها في رام الله وانسحبت من المدينة.

وذكرت صحيفة «جيروزاليم بوست» أن مسؤولين أمنيين إسرائيليين وزعوا قائمة تتضمن أسماء ومعلومات عن عشرة إرهابيين متحصنين في كنيسة المهد.

واتهم الكولونيل الإسرائيلي ميري أيسن الفلسطينيين بتنظيم «جنائز وهمية» لزيادة أعداد القتلى في مخيم جنين، وذلك استعدادا لزيارة لجنة الأمم المتحدة للمخيم.

وعرض الكولونيل أيسن في مؤتمر صحافي شريطا مصورا التقط قبل ثلاثة أيام (في ٢٨/ ٤) يظهر جثة «أخرجت من القبر» وأن الجنازة بأكملها كانت عبارة عن «تمثيلية كبيرة».

ونفى أيسن أن يكون الجيش الإسرائيلي قد أعاق وصول المساعدات الإنسانية إلى مخيم جنين، وأعلن أن ١٣٠ منزلا في المخيم دمرت بالكامل، أي ما يوازي ١٠ في المائة من منازل المخيم.

وقال وزير الدفاع بنيامين بن إليعيزر أن ثمة توثيقا لقيام الفلسطينيين بإضافة جثث وهمية إلى القبور الجماعية.

ونشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الأنباء التالية عن أنشطة الجيش الإسرائيلي في مناطق السيادة الفلسطينية:

وتوغل جنود الجيش الإسرائيلي الليلة الماضية في مدينة نابلس بهدف اعتقال المطلوبين لدى أجهزة الأمن الإسرائيلية، وواجه الجنود مقاومة شديدة من جانب الفلسطينيين المسلحين، حيث شهدت المدينة تبادل إطلاق نار مكثف قتل خلاله شرطي فلسطيني.

ومارس الجيش الإسرائيلي الليلة الماضية أنشطة عسكرية في عدد من مناطق السلطة الفلسطينية، اعتقل خلالها عددا من الفلسطينيين، فقد اعتقلت قوة من جنود الاحتياط ناشطين ينتمون إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في قرية بديا شرقي مدينة قلقيلية. كما اعتقل ثلاثة فلسطينيين في قرية دوما، غربي مدينة الخليل، ويشتبه في ضلوع الثلاثة في أنشطة معادية لإسرائيل. وخرج الجيش من المناطق التي دخل إليها حال انتهائه من تنفيذ مهماته.

وأوردت مصادر إسرائيلية أن عددا من قذائف الهاون سقط الليلة الماضية في عدة مناطق في قطاع غزة، أطلقها فلسطينيون في اتجاه أهداف إسرائيلية، ولم يبلغ عن وقوع أي إصابات فقد سقطت أربع قذائف داخل المناطق الفلسطينية، وسقطت أخرى بالقرب من بلدة إسرائيلية في المجمع الاستيطاني غوش قطيف، كما سقطت قذيفة أخرى داخل بلدة إسرائيلية، ولم تسفر عن وقوع إصابات.

ورفع الجيش الإسرائيلي الحصار عن مقر الرئيس ياسر عرفات بعد وصول السجناء الستة إلى سجن أريحا.

وبحسب مصدر عسكري إسرائيلي قتل فلسطينيان وجرح ثلاثة آخرون في باحة كنيسة المهد عندما لاح الجنود الإسرائيليون تحرك خمسة فلسطينيين، فقام القناصة بإطلاق الرصاص في اتجاههم. وبحسب مصدر فلسطيني، فإن الفلسطينيين أصيبوا بجروح عندما حاولوا تعبئة المياه.

وأعلن الجيش الإسرائيلي اعتقال ١٥ فلسطينيا يشتبه في ضلوعهم في تنفيذ عمليات معادية لإسرائيل، خمسة منهم من شرقي طولكرم، وثلاثة من غربي نابلس، وستة من شمالي شنور وفلسطيني آخر من بيتا شرقي نابلس. كما أعلنت قوات الأمن الإسرائيلية ضبط أسلحة وذخائر.

وحسب أجهزة الأمن الإسرائيلية، فإن معتقلين بارزين ممن كانوا بإمرة مروان البرغوثي منهم ناصر عويس قائد الجناح العسكري لحركة فتح في شمال الضفة الغربية، وأحمد البرغوثي المساعد الشخصي للبرغوثي، اعترفوا بمسؤولية مروان البرغوثي عن عدد من التفجيرات في إسرائيل، وتفيد المصادر نفسها أن ناصر أبو حميد اعترف بان مخازن القوة ١٧ كانت تستخدم لتخزين العبوات الناسفة التي استخدمت في العمليات.

وقالت صحيفة «هآرتس» أن القوات الإسرائيلية اقتحمت مدينة طولكرم في الضفة الغربية وقامت بمداهمات للمنازل والجوامع واعتقلت خمسة أشخاص مشتبه فيهم. وفي مخيم قرب الخليل اعتقلت ١١٢ فلسطينيا بحثا عن مسلحين.

وأعلن الجيش الإسرائيلي ضبط سيارة مفخخة وفيها بعض الفلسطينيين، وهم في طريقهم لتنفيذ عملية انتحارية في شمالي غوش قطيف. حيث عثر على حزامين ناسفين زنة كل واحد منهما ٣٠ غراما، وعبوة ناسفة تحوي على متفجرات وقذائف، وتم إبطال مفعول الأحزمة الناسفة، ونقل الفلسطينيون للتحقيق.

وقرر رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلي، شاؤول موفاز، استدعاء عدد آخر من الاحتياط لتخفيف الضغط على القوات التي استدعيت قبل أسابيع. وهذه هي الدفعة الثالثة التي تستدعي منذ بدء عملية «السور الواقي».

وقررت المحكمة العليا الإسرائيلية أن إسرائيل لا تنتهك القانون الدولي بحصارها لكنيسة المهد. جاء ذلك ردا على المذكرة التي قدمها النائبان العربيان في الكنيست، محمد بركة وأحمد الطيبي، ومحافظ بيت لحم، محمد المدني، للسماح بإدخال الدواء والمواد التموينية إلى الكنيسة رئيس المحكمة، أهارون براك، شجب احتماء مسلحين فلسطينيين داخل الكنيسة واحتجازهم للرهائن متهما السلطة الفلسطينية بانتهاك القانون الدولي عندما سمحت للمسلحين بالاحتماء داخل الكنيسة.

وتقدم أمين سر حركة فتح في الضفة الغربية، مروان البرغوثي، بواسطة محاميه جواد بولس بالتماس إلى محكمة العدل العليا الإسرائيلية ضد سياسة إسرائيل وجهاز الشاباك، مطالبا بإتاحة الفرصة له لمقابلة محاميه، كما طالب بأوضاع توفر «إمكانية معقولة له للنوم».

وأوردت مصادر أمنية إسرائيلية أن أمين سر حركة فتح في الضفة الغربية، مروان البرغوثي اعترف في أثناء استجوابه في جهاز الاستخبارات العامة الإسرائيلي – الشاباك – بأنه ضالع في توجيه العمليات العسكرية التي أسفرت عن مقتل وجرح عشرات الإسرائيليين. وبحسب المصادر ذاتها فإن البرغوثي كشف خلال استجوابه عن دور رئيس السلطة الفلسطينية، ياسر عرفات بالقول أنه كان يمول نشطاء حركة فتح الذين كانوا يقومون بعمليات مسلحة ضد إسرائيليين، وأشار البرغوثي إلى أن موافقة عرفات شخصيا كانت ضرورية لصرف أي مبلغ مهما يكن قليلا، وبعد موافقة عرفات على

الطلب يتم تحويل النقود بتوجيه من أمين سر اللجنة المركزية لحركة فتح، حكم بلعاوي.

وعلى الجانب الفلسطيني أصدرت «كتائب الشهيد عز الدين القسام» بيانا تفصيليا بشأن «العمليات البطولية والنوعية» في مستعمرة أدورا (٢٧/ ٤) أعلنت فيه أن مجموعة من كتائب القسام دخلت إلى المستعمرة بعد صلاة الفجرة مباشرة ومكثت حتى الساعة ٩:٣٠، وإن العملية أسفرت عن استشهاد طارق رسمي دوفش (٢٠ عاما)، أحد طلاب جامعة بوليتكنيك فسطين، وتمكن باقي عناصر المجموعة من العودة سالمين.

ورحب الرئيس ياسر عرفات بانعقاد القمة الأمريكية – الأوروبية، وبالاتفاق على إطلاق مبادرة للسلام لإنهاء الصراع في الشرق الأوسط، وطالب برفع الحصار عن كنيسة المهد وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حياته بعيدا عن الحصار والتوغل اليومي من قبل القوات الإسرائيلية، وأكد الرئيس عرفات «الاستعداد الكامل للشعب الفلسطيني والقيادة الفلسطينية للدخول في مفاوضات شاملة» لحل القضايا العالقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين برعاية دولية وعربية، وكان عرفات قد خرج أول مرة من الحصار الذي فرض عليه منذ ٨ كانون الأول ٢٠٠١ وجال في رام الله متفقدا آثار التدمير الإسرائيلي.

وشبه الرئيس ياسر عرفات جنين بـ «ليننغراد» أو «جنينغراد» مضيفا أن ما يفعله الإسرائيليون هو نازية وجرائم ضد الإنسانية، والوضع كان جديا وخطرا جدا لكن الفلسطينيين مسيحيين ومسلمين، هنا أقوياء ومتوحدون.

ونفى كبير المفاوضين الفلسطينيين صائب عريقات، في مقابلة مع شبكة التلفزة الأمريكية سي.إن.إن، أن يكون الفلسطينيين فخخوا كنيسة المهد أو أطلقوا النار منها على الجنود الإسرائيليين، واتهم الإسرائيليين بإشعال النار في بعض أقسام الكنيسة. وردا على سؤال، قال عريقات أن الرئيس عرفات سيبذل كل جهد لمنع العمليات ضد المدنيين الإسرائيليين، لكن الحملة العسكرية الأخيرة التي نفذها شارون دمرت الجهازين المدني والأمني للسلطة الفلسطينية تدميراً كاملا.

وأعلن كبير المفاوضين الفلسطينيين، صائب عريقات أن الفلسطينيين الستة الذين نقلوا إلى أريحا أخيرا وفقا لاتفاق إسرائيلي – فلسطيني – أمريكي، يخضعون لحراسة حراس فلسطينيين تحت «رقابة دولية»، وينص الاتفاق على اعتقالهم «في بنية تحتية

فلسطينية بموجب القانون الفلسطيني ومع حراس فلسطينيين»، وأوضح عريقات أن الحراس البريطانيين والأمريكيين غير مسلحين ولا يرتدون بدلات رسمية وغير ملزمين بالبقاء في السجن، وأعلن أن هؤلاء الحراس «يمكنهم التحقق على مدار الساعة» من تطبيق القانون.

وأكد وزير التخطيط والتعاون الدولي الفلسطيني نبيل شعث في حديث خاص لصحيفة «الحياة»، عدم إبرام صفقة بين القيادة الفلسطينية والإسرائيليين بشأن منع لجنة التحقيق الدولية من المجيء إلى مخيم جنين، مؤكدا أن نقل السجناء الستة إلى أريحا يمنع إسرائيل من اعتقالهم أو قتلهم «لأنهم تحت حماية دولية».

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، نقلا عن مصادر فلسطينية أن المشرفين البريطانيين والأمريكيين على السجناء الستة في سجن أريحا طلبوا من السلطة الفلسطينية تحسين أوضاع السجن.

وأعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، أن عددا يتراوح بين ١٠٠٠ و١٨٠٠ من الفلسطينيين المعتقلين خلال عملية «السور الواقي» سيبقون في التحقيق لفترة أخرى، مؤكدا أن الحكومة «لم تفكر في السماح للجنة "تقصي الحقائق" بالتحقيق مع الجنود والضباط ولا حتى للحظة واحدة».

واعتبر الرئيس أميل لحود طلب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان من مجلس الأمن حل لجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين بأنه «تراجع خطر للأمم المتحدة أمام إسرائيل التي تضرب مرة أخرى الإرادة الدولية بعرض الحائط».

وأكد الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله في خطاب في مناسبة دينية، أهمية إيصال السلاح إلى الفلسطينيين في الداخل.

ونددت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) بالحصار الذي تفرضه السلطات الإسرائيلية على إدخال المحروقات والمواد الغذائية إلى قطاع غزة والذي يزيد في مخاطر حدوث كارثة إنسانية.

وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان حل لجنة تقصي الحقائق في مخيم جنين، وقال : إن هناك إمكانا أن يطلب منه مجلس الأمن إعداد تقرير عن الأحداث في مخيم جنين حتى في غياب رحلة إلى المنطقة.

وأقر الكونغرس الأمريكي بأغلبية ساحقة قرارين يعبران عن التضامن مع إسرائيل. فقد وافق مجلس الشيوخ بأغلبية ٩٤ صوتا واعتراض صوتين على قرار (رقم ٢٤٧) ينص على أن مجلس الشيوخ يقف متضامنا مع إسرائيل، وهي دولة مواجهة في الحرب على الإرهاب، ويبقى ملتزما حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.. ويدين التفجيرات الانتحارية الفلسطينية».

وتبنى مجلس النواب الأمريكي، بأغلبية ٣٥٢ صوتا واعتراض ٢١، القرار (رقم ٣٩٢) وهو أشد لهجة. ويتهم الرئيس ياسر عرفات بمساندة الإرهاب. ويتضامن مع إسرائيل «فيما تتخذ من خطوات لتوفير الأمن لشعبها»، ويلتزم «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها..».

وقال الناطق باسم البيت الأبيض، آري فلايشر، في مؤتمر صحفي، أن الرئيس جورج بوش يعتقد «إن على إسرائيل أن تنظر إلى أبعد من احتياجاتها الأمنية الحالية». وردا على سؤال إذا كان هذا يعني تجميد بناء المستوطنات، أجاب فلايشر: «من الواضح أن المستوطنات مسألة ينبغي بحثها كجزء من الحوار السياسي»، وبشأن موقف الإدارة الأمريكية من عقد مؤتمر دولي، قال: «هناك مسألتان.. الأولى هي عقد مؤتمر دولي على المستوى الوزاري، أما الثانية، فهي مؤتمر دولي على مستوى القمة، وقد أشار الرئيس، طبعا، إلى أن فكرة عقد مؤتمر على المستوى الوزاري فكرة مثيرة للاهتمام.. ولم يتخذ أي قرار حتى الآن حول ما إذا كان هذا هو المسار الذي سيتم سلوكه، أما على صعيد القمة، فالأمر سابق لأوانه، أي أن الأمر لم يرتق بعد إلى هذا الحد. ولن أزيد على هذا». وردا على سؤال بشأن اكتساب ياسر عرفات ثقة الرئيس بوش قال: «ياسر عرفات حر الآن في أن يغادر مقره، وياسر عرفات حر الآن في أن يسافر، فالحرية تعني حرية إثبات كونه يستطيع القيادة، وكونه سيتخذ إجراءات مسؤولة للمساعدة في إحلال السلام في المنطقة. والرئيس (بوش) يراقبه».

وقال الرئيس جورج بوش، في مؤتمر صحفي مشترك مع رئيس الحكومة الاسبانية، خوسيه ماريا أزنار، الذي ترأس بلده الاتحاد الأوروبي حاليا، ورئيس المفوضية الأوروبية، رومانو برودي أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي «يتشاطران رؤية مشتركة لدولتين، فلسطين وإسرائيل تعيشان جنبا إلى جنب بسلام وأمن»، وأضاف أنه «يجب التوصل إلى دولة فلسطينية عبر إنهاء الاحتلال بالتفاوض، ولا يمكن لمثل هذه

الدولة أن تقوم على أساس الإرهاب أو الفساد. بل ينبغي أن ترتكز الدولة الفلسطينية إلى المبادئ الحاسمة بالنسبة للحربة والازدهار: الديمقراطية والأسواق المفتوحة، وسيادة القانون، والإدارة المسؤولة المتصفة بالشفافية وبكونها عرضة للمحاسبة، واحترام الحريات الفردية والمجتمع المدني».

وأكدت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وروسيا – التي تعرف مجتمعة باسم مجموعة الأربعة – التزامها العمل في سبل تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط. وعقد اجتماع في واشنطن ضم إلى باول، وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف، والإسباني جوزيب بيكيه، والممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن المشترك للاتحاد الأوروبي خافيير سولانا، والأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان.

وألقى وزير الخارجية الأمريكي كولن باول كلمة باسم المجموعة الدولية في مستهل مؤتمر صحفي في واشنطن، شدد فيها على أن السبيل الوحيد لإنهاء العنف والتحرك نحو السلام هو التفاوض وفقا لقرارات الأمم المتحدة. وأن مجموعة الأربعة تعتزم التحضير لمؤتمر دولي يعقد في أوائل الصيف للبحث في موضوع السلام في الشرق الأوسط بحيث «تعيش دولتان»، إسرائيل وفلسطين جنبا إلى جنب في سلام وأمن داخل حدود معترف بها دوليا».

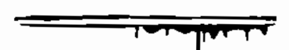
واجتمع المبعوث البابوي الكاردينال روجيه إتشيغاري بالرئيس الإسرائيلي موشيه كتساف، وبالرئيس ياسر عرفات لحل مشكلة حصار كنيسة المهد.

وحثت منظمة العفو الدولية، في بيان لها، «مجلس الأمن، بمن فيه الولايات المتحدة التي أيدت تشكيل بعثة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة على الوفاء بالمسؤولية المترتبة عليه لكشف حقيقة ما جرى في مخيم جنين». و «انتقدت المنظمة بشدة ما وصفته بأنه مطالب إسرائيلية غير مقبولة دفعت الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان إلى إحاطة مجلس الأمن علما بعزمه على حل فريق تقصي الحقائق الذي شكله للتحقيق في ما حدث في مخيم جنين للاجئين».

وأعلنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أنها ستعمل لتأهيل موقعين في مخيم جنين وتجهيزهما ليصبحا ملعبين للأطفال، وقالت اللجنة في بيان لها أنه منذ رفع حظر التجول يتدافع الأطفال في المخيم غير مدركين وجود ألغام وعبوات غير متفجرة. وأضاف

البيان أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتعاون مع منظمة اليونيسف ووكالات متخصصة أخرى، تنظم برنامجا للتوعية بالمخاطر التي تشكلها الألغام وأن عشرة متطوعين من الهلال الأحمر الفلسطيني تلقوا تدريبا لمعرفة مخاطر الألغام.

وذكرت منظمة مراقبة حقوق الإنسان في تقرير أصدرته اليوم في أعقاب تحقيقات استغرقت أسبوعا، أن ثمة دلائل توحي بأن قوات الجيش الإسرائيلي ارتكبت جرائم حرب في العملية العسكرية التي قامت بها في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين. لكن المنظمة لم تتوصل إلى أي دليل يدعم الادعاءات القائلة أن القوات الإسرائيلية ارتكبت مجازر راح ضحيتها مئات الفلسطينيين في هذا المخيم، وحددت المنظمة في تقريرها، الذي يقع في ثمان وأربعين صفحة، هوية اثنين وخمسين فلسطينيا قتلوا في أثناء العملية، منهم اثنان وعشرون مدنيا قتل الكثيرون منهم عن عمد أو من دون وجه حق، كما وجدت منظمة مراقبة حقوق الإنسان أن القوات الإسرائيلية استخدمت المدنيين الفلسطينيين «دروعا بشرية»، واستخدمت القوة المفرطة والعشوائية في أثناء العملية.



الفصل الأخير
قصص من فلسطين
أكثر من حقيقية

قصة زوجين في معرض الموت

قصة مراد أبو غربية:

كنت قد ذكرت في فصل سابق حديثا عن مراد أبو غربية، وهاأنـذا أنقـل الكـلام إليـه ليحدثني بحكايته أثناء الحصار، وقد نشرت قصته في «فلسطين» بتاريخ ٥/ ٨/ ٢٠٠٢:

ليلة الخميس فجر الجمعة التاسع والعشرين من شهر آذار سنة ألفين واثنين في تمـام الساعة الرابعة والربع فجرا صحونا على صوت غريب صوت قوي دقات قوية على بـاب البيت.. قمت فزعا من نومي وزوجتي وفتحت نافذة البـاب الـداخلي، فسـمعت صـوتا غريبا.. صوتا من دون جسد.. أسمع ولا أرى من أين يأتي الصوت، وصـوت الرصـاص يعلو وصوت التفجير يعلو، قالـت لي زوجتـي حينهـا: مـراد احـذر يبـدو أن الجـيش في الخارج، وإذا بصوت يسمع.. (يا ناس.. يا عالم.. عرب.. عرب لا تخافوا.. من شان الله إسعاف.. أنا جريح مصاب لا تخافوا)..

فتحت باب بيتي وأسرعت لفتح الباب الخارجي لشرفة البيت، ونظـرت فـإذا بجثـة على الأرض لا يتحرك فيها سوى اليدين، وإذا به جـريح مـن الأمـن الـوطني، رفـع يـده وقال: لا تخف أنا عربي فلسطيني، ساعدني أرجوك أمسكت بيده بكامـل قـوتي شـددته حتى استطعت سحبه وإدخاله إلى (البرندة).. وفي هذه الأثناء كان إطلاق الرصاص كثيفا

وصوت التفجيرات عاليا لم يتوقف تمدد الجريح على الأرض وكان يتألم ويتأوه (كان مصابا في أعلى قدمه اليسرى في منطقة الأعصاب وسط جسمه) كان مخضبا بالدم على (افرهول) كان يلبسه، غريقا بالماء والدم، وفورا اتصلت ببيت عمي (صهري) وأخبرتهم بأن يطلبوا الإسعاف لنقل الجريح أو يأتي أحدهم لمساعدتي لنقله بسيارتي، وكان الجريح قال إنه مصاب بطلقة نارية في منطقة الوسط أعلى قدمه، وذكر أنه ينزف منذ ساعتين ونصف الساعة وأنه قد قطع مسافة ما يقارب ٢٠٠ متر يطلب المساعدة دون فائدة، وقال إنه خلال مسيرته الشاقة والجيش كان يلاحقه والاشتباك مستمر. قفز عن سور طوله مترين ونصف المتر تقريبا ووقع وأصيب بكسرين في فقرتين من ظهره.

كانت زوجتي في تلك الأثناء أخبرت الجريح بأن الرصاصة ليست خطرة وأخبرته بأنني سوف أنادي أحد جيراني لمساعدته.. خرجت بحذر شديد وأنا أسمع صوت الطلقات والتفجيرات، اقتربت من الجرس وقرعته طالبا المساعدة من جيراني في الطابقين الثاني والثالث، لا أحد يرد .. لا مجيب، رجعت إلى الجريح وقلت له: اطمئن سوف أنزل لأحضر أحد الجيران من حارتي، نزلت وبدأت أقرع الأجراس وأدق على الأبواب، ابتعدت مسافة (٥٠م) تقريبا عن بيتي والخوف يلازمني وأقول (يا رب.. الطف بنا وسلمّنا من كل سوء وقد كان الاشتباك قريبا جدا منا، كان في البيت الخلفي (خلف بيتي)، رجعت إلى الجريح وقلت له سوف أنقلك الآن بسيارتي، سوف أشغلها بسرعة ونساعد في نقلك إلى المشفى بسرعة، تأخرت الإسعاف، ولم تأت أدرت محرك سيارتي، وقد تأخرت حتى دار المحرك من شدة البرد. وأنا بداخلها كنت أدعو نفس الدعاء، نزلت بسرعة إلى الجريح وقلت له: هيا لننزل إلى السيارة كابر على نفسك (شدّ حيلك) ووضعت يده اليسرى على عنقي وقلت هيا يا الله يا رب، لم يستطع الحراك قال أتركني لا أستطيع أرجوك،وقال: أريد ماء (ريقي ناشف) سمعته زوجتي (أم محسن) فقالت: يا أبا محسن ليس من الصحي أن يشرب الجريح فقلت لها نعم.. لكن احضري كأسا كي يرطب لسانه، فأتت بالماء ورشف قليلا من الماء ثم سقط على الأرض، وبعدها قلت له إنني سأحضر قريبا لي لمساعدته وكانت زوجتي من بعيد تقول لي أبا محسن: (الله يحفظك) خرجت من بيتي متوجها إلى سيارتي ونزلت إلى مركز الشرطة الذي يبعد عن بيتي (١٥٠م) تقريبا في عمارة أبو الرب، وصلت العمارة وناديت فلم أجد أحدا ناديت بأعلى صوتي فإذا بأحد أفراد الشرطة يأتي قائلا: ماذا تريد؟ قلت، له تعال معي في بيتي جريح وأريد منك مساعدتي لنقله إلى المشفى فقال: «عندنا أمر إخلاء

للمركز ولا يوجد أحد هنا غيري) ولا أستطيع ترك المقر ولا أستطيع مرافقتك أو مساعدتك. كان قد سألني من أين أتيت وهل إطلاق الرصاص قريب فقلت له: أنا جاركم قريب منكم وإطلاق الرصاص بعيد حتى يتسنى لي مرافقته لمساعدة الجريح.. لم يكن مستعدا للحضور معي، صرخت به وقلت له: (الرجل يموت) فنظر بوجهي قليلا وقال: توكل على الله، ركبنا السيارة وما أن مشينا (٢٠م) وإلا بضوء أحمر متقطع في الجو (الإسعاف) وصلت، أسرعت بسيارتي وأضأتُ الضوء العالي مرتين ليقف سائق الإسعاف توقف السائق ونزل من السيارة ثلاثة أشخاص مسعفون وأتوا حاملين حمالة لنقل الجريح.. أخذوا الجريح وانطلقوا إلى المشفى وكانت سيارة الإسعاف قد أتت بعد حوالي نصف ساعة أو أكثر، بعدها قال لي الشرطي وكانت تبدو عليه علامات الخوف والرعب (عد بي إلى المقر) فنزلنا للسيارة، وقبلها قلت لأم محسن لا تخافي سآتي بسرعة بعد أن أوصل الشرطي، فقالت: أم محسن لا تتأخر علي.. الله معاك.. فقلت لها لن أطيل سأعود بسرعة بإذن الله وذهبت، ركب معي الشرطي وتوجهنا إلى مقر الشرطة وعندما وصلنا قال لي: يا شيخ أوصلني إلى المنارة فقلت له سأعود لزوجتي وابني. الوضع في غاية الخطر فقال بسرعة أرجوك.. توجهنا إلى المناورة وفي الطريق قلت له لا أستطيع أن أتأخر على زوجتي وابني فقال: «هنا.. هنا أنزلني بسرعة ونزل عند صالات الزين الكبرى وكان جمع كبير من جنود الأمن الوطني والشرطة الفلسطينية، توجهت بسرعة لبيتي من نفس الطريق التي سلكتها مع الشرطي.. ووصلت بيتي بأمان ولما رأتني ام محسن قالت الحمد لله على سلامتك. كنت قد قلت لزوجتي قبل ذهابي لإيصال الشرطي جهزي نفسك لننزل عند بيت عمي قبل وصول الجيش؛ لأنهم قريبون منا جدا. قال لي ماذا أجهز؟ قلت لها: لا شيء أعطني «محسن» وهيا ننزل لبيت عمي، ويبعد بيت عمي (٣٠٠م) تقريبا عن بيتي وكانت هناك طريق أخرى اقرب من الطريق التي سلكناها (٢٠٠م تقريبا) لكنني لم أسلكها لاعتقادي أنها أخطر وصوت إطلاق الرصاص وصوت التفجيرات من تلك الجهة، نزلنا للسيارة والطفل بين يدي وركبنا السيارة ونزلنا متوجهين لبيت عمي (وأذكر أن أذان الفجر قد انطلق) وبعد (١٥٠م) تقريبا تفاجئنا بإطلاق شديد من الرصاص علينا وقال أحدهم: وقف بالعربية ، وقد كنت حينها أقول عرب، عرب رافعا يدي اليسرى من النافذة يسبقها شاهدي.. لما سمعت أحدهم يقول وقف، توقفت بسرعة ظانا أن توقفي يوقف إطلاق النار وأنهم جنود فلسطينيون إلا أنهم استمروا بإطلاق الرصاص بوحشية وكأن بردا ومطرا شديدا ينزل علينا، حاولت أن

احتضن زوجتي وابني لكن من شدة إطلاق الرصاص لم أستطع.. حينها سمعت زوجتي تقول بصوت مرتفع (مراد) وبعدها لم تنطق بكلمة واحدة.. وبعد لحظات توقف إطلاق النار.. كنت قد أصبت في كتفي الأيمن ورأسي من الجهة اليمنى وبعض الشظايا في يدي اليمنى وقدمي اليسرى، نزلت من السيارة ووقعت على الأرض مباشرة، ولم أشعر بأي ألم لكنني شعرت بأعراض الإصابة، لم أكن أسمع جيدا وأرى جيدا وشعرت بأن الدنيا تدور بي وأن صوتا مزعجا يلازمني.. هجم الجنود علي وأيديهم على زناد بنادقه، وقال لي أحدهم: قف حاولت الوقوف فلم أتمكن فصرخ وقال قف وارفع يديك وارفع ملابسك عن جسدك ففعلت وبعدها وقعت على الأرض وحاولت الوقوف مرة أخرى وقلت له أريد أن أرى زوجتي وولدي فرفض، وقال: قف واسكت.. لم أكترث أن أرد عليه وتوجهت إلى زوجتي، فتحت الباب الأيمن للسيارة وقلت (أم محسن، أم محسن صرخت أم محسن، أم محسن كانت كأنها نائمة لا يبدو عليها توجع أو تأوه كادت أن تنزل دموعي لكنني نظرت بين يديها وإذا بها محتضنة ولدنا الوحيد محسن وكان عمره حينها (٩ شهور إلا خمسة أيام) كان محسن بين لديها، حملت ولدي فإذا به يضحك والجنود الإسرائيليون من حولي كأنهم ينظرون لفيلم وثائقي، حملت ابني وحاولت أن أركض فوقعت على غطاء سيارتي الأمامي وولدي بين يدي لم يصب بأذى وهم ينظرون، وقفت، ودعوت الله تعالى، يا رب (ليس لولدنا الآن إلا أنت.. زوجتي استشهدت وأنا لاحق بها فأعني على إيصال ولدي لبيت عمي) وكان بيت عمي يبعد من مكان الحادث (١٥٠م تقريبا) وأذكر أن الجنود حينها كانوا حوالي (٢٠ جنديا) ومعهم ثلاثة معتقلين، وأثناء إطلاق الرصاص علينا كل واحد منهم تمركز بمكان.. أحدهم كسر الزجاج الخلفي للسيارة وصوب بندقيته على رأس زوجتي وأصابها بثلاثة رصاصات من نوع (دم دم) تفجرت في رأسها واستشهدت على الفور وكانت قد أصيبت برصاصة في أعلى الظهر سببت شللا كاملا غير الرصاصات المتفرقة في أنحاء جسدها، نفس الجندي أطلق على رأسي وفي نفس الجهة التي أطلق النار فيها على زوجتي، وقد كنت يوما ألبس الكوفية البيضاء (الحطة) عندما أصابني ورأى الدماء تملأ رأس استبشر خيرا، ويبدو أنه أعطى إشارة بوقف إطلاق النار أو أنه قال في نفسه: هذه لحظة جنون (مصاب برأسه كيف فتح باب السيارة ونزل) أعود وأقول: لما حملت ولدي ركضت مسافة (١٣٠م تقريبا) والجيش ينظر إليّ، وفي الطريق اصطدمت بجرافة (صاحبها عربي) كانت متوقفة على الجهة اليمنى من الطريق وكان صاحبها قد وضع الحمالة (البوكيت) على الشارع..

رأيت الجرافة ولم أر الحمالة فاصطدمت بها وحينها فقط شعرت بألم كتفي وشعرت أن الدنيا تدور بي خفت على ولدي أن يقع مني وبعد ثلاثة أمتار وقعت على يداي حاملا ولدي الذي لم تمسه رصاصة أو شظية مع أنه كان في حضن أمه تحت زخ الرصاص.. بدأت أنادي ولم يكن صوتي مسموعا.. بدأ ولدي يصرخ ويبكي حتى سمع بعض الناس الصوت وشاهدوني على الأرض وولدي، واتصلوا ببيت عمي وقالوا لهم أن بجانب بيتكم جريحا فقالوا لهم نحن مشغولون بمراد، عنده جرح وينتظر الإسعاف.. فقالوا لهم الجريح هو مراد وولده بين يديه، أطلقت حينها رصاصة من الجنود باتجاه الجيران الذين أتوا لمساعدتي، أسرع الجيران للاتصال بالإسعافات كي تحضر لكن الجنود منعوا أحدا من الحضور أسرع أحد الجيران ومن حولي بحملي ونقلي للعمارة المقابلة لبيت عمي، وأسرعت أم زوجتي (حماتي) لأخذ الولد لبيت عمي ولم يكونوا على علم باستشهاد ابنتهم.. وأذكر أنني رغم شدة البرد والمطر كنت اشعر بدفء غريب لكن لما نفد الدم بدأت أشعر بالبرد الشديد وبعد ساعتين من النزف رفعت شاهداي وقلت: (أشهد أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله) فاقترب الناس وقالوا لي (مراد) انتظر الإسعاف في الطريق وقد كنت وقتها أتنفس بصعوبة وشعرت أنني سألاقي الله عز وجل، كان الناس حينها يتكلمون معي ويسألوني لم أستطع الكلام كنت فقط أخرج لساني من فمي ليعلم الناس أنني على قيد الحياة ووقتها كان عمي (حماي) يبكي ويقول الشيخ يموت، الشيخ يموت يا ناس ألحقوه بسرعة.. وحضرت الإسعاف بعد ساعتين ونقلوني إلى المشفى وفي الطريق أطلق الجيش النار عليهم فقال أحدهم: لنذهب لمشفى الرعاية لن نستطيع نقله إلى مشفى رام الله فانطلقوا لمشفى الرعاية وكانوا قد نقلوا زوجتي الشهيدة رحمة الله عليها إلى مشفى رام الله وكنت أتمنى لو أنني بنفس المشفى لأودعها والقي النظرات الأخيرة عليها.

وفي اليوم الخامس للاجتياح تم رفع منع التجول فخرجت من المشفى لأرى زوجتي الشهيدة وودعتها وصلينا على الشهداء صلاة الغائب، ودفنت في الأرض المجاورة لمشفى الشيخ زايد، رحم الله الشهيدة وكل الشهداء وأسكنهم فسيح جناته.

هناك بعض الغرائب والحكم والصور والعبر في قصة استشهاد زوجتي (أم محسن) رحمها الله.

أولا: الجريح الذي أسعف كتب الله له الحياة وهو متزوج وله بنتان.

ثانيا: الشرطي الذي أتى ليسعف ويساعد كان مستعدا وقتها للنوم وكان وحيدا في المقر.. بعد الاجتياح رأيته في المسجد وسلم علي وهنأني بشهادة زوجتي وقال: دخل الجيش المقر وفجروا وخربوا ولو كنت نائما لاغتالوني بدم بارد وأنا نائم (عند وصولي لأخذه كان يُجهز للنوم).

ثالثا: عند نزولنا بالسيارة (مصطحبا زوجتي وابني) كان الجيش لحظتها يحاصر خمسة مقاومين ولما انشغلوا بنا وأطلقوا علينا النار فرّ الخمسة من المكان.. إذا كتب الله لهم الحياة والنجاة وكتب لزوجتي التي كانت نائمة بسلام وطمأنينة وراحة (الشهادة).. فالحمدلله على قضاء الله.. نسأله تعالى أن نكون من الصابرين المحتسبين ونسأله أن يرحمها ويتقبلها ويشفعها فينا ويجمعنا بها يوم الحساب وأن يجعلنا أوفياء لدماء الشهداء بقلوبنا لا بألسُننا.

قصة الدكتور إبراهيم أبو حطب:

الدكتور إبراهيم أبو حطب طبيب له خبرة طويلة وكبيرة في مجاله، أما زوجته السيدة نهاية السقا فهي محامية وتمارس مهنتها بكل ما أوتيت به من جهد، هما من مواطني مدينة نابلس، وبالذات في الحي الذي سكنت فيه قبل ثلاثين عاما، أي في حي رفيديا، وهي ضاحية جميلة، تشرف على الوادي الكبير الذي يتوسط جبلي عيبال وجرزيم.

الدكتور إبراهيم وزوجته نهاية يقطنان عمارة على كتف الجبل، أي أن العمارة تشرف على منظر رائع وجميل، ويسكن في العمارة مهندسون ومدراء بنوك وأطباء وأساتذة جامعات وموظفون كبار في السلطة الوطنية وأجهزتها.

في الأيام الأولى للاجتياح، لم تتعرض العمارة لأي اقتحام أو هجوم من قبل جنود الاحتلال ولكن وبعد ثلاثة أيام فقط، وكانت الدنيا عصرا، فوجئ سكان العمار باقتحام جنود الاحتلال لها شقة الدكتور إبراهيم تقع على مدخل العمارة المكونة من أربع طوابق، الطابق العلوي منها غير مسكون، ولهذا فقد طرق جنود الاحتلال باب الدكتور إبراهيم.

حدثني الدكتور إبراهيم «أبو صلاح» كما نناديه عن تلك اللحظات، فقال: فتحت باب الشقة وأنا محتقن بالتوتر إذ أن في الشقة أولادي وبعضهم صغير السن، وهناك أثاث ومكتبة وأجهزة طبية كنت أخشى أن يقوم جنود الاحتلال بتحطيم كل شيء، فقد

سمعنا الكثير عن اقتحامات جنود الاحتلال وعما يفعلونه في المنازل التي يقتحمونها.

فتحت الباب وأنا أرتجف من فرط التوتر والغضب، فتحت الباب على مصراعيه، قلت للضابط بالإنجليزية: تفضل. البيت مفتوح على مصراعيه.

لاحظ الضابط انفعالي، تحدث بلهجة لم أتوقعها: في شباب!!

قلت وأنا ما أزال على ذرة التوتر: ما في شباب أبدا العمارة كلها لا يوجد فيها شباب تفضل فتش.

حاول الضابط أن يدخل الشقة، رفعت يدي إلى صدره، قلت له: فتش كما تريد ولكن عليك الانتباه إلى أن هناك أطفالًا أرجو ألا تزعجهم ولا تروعهم.

حدق الضابط في عيني، حدقت في عينيه، يبدو أنه اقتنع بشيء ما، قال: لا أريد التفتيش، أنا أصدقك. ولكن ماذا بالنسبة للشقق الأخرى.

قلت: العمارة يسكنها أطباء ومدراء بنوك وأساتذة جامعات، وليس فيها شباب أبدا.

قال الضابط: أنا أصدقك.

وفجأة التفت إلى باب الشقة المقابل لشقتي، كانت تعود لأحد قادة الأجهزة الأمنية في السلطة الوطنية. سأل الضابط: لمن هذه الشقة.

لم أظهر ارتباكي وترددي وأنا أقول: ليس فيها أحد صاحبها مسافر.

لم يهتم الضابط بإجابتي، أراد أن يفحص شققا أخرى، فوجد شقة مغلقة، فحاول الجنود أن يفتحوها بتفجيرها، ولكنني استطعت أيضا أن أنقذ باب الشقة من التفجير.

بعد ذلك أراد الجنود الصعود إلى أعلى البناية، فصعدوا في ضجة كبيرة، وبطريق عودتهم رأيتهم إذ أنني لم أغلق باب شقتي وفي تلك اللحظة، خرجت امرأة من الشقة المغلقة المقابلة لشقتي، عندما رآها الضابط فوجئ بها ولما سألها بعض الأسئلة استفزته تماما، فقام بتفتيش الشقة فوجد رصاصا وأشياء أخرى، عندئذ جن جنونه فقام بتفتيش الشقق جميعا بطريقة فظة وقاسية، وكان في كل مرة ينظر إليّ كأنه يلومني أنني خدعته.

الأهم من هذا أن العمارة صارت مراقبة طيلة الوقت، ويهاجمها الجنود في اليوم

الواحد عدة مرات، ولم نسلم وتحولت حياتنا إلى جحيم لا يطاق. ولأنني طبيب، فقد كنت أعالج المصابين من الجرحى من المقاومين والمسلحين، ولم تمض عدة أيام حتى جاءني أحد المصابين التابع لإحدى المجموعات المسلحة، كان يريد الإسعاف السريع وكذلك بعض الأطعمة، وما أن دخل شقتي حتى قال: إنه راقب العمارة قبل أن يدخل وأن الطريق آمنة، ولكنني لم أطمئن، فأمرت أولادي أن يراقبوا جميع المداخل والطرق من خلال النوافذ، وجمعت ما في البيت من مونه، خبز وزيت وجبن وزعتر وزبدة، وكل ما كان في الثلاجة، أعطيت كل ذلك للمقاوم، ثم انطلق وما أن غاب في آخر الشارع حتى تنفست الصعداء.

طيلة أيام الاجتياح تحولت عمارتنا الهادئة إلى مكان مستباح، وظلت الشقة أمام شقتي هدفا للهجوم. إذ قال أحد ضباط جنود الاحتلال لصاحبة الشقة: قولي لزوجك أنه سيموت كما مات غيره من قبله قولي له أن يسلم نفسه حتى لا نغتاله.

ولما أصبحت حياتنا جحيما حقا، قلت لزملائي وجيراني إن علينا الاحتمال والصبر وطلبت منهم أن يستعدوا للأسوأ وعرضت عليهم كل مساعدة ممكنة طبية وغذائية ، إذ قلت لهم إن عندي معظم الأدوية المطلوبة للصغار والكبار.

كانت الكلمة الطيبة مهمة، وكان الموقف الإنساني مطلوبا، وفي لحظات الحصار الصعبة، فإن معادن الرجال تنكشف بحق، في نابلس، حدثت مجازر عديدة بحق الإنسان والمكان، ولم يكن أمام المواطنين سوى الصبر والصمود. أتذكر ذلك الآن، فأقول : إن المحتل استطاع خلال اجتياح نيسان أن يراكم كراهية تجاهه تكفي لعقود قادمة.

الشهيد : سامر وياسر الكسبةُ يستشهدان!!

عاد الطلاب والطالبات إلى مقاعد الدراسة يحدوهم الأمل بمستقبل أفضل لكن في قلوبهم حسرة وفي صدورهم أسىً ولوعة لما جرى، ويجري على أرض فلسطين من جرائم طالت أحدهم وجيرانهم، لقد اغتال الاحتلال طفولتهم، وحرمهم من العيش بأمان وطمأنينة.

لكن حوالي ٢٤٥ تلميذا غابوا قصرا وإلى الأبد لقد اختصروا الزمن، أو أن زمن القهر والظلم اختصرهم من الوجود وويت جثامينهم الثرى، لكن أسماءهم بقيت ذكرى

لأقرانهم، ووصمة عار على جبين العروبة، وصرخة في وجه من يدعون محاربة الإرهاب لطالما كانت لديهم الشجاعة ليمسكوا بأقلامهم بأناملهم الغضة ويجيبوا على أسئلة وضعها أستاذهم وجاء دورهم ليواجهوا سؤالا إجباريا للعالم الذي يسمي نفسه متحضرا لماذا نقتل البراءة بدم بارد؟ لماذا نعدم ونسحق؟ هل نحن مجرمون؟ لقد خلقت الانتفاضة الأخيرة حوالي ٢٠٠٠ تلميذ وتلميذة معاقين، بعضهم فقد عينيه أو رجليه أو يديه أو تهتكت أعضاءه الداخلية، أو أصيب بشكل نصفي أو كلي، لكنه لسان حاله يسأل لماذا؟؟ وإلى متى هذه المعاناة لقد دمر الاحتلال حوالي ٥٣٢٣ منزلا وشرد حوالي ٦٠٠٠ شخص. نسبة كبيرة منهم من الأطفال، دمرت ذكرياتهم وأركانهم وحقائبهم وملابسهم وألعابهم، وكثيرا ما شاهدناهم عبر شاشات التلفاز يعودون إلى منزلهم بعد تدميره ليبحثوا بين أنقاضه عن متعلقاتهم التي أصبحت تحت الركام، ومن الصعب على الأطفال استيعاب كل هذه الجرائم مما يسبب لهم دمارا في نفوسهم يصعب ترميمه.

أما أهالي التلاميذ الشهداء فبدأ العام الدراسي يوقظ في نفوسهم ذكريات أليمة لم تمت لا سيما عند رؤية أصدقاء أبنائهم. متوجهين إلى مدارسهم دون أبنائهم. وقد تحدثت لنا أم الشهيدين ياسر وسامر ظروف استشهاد ولديها.

فالشهيد سامر سامي علي الكسبة الذي استشهد بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢م في منطقة الإرسال أثناء تصديه لدبابات الاحتلال حيث صادفت استشهاد الذكرى الأربعين لاستشهاد أخيه ياسر.

وتحكي أم ثائر قصة استشهاد ولديها والدموع تسيل من عينيها تقول: عندي ٥ أولاد بقي منهم ثلاثة، إننا كأمهات نتعب في تربية أولادنا والعناية بهم ونحرص على أولادنا أكثر من كل أمهات العلم. لا ندفع بهم إلى الموت كما يقول البعض بل أن الاحتلال وجرائمه وما يشاهدوه الأطفال من قتل للأثرياء وهدم للبيوت. وحالة الرعب التي يعيشون بها والخوف إضافة إلى مستوى المعيشة المتدني نتيجة البطالة التي يعيشها الآباء.

أصبح الأطفال تحت ضغط نفسي وجسدي عنيف يدفعهم إلى مقارعة جنود الاحتلال ومواجهتهم من أجل هذا أحسست بالخطر على أولادي. فقد عانينا في الانتفاضة الأولى والثانية أنا وزوجي وأولادي بسبب موقفنا الحساس في المخيم، لذا أخذت أولادي وهربت إلى عمان وأمضينا هناك شهرين وكنت سأبقى شهرا آخر لكن

ياسر لم تعجبه الحياة هناك قال لأولاد خالته: أريد أن أعود إلى فلسطين واستشهد فيها، كلمات تصدر عن طفل، لكننا لم نكن نعرف ما بداخله، فعلا رفض أن يبقى شهرا آخر فعدنا إلى فلسطين، وكان ياسر يذهب كل يوم إلى منطقة قلنديا حيث المواجهات مع جنود الاحتلال، فيذهب أبوه خلفه أحيانا يجده ويعيده وأحيانا كثيرة كان يختبئ، أصيب أبو ثائر نتيجة لملاحقة ابنه، لكن ياسر ظل مصرا على الشهادة. تقول أم ثائر لقد اشتريت له ملابس العيد، لكنه لم يفرح كباقي الأطفال أحسست أنه منشغل بما هو أهم، فأنبته وأبديت غضبي عليه من كثرة تردده إلى مطار قلنديا. وقلت له هل تحب أن تموت أو تصبح معاقا، ولكنه لم يهتم لما قلته. والده حذره أيضا قال لوالده: لا تخف أنا عند الجامع كان هذا آخر شهر رمضان كان ياسر صائما وكنت مشغولة بتحضير الفطور. طال الانتظار جاء ابن أخت زوجي فأخذت أستوضح الأمر منه. فقال لي بأن ياسر أصيب وأنه أوصله إلى المستشفى «بالفُرد» لأن الوقت كان متأخرا حوالي الساعة الرابعة والنصف لا يوجد سيارة إسعاف. كانت إصابته خطيرة بالرأس، في يوم عيد الفطر استشهد ياسر. خلال الأربعين يوما عشنا أيام من الحزن والأسى وكنا نحاول تضميد جراحنا كنت أقول لأولادي لقد فقدت أحدكم كفاية، فقد الابن ليس بالأمر السهل تبكي أم الشهيد أيضا ثائر جمع إخوته الثلاثة وقال لهم أنظروا إلى أمي وأبي ومدى حزنهم على أخي ورجاهم ألا يذهبوا إلى المواجهات. كان سامر قد صرح لأخيه ثائر بأنه سيأخذ بثأر أخيه ياسر لكن ثائر لم يوافقه وقال له: إن الاستشهاديين سينتقمون لنا ولجميع الشهداء، كنا في هذه الفترة أيضا نفكر فيما سنقدمه على روح ياسر في الأربعين سافر ثائر ابني الكبير إلى عمان لعمل كتيبات لتوزيعها في الأربعين.

يوم السبت الموافق ٢٥/ ١ الساعة الثانية عشرة نهض سامر من النوم سألته عن وجهته قال إلى المخيم وبعد ذلك سمعت عن مواجهات في المطار جاء أصحابه فاختبئوا عندي لم يأتِ معهم سامر، كان قد ذهب إلى منطقة أخطر إلى الإرسال حيث الدبابات هناك والقنّاصة منتشرين هنا وهناك «كان الرئيس أبو عمار ما زال تحت الحصار».

سامر تأخر. بدأ الخوف ينتابني، أخذت أتابع محطات التلفاز. لم أسمع عن شهداء. لكن سامر لم يرجع، جاء عمه وأبلغني أنه سمع في راديو السيارة أنه قد أصيب سامر. لم تقوى رجلاي على حملي. أخذوني إلى المستشفى كان سامر تحت العملية إصابة أخرى من حاقد لئيم في رأس طفل آخر من أولادي.

أصيب يوم السبت واستشهد يوم الجمعة الذي كان قد صادف أربعين ياسر. تبكي أم الشهيدين لم تجف الدمعة بعد، والجرح لم يلتئم، ازداد اتساعا وعمقا ونزفا حتى الروح تكاد أن تخرج وهنا وصبت جام غضبها على شارون التي وصفته بأنه جزار تقول بدأت مجزرته في لبنان في صبرا وشاتيلا وهو مستمر. كل يوم ذبح وقتل ودمار كل يوم في هذا الشعب تقول : والله أتمنى أن اقتله وآخذ بثأر كل الشعب الفلسطيني ليس من أجل أولادي فقط أرد أن انتقم للجميع.

أما الدول العربية تقول أم ثائر فهي في سبات عميق نحن لا نريد منهم طحين ولا أرز ولا حِرامات نحن نأكل أي شيء نريد منهم موقفا عربيا رادعا يوقف هذا السفاح شارون عند حده.

أريحا أولا.. العذاب أولا :

في ذات الوقت التي تتعاطف فيه شعوب العالم ومعظم دولها تتعاطف فيه مع قضيتنا العادلة... ومعاناة شعبنا اليومية من شهداء... كتبوا أو يكتبون تاريخ قضيتهم ويسيطرون بهذه الدماء الزكية الطاهرة لبنات دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس الشريف. وأنين الجرحى والحصار الجائر ومنع التجوال المستمر على معظم أنحاء فلسطين والحواجز حواجز المعاناة والظلم الإنساني ما بين مدينة وأخرى، وحتى بين قرية وأخرى من خلال هذه الحواجز نال العديد من شيوخنا ونسائنا وأطفالنا الشهادة على هذه الحواجز ولدت عشرات النساء ومنهن من استشهدت. من خلال هذا الحصار الظالم نضبت المواد التموينية والعلاجات وجوعت العشرات من العائلات، وهدمت تاريخ من خلال نسف الحضارات وحتى المساجد والكنس والمدارس واقتلعت مئات الدونمات.

هذا الشعب العظيم الذي لم يركع للانتداب البريطاني والاحتلال التركيعي الإسرائيلي في أعتى هجماته منذ العام ١٩٦٧م، وحتى في أوج هجمته. الآن لم ولن يركع إلا لله وحده ولكن المؤسف والمحزن حقا أن يوجد بين أبنائه من يشذ عن القاعدة، وهذا ليس غريبا على أي شعب في العالم فثورات العالم فيها المستغل ووجد فيها الجاهل، ووجد فيها المدنس، وصححت المسارات.

يوجد أناس أعطوا الذرائع والحجج لأمثال بوش وشارون ليطالب قيادتنا بالإصلاح. الإصلاح الإداري والفساد المالي وكأنهما حريصان على هذا الشعب. مع أن أسلحتهما المتطورة من الإف ١٦ و ١٥ والأباتشي والدبابات والأسلحة الأمريكية تدك

بنا في قذائف لا ترحم، أطفالا ولا شيوخا، نساء أو رجالا. وهذه الذرائع نعطيها لهم بسخاء من مستغل أو فاسد أو حاقد أو مريض نفسيا مع أن قائد شعبنا ورمزه وتاريخه الحافل لم يرحم خلاله هذه الفئات وعقابهم دائما شديد، وهو من أشد العقوبات وحملات التطهير والمحاسبة الفلسطينية مستمرة ولم تنته وملاحقة العابثين والحاقدين فلا يوجد بيننا أحد فوق القانون والمحاسبة، ولكن ما يوجد بيننا من يظن أن على رأسه الطير، أو بالأدق من يظن أن على رأسه قشة هذا الطير. فالقشة تطير والطير يقتل أو يفر في النهاية!!

من يصل إلى استراحة أريحا من بين حواجز الاحتلال أو من خلال الطرق الترابية التي استشهد خلالها العشرات من يصل هذه الاستراحة لأقصى الحاجات الماسة. للسفر إلى عمان. الحالات المرضية الطارئة أو الدراسة في معاهد وجامعات الخارج أو الالتقاء بالأبناء العاملين في الخارج لمساعدتهم في الحصول على بعض المال الذي فقد من أيديهم نتيجة الحصار ومنع التجوال المستمر لم يصل هذه الاستراحة للنزهة أو التنزه في عمان أو القاهرة لم يصل إليها إلا للشديد القوي يصل إليها بعد المعاناة يصل إليها بعد يوم كامل من الصراع مع المعاناة... لم يعرف إخواننا في الاستراحة أو المعابر هذا الأمر لأنهم لا يخاطبون الناس إلا من فوق فافتعال الأزمة أمام هذه الفئة لم يسجلها تاريخ الإنسانية وتاريخ هذا الشعب العظيم شيوخا ونساء وأطفالا مرضى أقعدهم المرض ينامون في الاستراحة عدة أيام يفرشون الأرض ويلتحفون بالسماء بانتظار دورهم للسفر بعد أربعة أو خمسة أيام لماذا؟ لم نعرف لماذا؟ وأناس من بين ظهرانينا يتكلمون أو يخاطبون من فوق لم نسمع جوابا إلا تعليمات سيادة العميد وأوامر سيادة العقيد ناهيك عن الشتائم والتهديد يُنزل شيخا أو امرأة من الباص لأنه لا يوجد متسع لا يحاورك ولا يسمعك، وحتى أن جاء مدير الخدمات الطبية الفلسطينية برتبة عقيد يقنع هذا الملازم الشاب أن هذا مريض وتقاريره صحيحة، وأن الملازم البروفيسور يحاول إقناع الطبيب أن التقارير غير صحيحة هكذا أصبح الجندي (الشرطي) يفهم بالطب والتقارير الطبية والطبيب لا يفهم، ويقنع الجميع بأسلوبه البوليسي وغطرسته أن هذا الذي جاء بسيارة الإسعاف من أقاصي الشمال ليس مريضا.

ماذا يجري في هذه الاستراحة لم يتصوره عقل، جاء طالب جامعي من نابلس اسمه بلال الفاخوري يدرس في الجامعة التطبيقية حضر لزيارة والدته المريضة جدا في حي بلاطة البلد، وعليه امتحان يوم الثاني والعشرين من الشهر (آب) وأبلغ إدارة المعابر بأنه

سيعود لامتحانه في اليوم الثاني والعشرين.. يهز الرؤوس «لا يهمك» وعندما عاد لم يسمعه أحد ولم يره أحد مسجلا من جديد بعد عدة أيام.

ملازم في أحد الأجهزة الأمنية المحترمة في نابلس لديه تنسيق يسأل شرطي سؤالا والشرطي غير مكترث وشرطي آخر لا يهتم والثالث غير متفرغ لك. هذا ما شاهدته وعشت معه وما عانيت منه كغيري يوم الخميس في الثاني والعشرين من شهر آب.

فهل السبب التلذذ في معاناة أخوان ما يزالون يعانون أم أن المطلوب هو التوجه إلى شركات VIP لدفع المائة والأربعين دولارا أمريكيا أو التنسيق مع الطرف الآخر أو الحصول على الآرام ARAM الإسرائيلي أو الاسترخاء في الفنادق الفخمة في عمان والقاهرة.

نحن نعرف ونعلم بالمشاغل العديدة للسيد الرئيس «أبو عمار» الذي لو حضر متخفيا للاستراحة وشاهد المعاناة والظلم والقهر لرأينا عقاب عمر بن الخطاب وسيف الخالد بن الوليد، ولكن مشاغل السيد الرئيس والحصار عليه جعل فئة من الناس تتحكم وتظلم فنحن نناشد معالي وزير الداخلية اللواء عبدالرزاق اليحيى والمعابر «معابر الجسور» جزء من وزارته أن يعطي هذا الجانب الإنساني الهام جزءا من مسؤولياته الثقيلة الحجة الملقاة على عاتقه، أعانه الله عليها وأعان الأخ أبا الأنس على ما هو ملقى عليه ولكن المسؤولية، مسؤولية كبرى والأجر أعظم وبناء الدولة أقدس وأطهر من تصرفات هؤلاء أن كانوا جهلة أو منتفعين.

نهاية رجل .. فريد ونادر!!

مثل كل قائد عسكري فذ كان شعاره «اتبعوني»، ولم يكن يقول لجنوده تقدموا جمع بين الموهبة القيادية العسكرية والخبرة والدراسة. عاش حياته جنديا مناضلا، والجندية في جوهرها فداء وانضباط وحزم وتضحية وصدق صدق في الانتماء وصدق في السلوك وصدق في الأداء.

المناضل الشهيد أحمد مفرج «أبو حميد» التقيته في ربوع صنعاء بُعيد الخروج من لبنان، كان متواضعا بسيطا مفعما في الحيوية والحياة، مشبعا بالروح العسكرية النضالية وكان- رغم مرارة المنفى والبعد يصل من أجل تثوير اليمن وحشده وإيقاظ مشاعره القومية والعربية من أجل فلسطين التي كان يؤمن بأن فجرها سيطل قريبا.

بُعيد أوسلو وعندما كانت طلائع منظمة التحرير الوطنية الفلسطينية تشد رحالها إلى

الوطن، كان أبو حميد في حالة من الفرح والنشوة والسعادة بدرجة لا توصف، حبه لأرض وطنه غزة كان لا يفوقه حب إلا الرغبة في النضال والقتال دفاعا عن حلمه المنشود وأمله الأخضر في رؤية وطنه محررا عزيزا نظيفا، تعتبر حياة الشهيد «أبو حميد» سجلا وثائقيا للنضال الفلسطيني فهو رجل يختزل في سيرة حياته تاريخ ثورة وكفاح أمة.. أو لنقل أنه شاهد حي على كل مرحلة من مراحل التاريخ الفلسطيني النابض بالثورة والدم والفداء، عندما أعلن عن تأسيس الجيش الوطني الفلسطيني في منتصف الستينيات من القرن الماضي، كان الشهيد أبو حميد في طليعة الضباط الذين انضموا إليه.. وعندما كانت الثورة الفلسطينية في أعقاب هزيمة حزيران تتخذ من أغوار الأردن قاعدة ومنطلقا كان أبو حميد قائدا عسكريا يقود المناضلين الفلسطينيين مع رفاقه أبو عمار وصلاح خلف وأبو جهاد وأبو صبري.

وقد شهدت ربوع الأردن الخضراء في الطفيلة والكرك وغور الصافي، فصولا من انتصارات الجندي المحارب أحمد مفرج، وكان شاهدا هاما في تلك الأحداث الدموية التي جرت في ذلك الخريف الأسود من عام ١٩٧٦م في أحراش جرش، حيث سطر رفيقه أبو إياد علي فصلا رائعا في فصول الكرامة والإباء وفضل الشهادة على الركوع، أما أبو جهاد فقد كان العقل المفكر للطريقة التي نجا بها العديد من القادة والجند من خيرة قيادات منظمة التحرير الفلسطينية، ومنهم الشهيد أبو علي مصطفى وآخرون.

بموهبته العسكرية الفذة كان يعرف متى يهاجم ومتى يتحفز ومتى يتراجع، ومتى يكون بعيدا عن الأنظار، هذه الموهبة الفطرية وتلك الشعلة المتوهجة في فن القيادة العسكرية تعهدها بالدراسة والثقافة والخبرة ونماها بالإخلاص والصدق والتواضع فنال منزلة رائعة جعلته في صفوة القادة العسكريين الذين كان الرئيس عرفات يمنحهم ثقته الكاملة بأن يكون قائدا لقوات جيش التحرير الوطني في المنطقة الجنوبية من قطاع غزة. كانت الجندية متاح شخصية أحمد مفرج، وذلك إذا جاز لنا أن أسلوب عباس محمود العقاد في تحويل الشخصية العبقرية، فالجندية هي ألصق الصفات بالفارسنا للقائد، الذي ولد وترعرع في مدينة غزة عام ١٩٣٨م، وشهد أحداث فلسطين الدامية عام ١٩٤٨م عندما كان صبيا في العاشرة من عمره، ولكن المأساة انطبعت في ذهنه ووجدانه وحواسه، وأدرك منذ تلك اللحظة المبكرة في حياته، أن قدره أن يناضل من أجل وطنه، وأن عليه واجبا مقدسا وهو أن يحمل السلاح من مرحلة العودة إلى القدس الشريف، مدينة القلب والروح والفؤاد. كان أبو حميد جنديا في كل ما يقول، وما يفعل،

وما يفكر، فهو لا يغادر ثيابه العسكرية في ساعة من ليل أو نهار، دائما كان مستعدا وجاهزا، متحفزا «ليلبي نداء الواجب، ومن حيث أنه كان جنديا في روحه وضميره، وأفكاره أنه امتاز بصفة المبادرة، ومن هنا يمكننا أن نفهم كيف أسس أول فصيل فلسطيني مقاتل في حياته باسم مجموعة الشهداء أبو هاني وما أن انطلقت الثورة بقيادة حركة فتح حتى كان أبو حميد من أوائل الذين انضموا تحت لوائها جنديا باسلا ومقاتلا ومؤسسا ومبادرا.

وشهد أبو حميد كثيرا فصول النضال الفلسطيني.. قائدا ومخططا وجنديا محاربا.. فكان أحد أبطال معركة الكرامة التي كانت واقعة أو معركة ينتصر فيها الجندي العربي على المقاتل الإسرائيلي.

وفي معارك لبنان الضارية خاض أبو حميد ملاحم بطولية وفداء، فقد عرفته قلعة شقيف وتلال وأودية وجبال لبنان جنديا مقاتلا يعرف كيف ينتزع النصر من بين أنياب العدو الصهيوني الضاري. وفي حرب بيروت الملحمة الفلسطينية الخالدة عام ١٩٨٢ كان أبو حميد نسرا محلقا في سماء المعركة، تصدى بصحبة رفيقه ياسر عرفات لأشرس معركة شهدتها المقاومة العربية لإسرائيل على امتداد ٨٢ يوما.. وجرعت شارون مرارة الهزيمة وأرسلته إلى لجان التحقيق، ومن ثم إلى العزل من وزارة الدفاع فكان أول وزير دفاع يتم إقصاؤه عن منصبه بسبب فشله الذريع وكذبه وتضليله ودمويته.

وعندما اندلعت ثورة الانتفاضة الثانية «انتفاضة الأقصى»، كان في طليعة العسكريين الأبطال الذين تصدوا للدفاع عن تراب الوطن العزيز وأرواح المواطنين البسطاء المسالمين، وكان دائما في الصف الأول، لم يمنعه منصبه الرفيع ولا مسؤوليته الأدبية ولا حساسية موقعه، لم يمنعه كل ذلك من أن يكون في الصفوف الأولى، ويؤكد ذلك استشهاد مرافقه الأول ومن ثم استشهاد ثلاثة من مرافقيه الأبطال، كان أبو حميد قائدا بعيد النظر لا ينظر إلى الأمور بعين متسرعة غاضبة ولا يحكم على الأمور من خلال لحظة انفعالية عابرة، وكان دائما ينظر إلى الوطن نظرة شاملة، نظرة القائد الخبير الذي يعرف كيف يقيم الأمور وكيف يفهم اتجاه الريح ويدرك برصانته وحكمته إلى الجندي قد يتراجع خطوة ليتقدم بعد ذلك عشرة خطوات.

ومن صفات فارسنا البطل، كان زاهدا مترفعا لم يكن يهمه من ذلك إلا أن يكون مع رفاقه من الجنود والمناضلين بعاملهم، بكل تواضع وحب، ويتواصل معهم، ويسهر

على حماية أرواحهم.. بفكره وسلاحه وقراره وحكمته. كل من عرف القائد الشهيد أكبر فيه هذه الثنائية الرائعة التي لا تتوفر إلا في العظماء من الرجال والتواضع والحب والتواصل مع الجماهير، والحزم والانضباط والقوة التي لا تعرف التهاون والانفعالات.

إن حكمة الله العظيمة تختار دائما للبطل نهاية محكمة وفصلا بديعا يليق بسيرته وعطائه وتاريخه، وأي فجر أعظم وأنبل وأجل من الشهادة على ثرى عبسان شرقي مدينة خان يونس في اليوم الثامن من آذار عام ٢٠٠٢م.

قصة من فلسطين ليست عادية ولا استثنائية

لم يكن هناك موعد مسبق مع أبو رياض للحديث عن ولديه اللذين استشهدا واحدا تلو الآخر خلال أقل من ٦ أشهر وفي الفترة ما بين أواخر عام ٢٠٠١م وحتى الاجتياح الأخير لمدينة رام الله في أواخر آذار الماضي.

كنت ذاهبا أنا وزميل لي زيارة شخصية إلى الفندق الذي يملكه أبو رياض في المدينة، ولم نكن نعلم أنه فقد اثنين من أبنائه إلا أن صورة ابنه الشهيد أحمد الدمسي (٢٦عاماً) الذي استشهد بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٠١ أثناء اجتياح قوات الاحتلال الإسرائيلي لمنطقة الطيرة في ضواحي رام الله، هي التي جعلتنا نطرق الموضوع ونتحدث مع أبو رياض (٧٠ عاما) ابن مدينة يافا بعد أن وافق على إجراء الحديث، وبعد أن شربنا القهوة السادة بدأ أبو رياض يتحدث عن خصال ابنه الشهيد أحمد قائلا: «كان يحب الحياة يوم استشهد صادف ٢٨ رمضان ٢٠٠١م وعندما علم أحمد بنبأ الاجتياح، حيث كان وقتها ساهرا مع عدد من أصدقائه غادرهم حاملا سلاحه حيث قال لهم: الذي يريدني يأتي إلى المقبرة يوم العيد! وتوجه أحمد في نفس الليلة من مدينة البيرة حيث يسكن إلى منطقة الطيرة حيث استشهد بعد اشتباك عنيف مع قوات الاحتلال الإسرائيلي على الساعة الخامسة صباحا.

ويتذكر أبو رياض تفاصيل ليلة استشهاد أحمد كما رواها له أصدقاؤه حيث قال بحزن، كان أحمد مع مجموعة من رفاقه يقاوم دبابات الاحتلال وجنوده التي كانت تحاول التقدم في أحد شوارع الطيرة، وبعد فترة جاءهم أمر من مركز القيادة بالانسحاب نظرا لكثافة وقوة نيران الدبابات الإسرائيلية وعندما بقي أحمد مع صديق له اسمه موسى الفرا من أجل التغطية على انسحاب رفاقهم وبعد دقائق أصيب موسى إصابة بالغة.

ويصمت أبو رياض قليلا ثم يتابع حديثه فخر واضح: اتصل ابني أحمد طالبا سيارة إسعاف لنقل موسى بعد أن وضعه قرب حائط وبقي يقاوم وحدة نيران الدبابات من خلف جذع شجرة زيتون كبيرة لكن سيارة الإسعاف لم تصل، وبعد وقت بدأت طائرة أباتشي إسرائيلية تطلق نيران رشاشتها وقذائفها على الموقع الذي يتواجد به أحمد وأضاف أبو رياض بحزن لقد أصابت إحدى قذائف الطائرة أحمد في رأسه وفصلته تماما عن جسده ومزقته حيث اختلط اللحم مع الشعر مع مخه.

وأوضح قائلا: «لقد كان النطق بالشهادتين آخر الكلمات التي قالها أحمد للقيادة عبر جهاز اللاسلكي قبل لحظات من استشهاده، والشهيد أحمد متزوج ولديه ولدان إياد (٤ سنوات) وجهاد (سنتان). وقال إياد ابن الشهيد أحمد ويبدو أنه كان يتحدث عن حلم رآه: جاء أبي ونام عندي لكن اليهود طخوه، وعندما سألته أين أبوك الآن يا إياد؟ أجاب وهو يلهو بعكاز جده. أبو رياض لقد دفنوه في الجنة!!

أما الابن الثاني لأبو رياض الذي استشهد في اليوم الأول للاجتياح الأخير لرام الله فاسمه رائد (٢٤ عاما) وكان قد خطب فتاة تسكن في الأردن منذ حوالي ٦ أشهر إلا أن سلطات الاحتلال رفضت إعطاءها تصريح زيارة للضفة الغربية وهذا أدى إلى تأجيل عقد قرانه حتى استشهد في النهاية.

ويروي أبو رياض متذكرا يوم استشهاد رائد فيقول: قبل أيام من الاجتياح استشهد صديق رائد يسمى محمد لو لطيفة، وهذا أدى إلى إصابة رائد بما يشبه الصدمة النفسية، حيث كان يردد دائما عبارة: «أريد أن أذهب إلى أحمد شقيق الشهيد ومحمد صديقه».

وأضاف أبو رياض وقد بدا التأثر واضحا على وجهه: «إنني عضو في القوات الخاصة وهو مطلوب لسلطات الاحتلال وفي ليلة الاجتياح الأخير لمدينة رام الله كنا جالسين في المنزل ونصحته أن يبقى في المنزل حفاظا على حياته إلا أنه صمم على الالتحاق بزملائه لمواجهة القوات الغازية في رام الله التحتا.

وتابع أبو رياض باعتزاز واضح لقد ترى أبنائي ومنذ أيام الانتفاضة على حب الوطن والنضال من أجل تحريره فهم أعضاء في حركة فتح منذ صغرهم، وقال: «أثناء الاجتياح الإسرائيلي لرام الله أبدى المقاتلون الفلسطينيون ومنهم رائد مقاومة عنيفة حيث اشتبكوا مع قوات الاحتلال لعدة ساعات وبعد ذلك تراجع رائد ومجموعة من رفاقه إلى شارع ركب في رام الله حيث اختبئوا بجوار أحد المطاعم، لكن قناصا إسرائيليا كان لرائد

بالمرصاد حيث أصابته رصاصة قاتلة دخلت في بطنه وخرجت ممن ظهره محدثة تهتكا ونزيفا داخليا حادا أدى إلى استشهاده.

وتابع أبو رياض وقد دمعت عيناه لقد شاهدت عملية استشهاده على شاشة إحدى الفضائيات العربية في الساعة الحادية عشر من صبا يوم ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢م، ولم أكن أعرف أنه ابني إلا بعد أن اتصل بنا أقارب لنا من الأردن وأخبرونا بالأمر. وقد بقي جثمان الشهيد رائد مع جثامين العديد من الشهداء في ثلاجة مستشفى رام الله لمدة خمسة أيام إلى أن سمحت قوات الاحتلال لإدارة المستشفى بدفنهم بقبر جماعي في حديقة المستشفى بعد أن رفعت حظر التجول لعدة ساعات.

ويقول أبو رياض عندما رفع حظر التجول اتصلت بمدير المستشفى الذي استطاع أن يؤمن لنا سيارة إسعاف حيث ذهبت والدته مع بعض شقيقاته، وتمكنا وقتها بعد أن أخرجناه من الثلاجة من إحضاره لدفنه في مقبرة البيرة في قبر ملاصق لقبر أخيه أحمد وكان هذا القبر محفورا وجاهزا ولا نعرف من الذي حفره.

وهنا أجهش أبو رياض بالبكاء وقال: «قبل الاجتياح الإسرائيلي بثلاثة أيام روى لي بعض أصدقائه أنه ذهب إلى ذلك القبر الذي دفن فيه وسأل أصدقاءه: لمن سيكون هذا القبر؟!! ويضيف أبو رياض والدموع ما زالت تنهمر من عينيه: «في الكثير من الأحيان كان يذهب ليلا ويجلس بجانب قبر أخيه ويبكي».

ثم أشعل أبو رياض سيجارة، وطلب فنجانين من القهوة وعندها سألته هل تحكي لنا عن مشاعرك بعد سقوط اثنين من أبنائك شهداء.

فأجاب: «نحن نؤمن بالله ورسله وكتبه ولا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ثم قرأ الآية القرآنية: ﴿يُدْرِكُكُمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ وأضاف: «الحمد لله أبنائي بين يدي الله تعالى وقد أنعم عليهم بالشهادة ونرجو من الله أن يتقبلهم بين الشهداء والصدّيقين».
واستطرد قائلا: «لقد انضموا إلى قوافل الشهداء الذين رووا بدمائهم الزكية أرض فلسطين. فلسطين بحاجة إلى تضحية».

وتابع: «فلسطين وطن بحاجة إلى تضحية ونضال، حتى يتحرر فلا يوجد تحرير واستقلال دون تضحية ومقاومة.

وما إن حضرت أم رياض (٦٠ عاما) من مدينة الرملة التي احتلت عام ١٩٤٨م حتى

دمعت عيناها وقد رسم الزمن على وجهها آثار الحزن والمعاناة وقالت: كان أولادي، يحبون بعضهم كثيرا وكان رائد دائما يقول أريد أن أذهب عند شقيقه الشهيد أحمد لقد ذهب وتركني. وتذكرت يوم استشهاد ابنها رائد قائلة: «كنت يوم استشهاده جالسة أشاهد قناة أبو ظبي الفضائية حيث رأيت على شاشة التلفاز جثة هامدة بعد أن أطلق الجنود الإسرائيليون النار عليه، ولم أكن أعرف أنه ابني ولكن قلت: «يا حرام هذا الشاب قتلوه اليهود». وتقول أم رياض كان رائد أحب أولادي إلى قلبي، وكثيرا ما كان يحضر إلى غرفتي في المنزل ويسلم عليّ ويقبّل يدي ويطلب رضاي»، وتضيف: كثيرا ما كان يذهب لقبر أخيه الشهيد أحمد ويبكي بجانبه حيث كان يقول: «لقد ذهب أحمد وتركني وحيدا، يجب أن الحق به؟!

وكانت عائلة أبو رياض قد هجرت من أرضها التي احتلت عام ١٩٤٨ من قبل الصهاينة حيث عانت البؤس مثلما عانى آلاف اللاجئين.

ويتذكر أبو رياض شيئا من تلك الأيام حيث قال: «أثناء الرحيل من مدننا وقرانا عانينا الأمرين وفي الطريق ونتيجة التعب والعطش الشديد اضطر الكثير من الناس للشرب من مياه الأمطار التي تجمعت بين صخور الجبال وحفرها، وكان الماء وسخا ومليئا بالحشرات والديدان، وأضاف أبو رياض: «سكنا في البداية في مخيم عقبة جبر القريب من مدينة أريحا لمدة عامين ثم انتقلنا إلى العديد من قرى رام الله مثل نعلين وبيتللو، قبية وكانت المعاناة ترافقنا في حلنا وترحالنا».

ثم صمت أبو رياض قليلا وقال: لقد أخذ اليهود كل بلادنا وهذا كله بسبب خيانة وتواطؤ الأنظمة العربية التي كانت تردد في تلك الفترة أن رحيلنا عن أرضنا سيستغرق أسبوعا على الأكثر وبعد ذلك ستحرر هذه الأنظمة أرضنا وتعيدنا إليها لكننا عرفنا الحقيقة وقطعنا الأمل في هذه الأنظمة التي تقول الشيء الكثير، ولا تفعل شيئا منذ النكبة حتى الآن. وأضاف «حاليا الفلسطيني لا يستطيع السفر إلى أي بلد عربي بسهولة فمن الممكن أن يبقى أياما في المطار وممكن أن يطرد أو يعود على نفس الطائرة من حيث أتى».

وقال: «بعد كل هذه التنازلات التي قدمناها ما زالت إسرائيل تتدلل فلا نرى منها إلا الحرب والعدوان».

وأبدى أبو رياض تفاؤله بحتمية انتصار الشعب الفلسطيني حيث قال: لا بد أن يأتي

زمن وجيل يصنع النصر والحرية لفلسطين مهما زادت إسرائيل من عدوانها وحربها ولا بد أن يأتي ذلك الزمن».

استشهد قبل أن يرى مولده البكر

كان فراس على موعد مع الشهادة في الثاني عشر من آذار فغاب عن الدنيا دون أن يرى مولوده البكر. لكن ذكراه لن تنطفئ من ذاكرة زوجته ووالديه وأصدقائه، وستفخر به الأمة كغيره من الشهداء الذين سقطوا برصاص الغدر والإرهاب، وهكذا قضى شهيدا تاركا جسده الطاهر في دنيا تعصف بها القوى البغي والشر.. لكنه باق تقول زوجته نورا لدى وصولهم المنزل قادمين من المستشفى سقط والداه على الأرض ولم يتحملا الصدمة، حينها عرفت أن يد المنون اختطفت أغلى إنسان في حياتي، فراس اقترنت نورا من فراس قبل أربعة أشهر، وصادف عقد قرانها حينذاك تاريخ ميلادها وهي الآن حامل في الشهر الرابع. وبلغت سعادة فراس قبل استشهاده لدى معرفته بحمل زوجته وانتظر قدوم طفله للدنيا بشغف.

تحدى فراس كل الخطوط الحمراء ليجلب رغيف الخبز لأسرته بعد أن نفذ البيت من الطعام خلال اجتياح العدو لمدينة رام الله واحتلال القسم الأعظم من أراضيها لم يكن فراس ممتشقا سلاحه، فهو كغيره من الفلسطينيين الذي ذهبوا ضحية العدوان لدى وصوله مدرسة الجنان في بلدته بيتونيا أطلق عليه جندي احتلالي رصاصتين في الكتف والصدر.

وتروي نورا قصة اللحظات الأخيرة قبل افتراق الحياة والشهادة، وتقول «هم بمغادرة المنزل حينها طلبت مرافقته فرفض خوفا على حياتي مبررا ذلك بعدم قدرتي على المشي في أرض تحذوها المخاطر قبل أن يصعد إلى سيارته أصر على وداعي وكأنه كان يحس ما يخبئ له المجهول، ولأن مورد رزق فراس كان من عمله على سيارته فإن إغلاق الطرق بالحواجز آثر موارد الأسرة وتقول أم نادر والدة الشهيد فراس كان مرحا ومتفائلا لا تشغله مشاغل خاصة لكن معاناته مثل الآخرين العدوان وإغلاق الطرق بالحواجز العسكرية التي تعيق تنقل الناس بأمان بين منطقة، وأخرى والحزن لفراق الشهداء».

«إنا لله وإنا إليه راجعون» كلمات مفعمة بالإيمان نطقت بها الأم الثكلى لأول وهلة من سماعها نبأ استشهاد فلذة كبدها «كان دائما يقبلني قبل مغادرته المنزل، كثيرا ما كان

يعود من سيارته بعد فطنة، مرة التقى بأمه في رام الله.. أوقف سيارته وسار بخطة حثيثة متجها نحوها ثم قبل يدها وجبينها، وبعد أن فرغ من ذلك صاح في أصحابه الذين كانوا في عجلة من أمرهم وهو في نشوة الحنان كما عطف الأم «هذه أمي»، ورغم الشعور بلوعة الفراق يحث والده الناس على الصمود والتصدي للعدوان.

ويقول: «جيل الحاضر أشجع من جيل الماضي الذي رحل قسرا عن الديار، لو أستطيع حمل السلاح في عمري هذا فلن أتوانى عن ذلك أطلب من الله أن يمنحني القوة لأقدم شيئا لوطني يقول أبو نادر والد الشهيد فراس.

رحل فراس تاركا ذكرى طيبة في أذهان أسرته وبانتظار الوليد الوحيد قد تستعيد زوجته ووالداه قسطا من العطف والحنان، ليكتمل بحبهم له عضوا عما فقدوه للتجسد ذكريات الأب فراس في طفله المنتظر حمزة الاسم الذي اختاره الجد.

من يعرف مهند أبو الحلاوة؟

بدأ الليل يغشى المدينة ولم تعد مروحيات الاحتلال مرئية في السماء قبل أن تطير على سيارة استقلها مهند أبو حلاوة، وعدد من رفاقه في كتائب شهداء الأقصى. فجأة أطلقت مروحية إسرائيلية صاروخا، بينما كانت تحلق فوق البيرة مع خمس أخريات ولوحظ شهاب ينبثق من السماء وبعدها سمع صوت انفجار في المكان فصار مهند ورفاقه وشما فوق فوهات البنادق.

ولد مهند سعيد منيب أبو حلاوة (٢٥ عاما) في مدينة الزرقاء حيث اضطرت أمه للعيش هناك قسرا، لاجئة من عقربة (٨ آلاف نسمة) القرية التي أنجبت أمهاتها عبد الله البيروتي أبو حلاوة الذي عرف بلقب «أبو بارودتين» لمقاومة الاستعمار البريطاني خلال ثورة عام ١٩٣٦م.

في تلك الأيام التقى أبو حلاوة «الجد» بخميس العقرباوي وفرحان السعدي وفخري عبد الهادي، وجميعهم التحقوا بتنظيم القسام وقرروا المضي في الثورة.

هؤلاء من الرعيل الأول وجذور الثورة الفلسطينية هبوا لمساعدة الثوار في منطقة رام الله والبيرة حيث ألحقوا هزيمة بالمستعمرين الإنجليز وتباهت بنضالهم النسوة فرددن أهزوجة : «أنا وخوي عبد الله ..حررنا البيرة ورام الله».

مفارقة غريبة تفصلها ٦٦عام خلت ثوراتها الأحفاد فاختزلوا الزمن وقصروا المسافة

في نفس المكان «رام الله» واستشهد مهند حفيد عبد الله .

عاد الطفل مهند ابن الست سنوات ترافقه جدته فلامست قدماه أرض عقربة وترعرع في أزقتها وأبنيتها التي عاش فيها أجداده حيث لا أقارب فالعائلة مشردة من القرية، عاش حياة قاسية، فكان أن لفت شخصيته بالصمت وحملت نظراته الحادة المعاناة في كنف العجوز.

التحق «بالقوة ١٧» أمن الرئيس عرفات مع بدء عودة المناضلين إلى أرض الوطن وبسط السلطة الوطنية سيادتها على جزء من أرض فلسطين بعد توقيع اتفاق منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.

يقول رفاقه : إنه انتزع من على وجهه المعاناة فتحولت إلى مقاومة صلبة وعكست عذابات الطفولة أما المستقبل، فغدا قائدا ممن أطلقوا رصاصات كتائب شهداء الأقصى ضد الغزاة.

في تلك الأثناء عرف عنه الجرأة وهدوء الأعصاب خلال صنع القرار تحت شجرة زيتون هو وزميله أحمد الذي سبقه في نيل الشهادة وخالد الذي أقعدته رصاصات غادرة أصابته في الظهر.

ولم يتوانِ عن مد جسر التواصل مع أمه في المنفى وحرص على مهاتفتها في كل يوم لتعلقه بها منذ نعومة أظفاره.

وفي المرة الأولى (٤ آب) من العام الماضي نجا من محاولة اغتيال قبل عدة أشهر حين أصاب صاروخ أطلقته طائرة إسرائيلية من نوع أباتشي السيارة التي يستقلها مباشرة، ولنباهته قفز من النافذة قبل عشر ثوان من إطلاق صاروخ آخر فنجا بأعجوبة لكنه أصيب بحرق في وجهه.

ذات مساء وفي كل مساء رصدت الطائرات مكانه وتعقبه الجبناء، وعلى طول المسافة على الشارع إلى بيتونيا كانت المروحيات الست تتربص بسيارته، فكان الصاروخ الأول أصابها مباشرة، ثوان قليلة تبعه صاروخ آخر فحولها إلى كتلة حديد تقطر دما اختلط لونه بلون دخان أبيض داكن اللون ينساب على الأرض.

مهند وفوزي وعمر صعدوا بيارق إلى السماء، أما جثامينهم فحملت على الأكف إلى مسقط رؤوسهم، ولدى وصول جثمان مهند إلى قرية عقربة التقت قرى المشاريق قادمة

من كل حدب وصوب لتشييعه، عشرة آلاف شيوخا ونساء وأطفالا ساروا خلفه وعلى السهل الممتد بمحاذاة قاع تلتقي عنده الجبال الراسخة فوقها منازل عقربة حلقت العيون نحو الأفق محاولة الإمعان في سماع صدى الهتافات الذي تردد.. كتائب.. كتائب.. وكأنها افترشت أرضا في فصل ربيع حار ابتلعت لحنينها وتبلل حذاؤه بطينها.

المجزرة التي لم يشاهدها ولم يعترف بها العالم!!

ليس من باب الصدفة أن تجتمع آراء الموفدين السياسيين الدوليين الذين قاموا بزيارة مخيم جنين على الوقف ذاته، الدمار الشامل الذي تخلقه غير الزلازل والكوارث الطبيعية، فلا يمكن لجيش منظم آلة الحرب أن يترك الأثر الذي تركه جيش الاحتلال في مخيم جنين ذلك المكان الذي غابت ملامحه، واستبدلت بركام المنازل وبقايا التدمير التي هدمت على رؤوس ساكنيها، الذين صاروا جثثا تحت ركامها أو في شوارع المخيم، فما إن تدخل إلى هذا المكان المنكوب حتى تنتقل إلى عالم آخر، عالم لا ترى فيه إلا الجثث التي تناثرت في كل مكان، تلك الجثث التي أصبحت دون ملامح بسبب هذه الآلة المسعورة التي أفرغت حقدها في السكان المدنيين على مدار حوالي أسبوعين كاملين. ففي مساء الثاني من شهر نيسان ٢٠٠٢ وكما يقول أحد الضباط في المخابرات العامة «على أسعد دمج»، بدأت دبابات الاحتلال الإسرائيلي بتطويق المخيم من جهاته كافة وذلك من أجل تصفية الحسابات حسب ما يدعون، وبقي الحال هكذا حيث استمرت الاشتباكات في الحارة الشرقية من المخيم والغربية، وفي الأيام الأربعة الأولى صمد المخيم دون أن يستطيع أي جندي احتلال من دخوله، وفي اليوم الخامس جاء موفاز بطائرته التي حلقت في سماء المخيم يوما كاملا، واستبدل الجنود الذين كانوا يقومون بالحملة، وأصدر أوامره بتكثيف الحملة واستعمال (البلدوزرات الضخمة) التي كل واحدة منها بحجم خمس دبابات، قامت هذه البلدوزرات بفتح شوارع المخيم بعرض (١٠ أمتار)، وخلال خمس دقائق تمكنت هذه الآلات والتي قدر عددها بـ ٥٠ تمكنت من هدم ١٠ منازل وتسويتها بالأرض، وبعد ذلك بدأت الحملة الشرسة والتي ابدأها ١٠٠٠ جندي احتلال نزلوا إلى منزل الشهيد محمود غريب وهو مواطن عادي حيث قتلوه عن قرب وبدم بارد وأصابوا والده بجروح، وبعد ذلك استمروا في فتح الشوارع حيث وصلوا إلى «حي الرمك» حيث كانت هذه الجرافات تأخذ كل ما يأتي بوجهها، إلى أن وصلوا إلى جامع الأنصار الذي لم يراعوا قداسته، ودخلوه ودنسوه ودمروا محتوياته، وحولوه إلى ثكنة عسكرية وفي اليوم السادس هدموا حارة أبو سامر

الغول وجيرانه وكذلك هدموا المخبز الموجود في المخيم، ووصلوا إلى حارة الحواشين، حيث حدث الفخ الذي قتل فيه ١٣ جندي احتلالي حسب زعم إذاعتهم، الأمر الذي أدى إلى مضاعفة القوة، وزيادة عدد الدبابات والجرافات التي كانت تعد بالمئات، وبدأوا باستخدامها بشكل أكثر شراسة حيث تمكنوا خلال ثلاثة أيام من تدمير ١٥٠ منزلا، وتشرين ١٢٠٠ أسرة.

وفي مساء يوم الأربعاء وبعد حوالي أسبوعين من الاجتياح توقفت أعمال المقاومة بسبب نفاذ الذخيرة المتواضعة التي كانت بحوزة الشبان في المخيم، وبقي المخيم مغلقًا عن العالم لمدة ثلاثة أيام أخرى حيث كان جنود الاحتلال يعيشون خرابا في الشوارع والبيوت من جهة وكانوا يهيئون العالم، ويحاولون إخفاء جزء من معالم الجريمة من جهة أخرى عن طريق إخفاء الجثث وأخذها إلى خارج المنطقة، وخلال هذه الأيام الثلاثة دمروا المنازل بشكل كامل وقاموا بزرع الألغام بشكل عشوائي بين الأنقاض وفي الشوارع، حيث أن هناك ما زال العديد من هذه الألغام تنتظر ضحاياها، وبعد ذلك سمح وكما يعلم الجميع لطواقم الصحافة والإسعاف بدخول المخيم، وفي اليوم الأول من هذا السماح أصيب طبيب من الناصرة حيث بترت ساقه بسبب أنه داس على لغم إسرائيلي وكذلك أصيب صحفي إسرائيلي بنفس الحادث، وقام الجنود الإسرائيليون بأخذ ٤٨ جثة إلى خارج المخيم، وبعد ذلك أعادوا خمسة منها، ولا زال المئات مفقودين لا يعرف مصيرهم هل هم شهداء تحت الأنقاض، أم معتقلون في زنازين الاحتلال!!

يقول عضو المجلس التشريعي رئيس لجنة اللاجئين والطوارئ في المخيم أن ما حدث هو عبارة عن مجازر للسكان قتل وإعدامات بدم بارد وهدم للمنازل، فمخيم جنين والذي يسكن فيه أكثر من ١٣ ألف نسمة جمعهم الشتات من ٥٨ قرية في الداخل هاجروا منها عام ١٩٤٨ حيث سكنوا فيه ٢٤٥٠ أسرة، قامت قوات الاحتلال بمطاردتهم داخل المخيم شردتهم، وأفزعتهم وقتلتهم أمام كل المحافل الدولية التي لم تحرك ساكنا، فأصبح هناك ١٢٥٠ عائلة بلا مأوى حيث أسفرت هذه الجريمة عن تدمير ٦٥٠ منزلا وهذه الإحصاءات للأمم المتحدة، وهذه البيوت مكونة من أكثر من طبقة، حيث وبسبب ضيق المساحة لجأ السكان إلى الاتساع العمودي فمعظم هذه المنازل كانت تأوي من ٣- ٥ عائلات.

وعملية القتل الوحشي طالت السكان المدنيين دون تمييز أو تفريق حيث شهد

المخيم أثناء فترة الاجتياح قتل لكل شيء يتحرك وهناك أدلة تفند الكذب الإسرائيلي وادعاءات السياسيين الإسرائيليين عن عدم قتل المدنيين، فمثلا، ومنذ أكثر من ٥٠ سنة أصبح اسم يسرى المجنونة متداولا في المخيم. والكل يعرف أن هذه السيدة التي تبلغ من العمر أكثر من ٥٠ سنة مجنونة، لكننا وجدنا جثتها وقد قتلت، حيث إنها أصيبت بصاروخ أدى إلى حرق جسدها، وكذلك فإن كل من بقي من سكان المخيم أثناء العملية استخدموا كدروع بشرية وهذا العمل محرم في كل القوانين وفي كل شرائع الحرب.

ويضيف الشاتي : إنه بدأت لجنة الطوارئ بنصب الخيام لإيواء السكان، الذين باتوا دون أية خدمات حيث لا يوجد كهرباء أو مياه أو صرف صحي، وناشد الشاتي المحافل الدولية أن يبعثوا قوات دولية لحماية الشعب الفلسطيني الأعزل من آلة الحرب الإسرائيلية الأمريكية.

يقول عضو المجلس التشريعي فخري التركمان: لا زالت الوفود الأجنبية تتوافد على المخيم لتطلع على المجازر والجرائم التي نفذتها إسرائيل حيث رأوا ما رأوا وقالوا: إن ما حدث ليس حربا أو زلزالا، فهذا أكبر من الحرب والزلازل فكل شيء دمر. لم يسلم الحجر ولا الشجر ولا البشر، فالتخريب والدمار شاملان، واستخدمت إسرائيل أبشع أنواع الأسلحة لمواجهة وقتل أطفال المخيم، وسكانه المدنيين ولكنه بعد هذا الاجتياح هب أبناء المخيم لمواجهة هذه الكارثة من خلال لجان الطوارئ المنبثقة عن لجنة الطوارئ العليا حيث تقوم بمحاولة إيواء الأسر في مدينة جنين وخارجها ونعمل على تزويد هذه الأسر والعائلات باساسيات الحياة من فراش وغاز وغير ذلك. هناك مئات الأسر لا زالت دون مأوى ولا زال البحث عن الجثث قائم، الإمكانيات البسيطة جدا، بسبب منع إسرائيل إدخال آلات ثقيلة إلى المخيم وإسرائيل منعت بعض طواقم الإنقاذ الأوروبية التي وصلت إلى مشارف المخيم من الدخول، ولا زال هناك جثث متحللة تحت الركام، وهناك أشخاص معروفون لدينا بالاسم، وهم لا زالوا مفقودين ولا ندري هل هم تحت الركام أم معتقلون، ولكن كل ما نستطيع أن نفعله هو إيصال التبرعات وتوزيعها على كل مستحقيها بطريقة نحاول من خلالها ألا نستثني أحدا.

وحول إعادة بناء المخيم يقول التركمان: هناك أفكار متعددة لإعادة البناء، ولكن نحن نطلب إعادة بنائه كما هو، وذلك حفاظا على الموقف والموقع السياسي للاجئين فنحن نرفض أي توطين لنا في هذه المخيمات والكل يعرف حساسية هذا الموضوع.

يقول د. أبو غالي: بدأ الناس يحاولون العودة إلى الحياة الطبيعية ولكن الكارثة أكبر من محاولتهم، أنهم يعيشون أوضاعا صحية ونفسية صعبة للغاية، حيث هناك حالات مرضية غريبة ظهرت لدى الأطفال والشيوخ بشكل خاص وهذا مرده إلى ما جرى. هناك الكثير من الجرحى غادروا المستشفى حيث حالتهم تسمح بذلك وهناك عدد لا بأس به لا زال تحت العلاج، بسبب إعاقة إسرائيل وصولهم إلى المستشفى مما أدى إلى تعقيد أوضاعهم الصحية، حيث نزفوا كثيرا، وهناك بعض الجرحى كان يجب معالجتهم على الفور، ولكنهم مكثوا أسبوعين على حالهم، وتقوم اللجنة الطبية العليا للطوارئ بجمع الجثث المتعفنة ودفنها، وستقوم برش المخيم بالمواد اللازمة خشية تفشي الأمراض المعدية. وتقوم دائرة القسم الوقائي في الصحة بعملها للحد من ظهور أي وباء رغم الظروف الحربية السيئة ولكننا نقوم بأقصى جهد ممكن للحد من ذلك، هناك كثير من الأعمال علينا القيام بها، ولكن الموضوع الأكثر خطورة هو أن هناك جثثا لم يتعرف عليها أحد وهذا دليل أن هناك عائلات أبيدت بالكامل، المفقودون بالمئات- يضيف أبو غالي- وهذه إشارة إلى أنهم شهداء أو معتقلون والمشكلة أيضا أن هناك ألغاما لا زالت مزروعة في المخيم تعيق أعمالنا، حيث هناك ١٤ إصابة وعدد من الشهداء بسببها وقد أكد خبراء أوروبيون وأجانب أنها إسرائيلية الصنع، وقد كانت نسبة الشيوخ بين الشهداء ٢٤٪ والمدنيين ٦٨٪ وحتى الآن هناك تأكيد على استشهاد شخصين معاقين عقليا.

فيما طالب رئيس بلدية جنين العالم بالتحرك السريع من أجل وقف المجازر ضد أبناء الشعب الفلسطيني وطالب بوجود قوات دولية لحماية الشعب الفلسطيني، وأكد أن ما حدث ما هو إلا الوجه الحقيقي للاحتلال الذي قابل خيار السلام العربي بالمجازر، وأضاف أن مخيم جنين يرفض أية مساعدات أمريكية لأن إسرائيل نفذت حملتها المسعورة ضد المدنيين الفلسطينيين بسلاح أمريكي وقال: إننا نرفض هذه المساعدات حتى تتوقف الآلة الأمريكية عن مساعدة الجيش الإسرائيلي.

***

لحظات لن تنسى من مشاهد الموت الإسرائيلي في حي الدرج بغزة

في واحدة من أبشع جرائمها اقترفت إسرائيل مجزرة استهدفت مجمعا سكنيا بحي الدرج في مدينة غزة وأدت إلى استشهاد «صلاح شحادة» القائد العسكري لحركة «حماس» و١٥ آخرين معظمهم من الأطفال والنساء وجرح نحو ١٧٦ مواطنا، وقد

قطعت حكومة شارون بذلك إعلان كان مقررا في صبيحة المجزرة وقف إطلاق النار بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي بما يشمل جميع التنظيمات ووضع حد للعمليات التفجيرية إلا أن الجريمة الإسرائيلية اغتالت هذه المبادرة التي كانت ستؤدي إلى وقف قتل المدنيين الإسرائيليين.

وأكد المصادر أن حركة فتح قدمت مبادرة وافق عليها الرئيس ياسر عرفات، ووافقت عليها حركة «حماس» كان مقررا لها أن تعلن في اليوم التالي من الهجوم البربري، واعتبرت المصادر أن توقيت الغارة كان مقصودا من جانب الحكومة الإسرائيلية وخاصة رئيسها أريئيل شارون لنسف المبادرة الفلسطينية التي كانت ستخرج شارون وحكومته وتزيد من الضغط الدولي عليهما وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للمدن الفلسطينية والعودة إلى طاولة المفاوضات.

ولكن الحكومة الإسرائيلية أصرت على تجديد الأحزان وإلحاق المزيد من القتل لشعبنا في غزة لتختلط دموع مودعي شهداء المجزرة البشعة مع العرق في صيف غزة الحار وما أن وضعت جثامين الشهداء بمستشفى الشفاء، حتى تهافت المواطنون الغاضبون نحو الشهداء للتعبير عن غضبهم نحو إخوتهم الذين راحوا ضحية الغدر الإسرائيلي جراء قذيفة إسرائيلية أطلقتها الطائرات الحربية من طراز إف ١٥ عن سبق وإصرار وترصد لقتل المواطنين، وخاصة الأطفال والنساء لتعيش منطقة الدرج في غزة أسوأ ليلة في تاريخها القديم والحديث.

الساعة الأولى من فجرى يوم الثلاثاء، وفي البناية السكنية بمن فيها من أطفال ونساء وشيوخ نيام، اعتقدوا أن منازلهم قد تقيهم يوما نيران الغدر الإسرائيلية، ولكنها تحولت إلى ركام في لحظات عابرة إنه الموت المحقق للأطفال والنساء، تقول ماجدة المدرسة التي تسكن حي الدرج لقد بدأت استعد أنا وأولادي للنوم لاستقبال يوم جديد من أيامنا الحزينة ولكن لم أتوقع الذي جرى في تلك الليلة المرعبة. كان السكون يسود المنطقة بأسرها والهدوء يلف البيوت ولكن في لحظة واحدة سمعت دوي انفجار لم أسمعه من قبل اهتزت الأرض وما عليها وسقطت نوافذ المنزل من حولنا ودخل الغبار المنزل بصورة جنونية إنه تجاوز من أفلام الرعب، وسرعان ما اندفعنا أنا وزوجتي إلى الخارج لنشهد صورا لم نشهدها من قبل البيوت تحولت إلى ركام، والكل يصرخ إنها ليلة مرعبة حقا، محمد إبراهيم مطر (٤٨) عاما إصابته شظية في العين وحروق بالأقدام قال: إن

الليل بدا هادئا في تلك المنطقة المكتظة بالسكان، وبعض أفراد أسرتي بدؤوا يستعدون للنوم ولكن سرعان ما دوي انفجار هائل لم أسمع مثله من قبل وبعدها لا ادري ماذا حصل لأنني صحوت في المستشفى حيث أصبت بعدد من الإصابات جراء شظية أصابت عيني ولا يزال الحزب والرعب يلف معظم أفراد أسرتي حيث استشهد عدد من الأطفال وكانت أصغرهم دينا رائد مطر لا تتعدى الشهرين من عمرها، ويقول محمد مطر الذي أدخل مستشفى الشفاء بغزة أن إسرائيل لا تعرف إلا القتل فهي ماضية في قتل وحصار شعبنا ولكن إننا لن نركع ولن نخضع مهما طال الزمن حتى تحرير أرضنا وإقامة دولتنا فلسطين بقيادة الرئيس ياسر عرفات.

وخلال الجولة التي قامت بها «فلسطين» صبيحة الغارة المشؤومة فقد رصدت ما يدور في مستشفى الشفاء عن قرب فقد شاهدنا المشرحة التي احتضنت الشهداء في المستشفى تحولت إلى مزاد لآلاف المواطنين الذين زحفوا لإلقاء نظرات الوداع على الأشلاء التي اختلطت بعضها ببعض، فما عاد ممكنا في بعض الحالات التمييز بينها أهي لأم قضت وأطفالها أم لأب مات قضى وزوجته وأولاده.

احتشد المواطنون على أبواب المشرحة واختطفوا في طابور منتظرين دورهم لإلقاء النظرة الوداعية، في بعض اعتلى عشرات الأطفال سطح المشرحة يوزعون نظراتهم بين المواطنين الزاحفين إلى المستشفى وبين النسوة اللاتي انشحن بالسواد وكتمن أفواههن وجلسن على يمين المشرحة على أمل الحصول على لحظة لإلقاء نظرات الوداع، أما الذين ساعدهم الحظ فدخلوا إلى المشرحة، فسرعان ما كانوا يخرجون، وقد غمرهم العرق، وارتدت رموشهم بدموعهم عاجزين عن وصف ما شاهدوه في المشرحة احتضنت أكثر من ألف شهيد هم مجموع ضحايا القتل الإسرائيلي خلال الاثنين والعشرين شهرا الماضية.

ويحتاج الزاحف إلى المستشفى لقطع نحو مائة متر، هي المساحة اللازمة للوصول إلى المشرحة إلى ثلاثة أرباع الساعة، لشدة ازدحام المكان بالمواطنين واصطفت عشرات سيارات الأجرة والخاصة على طول الطريق الواصلة من المفترق عند باب المشفى وحتى مثلث مركز رشاد الشوا الثقافي، وقد خلت من ركابها وسائقيها، فهذا سائق سيارة للأجرة امتنع عن كسب قوت صغاره كي لا يفوته واجب وشرف المشاركة في تشييع الجثامين وذاك صاحب السيارة الخاصة تركها منذ الصباح، ليصطف في طابور

إلقاء نظرة الوداع على باب المشرحة.

وخارج المستشفى حيث شوارع مدينة غـزة الحزينـة، أطلقـت سيارات السـيارات أبواقها، وكأنها أبت إلا أن تشارك أهلها فجيعتهم في أطفالهم الشهداء وأمهاتهم.

وعلى يمين ويسار السيارات كان أصحاب المحال التجارية واقفـين يراقبـون حركـة السيارات والمارة في الشوارع، وقـد خلـت محـالهم مـن المتسـوقين إلا أن كـانوا مـن الباحثين عن ثياب الحداد.

ومن المساجد تعالت أصوات مكبرات الصوت ترتل آيات من الذكر الحكيم.

ولا يختلف حال أرض غزة، عن سمائها، فقد غطت الغيوم سماء المدينة وأصبحت الشمس عن الظهور لبعض الوقت. لتسقط بعض قطرات المطر معانقـة أرواح الشـهداء على أمل أن تلطف من حرارة الصيف إلا أن الشمس عادت لتسطع مـن جديـد في سـماء المدينة، ولترفع الحرارة في تموز الحار بطبيعته وتزيـد مـن صـعوبة التمييـز بـين دمـوع البكاء والعرق، في صيف غزة الحارق.

بستان المقاطعة الدامي يطرح ثمار النصر في عشرة أيام خالدة:

من أروع عبـارات الكاتـب الروائـي الأمريكـي أرنسـت همنجـواي، قولـه في روايـة العجوز والبحر أن الإنسان قد يدمر ولكنه لا ينهزم، فهذه الحقيقة الناصعة تتبـدى بكـل جلاء ووضح في ذلك الموقف الذي تكشـف عنـه أحـداث الهجـوم الأخيـر عـلى مقـر الرئيس عرفات في المقاطعة.

كانت مظاهر الـدمار والعنـف في كـل مكـان وبـدت أنقـاض المبـاني وسـط الركـام والخراب والدخان وسحب الغبار، صورة ناطقة معبرة تجسـد صـلف الإنسـان وقمعـه وغروره وبطشه ورغبته البربرية في تحطيم أخيه الإنسان الـذي لم يرتكـب أي أثـر سـوى رغبته في الحرية والكرامة والعدل.

مشاهد الدمار الرهيبة وساحات مكتب الرئيس تعكس حقيقتين متداخلتين ناصعتين الأولى صورة التعصب والحقد والكراهية والموت الذي يطب من كل زاويـة ومـن كـل أثر، والثانية صورة البطولة والشـجاعة والثبـات التـي تجلـت في أولئـك النفـر الباسـق وقائدهم الشجاع الذي عبر حواجز الخـوف والقلـق وتحـدي أشـباح المـوت ورمـوز الغناء.

وخرج من وسط الركام في صورة فارس يبتسم رافعا يده بإشارة النصر، نافضا عنه وعن أبناء شعبه غبار الموت وسحب الحدق، ورموز الشر والكراهية والحماقة.

يحاول كثير من المراقبين والدارسين والإعلاميين إرجاع هذا النصر الباسل الذي حققه جنود الحق وزعيمهم في الحصار الأخير إلى عاملين رئيسين أحدهما هذه الصحوة الجماهيرية التي انطلقت في الليل الفلسطيني من شتى أنحاء الوطن الجريح فأعلنت بصراحة وجرأة وإجماع عن حبها وولائها وإخلاصها للزعيم القائد، والعامل الثاني هو الضغط الأمريكي الذي مارسته الإدارة الأمريكية على الحكومة الإسرائيلية ولكننا نؤكد أن عامل النصر كان واحدا وحيدا وهو صحوة الجماهير وغضبتها المقدسة. لأن صور هذه التظاهرات العبقرية العفوية في تلك الساعة من الليل، هي التي أيقظت ضمير العالم وهي التي هزت الضمير الأمريكي وأيقظته من غفوته ودفعته إلى ممارسة الضغط على أركان السلطات الإسرائيلية فالضغط الأمريكي إذن نتيجة وليس سببا.

السبب الحقيقي هو عنفوان الشعب الفلسطيني هو سطوته وجبروته وقوته عندما يتحدى مظاهر الخوف والموت والجوع والحصار وينطلق في ثورة شعبية جارفة، فإنما صورة للموت والرصاص متحديا رموز البغي والقهر والعدوان.

كان منظر العلم الإسرائيلي الذي زرعته يد الحق والكراهية فوق مبنى المقاطعة يحمل رسالة مؤلمة إلى وجدان كل فلسطيني، كان شوكة حادة ونصلا مسموما ملتهبا في قلب كل فلسطيني كان هذا العلم يعني أن منطق القهر والقوة الغاشمة والبغي هو الذي يسود عالم اليوم وهو المنطق الذي لا بد أن ينتصر، ولكن سرعان ما أطل الرئيس عرفات من بين الأنقاض والجدران المحترقة وأكياس الرمل المكدسة، سرعان ما أطل بوجهه المشرق وابتسامته الصافية وملامحه الوديعة التي تكسوها قسمات الفرح والانتصار أطل الرئيس على الجماهير متعبا ولكن سعيدا مرهقا ولكن راضيا مكدودا ولكنه قويا واستقبل في سعادة ورضا مشاعر أبناء شعبه الجارفة الفياضة وألقى بناظريه إلى العلم الفلسطيني الذي عاد يرفرف في سماء رام الله عزيزا نظيفا مشرقا بعد أن رفعه أحد جنودنا على سلاحه ليثبته فوق مبنى القيادة الفلسطينية . الذين يعرفون الرئيس حق المعرفة يؤكدون أنه يزدهر في المواقف الصعبة وتستيقظ كل ملكاته ومواهبه في أقسى الظروف، ويبدع في المواقف العبقرية التي يقترب فيها مواكب الموت وحيث تتصاعد الأزمات وتصل إلى ذروتها في مثل هذه المواقف الصعبة لا يفقد الرئيس توازنه، ولا يسمح

لأعصابه بأن تخونه يظل ثابتا مؤمنا قويا بحيث تفجر فيه أزمة قوى وطاقات خلاقة عظيمة قد تجلت هذه الحقيقة عشرات المرات على امتداد حياة الرئيس وهو ما حدث في ذلك الحصار المؤلم الذي رواد فيه العدو الرئيس عن نفسه وأصحابه وجنده فرفض بفروسية الجندي وبسالة القائد أن يسلم أيا من رفاقه العشرين بل أنه بث في نفوس كل من حوله الصبر والثبات والقوة وعندما انجلى غبار المعركة، أطل على الجماهير بإشارة النصر مؤكدا بلغة فصيحة ومفردات واضحة الدعوة إلى وقف إطلاق النار لم يدع للنار ولا للانتقام ولا للحرب، وإنما خاطب العالم كله بأسلوب القائد المتحضر الذي نال جائزة نوبل للسلام، فدعا لوقف النار كأنه يجسد صورة الشعب الفلسطيني المحب للسلام في مقابل صورة الآخر الذي يدمر ويقتل ويحاصر ويساوم ويبتز.

ما حدث في هذا الحصار الأخير يفوق كل وصف أنه صورة ناطقة للظلم والقهر والاضطهاد والبربرية، صورة تفوق خيال أي كاتب من كتاب سيناريوهات الغرب الأمريكي في أفلام هوليود، صورة تجسد ما حدث ذات يوم بعيد في سحب الباستيل الذي انهار على يد فرسان الثورة الفرنسية، وبعد أن أصبح رمزا خالدا لانهيار كل معاني الظلم والقهر.

في كل مكان وموقع من معالم المقاطعة وفي كل ركن من أركان مكاتب الرئيس كنت تشاهد مظهرا من مظاهر القهر والظلم والعدوان أكثر من مائتين وخمسين إنسانا حوصروا في مساحة لا تزيد عن أربعمائة متر مربع طوال عشرة أيام،يأكلون الزاد ويشربون بجرعات من المياه يمضون حياة ملؤها الألم والمعاناة ينامون واقفين ويأكلون ويشربون ويعيشون بالتناوب وفوق رؤوسهم وحولهم في متناولهم رصاص الموت وأصوات الجرافات العملاقة التي تملأ الجور رعبا وخوفا وتوجثا وانتظارا رهيبا.

وعندما فجر الإسرائيليون العمارات المجاورة في ليل يوم السبت الرهيب، أدرك المحاصرون أن ساعة النهاية قد دقت وشعروا بأنهم ميتون لا محالة.

فالمبنى الذي يجتمعون فيه ينهار عليهم خلال لحظات قليلة ورغم ذلك فإن أحدًا لم يفكر بالخروج أو الفرار بقي الجميع متضامنين متوحدين.

في تاريخ الشعب الفلسطيني فصول رائعة من النضال العبقري، ومواقف تشهد بأن المناضلين دفاعا عن الحق الفلسطيني إنما هم جنود حق وعدل ولكن هذه الأيام العشرة التي تستحق أن يكون عنوانها انتصار عرفات ستحمل فصلا هاما من فصول

النضال الفلسطيني.

فقد تحدث نفر قليل من أبناء هذا الشعب، وهم مجردون من أي سلاح سوى سلاح الإرادة، تحدوا مظاهر القوة والبغي والعدوان وانتصروا على رمز الشر والغطرسة وذلك لإيمانهم بعدالة قضيتهم وصدق توجههم وشرعية مطالبهم.

مرة أخرى انتصرت قوة الإرادة على إرادة القوة فالطرف المحاصر الأعزل المجرد من مفردات القوة والسلاح ينتصر ويخرج محفوفا بهالات الفخر والعزة في مشهد من العالم كله وباعتراف صريح من كافة وسائل الإعلام والمراقبين والساسة.

نصر عرفات الأخير في بستان المقاطعة الدامي بعد عشرة أيام دامية يؤكد أنه لا يصح إلا الصحيح ولا يمكن تزييف حقائق التاريخ ومعطياته، وقد تكون الخطوة التي قطعها الرئيس عرفات في هذه الموقعة قصيرة أو صغيرة ولكنها خطوة في الاتجاه الصحيح خطوة في مشوار الألف ميل ذلك المشوار المحفوف بالأشواك والصخور والدمار والضحايا وركام المباني وشظايا القنابل وغبار الدمار، ولكنه انتقل حقا إلى حيث زهرة وشبل من فلسطين الغالية يحاولون اجتياز الأسلاك الشائكة والعبور إلى أسوار القدس لرفع راية فلسطين على أسوار القدس الشريف.

حكاية الشهيد الدكتور خليل سليمان:

منذ ٢٣ عاما والدكتور الشهيد خليل سليمان يعمل بكل جهد وتفاني لخدمة الشعب حيث قدم الكثير من خبراته العلمية التي اكتسبها طيلة سنوات دراسته وعمله حيث كان مفعما بالحيوية والنشاط ولم يعرف اليأس طريقا له طيلة حياته وطيلة ١٣ عاما من عمله الطبي اتخذ الدكتور سليمان قرارا بافتتاح مركز إسعاف والطوارئ في جنين إيمانا منه بأهمية هذا المركز وضرورة وجوده في محافظة جنين لقلة المراكز الطبية والصحية فيها وبدأ الدكتور بنقل خبراته الطبية إلى كل من توجه إليه سواء كان شخصا أو مؤسسة فلم يتوانى عن تقديم أية معرفة لديه لكل من طرق بابه، وقد عمل على تنظيم دورات الإسعاف الأولي في المدارس والجامعات والأحياء والمخيمات في كافة أنحاء فلسطين.

بادر الدكتور الشهيد إلى تأسيس التأمين الصحي للعمال والطلاب والموظفين حيث أصدر بطاقات للتأمين عام ١٩٨٠م بهدف تقديم العلاج المجاني للعائلات المحتاجة كما بادر إلى تنظيم أيام إغاثة طبية في القرى والمخيمات على نفقته الخاصة وأصدر كتابا

حول الإسعافات الأولية كوسيلة لتسهيل تعلم الإسعافات الأولية، وأصدر العديد من النشرات المتعلقة بالغازات السامة في حرب الخليج، وتعاون مع الرعاية الخاصة في إصدار كتاب حول صحة البيئة وكان له باب فيه أعد وقدم برنامجا تلفزيونيا في تلفزيون فرح المحلي حول تعلم الإسعافات الأولية مدة ٣٠ حلقة.

د. خليل سليمان كان يوصل ليله بنهاره. هكذا بدأت والدته الصابرة حديثها عن ابنها الشهيد، وتابعت أنه كان مفعما بالنشاط والحيوية وكان محبوبا ومعطاء ومحبا للخير ومساعدة الآخرين، كانت والدته متماسكة ومؤمنة وهي تتحدث عنه، خاصة أنها كانت قد ودعت شهيدا آخرا من أبنائها قبل ثلاثين عاما استشهد بعد تنفيذه عملية فدائية وهو عائد عبر الحدود.

استقبلت خبر استشهاد خليل بزغرودة وقالت: كان خليل يحب الشهادة، كان لا يعرف معنى للخوف، وكان يخرج في كل وقت لإسعاف الجرحى والمصابين فهنيئا له على هذه الشهادة التي كان يتمناها وهو على رأس عمله فنالها.

أما صديقه ضابط الإسعاف إبراهيم دبابنة الذي لازمه في العمل ١٢ سنة، فبدأ حديثه جزئيا وقال رحمك الله يا دكتور خليل وبدأ بالحديث بحرقة ولوعة لما حدث، فقال يوم ٤/ ٣/ ٢٠٠٢ وأثناء اجتياح قوات الاحتلال لمخيم جنين والمدينة اندلعت مواجهات عنيفة بين شبان المخيم وجنود الاحتلال سقط في هذه المواجهة ٢٣ شهيدا وأكثر من مائة جريح وكان الجميع ينزفون على الأرض حيث منع جنود الاحتلال سيارات الإسعاف من تقديم الإسعافات للمصابين ونقل الشهداء للمستشفيات، حاولنا أن ندخل المخيم إلا أن الجنود منعوا من الحصول وقاموا بإطلاق النار على سيارات الإسعاف مما اضطرنا إلى الاتصال مع الصليب الأحمر في مدينتي جنين ورام الله كما اتصلنا في مكاتب الهلال الأحمر في رام الله وبالارتباط المدني الفلسطيني في جنين وانتظرنا عدة ساعات إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل بالسماح لنا بالدخول إلى المخيم لنقل الجرحى، وبعد ذلك وصلتنا مكالمة من الصليب الأحمر أنه سمح لسيارة واحدة فقط بالدخول، وما إن سمع د. خليل هذا الكلام حتى أسرع متوجها إلى السيارة مع طاقم من المسعفين، وما إن اقترب من بوابة المخيم حتى تلقينا العديد من المكالمات الهاتفية تفيد بأن دبابات الاحتلال أطلقت قذيفة على سيارة الإسعاف لم استطع أن أصدق في البداية، ولكن مجموعة الاتصالات الهاتفية التي وردت إلينا

جعلتني أتخوف وبدأت مع د. خليل ومن معه ولكن دون مجيب وبعد ذلك اتصلنا بالصليب الأحمر، وتوجهت سيارة إسعاف أخرى إلى الموقع بعد أن سمح لها بالاقتراب من سيارة الإسعاف الأولى، فوجدت السيارة محروقة والدكتور خليل سليمان محترق داخلها أما الطاقم الآخر السائق محمد الجمل والمسعف محمود السعدي، فقد تطايرت أشلاؤهما من قوة الانفجار بعد أن فتحت الأبواب والشبابيك، حيث استشهد الدكتور خليل وهو يصرخ ويستغيث ويقول: يا رب يا رب أسعفني، ولكن لم يستطع أحد الوصول إليه لإسعافه حيث كان جنود الاحتلال يطلقون النار على كل من يحاول الاقتراب منه.

هكذا استشهد الدكتور خليل سليمان رحمه الله حيث قدم نفسه فداء لفلسطين، وقد بادرت إدارة الجامعة العربية الأمريكية في مدينة جنين إلى إطلاق اسم الشهيد على احد مختبراتها العلمية تكريما لخدماته في مجال الإسعاف والخدمات الطبية في جميع المناطق. كذلك قررت الجامعة الأمريكية تخصصي منحة دراسية في مجال العلوم الطبية المساندة تحمل اسم الشهيد لأحد الطلبة المتميزين في كلية العلوم الطبية المساندة كما أطلقت بلدية جنين اسم الشهيد على أحد الشوارع الرئيسة في المدينة تخليدا لروحه الطاهرة وأصدرت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني قرارا بإطلاق اسم الشهيد د. خليل سليمان على مركز الإسعاف والطوارئ في المدينة تكريما وتخليدا له حيث شغل منصب مديره العام مدة ١٣ عاما حتى استشهاده.



الفهرس

الإهداء ٣

المقدمة ٥

غضب الطبيعة القاسية الزوابع والهواء والبرد القارس في رام الله ٩

ذكريات على أصداء هدير الدبابات ١٧

رام الله .... قبيل العاصفة ٣١

الرئيس ورفاقه قرأ الجميع الفاتحة واستعدوا للقاء ربهم ٤٣

ربيع الحصار الدامي لحظات رهيبة بين الحياة والموت ٥٣

في مطلع الربيع.. في موسم الزهر والحياة نصبوا منارات الموت والدمار.......... ٦١

كلوديا ونتايا وجوليا ثلاثة نماذج إنسانية عاشت الحصار........................ ٧٥

عرفات المناضل.. بطاقة في نادي الكبار غاندي وكاسترو ومانديلا ٨٧

عندما يتعرض الشعب الفلسطيني للإبادة الجماعية أمام سمع العالم وبصره........ ١٠١

حكايات الحصاد الدامية بطولا وقهر ودموع خواطر وذكريات ١١١

جورج بوش : للفلسطينيين النصح والإرشاد وللمعتدين الطغاة المال والسلاح ... ١٢١

- قصص صغيرة.. عن بطولات كبيرة ١٣٠

يتربعون على قمة ويقولون ما لا يفعلون! ١٣٥

- أنواع أخرى من الإسرائيليين ١٣٨

الأجندة الأوروبية الأمريكية أكثر من رائعة ولكنها شيكات بلا رصيد ١٤٥

مخيم جنين.. شجاعة المبدأ.. وقدر المواجهة ١٥١

نابلس تحت وابل من النيران ١٥٧

مخيم جنين .. المخيم الذي احترق فيه البغاة.. ١٦١

في كنيسة المهد صلابة المبدأ وغرور القوة ١٦٥

أوراق مشتعلة في مفكرتي ١٦٩

الثمن الفادح للاجتياح الإسرائيلي ١٨٣

جحافل العدوان .. تزرع الألم والموت والدمار في ربوعنا ١٩١

جرائم حرب ضد الإنسانية على مشهد من العالم! ١٩٧
أما آن لهذا الفارس يجب أن يترجل ؟ ٢٠٣
الخطاب السياسي العربي والعالمي صرخة في واد العدم ٢١١
- جنين القسام نموت واقفين..! ٢١٧
- المحاكمة.. ثقافة القوة الغاشمة ٢٢١
- صفحة مشرفة من النضال الفلسطيني ٢٢٥
- أغرب مواجهة في تاريخ الصراع ٢٣٢
- شهداء في موكب الحصار ٢٤٤
- في ذروة الحصار.. الرئيس يطرق باب الذكريات ٢٥١
- أطفال فلسطين .. عندما يجتازون أسلاك الحصار ٢٥٦
ما حدث في جنين هزة أرضية دمرت النبات والبناء والإنسان ٢٦٣
صمود الشعب الفلسطيني دليل ناصع على عدالة قضيته ٢٧١
أحرار العالم يطالبون بمحاسبة مجرمي الحرب في مخيم جنين ٢٧٩
حضارة نابلس وتاريخها وعطر أريجها وجبالها طعما للنيران! ٢٨٣
- جنين.. قوافل الشهداء والأبطال.. أيضا ٢٨٩
- نابلس.. جبل النار.. والنور ٢٩٢
- تاريخ عريق ٢٩٣
- نابلس القديمة بعد الاجتياح ٢٩٣
- الزبانية.. والبحث عن المطلوبين ٢٩٨
- مخيم اللاجئين الأمعري ٢٩٩
- وطن ينـزف ورئيس محاصر .. بيت لحم مهد المسيح ٣٠٣
أخطبوط العدوان المجنون يدمر كل شيء.. البشر والشجر والحجر والإنسانية .. ٣١١
ضمير العالم الحر يضع الأغلال في أيدي المعتدين ٣١٧
الشيخ أحمد ياسين ودعوة إلى ترشيد العمليات الاستشهادية ٣٢٣
- عندما يلتقي الكبار .. فكراً وعقيدة ورؤى ٣٣٠
- صدى حملة بالألوان .. في الإعلام الإسرائيلي ٣٣٦

- الحياة في ظل الحصار .. صورة واقعية لملامح رام الله ٣٤٤
- من يوميات الحياة في رام الله ٣٤٧
- ينفضون أيديهم من السياسة ٣٥١
- لكل رصاصة عنوان .. أصداء الحصار في الصحافة الإسرائيلية ٣٥٢
كشف الحقيقة بين أساتذة القانون وأساتذة المراوغة ٣٥٧
محاولات لجم العدوان والكتابة على الماء ٣٦٧
- في حي الزيتون كما في مخيم جنين ٣٧٥
عودًا على بدء. سياسيون ومفكرون ورواد سلام يحاولون إيقاف شلالات الدم؟ .. ٣٧٩
- انتفاضة منتصف الليل ٣٨٤
أحرارنا يسقون العدو من كأس المنية ٣٩١
ياسر عرفات وجورج بوش من يخون ثقة من؟ ٣٩٥
- قالوا في حصار الرئيس ٤٠٠
- الفرنسي بلزاك ٤٠١
- جيمس سكوت ٤٠٢
مدينة خليل الرحمن تحت نيران القوى الغاشمة ٤٠٩
- الرئيس.. صورة من قريب ٤١٥
- ذكريات وخواطر وتأملات على أضواء الشجن ٤٢٤
- قلت لروت ديان يوما ..ستعترفون بهذا العلم شئتم أم أبيتم؟؟! ٤٣٣
أبطال فلسطين تحت حراب الأمريكيين والبريطانيين والإسرائيليين؟ ٤٤١
- ملامح إنسانية لبعض رفاق الرئيس ٤٤٦
- أحفاد الرئيس النمساوي كرايسكي ٤٥٢
- الزعماء العرب تركوه.. وحيدًا بين براثين الحصار ٤٥٩
قائد إسرائيلي شجاع سكت دهرًا وأخيرًا نطق صدقًا ٤٦٧
- الحصار يكسر المهزومين ويستعصي على الأقوياء ٤٧٣
- في الحصار نكتشف روعة اللحظات الأخير ٤٧٧
- انتكاسة حقيقية في نيسان!! ٤٨١

- الحياة على جناحيّ الموت ٤٨٤
- صدى ليلة لا تنسى خلف أسوار المقاطعة ٤٩٢
- الحديد لا يهزم القلوب.. والدمار لا يأتي بالهدوء ٤٩٧
- إنهم يدمرون أهم مقومات شعبنا .. الثقافة، والفن، والفكر ٥٠٨
- الألم والرصاص ٥١١
- محاولة لقتل الثقافة ٥١٣
- حصارات لا حصر لها .. وثقافة التحدي والإصرار ٥١٧
- الدقائق العشر الأكثر مجدا ٥٢٩
- مؤذن المسجد!! ٥٣٣
- يحكى أن الليلة عيد ذكريات وردية ٥٣٦

وقبل أن يسدل الستار شمس الحرية تشرق على رام الله ٥٤١

الفصل الأخير .. قصص من فلسطين .. أكثر من حقيقية ٥٥١

- قصة زوجين في معرض الموت ٥٥١
- قصة مراد أبو غربية ٥٥١
- قصة الدكتور إبراهيم أبو حطب ٥٥٦
- في أربعين شقيقهما يستشهدان!! ٥٥٨
- أريحا أولا.. العذاب أولا ٥٦١
- نهاية رجل .. فريد ونادر!! ٥٦٣
- قصة ليست عادية ولا استثنائية ٥٦٦
- استشهد قبل أن يرى مولده البكر ٥٧٠
- من يعرف مهند أبو الحلاوة؟ ٥٧١
- المجزرة التي لم يعترف بها العالم!! ٥٧٣
- مشاهد الموت في حي الدرج بغزة ٥٧٦
- بستان المقاطعة الدامي ٥٧٩
- حكاية الشهيد لدكتور خليل سليمان ٥٨٢